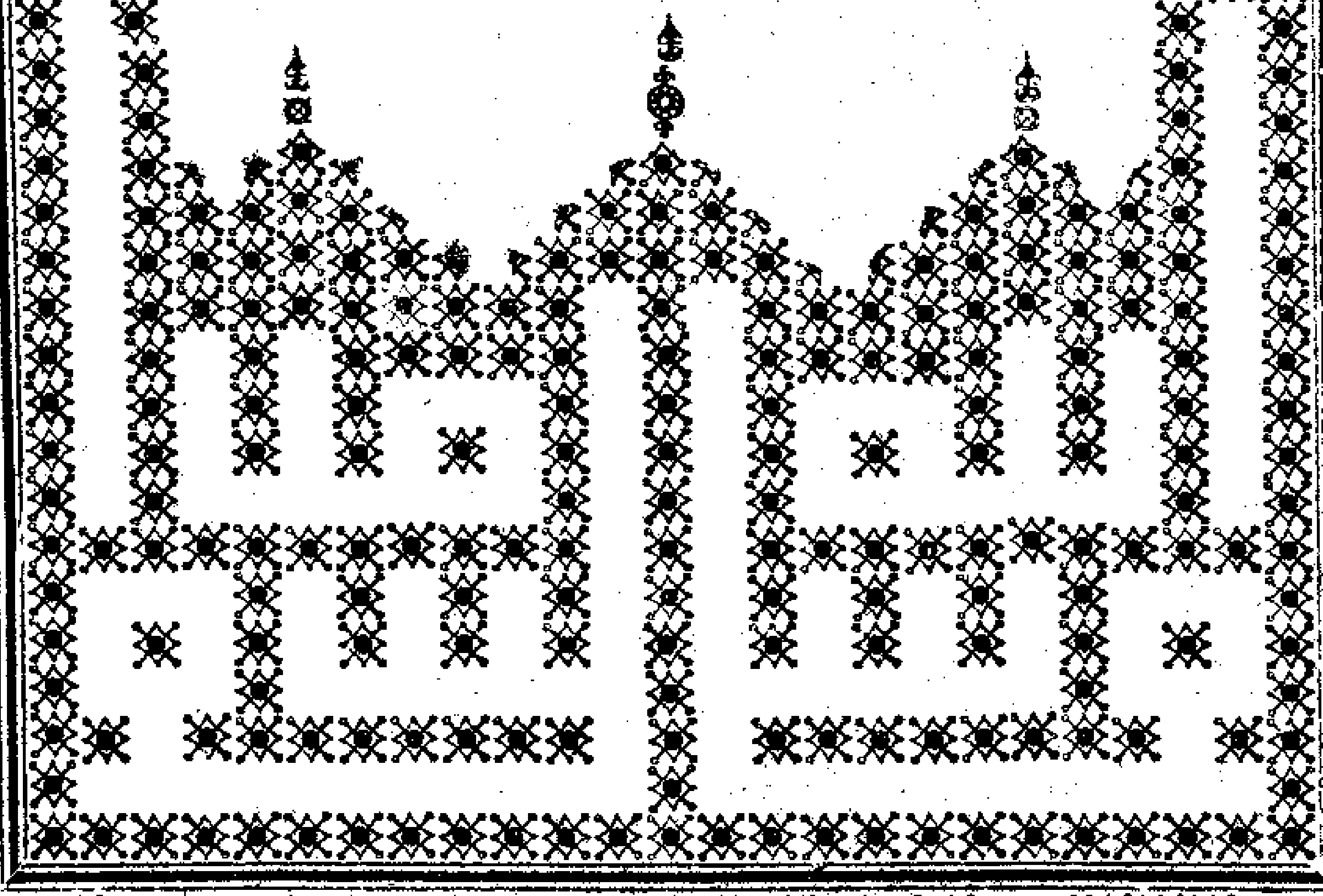
الجزء الاول

من كتاب لطائف المنن
والاخلاق في بيان وجوب التحدث
بنعمة الله على الاطلاق وهي المنن الكبرى الجالبة
للسرور والبشرى للعالم العلامة والحبر البحر
الفهامة القطب الرباني والعارف
الصمداني سيدي عبد الوهاب
الشعراني نفعنا الله بنفحاته
وأعاد علينا
من بركاته
آمين

ولاجل تمام النفع وضع بهامشه كتابان جليلان أحدهما
(كتاب لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي
الحسن) والثاني (كتاب مفتاح الفلاح ومصباح الارواح)
كلاهما للعالم الفاضل الشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله
السكندري رضي الله عنهم أجمعين

(طبع بالمطبعة الميمنية)
على نفقة أصحابها (مصطفى البابي الحلبي وأخويه)
(بمصر)

ماشاء الله



بسم الله الرحمن الرحيم

(يقول) الفقير الى الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى الشافعى عفا الله عنه وعن مشايخه ووالديه وجميع من شاء الله من الموحدين (أحمد) الله رب العالمين وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين (وبعد) فهذه جملة من النعم والاخلاق التى تفضل الحق تعالى بها على أوائل دخولى فى محبة طريق القوم رضى الله تعالى عنهم أجمعين كان الباعث لى على تأليفها ورقمها فى هذه الطروس أمورا * أحدها ليقتدى بى اخوانى فيها فيتخلقوا بها ويشكروا الله تعالى على ذلك وقد مكثت متخلقا بها عدة سنين ولا يشعر اخوانى بذلك وكنت آمرهم بالتخلق بها فلا يسمعون فقال لى يوما جماعة منهم هذه الاخلاق التى تأمرنا بها لم نجد أحدا تخلق بها من أهل عصرنا حتى نقتدى به فيها فاستخرت الله تعالى وأظهرت لهم تخلقى بها قطعا لحجتهم وقلت لهم انظروا الى هذه الاخلاق التى أذكرها لكم فى هذا الكتاب فكل خلق رأيتمونى متخلقا به فاتبعونى عليه وما بقى لكم حجة فى ترك التخلق به فلولا ذلك لربما كان الكتمان لها أولى كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى فى المقدمة وكان ذلك من جملة شكر نعمة الله تعالى على اذ خلقنى بهذه الاخلاق بعد أن كنت معرى منها كما أن من أنقذه الله تعالى من الغرق يتأكد عليه ان ينقذ كل من رآه غريقا * ثانيها قصدى بذلك دوام الشكر لله تعالى بعد موتى مدة بقاء الكتاب فان شكر اللسان ينقضى بموت العبد وشكر الله فى الكتاب قد يتأخر أثره بعده فيكون كالنائب فى الشكر عن المؤلف وكأن ذلك الشاكر لم يمت * ثالثها اعلام أهل عصرى بدرجتى فى العلم والعمل ليقتدوا بى فى حفظ كتب الشريعة والتخلق بما قسم لى من ذلك فان طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر فيحتاج سالكها الى ميزان شرعى فى كل حركة وسكون * رابعها استغناء من يريد من اخوانى أن يذكر شيأ من مناقبى عن الفحص عنها والتتبع لها وربما زاد فيها أو نقص كما يقع فيه من يجمع مناقب العلماء والصالحين ثم بتقدير صدقه فيما يذكره بواسطة أحد من الثقات فهو لا يبلغ الى مرتبة ما يذكره الانسان عن نفسه اذا كان صادقا فان غاية ما يحكيه الانسان عن غيره بواسطة انما هو الظن لا اليقين وفى الحديث فليقل أحسبه كذا أو أظنه كذا ولا نزكى على الله أحدا أى لانه تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى فتح لاوليائه باب محبته وأنشط نفوسهم من عقال القطيعة فقاموا له بوجود خدمته وأمد عقولهم بنوره فعاينت عجائب قدرته وحرس قلوبهم من الاغيار ومحا منها صور الآثار حتى ظفرت بمعرفته كشف لارواحهم عن قدس كماله ونعوت وجود جلاله فهم سبايا حضرته متع أسرارهم بقربه بخطفات جذبه فتحققوا بشهود أحديته أخذهم منهم وأفناهم عنهم غرقوا فى بحور هويته فرق جيوش التفرقة بكتائب الجمع لاهل خصوصيته وحمى حمى الاسرار بمدد الانوار أن يكون مظاهر الغير فرديته أطلع كواكب العلوم فى سماء الفهوم تهدى السائرين لحضرة ربوبيته وأضاء قمر التوحيد فى قيد التفريد فانطوت الكائنات فى وجود أزليته وما كانت معه حتى تكون معه [illegible] ابديته بل هو الاول

هو أعلم بمن اتقى وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول ليس فوق مرتبة من زكى نفسه اذا كان صادقا الا مرتبة من زكاه الحق تعالى عموما أو خصوصا كما فى نحو قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وكما فى نحو قوله تعالى فى حق يحيي عليه الصلاة والسلام وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا مع نحو قول عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا فان بعض العلماء قال ان سلام الله تعالى على يحيي وتزكيته له أعلى مرتبة من سلام عيسى على نفسه وتزكيته لها فى الجملة مع انه عليه الصلاة والسلام معصوم عن أن يخبر عن نفسه بخلاف الواقع قال وسلام عيسى على نفسه أعلى مرتبة من سلام الحوار يين عليه انتهى * ثم انى اقتديت فى ذلك بالسلف الصالح رضى الله عنهم وقد سبقنى الى مثل ذلك جماعة ذكروا مناقبهم فى طبقاتهم تحدثا بنعمة الله عز وجل وتعريفا باحوالهم ليأخذ الناس عنهم العلم والطريق منهم الشيخ الامام الفقيه المحدث عبد الغافر الفارسى أحد حفاظ الحديث ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة العماد الكاتب الاصفهانى ومنهم الشيخ الامام المقرى الفقيه ياقوت الحموى ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة لسان الدين بن الخطيب ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى أبو عبد الله القرشى ومنهم شيخه العارف بالله تعالى أبو الربيع المالقى ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى صفى الدين بن أبى المنصور ومنهم الشيخ الامام المجتهد الزاهد أبو شامة ومنهم الشيخ الامام المحدث الحافظ تقى الدين الفارسى ومنهم الشيخ الامام الورع الزاهد أبو حيان ومنهم الشيخ الامام المحدث الحافظ ابن حجر ومنهم تلميذه خاتمة الحفاظ بمصر الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فانه ذكر مناقب نفسه فى طبقات الفقهاء وفى طبقات المحدثين وفى طبقات المفسرين وفى طبقات النحاة وفى طبقات الصوفية وفى طبقات المقرئين وقال فى كتابه التحدث بالنعمة انما ذكرت مناقبى اقتداء بالسلف الصالح وتعريفا بحالى فى العلم ليأخذه الناس عنى وتحدثا بنعمة الله عز وجل لا افتخارا على الاقران ولا طلبا للدنيا ومناصبها وجاهها معاذ الله تعالى ان أقصد ذلك وأى قدر للدنيا حتى يطلب تحصيلها بما فيه ذهاب الدين واللعنة والطرد عن حضرة الله تعالى وقد ظهر شيبى ومضى أطيب عمرى وعيشى ودنا رحيلى انتهى وكذلك أقول فلم أقصد بما ذكرته لك من الاخلاق فى هذا الكتاب الافتخار على الاقران معاذ الله ان أهدى الى حضرته تعالى كتابا مشتملا على ما استحق به اللعنة والطرد هذا هو قصدى الآن وأرجو من الله تعالى دوام هذه النية الصالحة الى الممات وما ذلك على الله بعزيز فاياك يا أخى ان تبادر الى الانكار على أولئك القوم الذين اقتديت بهم أو علىّ فى ذكر مناقبى وأخلاقى التى تفضل الله تعالى بها علىّ فى هذا الكتاب وغيره وتقول انه ليس من الادب أن يذكر العبد مناقبه فى كتاب فان ذلك جهل وسوء ظن بالعلماء والعارفين الذين ذكرناهم بل الواجب عليك أن تحمل القوم على المحامل الحسنة كنحو أنهم ماذكروا لاخوانهم شيأ من مناقبهم وأحوالهم الا ليقتدوا بهم فيها هذا هو اللائق بمقام العلماء كما سيأتى بسطه فى المقدمة ان شاء الله تعالى واعلم يا أخى ان مما جرأنى على ذكر مناقبى وأخلاقى فى هذا الكتاب مع علمى بالمحو والاثبات حسن ظنى بالله عز وجل وأنه لا يسلب منى ما وهبه لى على عادة الكرام وهو تعالى أكرم الاكرمين وأيضا فان المعارف لا تسلب وانما تسلب الاحوال لسرعة استحالتها من حال الى حال اذ هى كالثوب الذى يخلع ويلبس بخلاف المعارف فانها كالذوات لا يدخل فيها محو ولا اثبات وجميع ماذكرناه فى هذا الكتاب انما هو من قسم المعارف لا الاحوال ولولا ان أولياء الله تعالى يعلمون من كرمه وفضله تعالى أنه تعالى لا يسلبهم ما وهبهم من المعارف والاخلاق ما وضعوها فى كتاب ولا نشروها فى المجالس لان أفعالهم وأقوالهم حينئذ تكذب دعواهم ثم لا يخفى عليك يا أخى أن التحدث بالنعم لا يشترط فى ذكره تكرارها على العبد طول عمره بل يكفيه أنه ينتفع بها أو يتخلق بها ولو لحظة واحدة من عمره قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فمن تخلق بخلق ولو لحظة صار من أهل ذلك الخلق على كل حال فاذا قال أعطانى الله كذا وكذا فقد صدق وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول أذكر كمالاتك ما استطعت فان بذلك يكثر شكرك لله واياك والاكثار من ذكر نقائصك فان بذلك يقل

الآخر لا بالاضافة لبريته والظاهر الباطن كذلك وما الكون حتى يقاس بقدوسيته أحمده والحمد واجب لصفات جلاله وعظمته وأشكره والشكر مستحق له لسبوغ نعمته وأرجوه وكيف لا أرجوه وهو الذى وسع كل شئ برحمته وغمر العباد فى الغيب والشهادة بطول منته واعترف له بالتقصير عن القيام بحقوق أحديته وأعلم أنه لا يحاط بذاته وصفته ليس للعبد منه الا ما من به عليه ولا يضاف له من المحاسن الا ما أضافه اليه ولا ينتصر فى المصادر والموارد الا بالتوكل عليه العزيز القادر الحكيم القاهر الرقيب على فعل كل فاعل ونظر كل ناظر لا يخفى عليه ما فى الضمائر ولا يعزب عن علمه مستكنات السرائر أظهر فى ملكه حكمته وفى ملكوته قدرته وتعرف لكل شئ ولا شئ يجحد ربوبيته ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وكل شئ

شكرك فما بحثه من جهة نظرك الى عيوبك خسرته من جهة تعاميك عن محاسنك التي جعلها الله فيك وكان يقول شهودكم المحاسن فيكم هو الاصل وأما النقائص فانما طلب من العبد النظر فيها بقدر الحاجة حتى لا يعجب بنفسه لا غير وكان يقول اياكم ومجالسة الاكابر من الملوك والعلماء خوفا أن تستصغروا ما أنعم الله تعالى به عليكم بالنظر لما رأيتموه من نعم هؤلاء انتهى ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومجالسة الاغنياء وكان يقول من كمال الكمل شدة الخوف من الله تبارك وتعالى على الدوام وعدم طمأنينتهم من الطرد عن حضرته في ليل أو نهار حتى ان سيدي عبد القادر الجيلي رحمه الله كان يقول أعطاني الله أربعين عهدا وميثاقا أنه لا يمكر بي حين رأيته في المنام ومع ذلك فانا غير آمن من مكره تعالى بي لعلمي بسعة اطلاقه وأنه يفعل ما يشاء اه وقد وقع لي أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني ان الله تعالى غفر لي جميع ذنوبي ومع ذلك فانا غير آمن من نحو الخسف والمسخ كما سيأتي بسطه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وقد شيدت مبنى هذا الكتاب وأخلاقه بجملة من أخلاق سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ ابراهيم المتبولي وجملة من أخلاق تلميذه العارف بالله تعالى سيدي علي الخواص وجملة من أخلاق أخي الشيخ الصالح أفضل الدين الاحمدي رضي الله عنهم وانما خصصت تشييد الكتاب بأخلاق هؤلاء الاشياخ الثلاثة دون غيرهم لما تواتر عن أصحابهم انهم كانوا يقولون ان مشايخنا أخذوا طريقهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين القوم فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق سيدي ابراهيم المتبولي رجلان ومن طريق غيره رجل واحد كما سيأتي بيانه في المقدمة ان شاء الله تعالى فكل أخلاق هؤلاء الثلاثة محمدية فاياك والمبادرة الى اعتراضك على شيء مما أذكره عنهم في هذا الكتاب ببادئ الرأي من غير تثبت فتخطئ طريق السنة فاني لم أر أحدا من مشايخ العصر متخلقا بشيء من أخلاقهم الا قليلا وفي كلام الفضيل بن عياض رحمه الله الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطريق البدعة ولا يضرك كثرة الهالكين وقد فصلت لك يا أخي الاخلاق والنعم تفصيلا فجعلت كل خلق أو نعمة في مبحث ليسهل اطلاع الناظر فيه على كل مبحث أراد مطالعته كما سيأتي بيانه في الفهرسة وكررت فيه بعض النعم عمدا لا سهوا بقصد تأكيد العمل بها والاعتراف بها لكن بعبارة أخرى واخترت فيه من صيغ التراجم قولي ومما أنعم الله به علي كذا أو ومما من الله به علي كذا اشارة الى أنه ليس قصدي بذكر مفاخري وأخلاقي ومناقبي الفخر على الاخوان وانما قصدي بذلك الاعلان بكثرة شكر الله عز وجل بالاصالة (ثم) ان لزم من ذلك مدح نفسي فليس ذلك مقصودا بالاصالة وانما هو باللازم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح عند علماء الاصول ويؤيده قول علمائنا لو قرأ الجنب القرآن لا بقصد قرآن جاز قالوا لانه لا يكون قرآنا الا بالقصد فمرادي بقولي ومما أنعم الله تعالى به علي كذا امتثال الاعلام بأن ذلك من فضل الله عز وجل لا بحولي ولا بقوتي ولا باستحقاقي لشيء منه وأنا أحث جميع الاخوان على مطالعة هذا الكتاب وطلب التخلق بما فيه واحذرهم من أن يطالعوا فيه ثم يتخذوا ذلك ميزانا يزنون بها على الناس وينسوا نفوسهم كما هو شأن غالب مريدي هذا الزمان فترى أحدهم يقول ما بقي أحد من أهل هذا الزمان يصدق عليه اسم المريد ويقصد بذلك غيره بدليل انه يتكدر ممن ينفيه من طريق المشيخة فضلا عن طريق الارادة وقد قالوا من علامة انتفاع المريد بشيخه ان يصير يعتقد في الناس كلهم الخير الا نفسه فلا يكاد يرى في أحد نقصا واذا سمع أحدا ينقصه لم يتغير منه شعرة بل يرى ان ذلك المنقص له صادق فيما قال فاذا الواجب على كل من يطالع كلام القوم أو غيرهم مما يطلب العمل به أن ينظر في نفسه فاذا رآها متخلقة بذلك الامر فليشكر الله تعالى وان رآها متجردة عنه فليستغفر الله تعالى ويأخذ في تحصيل طريق الوصول الى التخلق به على اني لم أذكر فيه مما تخلقت به من أخلاق المريدين الا نبذة يسيرة تأنيسا للاخوان فان الداعي الى خير ان لم يكن متخلقا به قبل المدعوين قل نفعهم به وكأنه يقول انظروا الى كل شيء تخلقت به فاتبعوني فيه وما لم أتخلق به فانا وأنتم فيه سواء فاكرم به من كتاب احتوى على غالب ما يسهل التخلق به على من يريده في هذا الزمان (وسميته) بحمد الله تعالى بلطائف المنن والاخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق ورتبته على مقدمة وستة عشر بابا وخاتمة وضمنت كل باب منه جملة صالحة من

الاخلاق

يشهد باحديته في الوهيته وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى من خليقته المشهود له في الغيب والشهادة بكمال خصوصيته القائم لمولاه بكمال الوفا في عبوديته صلى الله عليه وعلى آله وصحابته صلاة تدوم بدوام أبديته وسلم تسليما كثيرا أما بعد فاني قصدت في هذا الكتاب أن أذكر فيه جملا من فضائل سيدنا ومولانا الامام قطب العارفين علم المهتدين حجة الصوفية مرشد السالكين منقذ الهالكين الجامع من علم الاسماء والحروف والدوائر * المتكلم بنور بصيرته الكامل في السرائر * كهف الموقنين ونخبة الواصلين مظهر شموس المعارف بعد غروبها ومبدي أسرار اللطائف بعد عزوبها الواصل الى الله والموصل اليه شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن عمر الانصاري المرسي أسكنه الله تعالى حضيرة قدسه ومتعه على ممر الساعات بوارد أنسه واذكر شيخه الذي أخذ عنه ومنازلاته التي نقلت عنه وسمعتها منه وكراماته وعلومه وأسراره ومعاملاته مع الله سبحانه وتعالى وما قاله في تفسير آية من كلام الله عز وجل واظهار لمعنى خبر نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام على حقيقة نقلت عن أحد من أهل الطريق وأشكل معناها ولم

الاخلاق الحسنة والنعم الجليلة بحسب الوارد فلا أزال أقول ومما من الله به على كذا أو ومما أنعم الله به على كذا الى أن يفرغ الوارد وقدمت فهرسة الابواب والخاتمة ليكون ذلك أهون فى الكشف على من يريد الاطلاع على خلق من الاخلاق أو نعمة من النعم فينظر أولا فهرسة الباب لينظر مظنة تلك المنة أو ذلك الخلق هل هو فى أوائل الباب أو وسطه أو آخره والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه * اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق (المقدمة) هى كالدهليز الذى يدخل منه الى صحة الاعتقاد فى العارفين وقلة الاعتراض عليهم وفيها بيان مقام سيدى على الخواص الذى ورثنا هذه الاخلاق عنه فانه كان من أكابر الاولياء المجهولين عند غالب الناس فمن لم يطالع هذه المقدمة وعمى عن النظر فيها فبعيد عليه أن ينتفع بشئ من أخلاق هذا الكتاب (الباب الاول) وفيه من النعم نعمة شرف نسبى لكونى من ذرية الامام محمد بن الحنفية ثم حفظى للقرآن العظيم وأنا فى سن التمييز ومواظبتى على الصلوات الخمس فى أوقاتها من حين كان عمرى ثمان سنين فلا أتذكر أنى أخرجت صلاة عن وقتها عمدا الى وقتى هذا ثم حفظى من الآفات وأنا يتيم من الابوين وتسخير التمساح لى حين غرقت فى بحر النيل فوقف تحت رجلى حتى استرحت وعمت ثم مهاجرتى من بلاد الريف الى مصر لقراءة العلم ثم حفظى لمتون كتب العلم التى لم يحفظها أحد من أهل عصرى وبيان عددها بذكر أسمائها ثم شرحى لمحفوظاتى على الاشياخ كالشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبى شريف والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ أمين الدين والشيخ شهاب الدين الرملى واضرابهم وكذلك بيان قراءتى لتفسير القرآن العظيم وعلم الحديث عليهم وبيان ما كنت أطالعه من الكتب حال القراءة عليهم مما لم يتيسر مطالعته لاحد من أقرانى ثم أخذى بالاحوط فالاحوط فى دينى وعدم الاخذ بالرخص الا بالطريق الشرعى ثم عدم التعصب لمذهبى من غير دليل مع اعتقادى ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ولكن كل من حكم الحديث لقوله فهو أرجح عندى ثم كثرة تأويلى للقوم كلامهم وزجر كل من طعن فى طريقهم من غير دليل شرعى ثم عدم جزمى بما فهمته انه مراد الله تعالى أو مراد رسوله صلى الله عليه وسلم أو مراد أحد من الائمة ومقلديهم وذلك لان الكلام على مراد صاحب الكلام من غير توقيف منه لا يكون الا بكشف صحيح أو الهام لا يخطئ أو نحوهما وأنى لى بذلك الا بعناية الله تعالى ثم حفظى من دعوى العلم على وجه التكبر به على أحد من العوام والاقران ثم اذن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا بتدريس علم الفقه والتفسير والتصوف ثم عدم المبادرة الى القول بتعارض الادلة وأقوال الائمة بل أتربص وانحل لهما محملا صحيحا أدبا مع الشارع فان منصبه ومنصب الائمة يجل عن التعارض ثم حفظى من الجدال ورفع الصوت مع اخوانى المخالفين لى فى الفهم فضلا عن الاشياخ ثم كثرة مطالعتى لكتب الشريعة وآلاتها من تفسير وحديث وأصول وتصوف ثم بيان عدد الكتب التى طالعتها ثم مطالعتى لكتب مذاهب الائمة الثلاثة زيادة على مذهبى لاتحرز من مخالفة الائمة فى أعمالى كلها ويكون عملى موافقا لهم حسب الطاقة ثم كثرة توجيهى وتقريرى لمذاهب المجتهدين حين تبحرت فى العلم حتى كأنى واحد من أمهر فحول مقلدى ذلك المذهب وذلك لاطلاعى على أدلة الائمة وما استندوا اليه من نص أو قياس أو اجماع ثم اعطائى الفهم فى القرآن والحديث وكلام الائمة ثم تأليفى كتبا كثيرة فى الشريعة وغالبها لم أسبق اليه انما استنبطته من الشريعة وذلك ككتاب العهود وكتاب المنن وكتاب مشارق الانوار القدسية وغير ذلك ثم اجازة علماء المذاهب الاربعة لمؤلفاتى ومدحها ومدح مؤلفها خلاف ما أشاعه الحسدة عنى فى مصر والحجاز ثم موت جميع أشياخى فى الفقه والتصوف وغيرهما وهم عنى راضون ثم انشراح صدرى من حين كنت صغيرا للعمل بالكتاب والسنة وانقباض خاطرى عن العمل بالبدعة خلاف ما أشاعه الحسدة عنى ثم الهامى لمجاهدة نفسى بغير شيخ لما تبحرت فى العلم ثم بشيخ ليساعدنى على ازالة الموانع التى توقفنى عن العمل بما علمته ومبالغتى فى الورع حتى كنت لا أمر فى ظل عمارة أحد من الولاة ثم ظهور ان جميع ما كنت عليه من الاعمال بلا شيخ كأنها كانت رياء وسمعة ونفاقا بالنسبة لما نبهنى عليه الشيخ ثم اعطاؤه تعالى لى الفهم فى القرآن على مصطلح العارفين ثم اعطاؤه لى تعالى الفرقان بين المقامات والعلوم وما كل الرجال أعطوا الفرقان ثم

يفهم مغزاها وما نقله عن شيخه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه وما قاله هو من الشعر أو قيل بحضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر الطريق وأهلها وأنقل ما يمكن اثباته من أخباره كثيرها وقليلها وكان أصحاب الشيخ الامام القطب أبى الحسن قدس الله روحه قد أثبتوا جملا من كلامه وان كان هو رضى الله تعالى عنه لم يضع كتابا وقد بلغنى عنه انه قيل له يا سيدى لم لا تضع الكتب فى الدلالة على الله تعالى وعلوم القوم فقال رضى الله تعالى عنه كتبى أصحابى وكذلك شيخنا أبو العباس رضى الله عنه لم يضع فى هذا الشأن شيأ والسبب فى ذلك ان علوم هذه الطائفة علوم التحقيق وهى لا تحملها عقول عموم الخلق ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول جميع ما فى كتب القوم عبرات من سواحل بحر التحقيق ولا أعلم ان أحدا من أصحاب شيخنا أبى العباس رضى الله تعالى عنه تصدى الى جمع كلامه وذكر مافيه وأسرار علومه وغرائبه فخذبنى ذلك الى وضع هذا الكتاب بعد أن استخرت الله تعالى وطلبت منه المعونة وهو خير معين وسألته أن يهدينى الى الطريق المستبين * وقسمته الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة أما المقدمة فتشتمل على اقامة الدليل على ان نبينا محمدا صلى الله

سكون القلب عن طلب الأجر على الأعمال لعلمي بأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم علمي بكون الحق تعالى يكرهني أو يحبني وذلك بوزني أعمالي على الكتاب والسنة ثم قصدي بتعليم العلم نفسي أولا ثم الخلق ثانيا والله تعالى أعلم (الباب الثاني) وفيه من النعم نعمة نفرة نفسي ممن يزعم أنه يعلم علم جابر أو يفتح المطالب من حين كنت صغيرا وفيها تلخيص رسالة الشيخ أفضل الدين في بيان الحجر المكرم ومراتب أهل ذلك العلم ثم بلوغي مقام الزهد إلى أن صار عندي الذهب والتراب على حد سواء من غير ترجيح ثم بعد أن أحكمت ذلك المقام رجحت الذهب على التراب عملا بما جعله الله تعالى فيه من الحكمة ثم ذكرت أني بلغت في مقام الزهد إلى أنه لو أمطرت السماء ذهبا وصار الناس ينتهبونه لم أجد لي داعية إلى أخذ شيء منه إلا لأمر مشروع ولو أنني مررت على تلال الذهب والفضة من غير مزاحم عليها من أبناء الدنيا ولا حساب عليها في العقبى لم أتناول منها دينارا واحدا إلا لضرورة شرعية ولو أن البغلة دخلت داري في الليل محملة ذهبا من مطلب ونحوه أخرجتها من داري بذهبها خوفا من طول الحساب يوم القيامة ثم أنه لو كان عندي ما شاء الله من الذهب فسرقه إنسان أو أخذه من بين يدي وأنا أنظره لا أتبعه ولا أوكلي هوانا بالدنيا ثم كراهتي لأكل من شيء أعطيته من الناس على أني من الصوفية لأنه أكل بالدين ثم كثرة شفقتي على جميع المسلمين وولاة أمرهم حتى أني ربما أمرض لمرض صاحبي أو ولي أمري وأشفى لشفائه وحتى أني أحفظ جميع الولاة في بيوت الناس وحوانيتهم وزروعهم وجسورهم كل يوم وليلة وقد يغفلون هم عن ذلك وفيها ذكر رؤيتي أني شربت من عين العرش في واقعة ثم عدم مدحي لأصولي وفروعي عند من لا يعرفهم إلا لغرض شرعي ثم تمييزي لحظ نفسي من حظ الباري جل وعلا فلا أحب أنه يعفو عني من حيث أن في ذلك راحة لي وإنما أحب العفو من حيث أنه يحب العفو فلولا محبته تعالى للعفو ما أحببت العفو وإن كان في جزء يحب العفو فهو جزء ضعيف لا أكاد أحس به ثم عدم بداءتي بالزيارة لمن علمت أنه يكافئني على ذلك خوفا من تكليفه لزيارتي نظير البداءة بالهدية كما أشار إليه عند بعضهم قوله تعالى ولا تمنن تستكثر ثم عدم نصبي على الناس حتى يحبوني أو يأخذوا عني أدب القوم بإيهامهم أني أعرف علم الكيمياء وأن كل من صحبني علمته ذلك كما وقع فيه بعض أهل هذا العصر ثم إلهامي جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار حيث ذهلت عما ورد في السنة لدهشة وارد أو نحوه ثم ترادف رؤيتي للعلماء والمشايخ الذين ماتوا لما دخلت سنة احدى وستين وتسعمائة وأمرهم لي بطلب التزود والرحيل من هذه الدار ثم نظري إلى الوقت الذي أنا فيه دون الماضي والمستقبل ثم نصحي لأصحابي بما صرحت به الشريعة فقط تخفيفا عليهم الآن أجمع العلماء على ذلك الأمر ثم فراري إلى الله تعالى في جميع الشدائد قبل خلقه ثم تربية الحق لي برؤيتي العبر في غيري ثم نفرة نفسي من الدنيا وممن يحبها ثم حمايتي من الأتباع الذين يتعصبون لي بالباطل ثم كثرة اعتقادي في أهل عصري من غير مطالبة بدليل ثم غيبتي عن التطلع لما في أيدي الخلائق ثم دوامي على التقشف النسبي إلى وقتي هذا ثم كتماني ما أطلعني الله عليه من غائب الحوادث المستقبلة ثم عدم تسلقي على مقامات الصالحين ثم وجود الرجاء والخوف عندي في وقت واحد ثم توبتي كلما أتناول شهوة ثم حفظه تعالى لفرجي من الفواحش ثم عدم اشتغالي بالنعمة عن الله ثم فناء اختياري مع الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ثم عدم شهوة أعضائي للمعصية من حين بلغت الأربعين سنة ثم حمايتي من وقوع الانتظار لرزق معين ثم معرفتي بالله عز وجل بحيث لا تزلزلني النقول ثم كتمان مصائبي عن الخلق ثم عدم وعدي لأحد بما لا أقدر على الوفاء به ثم حمايتي من أكل الشبهات ثم توالي الآلام على جسدي ثم رضائي بالدون من الدنيا ثم عدم قولي في دين الله بالرأي ثم كثرة شكري لله تعالى إذا زوى عني الدنيا ثم حمايته تعالى لقلبي أن يقيم فيه محبة أحد من الخلق إلا بإذنه تعالى ثم كثرة حبي لأصحابي على كثرة ذكر الله محبة في الله لا لعلة أخرى ثم فرحي بالفقر إذا أقبل ثم عدم تدبيري مع الله تعالى إذا نزل بي بلاء ثم عدم بغضي أو محبتي لأحد بحكم الطبع ثم عدم تكدري من صاحبي إذا فارقني وعاداني ثم محبتي لكثرة مخالطتي للعلماء والصالحين مع الاعتراف بعجزي عن القيام بواجب حقوقهم ثم صبري على جفاء من دعوتهم إلى خير وأبوا ثم عدم سخطي على مقدورات ربي إذا نزل بي ما أكره ثم كونه تعالى لم يجعل الدنيا أكبر همي من صغري إلى وقتي هذا ثم ملاطفتي لمن رأيت عنده حسدا

فيه صلى الله عليه وسلم وبينت أن مدد الأولياء من الحقيقة المحمدية وأن الأولياء إنما هم مظاهر أنوار النبوة ومطالع شوارقها وأعلمت أن أنوار الولاية قائمة الثبوت لزوم دوام أنوار النبوة وذكرت الفرق بين الرسالة والنبوة والولاية وبينت من هو الأولى بالميراث في قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء وبينت ما هو العلم الذي أثنى الله تعالى عليه ومن هم العلماء الذين هم أولى بالزلفى لديه وبينت أن الأولياء الظاهرين في أوقات الظلمة أولى بأن يكثر الله أنوارهم ويجزل لهم من وجوه اليقين ما يوجب انتصارهم ليدافعوا ظلمة الأوقات وليهزموا بعساكر أنوارهم جيوش الغفلات وذكرت أقسام الولاية وغزارة قدر الولي وفخامة رتبته وتفوق منزلته مما تضمنه الكتاب العزيز والأحاديث النبوية ليكون ذلك توطئة لك بتصديق ما يرد عليك من أخبار أوليائه وكرامات أصفيائه وأما الأبواب * فالباب الأول في التعريف بشيخه الذي أخذ عنه هذا الشاب وشهادة من عاصره من العلماء الأعيان أنه قطب

لاخيه المسلم وصبري عليه حتى يرجع عن حسده ثم اطلاعه تعالى لي على بعض المنعمين والمعذبين في قبورهم ثم
حجبي عن ذلك رحمة من الله تعالى بي ثم عدم أمني من مكر الله تعالى في ساعة من ليل أو نهار وعدم اغتراري بما
أعطاه الله تعالى لي من المكاشفات والكرامات ثم عدم التمادي في استحسان شيء من أحوالي وأقوالي ثم حمايتي
من الحاجة الى سؤال الناس وغناي عنهم بالقناعة فلم أجده يحوجني قط تعالى الى كتابة قصة لاحد ليعطيني
شيأ من الدنيا ثم عدم طمأنينة نفسي الى دوام النعمة علي لعدم استحقاقي لها وكثرة التحويل والتغيير لمثلي
عقوبة له على سوء أدبه ثم فزعي لذكر الله والى الصلاة اذا احتجت الى شيء من أمور الدنيا ثم تقديمي الاهم فالاهم
من المأمورات الشرعية من حين كنت صغيرا ثم عدم محبتي للشبع من الحلال فضلا عن الاكل من الحرام
والشبهات ثم عدم صبري على البعد من حضرته تعالى ساعة من ليل أو نهار كلما أغفل أو أخرج من الحضرة ثم
رمي للدنيا الزائدة عن حاجتي الحالة الراهنة في بداية أمري ثم أخذي لها وجمعها في آخر عمري تحققا بالفقر
والفاقة لفضل الله وكف نفسي عن السؤال لعيالي وأصحابي ثم مبادرتي الى تفتيش نفسي اذا دعوت الله في حاجة
ولم يجب دعائي لان الاجابة ربما توقفت لاجل معصية ارتكبتها والله أعلم (الباب الثالث) وفيه من النعم نعمة
ردنفسي فورا الى الرضا بتقدير الله عز وجل اذا حصل عندي لمحة خاطر اشمئزاز منه ثم عدم طلبي لشيء من مناصب
الدنيا من منذ وعيت على نفسي ثم عدم تسليمي للنفس ما تدعيه من ترك الحظوظ فان لها غوائل ثم تسليمي لمن
ادعى انه خرج عن حظوظ نفسه وصارت ارادته موافقة لارادة ربه ثم تنبيهي بتصاريف القدرة في بما أكره
علي وجود ذكر الله لي وعدم غفلتي عن التمادي في الغي وحظوظ النفس ثم حسن ظني بربي اذا قسى علي
قلوب عباده وكف ألسنتهم عن حمدي وأطلق ألسنتهم علي بالذم ثم معرفتي بعداوة من رأيته يتسخط اذا سأل
ربه شيأ ولم يعطه ثم وجود منازعة نفسي لي وميلها الى الشهوات المباحة أواخر عمري ليحصل لي أجر مجاهدتها
فأفارق الدنيا على المجاهدة ثم عدم سؤالي الله تعالى شيأ الا مع التفويض اليه فيه لكونه أعلم بمصالحي من نفسي
ثم مبادرتي لشكر ربي اذ حفظني من مضلات الفتن دون العجب ورؤية النفس على من وقع فيها ثم مداومتي على
الاعمال التي كنت أعملها أيام بدايتي الى وقتي هذا ثم شهودي أن صفات نفسي الناقصة دائمة معي على الاعمال
حتى أموت فلا أمان لي من الوقوع فيما الا بحل لي ثم عدم شهوة نفسي لشيء من المطاعم والملابس اذا دخلت سوق
الطعام واللباس ثم غضبي باطنا على كل من رأيته يدعي التلبس بشيء من مقامات القوم دعاوى باطلة ثم اعلامي له
بكذبه فيما بيني وبينه ليتوب من الدعوى ثم طلبي لكل حاجة احتجت اليها من باب الله تعالى دون خلقه الا
بجعل خلقه بابا من أبوابه كالقناة الجاري لنا منها الماء فقط ثم عدم استبعادي على نفسي أنها تقع في أكبر
الكبائر ولو صارت معدودة من مشايخ العصر ثم عدم اعتمادي على غير الله عز وجل في الشدائد ثم كثرة أدبي مع
ولاة الزمان ظاهرا وباطنا من حيث كون الحق تعالى ولاهم علينا وجعلنا تحت حكمهم ثم كراهتي لتردد
أحد من الاكابر الي من عالم أو صالح أو أمير اجلالا لهم وتعظيما ثم ردي كل شيء يأتيني من مال الولاة وان قبلته
رميته بين الحاضرين ولا آخذ منه شيأ ثم عدم خوفي من أحد من الولاة لانهم لا يسلطون الا على من يحب الدنيا
غالبا ثم حلي للعلماء الذين يدخلون على الامراء ولا ينصحونهم على العجز دون المداهنة لاجل دنياهم ثم عدم خوفي
من مخلوق مطلقا من حية أو عقرب أو تمساح أو لص أو جن أو غيرهم الا عملا بأمر الشارع صلى الله عليه وسلم
لي بالذب عن بدني ثم تنبيهي في المنام على الامور التي تقع مني في المستقبل أو في الماضي ولم أشعر بكونها مذمومة
ثم حبي لرفع صوتي مخاصا بالذكر حتى أود أن يسمع ذكري أهل المشرق والمغرب ضد ما كنت عليه في بداية
أمري ثم محبتي للتقلل من مجالسة الاكابر من العلماء والصالحين وقضاة العسا كر ونحوهم خوفا من اخلالي
بواجب حقهم ثم كثرة تعظيمي للشرفاء ولو من جهة الام فقط وان طعن الناس في صحة نسبهم ثم معرفتي بصوت
الشريف وتمييزه عن غيره اذا كلمني من وراء جدار مثلا ولو لم اجتمع به قبل ذلك ثم كراهتي للاكل من الصدقات
الخاصة دون العامة كالاوقاف على فقراء المسلمين ثم استئذاني بقلبي لربي أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو
أحد أئمة العلماء اذا كنت أقرأ القرآن أو الحديث أو العلوم الشرعية وكلمني انسان في حاجة بنحو قولي

الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان * الباب الثاني في شهادة الشيخ له انه

الوارث للمقام والحائز قصب السبق بالتمام واخباره هو عن نفسه بما من به عليه من النعم الجسام وشهادة الاولياء له انه بلغ من الوصول الى الله لافضل مرام * الباب الثالث في مجرياته ومنازلاته وما اتفق لاصحابه معه ومكاشفاته * الباب الرابع في علمه وزهده وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته * الباب الخامس في آيات من كتاب الله تكلم على تبيين معناها واظهار فواها * الباب السادس فيما فسره من الاحاديث النبوية وابداء أسرار فيها على مذهب أهل الخصوصية * الباب السابع في تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق وحمله لذلك على أجمل الطرائق * الباب الثامن في كلامه في الحقائق والمقامات وكشفه فيها الامور المعضلات * الباب التاسع فيما قاله من الشعر أو قيل بحضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته * الباب العاشر في ذكره ودعائه عقب كلامه وحزبه الذي رتبه للآخذين من علومه وافهامه ولوازم ذلك
من ذكر شيخه أبي الحسن وحزبيه ليتم العقد بنظامه وأما الخاتمة ففي اتصال نسبتنا اليه ووصايا نثرا ونظما تنهض الى الله وتجمع عليه وهي

دستور يارب اكام عبدك فلانا فى حاجته ثم اقبل عليه أودستور يارسول الله أودستور يا محمد يا ابن ادريس ونحو ذلك بحسب الكلام الذى أقرره ثم كراهتى لمد رجلى فى ساعة من ليل أونهار الا بعد قولى دستور يا ألله أو دستور يارسول الله أودستور يا أولياء الله ثم أمدها بعد ذلك ثم شدة كراهتى للنوم على حدث أكبر أو أصغر أو على الاصرار على شئ من الذنوب خصوصا على نحو غل أو حسد أو كبر أو محبة للدنيا ونحو ذلك ثم شدة كراهتى للنوم فى الثلث الآخر من الليل كشدة كراهة وقوعى فى المعاصى الظاهرة والله تعالى أعلم (الباب الرابع) وفيه من النعم نعمة كثرة ثنائى على الله تعالى اذا نزل بى ما يسوءنى عادة ثم عدم استعمالى الدواء الا ان كان الداء يشغلنى عن الله تعالى ثم شدة كراهتى لخطاب الحق وفى بدنى نجاسة ثم حضورى مع الحق تعالى عند الاكل والشهوات ثم كثرة مراعاتى اليتيم ولامرأة الجار اذا غاب زوجها أكثر من مراعاتى لمن له والد ولمن زوجها حاضر ثم نفرتى من اعتقاد الناس فى ثم عدم اجابتى للتصدر فى نحو دعاء الاستسقاء ثم احساسى بمشاركة جميع المسلمين فى جميع البلايا والمحن التى تصيبهم حتى انى قد أشارك المعاقبين فى بيت الوالى وأشارك المرأة حال طلقها وأحس بالولادة ثم مساعدة أصحاب النوبة فى حفظ ادراكهم فى سائر أقطار الارض ثم استئذانى أصحاب النوبة كلما خرجت من بيتى لحاجة أو الى سفر أو رجعت منها أودخلت بيت حاكم أوطلعت القلعة لشفاعة ثم حفظى من تصريف أرباب الاحوال فى مع كثرة شفاعتى عند الحكام وكثرة معارضتى اهم من حيث لا أشعر ثم حمايتى من الوقوع فى المعاصى والشهوات اذا كنت فى حملة وسيأتى شروط قضاء الحوائج عند الحكام ثم الهامى الى أنى أطلب الحوائج من أبوابها دون غيرها ثم قضاء الحوائج من الحكام مع عدم الوقوع فيما ينقص دينى بسبب ذلك من تزكية نفسى على ألسنة الوسائط أوغيرها ثم كثرة توجيهى لكلام الائمة من المجتهدين والصوفية وليس فى هذا الكتاب أطول من هذه القولة وفيه ذكر افتراء الحسدة على أننى ادعيت الاجتهاد المطلق وبيان من امتنع من الكتابة على السؤال ومن وقع ثم عدم قطعى للبر والاحسان عن كفر بتربيتى ونكث عن صحبتى بل أدوم على الاحسان اليه ثم عدم طلبى للثواب على شئ من أعمالى الا من باب الفضل والمنة دون الاستحقاق ثم عدم تكدرى اذا قدر الله تعالى على سهوا أونسيانا فى الصلاة بل أفرح لكونى أحتاج الى الوقوف بين يديه تعالى زمنا آخر بسبب الاعادة أو التدارك ثم عدم طلب نفسى مقاما عند الخلق دون الله تعالى ثم عدم احتياجى لقبولى مرتبا من بيت مال المسلمين أوممن حاولوا سألونى فى ذلك ثم حمايتى من الاكل من هدايا الظلمة وأعوانهم ثم انصافى لكل من عاملنى فى بيع أوشراء واذا استأجرنى شخص دولابا أو رزقة أومركبا ولم ينتفع بها الا آخذ منه أجرة ولوسألنى هو فيها رددتها عليه ثم شهودى ان جميع ما أقاسيه من الشدائد فى هذه الدار انما هو كالادمان على تحمل أهوال يوم القيامة فهو رحمة بى ثم حمايتى من الاكل من طعام من شفعت عنده أوشفعت له أوقبولى هدية من أحدهما ثم عدم قبولى هدية أعانى بها صاحبها مثلا قبل مجيئها الى ثم عدم تخلى بشئ دخل فى يدى من الدنيا على من يستحقه سواء النقود وغيرها ثم غلبة الحياء على من الله تعالى ومن الخلق حتى انى أجعل الطيلسان على رأسى من شدة الحياء وتحرزا عن فضول النظر ثم كراهتى للاكل من ضيافة الاوقاف التى تحت نظرى أونظر غيرى وعدم استقرارها فى جوفى اذا أكلت منها ولوسهوا ثم جعلى الحظ الاوفر للوقف اذا زرعت فى أرضه فاعطى جهة الوقف الاكثر من الخراج أو الحب فانه كمال اليتيم فى يد وليه والله أعلم (الباب الخامس) وفيه من النعم نعمة كراهتى للاكل من صدقة أوهدية علمت أن فى بلد المتصدق أو المهدى من هو أحوج الى ذلك منى بل ان قدر أنى قبلتها صرفتها فيما أعلم انه أرجح فى ميزانه من أكلى منها ثم كراهتى لشئ يقيم فى باطنى من محاب الدنيا سواء كان ولدا أو زوجة أونقدا أوثيابا أونحو ذلك ثم كثرة اضافة الافعال المذمومة الى نفسى الامارة قبل اضافتها الى ابليس عكس ما عليه غالب الناس ثم عدم مبادرتى الى سوء الظن باحد من المسلمين ثم عدم مطالبتى أحدا من الخلق بالوفاء بعهدى وهو يخل بعهود الله ورسوله ثم كثرة توجهى الى الله تعالى فى تسهيل رزق عيالى من غير حصول منة لاحد من الخلق فى طريقه ثم حبى لكل تقدير شئ ينكس رأسى بين يدى الله أو يورثنى الحياء منه من حيث التقدير لا من حيث الكسب وهروبى من كل شئ

آخر الكتاب وليس كل شئ سمعته من الشيخ رضى الله تعالى عنه استحضرته وقت وضعى لهذا الكتاب ولا كل شئ استحضرته يمكن اثباته وقصدت بذلك ان تنتفع به هذه الطائفة خصوصا وغيرهم عموما ليؤمن باحوال هذه الطائفة من قسم الله له نصيبا من المنة وجعل فى قلبه نورا من الهداية وليرجع المكذب الى الاعتراف والمكابر الى وجود الانصاف وليستبين ان أراد الله تعالى به الهدى المحجة وتقوم على من لم تنصره عناية الله تعالى الحجة فيكون للمصدق بتصديقه بهذه الطائفة نصيب من الولاية وذنوب من العناية وقد قال الجنيد رضى الله تعالى عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية واذا فاتتك المنة فى نفسك فلا يفتك ان تصدق بها فى غيرك فان لم يصبها وابل فطل وقد قال بعض العارفين التصديق بالفتح لا يكون الا بفتح ومصداق ما قال هذا العارف قول الله سبحانه وتعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وقال سبحانه وتعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وقال انما يتذكر أولوا الالباب واذا أراد الله بعبد خيرا جعله من المصدقين لاولياء الله تعالى فيما جاؤا به وان قصر عقله عن ادراك

رفع رأسي بين الناس ورؤيتي العجب والزهو ثم رؤيته منة الله تعالى علي اذا أقامني بين يديه في الاسحار ولم أجد لذة في مناجاته ثم عدم الجهر بالقرآن في صلاة الليل وذهاب الخشوع مني اذا جهرت ثم عدم نوم قلبي ليلة الاحد فتنام عيني فيها ولا ينام قلبي بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شهودي عدم كمال الاخلاص في كل عبادة فعلتها ثم عدم مبادرتي الى الرحمة والشفقة لمن رأيته جيعانا أو عطشانا أو عريانا بل أتربص في ذلك فربما فعل الحق تعالى معه ذلك لحكمة لانه أرحم مني به بيقين ثم شدة قربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطي المسافة بيني وبينه حتى اني في بعض الاوقات أضع يدي على قبره الشريف وأنا في مصر ثم تعويلي في الشدائد كلها على الله تعالى ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جعلي عبادتي كلها مقاصد لا وسائل ثم سترتي لمن دخل علي من الفقهاء وقرر كلام القوم على غير وجهه ثم عدم تزوجي لابنة شيخي اجلالا لها ثم سترتي لمن أطلعني الله تعالى عليه أنه ارتكب معصية ولم يتب ثم شهودي أن جميع ما بيدي من الخير انما هو ببركة ملاحظة أشياخي لي بارادة الله تعالى ثم محبتي لاطعام الطعام لكل داخل علي ثم سياحتي في الجبال والبراري حتى وصلت الى مواضع قل من سلكها ثم اقامة العذر للفقيه اذا بادر الى الانكار على بعض أهل الطريق ثم كثرة أدبي مع المجاذيب وأرباب الاحوال ثم وجود البركة في رزقي حتى ربما أقدم للضيف ما يأكله واحد فيكفي العشرين نفسا ثم طاعة الجن لي واعتقادهم في الصلاح والعلم ثم كراهتي للاكل من طعام العزاء والجمع وتمام الشهر ثم عدم مبادرتي الى الانكار على من تزيا بزي الفقراء حتى المطاوعة الا أن أرى منهم ما يخالف الشريعة ثم عدم حرماني للسائل ولو كان قويا على الكسب فربما يكون له عذر ثم تفقد قلبي صباحا ومساء من دخول الصفات المخالفة للاخلاق الحميدة ثم ندمي في بعض الحيثيات على كل نومة نمتها في ليل أو نهار ثم معرفتي الولي اذا زرته في قبره هل هو حاضر أو غائب وغير ذلك (الباب السادس) وفيه من النعم نعمة كراهتي للاختصاص عن الفقراء بشيء ولو أنه موقوف علي وحدي ثم تعففي عن الاكل من طعام كل شخص عرف بالكرم في هذا الزمان ثم حمايتي من أخذ معلوم على فعل شيء من القربات الشرعية الا لضرورة شرعية ثم عدم قبولي شيأ أعطاه الي الناظر من وقف المرتب زائدا على رفقتي من المستحقين ولو عزم علي به ثم عدم مطالبتي لمن لي عليه حق دنيوي ما دمت أجد الرغيف والخلقة ثم عدم رؤيتي أنني أحق بشيء مما في يدي من الدنيا من المحتاجين ثم عدم التفات نفسي الى شيء من الدنيا اذا ضاع مني سواء قل أو كثر الا أن يكون لغيري ثم عدم مزاحمتي لشيء مما فيه رياسة دنيوية أو نوال الى الدنيا من جاه أو شهرة صيت ثم كثرة حذري من ابليس كلما ترقيت في مقامات الطريق ثم كثرة تعظيمي لاخواني عند كل أمير صحبته حتى ربما يترك صحبتي ويصحبهم ثم انشراح صدري لتقديم زيارتي لمن يكرهني على زيارة من يحبني ثم قصدي بزيارتي نفعه هو بالاصالة وفيه ذكر سيدي علي المرصفي رضي الله عنه ثم حسن سياستي لمن رأيته ينقص أخاه المسلم حتى يتوب من التنقيص ثم عدم تقديم نفسي على اخواني في أمور الدنيا باختيار مني وطيب نفس ثم عدم شهودي الملك الحقيقي لشيء أعطانيه الله في الدنيا والآخرة لانني عبده في الدارين ثم خفض جناحي لفسقة المسلمين حتى يسمعوا نصحي ثم كثرة نصحي لاخواني ثم عدم ترددي الى بيوت الحكام لغير ضرورة شرعية لكن ان بدأني أحد منهم بالزيارة كافأته على ذلك بالتردد اليه مرات وفاء بحقه وبه قال جماعة ثم عدم تكدري على شيء فاتني من الدنيا أو من صدها عني عادة ثم انشراح صدري اذا أصبحت أو أمسيت وليس عندي شيء من الدنيا ثم عدم مبادرتي للانكار على من رأيته يأخذ مال الولاة فربما أخذه لضرورة الشرعية ثم شكري لله عز وجل اذا ضيق علي الرزق كشكري له اذا وسعه علي من حيث خوف الطغيان ثم رضاي عنه اذا قدر علي شيأ من المعاصي من حيث علمي بأنه حكيم حليم فأستغفره من حيث الكسب وأرضى عنه من حيث التقدير ثم عدم اعتمادي على شيء من طاعاتي دون فضل الله عز وجل ثم حسن سياستي للمقارضين في أعراض الناس ثم عدم اعتقادي في نفسي انني من علماء الزمان العاملين ثم نفرة نفسي ممن مدحني في المجالس بنظم أو نثر ثم موافقة من مدح عدوي في المدح ثم عدم المبادرة الى الانكار على من رأيته يسعى

ذلك فمن أين يجب أن لايهب الله تعالى لأوليائه الا ما تسعه عقول العباد وقد قالوا يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة وقد قال أبو تراب النخشبي من لم يصدق بهذه الكرامات فقد كفر أي غطى عليه الامر وستر عنه شهود قدرة الله تعالى جعلنا الله واياك من المعترفين بفضله في عباده ومن المصدقين بآثار عنايته في أهل وداده انه ولي ذلك والقادر عليه ولم أخل الكتاب من الكلام على الشيء المشكل وحل الامر المعضل والتنبيه على أمور جليلة واظهار أسرار أبصار من لم يؤمن بهذه الطائفة عنها كليلة فالله سبحانه وتعالى يجعل ذلك لوجهه خالصا ومن أوحال القطيعة خالصا وان يمن علينا بالصدق في الاقوال والافعال والاحوال وان يجعلنا من العارفين به في الحال والمآل وان يتفضل علينا بالفهم عنه وحسن الاستماع منه انه الاله القدير وبالاجابة جدير *(وسميته)* لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن وهذا أوان ابتدائي بما قصدت واظهار ما أردت وبالله أستعين وعليه أتوكل

وافاضة فيض رحمته
واقتضى فضله العظيم
أن يمن على العباد
بوجود معرفته وعلم
سبحانه وتعالى عجز
عقول عموم العباد
عن التلقي من ربوبيته
جعل الانبياء والرسل
لهم الاستعداد العام
لقبول ماورد من الهيبته
يتلقون منه بما أودع
فيهم من سر خصوصيته
ويلقون عنه جمعا
للعباد على أحديته
فهم برازخ الانوار
ومعادن الاسرار رحمة
مهداة ومنة مصفاة
حرر أسرارهم في أزله
من رق الاغيار وصانهم
بوجود عنايته من
الركون الى الآثار
لايحبون الا اياه ولا
يعبدون ما سواه يلقى
الروح من أمره عليهم
ويواصل الامداد
بالتأييد اليهم وما زال
ذلك النبوة والرسالة
دائرا الى ان عاد الامر
من حيث الابتداء
وختم بمن له كمال
الاصطفاء وهو نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم
هو السيد الكامل
القائم الفاتح الخاتم نور
الانوار وسر الاسرار
والمجلى في هذه الدار
وفي تلك الدار على
المخلوقات أعلى المخلوقات
منارا وأتمهم فخارا ادل على ذلك الكتاب المبين قال الله سبحانه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومن رحم به غيره فهو

على وظائف الناس ثم حسن سياستي للامير الذي صحبه أحد من اخواني للخدمة وفيه ذكر حمزة الكاشف والشيخ أبي المجد الزفتاوي ثم عدم عداوتي لاحد من بحضر المواكب الالهية كالمؤذنين وأضرابهم ثم كثرة أدبي مع قضاة زماني وعدم قولي ببطلان أحكامهم الا بطريق شرعي ثم موالاتي لمن والى شيخي أو امامي ثم كثرة أدبي مع الامام مالك وأصحابه لكونه شيخا لامامي في الجملة ثم حمايتي من الاكل من طعام المتهورين في مكاسبهم كالظلمة واضرابهم ثم عدم أكلي من طعام من يعتقد في الصلاح خوفا من الاكل بديني ثم عدم أكلي من طعام العباد الذين لاحرفة لهم ويأكلون بدينهم ثم حمايتي من الاكل من طعام النذور والعرس والعزاء ونحو ذلك ثم حمايتي من الاكل من طعام الصنائعي الذي يعمل بالقوت ثم حمايتي من الاكل من طعام من علمت ان عليه دينا وهو قادر على وفائه فضلا عن كونه عاجزا ثم حمايتي من الاكل من هدية علمت بالقرائن أن لها قدرا عظيما عند صاحبها ثم كراهتي للاكل وحدي ثم عدم ردي للسائل المحتاج ثم اعتقاد الجن وكثير من المسلمين والنصارى وغيرهم في الصلاح ثم كثرة تصديقي وتسليمي لكل من ادعى مقاما في العادة حتى القطبية الكبرى ثم كشف الحجاب عني حتى سمعت تسبيح الجمادات ثم عدم قولي بالجهة في جانب الحق جل وعلا ثم عدم تسليمي للنفس ما ادعته من العجز عن القيام الى الصلاة في المرض الا بعد امتحانها ثم حمايتي من الاكل من طعام من شفعت فيه شفاعة ثم كراهتي لقبول شيء من هدايا الولاة والعمال ثم عدم مزاحمتي على صحبة أحد من الولاة وعدم صحبتي للامير اذا لم ترجح صحبته شرعا على تركها ثم كثرة قبول شفاعاتي عند الامراء ومشايخ العرب والعمال ثم حسن سياستي للامير الذي أشفع عنده وفيه ذكر محمد العبادي فاقول للامير اذا كان التأديب بلغ حده في فلان فشفعنا فيه والا فنحن معكم على تأديبه ثم حمايتي من الاكل من ضحايا الولاة التي يرسلونها الى الزاوية ثم حمايتي من مساعدة الظلمة لي في حاجاتي الثلاث ثم حمايتي من وقوع مجاورتي بمكة لعجزي عن القيام بآداب المجاورة وفيه ذكر شروط ذلك ثم حمايتي من الاكل من صدقات الناس ثم كثرة شكري لله تعالى اذ ازوى عني الدنيا ثم عدم شهود فضلي على من أحسن الله تعالى اليه على يدي ثم انشراح صدري للاسرار بالصدقة والله تعالى أعلم (الباب السابع) وفيه من النعم نعمة عدم تشوف نفسي الى مكافأتي على هديتي ثم كثرة رحمتي وشفقتي على من غيرو بدل من الفقراء أو رجع الى محبة الدنيا ثم عدم قطع بري لمن كفر بوساطتي في رزقه ثم عدم شح نفسي على الهرة بالدجاجة وعدم تمكيني أحدا يتبعها اذا خطفتها من السفرة خوفا من ازعاجها ثم حضوري مع الله تعالى حال أكلي وشربي كما أحضر في الصلاة ثم عدم التكدر ممن ذهبت الى زيارته فلم يفتح لي الباب وفيه ذكر الخطيب الشربيني وأدبه ثم صحة توجهي الى الله تعالى في دفع الدنيا عني ثم تنبيهي على ما أكلته من الحرام والشبهات بعلامات أعرفها ثم عدم تقديمي للضيف ما فيه شبهة وعدم تكافي له ثم كتماني لعمل وليمة أو مولد علمتهما عن أصحابي خوفا من أن يتكلف أحد منهم ويساعدني ثم حمايتي من التداوي باشارة يهودي ثم شهودي ان الابتلاء الذي يقع لي انما هو بمحبة الحق تعالى لي ثم تحملي عن بعض المرضى مرضه ثم عدم غفلتي عن الصلاة اذا مرضت ثم ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي رسولا كلما أمرض يبشرني بالخلاص من ذلك المرض ثم رضاي عن ربي اذا قسم لي يسيرا من الطاعات ثم أخذي كل كلام سمعته من واعظ أو خطيب في حق نفسي دون غيري ثم فرحي بكل شيخ سكن في حارتي وانقلب اليه جماعتي حتى لم يبق أحد منهم حولي ثم حفظي للادب مع أصحاب الوقت من العلماء والصالحين فلا أجلس مجلس وعظ مثلا حتى أقول دستور يا أصحاب الوقت حتى لايرتج على الكلام ثم شهودي أن جميع الكرامات التي تقع على يدي ليس لي فيها تعمد وانما هي كلها فعل الله وحده حقيقة ثم عدم مبادرتي للانكار على من رأيته يلبس ملابس أهل الدنيا عادة من العلماء والصالحين وفيه ذكر سيدي محمد البكري ثم كراهتي للجلوس في المسجد على حدث أصغر ثم كراهتي اخراج الريح في المسجد ثم كثرة تجيلي لاخواني في غيبتهم وحضورهم ولا أواجه أحدا منهم بنصح في الملا الا ان كان قد بايعني على ذلك ثم محبتي لزيارة جميع أقراني الا الحسود وفيه ذكر اجلالي للخطيب الشربيني وسيدي محمد البكري وكثرة توجهي الى الله تعالى ان لايمشي أحد منهما الى تعظيما لهما ثم كراهتي لحضور

المحافل الكثيرة التي لم يشرع لنا حضورها ثم حمايتي من النوم على غير وتر ثم عدم اجابته تعالى دعائي على أحد من المسلمين وسؤالي له قبل ذلك ان لا يستجيب لي فيهم دعوة حال غضبي ثم عدم مجادلة من جادلني بغير حق حتى تخمد نار نفسه وينزل الشيطان من على ظهره ثم كثرة مشاورتي لاصحابي في كل أمر لم يأمرني به الشارع بخصوصه ثم عدم هجري أحدا من المسلمين لحظ نفسي فوق ثلاث ثم حضوري مع الله تعالى حال جماعي كما في الصلاة في أصل الحضور وان تفاوت الحضوران من حيثيات أخر بجامع الامر بكل منهما ثم عدم جماعي مع الغفلة أو أنا مخاصم لاحد أو محب للدنيا فربما أتى الولد على صورة والده حال الوقاع وفيه ذكر الشيخ أحمد بن عاشر ثم عدم بخلي على عيالي باجرة دخولهن الحمام كلما أجامع ولو تكرر ذلك كل يوم ثم تقبيلي لرجل العالم أو الصالح اذا زرته بحضرة تلامذته بقصد زيادة اعتقاد مريديه فيه ثم أرى فعلي ذلك من بعض حقوقهم على ثم تحفظي من طول الجلوس عند أحد من اخواني خوفا من وقوعي أو وقوعه في غيبة أحد فقل مجلس طال وسلم من ذلك ثم كثرة ستري لعورات المسلمين الذين لم يتجاهروا بالمعاصي لاسيما عدوي ثم عدم مبادرتي الى الرد على من أشيع عنه أنه قال ما يخالف الشرع أو جمهور العلماء وفيه ذكر واقعة الشيخ عبد الحميد الناموني المقيم بالمحلة الكبرى في قولنا اللهم صل وسلم على أفضل مخلوقاتك وأنه نهى عن مثل ذلك وبيان ان ذلك كذب عليه وافتراء ثم مشاركتي لجاري في الفرح والسرور اذا ولد له مولود مثلا ثم عدم مبالاتي بالاكل على صاحبي اذا حصل بيني وبينه وقعة ولا أقول له تذكر العيش الذي بيننا وبينك ثم معرفتي بحال قضاة الزمان في تشوشهم ممن يصلح بين الناس ويعطل محاكمهم وأنهم معذورون في مثل ذلك ثم عدم جمعي بين الضرتين ولو باذن القديمة منهما لان ذلك أمر لا يدوم والله أعلم (الباب الثامن) وفيه من النعم نعمة عدم بغضي أحدا من الاشراف أو الانصار ولو طعن الناس في نسبهم ثم حفظي لحرمة مشايخي الاحياء والاموات فلا أرى نفسي أهلا لخدمتهم ولو بلغت مقام مشايخ العصر ثم عدم مزاحمتي لاحد من مشايخ عصري على المشيخة كأخذ العهد وتلقين الذكر ورؤيتي أنهم أفضل مني ثم عدم افتتاحي مجلس الذكر وهنالك من هو أكبر مني سنا أو أحد من الاشراف ولو صغيرا ثم عدم أخذي العهد على مريد نكث عهد شيخه وعدم اظهاري البشاشة له وفاء بحق شيخه الذي نكث عهده ولو لم يعلم بذلك شيخه ثم عدم تقييدي على أحد ممن صحبني أنه لا يجتمع بغيري أو لا يصلي الجمعة الا عندي أو انه يجلب أحد الصحبتي الا لغرض شرعي ثم حمايتي من الوقوع في شيء يغير قلب شيخي علي يوما من الدهر ثم عدم تغير خاطري على مريدي اذا زار غيري من مشايخ العصر ولا أظهر له التغير الا بطريق شرعي ثم عدم تكدري من شيخ عقد له مجلس ذكر تجاه مجلسي ولو في زاويتي بل أذهب بجماعتي اليه وأكون في طاعته لكل خير ظاهرا وباطنا وآمر أصحابي كلهم بذلك ثم كراهتي للتميز عن اخواني في مجلس علم أو ذكر ولا أجلس على سجادة مثلا الا لعذر شرعي ثم كراهتي للاكل من طعام مريدي الا ان كان يعتقد أن جميع ما بيده كالملك لي دونه ثم عدم تكدري ممن صحبني من الامراء ومشايخ العرب مثلا اذا زار أحدا من أقراني بل أحسن اعتقاده في جميع أهل الخير من أقراني ليصحبهم ويتركني ثم كثرة ارشادي لاصحابي أن ينظروا في أنفسهم اذا خالفهم خادمهم أو زوجهم فربما كان سبب مخالفة الخدم والعيال مخالفة الانسان لربه عز وجل مجازاة ثم كثرة ارشادي للمريدين أن يتحملوا كثرة الاذى من الناس ولا يجيبوا عن أنفسهم بجواب الا لغرض شرعي ثم حفظي للادب مع أقراني حال غيبتهم عني وذكر مناقبهم ومفاخرهم في كتاب الطبقات وقل من يفعل مثل ذلك مع أقرانه ثم عدم أمري للذاكرين بالسكوت آخر المجالس الا بعد قولي بقلبي دستور بالله أسكتهم فانهم ملوا أو وراءهم ضرورات ثم اذن شيخي الشيخ محمد الشناوي لي بأني آخذ العهد على المريدين وأربيهم ثم كثرة محبتي وتعظيمي لاولاد مشايخي من ذكور واناث في حياة والدهم وبعد مماته وكذلك محبة جميع أصحابهم ثم شهودي فضل معلمي علي ولو جاوزت مقامه في زعمي ثم ارشادي لاخواني من الامراء والمباشرين وغيرهم اذا عزل أحدهم من ولايته مثلا أن يكثر من الاستغفار ويتفقد ذنوبه التي عملها طول عمره ويتوب منها كلها فان ذلك أسرع في تحصيل غرض أحدهم ثم عدم غفلتي عن نصح أصحابي اذا سلك أحدهم بنفسه مسالك التهم ثم كثرة احترامي للاولياء بعد مماتهم فلا أتزوج

أفضل من غيره والعالم كل موجود سوى الله تعالى وأما تفضيله على بني آدم خصوصا فمن قوله صلى الله عليه وسلم اني سيد بني آدم ولا فخر وأما تفضيله على آدم عليه السلام فمن قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ومن قوله آدم فمن دونه من الانبياء يوم القيامة تحت لوائي وبقوله اني أول شافع واني أول مشفع وأنا أول من تنشق الارض عنه وحديث الشفاعة المشهور الذي أخبرنا به الشيخ الامام الحافظ بقية المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي بقراءتي عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع قال أخبرنا الشيخان الامام فخر الدين وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز الجباب التميمي وأبو التقى صالح بن شجاع ابن سيدهم المدلجي الكناني قالا أخبرنا الشريف أبو المفاخر سعيد بن الحسين بن محمد بن سعيد العباسي المأموني قال أخبرنا أبو عبد الله الفراوي قال أخبرنا عبد الغافر الفارسي قال أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى ابن عمرويه الجلودي قال أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه قال حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري قال حدثنا

لاحد منهم زوجة ولا غير ذلك مما فيه اخلال بواجب حقوقهم ثم محبة نفسي للجلوس فى طرف الحلقة ثم ذهاب فهمي الى الاتعاظ اذا سمعت القرآن أو الحديث قبل ذهابه الى الاستنباط للاحكام ونحو ذلك ثم عدم احتجابي عن المكروب والملهوف ثم أدبي مع أصحاب الحضرة الالهية فى ليل أو نهار فلا أسبق للوقوف بين يدى الله تعالى قبلهم الا لعذر كأن أعلم ان ذلك أرضى لله تعالى ثم محبتي لجميع الطاعات لكون مجالسة الحق تعالى تحصل فيها وبغضي للمعاصي من حيث حجابي عن الحق تعالى فيها فلا أحب ولا أبغض لعلة ثواب ولا عقاب ثم رؤية نفسي أن لحيتي تحت نعل كل عالم أو صالح زرته فضلا عن كوني أرى نفسي مثله وفيه ذكر جماعة من العلماء يعتقدوني بغير دليل كالطبلاوى والرملي ثم تصديقي للصالحين فى كل شئ يخبرون به فى وقائعهم مما تحيله العقول عادة ثم نفرتي بالطبع ممن يقبل يدى فى المحافل أو يمشي معي الى الباب اذا خرجت من عنده الا لغرض شرعي والله تعالى أعلم (الباب التاسع) وفيه من النعم نعمة كثرة اكرامي لاهل الحرف النافعة ثم عدم ازدرائي لاحد منهم الا بطريق شرعي فأزدري صفاتهم وأفعالهم لا ذواتهم ثم تخفيفه تعالى على مدة المرض فى الغالب وكثرة ضجيجي الى الله تعالى دون اظهاري التجلد قال سيدي عمر * ويقبح الا العجز عند الاحبة * ثم هروبي من تحمل منن الاخوان وان لم يقع منهم من على ثم محبتي لتحمل بلاء جاري عنه حتى انى أود ان كل بلاء نزل عليه كان نزل على وفاء بحقه ثم كثرة محبتي واكرامي لاهل العلم والقرآن من حيث كونهم حملة شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لعلة أخرى ثم سترى لطالب العلم فلا أقول له قط قرر كلام القوم الان علمت منه انه يقرر الكلام على مصطلح القوم خوفا ان يفتضح عند الحاضرين من الفقراء ثم كراهتي للتقدم للامامة فى الفرائض وغيرها خوفا من تحمل نقص صلاة المامومين ثم مبادرتي للشكر اذا قدر الله لى خيرا أو الى الاستغفار لو قدر على شرا ثم تحملي هم أصحابي اذا خرج أحدهم لزيارتي ولم يجدني فى البيت ولذلك كنت لا أخرج من بيتي قط الان قلت بتوجه تام اللهم ان كان أحد خرج لزيارتي فعوقني له وان كان لم يخرج نعوقه عن الخروج حتى أرجع الى بيتي ثم صلاتي للاستخارة كل يوم على مصطلح القوم ثم أقول اللهم ان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه أو أسكن أو يتحرك فيه غيري أو يسكن فى حق نفسه أو نفسي أو أحد من المسلمين خير لى فى ديني ومعاشي الى آخره ثم كثرة اجتماعي بالاموات وهم فى قبورهم ثم رؤيتي للاولياء الذين ماتوا فى المنام ومباسطتهم لى كالامام الشافعي وغيره ثم اطلاعه تعالى لى فى المنام على أوقات الحوادث التي تقع فى مستقبل الزمان ثم رؤيا جماعة من الحكام وغيرهم فى المنام ما يزيدهم اعتقادا فى ثم شهودي بعين قلبي تصور أعمالي صورا وهي صاعدة الى المكان الذى منه برزت من عرش أو كرسي أو سماء لا بعين بصري ثم ترتيب أورادى فابدأ بالافضل فالافضل وبجوامع الكلم قبل غيرها ثم احترامي لكل من كان له جمعية قلب مع الله تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم فاتحمل منه الاذى ما لا أتحمله من غيره ثم عدم دعائي على الشريف اذا وقع منه شئ يؤذيني ثم حصول الفرح والسرور اذا جفاني أصحابي الذين ليس لى بهم نفع بل أعد عدم زيارتهم لى يوم عيد ثم كثرة المعتقدين فى من الفلاحين حتى ان أولادهم يحلفون بي ثم عدم اهتمامي بشئ من أمور الدنيا فلا أعمل قط عرسا وأحضر الطباخين ثم عدم وجود احد من الزوار حولي كما هو الغالب على العلماء والفقراء ثم كراهتي لسماع الآلة المطربة ثم حسن ظني باهل الخرق كالاحمدية والبرهامية والمطاوعة فلا أنكر عليهم الا ما خالف صريح الشرع أو خالف الاجماع ولا أنكر عليهم شيأ من المختلف فيه الا على وجه التنزيه ثم عدم تعييري على مريدي أن لا يصلي الجمعة الا عندي وقدمرت هذه أوائل الباب أيضا ثم حفظي لمقام صاحبي أو مقام من أكلت عنده خبزا وملحا يوما من الدهر ثم نفرتي بالطبع فضلا عن الشرع من كل من ينقل الى نقائص الناس من فسق أو غيره بغير غرض صحيح وفيه ذكر الشيخ زين العابدين البلقيني ثم حفظي لمقام العالم أو الصالح اذا خاصمه أحد بغير حق فلا أقول ما لهذا الصالح يتخاصم مع فلان وانما أقول ما لهذا الفاسق يؤذى سيدي الشيخ مثلا ثم صبري على غضب صاحبي الاحمق اذا أمرته بمعروف وتكدر مني ثم قلة عيادتي للظلمة اذا مرضوا الا لمصلحة شرعية ثم مداواة المريد اذا تكدر من شيخه اذا لم يعده فى مرضه ثم صبري على عوج زوجتي وخادمي اذا اعتقدت ان أصل ذلك العوج مني

حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا معبد بن هلال العنزي قال انطلقنا الى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا اليه وهو يصلي الضحى فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتا معه على سريره فقال له يا أبا حمزة ان اخوانك من أهل البصرة يسألونك ان تحدثهم حديث الشفاعة قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم عليه السلام فانه خليل الله فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فانه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأقول أنا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله عز وجل ثم أخر له

ثم

ثم خدمة زوجتي اذا مرضت ثم كراهتي للخلوة بالاجنبية ثم عدم معاتبتي لاحد تخلف عن الصلاة على ميتي ثم حسن تدبيره تعالى لي في الحملات الثقيلة التي أدخل فيها ثم عدم قبولي هدية ممن تحملت حملته ثم كثرة حنيني الى الوحدة وكراهتي لتردد الناس الي الا لمصلحة ثم تفتيشي لجوارحي صباحا ومساء لاشكر الله على عافيتها واستغفره من معصيتها ثم عدم اعتمادي على شيء من أعمالي دون الله تعالى وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم عدم اتعاب سري في تحرير كتاب صنفته خوفا من حصول العجب فيه ثم جمعه تعالى في جميع الاخلاق المذكورة في هذا الكتاب ثم اطلاعه تعالى لي في واقعة على جميع ما يتفضل به علي في الدار الآخرة الا ما استثناه الشرع

(الباب العاشر) وفيه من النعم نعمة حمايتي من أني لم أدع أحدا من الصالحين والعلماء الى زفة عرس أو ختان اجلالا لهم وفيه ذكر سيدي محمد البكري نفعنا الله ببركاته ثم عدم تمكيني لاحد من أصحابي أن يتصدر للرد على أحد من الفرق الاسلامية الا اذا خالفوا صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها ثم عدم تنفيذ غضبي فيمن غضبت عليه عند القدرة ثم حفظي للادب مع أشياخي وأصحابي فلا أمدح أحدا منهم الا بحضرة من يعتقدهم خوفا ان يسبهم كما يقع للروافض في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم عدم اعتنائي بحضور عمارة بيت أو مركب أو غرس بستان أو شجرة ثم عدم اهتمامي بشيء من ملابس الدنيا والتعنت في شرائها ثم تعففي عن المبادرة الى اجابة من دعاني الى التنزه في بستانه أنا وجماعتي خوفا من قطع الثمار قبل كمالها أو تكليف صاحب البستان ونحو ذلك ثم حيائي من الله عز وجل اذا مشيت وحدي في طريق من شدة هيبة الله عز وجل ثم كراهتي لكثرة تردد الاخوان الي خوفا من العجز عن مكافأتهم وقد تقدمت هذه المنة مرارا بغير هذه العبارة ثم حفظ زوجاتي من حضور الاعراس التي لا تنضبط أصحابها على الشرع ثم محبتي للاشراف ولو كانوا من جهة الام فقط وان كانوا على غير قدم الاستقامة وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم زيارتي كل قليل لاهل البيت المدفونين في مصر وقراها ولو بعض أعضائهم بقصد صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كثرة اهتمامي بشأن الامير الذي يجتمع على أحد من أقراني اذا حصلت له بلية وفاء بحق صاحبي لاسيما ان كان من المحسنين الي ثم عدم شهودي أني وفيت بحق الله عز وجل أو حق أحد من عباده في حال من الاحوال ثم عدم مجادلتي مع من غلب عليه حكم الطبع ومحبة الرياسة ثم حث جميع الاخوان على عمل الحرف والصنائع وتقديم ذلك على حضور مجلس وردي أو وعظي الا لغرض شرعي ثم عدم شهودي أني بلغت مقام من هو فوقي في الكمال في اسلامي أو ايماني أو احساني ثم حمايتي من أنني ادعي مقاما لم أبلغه خوف الحرمان له ثم تفويضي الى الله تعالى في تربية أولادي وأصحابي لكن مع مناقشتهم في الافعال والاقوال البارزة على يدهم ووزنها على الكتاب والسنة ثم شهودي الكمال في صاحبي وشهودي النقص في نفسي ولذلك كنت لا أحب العزلة عن الاخوان الا بحكم الشرع لا الطبع ثم عدم الركون والميل الى أحد من اخواني دون الله تعالى وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم شهودي ان الله تبارك وتعالى أرحم بنفسي مني ببادئ الرأي من غير تفكر في ذلك ثم كوني لا آكل ولا ألبس الان وجدت ذلك من مالي دون الدين الا لضرورة ثم عدم الاكباب على معاشرة الناس وعدم انقباضي عنهم ثم كثرة صبري على كتمان سري وعدم افشائه لاعز أصدقائي الا لغرض صحيح ثم عدم كثرة امتحاني لاصحابي خوفا من ظهور عيوبهم لي ولو بالمكاشفة ثم عدم تنفيري للاخوان ان يرسلوا الى طعاما من بيوتهم أو هدية من غير استدعاء مني ثم كثرة مسامحتي للاخوان فيما يتعلق بالاخلال في الادب معي وعدم مسامحتهم في ذلك في حق غيري ثم عدم اغتراري برؤيا صالحة رأيتها أو رؤيت لي ثم شهودي لمحاسن العوام من المحترفين وتفضيلهم على نفسي ثم اقامة العذر باطنا للاخوان اذا أخرجوا أخلاقهم الرديئة على بعضهم بعضا ثم عدم اعطائي الحكمة غير أهلها أو الادب غير أهله ثم عدم مشاورتي للنساء والعباد بغير علم في فعل شيء أو تركه لنقص عقول النساء وجهل العباد بخلاف العارفين ثم كراهتي لتعلم علم الحرف والرمل والهندسة والسيمياء وغير ذلك من علوم الفلاسفة ثم هروبي من كثرة النصح للاخوان على طريق التجسس خوفا من الاستدراج لي ثم ردي للامانات التي جعلها الحق تعالى عندي اليه تعالى من مال أو علم أو قال أو حال ثم عدم جوابي لمن سألني مسئلة في العلم وقلبه غافل عن العزم على

ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من ايمان فاخرجه منها فانطلق فافعل ثم أرجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه منها فانطلق فافعل ثم أعود الى ربي فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب أمتي أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من الايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل هذا حديث أنس الذي أنبانا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبانة قلنا لو دخلنا الى الحسن نسلم عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة فدخلنا وسلمنا عليه قلنا له يا أبا سعيد خرجنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثنا به في الشفاعة قال هيه فحدثناه الحديث فقال هيه قلنا ما زادنا قال قد حدثنا به من منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ولقد ترك شيئا ما أدري أنسي

العمل بها اجلالا للعلم ومصلحة للسائل ثم اذعاني وخمدتي بالطريق الشرعي لكل من ظهر بمظهر دعوى العلم والمعرفة بطريق القوم ثم شدة حرصي على وقوع ماينفع الاخوان في دينهم ودنياهم ثم شدة حذري من صحبة العارفين والعلماء العاملين مع محبتي للقرب منهم وقد تقدمت هذه المنة في الابواب السابقة ثم كثرة نصحي للاخوان من التجار والمباشرين وغيرهم وتحذيري لهم من الاسراف في مأكل أو ملبس في هذا الزمان لكساد البضائع وقلة الرزق ثم حرصي على حصول الخير لطلبة العلم والذاكرين بتعليمهم آداب العلم والذكر *(الباب الحادي عشر) *وفيه من النعم نعمة تغيرة نفسي من الصفات التي يكرهها الله تعالى ومحبتي للصفات التي يحبها سبحانه وتعالى ثم تعليمي لمن عزل من ولايته مثلا طريق اقامة الحجة على نفسه دون الله تعالى ودون خلقه ثم معرفتي بطب أرباب الاحوال اذا مرضوا من الحال على اختلاف طبقاتهم ثم سروري بالمرض اذا جاء وتمنيه بطريقه الشرعي اذا أبطأ طلبا للتكفير سيما آتي ثم عدم معاجلتي بالجواب في مجلس المذاكرة والمناظرة في العلم ثم عدم طلبي أحدا يساعدني اذا عارضني أحد من أرباب الاحوال ثم ميلي الى الدواء اذا حصل عندي مرض فابادر الى التداوي بكل مايصفه لي الطبيب المسلم ولا أترك التداوي على زعم التوكل فان التداوي لاينافيه ثم اخذي بالاحتياط في عدم كتابتي في المحاضر التي يبنون عليها تولية أحد من أرباب الولايات ولا أكتب فيها ولا أزكي أحدا من أصحابها الا ان غلب على ظني صلاحيته لتلك الولاية وتعينها على مثله خوفا من أن أكون شريكه في ظلمه في تلك الولاية ثم اعطاء الحق تعالى لي جانبا عظيما من علم الفراسة الناشئة من نور الايمان لا على طريقة أرباب الطبائع من الفلاسفة ثم معرفتي بالآفات التي تطرق الانسان في أعماله وعقائده وأحواله ثم نظري الى أدب ذوي البيوت من الاكابر فان معهم من الآداب مالا يوجد في كتاب ولا أنظر الى شئ من مساويهم ثم حفظي للادب مع سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم ثم عدم سياحة فكري فيما تشابه من آيات الكتاب العزيز ثم حمايتي من كثرة النوم الزائد على العادة في الليل والنهار ثم محبتي لمن يبصرني بعيوبي ونقائصي وتقديمه في المحبة على الصديق الذي يداهنني ثم كراهتي من أصحابي أن يكثروا اللغو عندي ويجروا في الولاة وغيرهم خوفا على دين نفسي وعليهم ثم كثرة ارشادي لطلبة العلم أن لا يكثروا من الجدال ورفع الصوت عند قراءة التفسير للقرآن أو الشرح للحديث وربما أغار على أحدهم أن يذكر اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو على غير طهارة ثم مطابقتي بين ماعليه العارفون من أسرار الطريق وبين ماقاله الائمة المجتهدون ومقلدوهم من معتمد الاحكام الشرعية عندهم ثم العمل على طهارة ايماني بالتوبة واصلاح الطعمة ثم عملي على تحصيل مقام الصديقية والشهادة بحكم الارث لابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ثم حفظي من الندم على فوات معصية أو طاعة بطريقه الشرعي ثم نصحي لمن استشارني في الاخذ عن أحد من مشايخ العصر الذين جلسوا بانفسهم من غير اذن من شيخهم أن لا يأخذوا عنه ثم كراهتي للاكل من الاطعمة الفاخرة في أواني الصيني أو الفرنجي ونحوها ثم تشريفي برؤيا الباري جل وعلا مرتين في المنام وبالاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالسيد عيسى عليه السلام مرارا وبالخضر وبالقطب عليهما السلام مرارا ثم عدم شكوى من يؤذيني الى الله تعالى أو الى نفسي لان ولينا كلنا الله تعالى وهو ربي يسمع مايقع من عباده ثم ايماني بالغيب من صغري سواء كان من الغائب عن بصري أو عن عقلي ثم جعله تعالى لي محمدي المقام لجمعه مقامات جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم زهدي في الدنيا من حيث كونها مبغوضة لله عز وجل لا لعلة أخرى وزهدي فيما بايدي الناس ليحبوني فيشفعوا الى عند الله تعالى لا لعلة أخرى ثم حصول مقام التجريد في الباطن حتى اني لو تعريت عن لبس مازاد على العورة لما شاكلت باطني ولم يكن على بذلك لوم ثم حفظي من أكل أموال الناس بغير اذنهم من حين شهدت انهم لا يملكون مع الله شيأ في الدار من الى وقتي هذا ثم عدم ادعائي لمقام المحبة المشهور بين القوم ثم خوفي من وقوع يدي على ذكري في ليل أو نهار في عبادة أو غيرها ثم عدم مبادرتي الى الاخذ للعهد على مريد طالب مني أن يكون تحت تربيتي واشارتي حتى أعلم صدقه ثم رؤيتي في نفسي اذا جلست مع الفقراء في مجلس خير أنني أكثرهم ذنوبا ولذلك أنا أتأثر منهم لما يقبلون يدي ولكن أعذرهم لغيبتهم عن مشهدي والله أعلم *(الباب الثاني عشر)* وفيه من النعم نعمة ايثار جناب

الحق

الشيخ أم كره أن يحدثكم به قلنا له حدثنا فضحك وقال خلق الانسان من عجل ماذكرت لكم هذا الا وأنا أريد أن أحدثكموه ثم قال أرجع الى ربي في الرابعة فاحمده بتلك المحامد فاخر له ساجدا فيقول لي مثل ماقال في الاول فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله فاشهد على الحسن انه حدثنا به انه سمع أنس بن مالك قرأه قبل عشرين سنة وهو يومئذ جمع فانظر رحمك الله ماتضمنه هذا الحديث من فخامة قدره صلى الله عليه وسلم وجلالة أمره وان أكابر الرسل والانبياء لم ينازعوه في هذه الرتبة التي هي مختصة به وهي الشفاعة العامة في كل من ضمه المحشر فان قلت فما بال آدم أحال على نوح في حديث وعلى ابراهيم في هذا ودل نوح على ابراهيم وابراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى على محمد صلى الله عليه وسلم ولم تكن الدلالة على محمد صلى الله عليه وسلم من الاول فاعلم انه لو وقعت الدلالة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاول لم يتبين من نفس هذا الحديث ان غيره لا يكون له هذه الرتبة فاراد الله سبحانه

الحق جلا وعلا على جنابي فلا أمكن مريدي من رسوخ محبتي في قلبه ثم كثرة ارشادي لفقراء الاحمدية والرفاعية والبرهامية وغيرهم ان يتلمذوا الشيخ يربيهم من الاحياء ولا يكتفوا بالاموات ثم عدم انكاري على أحد من أهل الكشف اذا رأيته يضرب انسانا مثلا من غير ذنب ظاهر ثم عدم اجابتي لامير أو شيخ عزب طاب ان يتلمذ لي لعجزه عادة عن استعمال ما أصفه له من الدواء النافع للمريد ثم سلبي من الحال التي تؤثر فيمن جنى على أو آذاني ثم تربيتي لخواص أصحابي بالنظر من غير قول ولا اشارة ولا أمر ولا نهي ثم اطلاعه تعالى لي على عدد أصحابي الذين انتفعوا بصحبتي و يحشرون معي وأحشر معهم ثم تقريب الطريق على الصادقين من أصحابي باشتغالهم بالتوحيد ثم عدم رجوعي في شئ خرجت عنه في سري لاحد ولو عمامتي أو جوختي ثم عدم اتباعها نفسي ثم كثرة أدبي مع كل من تزيا بزي القوم لاسيما حال بسطه وممازحته لي فلا أخالطه الا بالادب ثم كراهتي لوقوع شئ من الخوارق على يدي في هذه الدار ثم رؤيتي لاولاد كل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين التي كنت أنظر بها الى والدهم لو أدركته رضي الله عنهم أجمعين ثم رؤية بعض الصالحين الاثني عشر اماما من أهل البيت و وجوههم كالقمر وعليهم ثياب نفيسة فقال لهم ما جاء بكم فقالوا نسلم على عبد الوهاب فانه ليس في مصر أحد يحبنا الآن مثله ثم تقليدي للعارفين في كل ما فهموه من القرآن مما لم يذكره المفسرون ثم وصولي في مقام الايمان الى حد صرت أتألم كما يتألم أخي المؤمن وأحس بالمه كما يحس هو بالالم ثم افادتي لكل فقيه جلس الي بالادب عدة فوائد كلما جلس مما لم يكن عنده ثم اعطائي لارباب الاحوال كل ما يطلبونه مني ولو عمامتي ولا أشح عليهم بشئ لي قدرة عليه ثم عدم تشوفي بشئ من الفقير اذا دخل علي وتشرط علي في الاكل لاسيما بعد العشاء الآخرة ثم عدم اصغائي باذني الى من يقول بكفر الحلاج من صغري الى وقتي هذا ثم اجتماعي وصحبتي لاولياء الله الاكابر الظاهرين بالكرامات والخوارق ثم قراءة القرآن على الجني فيحترق في الوقت أو يحجب عن رؤيتي في الليل والنهار ثم صحبتي لجماعة من الاولياء يجتمعون بملك الموت و بجبريل في هذه الايام ثم اخذي الطريق عن أمي لا يقرأ ولا يكتب وهو سيدي علي الخواص رضي الله عنه لان علوم الاميين علوم وهب ثم تعظيمي للفقير الذي عليه زي الفقراء ببادئ الرأي ثم ندائي بقلبي لمن شئت من أصحابي أن يحضر فيحضر من غير لفظ أو يرد من غير لفظ ثم جعله تعالى لي ممن يحيي السنة و يميت البدعة بعد الفترة التي كانت بعد أشياخي وفيه ذكر الخطيب الشربيني والشيخ نجم الدين الغيطي وسيدي محمد البكري وسيدي علي المرصفي رضي الله عنهم ثم عدم الجزم بتفضيل أحد من علماء العصر وأوليائه على غيره ثم اقتدائي بالسلف الصالح في كتمان الاسرار التي منحتها بفضل الله تعالى وفيه ذكر سيدي محمد البكري ثم معرفتي باهل الدعاوي الصادقة والكاذبة ثم كثرة شفقتي على الايتام والعميان ثم عدم مروري على أحد من العلماء والصالحين أو الفقراء وأنا راكب ثم كراهة نفسي للقرب من الملوك والامراء الان أعطاني الله تعالى الكشف التام الذي احتمي به من سوء عاقبة ذلك ثم عدم طلبي لكثرة المريدين الان وطنت نفسي على تحمل كثرة البلاء الزائد على بلاء جميع الاقران ثم فلاح ولدي عبد الرحمن وحسن فهمه وعقله وافادته لي عدة فوائد وهو دون سبع سنين وفيه ذكر سيدي محمد البكري وسيدي علي بن المنير وسيدي زين الدين ابن سيدي علي المرصفي و جماعة من أولاد فقراء العصر ثم عدم عداوتي لاحد من مشايخ عصري من أقران مشايخي ثم حمايتي من صغري الى وقتي هذا من الوقوع في شئ من أعمال قوم لوط أو غيرهم مما أهلك الله به الامم السالفة ثم صحبتي لجماعة من الفقراء الكمل في مقام الاحسان بحيث لا يتخالني فيهم تهمة اذا ناموا عند عيالي في غيبتي مع ان ذلك لم يقع لي انما ذلك على سبيل الفرض ثم صحبتي لجماعة من ملوك الآخرة المطلعين على الاسرار والكوائن التي تقع في مستقبل الزمان ثم وقوفي عند ما حده لي شيخي من فعل كذا دون كذا حتى لو نهاني عن صحبة من يصحب الملوك ثم صحبهم هو توقفت عن صحبته الا باذن جديد ثم عدم خروجي من بيتي في غالب الايام الى الزاوية أو غيرها الآن الا ان عامت من نفسي القدرة بارادة الله تعالى على آداب الخروج الثلاثة وهي النصيحة للخلق وترك المؤاخذة لهم على جنايتهم علي وعدم السكوت على ترك معروف أو فعل منكر ثم كوني لا آكل ولا أشرب ولا أجامع ولا أضحك اذا جنى علي أحد جناية حتى أتوجه الى الله تعالى في سؤال العفو عنه و يلقى في قلبي انه عفا عنه ثم وصولي بحمد

وتعالى أن يدل كل واحد على من بعده وكل واحد يقول لست لها مسلما للرتبة غير مدع لها حتى أتوا عيسى عليه السلام فدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا لها وفي الحديث من الفوائد ان الايمان يزيد و ينقص وفيه من الفوائد ان المعارف لا تتناهى لقوله لا أقدر عليه الا أن يلهمنيه الله عز وجل و يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك و يشهد له قوله سبحانه وتعالى ولا يحيطون به علما الى غير ذلك من الفوائد التي لو تكلمنا عليها خرجنا عن غرض الكتاب ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول جميع الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة قال الله سبحانه وتعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فدعا صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بالبصيرة الواضحة والبينة الفائقة وقرب المدارك و بين المسالك وحث على سلوك سبيل الهدى واجتناب سبيل الردى فما ترك شيئا يقرب الى الله الا ودعا اليه ولا أدبا يصلح أن يكون العبد به مع الله تعالى الاحث عليه ولا شيئا يشغل عن الله تعالى الا وحذر العباد منه ولا عملا يقطعهم عن الله تعالى الا وأخرجهم عنه لا يألو نصحا في تخليص العباد من

الله تعالى الى مقام فى الايمان باحوال الساعة حتى لو كشف الغطاء ما ازددت به يقينا ثم اجلالى لحانوت شيخى سيدى على الخواص رضى الله عنه كلما مررت عليه بعد موته وتأخذنى عند رؤيته رعدة وهيبة حتى كان شيخى جالس فيه حيا ثم معرفتى بالعمل الواقع على يدى هل هو حسن أو قبيح لاشكر الله على حسنه عادة واستغفره من قبحه كذلك والله أعلم *(الباب الثالث عشر)* وفيه من النعم نعمة كثرة شهودى لاصل ولاة الزمان حال ولايتهم وضخامتهم فلا يعجبنى أحد الحالين عن الآخر فاشهد الامير ترابا حال كونه أميرا ونحو ذلك ثم خوفى من فعل شئ بغير قلب أحد من الفقراء الذين ظهروا فى العصر وتعرفوا بنا وتعرفنا بهم ثم اطلاعى على اسرار الحروف أوائل السور والمفرقة فى الهجاء على غير طريق أهل علم الحرف الآن ثم تكرمى بثيابى وما عندى من الطعام على كل محتاج سواء كان من المعارف أو غريبا من غير توقف ولا اتباع نفس ثم عدم غفلتى عن نصح الشباب المقيمين عندى فى الزاوية فلا أكاد اغفل عن رعايتهم لانهم بشعبة من الجنون ثم استحيائى من الله عز وجل ان أقرب من زوجتى أو أكثر من ملاعبتها لاستيلاء سلطان الغيرة الالهية على قلبى ثم حسن سياستى ونصحى لمن عرف بالفجور فى العبيد والمماليك مع عدم سوء الظن به ثم كتمى على الاموات من أصحابى ما رأيتهم فيه من العقوبة بعد موتهم ولا أخبر بذلك أحدا من أصدقائهم فضلا عن غيرهم ثم عدم كونى أتصدى للدعاء للخلق فى زوال الضرورات ثم الاان اجتمعت فى ثلاث خصال جمعية القلب على الله وعدم الالتفات الى غيره ووجود الاضطرار اليه ثم كثرة تصديقى للاولياء فيما يدعونه مما هو من رتبتهم عادة ثم عدم مبادرتى بالانكار على من قام وتواجد ولو كان من الظلمة فان فى لمحة تقع الصلحة ثم عدم رضائى بما يقع من اخوانى من البغى والفساد على بعضهم بعضا ثم حمايتى من جعلى قاضيا أو حاكما أو شاهدا لخفاء غالب القضايا على الحكام والشهود ثم شدة زجرى لاصحابى عن الكذب وتغيظى عليهم بسبب ذلك ثم عدم قبولى شيأ من النمام مطلقا ولو كان معدودا من مشايخ العصر ثم المبادرة الى التوبة فورا اذا جرى على قلبى غيبة أحد ولو لم أتلفظ بذلك ثم كسر قفص طبعى حتى خرجت عن الحياء الطبيعى ثم ارشادى لاخوانى المهمومين ان يأمر أحدهم أحدا من المحبين له أن يؤذن فى اذنه فانه يذهب همه لوقته ثم كثرة زجرى لمن رأيته من اصحابى يتجسس على عيوب الناس ثم شهودى ببادئ الرأى فضل من قبل صدقتى أو فضل من قضيت له حاجة ثم كثرة رفقى ورحمتى لمن شكا الى كثرة محبته للمعاصى ثم غض طرفى عن رؤيتى النساء الاجانب وما قاربهن ثم غيرتى على اذنى ان تسمع زورا أو باطلا أو عينى ان تنظر الى محرم أو لسانى ان يتكلم بباطل لاجل كونى اسمع كلام الله أو أنظر فى المصحف أو أتلو القرآن ثم شدة ندمى على اجتماعى باحد من الامراء وكراهتى للظالم منهم ولو أحبنى ثم اقامة العذر باطنا لمن قدر الله تعالى عليه شيأ من أمارات الساعة المذمومة وانكارى عليه ظاهرا قياما بواجب الشرع ثم كثرة محبتى لمن ينصحنى وزيادة محبته على من يحبنى ثم موت أبى وامى قبل بلوغى سن التكليف ثم عدم سؤالى الله تعالى ان يعطينى المنازل العالية فى الجنة الابعد توطينى نفسى على كثرة الصبر على البلاء لكون البلاء مقرونا بذلك وعكسه ثم اعطائى الخبز حقه من الاكرام والتعظيم وتقبيله ووضعه على العين ثم عدم اجتماعى بمن دخل فى عهد شيخ قبلى أو بعدى الا ان علمت سلامته من الآفات عند اجتماعه بى ثم رؤية بعض الصالحين ان الائمة الاثنى عشر من أهل البيت دخلوا مصر لزيارتى وشهادتهم لى بالمحبة لاهل البيت ثم محبتى لعيالى محبة الاخوة فى الاسلام لا لمحبة لطبع فتزيد محبتها بالدين عندى وتنقص بقلة الدين ثم عدم مبادرتى لصحبة انسان الا بعد مجالستى له أياما كثيرة ومعرفتى بتعظيمه لاوامر الله عز وجل ثم عدم مطالبتى العارفين والعلماء العاملين بدليل فى جميع أحوالهم فان مثلهم لا يفعل ما هو بدعة ثم رؤيتى لجلة من مشايخى بعد موتهم وتعظيمى لهم وخدمتهم ثم حسن ظنى فى الله عز وجل انه يجيب دعائى ولو كنت أكثر أهل الارض خطايا وفيه ذكر بعض آداب الدعاء ثم عدم اقامتى ميزان عقلى على علماء عصرى وعدم سب احد منهم الا بطريق شرعى ثم حمايتى من الخديعة والغدر لاحد من المسلمين ثم حفظى من السرقة والخيانة من منذ وعيت على نفسى ثم حمايتى من أكل الحرام الصرف ثم عدم ذكرى للامير الذى دخلت عليه شيأ من اخبار الامير الذى كان قبله الا لمصلحة ثم تأدبى مع الامير الذى كان لى عليه أياد قبل أن يتولى تلك

أوحال القطيعة ومواطن الهلكة الى أن ترحل ليل الشرك وانقضت أغياره وأضاء نهار الايمان وأشرقت أنواره فرفع صلى الله عليه وسلم من الدين لواءه وتمم نظامه وقرر فرائضه وأحكامه وبين حلاله وحرامه وكما بين للعباد الاحكام كذلك فتح لهم باب الافهام حتى قال الراوى لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الطير ليتحرك فى السماء فنستفيد منه علما بحق قال الله تعالى لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى وقال سبحانه وتعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال صلى الله عليه وسلم تركتها بيضاء نقية فجزاه الله خير ما جزى نبينا عن أمته ولما أكمل صلى الله عليه وسلم البيان لسبيل الرشاد وأظهر المسالك الموصلة الى الله تعالى للعباد توفاه الله تعالى الى الدار التى هى خير له وأولى بعد ان خير فاختار الرفيق الاعلى ثم جعل الله تعالى الدعاة فى أمته أبدا ودائما سرمدا بما ورثوا منه وأخذوا عنه وقد شهد لهم الحق بذلك وجعلهم أهلا لما هنالك قال الله سبحانه وتعالى قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى قال الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه أى على معاينة تعين سبيل

الولاية وعدم طلبي منه انه يدخل تحت حكمي كما كان معي قبل ولايته ثم كثرة تعظيمي وتبجيلي لكل من زاد على في كثرة تحمل البلاء من تجريح الناس في عرضه ونحو ذلك ثم الهامي لقراءة السور الفاضلة والآيات العظيمة التي وردانها تعدل ألف آية أو ربع القرآن أو نصف القرآن أو ثلث القرآن اذا ضاق على الوقت في قيام الليل أو نحو ذلك ثم عدم رؤيتي حماية نفسي حال طاعاتي من وقوع العذاب على عكس ما كان الحال في الزمن الماضي ثم عدم تكليفي لاصحابي ما لا يطيقونه من الاعمال ثم شهودي قرب الحق مني في حال سجودي كحال قيامي على حد سواء ثم انشراح صدري لكثرة ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من منذ وعيت على نفسي ثم مطابقة رؤيتي في المنام ما يطابق ما جاء عن الشارع وغير ذلك ثم عدم افشائي الاسرار المتعلقة بالتوحيد ودقائق الشريعة لاحد من الخلق الا بعد طول امتحان ثم شهودي ان ذاتي وروحي معي كاليتيم تحت كفالة وليه ثم حفظي للادب مع السلطان ونوابه فلا اعترض عليهم في فعل ما هو من ملازمهم عادة دوني كاركابهم الفرنج الخيل ومعارضتهم لنا في هدم كنيسة ونحو ذلك ثم ملاطفتي لاخواني من الفقهاء فلا آمرهم الا بفعل ما هو من مقامهم في الورع الان طلبوا ذلك مني وفيه جواز اعارة الكتب المشروط عدم اخراجها لمطالع الطالب فيها في مسجد آخر مثلا ثم صبري على مجالسة الثقلاء والله اعلم (الباب الرابع عشر) وفيه من النعم نعمة كثرة شفقتي على كل دابة ركبتها وكراهتي حملي سوطا اذا ركبت ثم عدم سبي ولعني الدابة اذا عثرت ورمتني على الارض على وحل أو قذر أو نحو ذلك ثم مواظبتي على الوضوء لكل ما يستحب له الوضوء ثم عدم غفلتي عن تبغيض كل من صحبني من الحشاشين في بلع الحشيشة وعدم زجري له عن ذلك بعنف ثم شهودي بنور الايمان وسر الايقان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله على الاطلاق فلا أحد من أهل السموات والارض يساويه في مقام من المقامات ثم عدم مزحي مع أحد وهو في عبادة من صغري الى الآن أدبا مع الله عز وجل ثم عدم مبادرتي للانكار على الولاة من أمير أو قاض في تغاليهم في شراء المماليك الصباح الوجوه ثم عدم الوسوسة في الوضوء والصلاة والقراءة فيهما مع أني بلغت الغاية في الورع التي لم يصل اليها هؤلاء الموسوسون ثم طيب نفسي بالقراءة على أقراني واظهار انني من طلبتهم ثم تعظيمي لاقراني كلما اخفى أمرهم ونفر عنهم المعتقدون ثم حمايتي من أن يكون لي ديوان سر بين أصحابي في تنقيص أقراني ثم اذا واجهتهم أكبرهم كما عليه طائفة اخرى ثم عدم احتقاري من رأيته على معصية الا ان اطلعني الله عز وجل على سوء عاقبته التي يبعث عليها ثم عدم سب السكران أو ضربه اذا طلع المسجد وخيف عليه من تنجيسه ثم كثرة اهتمامي بامر الضيف وغدائه وعشائه مع كثرة اشتغالي بامور أخر من تأليف وقراءة قرآن وتدريس علم وقضاء حوائج الفقراء عند الحكام غالب النهار وغير ذلك وفيه ذكر سيدي محمد البكري وسيدي محمد الرملي ثم رؤيتي لمحاسن أعمال العلماء والصالحين وسائر أعمال المسلمين وعدم التعرض لمقاصدهم في الباطن لان ذلك الى الله تعالى لا الى العبد ثم تفتيش نفسي والتوبة من كل صفة مذمومة كلما قمت الى الصلاة من حسد ومكر ونفاق ورياء وغير ذلك ثم عدم اكلي اذا ركبت حمارة باجرة أو عارية لكوني اصير بالاكل ثقيلا زيادة على ما كنت عليه حال استئجارها أو استعارتها ثم عملي بالامور التي علق الحق زيادة العمر أو الرزق أو الموت على الايمان بفعلها ولا أتكل على ما سبق به العلم ثم كثرة توجهي الى الله تعالى في حفظ رأس مال عمل كل من بات عندي في كل مولد عملته من النقص أو الاحباط من مقرئين ومداحين وسامعين خوفا ان يقع أحدهم في غيبة أو رياء فيحبط عمله أو ينقص ويرجع من مولدي خاسرا ثم عدم ظني النجاة في طاعة من الطاعات بعد اذ سمعت قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم تصويبي لكل من زهد في صحبتي وفارقني وقولي ان فلانا قد أصاب في مفارقتي مثلا ثم تنزيل الناس منازلهم في الاكرام بحسب ما هم عليه من ذل النفس ثم عدم تكديري ممن أمرته بأمر فلم يمتثل ذلك الامر عملا بقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ ثم مبادرتي الى النظر في حكمة كل شئ وقع في الوجود من المعاصي والمخالفات دون الاعتراض فلا اعترض الا بعد ذلك ثم عدم تكديري ممن لم يحضر مولدي أو لم يساعدني فيه بماله أو ببدنه ثم شهودي في نفسي انني دون من اربيه من المريدين في المقام لانهم مشايخي في الحال وأنا

كل أحد من الاتباع فتحمله عليها ودليل ما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه اختلاف وصاياه صلى الله عليه وسلم لاصحابه على حسب اختلاف سبلهم فقال لبلال رضي الله تعالى عنه أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال لآخر أراد أن ينخلع عن ماله كله أمسك عليك مالك فانك ان تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وقال رجل أوصني فقال له صلى الله عليه وسلم استح من الله كما تستحي من رجل صالح من قومك وقال له آخر أوصني فقال له لا تغضب وسمعت شيخنا أبا العباس يقول فتح الحق سبحانه وتعالى بقوله ومن اتبعني باب البصائر للاتباع يريد الشيخ ان قول الله سبحانه قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني أي ومن اتبعني يدعو الى الله على بصيرة على ما يقتضيه اللسان لانك اذا قلت زيد يدعو الى السلطان على نصيحة هو وأتباعه أي وأتباعه يدعون اليه على نصيحة اذا ثبت هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على بصيرة الرسالة الكاملة والاولياء يدعون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولاية وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم فان الانبياء لا يورثون

شغلهم بالقال ثم شهودى فى نفسى انى من جملة العصاة على الدوام اما بوقوعى فى المخالفة واما بتقصيرى فى العبادة ثم عدم تكديرى ممن نفانى من طريق الصوفية وقال فلان ليس هو من أهل الطريق ولا ذاق منها شيأ ثم تسليمى لكل من ادعى من الفقراء انه من أهل الكشف ولكنه تنزه عنه ثم عدم تغييرى ما كنت عليه من الضحك والمزح اذا دخل على من يستحى منه عادة خوفا من النفاق ثم عدم محبتى للبس ثياب مخصوصة دون غيرها لحظ نفسى ثم تحببى لمن أراد من الناس ان يأخذ عن أحد من أقرانى فى الاخذ عنه ثم تكديرى اذا دخل على أحد من الامراء والاكابر وأنا فى قراءة حزبى أو محفلى صباحا ومساء مثلا ثم خوفى من المواظبة على الاذكار ومجالس الخير أن يكون ذلك رياء ودوامه استدراجا ثم عدم اخذ اخوانى معى فى الولائم الا ان غاب الخلاص فى ذلك ثم اخذى كل كلام وعظت به الناس وفى حق نفسى أولا وفى حق الناس ثانيا واستغفارى من ذلك ثالثا ثم عدم تمكينى أحدا من الاخوان يمشى بين يدى اذا ركبت فى وليمة أو حاجة ثم شهودى فى نفسى انى عاجز عن رد كيد ابليس عنى فضلا عن رد كيده عن مريدى ثم عدم تمكينى أحدا من الاخوان ان يتفوه بانى من الاولياء والصالحين لانه غرور وجهل ثم محبتى لكل من انتسب الى هذه الطائفة ثم عدم سؤالى عن ثمن قمح أو حطب أو غير ذلك بحضرة من يساعدنى فى حقه من الاخوان خوفا أن يتكلف معى فى ثمنه ثم عدم تعاطى أسباب تميل خاطر الاغنياء الى الالغرض صحيح ثم محبتى لكل من كان أكثر طاعة لله منى وتقديمه على نفسى لكون الحق تعالى يحب من أطاعه أكثر ثم انشراح صدرى لتقديم الناس أحدا من أقرانى الذين اخذوا معى على شيخ واحد على فى المقام ثم عدم ميلى لخروجى مع الناس للاستسقاء الا بشرط عدم رؤية نفسى على الناس اذا خصنى نائب السلطان بالخروج بالناس دون أحد من اقرانى ثم عدم امتناعى من الاجابة الى وليمة اذا علمت أن أحدا من اقرانى هنالك ثم اذا دخلت قبلت ركبته أو رجله بحضرة ذلك الجمع العظيم وأجعل المجلس كله له ثم عدم تعريضى لاصحابى أن يحملوا كل شئ صدر من افعالى واقوالى على المحامل الحسنة وذلك لعدم عصمتى بل احثهم على أن ينصحونى جهدهم ثم شهودى نقص نفسى اذا سمعت القرآن أو الحديث أو كلام السلف الصالح ولم أبك دون قولى ان البكاء لا يكون الا للناس الناقصين دون الكاملين ثم عدم اغترارى بكثرة أتباعى المعتقدين فى وكلما كثر وارأيت ذلك من جملة الابتلاء وانه قد يكون من الاستدراج واخاف أن اشتغل بهم عن الله عز وجل والله أعلم * (الباب الخامس عشر) وفيه من النعم نعمة سماعى للقرآن فى زاويتى ليلا ونهارا على التواصل فى اغلب الاوقات فلا ينتهى قارئ الا ويبتدئ قارئ آخر وكذلك لا يفرغ قارئ كتب الحديث أو التصوف أو الفقه من كتاب الا ويبتدئ قارئ فى كتاب آخر وهذا لا يكاد يوجد الآن فى زاوية من زوايا مصر الا نادرا ثم نعمة ارساله تعالى لنا فى الزاوية شخصا اسمه الشيخ منصور فيطلع المنارة من أول نصف الليل الثانى فلا يزال يذكر الله تعالى بصوت عال يسمعه من بعد من الزاوية حتى يوقظ أهل الزاوية وأهل الحارة فيواصل الذكر والقراءة من حين يصعد المنارة الى ضحوة النهار ثم من جملة فقراء الزاوية شخص آخر اسمه محمد الترساوى يقرأ فى الليل قراءة تحن لها القلوب القاسية ويطرب لها الحيوان لا يكاد يغفل ليلة واحدة بجوارى وهذا لا يكاد يوجد الآن عند أحد من فقراء مصر ثم تتعاقب بعده جماعة أخرى الى الفجر ثم كثرة وجود الرزق عندى فى الزاوية حتى انه يفيض عن أهلها وأهدى منه الى الاصحاب فى دورهم من ارز وعسل ودجاج واوز وغير ذلك ثم اصلاح زوجاتى الاربع اللاتى تزوجتهن على التعاقب فى أمر دينهن ثم تأهلى لخدمة الفقراء القاطنين عندى للاشتغال بالعلم والقرآن والادب والاوراد من منذ ثلاثين سنة من غير تقلق منى ولا تعب فى تحصيل امر معاشهم ثم محبة الفقراء الطالبين للآخرة فى الاقامة عندى من بلاد شتى ولو بذلوا لاحدهم مال الاخر يلا ليفارقنى لم يفعل ثم كثرة تفرقتى على الفقراء كل ما يدخل الزاوية على اسمى أو على اسمهم فافرق عليهم كل سنة أكثر من عشرين ألف نصف ولا أشاركهم فى شئ سوى اللقمة ثم بلغ من العميان عندى نحو ثلاثين نفسا وزوجت من المجاورين نحو أربعين نفسا وغير ذلك ثم تيسير الفرن الذى يخبز فيه للفقراء فى البيت وتيسير الوقود فيأتينا كذا كذا وسقا فى المركب الى أن ترسى على الزاوية فتصير نساء المجاورين يخبزن بتبن طاهر طول السنة دون الزبل ثم تيسير جميع

ديناراولادرهماوانماورثوا العلم وقال صلى الله عليه وسلم علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل وههنا نكتة وهو انه صلى الله عليه وسلم لم يقل علماء أمتى كرسل بنى اسرائيل فمن الناس من ظن ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى نبئ فى نفسه والرسول هو الذى أرسل لغيره وليس الامر كما ظن هذا القائل وان كان كذلك فلم خص الانبياء دون الرسل بالذكر فى قوله علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل ومما يدلك على بطلان هذا المذهب قوله سبحانه وتعالى وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى الآية فدل على ان حكم الارسال يعمهما وانما الفرق ما قال بعض أهل العلم ان النبى لا يأتى بشريعة جديدة وانما يجئ مقررا الشرع من كان قبله كيوشع ابن نون فانه انما أتى مقررا الشريعة موسى عليه السلام وآمرا بالعمل بما فى التوراة ولم يأت بشرع جديد والرسول كموسى عليه السلام انما أتى بشرع جديد وهو ما تضمنته التوراة فقال صلى الله عليه وسلم علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل أى يأتون مقررين ومؤكدين وآمرين بما جئت به لا أنهم يأتون بشرع جديد (اعلام وبيان) اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل ما

ما يحتاج اليه فى الزاوية من طعام ولباس وغيرهما من غير سؤال ولاذل فى طريق الوصول الى ذلك ثم ارسال الحق جل وعلا الى كل سنة من العسل النحل نحو عشرة قناطير ومن عسل القصب نحو خمسة عشر قنطارا ومن القمح ثلاث مائة أردب وغير ذلك مما سيأتى بيانه فى هذا الكتاب ثم ارساله تعالى لنا كل سنة من البطيخ الهندى نحو الفى حبة فنطعم منها الفقراء والضيوف طول السنة حتى يطلع البطيخ الجديد غالبا ثم عدم اعتمادى على وقف أو هدية أو على مخلوق دون الله تعالى ثم حمايته لى تعالى من الاكل من خراج رزقة أو بيت قيل لى ان فى شرائه حيلة لا يقبلها الشرع ثم موافقة اخوانى المجاورين على ردما ياتينا الى الزاوية من هدايا الامراء والظلمة بطيبة نفس ثم حماية أصحابى من الاكل من خبز ابن عمرو بن بغداد لما رتبه فى مصر ثم مطاوعة اخوانى فى عدم القراءة بالفلوس على القبور وفى بيوت الناس وعدم الاكل من طعام العزاء والجمع وتمام الشهر والاعراس الواسعة التى لا تورع عند أصحابها ثم جمعى للفقراء فى الزاوية لاجل نفع نفوسهم دون نفع نفسى الا بحكم التبع وسماعهم لاشارتى اذا قلت لاحدهم لا تاكل من هذه الهدية أو لا تأخذ شيأ من هذه الفلوس أو نحو ذلك ثم كثرة مجالستى لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فى مجلس الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنة ثمانية عشر وتسعمائة الى وقتى هذا وهو سنة ستين وتسعمائة والله أعلم (الباب السادس عشر) وفيه من النعم نعمة كثرة سماعى للقرآن والذكر ليلا ونهارا وأنا جالس فى بيتى مما لم يقع للملوك مثله ثم تادب المجاورين معى اذا عاتبت أحدا منهم على زلة وقعت منه وعدم جوابه عن نفسه الا باذن ثم دوام الاشتغال بالعلم والقرآن فى الزاوية طول السنة على شيخ الزاوية ثم حماية جميع وقف زاويتنا من ظلمة الحكام فى مصر والريف فلا أحد يقف لنا فى طريق مع كوننا لا مرسوم معنا من جهة السلطان ثم عدم وقوفى لاحد من الحكام اذا نازعنى أحد فى بيتى أو رزقتى أو زاويتى بل اسلمها له بمجرد دعواه ولا أقف بنفسى ولا بوكيلى هو انا بامور الدنيا ثم معرفتى باسم الله الاعظم وعدم تصرفى به ادبا مع الله عز وجل ثم كثرة افاضة الخير على فى الملابس حتى انى كسوت خلقا كثيرا لا يعلم عددهم الا الله تبارك وتعالى ثم بيان جماعة كسوتهم على التعيين ثم ملاطفة المريدين والمعتقدين أول اجتماعهم على فلا امتحنهم فى الصدق قط خلاف ما عليه بعضهم ثم حذرى من مكايد النفس اذا قام على عدو وصار ينقصنى فى المجالس وصرت أنا اثنى عليه خيرا ثم تعظيمى للناس بحسب مراتبهم فى الدين فاقدم العارف بالله وبشرعه على كل من كان بالضد من ذلك ثم جعله تعالى لى من أهل الالهام الصحيح فى أغلب الاوقات ثم حفظى من الخوض فى آيات الصفات من غير علم ثم استئذانى الحق تعالى بقلبى اذا كنت فى عبادة مستحبة وأردت الجماع لاعفاف نفسى أو زوجتى ثم شهودى فى نفسى انها كاذبة فى دعوى الارادة فضلا عن المشيخة ثم حفظى من الآفات التى تطرقنى اذا أمرت أحدا بخير ثم خوفى من ترك التظاهر بالدعاوى أكثر من خوفى من الدعاوى ثم نصح اخوانى على سبيل الذكر والفرمن غير رؤية نفسى عليهم ثم شهودى خوف كثرة غشى لاصحابى كلما كثر والانى لو نصحتهم لما كثروا غالبا ثم كونى لا ينصحنى قط ناصح وأرى نفسى مستغنية عن نصحه ثم استئذانى لربى اذا قمت من الليل ولم أجد عندى داعية الى الوقوف بين يديه ثم شهودى أن ضرر نصحى للاخوان أكثر من نفعى لهم لكونى أقيم عليهم الحجة بنصحى يوم القيامة ثم حمايتى من نصرة نفسى اذا غارمنى حاسد ثم كونى لا أنكر على أحد شيأ الا بعد شهودى من ناصيته بيده ثم كونى لا أنصح أحدا عن شئ الا بعد تحققى وقوعه فى ذلك الشئ ثم عدم نسبة النقص الى أحد تاب من ذلك النقص ثم فرحى برجوع العصاة الى الله تعالى بلا واسطتى أكثر من فرحى بهم اذا رجعوا بواسطة نصحى لهم ثم معرفتى بنفسى اذا نصحنى ناصح هل أنا من أهل الخير أو من أهل الشر ثم أمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر فى حال تسليمى للقدرة مافعلت ثم شهودى العلل فى أعمالى ثم موافقة باطنى لظاهرى فى الاعمال ثم ترجيحى للمنع على العطاء لفناء اختيارى مع الله تعالى ثم رحمتى من الله تعالى انه يحبنى لما زهدت فى الدنيا ثم امساكى الدنيا بعد الزهد فيها على وجه الادب مع الله تعالى ثم ايمانى بان أفعال العباد خلق الله تعالى فى حال نسبتها اليهم ثم اطلاعه تعالى لى على مقام يرفع الخلاف من آيات الصفات وأخبارها ثم على ميزان يرجع جميع أقوال الائمة للشريعة فلا يخرج عنها من

فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله سبحانه وتعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقال الذين أوتوا العلم بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وحيثما وقع العلم فى كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما المراد به العلم النافع المخمد للهوى القامع الذى تكتنفه الخشية وتكون معه الانابة قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء الآية فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علما وقال داود عليه السلام يارب ما علم من لم يخشك وما خشيك من لم يطع أمرك فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الامر ما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق

سهاجعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسيأتي تكثير العقوبة لديه ولا يغرنك أن يكون به انتفاع

أقوالهم قولا واحدا ثم جمعه تعالى في جميع اخلاق هذا الكتاب والله أعلم (الخاتمة) وفيها من النعم نعمة شهودي في نفسي أني دون كل جليس من المسلمين كشفا وذوقا ثم كثرة تحملي للبلايا والمحن الواقعة لي في الدنيا ببعض ذنوبي حتى كأني قطب للبلاء ثم قلة ضجري ممن يؤذيني وفرحي كلما زادني أذى ثم مبادرتي للشكر كلما آذاني انسان لانه يهدي الى حسناته ثم عدم تمكيني أحدا من أصحابي يجيب عني اذا رماني أحد بزور أو بهتان وفيها ذكر محن الملوك من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وذكر محن الاولياء والعلماء ثم تنبهي للشكر لله كلما حسدني حاسد ونقصني في المجالس ثم صبري على الحسدة والاعداء حين دسوا في كتبي ما يخالف الشريعة ثم أشاعوا ذلك عني وذكر بعض وقائع صبرت عليها ولم أقابل أهلها بنظير ما نقصوني به ثم انتصاره تعالى لي كلما أوذيت من أعدائي غيرة منه تعالى من غير سؤال مني في ذلك ولا دعاء عليهم ثم كثرة محبتي وشفقتي على دين كل من رأيته مقراضا في الناس وقيامي بواجب حقه اذا ورد علي ثم كثرة شفقتي وحنوي على كل من بالغ في ايذائي وترجيح محبته على محبة من أحسن الي واعتقدني ثم كثرة شفقتي وخوفي على دين من آذاني أن ينقص بسبب ايذائه لي حتى ان ذلك يشغلني عن مراعاة التأذي بالشئ الصادر منه لي فأنا أتأثر على نقص دينه أكثر مما يتأثر هو ثم عدم اتعاب سري في تدبير حيلة تؤذي من آذاني بقول أو فعل ثم مبادرتي لاقامة العذر لكل من آذاني لكونه ما آذاني الا بعد مخالفتي لهواه أو بعد وقوعي في ذنب يقتضي عنده ذلك ثم كثرة تعظيمي وتبجيلي لكل عالم أنكر علي وبالغ في الانكار لكونه غارا لظاهر الشريعة على قدر علمه ثم كثرة مبادرتي للشكر كلما نقصني منقص عند أحد من الامراء والاكابر كما أشكر الله تعالى اذا مدحوني وعظموني عند الاكابر على حد سواء ثم كثرة محبتي لمن نفر عني من أبناء الدنيا وخرجني عندهم من تجار ومباشرين وأمراء وغيرهم وذلك لكوني لا أمد طرفي الى شئ مما في أيديهم من الدنيا ولو أني مددت عيني الى ذلك لكرهت كل من ينفرهم عني ثم كثرة تحملي لهموم الاخوان وهروبي من هداياهم خوفا على نفسي من الهلاك لاني اذا كنت أكاد أموت من كثرة تحمل همومهم من غير هدية فكيف حالي اذا قبلت هديتهم ثم كراهتي للجواب عن نفسي اذا نقصني منقص الا لمصلحة شرعية ترجح على السكوت ثم شكري لله تعالى اذا نقصني أحد من الاعداء بشئ لم يقع مني لانه نفعني على كل حال بتحذيري من الوقوع فيه ثم عفوي وصفحي عن جميع من جنى علي في مال أو عرض أو بدن من جميع هذه الامة المحمدية اكراما لله عز وجل من حيث كونهم عبيده ثم اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونهم أمته لا لعلة أخرى وأشهدت الله تعالى وملائكته على ذلك فلا أرجع عنه ولو جئت القيامة صفر اليدين من سائر الاعمال الصالحة ثم مسامحتي لكل من اغتابني بعد موتي أو في حال حياتي ولم تبلغني غيبته وان لم أكن أعلم ذلك فالله يعلمه ثم مسامحتي لكل من سمع غيبتي وصدق المغتاب فيها من المستهزئين والمتهورين في دينهم ثم عدم جوابي عن نفسي حياء من الله تعالى لا لعلة أخرى ثم شهودي أن كل ما يؤذيني به الناس من جملة المصالح لي لانه ربما كان عندي عجب بأحوالي فأنتبه لها بذلك الاذى وفي ذلك أيضا ادمان على تحمل أهوال الآخرة ثم شدة كراهتي لكل من ينقل الى أخبار الناس الناقصة التي يستحي أن يواجههم بها لانها كلها غيبة ثم محبتي لأن أفدي جميع العلماء والصالحين بنفسي وأود أن كل الناس ينقصوني بكل ما ينقصونهم به ولا يضيفوا النقص الى أحد منهم ثم عدم تكديري ممن رفع أحدا من أقراني فوقي ثم كثرة اجلالي للعلماء والصالحين والامراء فلا أدعو أحدا منهم الى وليمة عملتها ثم رحمتي لعدوي وتأثري اذا نزل عليه بلاء ثم مبادرتي لاقامة الحجة على نفسي دون الله تعالى اذا ظلمني ظالم ثم حمايتي من الحسد لاحد من أقراني اذا أقبلت الدنيا وأهلها عليه دوني ثم عدم تكديري ممن ناداني باسمي المجرد عن اللقب أو الكنية أو السيادة أو الشياخة ونحو ذلك ثم عدم نفرة نفسي من عشرة الممتحنين لكونهم أصحاب بلايا وأمراض فأقرب منهم لاداويهم من أمراضهم وأشكر الله تعالى على معافاته لي من مثل أمراضهم ثم توجهي الى الله تعالى في أن يمحو من قلب مريدي كل علم تعلمه ولم يخلص لله فيه الى آخر التوجهات ثم عزمي على العمل بعلم كل عالم رأيته لا يعمل بعلمه فأساعده على تحصيل ثواب علمه بعملي أنا به فربما أثابه الله تعالى على كونه كان سببا في عملي أنا بعلمه ثم عدم اصغائي الى قول عدو ما لا ينبغي في حق عدوه ثم مخالطتي

البادي والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات في طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصري عن مسئلة فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك وهل رأيت فقيها انما الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه واذ قد عرفت ان الدعاء الى الله لا يزال أبدا فاعلم ان الانوار الظاهرة في أولياء الله انما هي من اشراق أنوار النبوة عليهم فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس وأنوار قلوب الاولياء كالاقمار وانما أضاء القمر لظهور نور

العدوى

العدوى باطنا اذا ادعى محبتي ظاهرا وعدم اعلامه بانه يكرهني خوفا أن يخجل ثم عدم تكدري من صاحبي اذا عاشر عدوي وحمله على المحامل الحسنة ثم كثرة شكري لله تعالى وكثرة استغفاري اذا كثر حسادي وأعدائي ثم كثرة اهتمامي بحمل هم عدوي أعظم من اهتمامي بهم صديقي ثم كثرة تحفظي من الوقوع في غيبة عدوي أكثر من تحفظي من الوقوع في غيبة صديقي عادة ثم رد كيد أعدائي في نحورهم من غير توجهي الى الله تعالى في ذلك ثم وجود جماعات كثيرة يحبوني وأحبهم وأما المعتقدون في فلا يحصي عددهم الا الله تعالى وبيان الفرق بين المحب والمعتقد ثم كثرة رؤيا جماعة من العلماء والامراء وغيرهم لي المرائي الحسنة التي تزيدهم اعتقادا في مع كوني لست بصالح في معتقدي على الحد الذي أرضاه لنفسي ثم انصافي لكل من تعب لي على تحصيل رزقة أو جوالي أو شيء من أمور الدنيا فأشركه معي فيما أتاني به ثم عملي بالسنة في النظر الى المخطوبة ولا أترك ذلك حياء نفسانيا وتحرزي من النظر فوق الوجه والكفين ثم أدبي مع كل من علمني سورة أو آية من القرآن ولا أرى نفسي عليه ولو صرت شيخ الاسلام ثم عدم شهودي في نفسي أنني فعلت شيئا من النوافل لان النوافل انما تكون لمن كملت فرائضه وأنا ما أظن أني كملتها ثم سماحة نفسي بمقاسمة أعدائي في حسناتي في الآخرة وأموالي في الدنيا ثم شدة بغضي لاهل المعاصي ولو أحبوني وأحسنوا الي واعتقدوني ثم محبتي لجماعة من العلماء والصالحين من غير اجتماع ثم وجود جماعة يكرهوني على الدوام ليدوم لي الاجر من جهة صبري عليهم ثم حملي لمن يكرهني على أنه انما يكرهني بحق ثم طرح نفسي بين يدي الله تعالى اذا أطلعني على وقوعي في معصية في المستقبل وأساله التحويل ان لم يكن حق بها التقدير وزوالها من شهودي وان كانت في ألواح المحو والاثبات ثم عدم استشراف نفسي لهدية من صاحبي اذا جاء من الحجاز ونحوه وعدم تحديث نفسي بذلك ثم زهدي في المطاعم والملابس والنساء والفرش الوطيئة وكثرة الروائح الطيبة الخارجة عن العادة وقناعتي بالكسرة اليابسة من غير ادام ثم ذكري لمناقب جميع الحسدة والاعداء في كتاب طبقات العلماء والصالحين مع شدة مبالغتهم في ايذائي ثم مواظبتي أوائل دخولي في محبة طريق القوم على ذكر الله بلفظ الجلالة أربعا وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة عدد الانفاس الواقعة في الثلثمائة وستين درجة ثم كثرة تفويضي جميع أموري الظاهرة والباطنة الى الله تعالى وحده وعدم اعتمادي على شيء من أعمالي ثم عدم اتعاب سري في تحرير كتاب ألفته الابنية صالحة لا ليمدحني الناس على ذلك ثم جمعه تعالى في جميع هذه الاخلاق التي في هذا الكتاب تحققا وتخلقا قبل تأليفه ولولا ذلك لكان فعلي يكذب قولي ثم اطلاعه تعالى لي على جميع ما تفضل به علي في الدار الآخرة في واقعة في عالم غيب الخيال وذلك بشهود من الانبياء والاولياء ثم شمي لرائحة المعاصي من نفسي وغيري اذا وقعنا في معصية وكذلك ترك الصلاة نسيانا ثم كثرة حلمه تعالى علي وعدم معاجلته بالعقوبة مع كون ذنوبي لو قسمت على أهل الارض لاستحقوا بها الخسف والله أعلم (انتهت فهرست أبواب الكتاب بعون الملك الوهاب) ولنشرع في مقدمة الكتاب فأقول وبالله التوفيق

(مقدمة) في ذكر أمور هي كالدهليز الذي يتوصل منه الى عدم الاعتراض على من ذكر مناقبه في كتاب وهي مشتملة على بيان الطريق الموصلة الى التخلق باخلاق هذا الكتاب وعلى بيان أدلة تقتضي الحث على ذكر العبد ما أنعم الله تعالى به عليه حسب الطاقة في دينه ودنياه وأنه إن لم يذكر ذلك عصى ربه وعلى بيان أنني لم أذكر من أخلاق هذا الكتاب كلها الا ما تحققت به خوفا أن يقول معترض كيف يدعي فلان التخلق بهذه الاخلاق وأفعاله تكذبه وعلى بيان قرب سندنا بهذه الاخلاق من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما يأتي بيانه اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق * اعلم يا أخي أن الله تعالى قد أمرنا بشكره على نعمته التي أسبغها علينا وجعل ذلك علينا من جملة فرائضه ولا سبيل لنا الى احصاء نعمه كلها لا بلساننا ولا بجناننا ولا بأركاننا مع انه تعالى قد طالبنا بشكره باللسان والقلب والجوارح فشكر اللسان لا يكون الا باعترافنا بنعمه انها من عنده مع تركنا اضافتها الى الخلق الا من حيث كونهم واسطة كالقناة التي يجري لنا منها الماء فالشكر حقيقة لمن أجرى الماء في القناة لا للقناة وفي الحديث لا يشكر الله من

الشمس فيه ومقابلته اياها فاذا الشمس منيرة نهارا ومضيئة أيضا ليلا لظهور نورها في القمر الممدود منها فاذا هي لا غروب لها فقد فهمت من هذا انه يجب دوام أنوار الاولياء لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فالاولياء آيات الله يتلوها على عباده باظهاره اياهم واحدا بعد واحد تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول في قوله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أي ما من ولي لله الا ونأتي بخير منه أو مثله وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله أينقصون في زمن فقال لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الارض نباتها وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص أمدادهم ولكن اذا فسد الوقت كان من الله سبحانه وتعالى وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فاذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجع فيهم الموعظة ولا تميلهم الى الله التذكرة لم يكونوا أهلا لظهور أولياء الله فيهم ولذا قالوا أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس المجرمون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا

لايشكر الناس ومثال من حصل لنا على يديه خير كالغلام الحامل لطبق الهدية فالحقيق بالحمد من أهدى لا من حمل وأما شكر القلب فلا يحصل الا باعتقاد العبد جزما أن جميع ما بيده من النعم والمنافع واللذات والحركات والسكنات من فضل ربه لا من غيره وذلك ليكون شكر العبد بلسانه مطابقا لما في قلبه ومعبرا عما فيه اذ ليس للعبد منعم سوى ربه عز وجل وأما شكر الجوارح فلا يكون الا بجعل العبد جميع حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة كلها في مرضاة الله عز وجل حتى لا يجد كاتب الشمال شيأ يكتبه ولا تجد الملائكة في صحيفته شيأ يفتضح به يوم القيامة وهذا الشكر قليل فاعله وغاية ما عند غالب الناس من الشكر باللسان دون العمل وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا ونحن أولى بالشكر بالعمل من أمة داود عليه السلام ثم لا يخفى عليك يا أخي أن جميع ما أذكره لك في هذا الكتاب من الاخلاق والمنن انما هو حالي أيام شروعي في سلوك الطريق لأن هذه الأخلاق كلها من أخلاق المريدين أوائل دخولهم في الطريق فلا تظن يا أخي أنها من أخلاق كمل العارفين كما توهمه من لم يدخل طريق القوم فانه لا ذوق لامثالنا حين ذاك في أخلاق الكمل حتى نتكلم عليها لكونها لا تأتيهم الا من طريق الوهب أو بعد طول المجاهدة العظيمة وكما أنه لا ذوق للاولياء في مقامات الرسل فكذلك ليس للمريدين ذوق في مقامات الكمل وايضاح ذلك أن بداية مقام النبوة يبتدى من بعد انتهاء مقام الولاية فلا تشترك الولاية مع شئ من أجزاء النبوة انتهى فافهم وقد اطلع بعض علماء العصر على بعض أخلاق من مسودة هذا الكتاب فطالع فيها أياما ثم أتاني بها وقال هذه الاخلاق لا تكون الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام اهـ فعذرته في ذلك وعلمت انه لم يدخل مبادى طريق القوم اذ لو دخلها لعرف أنها من جملة أخلاق المريدين وكان لسان حاله يقول شئ لم أذقه أنا مع علمي الذي وصلت اليه فكيف يذوقه جاهل من هؤلاء الناس فذوقه صحيح وحكمه غير صحيح وسبب ذلك اندراس العمل بأخلاق القوم في هذا الزمن حتى لا يكاد العبد يجد أحدا من المتمشيخين فيه يتخلق بشئ من أخلاق القوم فكان ذكرى لهذه الاخلاق الخاصة بالمريدين كالتكذيب لكل مدع في هذا الزمان فيقال له اذا كنت قد عجزت عن التخلق بأخلاق المريدين فكيف تدعى التخلق بأخلاق كمل العارفين فكل ما ذكرناه في هذا الكتاب كالسيف الماحق لاصحاب الدعاوى والرعونات ولو أنهم ملكوه لاحرقوه لكونه يكشف لهم وللناس عن جهلهم بالطريق التي يزعمون أنهم من أهلها و يجلسون بجلاسهم فيها فأسأل الله تعالى أن يحميه منهم بحوله وقوته ليتم مقصودي بالانتفاع به فاذا رأيت يا أخي في هذا الكتاب شيأ من أخلاق الكمل فليس ذلك مقصودا وانما ذلك سبق قلم أو استطراد أو استشهاد أو تأنيس للمريدين ولم يزل يقع من السالكين هذا الغلط فضلا عن غيرهم فيقولون عن كل مقام لم يترقوا اليه هذا خاص بالكمل فاذا ذاقوه وترقوا مقاما آخر فوقه عرفوا أن الاول من مقام المريدين فما برحت الارادة مع السالك فضلا عن غيره في كل مقام ذاقه الى أن يلقى الله تعالى فان النهاية منقولة غير معقولة وتنتهى همم العارفين وهم مع الحق تعالى على أول قدم فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من معرفة الله تعالى ويؤيد ما قلناه ما نقل عن شيخ الطائفة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه قال مكثت زمانا وعندي وقفة في قول بعضهم ان الذاكر لله تعالى يصل الى حالة لو ضرب وجهه بالسيف لم يحس الى أن وجدت الامر كما قاله انتهى ثم ان أكثر من يقع في الغلط في ذلك المؤلفون لكتب الرقائق من المتصوفين الذين لم يذوقوا مقامات الطريق فينقلون عن الولي كل ما بلغهم عنه ولا يعرفون الفرق بين ما قاله ذلك الولي في بدايته أو توسطه أو نهايته ويسمون كل ما لم يذوقوه في الطريق مقاما للكمل فاذا طالع الكامل في كتبهم أي أولئك المؤلفين عرف جهلهم ولو أن هؤلاء المؤلفين ذاقوا مقامات الطريق لم يذكروا عن الولي من مناقبه الا ما عمله أو قاله في حال نهايته لان هذا هو الذي يصلح أن يكون منقبة له كما فعلت أنا ذلك في كتاب طبقات العلماء والصوفية فلم أذكر عن أحد منهم الا ما قاله أو عمله حال نهايته * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يسأل ربه الزيادة من العلم فما ظنكم بغيره هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه انه أوتي علم الاولين والآخرين واعتقادنا أنه تعالى أجاب دعاءه وزاده علما عن علم الاولين والآخرين فعلم أن أحدا

تمنعوها أهلها فتظلموهم فاذا كان الله سبحانه وتعالى وصانا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا نؤتي الحكمة غير أهلها فهو أولى بهذا الخلق العظيم منا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك فسمعوا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فآثروا الخفاء بل آثره الله لهم ذلك مع انه لابد أن يكون منهم في الوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحجة سالكون للمحجة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناواهم الى قيام الساعة وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من مخاطبته لكميل بن زياد اللهم لا تخل الارض من قائم لك بحجتك أولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا قلوبهم معلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله في عباده و بلاده واشوقاه الى رؤيتهم وروى الامام الرباني محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه في كتاب الختم له رفعه الى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره وروى أيضا رفعه الى أبي

لا

لا يصح له مقام النهاية الا اذا وصل الى حالة لا مقام بعدها لأحد وهذا غير واقع لغيره صلى الله عليه وسلم اذا علمت ذلك فإياك أن تنكر على فقير سمعته يقول أنا أعبد الله الآن لا خوفا من ناره ولا رجاء لثوابه فان ذلك من مقامات المبتدئين في الطريق لا من مقام الكاملين وذلك أن المريد اذا واظب على الذكر وأكثر منه ليلا ونهارا رق حجابه ضرورة واذا رق حجابه رأى الفعل لله تعالى لا للعبد ويسمع نداء الحق تعالى من قلبه بنحو من معناه ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أعبد فيخجل العبد ويستحي من الله تعالى أن يعبد الله تعالى خوفا من نار أو رجاء لثواب لأن أحدا لا يطلب قط أجرا على فعل غيره وانما يطلب الأجر على فعل نفسه فكل من رق حجابه من المريدين يشهد أنه لا مدخل له في وجود أفعاله الا بقدر نسبة التكليف فقط أدبا مع الشريعة المطهرة ويرى كشفا ويقينا أنه كالآلة التي يحركها المحرك على الفارغ وكما أنه خالق لذات العبد فكذلك هو خالق لفعله ونظير ذلك أيضا ما اذا سمعت أحدا يقول لا مالك الا الله وليس أحد مالك معه شيأ فان ذلك مقام يذوقه المريد أول دخوله في الطريق وليس قائله يدعي مقام النهاية كما قد يتوهم فان من أول قدم يضعه المريد في الطريق شهوده الملك لله اذ هو الخالق لكل شئ وفي عبارة المنهاج للنووي: ولا يملك العبد بتمليك سيده في الأظهر فافهم واذا صح لعبد شهود الملك لله وحده صح له مقام الزهد في الدنيا وعدم الشح بها على أحد من الخلق الا لغرض شرعي ومن علامة ذوق العبد لهذا المقام أيضا أنه لو كان عنده أردب من الذهب فسرقه أحد لم يتغير منه شعرة واحدة لأجله بل ينشرح لمن يأخذه منه خوفا من الحساب عليه من حيث المصرف يوم القيامة وصاحب هذا المقام يتساوى عنده عطاء الله تعالى ومنعه له على حد سواء من حيث عين العطاء والمنع لا من حيث ما على العبد نفسه من نحو الرضا والشكر لأنه لا يرى له ملكا مع ربه في الدارين ولو أعطاه شيأ ألا يرى أنه لا يملكه الا بقدر نسبة العطاء اليه لأجل الشكر لا غير ثم يتبرأ منه الى ربه الذي هو المالك الحقيقي له ولذاته * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول متى أعطى الله تعالى العبد شيأ ولم يشهد خروجه عن ملكه الى ملكه تعالى بعد نسبة التحقق بالعطاء على الفور فقد عصى الله تعالى عندنا وادعى الشركة معه في الملك قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فشمل شرك العموم وشرك الخصوص وكل عن مقامه يترجم انتهى ومن هنا تساوى عند الفقراء الصادقين الذهب والتراب في عدم ميل القلب اليه من غير ترجيح الذهب عليه لأنهم لا ملك لهم مع الله تعالى فهم يأكلون ويلبسون من مال سيدهم ويسكنون في ملكه في الدارين رضي الله عنهم أجمعين ونظير ذلك أيضا ما اذا سمعت أحدا يقول لا موجود الا الله فإياك أن تظن به أنه يدعي الكمال فان ذلك من مقامات المريد لأن المريد من شدة تعشقه في الطريق وترحل قلبه عن محبة غير الله تعالى ما عدا من أمره الله تعالى بمحبته يصير قلبه محجوبا عن شهود الأكوان كما يقع لصاحب المصيبة اذا مات له ولد أو تلف له مال فانه من شدة المصيبة يصير يدخل الدار ويخرج ولا يرى صاحبه الجالس على بابه من بكرة النهار ويصير يقول ما رأينا فلانا اليوم فيقولون له انه من بكرة النهار على بابك فيقول والله من شدة الهم ما رأيته فهذا مثل من صار لا يشهد الا الله لما تعلقت محبته بقلبه فليس مراده في ذلك أن ينفي وجود العالم كله كما يظنه من لا علم له بأحوال أهل الطريق بل مراده ان الله تعالى قد أخذ حبه بمجامع قلبه حتى حجبه عن شهود الخلق ما عدا ذات المشاهد اذ لو حجب عن شهود نفسه فمن يكون هناك يشهد الحق تعالى فتأمل. وبالجملة فاذا كان النسوة اللاتي خرج عليهن يوسف عليه الصلاة والسلام ذهلن عن أنفسهن حتى قطعن أيديهن ولم يشعرن بألم القطع فكيف بمن يشهد سر معنى جمال رب العالمين في حضرة الاحسان فتأمل يا أخي في هذا المحل واسلك الطريق لتعرف المقامات ذوقا وتميز ما كان للمريدين وما كان للعارفين وتعرف ان مقام الارادة قد عز في هذا الزمان فكيف بمقامات العارفين * وقد روى القشيري عن الشبلي أنه كان يزور شيخه الحصري كل يوم جمعة فقال له الحصري يوما يا أبا بكر ان خطر في بالك غير الله تعالى من الجمعة الى الجمعة فلا تعد تأتنا فانه لا يجيء منك شئ فجعل خطور غير الله تعالى على باله من الجمعة الى الجمعة من أحوال المريدين ولو عرض مثل ذلك على غالب مشايخ العصر لقالوا هذا خاص بخواص الأولياء ثم لا يخفى عليك يا أخي أن نهاية كل عارف ترجع الى صورة بدايته لكن على غير الوجه الذي يشهده

الرحمن بن سبرة قال جئت مبشرا من غزوة مؤتة فلما ذكرت قتل جعفر وزيد وابن رواحة ومن معه بكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيكم فقالوا ومالنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال عليه السلام لا تبكوا انما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكيها وهيأ مساكنها وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا وعاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخا والذي بعثني بالحق ليتخذن ابن مريم من أمتي خلفاء من حواريه وروى أيضا رفعه الى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم الآية وروى أيضا رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في كل قرن من أمتي سابقون

واعلم جعلك الله من خاصة عباده وعرفك لطائف وداده انه سواء منهم الظاهر والخفي والصديق والولي فساد الوقت لا يكدر أنوارهم ولا يحط

المبتدى ومثاله ان المريد في حال بدايته يجب عليه عند القوم أن يترك كل شئ يشغله من الدنيا عن الله عزوجل فاذا انتهى الى الحضرة التى ينتهى سلوكه اليها على مصطلح القوم وعرف الله تعالى المعرفة الثابتة التى لا تزلزلها الادلة فهنالك لا يصير شئ يشغله في الدارين عن الله عزوجل لانه حينئذ يجد الحق تعالى مع كل شئ كان أمر بتركه في حال سلوكه حين كان ضعيف الحال فمثل هذا يمسك الدنيا بحذافيرها و يتصرف فيها تصرف حكيم عليم ويزاحم الناس على الرياسة و يشاح الناس على جديد نقرة و يؤاخذ الناس بكل شئ فعلوه معه من الاذى ولا يسامح أحدا الآن رجعت تلك المسامحة في الحكم لله تعالى في اعتقاده وتصير صورته صورة أبناء الدنيا المحبين لها وقصده مختلف مع أن كماله في ذلك ومتى خالف ذلك نقص مقامه وايضاح ذلك ان العبد اذا تحقق بمعرفة الله تعالى كان مشهده السر القائم بالذوات لا الذوات ولم يصر يرى غير ذلك السر حتى يشتغل به عن الله عزوجل فيقصد بامساكه الدنيا كف نفسه عن سؤال الناس وتحمل منتهم و يقصد بها الانفاق في سبيل الله والفوز بلذة خطاب الله تعالى لاهل الجدة والغنى بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه لم يخاطب بذلك الامن معه مال وفات الفقير لذة ذلك الخطاب و يقصد بمزاحمته على الرياسة التخلق بها من حيث كونها من أخلاق الله عزوجل لا شوف نفسه على الاخوان بل ليقوم بين الناس بالعدل واعطاء كل ذى حق حقه ولو أنه لم يكن عنده رياسة ما سمع أحد كلامه ولا قدر على تخليص حقوق الناس من بعضهم بعضا و يقصد بمشاحة الناس في المال والعرض تخليصهم من منة المسامحة ونحو ذلك فقد رجعت صورة العارف الى صورة بدايته والقصد مختلف ونظير ذلك أيضا ان المريد في بدايته سلوكه يجب عليه ترك شهوات الدنيا كلها فلا يشرب الماء المبرد في الكيزان ولا ينام على طراحة ولا يضع جنبه على الارض ثم اذا انتهى سلوكه وعرف الله تعالى المعرفة الثابتة بين القوم أمر بالاحسان الى نفسه لكونه مسؤلا عنها وعن حقها فيأكل الشهوات و ينام على أوطأ الفرش و يشرب الماء المبرد في الكيزان ويترك ضد ذلك حتى لا يسمى ظالما لرعيته ومطيته فيا طول ما أسهرها الليالى الطويلة الباردة أو الحارة ويا طول ما أجاعها وأعطشها وألبسها الخشن من المسوح والمرقعات فلما أوصلته الى مقصده من حضرة العرفان كانت كالاجير الذى عمل ما استؤجر عليه فيجب تعجيل الاجرة له وعدم مماطلته مع القدرة قبل أن يجف عرقه وقد كان مأمورا أولا بظلم نفسه في مرضاة الله تعالى كما أشار اليه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية قال بعض العارفين انما صح لمن يظلم نفسه الاصطفاء لكون ذلك الظلم لنفسه كان في مجاهدتها طلبا لمرضاة الله عزوجل فليس المراد بها من يظلم نفسه بالمعاصى كما فهم اهـ فعلم أن المبتدى لو لم يظلم نفسه في مرضاة الله كما ذكرنا بل أطعمها اللذيذ وأسقاها المبرد وأنامها على أوطأ الفرش لكان لم يبرح من مكانه وعدم الترقي جملة كما قالوا ان من خصائص الطريق أن الانسان اذا أقبل عليها بكليته أعطته بعضها وان لم يقبل عليها بكليته لم تعطه شيأ منها كما هو شأن العوام الذين لا يطلبون الترقى عما هم فيه ونظير ذلك أيضا الايثار على النفس فانه مطلوب من المبتدى جزما ليخرج عما فتح عينه عليه من شح النفس وبخلها على نفسها فضلا عن اعطائها شيأ لغيرها ولذلك مدح الله تعالى الصحابى حين آثر غيره على نفسه تشجيعا له ثم انه اذا بلغ السالك النهاية في السلوك أمر بالاحسان الى نفسه لكونها أقرب جار اليه والاقربون أولى بالمعروف كما ورد وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول فلو أمر المبتدى بالبداءة بنفسه ما ترقى في الطريق ذرة ولو أن الكامل يقدم على نفسه غيرها لاساء اليها ولخرج عن حكم العدل فقد رجعت صورة نهاية الانسان في تقديمه نفسه على غيره الى صورة حال المبتدى في تقديمه نفسه والقصد مختلف وسيأتى في أبواب الكتاب ايضاح ذلك ان شاء الله تعالى فاعلم ذلك وتامله فانك لا تجد التصريح به في كتاب ولندخل لباب التخلق باخلاق هذا الكتاب من طريق الجد والاجتهاد كما درج عليه السلف الصالح فقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول من طمع أن يدخل طريقنا وهو لم يزهد في نعيم الدارين فقد رام المحال اهـ و بالجملة فجميع الاخلاق التى نذكرها في هذا الكتاب لا يوصل اليها الا باحد طريقين اما بالجذب الالهى واما بالسلوك على يد شيخ صادق ومن لم يدخل من أحد هاتين الطريقين فمحال ان يصل الى شئ من هذه الاخلاق وقد طلب أقوام الوصول الى التخلق

بها

مقدارهم لانهم مع الموقت لا مع الاوقات فمن كان مع الموقت لا يتغير بتغير الوقت شيأ ومن كان مع الوقت تغير بتغيره وتكدر بتكدره وقد قال الامام أبو عبد الله الترمذى رضى الله تعالى عنه الناس صنفان صنف منهم عمال الله تعالى يعبدونه على البر والتقوى فهم محتاجون الى خير الزمان واقبال دولة الحق لان تايدهم من ذلك وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد من كشف الغطاء وقطع الاسباب فهم غير ملتفتين الى اقبال الزمان وادباره ولا يضرهم ادباره وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يغذوهم برحمته يحييهم في عافيته تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم وقوله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتى فتن لا ينجو منها الا من أحياه الله بالعلم قال الترمذى يعنى بالعلم العلم بالله فيما يرى ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول لرجال الليل هم الرجال وان أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشئ من الغنى واليقين فالغنى لكثرة ما عند الناس من الافلاس واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك وقال بعض العارفين ان لله عبادا كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم

فتلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوى اشراقها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه أنوار

بها من غير طريق الجد فكان غايتهم الحرمان لظنهم انها طريق قال بغير حال مثل غيرها من الطرق وغاب عنهم أن طريق التصوف طريق علم وعمل كما يعلم من أخلاق هذا الكتاب وكان الشيخ مفرح رضي الله عنه يقول من علامة الصدق في أول قدم يضعه المريد في الارادة ان يعطى ثلاث خصال تقوية لعزمه أن يمشي في الهواء وعلى الماء وينفق من الغيب فمن لم يحصل له هذه الثلاث فهو ممن لم يشم من الارادة رائحة انتهى وبالجملة فمن أراد أن يحيط علما بما قلناه فليطالع أخلاق هذا الكتاب ويطالب نفسه بالتخلق بما فيه فهنالك يعرف حقيقة علم التصوف وطريقه فان بعض الناس بنى طريقه على ظاهر الفقه ونفى طريق التصوف جملة وقال ليس لنا طريق تقرب الى الله تعالى غير ما نحن عليه من ظاهر الفقه بحسب فهمه هو وبعضهم ظن أن علم التصوف حفظ نقول فقط من غير عمل فاخذ نحو رسالة القشيري وعوارف المعارف وجلس يدرس للناس فيه بحسب فهمه المخالف لما عليه القوم وظن بنفسه أنه صار صوفيا من غير تخلق بما يدرسه وهذا خطأ ظاهر وغاب عنه ان دائرة الولاية تؤخذ من بعد انتهاء دائرة غيرها كما مر فكما ان دائرة النبوة تؤخذ بدايتها من بعد نهاية الولاية فكذلك علم التصوف يبتدأ من بعد نهاية أهل الفهم والفكر فلا يسمى صوفيا الا من عمل بعلمه على وجه الاخلاص كما عليه الائمة المجتهدون وصالحو مقلديهم ولو ان طريق القوم يوصل اليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لما احتاج مثل حجة الاسلام الامام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أخذ أدبهما عن شيخ مع انهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم كل من قال ان ثم طريقا للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله عز وجل فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب وأثبتا طريق القوم ومدحاها وقد سلك الامام الغزالي على الشيخ أبي محمد البازغاني وسلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الشيخ أبي الحسن الشاذلي وصار يقول مما يدلك على أن القوم قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك على يد فقيه قط الا ان سلك طريقهم اهـ قال ذلك لما قطع سلسلة باب القلعة بالكراس الورق كما سيأتي بسطه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى فعلم أن مثال من يحفظ نقول أهل الطريق بغير ذوق ولا تخلق مثال من حفظ له كتابا في علم الطب على ظهر قلب من غير معرفة الداء والدواء فكل من سمعه وهو يقرأ ويقول الداء الفلاني دواؤه الشيء الفلاني يقول ما هذا الا طبيب عظيم فاذا قال له أعلمني باسم هذا الداء الذي في وأخبرني باسم الدواء وقال له لا أعلم ذلك يقول انه جاهل بعلم الطب وقد كان علماء السلف الصالح رضي الله عنهم يعملون بكل ما يعلمون على وجه الاخلاص لله تعالى فيه فنارت قلوبهم وخلصت من العلل القادحة في الاخلاص فلما ذهبوا وخلف بعدهم أقوام لا يعتنون بالاخلاص في علمهم وعملهم أظلمت قلوبهم وحجبت عن أحوال القوم فانكروها وبعضهم اذا سمع بشيء من أخلاق القوم يقول هذا منزع صوفي لا شرعي فيوهم السامعين أن التصوف أمر خارج عن أصل الشريعة والحال أنه لب الشريعة كما يعلم ذلك من طالع في مثل هذا الكتاب فانه لا يكاد يجد خلقا واحدا مما فيه يخالف الشريعة أبدا الكثرة مناقشات أهل الطريق لانفسهم وأخذهم بالعزائم فان حقيقة طريق القوم علم وعمل سداها ولحمتها شريعة وحقيقة لا أحدهما فقط فينبغي للفقيه اذا قال عن مسئلة هذا منزع صوفي أن يعقب ذلك بقوله لا يقدر أحد من أمثالنا على المداومة على العمل به ليزيل ما في نفوس السامعين ممن لا يفهم الامر على وجهه (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول كثيرا

لا تسلكن طريقا لست تعرفها * بلا دليل فتهوى في مهاويها

انتهى ولم تزل طريق القوم عزيزة في كل عصر لقلة صبر من يصبر تحت تربية شيخه ومناقشته في جميع أعماله ولذلك صار الشيخ يرى الاخلاق المحمدية من ورع وزهد وخشية وخوف من الله تعالى ونحو ذلك في يد أهل الله تعالى فلا يقدر على الوصول الى التخلق بخلق منها على وجهه لان طريق القوم كلها مجاهدة للنفس وأين من يقدر على التخلق والتقييد بجميع ما فيها ايثارا لجناب مراد الحق تعالى على مرادها هذا لا ينال الا ببذل الروح فعلم ان الائمة المجتهدين والعلماء العاملين هم الصوفية حقيقة (فان قال قائل) لو أن طريق التصوف أمر

الكواكب تنكدر وأنوار قلوب أوليائه لا انكدار لها وأنوار الكواكب تهدي الى الدنيا وأنوار قلوب أوليائه تهدي الى الله ولنا في هذا المعنى شعر

أمرتقب النجوم من السماء
نجوم الارض أبهى في الضياء
فتلك تبين وقتا ثم تخفى
وهذي لا تكدر بالخفاء
هداية تلك في ظلم الليالي
هداية هذه كشف الغطاء

وقال صوفي يوما بحضرة فقيه ان لله عبادا هم في أوقات المحن والمحن لا تضرهم فقال ذلك الفقيه هذا ما لا أفهمه فقال الصوفي أنا أريك مثال ذلك الملائكة الموكلون بالنار هم في النار والنار لا تضرهم وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول الدنيا كالنار وهي قائلة للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نور قناعتك لهبي واعلم ان شان الولاية والولي عظيم والخطب فيهما جسيم ويكفيك في ذلك ماحدثنا به الشيخ السيد الجليل شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن اسحق بن محمد بن المؤيد

مشروع لوضع فيه الائمة المجتهدون كتبا ولا نرى لهم قط كتابا فى ذلك (قلناله) انما لم يضع المجتهدون فى ذلك كتبا لقلة الامراض فى أهل عصرهم وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك فكان ذلك فى بعض أناس قليلين لا يكاد يظهر لهم عيب وكان معظم همة المجتهدين اذذاك انما هو فى جمع الادلة المنتشرة فى المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التى هى مادة كل علم وبها يعرف موازين جميع الاحكام فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس فى أعمالهم القلبية التى لا يظهر بها شعار الدين وقد لا يقعون فيها بحكم الاصل ولا يقول عاقل قط ان مثل الامام أبى حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد رضى الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجبا أو كبرا أو حسدا أو نفاقا ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبدا ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والامراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم فافهم (وقال القشيرى) رحمه الله وأصل تسمية الصوفية صوفية كان حين ظهرت الاهواء والبدع فى عصر الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فسموا كل من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بما صوفيا دون غيره قال وقد روينا عن الامام أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه انه كان يقول طريقنا هذه مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فيها (وقال الشيخ محيى الدين) فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم أنه ما ثم لنا دليل يرد طريق الصوفية ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا نقلا وانما طعن فيها من طعن بالجهل انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لاحد التصدر لتربية المريدين الا بعد تبحره فى الشريعة وآلاتها كما دل عليه السادة الشاذلية فكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وسيدى أبو العباس المرسى وسيدى ياقوت العرشى والشيخ تاج الدين بن عطاء الله لا يدخلون أحدا فى الطريق الا بعد تبحره فى علوم الشريعة بحيث يقطع العلماء فى مجالس المناظرة بالحجج الواضحة فان لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد أبدا وهذا الامر قد صار أهله فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر فعلم ان كل من لم يسلك الطريق على هذه القواعد لا يقدر على التخلق بشئ من أخلاق هذا الكتاب وقد قالوا من ضيع الاصول حرم الوصول (وكان سيدى على الخواص) رحمه الله يقول لا يصح لعبد ابتداء السير فى طريق العارفين حتى يزهد فى نعيم الدارين ولا يكون له محبوب الا الله تعالى ورسوله وكمل ورثته انتهى (وكان) يقول أخذت طريقى هذه عن سيدى ابراهيم المتبولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة يقول أخذت طريقى هذه عن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام انتهى ولا منافاة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يتبع ملة ابراهيم عليه السلام فى محاسن الاخلاق وان كانت أخلاق ابراهيم عليه السلام هى بالاصالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه نبى الانبياء كلهم وصورة أخذ الاولياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن روحهم تجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة من حيث أرواحهم لا من حيث أجسامهم فليس اجتماعهم به صلى الله عليه وسلم كاجتماع الصحابة فافهم (وكان سيدى أبو العباس المرسى) رحمه الله يقول لا يكمل مقام فقير الا ان صار يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه فى أموره كما يراجع التلميذ شيخه وقد بلغنا ان سيدى محمدا الغمرى لما عمر جامعه بمصر استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة فقال له قل له عمر وتوكل على الله انتهى فلا أدرى أكان ذلك قبل الكمال أو استأذن بالواسطة حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو اللائق بمقامه فانه كان مشهورا بالكمال (وكان سيدى ياقوت العرشى) رحمه الله يقول من ادعى أنه يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الادب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له فان قال رأيت نورا ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلا يقول لى من ذلك النور فى ظاهرى وباطنى لا يختص بجهة من الجهات اسمع لما يأمرك به نبى ورسولى فصدقوه والا فهو مغتر كذاب انتهى فعلم أن مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مقام عزيز لا يناله كل أحد (وقد سمعت) سيدى عليا المرصفى رحمه الله يقول بين الفقير ومقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما وأمهاتها مائة ألف مقام وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصح له الاخذ المذكور

قال أخبرنا الامام أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازى الادمى قراءة عليه وأنا أسمع فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال حدثنا الشيخ الامام أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمى الحنبلى املاء فى يوم السبت السادس عشر من صفر سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بأصبهان قال أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدى الفارسى قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد بن حفص العطار الخطيب الدورى حدثنا محمد بن عثمان ابن كرامة بن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال من عادى لى وليا فقد آذنى بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ أحب الى مما افترضت عليه وما زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى

المذكور (وكان سيدى ابراهيم المتبولى) رحمه الله يقول نحن فى الدنيا خمسة لا شيخ لنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجعيدى يعنى نفسه والشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم القناوى والشيخ أبو السعود بن أبى العشائر والشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين * واعلم يا أخى انى لا أعلم فى مصر الآن أحدا من الفقراء الظاهرين أقرب سندا فى طريقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فان بينى و بين رسول صلى الله عليه وسلم فيها رجلين فقط سيدى على الخواص وسيدى ابراهيم المتبولى فقط بجميع أخلاق الكمل المذكورة فى هذا الكتاب المأخوذة عنهما مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصريحا واشارة كما أخبرنى به سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وأخبرنى الشيخ أبو الفضل الاحدى أن سيدى عليا مكث حتى صار يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فبينى و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه رجل واحد وهذا الامر شبيه بسندى بالمصافحة فانى صافحت الشيخ ابراهيم القيم وانى وهو صافح الشريف الساوى بمكة وهو صافح بعض الجن الذين صافحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينى و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال (وقد أحببت) يا أخى أن أذكر لك نبذة من أحوال سيدى على الخواص تأنيسا لك وتعريفا ببعض مقامه لتسلك طريق اتباعه بعزم فانه رجل كان الغالب عليه الخفاء فلا يكاد يعرفه بالولاية الا العلماء العاملون لانه رجل كامل عندنا بلا شك والكامل اذا بلغ مقام الكمال فى العرفان صار غريبا فى الاكوان ولذلك كانت طريقته غريبة لعلو مراقيها وقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث سندها كما مر * اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق هو الشيخ الامام الكامل الراسخ الامى المحمدى صاحب الكشوفات الظاهرة والاحوال السنية المرضية بين أكابر الاولياء سيدى على الخواص البرلسى رحمه الله تعالى * من كراماته رضى الله عنه انه كان يسمى بين الاولياء النسابة لكونه كان يعرف نسب بنى آدم وجميع الحيوانات الى آبائها الاول التى لم يتقدمها أب * ومنها انه كان اذا نظر فى الميضأة التى يتوضأ منها الناس يعرف جميع الذنوب التى غفرت وخرجت فى الماء من غسالتها و يعرف أهل تلك الذنوب التى غفرت على التعيين و يميز بين غسالة كل ذنب عن الآخر من كبائر وصغائر ومكروهات وخلاف الاولى وأطلعنى عليها مرة فى ميضأة المدرسة المزهرية بسويقة اللبن فرأيتها عروقا عروقا مجاورة لبعضها بعضا ولم أر فى غسالة الكبائر أقبح ولا أنتن ريحا ولا أغلظ عروقا من غسالة اللواط والوقوع فى أعراض الناس والتهاون فى الناس والاستهزاء بهم وقتل النفس التى حرم الله قتلها وقد سمع بعض المنكرين سيدى عليا مرة وهو يقول لا جزى الله تعالى من اغتسل فى هذا المغطس خيرا فانه قذره وأنتنه وكان شخص من أعوان الظلمة قد اغتسل فيه وذلك المنكر ينظر اليه فلما سمع كلام الشيخ ذهب الى ذلك الشخص وقال أقسمت عليك بالله تعالى ما سبب غسلك آنفا فقال قد وقع منى فاحشة فى عبدى ثم رجع المنكر وقال للشيخ سألتك بالله تخبرنى عن سبب قولك آنفا فى المغطس ما قلت فقال له ما معى اذن أن أهتك ستر الناس فقبل ذلك المنكر رجل الشيخ واعتقده من ذلك اليوم وهذا أمر ما رأيت أحدا يطلع عليه من فقراء العصر سوى سيدى على هذا وهو كان مقام الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فان له فى الماء المستعمل ثلاثة أقوال أحدها انه كالنجاسة المغلظة الثانى انه كالنجاسة المتوسطة الثالث انه طاهر فى نفسه غير مطهر لغيره وجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط وهو حمل الغسالة على انها غسالة كبائر ووجه الرواية الثانية الاخذ بالاحتياط المتوسط وهو حملها على أنها غسالة صغائر ووجه الرواية الثالثة الاخذ بحسن الظن بالمتوضئين وهو ان الاصل عدم ارتكابهم الكبائر والصغائر والمكروهات وأنهم لم يرتكبوا سوى خلاف الاولى كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب اليواقيت والجواهر * ومنها انه كان اذا رأى فى دواة الحبر يرى الحروف التى تكتب منها الى أن يفرغ الحبر قال أخى أفضل الدين وقد أرانى مرة ذلك فى دواة مع فقيه وقال أول ما يكتب منها السطر الفلانى فكتمت ذلك عن صاحب الدواة ولكن قلت له أرنى الكلام الذى تكتبه من تلك الدواة أولا فان لى به حاجة فكتب ذلك السطر الذى قاله الشيخ بحروفه لم يخطئ حرفا واحدا فحققت صدق الشيخ فى كشفه * ومنها انه كان اذا رأى أنف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى أن يموت على التعيين من صحة فراسته كما سيأتى ايضاحه أول الكتاب فى نعمة الفراسة

لاعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وهذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه وقد روى هذا الحديث من طريق آخر فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا فأصغ رحمك الله تعالى الى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولى وفخامة رتبته حتى ينزله الحق سبحانه وتعالى هذه المنزلة ويحله هذه الرتبة فقوله صلى الله عليه وسلم عن الله من عادى لى وليا فقد آذننى بالحرب لان الولى قد خرج عن تدبيره الى تدبير الله عز وجل وعن انتصاره لنفسه الى انتصار الله عز وجل وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله تعالى وقد قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال عز وجل وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكان ذلك لهم لانهم جعلوه مكان همومهم فدفع عنهم الاغيار وقام لهم بوجود الانتصار وأخبرنى الشيخ شهاب الدين الارفوهى قال دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فسمعته يقول يقول الله عز وجل عبدى اجعلنى مكان همك أكفيك همك عبدى ما كنت بك فأنت فى محل البعد وما كنت بى فأنت فى محل القرب فاختر

ور بما قال عند رؤية وجه الانسان اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت لكونه كان يرى ما قدّر على ذلك الانسان من المعاصي ورآه مرة فقيه وهو يملأ فعاوى الكلاب و يلامس النجاسات فقال له يا شيخ علي لا ينبغي لك أن تملأ فعاوى هؤلاء الكلاب وتلامس النجاسات فقال له الشيخ في أذنه وكذلك أقول لك أنا الآخر لا ينبغي لك أن تزني بامرأة جارك على قبة الفرن لما سرح زوجها بحصد من الغيط فتغير وجه الفقيه فقلت له مالك فقال أخبرني الشيخ بامر وقعت فيه بنواحي دمياط من منذ خمسين سنة وما كنت أعرف أن أحدا من الخلق اطلع عليه ثم اعتقد الشيخ من ذلك اليوم وتلمذ له وحصل له خير كبير * ومنها انه كان يرى في الليل والنهار معاريج أعمال الناس الى السماء على التعيين ودعوت مرة للامير محيي الدين بن أبي اصبع لما طال عليه الترسيم في القلعة فرأى الشيخ معراج دعائي في تلك الليلة للامير محيي الدين فارسل يقول لي من الفجر قد عجبت الليلة من دعائك في حق فلان وقد بقي عليه من مدة الترسيم خمسة شهور وسبعة أيام فكان الامر كما قال * ومنها انه كان يطلع على ما يصنعه الناس في بيوتهم من الرذائل فيقول لاحدهم يا فلان تب من كذا ولا تغتر بحلم الله عليك فان الحق تعالى غيور فربما حول النعمة عنك فقاسيت العذاب الاليم فيتوب ذلك الشخص الى الله تعالى * ومنها انه كان يعرف مدة ولاية الولاة ومتى تولى أحدهم ومتى يعزل في سائر أقطار الارض * ومنها انه كان يعرف مدة أعمار الخلائق فيقول يموت فلان في اليوم الفلاني فلا يخطئ أبدا ورأى مرة شخصا من جماعة القاضي شرف الدين الصغير ومعه كفن للشيخ عبد الله البتنوني وكان محتضرا في تربة يشبك الدوادار فقال له الشيخ ارجع بالكفن فانه بقي من عمره سبعة شهور فكان الامر كما قال وأصل ذلك ان مطمح بصر الشيخ كان اللوح المحفوظ يعني من المحو بخلاف غيره فان مطمح بصره ربما كان ألواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا فربما أخبر هذا عن شئ ثم انه يمحى بعد ذلك ثم ان السامع لم يسأل بعد ذلك عن المحو فربما أساء به الظن وظن انه يخبر عن غير حقيقة والحال أنه صادق في اخباره ولو أنهم كانوا سألوه بعد ذلك عن ذلك الامر لاخبرهم بمحوه ولكنهم لم يسألوه فهو صادق في الحالتين وأما من كان مطمح بصره اللوح المحفوظ فلا يصح مخالفة ما أخبر به أبدا * ومنها انه كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم و يخبر عنه بالامور المستقبلة في أوقات معينة فلا يخطئ أبدا من وباء أو قحط أو موت سلطان ونحو ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبره بنزول بلاء في وقت معين يتأهب لذلك بكثرة الاستغفار والبكاء والتضرع و يصير لا يأكل ولا ينام حتى ينقضي أمده وكان أولياء مصر اذا شكوا في نزول بلاء يرسلون أصحابهم اليه ينظرون هيئته في الجلوس في حانوته فان رأوا ظهره الى الشارع ووجهه لداخل حانوته أو وجدوه في داره يعلمون ان البلاء نازل * ومنها ما أخبرني به أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله ان الله أعطى سيدي عليا الخواص القدرة على استنباط جميع أحكام القرآن من الفاتحة وكذلك استنباط جميع أدلة المجتهدين منها بل أعطاه القدرة على تخريج جميع الاحكام الشرعية من أي حرف شاء من حروف الهجاء انتهى وهذا أمر ما بلغنا أنه حصل لاحد ممن تقدمه من الاولياء * ومنها أنه كان يعرف أولياء الاقطار كلها و يعرف أصحاب النوبة في كل قطر ومن تولى منهم ومن عزل وأخبرني ان درك بحر الهند مع الشيخ محيسن المجذوب ودرك بحر الروم مع الشيخ محمد الشربيني وانهم يحفظون ادراكهم المذكورة وهم في مصر انتهى وقد ذكرنا مناقبه في الطبقات * وأما بيان أدلة ذكر العلماء العاملين مناقبهم في كتاب والاعلان بها على رؤس الاشهاد فاقول وبالله التوفيق من جملة ذلك قول الملائكة عليهم السلام ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقول السيد يوسف عليه الصلاة والسلام للعزيز اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقول السيد داود عليه الصلاة والسلام وقول ولده سليمان عليه السلام الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقول سليمان عليه الصلاة والسلام أيضا علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وقول عيسى عليه الصلاة والسلام اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت الى آخر النسق وقول سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أنا أوّل شافع وأوّل مشفع وأنا أوّل من تنشق عنه الارض وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر اه وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم سيادته

لنفسك وقد جاء في الحديث من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين فاذا كان الحق سبحانه وتعالى قد رضي لهم أن يشغلهم ذكره عن مسئلته فكيف لا يرضى لهم أن يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفوسهم ومن عرف الله تعالى انسد عليه باب الانتصار لنفسه اذ العارف قد اقتضت له معرفته أن لا يشهد فعلا لغير معروفه فكيف ينتصر من الخلق من يرى الله تعالى فعالا فيهم فكيف يدع أولياءه من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه سلما واستسلموا لما يرد عنه حكما فهم في معاقل عزه تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شئ الا من ذكره و يقطعهم عن كل شئ الا عن حبه و يختارهم من كل شئ الا من وجود قربه ألسنتهم بذكره لهجة وقلوبهم بانواره بهجة وطن لهم وطنا بين يديه فقلوبهم حائمة في حضرته وأسرارهم محققة لشهود أحديته ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول ولي الله تعالى مع الله تعالى كولد اللبوة في حجرها أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله وقد جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان في بعض غزواته وامرأة تطوف على ولد لها رضيع فلما وجدته جنت عليه وألقمته الثدي

بيوم

بيوم القيامة لأن فيه تجتمع الأولون والآخرون فلا يكون أحد من بني آدم غائبا في ذلك اليوم وهو سيدهم كلهم وانما قال ولا فخر أي ليس سيادتي وفخري بعلو قدري وانما الفخر لي بالعبودية فافهم فما ذكر صلى الله عليه وسلم مثل ذلك الا تحدثا بالنعمة عليه لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (وقال بعض العارفين) لم يبلغنا ان أحدا من العارفين زكى نفسه رياء وسمعة وانما زكاها لغرض صحيح شرعي كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فأعلم أمته انه سيد ولد آدم وانه أول شافع وذلك ليريحهم من التعب في ذلك اليوم الشديد ومن ذهابهم الى نبي بعد نبي رجاء أن يشفع لهم وأرشدهم انهم يمكثون في مكانهم وينتظرونه حتى تأتيه النوبة ويقول أنا لها أنا لها فلا يذهب الى نبي بعد نبي من الناس الا من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ثم نسيه وكان في قول كل نبي قبله لست لها بيانا لشرف محمد صلى الله عليه وسلم وبيانا لعلو مقامه فهو أفضل الرسل على الاطلاق انتهى وعلم من هذا التقرير أنه لم يحوج شيخه من المريدين الى تزكية نفسه الا من هو جاهل بمقام شيخه ولو انه كان عالما بمقامه لم يحوجه الى الوقوع في تزكية نفسه فقصد الشيخ بقوله مثلا خذ مني هذا الكلام المحقق الذي لا تجده عند غيري ان المريد يأخذه باعتقاد واعتناء ولا يتهاون به وبالجملة فقد أمرنا الله تعالى بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر لم يكن خاصا به ومن التأسي به أن نتحدث بكل نعمة أنعمها علينا ولا نكتمها ولا نتحدث في سرائرنا بها بل نعلن بها على رؤس الاشهاد (وقد روى) الطبراني والبيهقي وغيرهما مرفوعا التحدث بالنعمة شكر زاد في رواية البيهقي وتركه يعني الشكر كفر وأخرج ابن جرير في تفسيره وغيره عن أبي نضرة الغفاري قال كان المسلمون يرون ان من شكر النعمة اظهارها والتحدث بها لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فتوعدهم على كفرهم بالنعمة بالعذاب الشديد وروى الطبراني مرفوعا من أعطى الشكر لم يحرم من الزيادة (وكان الحسن البصري) يقول في قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود أي يعد المصائب التي تصيبه وينسى التحدث بالنعم وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه انه سئل عن سبب سلب بلعام بن باعورا بعد تلك الآيات والكرامات فقال ان بعض الانبياء سأل ربه عن سبب ذلك فأوحى الله تعالى اليه انه لم يشكرني يوما على ما أعطيته ولو شكرني على ذلك مرة واحدة لما سلبته نعمتي ولكن جرى بذلك قضائي وتمت فيه ارادتي ومشيئتي (وروى) الديلمي وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر يوما فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي أحد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر انتهى (وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي) يقول لا يكمل شكر العبد حتى يرى نعمة ملوك الدنيا دون نعمته هو من حيث انهم مسخرون له وايضاح ذلك ان جميع من هو فوق مقام العبد من جملة نعم الله عليه كالانبياء والملوك فلولا الانبياء ما اهتدى ولولا الملوك ما أمن على نفسه وماله وحريمه فكل من هو فوقه ممن ذكر من جملة نعم الله عليه فكأنهم مسخرون له وهو الرئيس عليهم فافهم ومن هنا ورد سيد القوم خادمهم (وكان سفيان الثوري) يقول من لم يتحدث بالنعمة فقد عرضها للزوال وروى البيهقي في سننه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لا بأس أن يشتكي المريض الى بعض أصدقائه ما هو فيه من الألم كما انه لا بأس بأن يحدث الثقة من اخوانه بما فعله من الخير لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وكان عبد الله بن غالب التابعي الجليل يقول أعلنوا بأعمالكم الصالحة واذكروها لمن لا يعلم بها فان ذلك مما يرضي ربكم عز وجل وكان يقول للناس كثيرا صليت الليلة كذا وكذا ركعة وسبحت كذا وكذا ألف تسبيحة وتصدقت بكذا وكذا درهم فقال له شخص يوما ولو انك تخفي ذلك عن الناس لكان أفضل لك فقال له عبد الله ما لك لا تفقه أما تقرأ قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث لو أنك أمرتني باظهار أعمالي لكان أفضل لك ولي فان نعمة الله تعالى على العبد في دينه من أعظم النعم وهي أولى بالتحدث بالنعم الدنيوية كقولك ان الله تعالى أعطاني الليلة ألف دينار مثلا انتهى (وكان السري السقطي) يقول لا فرق بين قول العبد ان الله خلقني ورزقني وصورني وعلمني العلم والقرآن وجعلني مباركا وبين ان يقول أنا ولي الله وأنا من العلماء العاملين ونحو ذلك لأن كل مؤمن ولي لله تعالى قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ولا يخلو العالم قط من العمل بعلمه ولو في مسألة واحدة فيشكر

فنظر الصحابة اليها متعجبين فقال صلى الله عليه وسلم أن الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها ومن هذه الرحمة بر انتصار الحق لهم ومجازاته لأعدائهم اذ هم حيال أسراره ومعادن أنواره وقد قال الله سبحانه وتعالى الله ولي الذين آمنوا وقال تعالى أن الله يدافع عن الذين آمنوا فاعتبر ان مقابلة الحق سبحانه وتعالى لمن آذى وليا ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله تعالى ولأن الله سبحانه لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة أعدائه كما لم يرضها أهلا لاثابة أحبابه وان كانت معجلة فقد تكون قساوة في القلب أو جمودا في العين أو تعويقا عن طاعة أو وقوعا في ذنب أو فترة في الهمة أو سلب لذاذة خدمته وقد كان رجل من بني اسرائيل أقبل على الله تعالى ثم أعرض عنه فقال يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني فأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر ألم أسلبك حلاوة ذكري ولذاذة مناجاتي وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لانسان آذى وليا من أولياء الله تعالى بالسلامة اذا لم تر عليه محنة في نفسه وماله وولده فقد تكون محنة أكبر من أن يطلع العباد عليها وقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل وما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم فاعلم أن الفرائض

الله تعالى الذى جعله من العلماء العاملين ومن نفى عن نفسه الولاية والعلم مطلقا فقد قل شكره انتهى (وكان الامام الليث بن سعد) يقول أنا أعرف شخصا من منذ وعى على نفسه ما عصى ربه قط فكان أصحابه يتحدثون فيما بينهم انه يعنى بذلك نفسه لان أحدا لا يعرف ذلك من غيره الا بوحى من الله تعالى وغمز رجل قدم أبى العباس السيارى أحد رجال رسالة القشيرى فقال له أبو العباس اتغمز قدما ما مشى الى معصية لله قط (وكان الشيخ عبد القادر الجيلى) يقول قدمى هذه على رقبة كل ولى لله عز وجل يعنى من أهل عصره (وكان أبو القاسم الجنيد) يقول لا يكمل أحد فى مقام الشكر لله تعالى حتى يرى نفسه انه ليس باهل أن تناله رحمة الله عز وجل وانما رحمة الله تعالى له من باب المنة والفضل وكان الشيخ أبو عبد الله القرشى يقول صحبت ستمائة شيخ ثم وزنتهم فرجحتهم وكان أبو العباس المرسى يقول والله ما سارت الابدال من ق الى ق الا ليصادفوا رجلا مثلى يربيهم ويرقيهم الى مقامات الرجال وكان يقول والله لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة واحدة ما عددت نفسى من جملة المسلمين وكان يقول كثيرا والله لو علم أهل العراق والمغرب والشام ومصر ما تحت هذه الشعيرات ويشير الى لحيته من العلوم والاسرار لاتوها ولو سعيا على الوجوه وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يقول ما بقى بحمد الله عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده وانما ننظر فى كلام غيرنا لنعرف ما من الله به علينا دونهم بما هو فوق مقامهم فنشكر الله على ذلك (واخبرنى الشيخ على الشاذلى ربيب الشيخ أبى المواهب) قال سمعت سيدى أبا المواهب يقول كنت وأنا مريد أتكدر من مدح الشاذلية نفوسهم وأقول كيف ينبغى لفقير أن يزكى نفسه بين الناس حتى وصلت الى مقامهم الذى مدحوا منه نفوسهم فرأيت ان ذلك من أوجب الواجبات على العبيد وانه لا يكفى الانسان أن يشكر ربه فى نفسه فقط من غير لفظ وانما عليه أن يشيع ذلك بين العباد حتى يعلم به الخاص والعام فانه تعالى يحب من عباده أن يشكروه ويذكروا فضله واحسانه عليهم بين عباده ويصفوه بالجود والكرم والفضل انتهى ورأيت بخط الشيخ جلال الدين فى كتابه التحدث بالنعمة ما نصه أنا أعلم خلق الله الآن قلما وفما ثم قال فان اعترض علينا معترض قلنا له هذا موكول الى تخصيص العقل ذلك بعالم زماننا أو بلدنا أو اقليمنا لا غير وعلى ذلك حمل العلماء قوله تعالى فى بنى اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين وقالوا لا يدخل فى ذلك الانبياء ولا الملائكة قال الشيخ جلال الدين ولولا اعتبار هذه القاعدة التى ليس عنها براح لكان التلقيب بقاضى القضاة واقضى القضاة محرما غير مباح لانه شامل لكل نبى بل ولرب العالمين انتهى (وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى) يقول كثيرا لاصحابه اعلنوا بطاعاتكم اظهارا للعبودية كما يتظاهر غيركم بالمعاصى وعليكم بالاعلام للناس بما منحكم الله تعالى من العلوم والمعارف فهذه بعض نقول من كلام السلف الصالح تؤذن بان العلماء والصالحين ما مدحوا انفسهم فخرا ورياء حاشاهم من ذلك وانما بنوا أمرهم فى ذلك على قواعد صحيحة واغراض شرعية فاياك يا أخى ان تبادر الى الانكار على أحد من العارفين اذا مدح نفسه وتحمله على الاغراض النفسانية بعد اطلاعك على هذه الادلة والنقول التى ذكرناها وعليك بحملهم على أحسن المحامل وقد مدح الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه بقوله أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول عليكم بالاعلان بما تفضل الله به عليكم فان الله تعالى يستحى من عبده اذا قال أعطانى الله كذا وكذا أن يسلب منه ذلك لئلا يخجله بين عباده وسمعته أيضا يقول التحدث بنعمة الله تعالى من غير فتنة ولا اغراض نفسانية خاص بالاكابر من الاولياء فى كل عصر بخلاف غير العارفين فربما دخل الرياء على أحدهم فى تحدثه بما أنعم الله به عليه انتهى قلت وايضاح ذلك ان للعبد فى اظهار اعماله ثلاث حالات احداها أن يظهر اعماله رياء وسمعة كما هو شان بعض العوام والعباد الذين ليس لهم شيخ يربيهم ويرقيهم الى مقام توحيد الافعال لله رب العالمين أو لم يحفهم توفيق فان من وصل الى مقام توحيد الافعال لله ذهب عنه الرياء والسمعة والعجب والكبرياء باعماله جملة واحدة كما سيأتى الاشارة اليه فى مواضع من هذا الكتاب لانه حينئذ يرى الفعل لله وحده لا شركة له فى الفعل الا بقدر نسبة التكليف لا غير ومعلوم ان أحدا لا يرائى الا بما يشهده فعلا له وأما ما يراه فعل غيره فلا يصح له الرياء به أبدا

التى اقتضاها الحق سبحانه وتعالى من عباده على قسمين ظاهرة وباطنة فالظاهرة الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبر الوالدين الى غير ذلك والباطنة العلم بالله والحب له والتوكل عليه والثقة بوعده والخوف منه والرجاء فيه الى غير ذلك وهى أيضا تنقسم على قسمين فعل وترك شئ اقتضى الحق منك ان تفعله وشئ اقتضى الحق منك أن لا تفعله وقد جمع ذلك فى آية واحدة قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى فهذا أمر طلب منك ان تفعله ثم قال تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فهذا أمر اقتضى منك ان تتركه ثم اعلم رحمك الله تعالى ان الله تعالى لم يامر العباد بشئ وجوبا أو يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم فى فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شئ تحريما أو كراهة الا والمصلحة لهم فى تركه أمرهم بتركه وجوبا أو ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب عليه رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشريعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل المنة والفضل فليت شعرى اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده

لان

لان الناس يكذبونه كما في العارفين بالله يكذبونه اذا رأى الفعل لنفسه حقيقة وهذا هو مذهب الجبرية بعينه فان الجبرية قوم وصلوا بالعقل الى مقام توحيد الافعال لله وحده ولم يصلوا الى مقام الكمل في اضافتهم الافعال الى الخلق فاخطؤا الشرائع من اضافتها الافعال الى العباد بنحو قوله تعالى يعملون يفعلون يكسبون فلذلك ذمهم أهل السنة لكون ذلك يؤدي الى أن الله تعالى يؤاخذ العبد بما ليس من كسبه ولا من فعله جملة واحدة ولا يخفى ما في ذلك من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى وان كان الحق من مرتبته أن يفعل ما يشاء وله مؤاخذة من لم يذنب لكن لم يفعل ذلك بل رتب الاسباب والمسببات وهذا المذهب وان كان يدخله الخطأ فهو أحسن من مذهب المعتزلة على كل حال لتأييده بنحو قوله تعالى الله خالق كل شئ ونحو قوله والله خلقكم وما تعملون ولم يأت لنا شرع بان العبد يخلق افعال نفسه استقلالا بغير اذن من الله أبدا فافهم فعلم ان من كمال ايمان العبد أن يشهد العمل لله تعالى ايجادا وللعبد اسنادا كما سيأتي ان شاء الله تعالى في الحالة الثالثة * ثانيها يعني الاحوال أن يحس من نفسه شهود اخلاص العمل لله تعالى خلقا لا شركة لغير الله فيه من غير أن يتمكن في المقام فهذا يخاف على نفسه من اظهار اعماله للناس كما يخاف من أنها تحبط لرائحة اعتماده عليها دون الله تعالى كما هو شأن العباد سلفا وخلفا فهذا لا يقدر على اظهارها * ثالثها يعني الاحوال ان يحس بنفسه يقينا الخلاص من الرياء بالكلية بحين تمكن من حقائق التوحيد فهذا لا يخاف من اظهار شئ من عمله لانه يشهده لله تعالى وحده كما يشهد ذاته خلقا لله تعالى على حد سواء فكما انه لا يقدر على شئ من كون ذاته خلقا لله تعالى وحده كذلك لا يقدر على أن يصف شيأ من اعمال نفسه لنفسه بل يراها لله رب العالمين ما عدا نسبة التكليف ثم اذا انتفى المحظور وأخلص العبد عمله لله رب العالمين لا شريك له فحينئذ يؤمر باظهار كل ما أجراه الله تعالى على يديه من الاعمال وكساه له من الاخلاق اعترافا له بالنعمة وهذا هو حقيقة الشكر التي ينتهي اليها الصديقون فان جميع الاعمال التي يرى العبد ان يشكر الله بها من جملة نعمه عليه أيضا فصاحب هذا المشهد يرى نفسه كالآلة الفارغة التي يحركها المحرك على الفارغ ويرى نفسه عبدا غارقا في فضل سيده ونعمته سداه ولحمته نعم فعلم انه يجب على صاحب هذا المقام اظهار جميع نعم الله عليه والتحدث بها وان ذلك أفضل في حقه من الاسرار بها لعدم خوفه على نفسه من آفات الاظهار وعلم أيضا أن كل من لم يصل الى هذه الحالة الثالثة ذوقا وتحققا فكتمان الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة في حقه واجب أو أولى خوفا عليه من دخول الآفات وأما شهوده نسبة العمل له من حيث التكاليف فلا يقدح حينئذ في هذا المقام لانه أمر لا بد منه وقد أجمع أهل التوحيد على انه لا يقدح في توحيد العبد شهوده نسبة الفعل اليه كما أشار اليه بنحو قوله تعالى واياك نستعين فافهم وبما قررناه يعلم أن من قال ان اخفاء الاعمال أولى مطلقا أخطأ أو اظهارها مطلقا أفضل أخطأ ومن فصل في المسئلة فقد أصاب (وسمعت) سيدي عليا الخواص يقول الناس في اظهار الاعمال واخفائها على أقسام فمنهم من علانيته أفضل من سريرته ومنهم من تساوت سريرته وعلانيته ومنهم من رجحت سريرته في الخير على علانيته ومنهم من غاب عن ذلك كله فالاقسام الثلاثة الاول قد يطرق صاحبها الرياء والسمعة لشهوده الترجيح بخلاف من غاب عن ذلك كله أي عن التقييد بشئ من هذه الاقسام الثلاثة بحكم اختياره الطبعي بل بحكم الاختيار الشرعي فيكون فانيا الاختيار في اختيار الحق تعالى فان رجح الشرع اظهاره رجح هو اظهاره والا فلا قال وعلى هذه الحالة الرابعة يحمل حديث الاخلاص سر من أسراري أودعه قلب من شئت من عبادي لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شيطان غوي أو ما هذا معناه انتهى (وقد أجمع) الاشياخ على أن من شهد في نفسه الاخلاص احتاج اخلاصه الى اخلاص (وقد سمعت) سيدي عليا الخواص يقول ارجح الناس ميزانا يوم القيامة من كان في اعماله كالدابة الحمالة لا تعلم بنفاسة ما هي حاملته ولا بخسته ولا تعلم هو ولمن ولا تطالب مع ذلك أجرا وهي مع ذلك صابرة على ثقل ما حملت منكسة الرأس لا تدري أين تذهب انتهى وفي كلام ابن عطاء الله ادفن نفسك في أرض الخمول فان ما نبت من الحب من غير دفن لا يتم نتاجه يعني لعدم تمكنه لان الرياح ربما عصفت فقلعت عروقه من الارض فمات بخلاف ما دفن فان نباته يشق الارض ويخرج فلا تزعزعه الرياح فعلم مما قررناه ان

فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فرأينا كل مامور به أو مندوب اليه يستلزم الجمع على الله تعالى وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله تعالى من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها والمعصية هي أسباب التفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها وأما الفرائض الظاهرة فلا تنفك عن فروض باطنة والفرائض الباطنة شروطها وعمدة لها وبين الفروض الظاهرة والباطنة ما بين الظاهر والباطن وانهم ههنا قوله عليه الصلاة والسلام نية المؤمن خير من عمله وكذلك الذنوب الباطنة كبائرها وصغائرها أشد من الذنوب الظاهرة كبيرها وصغيرها ولما كانت الفرائض اقتضاها الحق من عبده اقتضاء الزام حتمه عليه لم يدخل العبد فيها الا باختيار الله تعالى له فاندفع هوى العبد فيها لان الله سبحانه وتعالى وقت أعدادها وامدادها وأسبابها فلما كان ذلك كان قيام العبد فيها منقطعا عن اختياره لنفسه راجعا الى اختيار الله تعالى له فاوجبت القرب من الله تعالى ما لم يوجبه غيرها فلذلك قال ما تقرب الي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ثم قال وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى

من يخاف محظورا من اظهار اعماله فكتمانه لها أولى كما مر ومن كان قصده باظهارها اقتداء الاخوان به أو اظهار فضل الله تعالى وكرمه عليه أو غير ذلك من النيات الصالحة فلا حرج عليه في اظهارها (وسمعت) سيدى عليا الخواص يقول اذا علم العبد كشفا ويقينا انه عبد مستحق للعقوبة وان جميع ما عنده من الكمالات من فضل سيده عليه عارية عنده ليس له منها شئ جاز له الاعلان بالنعم والتحدث بها على رؤس الخلائق لانه لا يرى له بها فخرا على أحد من خلق الله تعالى انتهى وهذا مشهدى الآن بحمد الله تعالى كما سيأتى بسطه آخر الخاتمة ان شاء الله تعالى فانى والله ثم والله أرى نفسى فى بعض الاحيان قد استحقيت الخسف بى من سنين لولا فضل الله تعالى وحلمه على ثم والله لا أرى أحدا على وجه الارض أكثر اقتحاما للمعاصى منى ولا أقل حياء منى ولو أن أحدا من المعتقدين فى أقام لى الادلة على ضد ذلك ما أصغيت اليه وكثيرا ما أشهد أن جميع ما يقع على مصر وقراها من البلاء انما هو بسبب ذنوبى وحدى وان ذنوب غيرى كلها مغفورة لا أتعقل غير ذلك فيصير جسمى ذائبا كالذى شرب رطلا من السم وهذا أمر لا يذوقه الا أهل هذا المقام كما سيأتى بسطه فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى و والله ثم والله انى أود أن يكون لى ذوات وجوارح بعدد ذوات الوجود وكل ذات وجارحة تفعل فعل اخوانها وتعبد الله بعبادة أهل السموات والارض اضعافا مضاعفة من افتتاح الوجود الى انتهائه ثم مع ذلك لا أرى نفسى تستحق ذرة واحدة مما تفضل الله تعالى به على فى الدنيا والآخرة بل أرى انى لو عبدت الله تعالى بعبادة الثقلين الى يوم الدين لا أرى انى قمت بشكره تعالى على تمكينى أن أقف بين يديه خلف كل عاص على وجه الارض ولو غافلا عنه وكيف أقوم بذرة من شكره وهو خالق لذاتى ولاعمالها فما بقى شكر للعبد الا بالاعتراف بالنعم لا غير فافهم و والله ثم والله انى لم أقصد بذكرى لاخلاقى ومناقبى فى هذا الكتاب فخرا على الاخوان وانما قصدت بذلك اقتداءهم بى فى تحصيلها والتخلق بها بعد ان سمعت بعضهم مرارا عديدة يستغرب قيام أحد بهذه الاخلاق ويقول ما بقى أحد من فقراء هذا الزمان يصلح أن يقتدى به فى شئ من أخلاق القوم لعدم تخلقه بها (ووقع لى) مرة انى قلت لواحد من اخوانى أحب لك أن تزهد فى الدنيا فقال حتى أجد من يزهد فيها فأتبعه فلما سمعت مثل ذلك من الاخوان من ظنهم ان أخلاق القوم قد فقدت بالكلية أبرزت لهم نبذة من أخلاق المريدين التى من الله تعالى بها على أوائل صحبتى للقوم رجاء ان أحدا يتبعنى على ذلك وقطعا لحجة الكسالى اذ الداعى الى خيرات لم يكن فاعلا به فدعاؤه ناقص وان كان ذلك ليس بشرط فيه فان لسان حال المدعو يقول للداعى انصح أنت نفسك ورب ما صرح بذلك بالقال فلذلك صرحت فى هذا الكتاب بامور كان الاولى لنا كتمها لولا الامر لى باظهارها ولولا اقامة الحجة علينا من المدعوين فانهم اذا رأونا متخلقين بما ندعوهم اليه اذعنوا لكلامنا ضرورة وان لم يعملوا به وكذلك لم أقصد بقولى فى كثير من الاخلاق وهذا الخلق لم أر له فاعلا الفخر على الاخوان وانما أقصد به بيان عزته ليلتفت الاخوان بالهم الى الاهتمام به لتحصيله والتخلق به لا غير ومعاذ الله أن أؤلف كتابا وأهديه الى حضرة الله عز وجل وهو مشتمل على ذنب ابليس الذى أخرج به من الحضرة وطرد ولعن مع انى بحمد الله قد خرقت ببصيرتى الى الدار الآخرة وشهدت يوم الحساب وعرفت بميزان الشريعة من هذه الدار ما يصح ان يقبل من الاعمال وما يرد وصار ذلك عندى كأنه رأى عينى فاياك أن تظن فى أنى وضعت هذا الكتاب على غفلة عن شهود الآخرة وأحوالها فانى انما وضعته عن حضور وأرجو من فضل الله دوام الحضور والشهود الى طلوع روحى وما ذلك على الله بعزيز والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الاول فى أمور يجب عند أئمة الطريق فعلها قبل طلب طريق القوم وذلك
حتى لا يصير عند الطالب التفات الى غيرها ويجمعها كلها التبحر فى العلوم
الشرعية ثم المجاهدة للنفس على يد شيخ صادق وما زاد على ذلك فهو
من التوابع والكمالات كما ستراه ان شاء الله تعالى)

((فمما من الله تبارك وتعالى به على من فضله)) شرف نسبى وان كان ذلك لا ينفع الا مع التقوى غالبا فقد يقع

أحبه فاعلم ان النوافل هى الزيادة ولذلك يسمى النفل نفلا وهو ما ينفله الامام لمن يراه زائدا على نصيبه من الغنيمة قال الله سبحانه وتعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى زيادة لك من فضلنا على ما اقتضته الفرائض لك واعلم انه سبحانه وتعالى لم يوجب شيأ من الواجبات غالبا الا وجعل من جنسه نافلة حتى اذا قام العبد بذلك الواجب وفيه خلل جبر بالنافلة التى هى من جنسه ولذلك جاء فى الحديث انه ينظر فى صلاة العبد فان قام بها كما أمره الله تعالى جوزى عليها وأثبتت له وان كان فيها خلل كملت من نافلته حتى قال بعض أهل العلم انما تثبت لك نافلة اذا سلمت لك الفريضة ولما علم الله تعالى ان فى عباده المؤمنين أقوياء وضعفاء كما جاء فى الحديث المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير فسمح على الضعفاء بالاكتفاء بالواجبات وفتح للاقوياء باب نوافل الخيرات فعباد انهضهم الى القيام بالواجبات خوف عقوبته فقاموا لها تخليصا لانفسهم من وجود الهلكة وملاقاة العقوبة فما قاموا لله تعالى شوقا وطلبا للوفاء مع ربوبيته فلو قوبلوا بالمحاققة لم يقبل منهم قيامهم هذا لانهم لم ينهضوا الا لاجل

غيره

غيره تفضلا من الله تعالى في الجلة كما أشار اليه بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا فلولا أن يكون والدهما صالحا ما دخلا في هذه النعمة وما كان للتصريح بصفة الصلاح فيه كبير فائدة فأنا أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء ملوك الدنيا بحمد الله تعالى فاني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن احمد بن على بن احمد بن على بن محمد بن زوفا ابن الشيخ موسى المكنى في بلاد البهنسا بأبي العمران جدى السادس ابن السلطان احمد ابن السلطان سعيد ابن السلطان قاشين ابن السلطان محيا ابن السلطان زوفا ابن السلطان ريان ابن السلطان محمد بن موسى ابن السيد محمد بن الحنفية ابن الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه لكن رأيت في نسبتنا القديمة اسمين مطموسين قبل السيد محمد لا أدرى من هما وكان جدى السابع الذى هو السلطان أحمد سلطانا بمدينة تلمسان في عصر الشيخ أبي مدين المغربي رضى الله عنه ولما اجتمع به جدى موسى قال له الشيخ أبو مدين لمن تنتسب قال والدى السلطان أحمد فقال له انما عنيت نسبك من جهة الشرف فقال أنتسب الى السيد محمد بن الحنفية فقال له ملك وشرف وفقر لا يجتمعن فقال له يا سيدى قد خلعت ما عدا الفقر فرباه فلما كمل في الطريق أمره بالسفر الى صعيد مصر وقال له اسكن بناحية هو فان بها قبرك فكان الامر كما قال رضى الله عنه فالحمد لله رب العالمين

«ومما من الله تبارك وتعالى به على» وأنا صغير ببلاد الريف حفظ القرآن وأنا ابن ثمان سنين وواظبت على الصلوات الخمس في أوقاتها من ذلك الوقت فلا أتذكر انني أخرجت صلاة عن وقتها الى وقتي هذا الا نسيانا مرة واحدة فنسيت الظهر في طريق الحجاز حتى دخل وقت العصر من غير نية تأخير وكثيرا ما كنت أصلى بالقرآن كله في ركعة وأنا دون البلوغ فالحمد لله رب العالمين

«ومما من الله تبارك وتعالى به على» وأنا دون البلوغ انني عمت بحر النيل أيام الوفاء فتعبت ونزلت في قعر البحر لاموت فارسل الله تبارك وتعالى لى تمساحا فوقف تحت رجلى حتى استرحت وكنت أحسبه حجرا حتى شرع ثم عام حولى يساندنى حتى وصلت الى ساحل البحر الآخر ثم غطس وهذا من جملة نعم الله على مع كونى اذ ذاك صغيرا لا أعرف طريق معاملته فعاملنى باللطف من التلف بالمتلف وذلل هذا الوحش تحت رجلى حتى استرحت وكذلك تعرض لى بعض الفسقة بكلام فاحش فابتلاه الله تعالى بالجذام بعد سبعة أيام حتى صار الناس يتقذرونه الى أن مات وكذلك تعرض لى شخص آخر فسافر الى الروم فاسره الفرنج وتنصر عندهم ووقائعى في مثل ذلك كثيرة مع انى كنت يتيما من الابوين فكان الحق تعالى هو وليى وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

«ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على» ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرتى من بلاد الريف الى مصر ونقله تعالى لى من أرض الجفاء والجهل الى بلد اللطف والعلم وقد أشار الى نحو ذلك السيد يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو فذكر أن مجىء اخوته من البدو من جملة احسان الحق تعالى اليه واليهم بحكم التبعية فكأنه عليه الصلاة والسلام أثنى على الحق تعالى بما فعله مع اخوته ومعه وفى الحديث مرفوعا من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وكان مجيئى الى مصر افتتاح سنة احدى عشرة وتسعمائة وعمرى اذ ذاك ثنتا عشرة سنة فأقمت في جامع سيدى أبي العباس الغمرى وحنن الله تعالى على شيخ الجامع وأولاده فكنت بينهم كأنى واحد منهم آكل مما يأكلون وألبس مما يلبسون فلا يجازيهم عنى الا الله تعالى فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها وحللتها على الاشياخ ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصى معتقدا عند الناس يعرضون على كثيرا من الذهب والفضة والثياب فتارة أردها وتارة أطرحها باحة في صحن الجامع فيلتقطها المجاورون وكنت كثيرا ما أطوى الايام وأنا دون البلوغ تعففا عما في أيدى الناس وخوفا من هوانى في أعينهم كما سيأتى بسط ذلك في نعمة مجاهدتى لنفسى بلا شيخ ان شاء الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

«ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على» حفظ متون الكتب فحفظت أولا أبا شجاع ثم الآجرومية في بلاد الريف وحللتهما على أخى الشيخ عبد القادر بعد وفاة والدى ثم لما جئت مصر حفظت كتاب المنهاج للنووى ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقى ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد

نفوسهم ولم يطلبوا الا حظوظهم فقاموا بالواجبات لله تعالى مجرورين بسلاسل الايجاب كذلك جاء في الحديث عجبت ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل وأما العباد الآخرون فعندهم من غليان الشغف ووجود الحب ما ليس تكفيهم الواجبات بل قلوبهم منفلتة الى الله تعالى من عوائق هذه الدار فلو لم يحجر عليهم التنفل بالصلوات في أوقات النهى لسرمدوا الاوقات بها ولحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون ومما يدلك ان الناس انقسموا على هذين القسمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث بادروا بالاعمال سبعا هل ينظر أحدكم الا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مقعدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر فهذا الحديث يقتضى انهاض الهمم الى معاملة الله تعالى والحث على المبادرة الى طاعة الله تعالى ومسابقة العوارض والقواطع قبل ورودها فهذا خطاب للفريق الاول فطالبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة بالاعمال وجاءت أحاديث أخر آمرة للعباد بالاقتصاد في الطاعة لئلا يطيعوا باعث الشغف فيحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون فيؤدى

بن هشام وغير ذلك من المختصرات وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ ثم ارتفعت الهمة الى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه أجمع كتاب فى مذهب الامام الشافعى فحفظت منه الى أثناء باب القضاء على الغائب أواخر الكتاب فلقينى بعض أرباب الاحوال بباب الخرق خارج باب زويلة فقال لى مكاشفا قف على باب القضاء على الغائب ولا تقض على غائب بشئ انتهى فما قدرت بعد ذلك على حفظ لوح واحد منه لكنى طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة وكنت أقرأ محفوظى للمتن فى الشرح وأنظر كل شئ توقفت فى فهمه حتى صار شرحه للشيخ زكريا عندى نصب عينى كما سيأتى بيانه فى النعمة بعد ثم لقينى الشيخ أحمد البهلول رضى الله عنه فقال لى مكاشفا أقبل على الاشتغال بالله ويكفيك من العلم ما قد علمته فشاورت فى ذلك مشايخى فقالوا لا تدخل طريق القوم الا بعد شرح محفوظاتك كلها على الاشياخ فاذا فهمتها وتبحرت فيها فعليك بطريق القوم وكان أشياخى كلهم من الجامعين بين العلم والعمل والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) شرحى لمحفوظاتى السابقة على المشايخ الذين عرضتها عليهم وهم نحو خمسين شيخا ذكرنا مناقبهم فى كتاب الطبقات فقرأت على الشيخ أمين الدين الامام والمحدث بجامع الغمرى شرح المنهاج للجلال المحلى وكان أعرف أشياخى بنكت هذا الشرح لكونه قرأه على أعيان طلبة الشيخ جلال الدين كالفخر المقسى والشمس الجوجرى والشمس ابن قاسم وكنت أطالع على درسى هذا القوت للاذرعى والقطعة والتكملة للاسنوى والزركشى والقطعة للسبكى والعمدة لابن الملقن وشرح ابن قاضى شهبة وشرح الروض للشيخ زكريا واكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين والصق فيه أوراقا حتى ربما تصير الحواشى أكثر من الكتاب ثم أقرؤها كلها عليه وذلك كله لضيق يدى عن شئ أشترى به هذه الكتب وقرأت عليه أيضا شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين وحاشية الشيخ كمال الدين بن أبى شريف كاملا وكان قد قرأها على مؤلفها وقرأت عليه أيضا شرح ألفية العراقى للجلال السخاوى ويقال انه للحافظ ابن حجر ظفر به السخاوى مسودة فى تركة الحافظ ابن حجر أو غيره فضبطه وبيضه وأبرزه للناس وقرأت عليه أيضا شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل وكنت أطالع عليها شرحها للاشمونى والبصير وشرح التوضيح للشيخ خالد وشرح المكودى وشرح ابن المصنف وشرح ابن أم قاسم وشرح الشواهد للعينى واكتب زوائد هذه الشروح على ابن عقيل ثم أقرؤها كلها وقرأت عليه أيضا الكتب الستة فى الحديث والغيلانيات ومسند عبد بن حميد وكتبا كثيرة وأجازنى بجميع مروياته وكان له السند العالى أخذ عن الحافظ ابن حجر وغيره وقرأت على الشيخ الامام العلامة شمس الدين الدواخلى رضى الله عنه هذا الشرح المذكور آنفا وطالعت عليه الكتب المذكورة بعد الشيخ أمين الدين وكان فقيها صوفيا أصوليا نحويا محققا للابحاث وقرأت عليه أيضا شرح الارشاد لابن أبى شريف وكنت أطالع عليه شرح البهجة الكبير للشيخ زكريا وشرح الارشاد للجوجرى والقوت للاذرعى والتوسط والفتح له أيضا وقرأت عليه أيضا شرح الروض الى أثناء باب الجهاد فحصل لى مرض فلم أتمه عليه لكنى أتممته على غيره وكنت أطالع على هذا الشرح كتاب الخادم وكتاب القوت وجميع المواد التى استمد منها شارحه وكنت أتتبع نقوله بذكر سوابق الكلام ولواحقه وألحق ذلك بالشرح حتى ان حواشى هذا الشرح صارت أكثر من الشرح وكان يتعجب من سرعة مطالعتى لهذه الكتب وكتابة زوائدها ويقول لولا انك تلخص زوائدها لقلت انك لم تلحق تطلع على بعضها وقرأت عليه أيضا شرح الالفية لابن المصنف وشرح التوضيح للشيخ خالد وكتاب المطول بحواشيه وشرح ألفية العراقى للمصنف وللسخاوى وكتاب شرح جمع الجوامع بحاشيته لابن أبى شريف وغير ذلك وقرأت على الشيخ شمس الدين السمانودى المفتى والخطيب بجامع الازهر كان نحو النصف من شرح المنهاج للمحلى ثم مات رحمه الله رحمة واسعة وقرأت على الشيخ الامام العلامة شهاب الدين المسيرى قطعة من شرح جمع الجوامع ونحو النصف من شرح المنهاج للجلال المحلى ثم مات وقرأت على الشيخ الامام المحقق الشيخ نور الدين المحلى شرح جمع الجوامع بحاشيته وكثيرا ما كنت اقرأ عليه الشرح والحاشية من ذهنى وهو يمسك على الاصلين فيتعجب من جودة حفظى وتوقيعى

ذلك الى عجزهم عن طاعة الله تعالى أو قيامهم فيها بوجود التكاسل وقال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وقال القصد القصد تبلغوا وقوله ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق وقوله ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى ومثل القائم بالواجبات المكتفى بها والقائم بها وبالنوافل كمثل عبدين خارجهما المالك على أربعة دراهم كل يوم فاما أحدهما فقام بها ولم يزد وأما الآخر فقام بها وعمد الى طرف الفواكه وغرائب التحف فاشتراها واهداها الى السيد فهو لا شك أولى بود السيد من العبد الآخر وقوله فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث معناه وجود البقاء بعد الفناء فتمحى أوصافك وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول ان لله تعالى عبادا محق أفعالهم بافعاله وأوصافهم باوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره ما تعجز عامة الاولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات فهى اذن فناآت ثلاث أن يفنيك عن أفعالك بافعاله وعن أوصافك باوصافه وعن ذاتك بذاته ولذلك قال قائلهم

وقوم تاه فى أرض بقفر * وقوم تاه فى ميدان حبه

الحاشية على الشرح مع صغر سني وقرأت عليه أيضا شرح العقائد للتفتازاني وحاشيته لابن أبي شريف عليه وشرح المقاصد وكتاب سراج العقول لأبي طاهر القزويني وهو كتاب نفيس مشتمل على أربعين مسألة من مشكلات علم الكلام عقد لكل مسألة بابا جمع فيه نقول المتقدمين والمتأخرين وما رأيت في علماء الكلام أطول باعا منه وقرأت على الشيخ نور الدين الجارحي المدرس بجامع الغمري رحمه الله شرح ألفية العراقي للمؤلف وشرح الشاطبية لابن القاصح والسخاوي صهر الشاطبي وقرأت على الشيخ الامام العلامة الشيخ نور الدين السنهوري الضرير الامام بجامع الازهر عدة كتب منها شرح الشذور ومنها نظمه للآجرومية وشرح نظمه لها وشرح الالفية للمكودي وغير ذلك وقرأت على الشيخ الامام المحقق المفنن في العلوم ملا علي العجمي بباب القرافة عدة كتب في الفقه والنحو وقرأت على الشيخ جمال الدين الصاني قطعة من المنهاج وقطعة من الالفية في نحو شهر ثم مات وقرأت كذلك على كل من الشيخ عيسى الاخناي والشيخ شمس الدين الدروطي والشيخ شمس الدين الدمياطي الواعظ صاحب البرج بدمياط قطعة من شرح المنهاج وقطعة من شرح الالفية في النحو ثم مات وقرأت على الشيخ العالم الصالح المحدث المقرئ الشيخ شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري غالب شرحه على البخاري وقطعة من المواهب اللدنية وقرأت على الشيخ محلي رحمه الله قطعة من شرح المنهاج للجلال المحلي صحبة قراءة الشيخ أبي الحسن البكري عليه ثم مات رحمه الله تعالى وقرأت على الشيخ صلاح الدين القليوبي قطعة من شرح جمع الجوامع ثم مات ولم أكمله عليه وقرأت على الشيخ العالم العلامة نور الدين بن ناصر نحو ثلاثة أرباع المنهاج وكان أحفظ الناس بنقول المذهب كأن المذهب نصب عينه وقرأت على الشيخ نور الدين الاشموني قطعة من المنهاج وقطعة من ألفية ابن مالك ونظمه لجمع الجوامع ثم مات وقرأت على الشيخ سعد الدين الذهبي شرح ألفية العراقي للمؤلف وقرأت قطعة من شرح المنهاج للمحلي مع مطالعة كتاب القوت وكتاب الخادم ومراجعته في المشكلات وقرأت على شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الشيشيني الحنبلي قطعة من تفسير البغوي الى أواخر البقرة ثم مات سنة ثمان عشرة وتسعمائة وقرأت على شيخ الاسلام الشيخ برهان الدين القلقشندي قطعة من المنهاج وقطعة من ألفية ابن مالك ومسند عبد بن حميد والغيلانيات ثم مات وكان عالي السند في الحديث وقرأت على شيخ مشايخ الاسلام الشيخ زكريا شرحه لرسالة القشيري كاملا وشرحه لمختصر المزني ولم يكمله وشرح آداب البحث وشرح التحرير وشرح الروض الى أثناء باب الجزية وشرح مختصره لجمع الجوامع مع حاشيته على شرح الجلال المحلي وقرأت عليه تفسير البيضاوي كاملا ونشأ من قراءتي عليه حاشيته التي وضعها عليه وغالبها بخطي وخط ولده الشيخ جمال الدين وذلك بعد أن كف بصره وطالعت له حاشية الطيبي على الكشاف وحاشية الشيخ سعد الدين وبعض حواش كحاشية الشيخ جلال الدين السيوطي والبابوني وغير ذلك ولما شرح البخاري كنت أطالع له حال التأليف فتح الباري وشرح العيني وشرح البرماوي وشرح الكرماني وشرح القسطلاني حتى صار غالب هذه الشروح نصب عيني من كثرة مطالعتها له وتكرار الكلام حتى يأخذ منه المعنى الذي يضعه في شرحه ولما قرأت عليه شرح الروض كنت أطالع عليه شرح المهذب والخادم والقوت وشرح المنهاج والمطلب والكفاية لابن الرفعة وتتبعت جميع المواد التي استمد منها في شرحه ونبهته على اثني عشر موضعا ذكر في شرحه أنها من زوائد الروض على الروضة والحال أنها مذكورة في الروضة في غير أبوابها فاضرب على كونها زائدة ونبه على أنها مذكورة في غير أبوابها ثم اني رأيت الزركشي نبه على هذه المواضع في كتابه خبايا الزوايا ففرح بذلك رضي الله عنه وكان أعظم أشياخي في العلم والعمل والهيبة ولازمته عشرين سنة فكأنها من طيبها كانت جمعة وكان في بعض الاوقات يقول لي هلا تذهب بنا الى بحر النيل نشم الهواء فأقول له ياسيدي مجالستكم عندي أعظم من شم الهواء فيفيدني وحكى لي مرة أن يحيى بن يحيى الاندلسي جالس الامام مالكا سنين فمر يوما الفيل فقام الطلبة يتفرجون عليه فقال له الامام مالك أما تنظر الى الفيل فانه ليس في بلادكم فقال ياسيدي أنا ما رحلت من بلادي لا تفرج على الفيل وانما رحلت اليك لانظر الى أفعالك وأقوالك وأهتدي بهديك فأعجب مالكا ذلك وسماه عاقل أهل الاندلس انتهى رضي الله تعالى عنه

فافنوا ثم أفنوا * وأبقوا بالبقا من قرب قربه فاذا أفناك عنك أبقاك به فالفناء دهليز البقاء ومنه يدخل اليه فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه ومن كان عما سوى الله تعالى فناؤه كان بالله تعالى بقاؤه ولذلك قالوا من كان في الله تعالى تلفه كان على الله تعالى خلفه فالفناء يوجب عذرهم والبقاء يوجب نصرهم الفناء يوجب غيبتهم عن كل شئ والبقاء يحضرهم مع الله تعالى في كل شئ فلا ينقطعون عنه في شئ الفناء يميتهم والبقاء يحييهم ومن دكت جبال وجوده استمع داعي شهوده قال الله سبحانه وتعالى ويسألونك عن الجبال الآية الى همسا وصاحب البقاء يقوم عن الله تعالى وصاحب الفناء يقوم الله تعالى عنه وقوله وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه اعلم رحمك الله تعالى ان التردد يجب تأويله ولا يحمل على ظاهره وانما التردد في المخلوقين اما لتقابل الحوادث واما لانبهام العواقب وذلك محال في حق الحق سبحانه وتعالى وانما المراد بالتردد ههنا ان سابق علم الله يقتضي وفاة العبد بالوقت الذي سبق العلم بتعيينه وصفة الرأفة تقتضي دفع ذلك لولا ما سبق العلم وقد أشار سبحانه وتعالى الى صفة الرأفة بقوله يكره

وأرضاه وقرأت على الشيخ الامام المحقق علامة الزمان الشيخ شهاب الدين الرملي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب نعمته الهامعة كتاب الروضة من أولها الى أثناء كتاب الجراح لحصل لى رمى دم فلم أكمله عليه وكنت أطالع على كل درس قرأته عليه كتاب القوت وكتاب الخادم وكتاب شرح الروض للشيخ زكريا ولابن سولة والمطلب والمهمات والكفاية لابن الرفعة وشرح المهذب والرافعي الكبير والقطعة والتكملة وشرح ابن قاضي شهبة على المنهاج وشرحى الارشاد للجوجرى ولابن أبي شريف وشرح البهجة للشيخ زكريا وأكتب زوائد هذه الكتب على الحواشي وربما ألصق فيها أوراقا حتى تصير الحواشي أكثر من ألفاظ الاصل ثم أقرؤها كلها عليه وكان ينبهني على المفتى به من غيره فاقيده على الحاشية وكان يتعجب من سرعة مطالعتي لهذه الكتب فى نحو اليوم والليلة و يقول لولا أنك تكتب زوائدها على الحواشي وتترك الكلام المتداخل لقلت انك لم تلحق تطالع هذه الكتب فضلا عن تحرير ما تكتبه منها بعد حذف المتداخل يعني تركه من هذه الاصول وكان ذهني بحمد الله سيالا لا يسمع شيأ و ينساه ولم أزل كذلك حتى ترادفت على الهموم لما بلغت فى السن الى نحو خمس وعشرين سنة وذلك نحو ثلاث وعشرين من القرن العاشر التي دخلت فيها الى مصر لما جاءت دولة بني عثمان نصرهم الله تعالى وقال لى مرات بدايتك نهاية غيرك فاني ما رأيت أحدا تيسر له مطالعة هذه الكتب كلها فى هذا الزمان أبدا وكنت أطالع الجزء الكبير من الرافعي أو الخادم كاملا فى ليلة واحدة فهذا ما استحضرته الآن من الكتب التي طالعتها حال قراءتي على الاشياخ وسيأتي قريبا ذكر أسماء الكتب التي طالعتها لنفسي مع مراجعة الاشياخ فى مشكلاتها ان شاء الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) أخذي بالاحوط فى ديني ولا أترخص فى تركه الا بطريق شرعي فكما أن من أخذ بالاحوط فهو على هُدًى من ربه كذلك من أخذ بالرخصة بشرطها فهو على هُدًى من ربه فيها وكنت بحمد الله تعالى حال اشتغالي على الاشياخ أشدد على نفسي فى العمل على الخروج من الخلاف ما أمكن وكل ذلك طلبا لتكون عبادتي صحيحة على جميع المذاهب أو أكثرها وما رأيت أشد على مراعاة للخلاف من صلاة العصر فاني ان صليتها على مذهب الامام الشافعي فى أول وقتها خالفت الراجح من مذهب الامام أبي حنيفة لان وقتها حين صليتها على مذهب الشافعي لم يكن دخل وان صليتها أول الوقت على مذهب الشافعي وأعدتها حين يدخل وقتها على الراجح من مذهب أبي حنيفة يقول الاصطخري ان العصر لا تعاد وان اقتصرت على صلاتها فى الراجح من مذهب أبي حنيفة قال الطحاوي قد خرج وقتها حينئذ فلما تعذر على الخروج من خلاف العلماء أخذت بما صح فى حديث امامة جبريل من الوقتين * واعلم يا أخي أن من جملة الاحتياط اجتناب المكروه كأنه حرام والاعتناء بالسنن كأنها واجبة و يتوضأ من مس الفرج ان كان حنفيا ومن الفصد ان كان شافعيا و يطهر نجاسة الكلب والخنزير سبعا احداهن بتراب ان كان مالكيا وهكذا فى سائر مسائل الخلاف العالي والنازل من الصحابة ومن بعدهم الى عصرنا هذا فعلم أنه ينبغي للعبد التوبة من المكروه كأنه حرام ومن ترك السنة كأنها واجب تعظيما لامر الله * وقد روى البزار باسناد صحيح ان الله فرض فرائض وفرضت فرائض الحديث ومما يؤيد الاعتناء بالسنة قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول كلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى كلما اعتنى بالتعظيم لامره ونهيه وكلما بعد عن حضرة الله تعالى كلما تهاون بفعل أمره واجتناب نهيه وفى الحديث أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه وروى الحاكم وصححه مرفوعا من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه انتهى فالحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) عدم التعصب لمذهبي من غير علم ولا اجتهاد فلم أتذكر أني قلت عن شئ من مذهب المخالف هذا ضعيف أبدا بل سداي ولحمتي التسليم للمخالف وقد كان الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه تخيرنا انتهى وكذلك نقول لما جاءنا عن الائمة المجتهدين تخيرنا اتباع من شئنا منهم ثم اذا تخيرناه لازمنا العمل بكلامه ولا نفارقه

الموت وأكره مساءته وأشار الى صفة العلم بقوله ولابد له منه * انعطاف اعلم رحمك الله تعالى باقباله عليك وجعل أنواره واصلة اليك انهما ولايتان ولي يتولى الله وولي يتولاه الله تعالى قال الله عز وجل فى الولاية الاولى ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون وقال فى الولاية الثانية وهو يتولى الصالحين قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه من أجل مواهب الله تعالى الرضاء بمواقع القضاء والصبر عند نزول البلاء والتوكل على الله تعالى عند الشدائد والرجوع اليه عند النوائب فمن خرجت له هذه الاربع من خزائن الاعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والاقتداء بالائمة فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله تعالى له بقوله وهو يتولى الصالحين ففرق بين الولايتين فعبد يتولى الله وعبد يتولاه الله تعالى فهنا ولايتان صغرى وكبرى فولايتك الله تعالى خرجت من المجاهدة وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالائمة فافهم ذلك من

الا

الا بالموت خوفا من وقوعنا في صورة التلاعب بالدين وانما كنا نسلم للمخالف لامامنا لانه مجتهد وقد قرر الشارع وجوب العمل على المجتهد بما فهمه من السنة فكذلك من ألزم نفسه باتباع مجتهد يلزمه العمل بقوله (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول كل من أنكر على عالم بفهمه فكأنه يدعى انه أعلم من ذلك العالم ولو أنه كان يعتقد في نفسه انه دونه في العلم لسلم له قوله وحفظ من الوقوع في الانكار عليه انتهى وكان يقول اياك والمراء في العلم فانه يجر الى الاثم قال وحد المراء هو الاعتراض على كلام الغير لاظهار خلل فيه لا يشعر به غالب الناس وسببه طلب زيادة الترفع على الاقران واظهار الفضل انتهى وخرج بتقييد شيخنا رحمه الله تعالى الانكار بالفهم ما لو كان الانكار على ذلك العالم بدليل شرعي واضح فانه لا اعتراض على أحد في الانكار عليه لمعارضته النص بخلاف معارضة الفهم فانه أمر سهل لتفاوت الافهام وعدم عصمتها (وسمعته) أيضا يقول لا اعتراض على الفقيه اذا أنكر على المتصوفة أمرا يخالف ظاهر الشرع كما وقع في قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام فان ظاهر الشرع هو السيف القاطع بحده كل شئ فاذا رأينا من يدعى أن بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه التكاليف مع وجود عقل التكليف لم نسلم له لانه كاذب على الله تعالى انتهى

* واعلم يا أخى ان غالب الانكار الذى يقع بين الفقهاء والصوفية انما هو بين القاصر من كل منهما او بين مثله والا فالكامل من الفقهاء يسلم للعارفين والعارفون يسلمون للعلماء لان الشريعة جاءت على مرتبتين تخفيف وتشديد ولكل من المرتبتين رجال في حال مباشرتهم للاعمال فمن قوى منهم خوطب بالتشديد والاخذ بالعزائم ومن ضعف منهم خوطب بالتخفيف والاخذ بالرخص فكأن موسى عليه الصلاة والسلام كان على هدى من الله فكذلك الخضر عليه السلام ولذلك سلم موسى للخضر آخر الامر لما علم أن الشريعة لها مرتبتين مرتبة خاصة بعامة الناس ومرتبة خاصة بخواص الناس فالنبي يفهم من كلام الله مالم يفهمه الصحابي والصحابي يفهم منه مالم يفهمه غيره وهكذا وكل ذلك ينطلق عليه اسم الشريعة وانما قال القوم كل حقيقة تخالف ظاهر الشريعة فهي باطلة نصرة لظاهر الشرع والا فالحقيقة من أصلها لا تكون الا موافقة للشريعة فان طابقت الحقيقة الشريعة ظاهرا او باطنا كانت الحقيقة والشريعة متلازمتين كما اذا حكم الحاكم بشهادة الصادقين في نفس الامر وان طابقت الحقيقة الشريعة في الظاهر فقط كما اذا حكم الحاكم بشهادة عدلين في الظاهر وهما كاذبان فالشريعة والحقيقة حينئذ غير متلازمتين فمراد القوم أنهما متلازمتان حيث توافقتا ظاهرا او باطنا لا ظاهرا فقط فافهم (وسمعت) أخى أفضل الدين يقول ينبغى للفقيه مراعاة علم الباطن وللفقير مراعاة علم الظاهر والناظر بفرد عين أعور من فقيه وفقير والكامل من نظر بالعينين انتهى وممن أدركته ينظر بالعينين الشيخ برهان الدين بن أبي شريف وشيخ الاسلام زكريا والشيخ عبد الحق السنباطي والشيخ شمس الدين السمانودي رحمهم الله تعالى أجمعين فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به على) حال اشتغالى بالفقه كثرة تأويلى للقوم كلامهم وزجر من يطعن في طريقهم بفهمه فلم يقع لى قط التجريح في الطائفة ولا في طريقهم كما يقع فيه كثير من الفقهاء وهذا من أكبر نعم الله تعالى على حيث حفظني من الانكار على القوم حتى دخلت طريقهم وكان رفقتي في الاشتغال يلومونني على عدم الانكار ويقولون وهل ثم لنا طريق يتقرب به الى الله تبارك وتعالى غير ما نحن عليه فاسكت وأقول الله أعلم وقد أجمع أهل الطريق على انه ما أنكر أحد شيأ من المقامات على أهل الطريق الا حرم ذلك المقام ولو دخل في طريقهم عقوبة له وكنت أقول لرفقتي اذا كنتم تؤولون كلام الحق تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم مع وسع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وعموم الخطاب به لجميع العباد فكلام الفقراء أحق بالتأويل لضيقه وعدم عموم الخطاب به (وقد بلغنا) عن أبي يزيد البسطامى رحمه الله تعالى انه قال قلت يوما سبحان الله فناداني الحق تعالى في سرى هل في عيب تنزهني عنه فقلت له لا يارب فقال فنفسك اذن نزهها عن ارتكابها الرذائل قال فاقبلت على نفسي بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل وتخلقت بالفضائل والكمالات فصرت أقول ما أعظم شأني من باب التحدث بالنعمة انتهى وكثيرا ما ينطق الحق تعالى على لسان بعضهم بكلام لا يليق

قوله ومن يتول الله ورسوله الآية واعلم رحمك الله تعالى بروح ودعو الطفه وفهمك لطائف عوارفه ان الصلاح في قوله عزوجل وهو يتولى الصالحين ليس مرادا به الصلاح الذى يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب فيقولون صالح وشهيد وولى بل الصلاح هنا المراد به الذين صلحوا لحضرته بتحقق الفناء عن خليقته ألم تسمع قول الله سبحانه وتعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام توفني مسلما وألحقني بالصالحين أراد بالصالحين هنا المرسلين من آبائه لان الله تعالى أهلهم لنبوته ورسالته فكانوا لها أهلا وان شئت قلت هما ولايتان ولاية الايمان وولاية الايقان فولاية الايمان قال الله سبحانه وتعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي هذه الولاية فوائد *(الفائدة الاولى)* اختصاص اسم الله تعالى بالذكر في هذا الموطن دون ما سواه من الاسماء فقال الله سبحانه وتعالى الله ولى الذين آمنوا ولم يقل الرحمن ولا القهار ولا غير ذلك من الاسماء التى تتضمن الاوصاف لانه أراد أن يعرفك بشمول ولايته لسائر المؤمنين من الاسم الجامع لجميع الاسماء فلو ذكر اسما من أسماء الاوصاف لكانت الولاية من حيثية ذلك الاسم *(الفائدة الثانية)*

الا بالله تعالى حال اصطلامهم وغيبتهم فينكر الناس عليهم ذلك ولا ينبغي ذلك الا لو قالوه حال صحوهم وفي الحديث ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم * ومن وصية شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة اياك والانكار على الطائفة في كل ما يتحققون به وسلم لهم تسلم فانهم تارة يتكلمون حال غيبتهم عن نفوسهم بكلام لا يليق الا بالحق تعالى أو برسوله صلى الله عليه وسلم فيظن السامع انهم يشطحون بذلك وحاشاهم من سوء الادب مع الله تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) حال اشتغالي بالفقه أني لم أجزم قط بما فهمته من كلام امامي أو مقلديه بان ذلك مراده أو مرادهم لان التكلم على مراد القائل لا يدرك الا بالكشف وليس كل ما يفهمه المقلد مثلا من كلام المجتهد يكون مرادا للمجتهد قطعا لانه لو كان مراده نصا لم تختلف في ذلك الافهام كما هو الحكم في صريح الكتاب والسنة ومن تحقق بهذا الخلق قلّت منازعته لاخوانه ومجادلته لهم بغير حق بخلاف من كان بالضد من ذلك فان من لازمه النزاع والجدال (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يتحد اثنان قط في ذوق ولا مقام لوسع كلام الشارع صلى الله عليه وسلم وما تفرع عنه من استنباط المجتهدين ومقلديهم قال ومن علم ذلك لم يقطع قط بما فهمه وانما يقول الذي فهمته من هذا الكلام كذا وكذا فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني كما كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول وقد يكون من يخطّئ غيره في الفهم غير مصيب فان ذلك انما هو خطأ في نظره هو لا في نظر المتكلم به انتهى (وكان) الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول ليس فهم كلام المتكلم أن يفهم الانسان جميع الوجوه التي تضمنها كلامه بطريق الحصر وانما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه التي احتوى عليها ذلك اللفظ بحسب ما تواطأ عليه أهل اللسان أو بعض تلك الوجوه انتهى فاعرف يا أخي الفرق بين فهم الكلام والفهم عن المتكلم من حيث مراده الذي هو المطلوب فما كل من فهم الكلام فهم مراد المتكلم لاسيما ان كان الحق تبارك وتعالى من كلامه (وكان) أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا كان أحدنا يعجز عن فهم كلام جنسه من البشر فكيف لا يعجز عن فهم كلام رب العالمين فلا ينبغي أن يتكلم على معاني القرآن الا كمل الاولياء من الائمة المجتهدين وكمل العارفين على ان الحق قد غفر للائمة ما أخطؤا فيه من الفهم والتأويل بل جعل لهم الاجر في ذلك حيث بذلوا وسعهم ولم يخرجوا عن حد لسان الشارع انتهى (وكان) الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول قد رحم الله هذه الامة المحمدية بكثرة المذاهب والمجتهدين فاذا وجد أحدهم ضيقا في مذهب انتقل الى التقليد لمذهب آخر لكن قد حجر هذه الرحمة على الامة من أمر جميع الناس بالتزام مذهب معين لم يعينه الله ولا رسوله ولا دل عليه ظاهر كتاب ولا سنة لا صحيحة ولا ضعيفة قال وهذا من أشق التكاليف على الامة فالذي وسعه الشرع ضيقه هؤلاء اللهم الا أن يخاف على العامي وقوعه في التخليط اذا لم يلتزم مذهبا معينا لضعف فهمه عن استخراج الاحكام من الكتاب والسنة فهذا يلزمه التقييد بمذهب معين انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حال اشتغالي بالعلم على الاشياخ حفظي من دعوى العلم والتكبر به على العامة فلا أستحضر أني رأيت نفسي قط على أحد من عوام المسلمين وذلك لعلمي بان جميع ما بيدي من النقول ليس هو علمي حقيقة وانما هو علم من استنبطه واستخرجه وما بقي معي الا الحكاية نحو قولي رجح فلان كذا قال فلان كذا أفتى فلان بكذا وهذا ليس بعلم حقيقة (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول علم الرجل حقيقة هو ما لم يسبق اليه وأما من كان علمه مستفادا من النقل فليس ذلك له بعلم انما هو صاحب لصاحب العالم قال وذلك لان معنى العلم قائم بالحرف والحرف مصاحب للكتابة انتهى وسمعته أيضا يقول كل علم يقبل صاحبه الشبهة فليس هو بعلم انما العلم ما أتى العبد من طريق الالهام والذوق كما قال تبارك وتعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسمعته أيضا يقول لا ينتقل مع العبد الى البرزخ الا العلم الخالص من الرأي الضعيف الذي لا يشهد له كتاب ولا سنة وأما جميع العلوم التي دخل فيها الرأي والرياء فلا يسمى صاحبها عالما ولا يحشر مع العلماء العاملين وسمعته يقول من علامة الاخلاص في العلم أن لا يثقل عليه

ربط الولاية بالايمان ليعرفك غزارة قدر الايمان وعلو منصبه حتى كان سببا لثبوت ولاية الله تعالى للعبد ولا يفهم من هذه الآية اختصاص الولاية بمن وقع منه الايمان قبل نزول هذا الخطاب لاتيانه بصيغة الماضي بل المراد من قام به الايمان وجبت ولاية الله تعالى له أي وقت كان ذلك الايمان وقد تساق الافعال على صيغة خاصة وليس المراد خصوص تلك الصيغة كما تقول قد أفلح من آمن وخاب من كفر ألا ترى أن المراد بالاول قد أفلح من كان منه ايمان وقد خاب من كان منه كفر من غير تعرض لزمان معين *(الفائدة الثالثة)* دل سبحانه وتعالى بقوله يخرجهم من الظلمات الى النور على وسع رحمته وسبوغ نعمته اذ لما قال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور علم انهم قد يدخلون في الظلمات ولكن الله تعالى لولايته اياهم يتولى اخراجهم كما قال في الآية الاخرى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الآية فساق ذلك مساق المدح للمؤمنين كما ساق قوله يخرجهم من الظلمات الى النور مساق البشارة لهم ولم يقل والذين لا يفعلون الفاحشة اذ لو قال ذلك لم يدخل فيه الا أهل الاعتناء الاكبر وكذلك قوله تعالى والكاظمين

الغيظ وكذلك قوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون فمدحهم بالمغفرة بعد الغضب ولم يقل والذين لا يغضبون فيصفهم

الاشتغال به عند طلوع روحه ومتى سُئِلَ عن مسئلة وهو محتضر فقال اليك عنى دل على عدم اخلاصه فلا فرق عند المخلص بين قول من يقول له قل أستغفر الله أو سبحان الله و بين من يقول له علمنى فروض الوضوء على حد سواء وهذا الخلق قل من يتخلق به من طلبة العلم بل غالبهم يرى الناس كلهم هالكين الا هو فقط فان أمرهم بمعروف يأمرهم بنفس فربما قابلت نفسه الانفس فوقعت الاباية فلم يحصل بذلك ثمرة انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) لذن شيخ الاسلام الشيخ زكريا لى فى قراءة الفقه وتدريسه وكذلك تفسير الزمخشرى والبيضاوى ثم لما درست كنت أعد نفسى مع الطالب كأنى جاهل فلا أستحضر يوما اننى رأيت نفسى شيخا عليه انما أرى ذلك مذاكرة يفيدنى تارة وأفيده أخرى وكان على هذا القدم جماعة منهم سيدى عبد الله المنوفى شيخ الشيخ خليل صاحب المختصر ومنهم الشيخ عبد الحق السنباطى ومنهم الشيخ عبد الرحيم الابناسى رضى الله تعالى عنهم فكانوا يرون اقراءهم العلم انما هو مذاكرة فالحمد لله الذى حصل لى أسوة بهم والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) حال اشتغالى بالعلم عدم المبادرة الى القول بتعارض الادلة أو كلام المجتهدين انما أبادر الى حمل كل كلام على حال خوفا أن أرمى من الشريعة شيأ فيفوتنى العمل به ومن هنا كان بعض العارفين لا يذهب الى النسخ بالتاريخ بمجرده لاحتمال أن يكون صلى الله عليه وسلم فعل أحد الفعلين لبيان الجواز أو الافضلية اللهم الا أن يجمع العلماء على القول بالنسخ فذلك ظاهر قال ومما يحتمل بيان الافضلية والجواز مسحه صلى الله عليه وسلم رأسه كاملا ومسح البعض منه فى وقت آخر فلو أخذنا بالنسخ بالتاريخ لكان أحد المسحين منسوخا لانه لابد أن يكون المتأخر واحدا منهما انتهى (وسمعت) شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول ليس فى كلام الشارع صلى الله عليه وسلم تعارض لان كلامه يجل عن ذلك فان اجوبته صلى الله عليه وسلم كانت تختلف باختلاف السائلين ومقامهم والآن ما يجيب به السيد أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مما يجيب به آحاد الناس من الاعراب وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بان يخاطب الناس على قدر عقولهم واستعدادهم كما يشهد لذلك قوله للجارية التى أراد سيدها عتقها عن الكفارة وشكوا فى اسلامها أين الله فقالت فى السماء أو أشارت الى أنه فى السماء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنة ورب الكعبة فاقرها على قولها فى السماء وان كان ظاهر حالها انها اقصدت التحيز للحق المنزه تبارك وتعالى عنه وفى القرآن العظيم وهو الله فى السموات وفى الارض فوافقت الجارية بعض ما أشار اليه القرآن وان كان المعنى الحق فى ذلك الاشارة الى ان الله تعالى لا يتحيز أى فكما هو فى السماء كذلك هو فى الارض على حد سواء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد أى فكما يطلبه العبد فى جهة العلو كذلك ينبغى أن يطلبه فى جهة السفل فالسفل للحق تعالى كالعلو من حيث المكانة لا المكان لان كل جهة طلب الحق منها فهى عروج وان كانت فى السفليات فافهم فعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية المستحيلة فى حق الله تعالى الا لعلمه بقصور عقلها عن التنزيه المحض عن مثل ذلك فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم أن يتنزل لعقلها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول لكن لما أقرها صلى الله عليه وسلم على قولها انه فى السماء وبانت حكمته صلى الله عليه وسلم وقوة علمه علمنا أنه ليس فى قوة هذه الجارية أن تعقل خالقها الا على قدر ما تصورته فى نفسها فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سألها بهذه العبارة السابقة ولذلك قال انها مؤمنة أى مصدقة بوجود الله تعالى فى السماء دون قوله انها عالمة لان العلم هو معرفة المعلوم على ما هو عليه وتعالى الله عن التحيز فى جهة الفوق دون السفل (ورأيت) فى بعض الكتب ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر على شخص يعمل البراذع وهو يقول فى سجوده يارب لو علمت أين حمارك الذى تركبه لعملت له برذعة ورصعتها بالجواهر فحركه المسيح وقال ويحك أولله تعالى حمار فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام دع الرجل فانه مجدنى بقدر وسعه اهـ فمن فهم ما قلناه من تفاوت

بفقدان الغضب أصلا اذا الصفة التى هم يتصفون بها لا تقتضى ذلك (الفائدة الرابعة) اعلام الحق سبحانه فى هذه الآية المؤمنين ببشارة عظيمة تتضمنها ولايته لانها تضمنت كل خير من خير الدنيا والآخرة من نور وعلم وفتح وشهود ومعرفة ويقين وتأييد ووجود ومزيد وحور وقصور وأنهار وثمار ورؤية الله تعالى ورضاء عن الله تعالى ومن الله تعالى وما بين ذلك من الحشر مع المتقين وأخذ الكتاب باليمين وثقل الميزان بالحسنات والثبات على الصراط وما سوى ذلك من المنح والمواهب تتضمنه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين فهى البشارة التى تضمنت كل بشارة واعلم أن ولاية الله تعالى تتضمن النفع والدفع أما النفع فمن قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها ومن قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وهذا فى وصفه الكافرين فمفهومه ان الايمان ينفع المؤمنين ولو عند رؤية البأس وكذلك قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فمفهومه اذا كانت مؤمنة من قبل ينفعها ايمانها وأما الدفع

تعالى كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين *(الفائدة الخامسة)* قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور أي يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ومن ظلمات البدعة الى نور السنة ومن ظلمات الغفلة الى نور اليقظة ومن ظلمات الحظوظ الى نور الحقوق ومن ظلمات طلب الدنيا الى نور طلب الآخرة ومن ظلمات المعصية الى نور الطاعة ومن ظلمات الكثائف الى نور اللطائف ومن ظلمات الهوى الى نور التقوى ومن ظلمات الدعوى الى اشراق نور التبري من الحول والقوى ومن ظلمات الكون الى شهود المكون ومن ظلمات التدبير الى اشراق نور التفويض الى غير ذلك مما لا يحصره العدد مما يخرجهم عنه ويخرجهم اليه وأما الولاية الثانية ولاية الايقان وهي تتضمن الايمان والتوكل وقد قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا يكون التوكل الا مع اليقين ولا يكون توكل ويقين الا مع الايمان

افهام الخلق سلم لكل انسان فهمه لاسيما ان كان ذلك الشخص مقلدا الغير اماما ذلك المعترض والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حفظي أيام الاشتغال من الجدال ورفع الصوت على رفقتي فضلا عن شيخي بل كنت أتلقى جميع ما أسمعه بالادب والتسليم من غير تأويل الا في المواضع التي يتعين فيها التأويل فما أطلعني الله تبارك وتعالى عليه من المعاني قلت به من غير حصر للمعنى في ذلك ومالم يطلعني الله تعالى على علته أكل علمه الى الله تعالى ولا أقف أتفكر فيه لان المحل غير قابل لذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من توقف في فهم شيء جاء بلغته وعلى لسانه فهو علامة على ظلمة قلبه فيجب عليه السعي في تنظيف قلبه من الشهوات والمخالفات ثم بعد ذلك لا يصير يتوقف في فهم شيء الا ان كان ذلك فوق مقامه وما كان فوق مقامه لم يكلفه الله تعالى بالعمل به انما يكلفه بقدر ما فهمه فقط أو فهمه من هو مقلده من العلماء فعلم أن من أراد فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والائمة المجتهدين ومقلديهم فليعمل على جلاء مرآة قلبه من الصدا والغبار على يد شيخ مرشد يجمع ذلك كله طيب المطعم والاخلاص والتسليم وخفض الجناح لعامة المسلمين وترك البحث والجدال والدعاوى وعدم اقامة ميزان عقله وفهمه على كل كلام عسر عليه فهمه فان من سلك هذا الطريق نور الله تعالى قلبه وكشف له عن أسرار الشريعة والوجود فانها اذا القلب اذا صفا صار كالمرآة الكرة المصقولة فاذا قوبلت بالوجود العلوي والسفلي انطبع جميعه فيها فلا ينسى بعد ذلك شيأ (وكان) أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من رحمة الله تعالى بعباده انه لم يكلفهم بفهم علل الاحكام ولا تتبع مشكلاتها وما تشابه منها بل ذمهم بقوله تعالى وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا وبقوله وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الآية وكان يقول أيضا كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فالعمل به تعبد محض اذ العمل اذا علل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة لا امتثال أمر الله عز وجل وذلك يخرج مقام العبودية اذ العبد انما شأنه امتثال أمر سيده واجتناب نهيه قياما بواجب حق العبودية وامتثالا لامره تعالى لا لعلة أخرى ثم لا يخفى ان مجموع الشريعة افعلوا كذا واجتنبوا كذا وهذا لا يتوقف في فهمه أحد انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به علي) كثرة مطالعتي لكتب الشريعة وآلاتها بنفسي ثم مراجعة العلماء لما أشكل علي منها دون الاستقلال بفهمي لاحتمال الخطأ فطالعت بحمد الله تعالى شرح الروض للشيخ زكريا نحو ثلاثين مرة وشرحه لابن سوله مرتين وطالعت كتاب الأم للامام الشافعي ثلاث مرات حتى كنت استحضر غالب نصوصه وطالعت مختصر المزني مرة واحدة وطالعت مسند الامام الشافعي وشرحه للعاولي ثلاث مرات وطالعت كتاب المحلى لابن حزم في الخلاف العالي ثلاث مرات ومختصره للشيخ محيي الدين ابن العربي مرة واحدة وهو ثلاثون مجلدة ضخمة وطالعت كتاب الحاوي للماوردي وهو ثلاثون مجلدة ضخمة وطالعت الاحكام السلطانية له مرة واحدة وطالعت فروع ابن الحداد مرتين وطالعت كتاب الشامل لابن الصباغ مرة واحدة وطالعت كتاب المحيط للشيخ أبي محمد الجويني وكذلك كتاب الفروق له ولم يتقيد في كتاب المحيط بمذهب معين وطالعت كتاب الوسيط والبسيط والوجيز للغزالي مرة واحدة وطالعت الرافعي الكبير ثلاث مرات وطالعت الروضة سبع مرات وطالعت شرح المهذب نحو خمسين مرة وطالعت تكملة السبكي عليه مرة واحدة وهي مجلدة واحدة وطالعت شرح مسلم للنووي خمس عشرة مرة وطالعت كتاب المطلب لابن الرفعة مرة واحدة مع مراجعة الشيخ كمال الدين الطويل في مشكلاته وطالعت المهمات للاسنوي والتعقبات لابن العماد مرتين وطالعت القوت للاذرعي مرة واحدة وطالعت الخادم مرتين ونصفا وطالعت العمدة والعجالة كلاهما لابن الملقن مرة واحدة وطالعت شرح المنهاج لابن قاضي شهبة مرة واحدة وطالعت شرح الارشاد لابن أبي شريف مرة واحدة وشرحه للجوجري مرة واحدة وطالعت شروح التنبيه لابن يونس والزنكلوني ولابن الملقن وللجلال السيوطي مرة واحدة وطالعت شرح المنهاج للجلال المحلي مع تصحيح ابن قاضي عجلون نحو ثلاثين مرة وطالعت شرح البهجة للشيخ ولي الدين العراقي مرات وشرحها للشيخ زكريا مرة واحدة وطالعت قواعد

لان اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى في القلب مأخوذ من يقن الماء في الجبل اذا استقر وسكن فيه فكل

الشيخ عز الدين الكبرى والصغرى نحو خمس مرات وقواعد العلائى مرة واحدة وقواعد الزركشى ثلاث مرات ثم اختصرتها وطالعت الاشباه والنظائر لابن السبكى مرة وطالعت الألغاز للاسنوى مرة واحدة وغير ذلك من الكتب المشهورة فى الفقه وتوابعه * وطالعت من شروح الاحاديث كثيرا فطالعت كتاب فتح البارى على البخارى مرة واحدة وشرح الكرمانى مرتين وشرح البرماوى خمس مرات والعينى مرتين وشرح القسطلانى مرة ونصفا وطالعت شرح مسلم للقاضى عياض مرة واحدة وطالعت شرحيه للشيخ زكريا نحو خمس مرات وغالب مسودته بخطى كما مر بيانه آنفا وطالعت شرح الترمذى لابن المقرى المالكى ونسخه فى مصر قليلة وفى الاسكندرية نسخة واحدة * وطالعت من كتب التفسير للقرآن غالب التفاسير المشهورة فطالعت تفسير البغوى مرة وتفسير الخازن ثلاث مرات وتفسير ابن عادل سبع مرات وتفسير الكواشى عشر مرات وتفسير ابن زهرة مرة وتفسير القرطبى مرتين وتفسير ابن أبى كثير مرة وتفسير البيضاوى خمس مرات وتفسير ابن النقيب المقدسى مرة وهو مائة مجلدة ضخمة ما طالعت أوسع منه وطالعت تفسيرى الامام الواحدى البسيط والوجيز وتفسيرى الشيخ عبد العزيز الديرينى الكبير والصغير ثلاث مرات وطالعت تفسير الجلالين نحو ثلاثين مرة وطالعت تفسير الجلال السيوطى الكبير المسمى بالدر المنثور ثلاث مرات وطالعت تفسير الامام سنيد بن عبد الله الازدى يروى عن وكيع وهو تفسير نفيس وقد تطلبه الشيخ جلال الدين السيوطى عشرين سنة فلم يظفر بنسخة منه ثم جردت أحاديثه وآثاره فى مجلد وطالعت تفسير الزمخشرى بحواشيه مرة وأعظمها حاشية الطيبى وكان محدثا صوفيا نحويا فقيها أصوليا وقل أن تجتمع هذه الصفات فى عالم وكذلك طالعت عليه كتاب الانتصاف لابن المنير وهو مبين لمواضع الاعتزال منه وكذلك طالعت كتاب الانصاف للعراقى الذى جعله حكما بين الكشاف والانتصاف وقد اختصره ابن هشام فى مؤلف وطالعته كذلك وكذلك طالعت البحر لابى حيان الذى ناقش فيه الزمخشرى من حيث الاعراب وكذلك طالعت عليه اعراب تلميذه أحمد بن يوسف الحلبى الشهير بالسمين وكذلك طالعت عليه اعراب السفاقسى وكذلك طالعت عليه حاشية الشيخ قطب الدين الشيرازى وقطعة من حاشية الشيخ فخر الدين الجاربردى وقطعة من حاشية الشيخ أكمل الدين البابرتى وهى فى مجلدين الى أثناء سورة البقرة ولا أدرى هل أكملها أم لا وكذلك الشيخ سعد الدين لم يتم حاشيته وكذلك السيد الجرجانى فيما أظن وكذلك طالعت عليه حاشية أبى زرعة العراقى وهى مجلدتان لخص فيها كلام ابن المنير والعلم العراقى وأبى حيان وأجوبة السمين والسفاقسى مع زيادة تخريج أحاديثه وطالعت تفسير البيضاوى مع حاشية الشيخ زكريا عليه خمس مرات فهذا ما طالعته على الكشاف وقل من تيسر له مطالعة جميع هذه التفاسير والحواشى وكان الله تعالى قد سخر لى الشيخ شمس الدين المظفرى يأتينى بكل كتاب طلبته من خزائن مصر فجزاه الله تعالى عنى خيرا * وطالعت من كتب الحديث وأدلة المذاهب مالا أحصى له عددا فمن جملة ما طالعته الكتب الستة وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ومسند الامام أحمد وموطا الامام مالك ومعاجيم الطبرانى الثلاثة وكتاب جامع الاصول لابن الاثير وطالعت الجامع الكبير للشيخ جلال الدين السيوطى وكذلك الجامع الصغير وزيادته وهى عشرة آلاف حديث ولا يكاد يخرج من الشريعة عن أحاديث هذه الكتب شئ الا نادرا فهى أجمع كتاب صنف بعد سنن البيهقى فى الادلة وكذلك طالعت السنن الكبرى للبيهقى ثم اختصرتها بحذف السند والمكرر دون الاحكام وكذلك طالعت كتاب المنتقى من الاحكام لابن تيمية وهو الشيخ مجد الدين وليس هو الشيخ تقى الدين صاحب المحنة وهو أصل مسودة كتابى المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة وكذلك طالعت كتاب الهدى النبوى لابن القيم ثم اختصرته وطالعت دلائل النبوة للبيهقى وكتاب المعجزات والخصائص للشيخ جلال الدين السيوطى ثم اختصرتها وغير ذلك مما لا أحصى له عددا من الاجزاء والمسانيد * وطالعت من كتب اللغة صحاح الجوهرى والقاموس والنهاية لابن الاثير وكتاب تهذيب الاسماء واللغات للنووى وقد طالعته خمس عشرة مرة * وطالعت من كتب الاصول والكلام كثيرا فمن جملة ما طالعته شرح العضد وشرح منهاج البيضاوى وكتاب المستصفى للغزالى وكتاب الامالى لامام الحرمين

يقين ايمان وليس كل ايمان يقينا والفرق بينهما أن الايمان قد يكون مع الغفلة واليقين لاتجامعه الغفلة وان شئت قلت هما ولايتان ولاية الصادقين وولاية الصديقين فولاية الصادقين باخلاص العمل لله والقيام بالوفاء مع الله تعالى طلبا للجزاء من الله تعالى * وولاية الصديقين بالفناء عما سوى الله تعالى والبقاء فى كل شئ بالله تعالى وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله تعالى عنه فى بعض كتب الله تعالى المنزلة على بعض أنبيائه من أطاعنى فى كل شئ أطعته فى كل شئ فقال الشيخ أبو الحسن من أطاعنى فى كل شئ بهجرانه لكل شئ أطعته فى كل شئ بأن أتجلى له دون كل شئ حتى يرانى أقرب اليه من كل شئ هذه طريق أولى وهى طريق السالكين وطريق كبرى من أطاعنى فى كل شئ باقباله على كل شئ بحسن ارادة مولاه فى كل شئ أطعته فى كل شئ بأن أتجلى له فى كل شئ حتى يرانى كأنى فى كل شئ واذ قد عرفت هذا فاعلم انهما ولايتان ولى يفنى عن كل شئ فلا يشهد مع الله تعالى شيأ وولى يبقى فى كل شئ فيشهد الله تعالى فى كل شئ وهذا أتم لان الله تعالى لم يظهر المملكة حتى يشهد فيها فالكائنات مرايا

وشرح المقاصد وكتاب شرح الطوالع والمطالع وكتاب سراج العقول للقزويني وشرح العقائد للتفتازاني وحاشيته لابن أبي شريف وغير ذلك * وطالعت من فتاوى العلماء في وقائع الاحوال من المتقدمين والمتأخرين مالا أحصي له عددا كفتاوى ابن أبي زيد المروزي وفتاوى القفال وفتاوى القاضي حسين وفتاوى الماوردي وفتاوى الغزالي وامامه وفتاوى ابن الصباغ وفتاوى ابن الصلاح وفتاوى ابن عبد السلام وفتاوى النووي وفتاوى السبكي وفتاوى البلقيني وفتاوى الشيخ زكريا وفتاوى الشيخ شهاب الدين الرملي وغير ذلك * وطالعت من كتب القواعد قواعد الشيخ عز الدين الكبرى والصغرى وقواعد العلائي وقواعد ابن السبكي وقواعد الزركشي وهي أجمع القواعد وأوضحها عبارة وقد اختصرتها كما مر من غير حذف شيء من أحكامها الصحيحة ثم اني جمعت هذه القواعد كلها في كتاب واحد وحذفت المتداخل منها فجاء كتابا نفيسا وكذلك فعلت في كتب الفتاوى وقد سارت الركبان بنسخة من الفتاوى الى بلاد التكرور * وطالعت من كتب السير سيرة ابن هشام وسيرة ابن اسحق وسيرة الكلاعي وسيرة أبي الحسن البكري ونظرت على مواضع منها وسيرة الطبري وسيرة الكلاعي وسيرة ابن سيد الناس وسيرة الشيخ محمد الشامي التي جمعها من ألف كتاب وهي أجمع كتاب في السير فيما أظن * وطالعت من كتب التصوف والرقائق مالا أحصي له عددا فمن جملة ما طالعته كتاب القوت لابي طالب المكي وكتاب الرعاية للحرث المحاسبي وكتاب الحلية لابي نعيم وكتاب رسالة القشيري وكتاب عوارف المعارف للسهروردي والاحياء للغزالي وكتب اليافعي كلها وكتاب الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين ثم اختصرتها وحذفت المواضع المدسوسة على الشيخ فيها وطالعت رسالة النور للشيخ أحمد الزاهد وهي مجلدتان وطالعت كتاب منح المنة لتلميذه سيدي محمد الغمري وهي ست مجلدات وكتاب منازل السائرين للهروي وشرح الفصوص للقاشاني وكتاب شعب الايمان للقصري وغير ذلك * فهذا ما استحضرته الآن من الكتب التي طالعتها وما أظن أحدا في عصري هذا أحاط بها علما أبدا وقد كتب بعض الحسدة سؤالا يتعلق ببعض كلمات في كتاب العهود وقدمه الى شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رضي الله تعالى عنه فامتنع من الكتابة عليه وقال كيف أكتب على سؤال يتعلق بشخص طالع من الكتب مالا أعرف له اسما فضلا عن الخوض فيها مع انه لو ادعى تأليفها لم يجد له في مصر منازعا انتهى مع ان ما سئل عنه ليس في شيء من كتبي بحمد الله تعالى انما هو افتراء علي وقد كتب بعض المتهورين عليه كتابة كلها خطأ فالله تعالى يغفر له ما جناه ورضي الله تبارك وتعالى عن أهل الانصاف والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) مطالعتي لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهبي وذلك أنني لما تبحرت في مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه احتجت الى معرفة المسائل المجمع عليها بين الائمة أو التي اتفق عليها ثلاثة منهم وذلك لاجتنب العمل بما منعوه وأمتثل أمرهم فيما أمرونا به وان لم يكن مذهبي فاعمل بما أجمعوا عليه أو اتفق عليه ثلاثة منهم على وجه الاعتناء والتأكيد أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان لان ما أجمعوا عليه ملحق بنصوص الشارع صلى الله عليه وسلم فمما طالعته من كتب الحنفية شرح الكنز وشرح مجمع البحرين والحدادي وفتاوى قاضيخان وشرح القدوري والبزازية والخلاصة وشرح الهداية وتخريج أحاديثها للحافظ الزيلعي وهو كافل بادلة الحنفية كلها وكنت أراجع في مشكلات هذه الكتب الشيخ نور الدين الطرابلسي والشيخ شهاب الدين بن الشلبي والشيخ شمس الدين الغزي الكبير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم * وطالعت من كتب المالكية المدونة الكبرى ثم اختصرتها وهي عشر مجلدات وطالعت كتاب الموطا وشروح رسالة ابن أبي زيد وشرح مختصر الشيخ خليل وكتب ابن عرفة وابن فرحون وكانت مطالعتي للمدونة باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أراجع في مشكلات هذه الكتب الشيخ شمس الدين اللقاني والشيخ شرف الدين الحطاب والاخ الصالح الشيخ عبد الرحمن الاجهوري وغيرهم رضي الله تعالى عنهم * وطالعت من كتب الحنابلة الخرقي وعدة مختصرات قالوا ولم يدون الامام أحمد له مذهبا وانما مذهبه الآن ملفق من صدور أصحابه فانه كان مذهبه الحديث وكان يقول أستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتكلم في معنى كلامه

الصفات فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها ولنا في هذا المعنى شعر

ما أبينت لك العوالم الا * لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقي من ليس يرضى * حالة دون أن يرى مولاها

فالناظر للكائنات غير شاهد للحق فيها غافل والفاني عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل والشاهد للحق فيها عبد مخصص كامل وانما ترفع الهمة عن الكون من حيث كونيته لا من حيث ظهور الحق فيه فاغضاء الزهاد والعباد وأهل الارادة عن الكون لانهم لم يشهدوا ظهور الحق فيه ذلك لعدم نفوذهم اليه في كل شيء لا لعدم ظهوره في كل شيء فانه ظاهر في كل شيء حتى انه ظاهر فيما به احتجب فلا حجاب ولنا في المعنى شعر

وكلي محتاج وأنت لك الغنى * ومثلي من يخطي ومثلك من يعفو
وأنت الذي أبدى الوداد تكرما * ومثلك من يرعى ومثلي من يجفو
وما طاب عيش لم تكن فيه واصلا * ولم يصف لا والله أني له يصفو
عزمت على ان أترك الكون كله * فقد

فقد لا يكون ذلك مراده رضى الله تعالى عنه وكان رضى الله تعالى عنه يقول أولا أحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغنا انه وضع فى أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسئلة

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انه تعالى أعطانى الفهم فى القرآن العظيم وهو مقام عظيم قل من أعطيه من الفقراء (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول أعطيت استخراج العلوم من القرآن العظيم من فقه وأصول ونحو ومعان و بيان و جدل وعروض وغير ذلك فلو جلس الى منصف نظيف القلب من الادناس خال من الحسد لبينت له مادة كل علم وأوضحت له ذلك حتى لا يبقى عنده فى ذلك شك ولكن السالم مما ذكرناه قليل وجوده انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجيهى وتقريرى لجميع مذاهب المجتهدين حين تبحرت فى علومهم حتى كأنى فى حال تقريرى لها واحد منهم ور بما ظن الداخل على وأنا أقرر فى مذهب ذلك الامام انى حنفى أو حنبلى أو مالكى والحال أنى مقلد للامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وذلك لاحاطتى بمنازع أقوال الأئمة رضى الله تعالى عنهم واطلاعى على أدلتها ور بما قال بعض المتهورين عنى ان فلانا لا يتقيد بمذهب على وجه الذم والتنقيص والحال انى انما أقرر مذاهب الأئمة لوسع اطلاعى لا لتهور فى الدين وتتبع الرخص وأصل ذلك أنى لما صنفت كتب أدلة المذاهب رأيت جميع المجتهدين لا يخرجون عن السنة فى شئ انما هم بين مشدد ومخفف فمنهم من أخذ بصريح الحديث أو القرآن ومنهم من أخذ بمفهومهما ومنهم من أخذ بما استنبط منهما ومنهم من أخذ بما استنبط من ذلك المفهوم ومنهم من أخذ بالقياس الصحيح على الاصل الصحيح فكان مذاهبهم رضى الله تعالى عنهم منسوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها منها * وقد وضعت فى الجمع بين أقوال الأئمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ميزانا ترجع جميع مذاهب المجتهدين وأقوال مقلديهم الى الشريعة المطهرة لم أجد لها ذائقا من أهل عصرى وقد استعارها الشيخ شهاب الدين الشلبى الحنفى فمكثت عنده أياما ثم أتانى بها وقال هذه خصوصية لك فانى لم أقدر أخرج عن دائرة كلام مذهبى فقلت له فهل هى باطلة فقال صولة كلامها ليست بصولة مبطل انتهى وقد عرضتها على سيدنا ومولانا أبى العباس الخضر عليه السلام فأجازها وقال لى هذا أمر لا يحيط به الا من نظر الشريعة بعين الكمال واطلع على العين التى يتفرع منها كل مذهب وقليل من أولياء الله تبارك وتعالى من أحاط بذلك انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تأليفى كتبا كثيرة فى الشريعة وغالبها ابتكرته ولم أسبق اليه وذلك ككتاب البحر المورود فى المواثيق والعهود وكتاب كشف الغمة عن جميع الامة جمعت فيه أدلة المذاهب الاربعة من غير عزو الى من خرجها من الحفاظ اكتفاء بعلم أهل كل مذهب بمن خرج دليلهم ثم صنفت بعده كتاب المنهج المبين فى بيان أدلة المجتهدين عزوت فيه كل حديث الى من رواه فكان كالتخريج لاحاديث كتاب كشف الغمة وكتاب البدر المنير فى غريب أحاديث البشير النذير وكتاب مشارق الانوار القدسية فى بيان العهود المحمدية جمعت فيه أحاديث الترغيب والترهيب و جعلته على قسمين مأمورات ومنهيات فدخل فى المأمور المندوب ودخل فى المنهى المكروه وهو كتاب نفيس وصنفت كتاب لواقح الانوار القدسية فى مختصر الفتوحات المكية وكتاب قواعد الصوفية وكتاب مختصر قواعد الزركشى وكتاب منهاج الوصول الى علم الاصول جمعت فيه بين شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع وحاشية ابن أبى شريف وكتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر وكتاب الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن وكتاب طبقات الصوفية وهى من أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى ختام سنة ستين وتسعمائة ذكرت فيه مناقب كل من كان له كلام أحفظه فى الحقيقة أو الشريعة لا غير وذكرت فيه العلماء الاحياء والفقراء الاحياء الذين وقع لى بهم صحبة ومما صنفته كتاب مفحم الاكباد فى بيان مواد الاجتهاد وكتاب لواقح الخذلان على كل من لم يعمل بالقرآن وكتاب حد الحسام على من أوجب العمل بالالهام وكتاب التتبع والفحص على حكم الالهام اذا خالف النص وكتاب البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف وكتاب

وما أحسن الاحباب فى كل حالة
فلله ما يبدو ولله ما يخفو
وان الاولى لم يشهدوك بشهد
قلوبهم عن نيل سر الهوى غلف
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت فى
جميع المبادى مثلما شهد العرف *
ظهرت لكل الكون فالكون مظهر
وفيه له أيضا كما جاءت الصحف
فأى فؤاد حسن ودادك ينثنى
وأية عين بعد قربك لن تقفو
وأية نفس لم يملها هواكم
على حبكم طرا نفوس الورى وقف

وان شئت قلت هما ولايتان ولاية دليل وبرهان وولاية شهود وعيان فولاية الدليل والبرهان لاهل الاعتبار وولاية الشهود والعيان لاهل الاستبصار فلاهل الولاية الاولى قوله سبحانه سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ولاهل الولاية الثانية قوله سبحانه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وأرباب الدليل والبرهان عوام عند أهل الشهود والعيان لان أهل الشهود والعيان قدسوا الحق فى ظهوره أن يحتاج

رسالة الانوار فى آداب العبودية وكتاب كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهى نيف وسبعون سؤالا فى التوحيد سألنى عنها علماء الجان وكتاب فرائد القلائد فى علم العقائد وكتاب الجواهر والدرر جمعت فيه ما سمعته من العلوم والاسرار من سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وكتاب الكبريت الاحمر فى بيان علوم الكشف الاكبر وكتاب الاقتباس فى علم القياس وكتاب تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر وغير ذلك مما سارت به الركبان الى بلاد التكرور والمغرب فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اجازة العلماء من أهل المذاهب الاربعة لمؤلفاتى ومدحهم لها خلاف ما أشاعه بعض الحسدة فى مصر والحجاز وغيرهما من امتناعهم من الكتابة على مؤلفاتى أو رجوعهم عن الكتابة عليها وسبب ذلك أنهم استعاروا منى بعض كتب ليكتبوها فدسوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة للاجماع ونسبوها الى ودارت تلك المسائل فى مصر نحو سنة وأنا لا أشعر فحصل بذلك رج فى البلد وسيأتى فى هذه المنن براءتى عند العلماء مما دسوه حين أرسلت لهم النسخ التى عليها خطوطهم فالله يغفر لهؤلاء الحسدة ما جنوه آمين * فمن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى رضى الله تعالى عنه على كتاب كشف الغمة بعد الحمد والشهادتين وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف الغريب والمجموع العجيب فرأيته كتابا لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان فى أنه ما صنف مثله * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام نور الدين الطرابلسى الحنفى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد وقف العبد الضعيف على هذا المجموع اللطيف المفرد المنيف وتأملته فاذا هو محتو على نخب حقائق العارفين وزبد كنوز الواصلين ولقد توج مؤلفه بتاج لطائف التحقيق معارف رؤس أهل الطريق وأوضح لهم منها الطريق ولقد أبدع مؤلفه وأغرب وأتى بما هو من العجاب أعجب الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف السعيد والدر النضيد والعقد الفريد فلله دره من مؤلف جل مقداره وطفحت بالسنة أسراره وهمعت من سحب الفضل أمطاره ولاحت فى سماء الشريعة شموسه وأقماره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء فى الدارين وجعلنى واياه من خير الفريقين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوى الشافعى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد استجليت هذا الكتاب النفيس فوجدته قد حوى المقاصد الدينية والاصول العلمية فمن العقائد الصحيحة نفيسها ومن آداب القوم ملحها ومن علومهم شريفها ومن السنة ظريفها ومن الاشارات الربانيات لطيفها فجزى الله تعالى مؤلفه أفضل الجزاء ونشر علومه على أهل الدراية والصفاء ولا غرو أن يصدر عن بحره هذه الجواهر وعن مدده هذه النجوم الزواهر فانه علامة الزمان وصاحب المناقب والمفاخر الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى عليه رضى الله تعالى عنه وبعد فقد وقفت على هذا المصنف الشريف البديع التأليف المشتمل على أسلوب عجيب ونظام غريب لم ينسج أحد على منواله ولم تسمح قريحة بمثاله قد اشتمل على لطائف أسرار ربانية وبدائع حكم الهية أوصلها الكريم الجواد من عنده وأفاضها الوهاب على عبده جعله الله تعالى علما للمهتدين وقدوة للسالكين وبحرا يغترف من علومه ظماء المسترشدين وبدرا يستضىء بنوره طلاب اليقين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى رحمه الله تعالى وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف الفريد الجامع بين الطارف والتليد الجامع لفنون من العلوم متفرقة المشتمل على مسائل لم توجد فى غيره محققة فانشرح صدرى به غاية الانشراح لما أودع فيه من المعانى الرشيقة والاقوال الصحاح وأعدت نظرى فيه المرة بعد المرة فاذا تحت كل ذرة منه درة فياله من مؤلف عز المثال لم ينسج له فيما أظن قبل ولا بعد على منوال الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ عبد القادر المالكى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة فوجدته كتابا كريما وصراطا مستقيما ونورا ساطعا عظيما ورأيت فيه من غرائب الحديث وعجائبه ما لا تسعه مجلدات كثيرة مع اختصاره فى حجم لطيف وأوراق يسيرة ولله دره من كتاب عظمت فيه المنة وكشف الله به الغمة وهدى به الامة الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه

الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى دليل من نصب الدليل وكيف يكون معرفا به وهو المعرف له قال الشيخ أبو الحسن رضى الله تعالى عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشىء من سبق وجوده وجود كل شىء وقال مريد لشيخه يا أستاذ أين الله تعالى فقال له أسحقك الله أتطلب مع العين الاين وأنشد بعض العارفين

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يعرف القمرا
ثم استترت عن الابصار يا أحد
فكيف يعرف من بالعزة استترا

فما احتجب الحق عن العباد الا بعظم ظهوره ولا منع الابصار ان تشهده الا قهارية نوره فعظيم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب ان تغيب فى القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو منها وكلما دنا منها تزايد ريحها فاذا دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم

ووجدت بخط شيخنا أبى العباس رضى الله

عليه الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعي رضي الله عنه و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان البديع في المعاني والبيان فوجدته مشتملا على حقائق هي خلاصة أنظار المتقدمين ودقائق هي نتيجة أفكار المناظرين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه على كتاب المنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين و بعد فقد اطلع كاتبه على هذا المؤلف الشريف والمجموع اللطيف الحاوي لجميع أدلة المجتهدين والقامع للطغاة والمبتدعين فجزى الله تعالى مؤلفه خيرا وكفاه وصمها وضيرا الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوي رحمه الله تعالى عليه و بعد فقد تشرفت باطلاعي على هذا الكتاب العجيب والاسلوب الغريب المسمى بالمنهج المبين فاذا هو كتاب طابق اسمه مسماه لانه قد حوى من السنة ثمرات مقاصد العارفين وانطوى منها على قواعد وفوائد ترشد الحائرين وتوصل المنقطعين قد أتقن فنون الشريعة واستقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فالله تعالى يديم حديث مؤلفه في العالمين و ينشر فضائله في الخافقين آمين * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين البهوتي الحنبلي رحمه الله تعالى و بعد فقد اطلعت على هذا الكتاب العظيم والمؤلف الجسيم المنتقى من أصول كتب الحديث المعتمد عليها في أحكام الدين ولقد كانت هذه الامة أحوج حاجة الى ما وعاه هذا المهذب وجمع وأنت خبير بان الله تعالى قد جمع لمؤلفه بين الحال والقال الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شمس الدين البرهمتوشي الحنفي رحمه الله و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف المنيف والكتاب الشريف الجامع من السنة النبوية والعقائد المرضية ما تقر به أعين المؤمنين وتذهب به ظنون الاغبياء الملحدين فجزى الله تعالى مؤلفه خيرا الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان فاذا هو فلك مشحون بدر ر فرائد الفوائد أو فلك مرصع بكل كوكب دري توقد بالنكت والقواعد وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه المحقق الفهامة شيخ الحقيقة وأستاذ الطريقة الجامع بين المنقول والمعقول والمرجع والتعويل عليه فيما يفتى به و يقول سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ أبو محمد عبد الوهاب الشعراني الشافعي المرشد المسلك المربي أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وحشرنا في زمرته الى آخر ما قال ولما اجتمعت به قال لي انما صرحت باسمك ومدحتك تكذيبا لمن أشاع عني أني لا أعتقدك رضي الله تعالى عنه وأرضاه * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحي الحنبلي رضي الله تعالى عنه على كتاب العهود و بعد فقد اطلعت على هذا البحر العجاج المتلاطم بالامواج فسبحت فيه وابتهجت بنفائس درره غاية الابتهاج وغصته فظفرت بجواهر فوائده التي أنالها محتاج و وردته ورد ظمآن أتى اليه من بعد فجاج وتاملته المرة بعد المرة فاذا تحت كل ذرة منه درة قد اشتمل من الفوائد على أدناها وأقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهو مؤلف فريد في فنه وصنفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يقدح في معانيه الا جاهل أو معاند أو حائد عن طريق الحق لاجل غرضه الفاسد الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة و بعد فقد اطلعت على هذا المؤلف المشتمل على حقائق و رقائق ونكت لطيفة ودقائق حقيقة أن تكتب بماء الذهب بل بسواد العيون وأن تشترى بنفائس الارواح لا بنقد العيون لما فيه من الحكم واداب السلوك وخلاصة الاخلاص المذهبة للاوهام والشكوك وكفى هذا المصنف شرفا أن لسان حاله وقاله ناطق بفضله وعلو شانه بحيث ان الناظر في تلك العهود يكاد يخرق مألوف نفسه المعهود وما هي الا منح ربانية ومواهب قدسية خص بها الكريم الوهاب عبده الاواب حشرني الله في زمرته ونفعني في الدارين ببركته وأفاض علينا من مدده وعمر قلوبنا بوده الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه آخر هذا الكتاب لما أشاع بعض الحسدة أن الشيخ ناصر الدين اللقاني رجع عن كتابته على كتاب العهود و بعد فما نسب الى العبد من الرجوع عما كتبه على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الشيخ فلان باطل باطل باطل فوالله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في كلامه شيأ من الباطل وأنا معتقد صحة مقاله باق على ذلك واني أدين الله تعالى بالاعتقاد في صحة

على كل حال في هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قدما يزورني
ولما تزر ما باله يتعذر
فهل غفلت عني بطيف خيالها
أم اعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلى طلعة الشمس تستضي
وفي الشمس أبصار الورى تتحير
وما احتجبت الا برفع حجابها
ومن عجب أن الظهور تستر

واعلم أن الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده فان المشاهد غني بوضوح المشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود في نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ما هو غني بوصفه عن اقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان وانا لا نرى أحدا من الخلق هل في الوجود أحد سوى الملك الحق وان كان ولا بد فكالهباء في الهوا اذا فتشته لم تجد شيأ ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل

اليه أو هل انها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له وان كانت الكائنات وصلة اليه فليس ذلك انها من

حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الوهبته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهى لمن وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب وقد قال الراوى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر ما كان من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال ربكم أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مالك فى الموطأ فلا بد من الاسباب وجودا ولا بد من الغيبة عنها شهودا وكيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذى أظهرها أو معرفة له وهو الذى عرفها فان قلت فقد جاء فى الحديث من عرف نفسه عرف ربه فهذا يدل على ان معرفة النفس متوصلة الى معرفة الله تعالى وهى كون من الاكوان ففيه اثبات توصيل الكائنات اليه فاعلم انى سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول فى هذا الحديث تأويلان أحدهما من

كلامه و ولايته والقصد من فضله أن لا يصدق فى أمرى شيأ مما لعله ينسب الىّ على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى انتهى بالمعنى فى البعض من جهة الضمائر * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى رحمة الله عليه و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف الذى هو تحفة المريد و روضة الاحباب فاذا البحر يعب عبابه لانه مترع بحلو لاهل الطريق شرابه فوردت ماء فضله الصافى وترديت برداء محاسنه الضافى فالله تعالى يبقى مؤلفه اماما يصطف خلفه المريدون ليؤمهم بنوافل فضائله و بره ولا برح جيد الزمان حاليا بوجوده والناس ناطقون بحمده وشكره الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين الرملى رحمه الله و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العجيب والمفرد الغريب المشتمل على الالفاظ الرائقة والمعانى المتناسقة لقد بذل مؤلفه فى نصح سالك طريق القوم الغاية وفى ارشاده الى اماتة نفسه وترقيه النهاية الى آخر ما قال ولما أشاع الحسدة أنا شيخ رجع عن كتابته على العهود كتب تحت خطه هذا و بعد فانسب الىّ من رجوعى عن كتابتى على هذا المؤلف غير صحيح وكتبه أحمد بن حمزة الرملى * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى على كتاب الجوهر المصون و بعد فقد وقفت على هذا المصنف العجيب والاسلوب الغريب الذى لم ينسج على منواله ولم تسمح قريحة بمثاله وطبعت فيه بصرى و بصيرتى بالتأمل فى ألفاظه ومعانيه وتدرجت فى كمال مدارجه ومراقيه فوجدته كنزا مملوأ بالمعارف الربانية والعوارف اللدنية و بحرا يضيق نطاق النطق عن وصفه و يكل لسان الفكر عن ادراك كنهه وكشفه ولا غرو فى ذلك فان المستفيض عبد منيب أوّاب والمفيض جواد كريم وهاب أمدنا الله تعالى بمدده وجعلنا من حزبه وجنده آمين * ومن جملة ما كتبه عليه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان المشتمل على فوائد حسان وروضة ذات أفنان من علوم القرآن ومعان مقصورات فى الخيام لم يطمثهن قبل انس ولا جان فسبحان من سهل على مؤلفه طرق العلم والعرفان حتى أتى فيهما بما لم يكن فى جنان الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف السعيد والجوهر المصون التليد المستنبط من كتاب الله العزيز فاذا هو مؤلف لم يصنع أحد شكله ولا جمع أحد فى علوم القرآن مثله الى آخره * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوى و بعد فقد اطلعت على هذا الكتاب العجيب والاسلوب الغريب والنيل المسكوب والنيل المكسوب فوجدته مقياس زيادة العلوم باصابع الفهوم وأطال فى ذلك * ومن جملة ما كتبه الشيخ نجم الدين الغيطى رحمه الله تعالى و بعد فقد تشرفت بالنظر فى هذه العلوم والمعارف وترنحت بالوقوف على ساحل بحر هذه الاسرار واللطائف وتحققت أن ذلك لا ينال بالجد والاجتهاد والاكتساب وانما هو فيض من الملك الوهاب على عبده المخصوص لما تفرغ عما سواه وأناخ بتلك الرحاب ومسح لوح وجوده مما نقش فيه وتفرغ لما يلقى عليه من حضرة مصطفيه فلئ من العلوم والانوار وصار بحر المعارف والاسرار حتى ظهر منه الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون لا زال معوذا بالواحد من شر كل معاند وحاسد الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ عبد القادر الشاذلى المالكى و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب العظيم الشان الساطع البرهان المشتمل على علوم كتاب الله المكنون فوجدته بحرا عجابا لا ساحل له ولا قرار تكل عن ادراك مداه البصائر والابصار وكنزا مطلسما مشحونا بالعلوم اللدنية والمعارف الربانية والاسرار فانذهل عقلى فيه وحار ورأيته كلاما غريبا غير مألوف لاحد من الابشار فعلمت انه فيض من الكريم الغفار الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شمس الدين البرهمتوشى الحنفى و بعد فقد وقفت على مواضع من هذا الكتاب الشريف فاذا هو خلاصة الالباب ومنتهى منازل أهل الخطاب كيف لا وهو تأليف سيدنا ومولانا خاتمة أهل الشريعة والحقيقة فى عصره الشيخ عبد الوهاب أدام الله عزه وعلاه و بعين عنايته حرسه وتولاه ومتع بطول حياته الانام وكبت أعداءه الحسدة اللئام فقد جعله الله تعالى وارثا للاقدام المحمدية وهاديا بسلوكه الى السنة النبوية الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى على كتابى المسمى بالجواهر والدرر

و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف المسمى بالجواهر والدرر المتضمن أحوال الاعظم لما كان الناس غافلين عنه بالظاهر وتأملت ألفاظه تأملا يشفي السقيم و يهدي من ضل الى الصراط المستقيم ولما أمعنت فيه التأمل والنظر وجدت تلك الجواهر نفائس لم يحوها انس ولا بشر وتلك الدرر كأنها من شدة عظمها وصفائها ترمي بشرر فهو مؤلف عديم النظير لم يسبق لوضع مثله صغير ولا كبير الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين ابن الشلبي الحنفي و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب الذي بهرت أنواره وأشرقت ونمت عروس ألفاظه الزاكية لانها في منابت العرفان أعرقت وتصفحته ففاح مسكه وقرأته فلفظته فكأنما انقطع سلكه وغصت على الجواهر في بحره الذي سطوره فلكه فتارة آخذ منه درة وتارة أقتطف زهرة فلله دره من مؤلف كلما طالعت فيه استفدت وكلما غازلت عيون معانيه استزدت ولله من أنفاس تسر النفوس وياعجبا كم بهذه الطروس من عروس وكيف لا ومؤلفه تاج ومحله الرؤس الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقاني و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب الشريف الذي فاق سائر الكتب في لطافة نظمها ودقة معناها وكيف لا وهو الجوهر الفرد الذي هو غايتها ومنتهاها ولا عجب في ذلك فانها مواهب وهاب لا تحصى عوارفه ولا تستقصى معارفه جعلنا الله تعالى ممن ذاق مذاقها وتحلى بحلاها و ورد موارده الشافية واهتدى بهداها وحشرنا مع مؤلفها وسلك بنا طريقته التي ما ضل من اقتفاها الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ عبد القادر الشاذلي المالكي و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب المسمى بالجواهر والدرر فوجدته بحرا قد زخر بحار في ادراكه البصر وتكل عن معرفته العقول والفكر اذ هو مشحون بالنفائس التي لا توجد الآن عند أحد من البشر الى آخر ما قال فهذه نبذة مما كتبه علماء مصر على مؤلفاتي تكذيبا لما أشاعه الحسدة من ضد ذلك كما مر أول المبحث فرحم الله هؤلاء العلماء ما كان أكثر محبتهم لي واعتقادهم في كل من توهموا فيه شيأ من صفات أهل الولاية والصلاح وتواضعهم له وما وردت قط على الشيخ ناصر الدين اللقاني في بيته أو الجامع الازهر الا ونزل عن فرشه وأجلسني عليه فان أبيت أقسم علي بالله ثم يجلس بين يدي على الحصير ولم يفعل ذلك معي أحد من أهل هذا الزمان وقد تغالى في التكبر بعده جماعة ممن لا يصلح أن يكون أحدهم من طلبته الآن بل رأيت بعضهم جالسا على طراحة في الجامع وهو يجود القرآن على الشيخ أبي النجاء النحاس والشيخ جالس بين يديه على الحصير وربما أدخل على بعض طلبة العلم الآن فاقبل ركبته فلا يمد يده الي فالله يلطف بنا وبهم و يرد عاقبتنا الى خير آمين

(ومما أنعم الله تعالى به علي) موت جميع أشياخي في الفقه والتصوف وهم عني راضون وذلك من أكبر نعم الله تعالى علي فان رضا الاشياخ على طالبهم ومريدهم عنوان على رضا الله عز وجل عنه لانهم واسطته في السلوك وقل مريد أو طالب في هذا الزمان يسلم من تغيير خاطر شيخه عليه ولو في حين من الاحيان وقد راجع بعض طلبة العلم شيخه في مسئلة من غير أدب فقال له أما تخشى ياولدي أن يقال لا نفع الله فلانا بعلمه فوقف ذلك الطالب عن المزيد ولم ينتفع أحد بعلمه مع انه كان في الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والنحو أمة من الامم ورأيت مدرسي جامع الازهر يجلسون في درسه فيسمعون فوائده و يعجبون بها ثم يقومون من عنده لا يستحضر أحدهم شيأ من تلك الفوائد ولولا اني أخشى أن تكون غيبة لذكرته وشيخه وما بينهما فاياك يا أخي أن تتهاون في تغيير خاطر أحد من أشياخك عليك أو لا تبادر الى تطييب خاطره أو تنتقل عنه وتقرأ على غيره مراغمة له فان الحكم للداعي الاول وله الحق الاعظم وايضاح ذلك أن الطالب لا يفارق شيخه غضبا من نصحه له ويقرأ على غيره الا لحظ نفسه وطالب العلم بغير اخلاص لا يفلح ولو أنه أخلص في العلم لاحتمل نهر شيخه وزجره له وهجره له في طريق تحصيله العلم وقد أجمع أشياخ الطريق على أن المريد اذا بلغ مقام شيخه في العلم فمن الادب أن يقيم تحت تربيته و يجري الله تعالى على لسان شيخه من العلم والتحقيق ما هو أهله لمكان أدبه وصدقه كما انه يجري على لسان شيخه اذا أساء الادب معه عكس ذلك فان الطالب اذا كان قليل الادب مع شيخه فقد يستحق حرمانه من فوائده فيعقد الله تعالى لسان شيخه عن الافصاح له بالتحقيق و يحرم النفع به فيصير العلم موفورا في

عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزته وقدرته وغناه فتكون معرفة النفس أولا ثم معرفة الله تعالى من بعد والتأويل الثاني من عرف نفسه عرف ربه أي من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على انه عرف الله من قبل فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين واعلم بسط الله لك بساط منته وجعلك من أهل حضرته ان الله سبحانه اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الحق سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك لقوله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فانظر رحمك الله تعالى هذا الامر الاكبر الذي أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولقد قال الشيخ أبو الحسن لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع ولقد سمعت شيخنا أبا العباس يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته ولقد أخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما أبهر عقلي وذلك اني شهدت بدن الشيخ والانوار قد

نور الشمس والقمر في مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب ولذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليـ
ـل وشمس القلوب ليس تغيب

ونور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر ولنا في هذا المعنى شعر

هـذه الشمس قابلتنا بنور
وشمس اليقين أبهر نورا

فرأينا بهذه النور لكن
بها تبينك قد رأينا المنيرا

لكن الحق سبحانه وتعالى يوفي أعيان الممكنات حقها ويعطيها قسطها فيقرر لكل كون رتبته ويوفيه دولته فلذلك ستر سر الخصوصية في وجود البشرية ولابد للشمس من سحاب وللحسن من نقاب وهل يكون الكنز الا مدفونا والسر الا مصونا وصنع ذلك سبحانه ليكون سر

قلب الشيخ ولا يقدر على النطق به وان نطق نطق بكلام مشكل غير مفصح له عن المقصود كما جرى ذلك مع طلبتنا * وممن كان يبالغ في محبتي و يمنحني الفوائد والنكت من العلوم لمكان أدبي معه شيخ الاسلام زكريا وكان يقول لي والله انى أود أن لو أسقيتك جميع ما عندى من العلوم في مجلس واحد وكذلك الشيخ نور الدين الحلي والشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمرى والشيخ عبد الحق السنباطي والشيخ برهان الدين ابن أبي شريف والشيخ شمس الدين السمانودي والشيخ شهاب الدين المسيرى والشيخ شهاب الدين الرملي فكانوا كلهم يحبونني رضي الله عنهم أجمعين فالحمد لله رب العالمين

(وممامن الله تعالى به على) انشراح صدرى لاتباع السنة المحمدية قولا وفعلا واعتقادا وانقباض خاطرى من ضد ذلك من حين كنت صغيرا حتى انى بحمد الله تعالى أتوقف في بعض الاوقات عن العمل ببعض ما استحسنه بعض العلماء حتى يظهر لي وجه موافقته للكتاب والسنة أو القياس أو العرف المشار اليه بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر بالعرف وقد استدل الشيخ جلال الدين السيوطي على جواز كبر عمامة العلماء زيادة عن طول عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وأمر بالعرف وقال قد صار من عرف العلماء كبر العمامة ليتميزوا عن غيرهم من العامة فيسألوا عن الشريعة وذكر أن كبر العمامة بهذا القصد لا يخرجهم عن السنة لان العرف قد صار من جملة الشريعة بامر الامة باتباعه انتهى وهذا أمر لم أجده فاعلا من الناس الا قليلا وغالبهم يقدم على الفعل من غير توقف ونظر هل ذلك موافق للشريعة أو لا بخلافي بحمد الله تعالى فاني ان لم أجد ذلك الفعل موافقا للشريعة ولم يظهر لي موافقته لها ولا للعرف توقفت عن العمل به وربما أشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فيلقي الله تعالى في قلبي الانشراح للفعل أو الترك فاعمل بذلك فكذب والله وافترى من أشاع عني من الحسدة أني أشطح في أفعالي وأقوالي وعقائدى عن ظاهر الكتاب والسنة مع ان أحدا من هؤلاء الحسدة لم يجتمع بي قط ولا ثبت عنده ذلك ببينة عادلة انما بعض الحسدة زين له الشيطان ذلك لما عجز أن يجد مطعنا في أفعالي الظاهرة فافترى على ببعض كلمات ودار بها في جامع الازهر وغيره وأخبرهم بذلك فالله تعالى يغفر له فان من كان متقيدا بالشريعة كما ذكرنا فهو من صدور أهل السنة والجماعة في عصره فكيف يسمى مبتدعا والله ما ذلك الا من شدة الحسد فاني لا أعلم أحدا من أقراني أحاط علما بكتب السنة كما أحطت بها وأعرف جماعة الآن في جامع الازهر من المتهورين اذا رأوني ينظرون الى شذرا كأنهم على السنة وأنا على البدعة وربما كان الامر بالعكس فان من جمع الله فيه مثل هذه الاخلاق المذكورة في هذا الكتاب من أهل السنة والورع بيقين بل يقضي العقل بانه فريد عصره في اتباع السنة ولكن لنا اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لما انشق له القمر وقالوا هذا سحر فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) الهامي لمجاهدة نفسي بغير شيخ لما تبحرت في علوم الشريعة وتعذر على العمل بما علمت وقد كان السلف الصالح لصفاء قلوبهم لا يحتاجون في طريق العمل بعلمهم الى شيخ لعدم الموانع وصار الناس اليوم لهم موانع لا تحصى حتى ان بعضهم يرى الاخلاق المحمدية من زهد وورع وخشية ونحو ذلك فلا يصل الى التخلق بها فلذلك أوجب بعض علماء الشريعة على الطالب أن يتخذ له شيخا يرشده الى طريق ازالة هذه الموانع من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقالوا من لم يجد له شيخا في بلده وجب عليه السفر في طلبه ومن لم يستطع السفر وجب عليه مجاهدة نفسه بغير شيخ قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد الى مقام العمل بالاخلاص الذى كان عليه السلف الصالح أو بعضه لا غير فان اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلى أو صام أو حج أو تورع أو زهد كان محفوظا من الرعونات التي تجرح مقام الاخلاص أو تحبط العمل وقد قدمنا في المقدمة ان حقيقة الصوفي هو عالم عمل بعلمه على وفق ما أمر الله به لا غير وكانت صورة مجاهدتي لنفسي من غير شيخ أنني كنت أطالع كتب القوم كرسالة القشيرى وعوارف المعارف والقوت لابي طالب المكي والاحياء للغزالي ونحو ذلك وأعمل بما ينقدح لي من طريق الفهم ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك فاترك الامر الاول وأعمل بالثاني وهكذا فكنت كالذى يدخل دربا لا يدرى هل

الولاية غيبا فيكون المؤمن به مؤمنا بالغيب وأيضا أجل سر ولايته أن يظهره في دار لا بقاء لها فادرجه عليه ذيل

ينفذأم لافان رآه نافذاخرج منه والا رجع ولوانه اجتمع بمن يعرفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بين له أمره وأراحه من التعب فهذا مثال من لاشيخ له فان فائدة الشيخ انما هي اختصار الطريق للمريد لاغير ومن سلك بغير شيخ تاه وقطع عمره ولم يصل الى مقصوده لان مثال الشيخ مثال دليل الحجاج الى مكة فى الليالى المظلمة * ومن جملة ماجاهدت به نفسى من غير اشارة شيخ انى كنت جعلت لى حبلا فى سقف الخلوة محررا على عنقى اذاجلست ولا يصل الى الارض لواضطجعت فكنت أجعله فى عنقى من العشاء الى الفجر فكنت على ذلك سنين ولم يكن لى بحمدالله علاقة دنيوية تعوقنى عن المجاهدة والوصول الى المقصود سوى كثرة وجود العلل فى اعمالى وان كانت العلل لاتنقطع عن العبد اذهى تدق معه فى كل مقام سلكه فلكل مقام علل تناسبه فافهم وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداى ولحتى فأغننى بحمدالله عن وقوعى فى الذل لاحد من أبناء الدنيا ولم يقع لى أننى باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوى من منذ بلغت ولم يزل الحق تعالى يرزقنى من حيث لا أحتسب الى وقتى هذا وعرضوا على الالف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيأ وكانت المباشرون والتجار يأتونى بالذهب والفضة فانثرهما فى صحن جامع الغمرى فيلتقطهما المجاورون وتركت أكل لذيذ الطعام ولبست الخيش والمرقعات من شراميط الكيمان نحو سنتين وأكلت التراب لمافقدت الحلال نحو شهرين ثم أغنانى الله تبارك وتعالى بالحلال المناسب لمقامى اذذاك وكنت لا آكل طعام أمين ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ولا فقيه لا يسد فى وظيفته ويأكل معلومها ولا غيرهم من جميع المتهورين فى كسبهم وضاقت على الارض كلها ونفرت من جميع الناس ونفروا منى فكنت أقيم فى المساجد المهجورة والابراج الخراب مدة طويلة وأقمت فى البرج الذى فوق السور من خرابة الاجدى مدة سنة ومارأيت أصفى من تلك الايام وكنت أطوى الثلاثة أيام وأكثر ثم أفطر على نحو أوقية من الخبز من غير زيادة وضعفت بشريتى وقويت روحانيتى حتى كنت أصعد بالهمة فى الهواء الى الصارى المنصوب على صحن جامع الغمرى فاجلس عليه فى الليل والناس نائمون ثم اذانزلت من السلم الى الجامع أنزل بجهد وتعب لغلبة روحانيتى وطلبها الصعود الى عالمها فانه لا يثقل الانسان فى الارض الا كثرة الشهوات وهذا هو سبب تحريك الانسان رأسه حال الذكر وتلاوة القرآن فكان الروح تشتاق الى القرب من حضرة ربها اذا سمعت كلامه أواسمه فتكاد تلحق بعالمها السماوى وقد أنشدوا فى معنى ذلك

ولما بدا الكون الغريب لناظرى * حننت الى الاوطان شبه الركائب

ولما غلب على طلب العزلة عن الناس تنكرت منى جميع قلوب أصحابى ونفروا منى حتى كأنهم لا يعرفونى من ضيق وقتى عن مباسطتهم بالكلام اللغو وعدم المجالسة * وكنت كثيرا ما أخرج الى موارد البرك التى يغسل الناس فيها الفجل والخس والجزر والبقل فالتقط منها ما يكفينى ذلك اليوم مما أعرضوا عنه وأشرب عليه من ذلك الماء وأشكر الله تعالى على ذلك * وكنت لا آكل قط طعام فقير لا كسب له من المتعبدين فى الزوايا من غير كبير اشتغال خشية أن يكون ممن يأكل بدينه وهو لا يشعر وكذلك كنت لا آكل طعام قاض ولو كان من أهل الدين لما عساه أن يقع فيه عند الحاجة من قبول هدايا الناس ثم انى تركت أكل طعام كل من يمسك الميزان والكيل والذراع ثم طويت عن طعام جميع الناس فلا آكل الا عند أوائل درجة الاضطرار وذلك حين لا تجد أمعائى شيأ تشتغل به فليذع بعضها بعضا وكنت اذا افتتحت مجلس الذكر بعد العشاء لا أختمه الا عند طلوع الفجر ثم أصلى الصبح واذكر الى ضحوة النهار ثم أصلى الضحى وأذكر حتى يدخل وقت الظهر فاصلى الظهر ثم أذكر الى العصر ومن صلاة العصر الى المغرب ومن صلاة المغرب الى العشاء وهكذا فكنت على ذلك نحو سنة وكنت كثيرا ما أصلى بربع القرآن بين المغرب والعشاء ثم أتهجد بباقيه فاختمه قبل الفجر وربما صليت بالقرآن كله فى ركعة وكان نومى غلبة تخطف رأسى خطفة بعد خطفة وخفقة بعد خفقة وكثيرا ما يغلب على النوم فاضرب أفخاذى بالسوط وربما نزلت بثيابى فى الماء البارد فى الشتاء حتى لا يأخذنى نوم وهذه الامور من قاعدة ما اذا تعارض عندنا مفسدتان وجب ارتكاب أخفهما مفسدة ولا شك ان وقوف المحب بين يدى الله عز وجل فى الظلام مع تألم جسمه بالضرب أحسن عنده من نومه عن ربه عز وجل حال تجليه مع صحة جسمه كما أشار اليه

السر حتى اذا كانت الدار الآخرة التى رضيها أهلا لظهوره واقترابه ووجوده كشف حجابه كذلك يكشف الحجاب هنالك عن سر الولاية ويجل مقداره ويرفع مناره واعلم رحمك الله ان من أراد الله به أن يكون داعيا اليه من أوليائه فلابد من اظهاره الى العباد اذ لا يكون الدعاء الى الله الا كذلك ثم لابد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء الجلالة لتعظمه العباد فيقفوا على حدود الادب معه ويضع له فى قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون اذا أمر ونهى مسموعا أمره ونهيه وجعل هذه الهيبة فى قلوب العباد من تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالنصرة قال الله سبحانه الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وهى من اظهار اعزاز الحق لعباده المؤمنين قال سبحانه ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهذه الهيبة التى جعلها الحق فى قلوب العباد لاوليائه سرت اليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم ألم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر ألبسهم الحق ملابس هيبته وأظهر عليهم اجلال عظمته كلما نزلوا أرض العبودية

قوله صلى الله عليه وسلم خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ولكل مقام رجال ومن طلب نفيسا خاطر بنفيس فعلم ان المحب لله في واد والمنكر عليه في واد ومن طالع أحوال القوم في مجاهداتهم سهل عليه ما يكابده في نفسه فقد وقع للشبلي رضي الله عنه انه كان اذا غلب عليه النوم يضرب نفسه بقضيب الخيزران حتى ربما أفنى الحزمة في الليلة الواحدة وكان يكتحل بالملح حتى لا يأخذه النوم وكان يطلع على طرف الحائط و يقف حتى يطرد عنه النوم و بلغنا ان سيدى عبد القادر الجيلى رضي الله عنه وأرضاه مكث أيام مجاهدته سنة كاملة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وكان رضي الله تعالى عنه يقول دعوت نفسي مرة الى قيام الليل فأبت فمنعتها شرب الماء سنة انتهى قال اليافعي رحمه الله تعالى وأعظم ما يجاب به عن هؤلاء السادات في مجاهداتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بانهم ارتكبوا أخف المفسدتين كمن غص بلقمة ولم يجد ماء فاساغها بجرعة خمر انتهى وقد مكثت أنا نحو سنة وعمامتي شراميط من الكيمان وقصاصة الجلود حتى وجدت الحلال و بالغت في التدقيق في الورع بحماية الله عز وجل لا بحولي ولا بقوتي حتى كنت لا آكل من فراخ الحمام لأن كلها من زرع الناس ما قد لا تسمح به نفوسهم ولا أمشي في ظل عمارة أحد من الولاة وأعوانهم ولما عمل السلطان الغوري بمصر الساباط الخشب الذي بين مدرسته وقبته الزرقاء تركت المرور من تحته فكنت أدخل من سوق الوراقين وأخرج من سوق الشرب وأنا بحمد الله تبارك وتعالى على مقام الورع الى وقتي هذا لان المعرفة لا تطفئ نور الورع ثم اذا حقق المتورع أمره في نفسه وجد جميع ما تورع عنه لم يقسمه الله لان الله تبارك وتعالى قسمه له فرد نفسه عنه لان ذلك لا يصح فافهم فظنه انه رد نفسه عنه مع القسمة وهم منه وان كان الحق تعالى قد أمر المكلف أن يدافع الاقدار النازلة جهده فذلك ليس هو تكليفا برد الاقدار وانما ذلك ليثيبه و يأجره على تلك المدافعة سواء أوقع في ذلك المقدر أم لم يقع واذا اعتنى الحق تعالى بعبده حماه من الوقوع في المعاصي والرذائل بعدم القسمة واستخرج له الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهات كما يستخرج له اللبن من الضرع والله على كل شئ قدير فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) بعد ذلك الهامي لطلب الاجتماع باهل الطريق وانقيادي لهم فاجتمعت بحمد الله تبارك وتعالى على خلائق لا تحصى من أهل الطريق فلم يكن لي وديعة عند أحد منهم سوى هؤلاء الثلاثة وهم سيدي علي المرصفي وسيدي محمد الشناوي وسيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنهم فسلكت على يد الاولين كل واحد شيئا يسيرا وكان فطامي بحمد الله تعالى على يد سيدي علي الخواص أعني الفطام اليسير المعهود بين القوم والا فالحق أنه لا فطام حتى يموت العبد ولذلك كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كثير الاكابر تعاظم انتهى ولم أتحقق بان الانسان لا بد له من شيخ الاحين اجتمعت بهؤلاء الاشياخ وكنت قبل ذلك أقول كما قال غيري وهل ثم طريق توصل الى حضرة الله تبارك وتعالى غير العمل بما بايدينا من الشريعة يعني على مصطلح غير القوم حتى وجدت الامر بخلاف ذلك وكفى شرفا لاهل الطريق قول السيد موسى عليه السلام للخضر هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا واعتراف الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه لابي حمزة البغدادي بالفضل عليه واعتراف الامام أحمد بن سريج رحمه الله لابي القاسم الجنيد وطلب الامام الغزالي له شيخا يدله على الطريق مع كونه كان حجة الاسلام وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخا مع أنه قد لقب بسلطان العلماء فكان شيخ الامام الغزالي الشيخ محمد الباذغاني وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلي وكان الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه يقول لما اجتمع بشيخه الملة كور ضيعنا عمرنا في البطالة يعني بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق وكان الشيخ عز الدين رضي الله عنه يقول ما عرفت الاسلام الكامل الا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فاذا كان هذان الشيخان قد احتاجا الى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى وقد كنت قبل اجتماعي باهل الطريق أتخذ أعمالي كلها وسائل الى تحصيل أغراض فان حصلت تلك الاغراض ثبت على ذلك والا تحولت منه فلما اجتمعت باهل الطريق قالوا لي اجعل أعمالك كلها مقاصد

رفعهم الى مسماة الخصوصية فهم الملوك وان لم تخفق عليهم البنود والاعلام وان لم تسر امامهم الجنود ولله در القائل في مالك بن أنس رضي الله عنه شعر

يأبى الجواب فما يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الاذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان

ومن ملكه الله أمر نفسه وهواه فقد آتاه الله الملك قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وسمعت شيخنا أبا العباس يقول قال ملك من الملوك لبعض العارفين تمن علي فقال له ذلك العارف الي تقول ولي عبدان قد ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص فانت عبد عبدي فكيف أتمنى على عبد عبدي الكسوة الثانية التي يكسوها الحق لاوليائه اذا أظهر لهم كسوة البهاء وذلك لصلاحهم في قلوب عباده فينظرون اليهم بعين المقة والمحبة فيكون ذلك باعثا لهم على الانقياد اليهم ألا ترى كيف قال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام وألقيت عليك محبة مني وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فلاهم تحلية التنبيه لجهم العباد فيجرهم حبهم الى حب

لتحضر

لتحضر فيهامع الله تعالى ولا تتخذهاوسائل فتموت ولا تصل الى مقصودك فقر بوعلى الطريق فلولم يكن فى الاجتماع بهم الاهذه الخصلة لكان فيها كفاية * ومماوقع للجنيدمع ابن سريج ان حلقة الجنيد كانت الاصوات فيها ترتفع على أهل حلقة ابن سريج وكان ابن سريج ينكر على الجنيد فتنكر ابن سريج يوما وحضر حلقة الجنيد ثم رجع الى أصحابه فقال لم أفهم من كلامه شيأ الا أن صولة كلامه ليست بصولة مبطل ثم ان ابن سريج قال للجنيد طريقنا أقرب الى الله من طريقكم فقال الجنيد لابدأن تأتينا ببرهان فقال للجنيد ائت لنا أنت ببرهان فقال الجنيد يافلان خذهذا الحجر فألقه فى حلقة الفقراء فألقاه فصاحوا كلهم الله الله الله ثم قال له ألقه بين هؤلاء الفقهاء فالقاه فصاحوا كلهم حرام عليك أزعجتنا وابن سريج ينظر فقام وقبل رأس الجنيد واعترف بفضله فقال له الجنيد انما الفضل لكم فان أساس طريقنا تمام معكم من العلم فقال ابن سريج بلى لكم الفضل فانكم زدتم علينا بحسن معاملة الله تعالى انتهى * ومماوقع للشيخ عزالدين بعد اجتماعه بالشيخ أبى الحسن الشاذلى أنه كان يقول من أعظم دليل على ان طائفة الصوفية قعدوا على قواعد الشريعة وقعدغيرهم على الرسوم مايقع على يدهم من الكرامات والخوارق والمكاشفات ولايقع شئ من ذلك قط لفقيه الا ان سلك طريقهم انتهى أى لان الكرامات فرع المعجزات وهى علامة على صحة اقتداء صاحبها واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد نقل القشيرى رحمه الله تعالى فى ترجمة أبى على الثقفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه قال لوأن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس كلهم لايبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أوامام أومؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لايحل الاقتداء به فى تصحيح المعاملات انتهى * ومماوقع لابن أسعد اليافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه قال مكثت خمس عشرة سنة ونفسى تنازعنى هل أدوم على الاشتغال بالعلم أم أنتقل عنه الى صحبة الصوفية واقتفاء آثارهم فبينما أنا يوما أمشى فى شارع من شوارع زبيد اذ لقينى شخص من أرباب الاحوال فقال لى مكاشفا يكفيك ماحصلته من العلم الظاهر واتبع طريق العمل على طريق القوم من اليوم فانها أولى فقلت له وماوجه كونها أولى فقال لى تعال حتى أريك وجه ذلك فدخل زاوية من زوايا الفقراء وأنا معه فجلس وقال لفقير ادع لى العالم الفلانى فدعاه فلما أقبل قال للحاضرين لاأحد يردعلى هذا السلام اذا جاء الابعد قليل بحيث لايطول الفصل ولاأحد يتحرك له ولا يفسح له فى المجلس ففعلوا فتكدر لذلك وقال يحرم عليكم عدم رد السلام فقالوا له الفقراء لهم عذر فى ذلك فقال كذبتم ليس لكم عذر فقالوا له بلى لنا عذر وهو انك مستحق للهجر لارتكابك العجب والكبر فقال أناما عجبت ولاتكبرت عليكم الاحق فقال له الشيخ الفقراء فى نفوسهم منك شئ فقال وأنا أيضا فى نفسى منكم أشياء وأشار باصابع يديه كلها فخرج وهو يسب الفقراء ومن دعاه اليهم فقال لليافعى انظر ثمرة علم هؤلاء ماذا يفعلون ثم قال لفقير ادع لنا الفقير الفلانى فدعاه فلما أقبل قال الشيخ للحاضرين افعلوا معه كما فعلتم مع ذلك العالم من عدم رد السلام على الفور وعدم تفسيح المجلس له ففعلوا فبادر الى نعال الفقراء وجعلها فى عنقه وعلى رأسه ووقف خاضعا ذليلا عند النعال ولم يمر على خاطره ماقاله ذلك العالم من الانكار عليهم بعدم المبادرة الى رد السلام وعدم تفسيح المجلس له بل ولاخطر على باله انه من العلماء أبدا فقال له فقير من الحاضرين الفقراء فى نفوسهم منك شئ فقال أقول استغفر الله تعالى فى حقهم وأسألهم ان يلحظونى بلحظهم فلعل الله تعالى يصلح حالى وصار يبكى وهو واقف حامل نعالهم فقال الشيخ لليافعى انظر ثمرة اتباع طريق القوم قال اليافعى رضى الله تعالى عنه فقوى عزمى من ذلك اليوم فى ذلك المجلس على اتباع طريق القوم حتى كان ما كان انتهى (قلت) وكانت صورة مجاهدتى على يد سيدى على الخواص رضى الله عنه انه أمرنى أول اجتماعى عليه ببيع جميع كتبى والتصدق بثمنها على المحاويج ففعلت وكانت كتبا نفيسة كشرح الروض والمطلب والخادم والقوت للاذرعى وغيرها مما يساوى ثمنها عادة مالا كثيرا فبعتها وتصدقت بثمنها فصار عندى التفات اليها لكثرة تعبى فيها وكتابة الحواشى والتقييدات عليها حتى كانى سلبت العلم فقال لى اعمل على قطع التفاتك اليها بكثرة ذكر الله عز وجل فانهم قالوا ملتفت لايصل فعملت على قطع الالتفات اليها مدة حتى خلصت بحمد الله تعالى من ذلك فأمرنى بالعزلة

الله والحب فى الله يوجب المحبة من الله لقوله عليه السلام حاكيا عن الله وجبت محبتى للمتحابين فى وهى أربع مراتب الحب لله والحب فى الله والحب بالله والحب من الله فالحب لله ابتداء والحب من الله انتهاء والحب فى الله وبالله واسطة بينهما الحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه والحب فى الله ان تحب فيه من والاه والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه مقتطعا عن نفسه وهواه والحب من الله هو أن يأخذك من كل شئ فلا تحب الا اياه وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور وعلامة الحب فى الله ان تحب من لم يحسن لك بدنيا من أهل الطاعة والحبور وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهور وعلامة الحب من الله ان يجذبك اليه فيجعل ماسواه عنك مستور وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى من أحب الله وأحب لله فقد تمت ولايته والمحب على الحقيقة من لاسلطان على قلبه لغير محبوبه ولامشيئة له غير مشيئته فاذا من ثبتت ولايته من الله لايكره الموت ويعلم ذلك من قوله تعالى قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فاذا الولى على الحقيقة لايكره الموت ان عرض عليه وقد أحب الله من لا يحجوب

عن الناس مدة حتى صفا وقتي فصرت أهرب من الناس وأرى نفسي خيرا منهم فقال لي اعمل على قطع رؤية أنك خير منهم فعملت في المجاهدة مدة حتى صرت أرى ان أرذلهم خير مني ثم أمرني بالخلطة والصبر على أذاهم وعدم مقابلتهم فعملت على ذلك حتى قطعته فرأيت حينئذ اني صرت أفضل مقاما منهم فقال لي اعمل على قطع ذلك فعملت على قطعه مدة حتى قطعته ثم أمرني بالاشتغال بذكر الله تبارك وتعالى سرا وعلانية وكل خاطر خطر لي مما سوى الله عز وجل صرفته عن خاطري فورا فمكثت على ذلك عدة أشهر ثم أمرني بترك أكل الشهوات مطلقا فتركتها حتى صرت اكاد أصعد بالهمة في الهواء وصارت العلوم النقلية تزاحم العلوم الوهبية ثم أمرني بالتوجه الى الله تبارك وتعالى في أنه يطلعني على أدلتها الشرعية فلما اطلعت عليها وصار لوح قلبي ممسوحا من العلوم النقلية لاندراجها في الادلة ترادفت على حينئذ العلوم الوهبية وكان ابتداء ذلك بساحل بحر النيل عند بيوت البرابرة وسواقي القلعة فبينما أنا واقف هنالك واذا بأبواب من العلوم اللدنية انفتحت لقلبي كل باب أوسع مما بين السماء والارض فصرت أتكلم على معاني القرآن والحديث وأستنبط منهما الاحكام وقواعد النحو والاصول وغير ذلك حتى استغنيت عن النظر في كتب المؤلفين فكتبت من ذلك نحو مائة كراسة فعرضت بعض ذلك على سيدي علي الخواص فأمرني بغسله وقال هذا علم مخلوط بفكر وكسب وعلوم الوهب منزهة عن مثل ذلك فغسلتها وأمرني بالعمل على تصفية القلب من شوائب الفكر وقال بينك وبين علم الوهب الخالص ألف مقام فصرت أعرض عليه كل شئ فتح به على وهو يقول اعرض عن هذا واطلب ما فوقه الى ان كان ما كان فهذا كان صورة فتحي بعد المجاهدة المذكورة فالحمد لله رب العالمين

﴿ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على بعد ذلك﴾ دخولي للاطلاع على معاني الكتاب والسنة من بابها وذلك بتكثير النوافل فان من واظب عليها أحبه الله تعالى واذا أحبه قربه من حضرته واذا قربه من حضرته أطلعه على اسرار شريعته وكان بعض العارفين يقول لا يفتح على سالك قط الا من باب اكثاره النوافل فانه في الفرائض عبد اضطرار ان لم يصل الصلوات الخمس مثلا عذبه ربه بخلاف النوافل فانه فيها عبد اختيار فلا يتقرب بها خوفا من عقابه وانما ذلك محبة له جل وعلا قال وأعظم النوافل بركة الاكثار من النكاح لما فيه من الازدواج والانتاج فيجمع العبد فيه بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شئ من العلوم الصادرة من حضرة الاسم الظاهر والباطن فلذلك كان اشتغال العبد بنوافل النكاح أتم وأقرب لتحصيل كل ما يرومه وكان محبوبا لله تعالى ومن كان محبوبا لله تبارك وتعالى صار عرشا لاستواء الحق تبارك وتعالى عليه بافاضة العلوم وسماء للنزول وكرسيا لظهور أوامره ونواهيه فظهر له من علوم الكرسي ما لم يكن يراه فيه مع أنه كان فيه وهذه الطريق من أجل الطرق وأقربها على السالكين فالحمد لله رب العالمين

﴿ومما من الله تبارك وتعالى به على﴾ بعد المجاهدة ظهور أن جميع ما كنت علمته من العلوم كلها ليس فيه شئ من الاخلاص وانما هو مخلوط بالحظوظ النفسانية وذلك ان من علامة العلم الخالص ان يجمع قلب العبد على ربه حال الاشتغال به ولم أر ذلك حصل لي انما كان قلبي متشتتا في كل واد وغاب عني العلم بأن جميع ما خلق الله تبارك وتعالى وأنزل على قلوبنا من العلوم انما مراده به ان يجمعنا به عليه ومن أتعب نفسه في جمع العلوم من غير ان ينظر في دلالتها على الله عز وجل فاته المقصود الاعظم منها وحجب عن مواضع الدلالة التي فيها على الحق جل وعلا وقد علمت بحمد الله تعالى على كشف الغطاء عن وجه دلالة العلوم كلها على الحق تبارك وتعالى حتى صرت أحضر بقلبي مع الله تبارك تعالى في علم الحساب والهندسة والمنطق فضلا عن العلوم الحقيقية الشرعية ومن كشف الله تعالى عن بصره وبصيرته رأى جميع العلوم التي بايدي الخلائق مقربة الى الله تبارك وتعالى وطريقا الى دخول حضرته ولكن أكثر الناس لم يكشف الله تبارك وتعالى عن بصيرتهم فلم ينظروا في العلوم من حيث الوجه الدال منها على الحق تعالى ففاتهم الكمال ولذلك ذمهم العارفون رضي الله عنهم وقالوا ان علوم هؤلاء حجاب لحجبهم بها عن ربهم ولو أنهم نظروا فيها من حيث الوجه الدال على الحق لم تحجبهم عن ربهم ولنالوا درجات العارفين * وقد بلغنا عن الامام الغزالي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة انه لما دخل طريق القوم كان يقول

له سواه وأحب له من لا يحب شيأ أهواه وأحب لقاه من ذاق انس مولاه ويتمحض لك الحب له في عشرة فاعتبرها فيما وراءها في الرسول عليه السلام وفي الصديق والفاروق والصحابة والتابعين والاولياء والعلماء الهداة الى الله والشهداء والصالحين والمؤمنين فاذا افترق الامر بعد الايمان الى عشرة أشياء الى السنة والبدعة والهداية والضلالة والطاعة والمعصية والعدل والجور والحق والباطل وميزت وأحببت وأبغضت فاحب له وأبغض له ولست تبالي بأيهما كنت وقد يجمع لك الوصفان في شخص واحد ويجب عليك القيام بحقهما جميعا فاذا قد بان لك الحب في العشرة الاول فانظر هل ترى للهوى هنالك أثرا فكذلك فاعتبر حب من حضر من اخوانك الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهديين وسائر من أحضر ومن حضر ممن غاب عنك أو مات فان وجدت قلبك لا متعلق له بمن حضر كما لا متعلق له بمن غاب أو مات فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله تعالى وان وجدت شيأ يتعلق به فيمن يحب أو فيما يحب فارجع الى العلم واتقن النظر في الاقسام الخمسة من الواجب والمندوب اليه والمكروه والمحظور والمباح

قد وجدنا علوم الفقهاء كلها حجابا فيا ليتنا لم نضيع عمرنا فيها فقال له بعض العارفين ولاي شئ تجعلها حجابا ولو نظرت فيها وفي كل شئ في الوجود لوجدته دليلا على الله تبارك وتعالى وارفعا الحجب عنك فعمل على ذلك فعرف وجوه دلالتها على الحق جل وعلا فرجع عن ذلك القول وصار يقول العلم نور يكشف عن العبد الحجب وانما يكون حجابا على من لم يخلص لله عز وجل في تعلمه وتعليمه انتهى وكذلك بلغنا عن الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة انه لما دخل الطريق بعد السياحة ترك تدريس العلم الظاهر كله ووقعت النفرة بينه وبين أهله فلما كمل حاله وشهد وجه دلالة العلوم كلها على الله تبارك وتعالى صار يدرس في علم الفقه والاصول والنحو وغيرها حتى مات * وقد بلغنا ان الشيخ غانما المقدسي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة كان يسلك مريديه كلهم من طريق علم النحو حتى يوصلهم منه الى حضرة الله تبارك وتعالى انتهى فاعمل يا أخي على تحصيل ماقلناه

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) بعد المجاهدة اعطاؤه جل وعلا لي الفهم في القرآن الذي هو علم الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا وذلك على مصطلح العارفين زيادة على الفهم الذي أوتيته على مصطلح الفقهاء كما تقدم آنفا * قال سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه وأرضاه وانما قال تعالى فقد أوتي خيرا كثيرا الكثرة تلك الوجوه المبطونة في الكلمات وايضاح ذلك ان الفهم في الكلام على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم موهوب من غير مادة فالذي وهبت من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم وأما المكتسب من المادة فهو الذي يقال فيه فهم وهو تعلق خاص في العلم فاذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو رأى الكتابة ففهم منها أمرا ففيه تفصيل فتارة يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهذا يسمى فهما وتارة لا يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل ولكن يحتمل عنده فيها عدة وجوه يدل عليها الكلام لا يعلم مراد المتكلم من تلك الوجوه ولا يدري هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه انه أعطي الفهم في القرآن وانما يقال فيه انه أعطي العلم بمدلولات تلك الكلمة أو الكلمات وقد أجمع العارفون رضي الله تعالى عنهم على ان كلام الله تبارك وتعالى واسع يقبل جميع ما فسره به المفسرون لانه تعالى قد خاطبهم بجميع ما يقبله استعدادهم فما من وجه مقبول فهمه عباده المؤمنون الا وهو مقصود له تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى فهم من فهم من كلامه تعالى تلك الوجوه المقصودة له تعالى أو لذلك الشخص الذي فهم منها ما فهم حيث لم يخرج في فهمه عما يؤديه كلام العرب فان خرج عما يؤدي اليه كلام العرب فلا علم ولا فهم أيضا وهذا من خصائص كلام الله تعالى أما كلام المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه غير مقصود لصاحب الكلام فاعلم ذلك واعمل على جلاء مرآة قلبك لتفهم كلام ربك عز وجل والحمد لله رب العالمين (وسمعت سيدي عليا الخواص) رحمه الله تعالى يقول من أدب العبد في الفهم في كلام ربه جل وعلا أن يمشي حيث مشى به الشرع ويقف حيث وقف به فيعقل فيما يقول له فيه اعقل ويؤمن فيما يقال له فيه آمن وينظر فيما قال له فيه انظر يعني تفكر ويسلم فيما قال له فيه سلم وذلك لان الآيات وردت في القرآن متنوعة فآيات لقوم يعقلون وآيات لقوم يؤمنون وآيات لقوم يتفكرون وآيات لقوم يسمعون وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولي النهى وآيات لاولي الالباب وآيات لاولي الابصار ففصل يا أخي كما فصل لك الحق تبارك وتعالى ولا تتعد الى غير ما ذكره لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خوطب بها واجعل نفسك كأنك المخاطب بها فان فيك مجموع ما تفرق في اخوانك المسلمين لنعمته تعالى لك بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والسمع والقلب الذي هو اللب والابصار وغير ذلك فانظر يا أخي في كل صفة نعتك بها واظهر بها في العالم تكن ممن جمع له القرآن وأعطي الفرقان انتهى كلامه بالمعنى في غالبه وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به علي) اعطاؤه تبارك وتعالى لي الفرقان بين رجال الله تعالى فانه ما كل الرجال اعطوا الفرقان وهم ثلاثة أصناف لا رابع لهم ذكرهم الشيخ محيي الدين رحمه الله في الفتوحات الاول العباد

أو ادعوا ولاية الله فان من شأن النفوس وجود الدعوى والتوثب الى المراتب العالية من غير أن يسلك السبيل الموصلة اليها ولهذا قال سبحانه قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لحارثة لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك لما قال له كيف أصبحت فقال أصبحت مؤمنا حقا ولا يحب الموت من فيه البقايا ولا من هو مصر على شئ من الخطايا وجعل الله تمني الموت شاهدا للولي بولايته وعدم تمنيه شاهدا للغوي بغوايته قال الله سبحانه وأقيموا الوزن بالقسط والموت ميزان على الافعال والاحوال كما هو ميزان في دائرة الرتب أما الرتب فكما تقدم وأما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك أمر وأنت فيه لا تدري رضي الله بتركه أو فعله أو حال أنت بها لا تدري هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بسوى فاورد الموت على ما أنت فيه من أفعال وأحوال فكل حالة وعمل يثبت مع تقدير ورود الموت عليها ولم ينهزم فهي حق وكل حالة وعمل هدمها الموت فهي باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله عز وجل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه

بضم العين وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل والافعال الظاهرة المحمودة ومن شأنهم انهم لا يرون شيأ فوق ماهم فيه حتى يطلبوا الانتقال اليه فلا معرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الالهية الوهبية ولا مكاشفة لهم ويخافون من ظهور أعمالهم ان تحبط لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى * الصنف الثاني الصوفية وهم رجال فوق هؤلاء العباد فانهم يرون أفعالهم كلها لله تبارك وتعالى مع ماهم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون مع ذلك أيضا ان جميع ماهم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شئ وفيهم رعونة ونفس بالنظر لاهل الطبقة العليا فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوتهم * الصنف الثالث الملامتية وهم على قدم السيد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه ومن شأنهم أنهم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يفعلون من العبادات كلها الا ما لا بد منه ولا يتميزون عن غالب الناس بعبادة يمشون في الاسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله جل وعلا لا يتزلزلون عن عبوديتهم ولا يذوقون للرياسة طعما لاستيلاء عظمة الله تبارك وتعالى على قلوبهم وهؤلاء أعلى الطوائف كلها مقاما كما فضل أبو بكر الصحابة كلهم رضوان الله عليهم أجمعين فتامل في ذلك واطلب المقامات الثلاثة ولا تقنع بشئ دون المقام الثالث والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على *) بعد المجاهدة اطلاعه تبارك وتعالى لي على ان الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان به يسكن القلب عن طلب الاجر على أعماله وعن طلب الفتح على قلبه في مقامات العارفين اذ الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لا بد منه تطلبه الاعمال وتناله الانفس ولكن متى يكون ذلك الفتح هل هو في الدنيا أو الآخرة ذلك الى الله تبارك وتعالى فاذا رأيت يا أخي عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم تر يفتح لك في باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك في العمل فاياك ان تتهم ربك فانه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة في ذلك وفر من أن تكون من أهل التهم وعليك بالاخلاص في أعمالك عبودية وخدمة لربك لا لطلب أجرة فانك عبد له ما أنت أجير فلو سجدت على الجمر من افتتاح الدنيا الى انتهائها ما أديت شكره في جعله لك عبدا دون ان جعلك أجيرا فان من شأن العبد أن لا يفارق دار سيده في حال عمله وفي حال تركه للخدمة ومعه الاذن من سيده بدخوله على حرمه ولا هكذا الاجير فانه اذا فرغ من العمل ترك صاحب ذلك العمل وبعد عن دار السيد وليس معه اذن في الدخول على حرمه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على بعد المجاهدة *) علمي بكون الحق تعالى يكرهني أو يحبني وذلك بنظري الى أعمالي وما أنا منطو عليه فان نظرت في نفسي ورأيتها متبعة للكتاب والسنة مهتدية بهدي السلف الصالح بحسب طاقتها حكمت بان الحق تبارك وتعالى يحبها وهو راض عنها وان رأيتها مخالفة للكتاب والسنة قليلة الورع قليلة الزهد قليلة الخشوع قليلة الخوف من الله تبارك وتعالى ذاكرة للدنيا ووظائفها ومناصبها ناسية للآخرة ودرجاتها ومراتبها حكمت بان الله تبارك وتعالى يكرهها فعليك يا أخي بالعمل بهذه الميزان صباحا ومساء ان لم تستطع ذلك في جميع الساعات لتعلم مالك وما عليك ولا تنتظر أحدا غيرك ينبهك على مثل ذلك فانه مفقود في هذا الزمان وقد قال الله تبارك وتعالى بل الانسان على نفسه بصيرة فعلم انه يتأكد على كل شخص ليس له شيخ أو أخ صادق ان يزن أحواله بالكتاب والسنة وكلام الائمة لينظر في ربحه وخسرانه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على *) قصدي بتعلم العلم نفع نفسي به أولا ثم المسلمين ثانيا ولا أقصد نفع غيري به الا بحكم التبعية لي واذا رأيت نفسي عاجزة عن العمل بما علمت أوقفتها عن التعلم حتى تستوعب العمل بكل ما علمت وهذا من أكبر نعم الله تعالى على فان فاتتني مباشرة العمل لم يفتني أجر نية العمل وهذا ما كان عليه السلف الصالح كداود الطائي وأبي حنيفة وسفيان الثوري وشعبة وأضرابهم رضي الله تبارك وتعالى عنهم * وكان الشعبي يقول لعلماء زمانه لستم بعلماء انما أنتم متلذذون بالمسائل ولو انكم كلفتم نفوسكم

فيه قائما بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق وقد تجاريت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله فقلت له الذي يقرأ العلم لله هو الذي اذا قلت له غدا تموت لم يضع الكتاب من يده وربما غر الغافل من طلبة العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا لله وليس في قول القائل ما يستروح به من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما أخبر هذا القائل عن أمر من الله به عليه ونعمة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن في المعا أعياه علاجه وضاق منه خلقه فاخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم الى التهلكة * ليس المغرر بمحمود وان سلما * وقول الشيخ وقد أحب الله من لا محبوب له سواه فهو كلام يستدعي معرفة المحبة وماهي * اعلم ان المحبة هي من أجل

بالعمل بما تعلمون لخرعتم المرارات ولكبحت نفوسكم عن التعلم * وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قد غلط قوم فى طلبهم العلم فطلبوه لغير العمل به فصار علمهم كالجبال وأعمالهم كالهباء وكان بشر الحافى يقول والله ما كنا نظن أن نعيش الى زمان صار علم الناس شبكة لهم يصطادون به الدنيا ولما انقطع بشر رحمه الله تعالى عن املاء الحديث أتى اليه اخوانه وقالوا له ما تقول لربك اذا قال لك يوم القيامة لم تركت التحديث بكلام نبى صلى الله عليه وسلم فقال بشر أقول له يارب قد أمرتنى فيه بالاخلاص ولم أجد عند نفسى اخلاصا * وكان الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وأرضاه يقول من علامة اخلاص العالم فى علمه انه كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهدا وقلت أمتعة داره انتهى (وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى) يقول كان من آخر العلماء العاملين الامام النووى رضى الله تعالى عنه وأرضاه لما مرض المرض الذى مات فيه ورجع من الشام الى نوى بلده لم يجدوا له متاعا يحملونه الى أمه سوى العكاز والابريق وترك كتبه ومؤلفاته كلها بالشام للفقراء والمساكين انتهى وكذلك بلغنا عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى انه لما غضب من السلطان صلاح الدين فى مصر حمل أمتعة داره كلها على حمارته وأركب زوجته عليها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول مررت على حجر مكتوب عليه اقلبنى تعتبر وذلك أيام سياحتى قال فقلبته فوجدت فى باطنه مكتوبا أنت بما تعلم لم تعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم فوالله ان أمثالكم بطالب العلم الا لاقامة الحجة عليه لا غير ومن ادعى غير ذلك كذبته أفعاله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب الثانى فى جملة أخرى من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق)

((مما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) من حين كنت طفلا عدم اصغائى الى قول من يزعم انه يعرف علم الكيمياء أو يقدر على فتح المطالب وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على فقد تلف فى ذلك مال كثير من الفقراء وطلبة العلم ثم ردذلك التلف على أديانهم فتلفت قلوبهم وخربت من محبة الله ورسوله والصحابة والتابعين وسائر المقربين فانه لا يصح المحبة لاحد الا بالتخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم وما أحد من الانبياء وأتباعهم الصادقين يحب الدنيا أبدا فمن ادعى محبتهم مع محبته للدنيا فهو كذاب وقد كان لى عدة أصحاب على تقوى وخير فخالفونى وعاشروا النصابين فاتلفوا أموالهم وأديانهم وضيعوا ما كان معهم من المال فى شراء العقاقير والبخورات وأجرة الحفارين للكيمان والقبور والمغاير والآبار وصاروا لا دنيا ولا آخرة الى أن ماتوا * وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول ثلاثة من الناس لا يرجى فلاحهم لاستحكام المقت فيهم من يحب اللواط ومن يعمل الكيمياء ومن يريد فتح المطالب انتهى وقد أخبرنى سيدى أبو البقاء بن البارزى ان شخصا نصب عليه فاتلف عليه نحو ثلاثين ألف دينار فصار يأخذ منه كل قليل المائة دينار وأكثر ويطبخ فتطلع الطبخة فاسدة فيقول له المرة الثانية تصح ان شاء الله تعالى فما زالت الطبخة تطلع زغلا حتى أفنى جميع ما كان معه من المال فقلت له فأين كان عقلك فقال وهل لمحب الدنيا عقل * وأخبرنى سيدى محمد بن الشيخ أبى شعرة الماوردى أحد أصحاب سيدى الشيخ أبى السعود الجارحى رحمه الله تعالى ان نصابا قال له بلغنى ان فى قاعتك مطلبا عظيما ومقصودى أفتحه لك ولكن يحتاج الى نحو سبعة وعشرين ألف نصف نشترى بها بخورات ونحلى بها الخدام وكان هذا النصاب يعرف علم السيمياء فأخذه وأدخله القاعة وأطلق له عشبا معروفا عنده فانفتح فى مخيلته الفاسدة باب بجانب بيت الخلاء فنزل هو واياه فوجدا كيمان الذهب والفضة كالتلال واذا بملك الكنز نائم على سرير قوائمه من ذهب وهو مغطى بثياب من حرير وعليه شبكة من لؤلؤ فقال له بقى عندك شك فقال لا فقال أعطنى المال لآتى لك بالبخور الذى يبطل الموانع لتصير تخربه كلما تأخذ لك منه شيأ والا فكل شئ أخرجته منه أخذه منك الخدام فأعطاه جميع ما كان بيده من النقد وأخذ أساور أمه الذهب وعصابة زوجته حتى خلاه على الارض السوداء ثم قال له أنا رائح أسعى لك فى البخور فخرج هو واياه وأغلق باب المطلب فلم يجد له بعد ذلك أثرا الى يوم تاريخه قال وأول ما نصب على انه قال لى هذا الامر يحتاج الى مائة بندقى نشترى بها بخورا من الملك الاحمر من ملوك الجان والقاضى عمروش يضمن الجنى الذى يعطيه المائة دينار وهو الآن فى مدينة سكندرية

مقامات اليقين حتى اختلف أهل الله أيهما أتم مقام المحبة أو مقام الرضى وان كان الذى نقول به ان مقام الرضى أتم لان المحبة ربما حكم سلطانها على المحب وقوى عليه وجود الشغف فأداه ذلك الى طلب مالا يليق بمقامه ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب والراضى عن الله راض عنه أشهده أم حجبه المحب يحب دوام الوصلة والراضى عن الله راض عنه وصله أو قطعه اذ ليس هو مع ما يريد لنفسه بل انما هو مع ما يريد الله له والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب والراضى لا طلب له ولنا فى هذا المعنى

شعر

وكنت قديما أطلب الوصل منهم
فلما أتانى العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلب له
فان قربوا فضل وان بعدوا عدل
وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم
وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو

قال الشيخ أبو الحسن المحبة أخذة من الله لقلب عبده عن كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم فمن أجل

ومن الساقي وما الذوق وما الشارب وما الري وما السكر وما الصحو فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب والكأس هو اللطف الموصل ذلك الى أفواه القلوب والساقي هو المتولي للمخصوص الاكبر والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظي منه بشئ نفسا أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا ومن توالى عليه الامر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الري وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فذلك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون الى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون

فأخذ منه المائة دينار يعني النصاب وسكن في قاعة مرخمة في السبع قاعات بمصر المحروسة وتزوج امرأة جميلة وصار ينفق عليها مدة سنة حتى فرغت تلك الفلوس ثم طلق تلك المرأة وجاءه بخور قدر الدرهم الغدار وقال ما وجد الملك الاحمر في بلاد الجن الا هذا الشئ اليسير ويحتاج الى مائة بندقي أخرى حتى يفتح بها المطلب ويبطل موانعه فأعطاه مائة أخرى ثم تبين لسيدي محمد كذب هذا النصاب فصار يشتكيه من بيوت الحكام فيقول النصاب يا مسلمين شرع الله بيني وبينه وينكر انه ما أخذ ذلك المال والحلي الذي أخذه منه فلم يصل منه الى شئ من ذلك الى وقتنا هذا ووقع لهذا النصاب أيضا انه نصب على قاض من بعض قضاة العساكر بمصر قال له عندك في القاعة كنز عظيم ولكن يحتاج الى خمسمائة دينار ذهبا ولا تعطها لي حتى ترى الذهب بعينك فبخر له بخور معروف عند أهل علم السيمياء فأراه كيمان الذهب والفضة والملك صاحب الكنز نائم على سريره وقال له رأيت بعينك فقال نعم فقال له اعطني الخمسمائة دينار فأعطاها له وقال له انتظرني حتى آتيك بالبخور فخرج فلم يرجع له الى يوم تاريخه وصار القاضي يستحي أن يتكلم بذلك ثم يقول لنفسه كيف تكذب شيأ رأيته بعينك ولم يزل يتحسر على تلك الاموال الى ان سافر من مصر الى بلاد الروم (وأخبرني) القاضي نور الدين الاشموني ان شخصا نصب عليه فوضع في البودقة نحو عشر بنادقة وغطاهم بالنخالة بحيث لا يعلم بها القاضي ثم أرسله الى عطار بينه وبينه لغز فاشترى منه عشبا بدرهم فأخذه ونثره على النخالة ثم أطاق عليه النار فانسبكت العشرة الدنانير وصارت سبيكة فأخرجها القاضي وقال هذه السبيكة أصلها كلها بدرهم ولكن ان أردت أن أطبخ لك كذا كذا قنطارا من الذهب فأعطني مائة بندقي فأعطاها له فطبخ له طبخة بنحو درهمين نقرة وقال له انها فسدت ثم انه وضع له منها نحو عشرين بندقيا في البودقة وغطاها بنخالة كما تقدم وذر عليها شيأ يشبه دقاق الترمس وأطاق عليها النار فأخرجها سبيكة فقال له اذهب بها الى اليهودي الذي هو جالس على باب الصاغة فبعها له فانه لا يعرف الذهب الخالص الا هو فلما رآها اليهودي قال له من أين لك هذا الذهب العظيم فأعطاه في كل مثقال ستين نصفا وقال هات لي ثانيا من هذا الذهب وأنا أعطيك في كل مثقال منه سبعين نصفا قال القاضي ثم أخبرني الناس انه نصاب وان هذا اليهودي الذي يجلس على باب الصاغة ليس هو بيهودي حقيقة وانما هو مسلم قليل الدين يلبسه عمامة يهودي ويعطيه خرجا صغيرا على كتفه ويعطيه كل يوم أجرته ثم ان القاضي طلب فلوسه التي أعطاها للنصاب فراحت عليه الى يوم تاريخه * ثم انه يقال لمن يزعم انه يعرف علم الكيمياء انك يا أخي لا تخلص من التبعة في الدنيا وفي الآخرة لمن تعامله بدراهم كيميائك الا ان قلت له هذه الدراهم صنعتي بيدي ولعله لا يقبلها منك أبدا خوفا على نفسه من بيت الوالي وأما أنت فقد عرضت نفسك للشنق أو النفي من جهة السلطان فانك ان عملتها وصحت قتلك وان فسدت قتلك (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول كثيرا بتقدير صحة الكيمياء ورواجها في المعاملة لا بد انها تخرج زغلا ولو على طول وبصيرا ثمها على من عملها وكذلك اثم العقود باتة التي تقع لمن ظهرت على يديه زغلا وذلك لتمييز ما خلقه الله عز وجل من المعادن وما عمله ابن آدم من ذلك بالحيل والتركيب انتهى وقد وقع لاخي الشيخ أبي الفضل ان شخصا من أصحابه اشتغل بعلم الكيمياء على طريقة النصابين فزجره وهجره وقال كيمياء الفقراء انما هو أن يعطيهم الله تبارك وتعالى حرف كن ثم ان سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى قال لحجر كان هناك كن ذهبا فصار ذهبا يلمع حتى رآه صاحبه وتحققه ثم قال له كن حجرا فرجع حجرا انتهى هذا اللفظ صاحب الواقعة وقد لعب الشيطان بجماعة كثيرة يدعون التصوف والسلوك فأتلفوا ما كان بأيديهم وأيدي أصحابهم من الاموال وصاروا كلهم فقراء من الدنيا يأكلون بدينهم وصلاحهم ومجالسهم في الذكر خبزا وطعاما وثيابا فكان الذي يأكل بالطبل والمزمار أحسن حالا منهم لانه قد قيل بحل الاكل بالطبل والمزمار في الجملة ولعل الباب الذي دخل عليهم ابليس منه انه قال لهم انكم اشتهرتم بالصلاح والزهد في الدنيا وما بقي أحد يظن فيكم الا الصلاح ولو ضربتم الزغل ولا يكمل الفقير الا اذا كان متعففا عن أموال الناس ثم وسوس للنصابين وقال قولوا لهم نحن نعلمكم صنعة تنفقون وتوسعون منها على أنفسكم وجماعتكم فلما خدعهم بذلك أطاعوه كما وقع لجماعة من فقراء الروم والعجم

في ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الشيخ القطب

بمصر أيام السلطان الغوري ونفاهم من مصر بعد قطع أيديهم ولعمري اذا كان المريد في بداية أمره يجب عليه في اصطلاح القوم كما كان مذهب أبي ذر رضي الله عنه الزهد في الدنيا بأسرها والخروج عما بيده منها فكيف يليق بمن يزعم أنه في مقام الكمال والمشيخة أن يطلب الدنيا بالحرام فضلا عن الحلال ثم انه لا يقدر أحد على عمل الكيمياء الا في المغاير والجبال والخرائب من الحارات وذلك من أقوى الادلة على ان هؤلاء يعرفون ان ذلك زغل ولو انهم عرفوا ان ذلك كان صحيحا لعملوه بحضرة الناس كما يفعل الصائغ في الصاغة في الذهب الحقيقي وكما يفعل الاولياء أصحاب الكرامات رضي الله تعالى عنهم وأين دعوى هؤلاء الصلاح وهم يخافون من الخلق أكثر مما يخافون من الله عز وجل ويجعلونه كأنه أهون عندهم من بعض عبيده فعلم ان كيمياء القوم انما كانت عن حرف كن فيجعل الله لاحدهم في الدنيا بعض ما يعطيه له في الجنة فان أهل الجنة يقول أحدهم للشئ كن فيكون فكان تعجيل الله تبارك وتعالى ذلك لأوليائه في الدنيا تقوية لايمانهم بما يعطيه لهم في الجنة وبعضهم أعطاه الله تبارك وتعالى ذلك فلم يتصرف به في هذه الدار وادخره للدار الآخرة كالشيخ أبي السعود بن الشبل واضرابه فلا تظن يا أخي أن كيمياء السلف كانت بشراء حوائج من العطار وانما كانت أبدانهم تتجوهر من كثرة الاعمال الصالحة حتى يسري ذلك الى فضلاتهم فاذا بال أحدهم على حديد أو رصاص صار ذهبا خالصا وانقلبت عينه كما وقع ذلك لبعض مريدي سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه ولمريدي سيدي يوسف العجمي رضي الله تعالى عنه وشاع بذلك الخبر حتى شاع الخبر ان مريدا لسيدي الشيخ ابي الحسن الشاذلي بال على نحو خمسة قناطير من الرصاص فصارت ذهبا حتى بلغ ذلك السلطان محمد بن قلاوون فنزل لزيارة الشيخ اظنه ان ذلك من الكيمياء على طريقة النصابين فقال له الشيخ ليس كل من عرف الكيمياء يقدره الله جل وعلا على العمل بها ويأذن له فيها ولا كل من تجوهر بدنه وفضلاته تمشي له القدرة ذلك فرجع السلطان بالخمسة القناطير هدية من الشيخ له فاعمل يا أخي على تجوهر بدنك بالاعمال المرضية على وجه الاخلاص حتى تصعد صحيفتك كل يوم كأنها مضمخة بالند والعنبر ولا يصير لك عمل يكتبه كاتب الشمال أبدا وهنالك يصح لك عمل الكيمياء بارادة الله تبارك وتعالى ويعطيك الله تعالى ما تؤمله من خيري الدنيا والآخرة ولعلك اذا فعلت ذلك زهدت في الدارين دون الله جل وعلا فضلا عن شئ خسيس أمرك الله عز وجل بالزهد فيه * وقد بلغنا ان شخصا جاء الى سيدي أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقال له اني اسمع الناس يقولون عنك انك تعرف صنعة الكيمياء وأنت تلتقط القمح وتأكل فقال نعم ثم أخذ حجرا ورفعه في الهواء ثم نزل فاذا هو ياقوت أضاء منه المكان ودخل عليه مرة شخص آخر وقال أريد أعلمك الكيمياء لتنفق منها على اخوانك فقال له الشيخ أبو العباس رحمه الله تعالى قد صحبنا أقواما اذا قال أحدهم لشجرة أم غيلان أمطري ذهبا أمطرت فيلتقطه الناس فمن وصل الى مثل ذلك لا يحتاج الى كيميائك ودخانها (وأخبرني) الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمري رضي الله تعالى عنه ان سبب تسمية سيدي أحمد الزاهد بالزاهد مع ان سائر الاولياء لابد لهم من الزهد ان بعض الاولياء علمه الكيمياء الصحيحة وقال له خذ بظفرك ترابا من أي مكان شئت وذره على أي حجر شئت وقل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصير ذهبا ففعل ذلك فصح له فأمر بالحجر الذهب فأرمي في بيت الخلاء وأمر الرامي أن لا يعلم بذلك أحدا حتى يموت الشيخ قال فأصبح الناس كلهم يلقبونه بالزاهد ولم يكن له هذا اللقب قبل تلك الليلة انتهى (وأخبرني) سيدي علي المرصفي رضي الله عنه ان مغربيا جاء الى سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رضي الله تعالى عنهما وقال له أريد منك عشرة أنصاف أشتري لك بها حوائج من العطار وأطبخ لك نحو قنطار من الذهب تنفقه على هؤلاء الفقراء فقال له الشيخ كمل جميلتك واشتر ذلك وادفع ثمنه من عندك نفعل ودخل الخلوة فمكث ساعة الا ووجه ذلك المغربي يحرق وذهبت لحيته فقال له الشيخ نحن لا نعمل شيأ يؤدي الى حرق اللحى والوجوه انتهى (قال) سيدي علي المرصفي وكان ذلك من حال سيدي محمد ألقاه عليه حتى ينفر الفقراء عن الميل الى مثل ذلك ولعل المغربي كان يعرف الكيمياء الصحيحة انتهى ومما وقع لي مع الشيخ أبي الفضل وكان مشهورا بعمل الكيمياء الصحيحة انه جاءني يوما أوائل صحبتي له وقال مرادي أعلمك صنعة

عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن الشاذلي الزم الطهارة من الشرك كلما أحدثت تطهرت ومن دنس حب الدنيا كلما ملت الى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله ولعلي أحدث من لا يعرف المحبة ولا الشراب ولا من الشرب ولا الكأس ولا السكر ولا الصحو قال له القائل أجل وكم غريق في الشئ لا يعرف بغرقه فعرفني ونبهني عما أجهل أو امتن به علي وأنا عنه غافل قلت لك نعم المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له عن نور جماله وقدس كمال جلاله وشراب المحبة مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال ويتسع فيه النظر لمن شاء الله والشرب سقيا القلوب والاوصال والعروق من هذا الشرب حتى يسكر ويكون لشرب بالتدريب بعد التذويب والتهذيب فيسقى كل على

الكمياء الصحيحة وأعملها بحضرتك فى نحو خمس درج فقلت له ليس لى ميل الى ذلك فقال هذا أولى من أكلك بدينك فان الفقير اذا لم يكن له كسب دنيوى أكل بدينه لا سيما وهؤلاء الفقراء الذين عندك كلهم محتاجون فقلت له لا أعمل شيأ من ذلك فقال لى فماذا تصنع اذا احتاج عيالك الى شئ من الدنيا من مأكل أو ملبس أو نحوهما فقلت له أوقد تحت دكان طباخ ومهما حصل قسمته بينى وبينهم فولى وهو مظهر للغضب على ثم جاءنى بعد أيام وقال والله ما كنت أريد أن أعلمك شيأ من ذلك ولو طارت الرقاب وانما امتحنتك قبل صحبتى لك فانى عاهدت أن لا أصحب أحدا يحب الدنيا وقد ملأت عينى منك من ذلك اليوم فقلت الحمد لله رب العالمين (قال) وقد امتحنت سيدى محمدا الجعفى لما حججت وقلت له أنا أعرف علم الكمياء فصار يخدمنى أشد الخدمة فلما عزمت على الرجوع من الحج تبعنى وقال علمنى ما وعدتنى فقلت له هيهات كيف أعلمك شيأ يشغلك عن الله تعالى فما زال يقسم على فلا أجيبه ثم قلت له يا شيخ محمد أين شهرتك بالزهد فى الشام ومصر والحجاز والروم وأنت تحب الدنيا قال فاستغفر وتاب على يدى وكاتمنى انتهى فالحمد لله رب العالمين * وأما فتح المطالب فحكمه حكم الغول والعنقاء يتحدث بذلك ولا يرى له فاعل ثم انه لا يشتغل بحب ذلك عن الله تعالى الا من مقته الله تعالى وطرده عن بابه مع ان أصحاب الكنوز قد أخذوا العهد على جميع الخدام الموكلين بها انهم لا يفتحون ذلك المطلب قط لمن تدين بدين الاسلام الا ان كفر بالله تعالى فان صح أن أحدا انفتح له ذلك المطلب فلا يكون الا بعد كفره بالله تعالى فاحذر من يريد أن يفتح المطلب دينه أو دنياه و بعض الخدام يستهزئ بمن يريد فتح المطلب و يقول له لا نجيبك الى فتحه الا ان أتيتنا بنملة حامل لها أربعة شهور كما وقع للباشاه داود لما فتح المطلب بجامع سمانود البحرى و بعضهم يدهن دبر من يفتح المطالب فيصير يضرط كالطبل العظيم ثم اذا ضحك أحد من الحاضرين رجع التراب الى محله كما وقع ذلك للسلطان الغورى فى المدينة المسماة بعين شمس بالقرب من المطرية فان المطالبية لما حفر واوضرطوا وضحكوا رجع التراب الذى حفروه وقالوا للسلطان احضر معنا حتى تستحى الناس منك فلا يضرطون فحضر فضرط الآخر وأخبرنى الامير يوسف بن أبى أصبع انهم لما حفروا فى الرمل ظهر لهم باب عظيم كباب زويلة فلما ضرط الناس رجع الرمل الى موضعه انتهى و وقع لبعضهم انه طلع للوزير على باشاه وأخبره بان بناحية سمانود مطلبا عظيما وانه يفتح اذا ذبحوا عليه قردا وعبدا أسود فاجتمع على ذلك عسكر السلطان فهرب النصاب ودخل تحت ستر شيخ حتى رجعوا من غير فتح وانما بسطت لك يا أخى الكلام فى هذه المنة بعض البسط مبالغة فى نصح الاخوان فقد بلغنى ان جماعة من الفقراء وطلبة العلم باعوا كتبهم وامتعتهم فى طلب عمل الكمياء وفتح المطالب وكان عاقبتهم الحرمان (وقد) أخبرنى أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى أن أصحاب فن الكمياء مأخوذ عليهم العهد من أيام جابر أن لا يذكروا قط تدبيرا كاملا وانما يحذفون منه أركانا وشروطا و يكلون علم ذلك الى العالم بالفن و جميع ما يذكرونه من الرموز واللغوز وأسماء العقاقير المراد به غير ما يتبادر الى الاذهان وقد رأيت انسانا رأى فى كتاب يؤخذ دهن القمح الصعيدى وقاف الراء الاحمر وقشور البيض والنطرون فاستخرج دهن القمح وخلطه على الزنجفر وصحن على ذلك قشور البيض والنطرون الذى يبيض به الغزل و جعله فى دن و وضع عليه راوية ماء وصار يحرك ذلك بخشبة فاعلمت الشيخ أفضل الدين بذلك فضحك حتى كادت عمامته تقع (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يصح علم الكمياء من طريق علم جابر الا من صار الذهب عنده كالتراب على حد سواء فانه من علم الحكمة والحكمة لا تدخل قلبا يحب الدنيا انتهى وسمعته رحمه الله تعالى مرة أخرى يقول كل شئ فى الوجود اذا أضفته الى شئ آخر على مقدار ووزن معلوم يعلمه أهل الكشف صار حجرا مكرما فالسر انما هو فى معرفة مقدار ما يضاف من كل جزء الى الآخر وذلك يختلف باختلاف الاعيان قال وربما صح ذلك مع بعض الفقراء بحكم الاتفاق فيطمع فيعيد العمل ثانيا و ينسى تحرير المقدار الذى كان وضعه أولا على الجزء الآخر فيصير يعمل زغلا الى أن يموت انتهى مع ان أهل هذا الفن لم يزالوا يبخلون بتعليمه للناس فى كل عصر اما العزته عندهم واما لخوفهم على من يعلمونه من القتل فانه ان صح معه وعلمه السلطان قتله وان لم يصح معه قتله أيضا كما مر (وأخبرنى) أخى أفضل الدين رحمه

قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله سبحانه يتولى ذلك منه له ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والاكابر من المقربين فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيأ فما ظنك بعد بالذوق و بعد بالشرب و بعد بالرى و بعد بالسكر بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما أن السكر أيضا كذلك والكأس معرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها علمية فالصورة حظ الابدان والانفس والمعنوية حظ القلوب والعقول والعلمية حظ الارواح والاسرار فياله من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه وداوم ولم يقطع عنه نسأل الله من فضله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة وقد يسقون من كؤوس كثيرة وقد يسقى الواحد بكأس و بكؤوس وقد تختلف الاشربة بحسب عدد الاكؤس وقد يختلف الشراب من كأس واحدة وان شرب منه الجم الغفير من الاحبة * (انعطاف) * ثم اعلم فتح الله قلبك بشهود أنواره و والى عليك ورود

الله

الله تعالى ان الشيخ بدر الدين التوزى رحمه الله تعالى كان يعرف الصنعة فكان الامراء بمصر يخدمونه الى الغاية ولم يعلم أحدا منهم وقال هذا أمر يحتاج الى دماغ ثقيل (قال) رضى الله تعالى عنه على أن طالب الدنيا لا يصح قط من فقير فطم على يد الاشياخ وانما يقع فى ذلك من كان دعيا فى الطريق ليس له فيها أب فاياك أن ترى أحدا من أهل هذا الفن ينتسب الى أحد من الاشياخ الماضين فتحسب ان شيخه كان على ذلك الحال انتهى * ولما أنهيت الكلام على هذه المنة دخل على شخص برسالة فى التنفير عن هذا الامر من كلام أخى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه فاحببت اثباتها هنا لكونها من كلام عارف بالله تعالى وبطبائع الكون وكلها نصح * فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى ومن خطه نقلت أوصى جميع اخوانى من المسلمين بالزهد فى الدنيا وعدم الاصغاء الى كلام من يزعم من فسقة المتصوفة انه يعرف علم الكيمياء فانه كاذب وذلك لان جميع العلوم الحاصلة للعبد من عين الجود والمنة لا يحصرها عقل ولا نقل ولا يمكن لاحد الاطلاع عليها الا من طريق الكشف ومحب الدنيا محجوب عن مقام الكشف بالف ألف حجاب ثم ان من خصائص من عرف هذا العلم وصح له العمل به انه لا ينتفع بجسمه بعد ذلك بل تحدث له أمراض تمنعه التلذذ بشئ من الدنيا لمزاحمته الملوك على حطام الدنيا التى أمره الله بالزهد فيها فعلم ان كل من لم يكن عنده كشف وقنع بما رآه مكتوبا فى الكتب فهو مغرور هالك لان أهل هذا العلم رمزوه برموز لا يعلمها الا هم ومن أطلعه الله جل وعلا من طريق كشفه على حقيقة العلم وغايته وعلم جملته وتفصيله * وقد استخرج جابر بن حيان الكوفى الازدى صاحب علم الحكمة علم الكيمياء والجفر والخواص من قوله تعالى كهيعص واستخرج من ذلك زبدة علومه ورئيسها وقطبها الذى عليه مدار علم الحكمة وهو علم الميزان الذى هو علم الوقت وأشبع القول فى ذلك فى كتابه المسمى بالسبعة وذكر فى هذا الكتاب أصل الميزان وفى بقية كتبه شروط العمل به غيرة على هذا العلم أن يطلع عليه غير أهله فما أخطأ من أخطأ فى التدبير الا من حيث جهله بالشروط والموازين وظنه أن المراد بتلك المسميات ظواهرها المعروفة بين الناس فاذا علمتم ذلك أيها الاخوان فاقول باعلى صوتى حسب الاذن الكريم من رب العالمين الى جميع عباده المقلين المفلسين اننا ولو أقدرنا كم على هذا العلم لم ناذن لكم فى العمل به فان العمل به رفع فى سنة أربعين وتسعمائة كما رفع العلم به من سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ولا يجوز الاشتغال بعلم رفع علمه من القلوب مع عدم أمان فاعله على نفسه وماله وعرضه وكان الملوك أحق به منكم لعدم خوفهم على أنفسهم وغزارة عقلهم وحسن أدبهم وكمال أخلاقهم وسماحة نفوسهم بما يصرفونه على تحصيله مع أنهم اشتغلوا بذلك ولم يحصلوا على طائل وبعضهم قتل النصاب عليه لما أيس من معرفته لذلك العلم لاجل تضييعه ماله قال وقد سألت الله تعالى أن يطلعنى على هذا العلم من غير طريقه المعتاد فسمعت هاتفا يقول اقرأ انا أنزلناه فى ليلة القدر فقرأتها فعلمت ان هذا العلم قد ارتفع من القلوب فسررت بذلك فاياكم أيها الاخوان من الاشتغال بذلك ثم اياكم وعليكم بالصبر على قيامكم فى الصنائع والحرف التى بها معاشكم وأجركم على الله تعالى ثم اعلموا ان علم الحكمة ينقسم الى ثلاثة أقسام وهى فى الحقيقة مراتب الاقسام (الاول) علم الكيمياء وهو علم الجمادات على اختلاف مراتبها وأحكامها (الثانى) علم الجفر المكرم وهو على صورة تدبير أعيان العالم من حال ظهوره الى حال استوائه من غير نظر الى كثرة الصور المتولدة فى العالم المستحيلة الحكم والبقاء فى الدنيا والآخرة ويحتاج صاحب هذا العلم الى معرفة عين الجفر المكرم المأخوذ بدليل البراهين القاطعة وذلك بالكشف الثابت الذى لا يدخله محو ولا تغيير فكل من ادعى معرفته فامتحنه بما يخطر على بالك فان علم ذلك مع اختلافه وتنوعه فهو صادق والا فهو كاذب (الثالث) علم الخواص الموضوعة فى المفردات بغير واسطة الطبيعة الكلية وصورها العنصرية المزاجية لعلوه عن العالم باسره اذ هو محل خزانة الملك وموضع أسراره وليس لهذا العلم دليل عليه من خارج انما يوصل اليه بالعناية الربانية فيطلع الله تعالى من يشاء من عباده على خاصية كل شئ وحكمها بلسان تسبيحها فتقول سبحان من جعلنى أنفع لكذا وكذا سواء الجماد والنبات والحيوان اذ ليس فى العالم العنصرى المزاجى غير هذه الثلاثة أنواع * فاما علم الكيمياء فطريقه معرفة الميزان من غير تدبير حكمى ويحتاج صاحبه الى معرفة الذوات وتفاصيلها

معارفه وأسراره ان من أجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة سمعت شيخنا أبا العباس يقول يكون الولى مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى اذا أعطى العبارة كان كالاذن من الله له فى الكلام ويجب أن يفهم ان من أذن له فى التعبير تهيأت فى مسامع الخلق عبارته وجليت لديهم اشارته وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر ثم اعلم ان مبنى أمر الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه أليس الله بكاف عبده وقال ألم يعلم بان الله يرى وقال أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد فمبنى أمرهم فى بداياتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا فى اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم

من حيث الحكم والاثر علما يطابق عين الوصف القائم بذلك الجوهر حكما وأثرا فعلا وانفعالا ثم معرفة علم الدرجات والدقائق بالاعراض الملكوتية في الجوهر بسبب انحراف القطر أو نقص شرط أو علة في المادة مع تمييز الاعراض وحكمها من الاستحالة أو عدمها ثم يحتاج بعد ذلك أيضا الى علم معرفة الكم المفصل لتلك الاعراض تفصيلا لا يقبل القسمة الواضحة بالمثال وذلك كله سهل على من أذن له الحق تعالى فيه بل ذلك أسهل مما كلفنا العمل به والايمان به من جهة الحق تعالى وكتبه ورسله وملائكته وغير ذلك والضابط الجامع لعلم جميع ما تقدم هو النظر في ثقل بعضها أو خفته وصفائه وكدورته ومشابهة أدناها الأعلاها في الوصف واختلافها عند امتحانها بالنار في اللين واليبس الى غير ذلك مما هو معلوم للعارفين * ثم ينحصر علم مجموع هذا القسم في معرفة رتبة أنواع الجمادات باسرها ثم ينقسم ذلك الى قسمين قسم مازجت أرواحها وأنفاسها أجسادا ثابتة الحكم والاثر لا تقبل ذواتها الاستحالة وهو المعادن السبعة أو قابلة للاستحالة ثابتة الحكم والاثر وهو الياقوت والبلخش وأمثال ذلك وقسم لم تمازج الارواح والانفاس منه أجسادا ثابتة الحكم بل هو سريع الاستحالة حكما أو عينا سواء استحال بواسطة أم غيرها كالاملاح والشبوب والبوارق وأمثال ذلك ثم لا يخفى ان الجمادات كلها باقسامها تحت رتبة واحدة كما يعرف ذلك كل من في قلبه نور وأن أعلى ما فيها وأكمل هو المعادن السبعة وهي المطلوبة لان تغير أوصاف بعضها الى بعض بواسطة عقار أكمل منها رتبة وأثرا وليس ذلك ثم أبدا لما ذكرناه من انه ليس في جنسها أعلى منها فطالب النتيجة والاستحالة من الكباريت والزرانيخ والاملاح وغير ذلك مما هو داخل تحت هذه الرتبة كالطالب لما لا يمكن وجوده ومثاله مثال من حمل جملا على بغلة أو طيرا على جمل وطلب نتيجة صحيحة خالية من المخالفة والمشابهة وكل من ادعى صحة النتيجة في ذلك وأقام على ذلك برهانا طالبناه بالامتحان بنار التخليص امارة يتحققوا أما تعليقا فانه يفتضح اذ لا يثبت الا ما كان على الميزان الحق الواقع على يدي ادريس عليه الصلاة والسلام كل ذلك حتى لا يدعي أحد ما فوق مرتبته فيكذبه ميزان الحق فاقطعوا أطماعكم أيها الاخوان عن كون ذلك يصح لكم في هذا الزمان فان العمل بعلم الميزان الحق قد رفع أوائل المائة السادسة كما رفعت الطريقة المسماة بالميزان بين أهل عصرنا أوائل المائة الرابعة كما رفع العلم بها في أوائل المائة السابعة وما بقي مع أحد علم بها غير أهل الكشف الثابت لا غير لانه ليس عارف يظهره الله عز وجل بين العباد الا بعد أن يغمسه في طباق ظلمات الطبيعة ليشهد في نفسه التغير والاستحالة قبل شهودها في الكون ولولا ذلك لما قدر أن يترجم عن شئ باحسن وصفه أبدا * وأما علم الحجر المكرم فهو الذي لا يقبل الاستحالة بوجه من الوجوه اذ لو قبل الاستحالة لفسد نظام العالم وحكمت فيه كلمة الاستحالة فكان الجماد ينقلب نباتا والنبات حيوانا والحيوان انسانا ولو لم يكن ثابتا لم يوصف نحو ثلثي العالم بالبقاء وان كان عين ما ثبت هو عين ما استحال وعكسه عند أهل الكشف الناظرين في المرآة الكبرى من خلف ظهور الاستواء ومن شهد ذلك شهد صورة العدم وعلم ان كل ما سلم من التغير والتبديل هو الحجر المكرم ومن لم يكشف له عن ذلك لا يعرف الحجر المكرم ولو عبد الله جل وعلا عمر نوح عليه السلام * وايضاح ذلك أن تعلم يا أخي أن كل ما خرج بعد الانسان من جميع ما دار عليه الفلك السفلي سالما من تأثير النار والماء والهواء والتراب فهو الحجر المكرم لانه لو أقام في الطبيعة أبد الآبدين ودهر الداهرين لم يتغير عما خلق عليه أول مرة لا صورة ولا صفة ولا ذاتا فهو كالكليات المخلوقة للبقاء وما بعد هذا البيان من بيان * وأما علم المفردات المؤثرة بالخاصية دون الطبع تأثيرا أعلى وأثبت من تأثير الطبيعة المضادة في الحكم والمحكوم به أو عليه وهو عام في الجماد والنبات والحيوان فليس ذلك لاحد الا لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ومن ورثه في المقام وهم قليلون في الاولياء لا يكاد يظهر لهم عين وقد أمروا بكتمه الا عن افراد ولا يدخل هذا القسم رفع ولا تغيير بل هو على حالة واحدة فرد الفرد ولا ينال بالكسب انما هو هبة من الله تبارك وتعالى سالما من الاسباب والروابط خارج عن علم الحكمة لان موضوعها اقامة الاسباب واثبات الوسائط في محلاتها اللائقة بها بخلاف علم خواص المفردات لانه أمر خارق للعادة غير معقول في نفسه ثم لا يخفى أن هذا القسم ليس من علم الحكمة في شئ وانما ذكرناه هنا الحكمة أطلعنا

ان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شئ اليه وظهور الولي ليس بارادته لنفسه لكن بارادة الله له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم في ذلك بتأييده وارادة مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن ابن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه ولنختم هذه المقدمة بذكر كرامات أولياء الله جوازا ووقوعا وأقسام ذلك على سبيل الاختصار وكون هذا قد سبق الى الكلام عليه بالايعاب غيرنا قد أقام لنا الاعتذار لكنا ننبه على نكت مفيدة لاولي الالباب ونكشف عن وجه حسنها ما اسدل عليه من نقاب ليكون ذلك مهيأ لك لقبول ما ورد عن هذه الطائفة من الكرامات وما يسنده اليهم من باهر الآيات ان شاء الله تعالى

الله جل وعلا علمها اذ ما من عبد حققته العناية الربانية الا ويصير يقلب عين كل شئ توجه اليه بقلبه كالاكسير الخالص أو المدبر لصورة المعدن الناقص بل يكون كلامه وسائر أحواله حتى بوله وغائطه اكسيرا ثم لا يخفى أن صاحب هذا العلم يحتاج الى ثلاثة امور (الاول) أن يعطى معرفة الحكمة والاثر على وجه لا يقوم الاثر به الا لحكمة في العدد (الثاني) انه يعطى الحكمة في معرفة الوقت الذي يتم فيه وجود التأثير (الثالث) أن يعرف الوقت الذي تقوم فيه الحكمة وكذلك المكان المناسب للقوة المؤثرة أو المعين لها وهذه الثلاثة الامور يجهلها غالب العارفين فضلا عن غيرهم لانه ما ثم عارف همته مصروفة الى هذا العلم أبدا حتى يعرف شروط صحته ومعلوم ان صدقات الحق تبارك وتعالى لا تعطى الا للمحل القابل لذلك ولو قدر ان عارفا أعطى شيأ من غير قبول محله له لم يثبت عنده قال ويقع لبعض العارفين ان الله تعالى يطلعه على صحة هذا العلم ثم يغفل عنه فيفسد عمله ولا يعلم من أين دخل عليه الفساد مع أنه دخل عليه من ذهوله عن كون ذلك من علم التجربة الذي ليس هو من قدرة البشر اذ ليس في قدرتهم العلم بما تولد من الكواميش المختلفة باختلاف التراكيب والموازين والعقاقير وقد قيل ان هرمس الاول اخطأ احدى عشرة مرة مع ان علمه أخذه من طريق الوحي والكشف فكيف بغيره قال الشيخ أفضل الدين وقد سألت الله تبارك وتعالى وأنا دون السبع من السنين أن يطلعني على معرفة هذه الاقسام الثلاثة المتقدمة على وجه لا يبلغه أحد من بعدي فأعطانيه وأقمت في محل الاستعداد للعمل به نحو أربع سنين ثم سألت الله جل وعلا ان يسلبه مني فسلبه فله الحمد على كل حال قال وصفة تدابير هذه الاقسام الثلاثة مذكورة في كتب أهل الفن ولكن نذكر لك يا أخي منها طرفا *فأما القسم الاول الذي هو علم الكيمياء فهو ان تعلم ان الله تبارك وتعالى ابتدأ الاشياء في عالم الارواح ممثلة على الصورة التي ظهرت في هذا العالم السفلي فكان لها من الحكم ما للارواح ثم ان الحق جل وعلا استنزلها من ذلك العالم كارهة للفرقة فنفرت أرواحها منها واستترت في باطن أحد العناصر المستديرة تحت فلك القمر لعدم قوة سلطانها فانحبست فيه كارهة ولم تعلم ان العناصر ما توسطت بين العالم الاعلى والاسفل الا لتعطى الخواص المودعة فيها وتسلمها الى الاعيان المستحقة لها لتظهر الآثار على الاعيان وبه يحكم الافتقار جميع العالم فافتقرت الارواح الى أجسادها افتقار عجز وقهر ودخلت فيها دخول مكره خائف من جور ظلمة الكون عليها فأوجب ذلك فيها اهانة الخسة وعدم الشرف والثناء وعدم النفع بها حتى صارت في حد التراب بل أنزل منه وقصرت نفعها على أجسادها الثابتة النفع في هذا العالم بحسب طاقتها وثبت من ذلك طائفة من الجمادات فلم تستنكف عن هذا العالم بل قامت فيه قياما تاما بحسب ما قيدت به وصارت ناظرة الى عالمها الاول نظر ذل وانكسار فأوجب لها ذلك العز في الدنيا والشرف الذي استعبد جميع العالم له الا من شاء الله تعالى وصارت هذه الجمادات النافعة محبوبة بالطبع مدخرة عند الملوك معظمة عند العارفين بالله تعالى ثم ان الحق جل وعلا استخلص من تلك الطائفة الثابتة جملة أخرى ثبتت لما ثبت له تلك الطائفة لكن من غير التفاتها الى موجدها فأقبلت على ما أمرت به كأنها لم تخلق الا له فقامت في العالم قياما عم نفعها العالم كله وافتقر اليها افتقارا كليا من غير تكبر ولا تمنى حالة أعلى مما هي فيه مع صبرها على النار وعلى ما يراد منها من الآلات الشريفة أو الخسيسة وانقادت لجميع ما في العالم من صغير وكبير وعالم وجاهل ومؤمن وكافر ولما علم الحق تبارك وتعالى في سابق علمه صدق ذلك من قبلها استعبد لها خلقه باحتياجهم اليها وهذه هي حقيقة السيادة لان شرط القائم في الخلق بحق ان يقوم باطعامهم وحفظهم واكرامهم وقبول سؤالهم ومكافأته لمن يأتي بشئ اليه بأكثر مما أتاه به لا يطالب احدا منهم بما عجز عنه من تادية حقه بل يسامحه في كل ما ادعى العجز عنه وغير ذلك من اخلاق الله عز وجل مع عباده فانه يرزقهم اطاعوه أم عصوه وقد ورد أن الله جل وعلا عاتب خضر موسى عليه الصلاة والسلام في قتله الغلام وقال له لو أن الغلام مال بقلبه الى طرفة عين لاخذتك به اهـ فاياكم أيها الاخوان بعد أن سمعتم ما ذكرناه لكم في هذا القسم من أحوال الجمادات ان تطلبوا ان تنقلوا جمادا عن رتبته التي خلقه الله جل وعلا عليها الى أعلى منها فان ذلك غير ممكن ولا ينالكم منه الا العناء والتعب وربما قتلكم الحكام بسبب ذلك واعلموا أن جميع تدابير هذا القسم يرجع الى معرفة أصول طرق التدبير

(فصل في الكلام على الكرامات) اعلم أن الكلام في الكرامات ينحصر في طرفين الطرف الاول الجواز والثاني الوقوع أما الجواز فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الاولياء من الممكنات لانه ان لم يكن من الممكنات فاما أن يكون من الواجبات واما أن يكون من المستحيلات باطل أن يكون من المستحيلات فان المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقلي ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلي وباطل أن يكون جريان الكرامات على الاولياء وجوبا اذ الطائفة مجمعة على انه قد يكون الولي وليا وان لم تخرق العادة له فتعين أن يكون من الجائزات وكل شئ كان من الجائزات فلا يحيله العقل وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله به أولياءه ثم ان هذه الكرامة قد تكون طيا للارض ومشيا على الماء وطيرانا في الهواء واطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة وتكثير الطعام أو الشراب أو اتيانا بثمرة في غير ابانها أو انباع ماء من غير احتفار أو تسخير الحيوانات العادية أو اجابة دعوة باتيان مطر في غير وقته أو صبرا على الغذاء مدة تخرج عن طور العادة أو اثمار الشجرة اليابسة مما ليس عادتها أن تكون مثمرة

وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية وكرامات هي عند أهل الله أفضل منها وأجل وهي الكرامات المعنوية كالمعرفة بالله والخشية له ودوام المراقبة له والمسارعة لامتثال أمره ونهيه والرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه الى غير ذلك وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الطي على قسمين طي أصغر وطي أكبر فالطي الاصغر لعامة هذه الطائفة ان تطوى لهم الارض من مشرقها الى مغربها في نفس واحد والطي الاكبر طي أوصاف النفوس وصدق رضي الله عنه فان طي الارض لو عجزك الله عنه أو أفقدك اياه ما نقص ذلك من رتبتك عنده اذا قمت له بالوفاء في العبودية وطي أوصاف النفوس لو لم تقدم عليه به لكنت من المغبونين وحشرت في زمرة الغافلين وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود المنة على

وسمعته

وهي العلم باحكام المراتب السبعة وطبائعها التي هي الجمادية المعدنية ومعرفة ما يمكن انقلابه الى الرتبة الذهبية أو الفضية بسهولة من غير واسطة أمر آخر او بأدنى شيء من التدابير ومعرفة ما لا يمكن انقلابه الى ذلك الا بواسطة شيء أو بكثرة علاج فان الذهب قد جعله الله جل وعلا كاملا في النشأة وجميع الاوصاف فلا يدخل في تدبير أبدا الا عند أجهل الجاهلين اذ ليس فيه قوة صابغة زائدة على ذاته فيطلب منه صبغ شيء أو الاعانة عليه اذ لو كان فيه قوة زائدة لم تتماسك أجزاؤه على هذه الصورة وأما الزئبق فهو الواسطة في حفظ الصورة الاكسيرية وحلها الى المعدن الذي هو من جنسه لكن بشرط ثباته الى القوة الحديدية لان الاكسير لطافته يفرق كثائف المعادن اليابسة فضلا عن غيرها مما عدمت فيه الكثافة حتى صار في حد المياه وحكمها وأما النحاس فليس فيه قوة خالصة توجب فعلا أو انفعالا لانه كالخنثى لا يعد مع الذكور ولا مع الاناث لشبهه بالذهب والفضة والقصدير والرصاص فلا تقربوه قط في تدبير ولا في القاء فانه لا يقلب عينه فضة الا اكسير الحجر المكرم أو نبات بالخاصية وغير ذلك لا يكون وأما الرصاص فذكر ثابت لا يقلبه الى الذهب لا صورة اكسير ثابت من الحجر أو غيره لكن مع واسطة ثبات الزئبق وعقده في الاكسير واستحالته معه كل ذلك لمجانسة الرصاص للذهب وقربه منه وأما القصدير فهو أقرب الجميع الى الفضة لعدم المانع القائم بذاته من كثائف الاخلاط فمن ابتلي بعدم قبول النصح وترك العمل بهذا الامر فلا يقرب غيره واعلموا ان عيبه هو الرخاوة والنتن والخرير والصرير وموجب ذلك عدم طبخ الحرارة وانحلال اليبوسة وممازجتها له في محل تكوينه فما كان حارا يابسا من المفردات المجففة عن سيلان الادهان أو المياه الحارة المكررة فهو دواؤه لو كان العمل صحيحا في هذا الزمان وقد يخرق الله جل وعلا العادة بصحته لبعض أوليائه وأما الفضة فهي كاملة النشأة في ذاتها ورتبتها وهي بالاضافة الى الذهب أقرب من القصدير ناقصة الرزانة والصفرة وعلاج الفضة أقرب من القصدير اليها لكن من غير واسطة معدن آخر لا كما يفعله الجهلة من ادخال النحاس عليها بقصد صبغها ثم يسلبونه عنها فان ذلك يفسد العمل لكثرة عيوبه ويزيد الذهب صلابة وتكسيرا وسوادا فمن أراد عود الذهب سالما من ذلك فليطفئه بالزيت الحار مرارا ان لم يقدر على تكرر السبك سبع مرات فاكثر ولم أعلمكم بذلك الا لكثرة شفقتي عليكم وخوف تلف الذهب الذي تكلفتم شراءه بدينكم وايمانكم ثم ان تدبير هذا القسم ليس فيه تقطير ولا تنكيس ولا طبخ ولا تحليل ومن عمل شيأ من ذلك فهو زغل لان تدبيره لا يزيد على ثلاثة عقاقير غير الواسطة وهي نفس وروح وجسد بميزانها الموضوع من قبل الحق جل وعلا * وأما صفة تدبير الحجر المكرم فهو ان تعلم يا أخي أن المراد من التدبير الفرقة أو الاجتماع أو السلب والنقص فيه لا في غيره لانه لا يقام حافظ الاجزائه الا من كان خارجا عن حكم الطبائع البسيطة عليه كما عرف من عرف المأني فيها وهذه سنة الله تبارك وتعالى في ايجاد الكمل من المخلوقات ألا ترى الى النطفة كيف خروجها وتقلبها في المحلات المناسبة لها حكما وطبعا أصلا وفرعا فان تدبير هذا العلم محصور في تدبير الصور الانسانية من خلقها نباتا أولا ثم اطعامها دما ثم تسويتها نطفة جارية ثم انتقالها الى محل أوسع من محلها الاول فصارت علقة ثم صارت بواسطة الغذاء مضغة ثم بواسطة هيجان حرارة المحل لطبخ الطعام والشراب عظاما ثم بواسطة انحصار دم الحيض وطبخه في المعدة لحما كاسيا العظم ثم بواسطة أحوال الابوين روحا مجسدا ثم بواسطة القوة النافخة يكون دفعه الى هذا العالم الاوسع ثم بواسطة الحرارة وفراغ المحل اندفع الدم من المعدة الى الثديين وصار لبنا خالصا ثم لا يزال على هذا التدريج حتى يستقر في الجنة أو النار المناسبين له بالحكم والطبع وحينئذ يأمن كل فريق من افتراقه من محله المخلوق منه * وأما صفة تدبير المفردات فهو ان تعلم يا أخي ان الطريق اليها كالطريق الى علم الافراد المؤثرة في العالم بالخاصية وذلك من علوم الوهب لا من علوم الكسب وليس الكلام في ذلك مما أذن الحق تبارك وتعالى لنا في افشائه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقد خالف قوم فطلبوا ذلك من غير طريق الوهب فخسروا الدنيا والآخرة ونفرت عنهم أصحابهم الذين كانوا يعتقدون فيهم القطبية وصاروا يصفونهم بانهم زغلية نسأل الله الله عز وجل العافية لنا ولاخواننا من ذلك اهـ ما ذكره أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى في رسالته

(ومعنه) مرة يحذر من طلب فتح المطالب و يقول من طلب فتحها فليقرأ كتاب خواص الحروف المرقومة في اللوح المحفوظ على الملائكة الموكلين بظهور الاحرف وحفظها ثم يقرأ كتاب سر خواص الازمنة على كاتم سر الشمس والقمر ثم يقرأ كتاب خواص العقاقير المناسب روائحها الارواح الجان الموكلين بحفظ المطالب على شيخ مشايخ هذه الطوائف ابليس اللعين ولا تطلبوا فتح المطالب من غير هذه الطرق اهـ فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) من حين كنت دون البلوغ تساوي التراب والذهب عندي على حد سواء في عدم الميل اليه زيادة على التراب وقد أقمت في هذا المقام نحو سنة ثم أطلعني الله جل وعلا على الحكمة في ترجيح الذهب على التراب فرجحته على علم مني برتبته لا بحكم الطبع كأبناء الدنيا وهذا الحال أكمل من الاول فصورتي الآن صورة محب الدنيا والقصد مختلف لاني انما أضع الذهب عندي في بعض الاوقات أدبا مع الله تبارك وتعالى الذي جعل البيع والشراء به دون غيره فالمراد بالزهد في الدنيا حيث أطلق شرعا الزهد في ميل القلب اليها لا في امساكها من غير ميل فافهم * وقد بلغت بحمد الله عز و جل في الزهد الى انه لو أمطرت السماء ذهبا وصار الناس يحثون في أحجارهم ما تحركت الى ذلك خوفا على نفسي من الوقوف للحساب وأما ما نقل عن أيوب عليه السلام انه صار يحثو في ثوبه من الذهب لما أمطرته السماء فهو معصوم من الحساب على مثل ذلك كما أشار اليه قوله تعالى في حق سليمان عليه الصلاة والسلام هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فمن أعطاه الله تبارك وتعالى الامان من الحساب فله أن يقتدي به في ذلك كما وقع للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم * وكذلك بلغت بحمد الله عز و جل من الزهد الى أني لو مررت على تلال الذهب والفضة ما طأطأت رأسي لاخذ دينار واحد أو نصف واحد الا لحاجة في ذلك اليوم أو لدفعه في دين كان علي ثم اذا أخذت شيأ لا آخذ قط زيادة على قوت يومي * وكذلك بلغت بحمد الله عز وجل من الزهد الى انه لو دخلت علي بغلة محملة ذهبا من مطلب أو غيره في ليل مثلا لاخرجتها بحملها وأغلقت بابي خوفا من الحساب واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه جبرائيل عليه السلام جبال الذهب والفضة والزمرذ فردها * وكذلك بلغت بحمد الله عز و جل من الزهد انه لو كتب السلطان لكل واحد من الفقراء ألف دينار وكتب اسمي معهم فعارضني في ذلك شخص ومسح اسمي وقال هذا لا يستحق ذلك لفسقه مثلا لم تتغير مني عليه شعرة بل أنشرح لسعيه في حرماني من الدنيا التي أنا غير محتاج اليها * وكذلك بلغت من الزهد بحمد الله تبارك وتعالى انه لو قدر أنني جمعت من الدنيا أردبا من الذهب فسرقه شخص أو أخذه من بين يدي لا تتكدر مني عليه شعرة ثم اني لا أرى ماذكرته مقاما عظيما لانه من أخلاق المريد أول دخوله في الطريق فلا ينبغي لاحد من أبناء الدنيا استبعاد ذلك على فقير قياسا على نفسه هو ومن كان بهذه الصفة فهو غني عن عمل الكيمياء والتعب في حفر المطالب والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي للاكل من شئ أعطيته على اسم كوني من الصوفية أو على اسم كوني من الصالحين وكذلك لم آكل قط من خبز الخوانق المشروطة للصوفية لان اسم الصوفي عرفا لا يطلق الا على من كان على قدم الصوفية المذكورين في رسالة القشيري وغيرها من الزهد والورع وحفظ الجوارح كلها عن الحرام بحيث يشهد له أهلُ العقل من العلماء بذلك وأما من تكون له سريرة سيئة لو ظهرت للناس لمقتوه وازدروه فليس له أدبا أن يأكل مما وقف على الصوفية وهذا هو الباب الذي دخل منه الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى لما قام عليه صوفية الخانقاه البيبرسية وسعيد السعداء ولكن كان عليه بعض لوم في طلبه منع المحتاجين من ذلك وانما كان الادبُ أن يَعْرِضَ ذلك عليهم فمن شاء تبعه على ذلك ومن شاء أخذ منه وأكل بقدر الحاجة (وقد كان) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى لا يأكل الا من خبز الخانقاه سعيد السعداء و يقول انها عمرت باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان واقفها من الصالحين في الملوك اهـ فان كنت يا أخي في مقام الشيخ زكريا في التصوف فكل والا فالورع الترك فان الشيخ زكريا والشيخ جلال الدين واضرابهما كانوا من الصوفية بلا شك اذ الصوفي هو كل عالم عمل بعلمه كما مر تقريره أوائل الكتاب وانما امتنع

مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور واعلم أن اطلاع أولياء الله تعالى على بعض الغيوب لا يحيله العقل وقد ورد به النقل قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لابنته عائشة رضي الله عنها في مرض موته وزوجته حامل انما هما أخواك وأختاك دون بطن خارجة أراها جارية فاخبر ان في بطن امرأته جارية وكان كما قال وقول عمر رضي الله عنه ياسارية الجبل وسارية باقصى العراق فسمع سارية صوته وكان قد أطلعه الله على سارية وقد أحاط به العدو فامره بالانحياز الى الجبل فانحاز هو والجيش الذين معه فانتصروا وظفروا وكان قد قال ذلك وهو في أثناء خطبته على المنبر فترك الخطبة وقال ياسارية الجبل ثم عاد الى خطبته فجاء بعض الصحابة الى علي رضي الله تعالى عنه فقالوا له بينما عمر اليوم يخطب اذ ترك الخطبة وقال ياسارية الجبل ثم عاد الى خطبته فقال علي رضي الله عنه ويحكم دعوا عمر فانه ما دخل في شئ الا كان له المخرج منه فبعد ذلك قدم سارية وأخبر عن ذلك اليوم انه سمع نداء عمر في الوقت الذي نادى وقول عثمان رضي الله عنه لداخل دخل

الشيخ عبد الله المنوفي رحمه الله تعالى شيخ الشيخ خليل المالكي من سكني الخانقاه وقال ان هذه موقوفة على الصوفية وأنا لست بصوفي تواضعا منه والا فقد أجمع الخلق على جلالته وعلمه وأنه من أكابر أولياء مصر فاعلم ذلك * ولما خرجت جهات زاويتنا أيام التفتيش لجهة السلطان قال لي جماعة الديوان قد سمع لكم بذلك الباشاه الذي هو نائب السلطان والآن قد صرتم تأكلون حلالا وفرح بذلك المجاورون ولم أفرح أنا بذلك لعلمي بان الباشاه لولا سمع بي أني صالح لما أعطاني ذراعا من أرض بعد أن طلع ذلك للسلطان بقرينة ما يفعلون مع من لم يشتهر بصلاح فلا تسأل يا أخي ما أنا فيه الآن بسبب الحذر أن آكل كما قد أكل عيالي من ذلك من حيث انه أكل بالدين الذي هو أعظم اثما من الاكل بامور الدنيا فانتقلنا من الاخف الى الاشق فان لكل مسلم شبهة حق في بيت المال فله الاكل منه ولا هكذا الاكل بالدين فانه لم يؤذن لاحد فيه فاسأل الله جل وعلا حمايتي والالطف بمن أكل من ذلك من عيالي فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة شفقتي على جميع المسلمين وولاة أمورهم حتى اني ربما أمرض لمرض ولي أمري وأشفى في وقت شفائه ومن شفقتي على المسلمين وولاة أمورهم أنني أحوطهم في كل يوم وليلة بما ورد في الاخبار والآيات مما يدفع عنهم الآفات المعلقة على ذلك حتى اني أحوط جسورهم أيام زيادة النيل خوفا من انها تنقطع قبل وقتها أو يقطعها العصاة كذلك فيعدم الناس ري أراضيهم أو بعضها وكذلك أحوط زروعهم من الدودة والهياف والفأر ونزول المطر الذي يحرق الزرع بعد اشتداد حبه ونحو ذلك الى طلوع الثريا للماوردي مرفوعا اذا طلع النجم يعني الثريا أمن الزرع من العاهة اهـ وكذلك أحوط زهر الفواكه والخضراوات خوفا من البرد والحر الشديدين لانه يسقط الزهر فيخسر الناس الذين يزنون المال على ذلك محملا وكذلك أحوط من يغفل عن الله عز وجل من رعاع الناس في مثل يوم خروج المحمل أو خروج الحجاج أو دخولهم أو كسر النيل أيام الوفاء أو دخول نائب جديد البلد أو عمل ولد أو عرس أو نحو ذلك كالتفرج على البهلوان فاحوط جميع هؤلاء وأحوط دورهم وحوانيتهم خوفا أن تسرق اللصوص ما فيها حال غيبتهم * وقد رأيت في واقعة وأنا شاب أنني في أرض من بلور واسعة وعليها سور شاهق نحو السحاب وليس له باب وأنا خلف الشيخ نور الدين الشوني شيخ مجالس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصر وقراها بل وجميع أقطار الاسلام بمقتضى أنه هو أول من وضع صورتها فبينما نحن نمشي اذ نزل من السماء قربة من ماء في سلسلة من ذهب الى أن وقفت بقدر ما يصلها الفم فقط من القائم فشرب الشيخ نور الدين منها ثم أعطاني الفضلة ثم جاوزته ماشيا وتركته حتى غاب عني فنزل لي شيء يشبه اللوح وهو في سلسلة من فضة الى أن وقف بقدر ما يصل اليه الفم كذلك فرأيت فيه ثلاث عيون تتفجر ماء باردا أحلى من السكر ورأيت مكتوبا على العين العليا مستمد هذه العين من حضرة الله تعالى وعلى العين التي تحتها وهي الوسطى مستمد هذه العين من العرش وعلى العين السفلى مستمد هذه العين من الكرسي فالهمني الله تبارك وتعالى اني أشرب من عين العرش فقصصت ذلك على الشيخ شهاب الدين الهرامزي الواعظ المعبر فقال لا أعبر لك ذلك الا بدينار فاعطاه الشيخ نور الدين الشوني دينارا فقال لي هذا يتخلق بالرحمة على جميع العالم لان الحق تعالى ما ذكر انه استوى على العرش الا باسمه الرحمن اهـ فمن ذلك اليوم وأنا أرحم جميع الخلق فلكل مخلوق عندي رحمة تناسب حاله من مؤمن وكافر وهذا الخلق من أعظم أخلاق الفقراء ولم أره فاعلا من اخواني في مصر وقراها الا قليلا وغالبهم انما يحمل هم نفسه أوهم من يلوذ به فقط وقد تقدم في هذه المنن أن مقام تحمل هموم المسلمين ليس هو لكل فقير وانما ذلك لبعض أفراد كسيدي ابراهيم المتبولي وسيدي علي الخواص وتقدم أيضا ان من علامة من يحمل هم المسلمين أن لا يفطر أيام همومهم ولا يضحك ولا يدخل حماما ولا يبخر له ثيابا ولا غير ذلك بل يكون حاله كحال صاحب المصيبة العظيمة يوم موت أعز أولاده أو اخوانه أو خراب دياره أو عزله من ولايته وتقدم أني أمرض كثيرا لمرض أصحابي أو لمرض ولي الامر من سلطان أو نائبه ولما مرض السلطان سليمان مرضت أيام مرضه بمثل مرضه وكذلك الباشاه علي الوزير في سنة ستين وتسعمائة فالحمد لله رب العالمين

عليه وكان قد نظر الى محاسن امرأة في الطريق يدخل أحدهم وآثار الزنا بادية في وجهه وأما علي رضي الله عنه فقد جاء عنه في هذا الباب العجب العجاب حتى انه ذكر الاخباريون انه أرجف بالكوفة ان معاوية قد مات فقال علي رضي الله عنه اذ بلغه والله ما مات ولن يموت حتى يملك تحت قدمي هاتين وانما أراد ابن هند أن يشيع ذلك حتى يستتر علمي فيه فمن يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الامر صائر اليه وحكايات الاولياء في كل زمن وقطر تتضمن ثبوت ذلك بما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده ثم أنا أدلك رحمك الله على أمر يسهل عليك التصديق بذلك وهو اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجسمانيته ولا وجود صورته وانما هو بنور الحق فيه دليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله بعد ان شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه وكذلك قوله في الحديث الذي تقدم فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث ومن كان الحق بصره فليس الاطلاع على الغيب

(وممامنّ الله تبارك وتعالى به على) عدم مدحى لاصولى وفروعى عند من لا يعرفهم الا لغرض صحيح شرعى فقد قالوا من اعتمد على جده فاتته الفضائل وقد رأيت من الفقراء من عاير وجحده وقالوا فلان ليس له أصل فى المشيخة ولا كان أحد من آبائه شيخا وانما أخذ المشيخة باليد فتشوش لذلك وعمل لابيه تابوتا وستر البصير له أصل فى المشيخة * ودخلت على بعض المتمشيخين مرة فرأيت أفعاله بعيدة عن أفعال الاولياء وأولادهم الذين يزعم انه أخذ عنهم أو انه منهم فلما استشعر منى ذلك خاف من احتقارى له فصار يقول ما رأيت أحدا فى هذا الزمان على قدم والدى فى العبادة ولا مشايخ الزوايا فانه كان لا يمل من صيام النهار ولا من قيام الليل اشارة الى انه عريق فى المشيخة ثم قال والله انى عجزت أن أفعل مثل فعله يوما واحدا فما قدرت مع أن والده رجل مستور ليس له شهرة بالصلاح مثل ولده المذكور فصار المعتقدون فى ولده هذا يقولون اذا كان سيدى الشيخ ادعى العجز عن عمل والده فوالده أمر عظيم فليتفقد من يمدح والده أو جده نفسه فربما كان ذلك لحظ من حظوظ النفس * ورأيت شخصا من المتمشيخين عمل له مدفنا وقبة عظيمة صرف عليها جملة من المال ورأيت آخر عمل له مدفنا ومقصورة فى حال حياته وبعضهم عمل له مقصورة وتابوتا فانكر عليه أهل حارته وسرقوا ستره بعد موته وكسروا تابوته وقالوا هذا لم يكن شيخا فكيف يحاكى بالمشايخ * وقد أدركت نحوا من مائتى شيخ ما رأيت أحدا منهم اعتنى بشئ من ذلك وانما المعتقدون هم الذين يصنعون له ذلك بعد موته تعظيما له واكراما (وقد كان سيدى) الشيخ نور الدين الشونى المذكور فى النعمة السابقة المدفون بباب زاويته يقول كثيرا كم من ضريح زار وصاحبه فى النار نسأل الله عز وجل العافية فاياك يا أخى ثم اياك من الافتخار بجدودك أو باعمالك فانك لا تعلم ما اليه مصيرك انتهى والحمد لله رب العالمين

(وممامنّ الله تبارك وتعالى به على) تمييزى حظ نفسى من حقوق البارى فأطعم نفسى وأسقيها وألبسها من حيث كونها أمة الله عز وجل لا لما أجده من اللذة والتقوى بذلك مع الغفلة وكذلك لا أحب أن يعفو الله تعالى عنى مثلا لاجل ما فى ذلك من راحة نفسى وانما أحب العفو من حيث ان الحق جل وعلا أخبر عن نفسه أنه يحبه فلولا محبة الحق تعالى للعفو ما أحببته وان كان فى جزء دقيق يحب العفو من حيث راحة البدن فهو ضعيف جدا وهذا مشهد ما رأيت له ذائقا من أهل عصرى الا قليلا وقد تقدم نظير ذلك فى مواظبتى على الوضوء بالماء البارد فى الشتاء لأقاسى الالم من البرد حتى اذا طلبت النفس اسباغ الوضوء فى أيام الصيف وتلذذت بالماء البارد قلت لها انما تلذذك الآن بالماء لموافقة حظ نفسك لا امتثالا لأمر الشارع صلى الله عليه وسلم لك بالاسباغ وهناك تندحض حجة نفسى اذا كانت كاذبة فلولا تأذيها بالماء أيام الشتاء ما عرفت تمييز حظ الشرع من حظ نفسها أيام الصيف فاعمل يا أخى على هذا الخلق ونظائره فان كل شئ لا يكون القصد به محض امتثال أمر الحق جل وعلا فهو مضمحل فقس على هذا الخلق جميع الافعال والاقوال ولا تحب شيأ ولا تبغض شيأ الا تبعا للحق جل وعلا ولا يقدح فى ذلك شوب الباعث عليه بحب دخول الجنة وان كان بمحض الامتثال أكمل فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وممامنّ الله تبارك وتعالى به على) عدم بداءتى بالزيارة لمن أعلم منه المكافأة لى خوفا من تكليفه بزيارة نظير البداءة بالهدية لمن أعلم منه المكافأة عليها فان البداءة بالهدية والزيارة ما شرعت بالاصالة الا لتأليف القلوب المتنافرة وأنا بحمد الله تعالى أحب جميع المسلمين ولا أكره أحدا منهم الا بطريق شرعى واضح كالشمس ثم لا أبغض من أخى المسلم الا صفته المذمومة لا ذاته ومتى تاب عن ذلك الفعل المذموم أحببته ذاتا وصفة * وممن أترك كثيرا زيارته من اخوانى مع شدة الاشتياق اليه خوفا من تكليف نفسه بمكافأتى فى الزيارة الاخ الصالح العالم الورع الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى المفتى بجامع الازهر وشارح المنهاج والتنبيه والشيخ الصالح الشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى والشيخ العلامة الشيخ نور الدين الطندتائى نفعنا الله تعالى ببركاتهم فاعلم ذلك واياك أن تحب ترددا أحد من العلماء والصالحين اليك فانك لا تقدر على أن توفيهم حق طريقهم فى المشى اليك فافهم ذلك والله عز وجل يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

عليه بمستغرب وفى بعض طرق هذا الحديث فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا فان قلت فكيف يصنع بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فلم يستثن أحدا الا الرسول فاعلم انى سمعت شيخنا أبا العباس يقول وفى معناه أو صديق أو ولى فان قلت هذه زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز فاعلم انه اذا قيل ان السلطان لم يأذن اليوم الا لوزير وحده ربما دخل مماليك الوزير معه وكان الاذن لمتبوعهم اذنا لهم كذلك الولى اذا أطلعه الله على غيب من غيوبه فانما ذلك لانطوائه فى جاه النبوة وقيامه بصدق المتابعة فما رأى ذلك بنفسه وانما رآه بنور متبوعه وأيضا ان الآية تشير الى نفى اطلاع العباد على غيب الله الا من أطلعه الله وبين سبحانه سبب اطلاعه من أطلعه على غيب من غيوبه وانما ذلك انما كان لانه مرتضى عنده بقوله الا من ارتضى وقوله من رسول خص الرسول بالذكر ولم يذكر النبى ولا الصديق ولا الولى وان كان كل منهم ممن ارتضى لان الرسول أولى بذلك مما سواه أمور تسهل عليك الايمان بكرامات أولياء الله وان لا تستكثرها عليهم الاول أن

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) عدم نصبي على الناس بايهامهم اني أعرف علم الكيمياء بقصد ائتلاف قلوبهم على حتى أرشدهم الى سلوك طريق القوم كما عليه جماعة ممن برز وا في هذا الزمان من فقراء العجم بغير اذن من أشياخهم فضلا عن وقوع الاذن لهم من الشارع صلى الله عليه وسلم فان ذلك خروج عن الطريق وضلال للاتباع وقد أجمعوا على ان فساد الانتهاء من فساد الابتداء ور بما تمادى الامر بالشيخ فتالف بالكلية وصار زغليا وقد أتلف هذا الباب خلائق لا يحصون وصار أصحابهم يجلبون أولاد المباشرين والتجار والعلماء الى أشياخهم و يقولون لهم شيخنا يقلب الاعيان و يجعل الرصاص ذهبا فيترك كون الاشتغال بالعلم أو بالتجارة التي بها قوام معاشهم و يصير أحدهم يجعل له عذبة وجبة بيضاء و يطلب من ذلك النصاب مالا يصح له كالذي يطلب نتاجا من ركوب جمل على بغلة لا تلد فاياك يا أخي أن تفعل مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) الهامي جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أشتغل بذلك اذا عزب عن على ما ورد عن الشارع صلى الله عليه وسلم في ذلك لاسيما كلما ضاق عمري أو ضاق زمن قراءة وردي في الليل أو النهار * فمما ألهمته لما دخلت سنة تسع وخمسين وتسعمائة اني أقول أول وردا الليل بسم الله الرحمن الرحيم على ايماني واسلامي واحساني ألف مرة فقلت لملك الالهام في نفسي لم قدمت لي الايمان على الاسلام ومرتبة الاسلام عند العلماء تكون قبل الايمان فقال لي اعمال الاسلام قد مضى حكمها وأنت فيها طول عمرك وما بقي الا الاعمال القلبية اذا الحكم لها عند طلوع الروح فقلت له فهل أنا من أهل الاحسان فقال نعم وكل مسلم له من مقام الاحسان نصيب كما في سائر مقامات الاولياء فلا يمكن تجرد مسلم من مقام من المقامات بالكلية وانما الناس لما قارنوا مقام الادنى بمن هو فوقه قالوا فلان ليس عنده خوف من الله أو ليس هو بزاهد في الدنيا أو ليس هو بخاشع لله ونحو ذلك والحال ان له نصيبا من كل مقام لكن بحسب ما أعطاه الله تعالى اهـ فقلت له هل يخرج شيء من الدين عن هذه المقامات الثلاثة الذي رقيناها بسم الله الرحمن الرحيم ألف مرة فقال لا جميع ما يقرب الى الله جل وعلا يرجع الى الاسلام والايمان والاحسان فسائر الاهي وتوابعها فمن لقي الله تعالى بواحدة من هذه الثلاثة نجامن شدة العذاب بفضل الله تعالى واما مقام الايقان فليس ذلك مقام عمل * ومما ألهمته في السنة المذكورة أن أقول ألف مرة اللهم اني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين وان تشغلني بك في الدارين على وجه الكشف والشهود دون الحجاب * ومما وقع لي في السنة المذكورة انه عزب عن على جميع ما ورد من أذكار الركوع فلم أستحضر من ذلك سوى قوله صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب وما عرفت بأي صيغة أعظمه فقيل لي قل سبحان من كان جميع ما عرفه الخلق كلهم من عظمته كذرة من البحر المحيط بالنسبة لما جهلوه أو كذرة في فضاء ليس له سماء ولا أرض * ومما ألهمته حين عزب عن على ما ورد من صيغ الاستغفار اللهم ان ذنوبي قد رجحت على ذنوب الاولين والآخرين ولكنها في جنب عفوك كلا شيء * ومما وقع لي حين عزب عن على صيغة الاستغفار لاخواني المسلمين اللهم اني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وان تغفر لنا ما مضى وان تحفظنا فيما بقي اللهم ان الاولين والآخرين حطوا رحالهم على ساحل بحر جودك وكرمك ينتظرون فضلك واحسانك فاجزل لنا ولهم المغفرة فان عظم المغفرة تابع لعظمة الذنب اللهم ان الاولين والآخرين من المسلمين قد غرقوا في بحر جودك وكرمك من حين أخرجتهم من العدم فلا تخرجهم منه أبد الآبدين ودهر الداهرين * ومما وقع لي وأنا طائف بالكعبة حين عزب عن على ما ورد من أذكار الطواف فقيل لي قل اللهم اني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وأن تجعل جميع حركاتي وسكناتي في حق نفسي وفي حق غيري سعيدة وكذلك فافعل بجميع اخواني اهـ قلت والمراد بملك الالهام ملك مغيب يعلمه العبد ولا يرى له شخصا بخلاف ملك الوحي فان النبي يراه و يسمع صوته كما هو تقرر مرارا فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

قدرة السيد لجحد الكرامة في الولي جحد لقدرة العزيز القدير وعمى منعك من شهود عظمة وصفه سبحانه الثاني انه ربما كان سبب انكار الكرامة استكثارها على ذلك العبد الذي أضيفت اليه وذلك العبد انما أظهرت الكرامة عليه شاهدة بصدق طريق متبوعه فهي بالنسبة الى من ظهرت عليه وهو ذلك الولي كرامة وهي بالنسبة الى من ظهرت ببركات متابعته معجزة فلذلك قالوا كل كرامة لولي فهي معجزة لذلك النبي الذي هذا الولي متبع له فلا تنظر الى التابع ولكن انظر الى عظيم قدر المتبوع الثالث ان تعلم ان الذي أعطاه الله سبحانه لاوليائه من الايمان واليقين مما أنت مصدق به ومثبت له أعظم مما استغربته وأنكرته من اطلاع على غيب أو طيران في الهواء أو مشي على الماء فذلك اذا استغربت ذلك على المؤمن كمثل من يستغرب على عبد من خواص الملك اعطاه الملك سفطا مملوأ ياقوتا ثمينا علمت أنت به كل ياقوتة تضمنها ذلك السفط تساوي عشرة آلاف دينار ثم قال ذلك العبد الذي هو من خواص الملك أو قيل

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حين دخلت سنة احدى وستين وتسعمائة ترادف رؤيتي للمشايخ الذين ادركتهم من علماء وصالحين وأمرهم لى بالتهيؤ للسفر الى الدار الآخرة حتى صرت لا أتهنى بنوم ولا بأكل ولا بشرب ولا أغسل عمامتى الا بعد أمرهم لى بغسلها من شدة الوسخ فرأيت سيدى الشيخ نور الدين الشونى رضى الله عنه وقال لى تهيأ للسفر وأكثر من التزود فانك راحل عن قريب ولا تستكثر لك عملا فى جنب مرضاة الله عز وجل فقلت له فما رأيته من الله عز وجل فقال كل خير أعطانى الله تعالى مقاما عرفت منه تفاضل أعمال الخلائق فقلت له وما هو قال جعلنى بواب البرزخ فلا يدخل أحد بعمل الى البرزخ الا عرفته وما رأيت فى الاعمال الواردة على أنور ولا أضوأ من عمل أصحابنا اه ورأيت الاخ الصالح الشيخ عبد القادر وقال لى تهيأ للسفر فاننا كلنا نموت على رأس الثلاث والستين سنة ورأيت الشيخ الصالح سيدى أبا الحسن الغمرى رضى الله عنه وقال لى قم معى نسافر فاجبته الى السفر ثم أتانى ثانى مرة فقال تهيأ أما ناخذك الا فى السفرة الآتية ورأيت والدى سيدى خضرا الذى كفلنى يتيما وقال لى شد مئزرك للسفر واشتر لك محزمين كل محزم ثلاثة أذرع وأخبرنى بما وقع له من كرم الله عز وجل وكان كثير القيام فى ليالى الشتاء الطويلة وما رأيت أحدا من هؤلاء الا وحصل لى من قوله رعب فان القدوم على الله تبارك وتعالى شديد على كل الناس فانه ان كان محسنا ندم وخجل من الله جل وعلا الذى لم يبذل طاقته كل البذل فى مرضاته وان كان مسيئا ندم وخجل وصار كالمجرم الذى فسق فى حريم الملك ثم أتوه به بعد سنين ليعاقبه على ما فعل من القبائح والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) نظرى الى الوقت الذى أنا فيه دون الماضى والمستقبل فان الماضى قد ذهب بما فيه من خير أو شر وختم على صحيفته والمستقبل لا يدرى العبد ما الله صانع فيه وما بقى الا الحالة الراهنة ولا يخلو العبد فيها من أن يكون مخاطبا فيها باحد ثلاثة أمور اما أمر يمتثله واما نهى يجتنبه واما قدر يرضى به وقد قال القوم الصوفى ابن وقته وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه استفدت من الصوفية طول صحبتى لهم شيئين قولهم الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك وقولهم ان لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر اه أى لانها لا تترك نفسها مهملة طرفة عين من حين كلفت والمهتدى من هداه الله تعالى وقال تعالى فالهمها فجورها وتقواها أى ألهمها فجورها لتجتنبه وألهمها تقواها لتعمل بها ثم لا يخفى ان تفكر العبد فيما مضى من سيئاته ليستغفر منه لا باس به للمريدين بخلاف العارفين لان من اشتغل بالماضى ضيع وظيفة الوقت فان على العبد فى كل نفس عبودية يؤديها وصاحب هذا المشهد لا يرى شيأ من عباداته يقضى اذا فات وبه قال بعض المالكية قال لان الوقت اذا ذهب فارغا ختم على صحيفته فارغة فلأى شئ يطلب تفريغ محل ليملأه بعمل آخر والكل مناقش عليه ومحاسب به فلكل دقيقة من الدرجة من عمره دائرة ولكل ثانية منها دائرة ولكل درجة دائرة ولكل درجتين دائرة ولكل ساعة دائرة ولكل يوم دائرة ولكل جمعة دائرة ولكل شهر دائرة ولجميع عمر الانسان دائرة فلا يصح دخول عمل دائرة فى دائرة أخرى كما يعرف ذلك أهل الكشف فو الله لقد خلقنا لامر عظيم وما منا أحد وفى باداب عبوديته ولو ان العبد جعل بقية عمره كله استغفارا لما بقى ربما أنه لا يجبر خلل الذنوب الماضية فضلا عن الآتية فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى لا أنصح أحدا من أصحابى الا بما وردت به السنة ولا أقرهم قط على بدعة لا يعرفون موافقتها للشريعة وهذا من أكبر نعم الله تعالى على خلاف ما أشاعه الحسدة عنى وهم معروفون بين أصحابنا بالحسد حتى ان بعض طلبة العلم استخفى وجلس عندنا بعض أيام وليالى فلم يجد عند أصحابنا شيأ من البدع المنكرة ورآهم على الكتاب والسنة ثم انه ذهب الى مكان هؤلاء الحسدة فرآهم لا أوراد لهم لا صباحا ولا مساء وليس عندهم أحد يقرأ القرآن بل هم ينامون عن صلاة الصبح الى ضحوة النهار وهم غافلون عن الله تعالى فى أكثر أوقاتهم مشغولون ببطونهم وفروجهم وملابسهم ونومهم على الفرش الوطيئة فقال لهم كذبتم والله فيما أضفتم الى فلان وأصحابه فانهم على السنة وأنتم على البدعة فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم ورميتم الناس بعاراتكم اه * وقد كنت كتبت لاصحابى عدة وصايا لا يكاد يخرج

عنه ان الملك قد أعطاه مائة دينار فاستغربت أنت ذلك فهل يستصوب استغرابك هذا ذو فهم ولب وما أكرم الله العباد فى الدنيا والآخرة كرامة بمثل الايمان به والمعرفة بربوبيته لان كل خير من خيور الدنيا والآخرة فانما هو فرع الايمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ الى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار أو كان به أهلها فيها من رضى عن الله ورضى من الله ورؤية لله فكل ذلك انما هو نتائج الايمان بالله ووجود آثاره وامداد أنواره جعلنا الله واياك من المؤمنين بربوبية الايمان الذى رضيه لخاصة عباده وبسطنا واياك للتسليم فى مراده واعلم ان من الناس من واجهه الخذلان من الله فانكر كرامات أولياء الله أصلا فنعوذ بالله من هذا المذهب وهو حقيق أن لا يذكر لكن سبب ذكره ليعلم ان الله اذا أراد أن يضل عبدا لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله سبحانه ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ وقال سبحانه فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم وقال تعالى وهو يجير ولا يجار عليه كذلك كانت الاحوال والاقوال والافعال ومراتب الازال موقوفة على توفيقه لا توجب

شئ منها عن ظاهر الكتاب والسنة منها قولي لهم اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ونزهوا ربكم عن كونه تعالى ينساكم بلا رزق ولا تتهموا وصدقوه ولا تشكوا واصبروا على شدائد هذه الدار ولا تجزعوا واثبتوا على ذلك ولا تملوا واسألوا عن اللقمة وفتشوها ولا تسأموا وانتظروا فرج الله لكم عند البلايا ولا تيأسوا وتواخوا على الصفاء ولا تتباغضوا وازهدوا في الدنيا ولا ترغبوا واجتمعوا على مجالس الخير ولا تفرقوا واسهروا فيها ولا تناموا وطهروا صحائفكم من الذنوب ولا تتدنسوا وتتلطخوا وتزينوا بطاعة ربكم وعن بابه لا تبرحوا وأقبلوا على حضرة ربكم وعنها لا تتولوا وعليكم بالتوبة عقب كل ذنب ولا تسوفوا واعتذروا الى ربكم ولا تغفلوا ويجمع هذه الجملة كلها أن تعملوا بعملكم خالصا وعن نفوسكم لا ترضوا اهـ فان كان هذا كلام مبتدع فما بقي على وجه الارض أحد من أهل السنة فالحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) فراري في جميع الشدائد الى الله تعالى قبل جميع الخلق لعلمي بان بيده ملكوت كل شئ على الكشف والشهود وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي فان غالب الناس لا يرجعون الى الله تبارك وتعالى الا بعد الوقوف على الخلق على اختلاف مراتبهم فاذا وقفوا ولم يجدوا بايديهم قدرة على دفع ما نزل بهم رجعوا حينئذ الى الله عز وجل كما انهم اذا وقعوا في معصية يشهدونها أولا من نفوسهم فاذا ندموا وذابوا من الخجل تذكروا ان ذلك كان مقدرا عليهم قبل أن يخلقوا فخفف عنهم ذلك البلاء وهذا شأن عامة الناس الذين لم يدخلوا طريق القوم وأما ما قلناه أولا فهو خاص بمن دخلها *ومن جملة نعم الله جل وعلا بالمريد أنه يحبسه في كل مقام حتى يتحقق به ثم ينقله الى أعلى منه وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول لعامة من حضر مجلسه وهو على الكرسي اذا نزلت باحدكم شدة فليتحرك في دفعها بنفسه أولا فان لم تندفع استعان بغيره من الخلق كارباب المناصب وأبناء الدنيا فان كانت الشدة مرضا في بدنه فليعرض نفسه على الاطباء من المسلمين فان لم يجد عند أحد من الخلق خلاصا رجع الى ربه عز وجل بالتضرع والدعاء والبكاء قال وما دام أحدكم يجد عند نفسه نصرة فلا حاجة الى الخلق ثم ان رجع الى ربه جل وعلا ولم يجد أمارات النصرة استطرح بين يديه بالافتقار والذل والبكاء والتضرع اهـ فانظر كيف خاطب العامة بالطريق البعيدة لانه لو أرشدهم الى الله ابتداء لم يقدر والغلبة استنادهم الى الخلق دون الخالق وسيأتي في هذه المنن أن من أعون شئ على قضاء الحوائج من طريق الخلق ازال الحاجة بمن بصره مقصور على الدنيا وشهواتها من العباد والامراء وغيرهم فاذا سئل أحدهم في حاجة توجه اليها بكل شعرة فيه لانه محجوب عن أحوال الآخرة بخلاف ازال الحاجة بمن خرق ببصره الى الدار الآخرة حتى رأى ما أعد الله تعالى فيها لمن صبر على الشدائد من الاجر والثواب العظيم فان كل شعرة فيه تصير تطالب دوام ذلك البلاء على ذلك الشخص ليحصل له ذلك الاجر والثواب العظيم في دار البقاء وليس هذا مطلوب غالب الناس انما قصدهم قضاء حوائجهم في الدنيا ولو نقص ذلك من درجاتهم في الآخرة فافهم ذلك قال وقد يقع لبعض الاولياء انه يشتكي بعض المتجبرين للحكام شفقة منه عليه خشية ان يشكوه الى الله تعالى فيهلكه ويصير بعض الناس يعترض ويقول لو كان هذا من أولياء الله تعالى ما رفع أمره الى الحكام غفلة من المنكر عن مراد الاستاذ والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) تربيته تعالى لي في النوم واليقظة برؤيتي للعبر في الدنيا فلا يقع بصري على شئ الا واعتبر به من صبر وضجر وزهد ورغبة وشهود وغفلة وقد قمت ليلة فوجدت قساوة في قلبي لم أعرف لها سببا فقيل لي في المنام ان أردت حياة قلبك الحياة التي لا موت بعدها فاخرج عن الركون الى الخلق ومت عن هواك وارادتك فهنالك يحييك الله عز وجل حياة لا موت بعدها ويغنيك غنى لا فقر بعده ويعطيك عطاء لا منع بعده ويريحك راحة لا تعب بعدها ويعلمك علما لا جهل بعده ويطهرك طهارة لا تدنيس بعدها ويرفع قدرك في قلوب عباده فلا تحتقر بعدها قد ذهبت أيام المحن لك باجمعها وأتت أيام المنن باجمعها وهنالك يتحرك عليك الحساد من كل مكان فعليك بالصبر انتهى فتراني بحمد الله تبارك وتعالى أرى نفسي في يد القدرة كالطفل الصغير في يد الظئر أو كالميت في يد الغاسل أو كالصولجان في يد الفارس وأصل نظري للعبر كان على يد

أنوارا ولا تستحق قبولا ولا يستوجب صاحبها اقبالا حتى ينصره التوفيق واعزازه قدره عند الله لم يذكره في كتابه العزيز الا في موضع واحد فقال سبحانه وما توفيقي الا بالله والجالب للتوفيق وعلامته صدق الرجعى الى الله في أول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ ومن بعد ذلك أبدا وقد قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا يدخل جنة علمك وعملك وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فاخبر الله عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا الآية ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها هو صدق التبري من الحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته ومن أنكر كرامات الاولياء فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه ويخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة ومن الناس فرقة أخرى صدقوا بكرامات

والدي

والدى الذى كفلنى يتيما كان يقول لى ماثم شئ أبرزه الله تعالى الى هـذا الوجود الاوفيه حكمة بالغة وأمرنى يوما بالوقوف على من يقوّم الرماح على النار فوقفت فقال لى مارأيت فقلت مارأيت شيأ فقال ياولدى أما تنظر أنه لا يعرض على النار الا الاعوج وأما المستقيم فلا يعرضه على النار فاخذت من ذلك العبرة فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) نفرة نفسى من الدنيا وأبنائها فلا أتمنى قط أن يكون شئ مما بايديهم فى يدى ولا ان يكون لى مثل ذلك أبدا وهـذا من أكبر نعم الله تعالى علىّ فان غالب الناس ينظر الى ظاهر الدنيا دون مافى باطنها من السموم القاتلة والاباطيل والخداع والمصايد ولذلك تزاحموا عليها وتحاسدوا وتباغضوا وانقبضوا لفقدها وانشرحوا لوجودها ويعدّ أحدهم اليوم الذى يقوم فيه من النوم ويجد عند رأسه شكارة فيها عشرة آلاف دينار ذهبا يوم عيد وأنا بحمد الله تبارك وتعالى بالعكس من ذلك فانقبض اذا دخل علىّ شئ من الدنيا فلا انشرح الا ان خرج وقد كان السلف الصالح كلهم على هذا القدم فكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول قد صرت أتقذر الدنيا كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر عليها مخافة ان تصيب ثوبه انتهى (وقد ذقت) بحمد الله عز وجل هذا المقام ولذلك ما أعلم أحدا يكرهنى قط الا حسدا فانى لم يقع لى انى زاحمت أحدا على تدريس علم ولا وظيفة ولا تزوجت له امرأة فى حال حياته ولا غير ذلك فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) حمايتى من كثرة الاتباع من الرعاع الذين يدعون محبتى وربما يتعصبون بالباطل على أقرانى ويفضلونى عليهم ولا ينتفعون منى بادب يسمعونه أو يرونه وكراهتى الشديدة لاجتماعهم حولى اذا ركبت فى حاجة وفى ذلك عدة مفاسد منها اقامة الحجة عليهم عند الله تعالى بما يسمعونه أو يرونه منى ولا يعملون به (ومنها) ظهور شرفى على أقرانى بذلك عند الناس فان غالب الناس ليس عندهم شيخ عظيم الا من كثرت أتباعه وربما كان أصبح ذلك الفقير الذى ليس حوله أحد أفضل من ذلك الشخص الكثير الاتباع (ومنها) تعرض من كثرت أتباعه للنفى من بلده بحكم القانون فان بداية الخارجين عن طاعة السلطان الاعظم كان أولها كذلك فيتبع الناس الشيخ فى جهة الوعظ والتسليك فاذا تم انقيادهم له وصاروا يفدونه بارواحهم جاءهم أبو مرة فزين لهم معارضة السلطان فى أحكامه فى بلاده وأثاروا الغوغاء حتى ربما قتل أحد من جماعة السلطان فارسل السلطان بنفى ذلك الشيخ من بلاده أو بقتله مع جماعة من بلده كما وقع للشيخ على الكاز وانى فى حلب فلذلك كنت أحب لمشايخ العصر كلهم قلة الاتباع وأكره لهم كثرتهم خوفا عليهم من حصول الضرر لعدم وجود حال يحميهم من تصريف الولاة فيهم (وقد قالوا) من لم يكن له حال يحميه فليس له التظاهر بالشفاعات عند الولاة ولا معارضتهم فى أحكامهم على ان الشيخ الصادق لو فتش أتباعه فى جميع مصر ماوجد فيهم ثلاثة صادقين بدليل انه يلقن الالف نفس مثلا فلا يصح له واحد منهم فى الطريق فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة اعتقادى فى أهل عصرى من العلماء والصوفية ولا أطالبهم قط بكرامة اذ لا يطالب الكرامة الا الشاك فيهم وأنا بحمد الله تبارك وتعالى ليس عندى شك فى علمهم ولا صلاحهم (ومعلوم) انه لا يطالب بالكرامة الا من قال لنا أنا صالح فاعتقدونى وأنا ما سمعت أحدا منهم قط يقول لاحد تعال اعتقدنى ولا أنا صالح ولو قدر أن أحدا دعا الناس الى اعتقادهم فيه لربما كان يسوغ للمتعنت ان يقول لاحدهم أظهر لى كرامة حتى أعتقدكم لانى بشر وأنتم بشر مثلى وما ثم تمييز الا باظهار الكرامات (وتأمل) يا أخى فى قول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه تجد ذلك القول لم يقع الا ممن عنده شك فى دينه (وانظر) كيف رد الله تعالى عليهم بقوله قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ولم يبلغنا ان أحدا من المصدقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعنت عليه وطلب منه معجزة

الاولياء الذين ليسوا فى زمنهم كمعروف والسرى والجنيد وأشباههم وكذبوا بكرامات أولياء زمانهم فهى كما قال الشيخ أبو الحسن والله ماهى الا اسرائيلية صدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم أدركوا زمنه وفرقة أخرى يصدقون بان فى مملكة الله أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لاحد من أهل زمنهم معينا فكل من ذكر لهم انه ولى أو نسبت اليه كرامة دافعوا اثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة المخدوعة بمتابعة الهوى فلن يجدى عليهم هذا التصديق وجود الاقتداء ولا اشراق نور الاهتداء اذ الاقتداء لا يكون بولى مجهول العين فى كون الله بل انما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك رعونات نفسك وكائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل الى الله ويوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال

أبدا وهذا الخلق غريب فى أكثر اخواننا من الفقهاء سلفا وخلفا فلم يزل الواحد منهم يقول لا أعتقد فلانا الا ان أظهر لى كرامة من المكاشفة بما فى سرى أو من المشى على الماء أو طى الارض أو نحو ذلك وهذه كرامات لا يطلبها الا من عنده شك فى دينه من المبتدئين فى الطريق فيقوى بتلك الكرامة يقينه وأما من يعلم صحة شرعه فلا يحتاج الى نحو ذلك انما كرامته الاستقامة على الشريعة لا غير فهذه هى أعظم الكرامات كما قاله الجنيد وغيره فمن أراد من الفقهاء ان يصحب أحدا من هؤلاء القوم فليعاشره وينظر فان رأى أفعاله وأقواله على الكتاب والسنة وعقيدته صحيحة فليصحبه والا فليتركه بعد ان ينصحه وبالجملة فلم يصد ابليس أحدا من الصالحين بمثل الانكار عليهم فترى أحدهم يرى صورة نفسه فى مرآة الصالح فيظن ان تلك الصفات الناقصة صفات الصالح والحال انها صفته هو (وممن أدركناه) من العلماء يعتقد مشايخ عصره من غير مطالبتهم بكرامة الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفى والشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى والشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى والشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى والشيخ كمال الدين الطويل والشيخ زكريا والشيخ نور الدين بن ناصر والشيخ عبد الحق السنباطى والسيد الشريف بزاوية الحطاب والشيخ شهاب الدين القسطلانى (فرأيت) أحدهم اذا دخل على الفقير الذى لا يصلح ان يكون من طلبته فى العلم يجلس بين يديه كالطفل يلتمس منه الدعاء حتى ان الشيخ ناصر الدين اللقانى قال لى يوما والله ما نصحب مثلكم الا ليأخذ بيدنا فى عرصات القيامة ولم أدخل عليه قط الا ونزل من على فراشه واقسم على بالجلوس عليه ويجلس بين يدى فعلم أن كل من أقام الميزان على فقراء عصره حرم مددهم وربما مقت فلا يفلح بعدها أبدا وكان الفقراء يعتقدون العالم من غير مطالبته بدليل على صلاحه وعمله بعلمه فكذلك ينبغى له كذلك ان يفعل معهم وفى عصرنا هذا جماعة من الصوفية والعلماء العاملين ربما يكون المنكر عليهم لا يصلح تلميذا لهم كسيدى محمد ابن الشيخ أبى الحسن البكرى والشيخ سليمان الخضيرى والشيخ ناصر الدين الطبلاوى والشيخ زين سبط سيدى على المرصفى وقد عرضت هؤلاء على بعض المنكرين فقال لا أعتقد فى واحد من هؤلاء الا ان رأيت له كرامة فقلت له وأى كرامة أعظم من العلم والعمل فلم يرجع الى قولى فتركته (ولعمرى) من يرى مثل سيدى محمد البكرى ويسمع ما يتكلم به من العلوم والاسرار التى تبهر العقول مع صغر سنه ولم يعتقده فهو محروم من مدد أهل العصر كلهم فان سيدى محمدا هذا كسيدى عبد القادر الجيلى فى عصره من حيث الناطقة وعلو المرتبة فاسأل الله تبارك وتعالى ان يلهمنا زيادة الادب مع علماء عصرنا وأوليائه ولا يخالف بنا عن طريقهم آمين والحمد لله رب العالمين وسيأتى بسط هذا الموضع فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تقديم زاوية غيرى على زاويتى اذا شاورنى أحد فى وقف شئ على الفقراء فاقول له زاوية فلان أحق بذلك وأقيم له الدليل على ذلك كما وقع لى مع ابن عمر وابن بغداد لما أرادا ترتيب الخبز فقلت لهما ان جامع الغمرى وزاوية سيدى على المرصفى أحق وكما وقع لى ذلك مع الواقف على زاويتى القاضى عبد القادر القادرى فقلت له ان جامع المغاربة وجامع الميدان أحق ولم أر لهذا الخلق فى مصر فاعلا غيرى وذلك لان كل انسان مأمور بالنصح للامة فليس له أن يقدم نفسه بصدقة الا ان كان أحوج اليها ومتى قدم نفسه من غير ان يكون أحوج فقد غش وخرج عن الشريعة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) غناى عن التطلع لما فى أيدى الخلائق من المناصب والمطاعم والملابس والنقود وغير ذلك وهذا من أكبر نعم الله تعالى على وربما يدعى بعضهم ذلك والحال بخلافه فليمتحن المدعى هذا المقام نفسه فان رأى نفسه تحب التردد عليهم وتكره الانقطاع عنهم وهى طامعة فيما فى أيديهم ان يعطوها منه شيأ فهى كاذبة فى دعوى الفناء عن الخلق وقد كان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول من علامة الولى ثلاث الفناء عن الخلق والهوى والارادة مع الله تعالى ثم يقول فعلامة الهوى الاعتماد على الكسب والتعلق بالاسباب وعلامة الفناء عن الارادة أن لا يريد مرادا قط مع الله تبارك وتعالى فيكون مراده مراد الله تعالى وميزان الشريعة بيده لا يرميها من يده فهلك انتهى وفى الحديث يقول الله عز وجل أنا عند

عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على عمر الساعات بين يديه فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتنى على أغرب من عنقا مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجود الصدق فى طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وقال تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف للامن لوجدت ذلك أقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك اليك فهذا الكلام فى طرفى الجواز والوقوع جميعا وذكر أعيان الكرامات التى اتفقت السلف رضى الله عنهم لا يستطاع حصرها وقد أشبع القول فيها الاستاذ أبو القاسم القشيرى فى رسالته وأفرد له بابا واعلم أن الكرامة تارة تظهر للولى فى نفسه وتارة تظهر فيه لغيره فان أظهرت للولى فى نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله وفرديته وواحديته وان قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هى حاكمة عليه وانما جعل العوائد

المنكسرة قلوبهم من أجلي أى الذين كسرت اراداتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية واستؤنفت لهم ارادات ربانية وشهوات مستعارة اضافية كما قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة فاخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك أضيف اليه بعد ان خرج عنه وزال عنه (فعلم) ان الحق تعالى لا يكون عندك الا بعد أن يكسر هواك وارادتك فانه هنالك يجعل لك ارادة وهوى لا اختيار فيه لنفسك كما قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به انتهى فمعنى المنكسرة قلوبهم من أجلي أى صار وا منكسرين القلب دائما تحت قهر ارادتي طوعا منهم لا ينجبر لقلبهم كسراً أبدا حتى يلقوني فعليك يا أخي بالقناعة والاشتغال بالله تعالى عن نعيم الدارين فانه هو النعيم المطلوب للاكابر الباقي كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فافهم ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) دوامي على التقشف من أول عمري الى وقتي هذا الذى هو أواخر عمري وقل فقير يصح له ذلك لان الغالب بعد مجاهدة الفقير نفسه حصول الرياسة واذا حصلت الرياسة انقاد الخلق الى صاحبها وأتته الدنيا وهنالك يقول له أبو مُرَّة يا طول ما تعبتَ وسهرتَ وجعتَ وعطشتَ فتندلق النفس على كثرة الاكل والشرب كما قيل في المثل بدوى مقروح ورأى تمر مطروح وقد عدوا من فسق العارف تبسطه في المطاعم والملابس والمناكح بعد العرفان وقالوا أيضا ان نور المعرفة لا يطفئ نور الورع وفي بعض الآثار ما وسع الله على عبد دنياه الا نقص ذلك من مقامه في الآخرة وان كان عند الله كريما وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا أبغض الله عبدا وسع عليه دنياه وشغله بها عنه وكان سيدى عبد القادر الجيلي رضى الله تعالى عنه وجماعة ممن خرج عن هذه القاعدة فيأكلون ويلبسون ويتمتعون بالدنيا ولا ينقص لهم بذلك رأس مال كما يأتي ايضاحه أواخر الكتاب مع ان سيدى عبد القادر كان يقول كلما ارتفع الفقير في مقام العرفان وجب عليه التفتيش في مطعمه وملبسه وأعماله أكثر لان من عظمتْ مرتبتُه كبُرتْ صغيرتُه وكان رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه اذا أكل أحدكم أو شرب أو لبس فليفتش ولا يغفل وليحذر ولا يركن فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم افشائي ما أطلعني الله تعالى عليه من طريق الكشف في مستقبل الزمان من تولية الولاة أو عزلهم أو حصول غلاء أو قحط فلا يكاد احد يأخذ مني تعيين الوقت الواقع ذلك الامر فيه أدبا مع الله جل وعلا الذى اطلعني على مثل ذلك وكان سيدى ابراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول اذا أطلعك الله تعالى على سر فلا تخبر به أحدا فان الله عز وجل كل يوم هو في شأن في تغيير وتبديل وتحويل وأخبرنا انه يحول بين المرء وقلبه فربما زيلك عما أخبرت به ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ما أطلعك الله تعالى عليه في قلبك ولا تعده الى غيرك فان كان الثبات والبقاء علمت انه موهبة من الله عز وجل فتشكره وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتاديب والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم تسلقي على مقامات الصالحين وعدم تفعلي في تحصيلها بالرياضة واستعمال الاسماء الالهية ونحو ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان فعلي ذلك مع غيرى من الخلق مذموم فكيف بالحق جل وعلا ومن أين للزبال أن يطلع الى السلطان ويقول اجعلني أميرا عندك مع جهله بآداب الملوك ودنس ثيابه (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أقبح الذنوب عند الله تعالى القيام بين يديه في الاسحار بالتملق والخداع على نية أنه تعالى يعطيه مقاما فوق ما هو فيه وقد قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ فنكر تعالى شيأ فشمل كل شئ من جميع المخلوقات حتى الارادة والهوى والشهوة فانها من خلقه تعالى بيقين فلا يريد ولا يهوى شيأ دون الله تعالى فيكون مشركا وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (قال) السيد عبد القادر الجيلي رضى الله تعالى عنه ليس المراد بالشرك في هذه الآية عبادة الاصنام فقط وانما المراد ما هو أعم من ذلك من متابعة الهوى

والوسائط والاسباب حجب قدرته وتحجب شمس احديته فواقف عندها مخذول وناقد منها اليه هو بالعناية موصول قال الشيخ أبو الحسن فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية بجمع لا يفترق وأمر لا يتعدد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد يستوى من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبيت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى تثبيت وهكذا كان السلف رضى الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه الى وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج جبل الى مرساة فالكرامة دافعة لزلزلة الشك في المنة ومعرفة بفضل الله فمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا من أظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامة انما هي خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلجوا

وأن يختار العبد مع ربه شيأ سواه الا باذنه سواء الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها فان كل ما سواه عز وجل فهو غيره فاذا ركن العبد الى غير الله تبارك وتعالى من مقام أو حال فقد أشرك بالله غيره (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضي الله تعالى عنه يقول كان نبينا عليه الصلاة والسلام أكثر عبادة من موسى عليه الصلاة والسلام وأكثر شوقا الى رؤية الله عز وجل بما يتقارب ومع ذلك فلم يقل رب أرني أنظر اليك بل لزم الادب حياء من الله تعالى حتى دعي للرؤية وأرسل له الملك بالبراق هذا وان كان ثم مقام في الرسالة يقتضي طلب الرؤية فثم مقام رفيع وأرفع وذلك أنه قد يكون عرض الملك على عبده الشئ خديعة ليرتب عليه ما سبق في علمه انتهى (وفي كلام) سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه في كتابه فتوح الغيب اذا أقامك الله تعالى في حالة فلا تطلب الانتقال منها الى ما هو أعلى منها أو أدنى بل تربص حتى يكون الحق تعالى هو الذي ينقلك بغير ارادة منك واذا أوقفك بالباب فلا تطلب الدخول الى الدار واصبر حتى تدخل اليها بعد تكرر الاذن لك بالدخول واياك أن تقنع بمجرد الاذن لك بالدخول مرة واحدة لجواز أن يكون ذلك مكرا وخديعة من الملك فاذا كان الدخول جبرا محضا وفضلا من الملك فحينئذ لا يعاقبك الملك على الدخول وانما تتطرق العقوبة اليك بشؤم اختيارك وشرهك وقلة صبرك وسوء أدبك وتركك الرضا بحالتك التي أقامك الحق تعالى فيها ثم اذا أدخلك الملك الدار بالاذن فكن مطرقا برأسك غاضا بصرك متأدبا ناظر الما تؤمر به من الخدمة فتبادر الى ذلك غير طالب للترقي الى الدرجة العليا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية فنهاه عن الالتفات الى غير الحالة التي هو فيها ثم ان العبد الطالب للانتقال من حال الى حال لا يخلو اما أن يكون ذلك الامر قسم له أو قسم لغيره أو لم يقسمه الله لاحد بل أوجده الله تعالى فتنة فاما المقسوم فهو واصل الى العبد لا محالة في الوقت الذي جعله الحق تعالى فيه فلا ينبغي له أن يظهر الشره وسوء الادب في طلبه وأما المقسوم لغيره فلم يتعب نفسه فيما لا يناله ولا يصل اليه وان كان لم يقسم لاحد وانما جعله الله تعالى فتنة فكيف يرضى العاقل أن يستجلب لنفسه الفتنة ويستحسنها فاذن الخير والسلامة في حفظ الحال ثم اذا رقيت بعد الدار الى الغرفة ثم منها الى السطح فكن كما ذكرنا من الادب والاطراق بل يتضاعف ذلك منك لانك صرت أقرب الى حضرة الملك فاياك وطلب الانتقال الى محل أقرب من ذلك الان أعلمك الملك ان تلك الدرجة أو المقام الذي تطلب الانتقال اليه قد وهبه الحق تعالى لك بعلامات وآيات انتهى كلام سيدي عبد القادر رضي الله تعالى عنه وأرضاه وهو كلام في غاية النفاسة فتدبره والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) وقوع الخوف مني تارة بعد أخرى من الله عز وجل حتى أكاد أهلك ووجود الرجاء منه حتى أكاد لا أخاف وأهل الطريق يسمون ذلك من تجلي الجلال والجمال يعني الجلال الممزوج بالجمال والافغير الممزوج لا يطيقه أحد في الدنيا وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا تجلى على قلبه الجلال يصير يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف ونقل مثل ذلك عن السيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أيضا وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه فكان يسمع من صدر الخليل صوت كغليان القدر على النار من مسيرة ميل وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش وكان اذا تجلى لقلبه صلى الله عليه وسلم شئ من تجلي الجمال يمتلئ نورا وسرورا وملاطفة وأنسا وكل وارث من أمته صلى الله عليه وسلم له نصيب من هذين التجليين فتجلي الجلال يورث الخوف والقلق والوجل المزعج وتجلي الجمال يورث الانس والسرور وقد جعل الله عز وجل لخواص عباده نصيبا مما جعله لهم في الجنة من تجلي الجمال رحمة بهم لئلا تنفطر مرائرهم فيهلكوا أو يضعفوا عن القيام بآداب العبودية لما عندهم من شدة الشوق والمحبة فالحمد لله الذي من علينا باقتفاء آثارهم في ذلك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) كثرة الاستغفار اذا وافقت نفسي في هواها المباح خوفا من أن يجرني ذلك الى مكروه ولعلمي بان النفس عدوة لله عز وجل فمن أطاعها عصاه الكون كله ومن خالفها وأطاع

مع ابليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبي لابي العباس الرقي ما تقول أصحابك في هذه الامور التي يكرم الله بها عباده فقلت ما رأيت أحدا الا وهو يؤمن بها فقال من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقلت ما أعرف لهم قولا قال بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم يفسرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبي تراب بعد ان عطش أصحابه فضرب الارض فنبع الماء فقال فتى هنالك أريد ان أشرب في قدح فضرب بيده الارض وناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقانا قال أبو العباس الرقي ومازال القدح معنا الى مكة والقول الفصل في ذلك انه لا ينبغي ان تطلب أدبا مع الله ومن أظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله القسم الثالث وهو أن تظهر الكرامة في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا في خصوصية ذلك العبد فاظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان وقد انبسط الكلام في

ربه

هذه المقدمة وما كان ذلك لنا باختيار ولكن قد تضمنت علوما وأسرارا اذا طلعت على من له نصيب من المنة مشرقات

ربه أطاعه الكون كله لانه كله رضي لرضا الله جل وعلا ويغضب لغضبه الا من شاء الله ممن لا عبرة به وقد أوحى الله تبارك وتعالى الى داود عليه السلام يا داود كن خصما لي على نفسك فاذا فعلت ذلك حققت مو الاتك لي انتهى وقد قال رجل لابي يزيد أوصني فقال عاد نفسك فان بذلك تصح موالاتك لله وعبوديتك له وتاتيك الاقسام هنيأمريأ وأنت عزيز مكرم وتخدمك الاشياء وتعظمك لانها باجمعها تابعة لربها موافقة له ونقل عن أبي يزيد انه قال رأيت ربي في المنام فقلت له يارب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال قال أبو يزيد فانسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها انتهى والمراد بترك النفس ترك العمل بخواطرها المذمومة في الشرع فان عرضتها على الشرع فلم يظهر لك موافقة ولا مخالفة فتوقف عن العمل ولا تبادر اليه لانك لا تدري ما عاقبته وما يؤل الامر اليه فيه ولاهل الحق علامات في كل خاطر يعرفونها بقلوبهم وان خفي ميزانها على غيرهم فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظه تعالى لفرجي عن الفواحش والاحتلام من حين بلغت حد الشهوة الى ان صار عمري نحو ثلاثين سنة وذلك لانه لم يكن لي وقت اسعى فيه على العيال لاشتغالي بالعلم وقل من يقع له الحفظ عن الفواحش في مثل هذه المدة فالحمد لله الذي حماني من ذلك حتى تزوجت فاصبر يا أخي على العزوبة مستندا الى قوة الله تعالى لا الى نفسك فانه لابد للصابر من أحد الشيئين اما بأن يعطيه الله سؤله واما بان يحول من قلبه شهوة ذلك ثم ان رأيت يا أخي الشهوة غالبة عليك فتزوج ولو بالدين حفظا لنفسك من الوقوع في الفواحش وان استطعت الصوم كان ذلك أعون لك وأفضل من التزوج بالدين وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يأمر العازب بالجوع وتارة يعطيه حبلا يشد به وسطه فما دام وسطه مشدودا به لا يحتاج الى نكاح وان قال له الشخص أريد أن لا تنتشر لي جارحة مدة عمري مسح على ظهره فلا تنتشر له بعد ذلك جارحة وكذلك كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يفعل على أن الشيخ كان لا يفعل ذلك الا مع من كشف له عنه انه ليس في صلبه ذرية وقال له رجل مرة أريد أن أتزوج فقال له هل تزوجت فقال نعم وطلقتها فقال حصلت السنة لا تتزوج فقال له فقيه تنهاه عن السنة فقال له الشيخ ما ذكرت الا كونه سنة أما تنظر الى ما يقع فيه من أكل الحرام والشبهات ثم قال من أشار على شخص بالتزوج في هذا الزمان وليس له كسب فكأنه يعلمه خطف عمائم الناس والنصب والحيل والغش وان كان متعبدا أكل بدينه فاعمل يا أخي على تحصيل الكسب من الحلال وتزوج والافعش عزبا والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اشتغالي بالنعمة عن المنعم سبحانه وتعالى وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فقل من لا تشغله النعمة عن المنعم والمعين لي على ذلك شهودي عدم ملكي لما خولني الله تعالى فيه من الاطعمة والملابس انما أنا عبد آكل من مال سيدي وأسكن في داره ولا أتذكر قط اني بنيت دارا وأعجبتني ولا لبست جوخة وأعجبني سجافها ولا لونها بحيث يشغلني ذلك عن ربي وفي كلام سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه احذر أن تشتغل بما أعطاك الله من المال عن طاعته فيحجبك بذلك عنه دنيا وأخرى وربما سلبك ذلك المال وأفقرك وغيرك عقوبة لك واعلم انك اذا اشتغلت بطاعته تعالى عن ذلك المال فهو موهبة من الله تعالى لك وليس هو من المال المذموم فيكون المال خادمك وأنت خادم المولى جل وعلا فتعيش في الدنيا مدللا وفي الآخرة مكرما انتهى فاياك ان تسأل الله تعالى دنيا الا مع التفويض الى الله عز وجل لتأمن من الآفات وأما اذا أعطاك الله تعالى شيأ من غير سؤال فذلك مبارك وعاقبته جيدة وليس عليك فيه حساب ان شاء الله تعالى يوم القيامة كما قال به بعضهم لكونه جاء من غير استشراف نفس والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على دائما) من صغري عدم اختياري جلب نعمى أو دفع بلوى وذلك لعلى بنور الايمان وسر الايقان أن النعمى ان كانت قسمت لي فهي واصلة الى ولو رددتها لا ترتد وكذلك البلوى هي حالة بي لامحالة ان كان الحق تعالى قد قضاها على لا ترتد بالرد وما بقي الا الصبر والتجلد لما قدره الله تعالى على العبد وان كانت المدافعة مشروعة ثم بعد ذلك ان حصلت النعمى وجب على العبد الشكر وان حصلت البلوى وجب

الانوار وهذا أوان ابتداء اثنائنا اقصدنا واظهارنا ما اليه عمدنا والله هو القائم بالبيان وهو ولي الفضل والاحسان له الحمد كما يجب لجلاله والشكر لتوالي نعمه وافضاله وهو حسبنا ونعم الوكيل أما الكتاب فهو ينقسم كما تقدم الى عشرة أبواب

(الباب الاول) في التعريف بشيخه الذي أخذ عنه هذا الشأن وشهادة من عاصره من أهل زمنه من العلماء الاعيان انه قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان هو الشيخ الامام حجة الصوفية علم المهتدين زين العارفين أستاذ الاكابر والمتفرد في زمنه بالمعارف السنية والمفاخر العالم بالله والدال على الله زمزم الاسرار ومعدن الانوار القطب الغوث الجامع تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الله ابن عبد الجبار بن تميم ابن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع ابن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى ابن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عرف بالشاذلي منشؤه بالمغرب الاقصى ومبدأ ظهوره بشاذلة بلدة على القرب من تونس واليها نسبته

عليه الصبر واياك أن تطلب رفع الاقدار بالدعاء الابماء وردوا طفئ نار البلوى بماء الصبر وبرده فليست نار البلية أعظم من نار جهنم وقد ورد في الحديث ان جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وايضاح ذلك ان نور المؤمن الذي يطفي به نار جهنم يوم القيامة هو نوره الذي كان معه في الدنيا فليطفئ به لهب البلوى مادام في دار الدنيا ثم لا يخفى ان البلية لم تأت العبد في دار الدنيا لتهلكه وانما اتته لتختبره وتحقق صحة ايمانه عند نفسه وتؤيد قاعدة يقينه والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) من حين بلغت سن الاربعين سنة عدم شهوة أعضائي للمعصية أو تحديث نفسي بها وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فتسترخي مفاصلي كلها اذا جلست عندي امرأة جميلة معطرة وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول مرارا لا يكمل الفقير في مقام الحفظ من الله تبارك وتعالى حتى يكون سمعه عند الغيبة والفحش كأنه أصم خلق على ذلك وبصره عند رؤية مالا يحل له كأنه معصوب أو مرمود أو أكمه مطموس وشفتاه عند القبلة كأنهما مقرحتان كالدمل ولسانه عند الكلمة القبيحة كان به خرسا واسنانه عند مافيه شبهة من الطعام والشراب كان بها ضرباناو بثورا ويداه عند ارادة البطش لغير حق كان بهما شللا ورجلاه عند المشي لما لا يحل كان بهما رعدة وارتعاشا وجرحا وفرجه عند الزنا كان به عنة أو دماميل قرحته فلا يستطيع احدا أن يلمسه وبطنه عند ارادة الشبع من الحلال كان به امتلاء وارتواء وعقله عند التفكر فيما لا يحل له كانه مخبول مجنون وجملة الامر ان يرى جسده كله عند مالا يحل كانه ميت اه وهذا كله هو معنى قول الجنيد رضي الله تعالى عنه وأرضاه ليكن بدنك حيا عند طاعة الله تعالى وميتا عند معصية الله جل وعلا والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) حمايتي من انتظار رزق معين يومي أو جمعي أو شهري أو سنوي انما يبتدئني الحق جل وعلا بالرزق من غير تطلع الى حصوله اللهم الا ان علمت بالالهام الصحيح انه رزق ليس لاحد فيه نصيب فحينئذ لي أن أطلبه بواسطة وبلا واسطة اذا احتجت اليه تحيلا لشهودي فضل ربي على بمجرد الا لعلة أخرى وهذه النعمة من أكبر نعم الله عز وجل على ولا يصل العبد لها الا بعد خلوصه من الاعتماد على الخلق والاسباب والحرف والصنائع لان العبد مادام متكلا على الخلق لا يستحق عادة ان يبدأه الحق تعالى بفضل ولا نعمة الا استدراجا والعياذ بالله تعالى اذ الخلق حجاب ومادام العبد واقفا مع الخلق راجيا لعطائهم وفضلهم سائلا لهم مترددا الى أبوابهم معرضا عن التوكل على الله تعالى فهو مشرك بالله عز وجل خلقه في رزقه حتى الناظر والجابي اذا طالبهما بمعلومه بقلبه ولم يشهد ذلك من فضل الله تبارك وتعالى حال المطالبة هو شرك بالله تعالى في طريق الارتزاق ومثل هذا يستحق ان يعاقب بحرمان الاكل من حيث لا يحتسب أو من عمله الحلال كالتجارة بمال حلال أو عمل الحرفة السالمة من الغش ثم اذا تاب العبد من الاعتماد على الكسب وخلص من هذا الشرك استقبله شرك آخر أخفى منه وهو اطمئنان قلبه الى الكسب الحلال ونسيان ان ذلك من فضل الرب وهناك ربما عاقبه الله تعالى بحجابه عن شهود فضله وعن البداءة به ثم ان تاب من ذلك وأزال ذلك الشرك من الوسط ورأى الفضل والنعمة من الله تبارك وتعالى وحده من غير شهود الواسطة من قوة أو كسب بان يرى طريق التكسب لا أثر لها في تحصيل رزقه ووصوله اليه فهنالك يبدؤه الحق تعالى بالعطايا والمنح وهذا هو رزق المؤمن الكامل الذي يأتيه من حيث لا يحتسب وهو معتمد على سبب من الاسباب فيشرك بالله تعالى من حيث لا يشعر ثم هذا الامر لا يكون الا لخواص عباده لانه تعالى يغار عليهم أن يعتمدوا أو يلتفتوا الاحد سواه الا عن اذنه فيصير رزقهم في الدنيا كحالهم في الجنة على حد سواء ليس لاحد من الخلق فيه منة فاسأل الله سبحانه وتعالى من فضله أن يثبتنا على هذا المشهد الى الممات والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) معرفتي له سبحانه وتعالى المعرفة الثابتة التي لا تزلزلها الادلة ويعبر عن ذلك بالوصول الى حضرة الله عز وجل ومعنى ذلك وصول العبد الى حضرة يشهد فيها انه لا فاعل الا الله عز وجل ولا رازق الا الله تبارك وتعالى ولا محيي ولا مميت الا الله جل وعلا وهكذا ويفنى عن شهود الخلق والهوى ولا

السياحات الكثيرة والمنازلات الجليلة والعلوم الكثيرة لم يدخل في طريق الله حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة ذو علوم جمة ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في كتابه وأثنى عليه الثناء الكثير وذكره الشيخ قطب الدين بن القسطلاني في جملة من لقيه من المشايخ وأثنى عليه وذكره الشيخ أبو عبد الله بن النعمان وشهد له بالقطبانية وذكره الشيخ عبد الغفار بن نوح رضي الله عنه في كتاب التوحيد وأثنى عليه لم يختلف في قطبانيته ذو قلب مستنير ولا عارف بصير جاء في هذا الطريق بالعجب العجاب وشرع من علم الحقيقة الاطناب ووسع للسالكين الرحاب حتى لقد سمعت الشيخ الامام مفتي المسلمين تقي الدين محمد بن القشيري يقول مارأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلي وأخبرني الشيخ العارف مكين الدين الاسمر انه قال حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ الامام مفتي الانام عز الدين بن عبد السلام والشيخ مجد الدين علي بن وهب القشيري المدرس والشيخ محيي الدين بن سراقة والشيخ مجد الدين الاخميمي والشيخ أبو الحسن الشاذلي ورسالة القشيري تقرأ عليهم وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت الى ان فرغ كلامهم فقالوا يا سيدي نريد أن

يشهد

يشهد في الكون الا أفعاله وخلقه وحده لا مشارك له في ذلك فليس الوصول الى الله جل وعلا مثل الوصول الى خلقه كما قد يتوهمه أصحاب العقول الضعيفة المحجوبة بسبعين ألف حجاب ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فعلم ان كل من ادعى معرفة الله جل وعلا وزلزلته الادلة فهو لم يشم من المعرفة رائحة لانه كل وقت يترك اعتقادا ويعتقد آخر كالمجتهد اذا ظهر له وجه الدليل في أمر آخر فانه يتركه ولو انه قيل له اثبت على الاول لا يقدر والفرق بين معرفة أهل الله عز وجل ومعرفة غيرهم ان جميع تعرفات أهل الله تعالى رضي الله عنهم بالله جل وعلا لانها بتعريفه بخلاف تعرفات الافكار لان الافكار لا تقدر ترقى عن الكون أبدا فافهم على ان لكل مخصوص تعريفا على حدة لا يشاركه فيه غيره فلله تبارك وتعالى مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غير صاحبه حتى انه قد يكون للمريد سر لا اطلع عليه شيخه وللشيخ سر لا يطلع عليه غيره * وقد قلت مرة لسيدي علي الخواص رحمه الله تعالى اذا بلغ المريد مقام العرفان هل يستغني عن شيخه فقال اذا بلغ المريد مقام شيخه أفرد عن شيخه وقطع عنه فيتولاه الحق جل وعلا فيفطمه عن الخلق جميعا ماعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يمكن رفع واسطته أبدا ويصير الشيخ بعد فطام الحق جل وعلا لهذا المريد كالظئر والداية ويؤيده حديث لا رضاع بعد الحولين فقلت له فاذن الشيخ يحتاج اليه مادام عند المريد هوى أو ارادة دون الله عز وجل فقال نعم ليكسرهما عنه فاذا كسرهما عنه وزالا فلا كدورة هنالك ولا نقصان انتهى ثم من علامة صحة الوصول على ماقررناه وبيناه كون العبد لا يصير عنده خوف من الخلق كلهم لا من سلطان جائر ولا حية ولا سبع ولا نحو ذلك ولا يرى لغير ربه ضرا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا بل يصير أبدا آمنا مما سوى ربه ناظرا الى فعل ربه مترقبا لامره مشتغلا بطاعته مباينا لجميع خلقه دنيا وأخرى من حيث ترك اعتماده عليهم دون الله تعالى لا يعلق قلبه باحد منهم فالخلق كلهم عنده كرجل كتفه السلطان وصلبه ثم جلس على كرسي مملكته أوغيره وأمر جميع عبيده أن يضربوا ذلك المكتوف بالنشاب والرماح فهل يليق بعاقل ان يترك السلطان ويسأل ذلك المصلوب في حاجة من حوائجه أو يخافه أو يرجوه لا والله فهكذا الصادقون لا يخشون أحدا الا الله جل وعلا فليفتش من يدعي العرفان نفسه فربما كان يعول على الخلق في شئ من أموره وقد أنشدوا

وكل يدعون وصال ليلى * وليلى لا تقر لهم بذا كا

فنعوذ بالله من العمى بعد الابصار ومن القطع بعد الوصل ومن الصدود بعد القرب ومن الضلالة بعد الهداية ومن الكفر بعد الايمان انه هو المنعم المنان والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كتمان ما يصيبني في باطني من البلايا والمحن عن الخلق فلا أذكر ذلك لعدو ولا صديق وفي بعض الاوقات يقع الحريق بباطني حتى يصير الدخان يخرج من أنفي ومن فمي مثل دخان الحطب والحلفاء فلا اطلع أحدا منهم على سببه وكثيرا ما يأتوني بالطبيب فلا يعرف أن يشخص لي مرضا وكان على هذا القدم سيدي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله تعالى عنه وأرضاه مكث ملقى على ظهره في مرض الموت سبعا وأربعين يوما حتى انتثر لحم ظهره وصار النمل يدخل في لحمه طوائف طوائف وما سمعته قط يقول آه ولا سأله أحد كيف حالك الا قال أنا طيب بخير انتهى والرجال لا تظهر مراتبها الا في الشدائد (واعلم) يا أخي ان قولك أنا طيب أي طيب الاعتقاد مع شدة المرض والالم أو أنت كاذب خير من شكواك من ربك وأنت صادق فكم من نعمة عندك لربك وأنت لا تعرفها وفي الحديث الشريف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تسكن الى أحد من الخلق ولا تستأنس به ولا تطلعه على ما أنت فيه الا من أذن لك فيه شرعا ولكن أنسك بالله وسكونك اليه وشكواك منه اليه فانه ليس في يد أحد سواه ضر ولا نفع ولا جلب ولا دفع ولا عز ولا ذل ولا خفض ولا رفع ولا غير ذلك من سائر الامور الواقعة في الكون انتهى (فاياك) يا أخي أن تشكو ربك عز وجل وأنت معافى أو لك قدرة على تحمل ذلك البلاء بالقوة التي قواك الله تعالى بها فتقول ليس عندي قوة ولا قدرة أو تشكوه لخلقه وعندك نعمة أنعم بها عليك وتقصد بتلك الشكوى الزيادة من النعمة وأنت متعام عما له عندك من النعمة والعافية احتقارا لهما فانه تعالى ربما غضب

نسمع منك فقال أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم فقالوا لا بد أن نسمع منك قال فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالاسرار العجيبة والعلوم الجليلة فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله وأخبرني الشيخ أبو عبد الله بن الحاج قال أخبرني الشيخ أبو زكريا يحيي البليسي قال صحبت الشيخ أبا الحسن الشاذلي ثم سافرت الى الاندلس فقال لي الشيخ أبو الحسن عند وداعي اياه اذا وصلت الى الاندلس فاجتمع بالشيخ أبي العباس ابن مكنون فانه اطلع على الوجود وعرف حيث هو ولم يطلع الناس على أبي العباس فيعلموا حيث هو قال فلما جئت الى الاندلس جئت الى الشيخ أبي العباس بن مكنون فحين وقع بصره علي قال ولم يعرفني قبله جئت يا يحيي حيث الحمد لله على اجتماعك بقطب الزمان يا يحيي الذي أخبرك به الشيخ أبو الحسن لا تخبر به أحدا وأخبرني رشيد الدين بن الرايس قال تخاصمت أنا وبعض أصحاب الشيخ فاتيت الى الشيخ أبي الحسن فذكرت مقالته فقال الشيخ كنت تقول له أنا ربايي القطب ومن رباه القطب رباه أربعون بدلا وأخبرني والدي رحمه الله قال دخلت على

عليك وحقق شكواك وأزال عنك النعمة والعافيــة وضاعف عليك البلاء وشــدده عليك بل مقتك وقلاك واسقطك من عين رعايته فاحذر من الشكوى للخلق جهدك ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض ان أردت أن تكون من أهل هذا المقام والسلام فان أكثر ما ينزل بابن آدم من البلاء من جهة شكواه وكيف يشكو العبد من هو أرحم به من والديه فارض بما قدره عليك وتأمل قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم الآية فطوى عن العبد علم حقائق الامور وعواقبها وحجبه عن ذلك فابقى معــه الايمان بانه أرحم به من أمه فلا ينبغي له ان يسيء الادب فيكره بنفسه ويحب بنفسه بل يجب عليه اتباع الشرع في جميع ما ينزل به ان كان في حالة التقوى التي هي المرتبة الاولى كما انه يجب عليه اتباع الامر الالهي ان كان في مقام الولاية وهو القــدم الثاني كما انه يجب عليه الرضا بالفعل ظاهرا وباطنا ان كان في مقام العرفان فتنح يا أخي عن طريق القدر وخل عن سبيله فان الله تبارك وتعالى أعلم بك وبصالحك واحمد الله رب العالمين على كل ما أنزله عليك (واعلم) يا أخي أنه لا يطأ بساط الحضرة من هو متلطخ بالذنوب والسيئات والمعاصي والخطيئات كما لا يدخل حضرة ملوك الدنيا من ثوبه متــلوث بالانجاس والنــتن والاوساخ فقدر يدر بك بانزاله البلايا والامراض بك أن يطهرك من الانجاس والادناس حتى تصلح لدخول حضرته فانك تدنست بالذنوب بيقين ولا يمكنك دخول الحضرة وأنت متلطخ بالقذر لانها حضرة لا يدخلها الا طيب طاهر مطهر من سائر المخالفــات حتى من درن الدعاوى والهوسات (فاياك) أن تتكدر من البــلايا والمحن فانها مكفرات مطهرات وتجلد لها يا أخي ولا تضجر كما تتجلد لشرب الدواء الكريه لما تعلم من تنقية باطنك من الطبيعة القذرة المنتنة التي يصعد بخارها الرديء الى رأسك فيصدعه فاعــلم ذلك والله تعــالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) اني لا أعد أحدا بوعد الا مع التفويض الى الله تبارك وتعالى وطلبي منه أن يعينني على الوفاء به * وفي وصــية سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه اذا كنت ضعيف الايمان واليقين ووعــدت بوعد فوف بوعدك ولا تخلفه لئلا يذهب ايمانك ويضــعف يقينك بخلاف ما اذا قوي يقينك وتمكنت فيه وعلمت رضا الله تعالى عنك بوجود رضاك عنــه في كل أمر قدره عليك فلك حينئذ أن تعد بالوعد لامانك من الخلف فان الله عز وجل يعامل العبد بحسب ما يعامل العبد به ربه جــل وعلا فكن يا أخي ابراهيمي المقام ثم عــد فان الحق تبارك وتعالى يعينك على الوفاء ولا يكذبك لانك حينئــذ محبوب له وسيأتي ان مما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ عدم الاكل مما وعدت به قبــل حضوره لانه قد لا يجيء الا مع استشراف النفس الى حضوره بسرقة الطبع فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) حمايتي من الاكل مما فيه شبهة في الغالب فتقوم نفسي منه فلا أقدر أســيغه وربمــا تناولته في بعض الاوقات فاعبت نفسي منه فاتقاياه وربما أسهو فآكله أو أشربه ثم اعــلم به فاتقاياه قبل أن يجري في العروق وهذا من أكبر نعم الله عز وجل عليّ قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فلم يأذن لنا في تناول شيء فيه ريبة سواء اجتمع ما فيه ريبة مع ما لا ريبة فيه أم حضر بين يدينا وحده لكن في صورة الاجتماع يجب علينا الاخذ بالعزيمة وهو الاكل مما لا ريبة فيه وترك ما يريب وأما في صورة تجرد المريب وحده فالادب الوقف عنه الا في وقت الضرورة فنأكل منه بقدر الحاجة فقط وان كان عندك يقين وصبر فلا تأكل وقل يا رب اني قد جعت وقد نهيتني عن الاكل من مثل هذا فارزقني شيأ من الحلال أتبلغ به فانه تعالى يقدر لك ان شاء الله تعالى شيأ تأكله أو يقويك على الجوع حتى تجد الحلال وقد وقع لي مرة انني لم أجد شيأ حلالا آكله فقلت اللهم اجعل لي في هذا التراب طعاما ثم أكلت منه فوجدت له دسما كدسم اللحم واكتفيت به ثلاثة أيام وهذا من قاعدة ارتكاب أخف المفســدتين اذا تعارضــتا وذلك لان التراب مضر في البــدن دون الروح والحرام مضر في كل منهما فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) توالي الآلام على جســدي من منذ عرفني الناس واعتقدوني فلا أنفك من بلاء الا ويعقبه بلاء آخر وهــذا من أكبر نعم الله عز وجل عليّ لان ذلك البلاء ان كان عقوبة على

الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فسمعته يقول والله لقد تسألوني عن المسئلة لا يكون لها عنــدي جواب فأرى الجواب مسطرا في الدواة والحصــير والحــائط وأخبرني بعض أصحابنا قال قال الشــيخ أبو الحســن يوما والله انه لينزل علي المدد فأرى سريانه في كالحوت في الماء والطائر في الهواء وكان الشيخ أمين الدين الدين جــبريل حاضرا فقال للشيخ أبي الحسن فانت اذا القطب فانت اذا القطب فقال الشيخ أبو الحسن أنا عبــد الله أنا عبد الله وأخــبرني بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن والله ما ولى الله وليا الا وضع حبه في قلبي قبــل أن يوليه ولا رفض عبدا الا وألقى الله بغضه في قلبي قبــل أن يرفضه وأخــبرني بعض أصحابنا قال لما رجع الشيخ أبو الحسن من الحج أتى الى الشيخ الامام عز الدين بن عبد الســلام قبل أن ياتي مــنزله فقال له الرسول صــلى الله عليه وســلم يسلم عليك قال فاستصغر الشيخ عز الدين نفســه أن يكون أهــلا لذلك قال فدعى الشــيخ عز الدين الى خانقاه الصوفية بالقاهرة وحضر معــه الشــيخ محيي الدين بن سراقة وأبو العــلم ياسين أحد أصحاب ابن عربي فقال الشيخ محيي الدين بن سراقة للشيخ عز الدين لحظكم ما سمعنا يا سيدي والله ان هذا شيء يفرح به أن يكون

ذنب

ذنب سلف فهو خير وان كان كفارة له فهو خير وان كان رفع درجات فهو خير ولا يخلو البلاء عن هذه الثلاثة أحوال الا أن يكون اختبارا من الله تبارك وتعالى حتى أعرف مقامي في الصبر ودعواي المحبة له سبحانه وتعالى فاما أشكر واما أستغفر وفي كلام سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه انما كان الحق تعالى يديم على أنبيائه وأوليائه البلايا والمحن ليكونوا دائما بقلوبهم في حضرته لا يغفلون عنه دائما لانه تعالى يحبهم وهم يحبونه فهم لا يختارون قط الرخاء لان فيه بعدهم عن محبوبهم بخلاف البلاء فانهم يختارونه لانه صفاء لقلوبهم وقيد لنفوسهم يمنعهم من الميل الى غير مطلوبهم فاذا دام عليهم البلاء ذابت أهويتهم وانكسرت قلوبهم فوجدوا الله أقرب اليهم من حبل الوريد كما قال تعالى في بعض الكتب الالهية أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي يعني على الكشف منهم والشهود والا فهو تعالى عند كل عبد انكسر قلبه أم لم ينكسر فافهم (واعلم) يا أخي ان البلاء كلما اشتد على العبد كلما قوي القلب واليقين وضعفت النفس والهوى وقرب العبد من حضرة ربه عز وجل كما مر فافرح يا أخي بنزول البلاء لكن مع الاستعانة بالله تعالى عليه خوفا أن يقع منك سخط فتهلك مع الهالكين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) رضاي بالدون من كل شئ تحبه النفس من شهوات الدنيا ولذلك لم يقع مني قط منازعة أحد من أهلها في شئ واستراح بدني وقلبي من التعب في تحصيل شئ من أمورها فان رزقني كسرة من الشعير قنعت بها وشكرته عليها وان رزقني خيشة لبستها وشكرته عليها هذا أساسي الذي بنيت أمري عليه فكلما جاءني بعد ذلك من أمر زائد أكثرت من شكر الله تعالى عليه بالاعتراف له بعدم استحقاقي لذلك ولم أزل بحمد الله جل وعلا عندي الثياب والطعام زائدا عن حاجتي فآكل من ذلك وألبس وأعطي الزائد الفائض عني لغيري وهذا الخلق فيه راحة عظيمة ومن لم يتخلق به فلا يزال في تعب قلب وبدن في تحصيل رزقه وكلما ترقى في الرزق لدرجة لاح له أخرى فيتعب في تحصيلها الى أن يموت ويفوته عمل الآخرة كما هو مشاهد فيمن شابت لحيته وأشرف على معترك المنايا وهو يتاجر ويسافر الى الشام وحلب والروم وبلاد التكرور والغرب ولا يشبع ولا يقنع ولا يبر نفسه بشئ مما يجمعه فضلا عن أن يتصدق به أو يفعل به لغيره خيرا انتهى فافهم ذلك

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم قولي في دين الله عز وجل برأيي فاذا لم أجد في المسئلة تصريحا من الشارع توقفت عن العمل بها كما مر أوائل الباب الثاني انتهى ولا أقدم عليها الا ان رأيت فيها نصا أو اجماعا أو قياسا جليا (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول اياك أن تقول في دين الله بهواك فانه يرديك ويظلم عليك قلبك ويسلبك ايمانك ومعرفتك ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك بالاذى حتى شهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشك في الدنيا ويطيل عقابك في الآخرة انتهى (وايضاح ذلك) ان الله تبارك وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ جميع ما أنزل اليه من ربه فما ترك صلى الله عليه وسلم شيأ مما فيه سعادتنا الا وبينه لنا وما سكت عنه فهو رحمة لنا وتوسعة كما أشار اليه حديث وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها (ومنها) منع بعض العارفين من القياس قال لانه طرد علة وما يدريه لعل الشارع لم يرد طرد تلك العلة ولو أرادها لا بانها لنا ولو في حديث انتهى فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة شكري لله تعالى اذا زوى عني الدنيا وأعطاها الاقراني وجعل لهم المنزلة والجاه عند الامراء والاغنياء والاكابر وأخمل ذكري بين الناس وأجاعني وأعراني وعترتي وفرق عني الدنيا ولم يجمع لي شملا بها ثم اني أسأل الله تبارك وتعالى أن يعافي أقراني من فتنة الدنيا التي أعطاها لهم ومنعني منها حتى لا أقع في تمني السوء لاحد من المسلمين ولو باللازم فافهم ويا هذه من لذة ما أعظمها لو ذاقها من يتقلب في النعمة الظاهرة ليلا ونهارا لترك جميع ما هو فيه وذلك لان الله تبارك وتعالى بالرأفة غالبا مع أهل البؤس والضراء دون أهل النعمة والعافية ومن حصل على مجالسة الحق تعالى لم يفته شئ من الدنيا والآخرة (وقد كان) سيدي ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول لو تعلم الملوك ما نحن فيه لضاربونا عليه بالسيوف وكذلك نقل

في هذا الزمن من يسلم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ عز الدين أتلله بسترنا فقال أبو العلم يس اللهم افضحنا حتى يتبين الحق من المبطل ثم أشار والقوال أن يقول وهو بالبعد بحيث لا يسمع ما دار بينهم فكان أول ما قال صدق المحدث والحديث كما جرى *فقام الشيخ عز الدين وطاب منه وقام الجمع لقيامه وأخبرني الفقير مكين الدين الاسمر قال سمعت مخاطبة الحق فقلت يا سيدي كيف كان ذلك فقال كان في الاسكندرية بعض الصالحين صحب الشيخ أبا الحسن ثم كبر عليه ما سمعه منه من العلوم الجليلة والخرقات فلم يسع ذلك عقله فانقطع عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فبينما أنا ليلة من الليالي وأنا أسمع ان فلانا دعانا في هذا الوقت بست دعوات فان أراد أن يستجاب له فليأت الى الشيخ الشاذلي دعانا بكذا دعانا بكذا حتى عينت لي الست دعوات قال ثم انفصل الخطاب عني فنظرت الى المتوسط في ذلك الوقت فعرفت الوقت الذي كان ذلك الرجل دعا فيه ثم أصبحت وذهبت الى ذلك الرجل فقلت له دعوت الله البارحة بست دعوات دعوته بكذا دعوته بكذا الى أن عددت له الست دعوات فقال نعم فقلت تريد أن يستجاب لك قال ومن لي بذلك فقلت له قيل لي ان أراد أن يستجاب له فليأت الى

عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يقول ذلك وايضاح ذلك ان الدنيا انما هي دار عبور لا دار اقامة فليس لعاقل أن يمسك منها الا بقدر زاد الراكب المسافر * وبالجملة فكل مؤمن زوى الله تبارك وتعالى عنه الدنيا فهو عنوان على رضاه تبارك وتعالى عنه في الدنيا والآخرة وعلامة على طيب أرض ايمانه وشدة طراوتها فلذلك كثر الطل والندى النازل على ورقها ومغرسها فصاحب الايمان الكامل بما وعده الله في الجنة لا يبني الا في الجنة ولا يغرس الا في الجنة فلا تزال شجرة ايمانه تورق وتثمر وتنمو وهي في زيادة ينفسح ببؤس الدنيا وجوعها وعطشها وعريها عكس ما عليه أهل الدنيا فلا تزال في زيادة من الاعمال الصالحة حتى يجهل أهل الدنيا عمله لشدة اخلاصه ومشاهده وعلوم مراقبه وهو الذي يعطي في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر نظير ما كان يعمل في دار الدنيا من الاعمال المرضية التي جهل الخلق قدرها من علوم شاهدها ولاحظها ومراقبها وأما من أعطاه الله عز وجل الدنيا ووسع عليه في مطاعمها وملابسها ومناكحها ومراكبها وشغله بها عنه فهو عنوان على أن محل أرض ايمانه بالآخرة وما أعد الله جل وعلا للمؤمنين فيها سبخة خبيثة أو صخر لا يكاد يثبت فيها ماء ولا ينبت فيها شجر فلذلك احتاجت لصب الماء عليها لكثير اليبس أرضها وهي مع ذلك لا تورق ولا تثمر الا شيأ ضعيفا فلولا كثرة صب الماء عليها لماتت أصلا وجفت أشجارها وانقطعت ثمارها وخربت الدنيا ومعاشها وهو تعالى يريد ثمارها فعلم ان شجرة الغني بالدنيا ضعيفة المنبت سريعة الهلاك وشجرة الفقير الذي يده خالية من الدنيا قوية المنبت باقية ببقاء الله تبارك وتعالى فكانت مداواة الحق تعالى لشجرة الغني بكثرة صب الماء عليها رحمة به والا فلو يبست وجفت أغصانها وانقطعت ثمرتها لربما كفر أو جحد لقلة صبره وعدم رضاه بالدون فالتحق بالمنافقين والمرتدين والكفار ويؤيد ذلك الحديث ان من عبادي من لا يصلح له الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلح له الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله فالحمد لله الذي عافانا من مثل ذلك وأعطانا الرضا عنه ولو زوى عنا نعيم الدارين والحمد لله رب العالمين (ومن وصيته) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه اياك ان تشره عينك فتتمنى ما ليس لك أنه يكون لك فانه لا يخلو اما أن يكون قسمه الله لك أو لم يقسمه فان كان قسمه لك فهو صائر اليك لا محالة اما بمشيك اليه واما بمجيئه هو اليك من غير مشي وأما ان لم يكن قسمه الله لك فلا يمكنك الوصول اليه بحيلة من الحيل فاشتغل عن ذلك باحسان الادب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك في وقتك الحاضر فقد نصحتك وعليك ببذل طوقك وجهدك في طاعته معتذرا مفتقرا خاشعا مطرقا غير ناظر الى عوض من دنيا أو أخرى فانك عبد والعبد لا يستحق على خدمة سيده شيأ لانها من حقوق السيد انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حمايته لقلبي ان تقيم فيه محبة أحد من الخلق الا عن اذنه وقد ضمن الله عز وجل حراسة كل قلب ليس فيه غيره فيعطي ذلك العبد سيف التوحيد والعظمة والجبروت ويجعله بواب قلبه فكل من دنا من ساحة صدره لباب قلبه قطعت رأسه فاذا تمكن العبد في حراسة قلبه ضربت حول قلبه سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت وأقام الحق جل وعلا دون قلب ذلك العبد حراسا من جنده كيلا يخلص الشيطان أو النفس أو الهوى الى قلبه وحفظه من سائر الدعاوى الكاذبة الناشئة عن النفس والهوى فلا ينقص له رأس مال باقبال الخلق عليه ولا بترادف نعم الدنيا عليه وان تزوج امرأة كانت له عونا على طاعة الله عز وجل وان جاءه ولد كان صالحا لا يحصل له ذل في طريق معاشه أبدا بل يرزقه الله رزقا واسعا حلالا من حيث لا يحتسب ويأمره الله تعالى بتناوله وأخذه وجمعه ويثيبه على أخذه وانفاقه منه على نفسه وغيره كما يثيبه على فعل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج (ثم اعلم) يا أخي ان لمن ادعى حب الله عز وجل علامات ان وجدت فيه صدقناه وذلك أن نراه على الشريعة البيضاء النقية لا تلبيس عنده ولا تخليط ولا يشك فيما وعد الله أو أوعد به في الدار الآخرة بل هو صابر على البلاء راض بالقضاء حافظ للعهد حامل للذكر ساكن ساكت صامت مطرق رأسه مغمض عينيه عن كل ما يشغله عن الله سبحانه وتعالى حتى يموت فافهم ذلك ترشدوا والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) حث أصحابي كلهم على كثرة ذكر الله عز وجل وتوحيده ومحبة في الله

الشيخ الشاذلي وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كان الشيخ قد قال لي ان أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيأ فمكثت على ذلك سنة ثم قال لي ان أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيأ فكان اذا اشتد علي الوقت أخرج الى ساحل بحر الاسكندرية ألتقط ما يرميه البحر بالساحل من قمح حين يرفع من المراكب فاذا يوما على ذلك واذا عبد القادر النقاد وكان من أولياء الله تعالى يفعل كفعلي فقال لي اطلعت البارحة على مقام الشيخ أبي الحسن فقلت له وأين مقام الشيخ فقال عند العرش فقلت له ذلك مقامك ينزل لك الشيخ فيه حتى رأيته ثم دخلت أنا وهو على الشيخ فلما استقر بنا المجلس قال الشيخ رأيت البارحة عبد القادر في المنام فقال لي أعرشي أنت أم كرسي فقلت له دع عنك هذا ذي الطينة أرضية والنفس سماوية والقلب عرشي والروح كرسي والسر مع الله بلا اين والامر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه وقدم بعض الدالين على الله الى الاسكندرية فقال الشيخ مكين الدين الاسمر هذا الرجل يدعو الناس الى باب الله وكان الشيخ أبو الحسن يدخلهم على الله وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه كنت مع الشيخ أبي الحسن بالقيروان وكان شهر رمضان

تبارك وتعالى ومحبة فيهم فان بذلك يحصل تنظيف القلب مما سواه تعالى من الشهوات التي تحجب العبد عن ربه جل وعلا لان القلب اذا خلا من الشهوات كان بيتا لحب الرب واذا سكن فيه حب الشهوات كان بيتا للنفس والهوى والشيطان والحق تبارك وتعالى غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده المؤمن غيره فاذا خرجت الشهوات من القلب وبقي فيه توحيد الرب وحده صار محلا للمعارف والموارد الغيبية والاسرار والعلوم (وايضاح ذلك) أن القلب لا يسع اثنين قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أي فيشتغل الرجل بشغلين مقصودين في آن واحد اذ كل قلب لا يتصرف الا المقصود واحد وان وقع لشخص صورة اشتغال بشغلين كان أحدهما فقط مقصودا لمن حقق النظر كأن اتفق ان شخصا يذكر الله تعالى ويخيط ثوبا فهل يحمل أن الاهم عنده ذكر الله تعالى والخياطة تابعة أو يمشي على حبل ويراعي ميزانه بيده فالمشي هو المقصود حقيقة ومراعاة الميزان انما هي وسيلة لاصلاح المشي وقال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (وقد جرب) جميع أشياخ الطريق رضي الله عنهم سائر العبادات فلم يجدوا عملا أسرع في تنظيف القلب مما سوى الله من التوحيد فعليكم أيها الاخوان بكثرة ذكركم لربكم لتصيروا من أهل مجالسته فانه لا يصطفي أحدا لحضرته وفيه شهوة من الشهوات أو علة من العلل أو بقية من المجاهدات (وقد سمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول مرارا لا تطمع أن يفتح لك الباب وقد بقيت فيك بقية من المخالفات أو من محبة الدنيا كأنه لا يصح لك الخروج من كير السبك وفيك بقية رعونة فاصبر حتى تخلص من الدنس ويعرضوك على الملك وتنظر هل يقبلك ويصطفيك أو يردك ويقصيك انتهى كلامه فافهمه ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) سروري بالفقر اذا أقبل وخوفي منه اذا أدبر لكن من وجهين مختلفين وذلك أن الفقر من شعار الانبياء والصالحين فيفرح به المؤمن من حيث انه سالك به طريقهم ويحزن ويخاف من حيث الامتحان الذي يقع فيه للعبد فانه ان لم تحفه العناية الربانية والاهلاك دينه من حيث لا يشعر (وقد كان) الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول ما فزعت من الفقر قط وذلك لعلمه رضي الله تعالى عنه بانه محفوظ من آفاته (وأما) سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه فكان يستعيذ بالله من الفقر ويقول لان أجمع عندي أربعين ألف دينار حتى أموت عنها أحب الي من فقر يوم ووقوعي في سؤال الناس والوقوف على أبوابهم وكان رضي الله عنه يقول انما خاف الاكابر من البلايا والمحن لما يطرق أهلها فيها يقول والله ما أدري ما يقع مني لو ابتليت ببلية من مرض أو فقر فلعلي أكفر ولا أشعر انتهى وهذا من باب الاتهام لنفسه رضي الله تعالى عنه والاحتياط لها والا فاذا لم يكن مثل سفيان الثوري يحمل البلاء فمن يحمله ويؤيد سفيان حديث كاد الفقر أن يكون كفرا فان الله عز وجل اذا ابتلى العبد ببلية ولم يمن عليه بالصبر وأخذ في السؤال والتضرع ولم يكشف ذلك عنه بل أدام عليه المرض والفقر مع قلة الصبر فربما وقع في السخط وانقطع عنه مدد ايمانه وكفر بالاعتراض على مقدوره به فيموت كافرا بالله جاحدا لآياته ساخطا على تقديره عليه فيكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة كما أشار اليه حديث وان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة انتهى فافهم ذلك واعمل عليه ترشد فالحمد لله الذي من علينا بالنظر بالعينين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم تدبيري مع الله تعالى اذا نزل بي بلاء ولا أقول لاحد من الخلق ايش أعمل وايش تكون حيلتي بل أصبر تحت ذلك البلاء حتى ينصرف كالسحابة السائرة فاما يسبقني واما أسبقه وكثيرا ما أسامح نفسي بالمباح في تدبيرها حال حجابها تنفيسا لها من الحصر وكثيرا ما أضطجع وألقي سلاح الجلاد والصبر اذا رأيت المحل قابلا لاظهار العجز ولدفع البلاء قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله أي في ترككم الصبر فلا تصبروا فافهم وسيأتي بسط الكلام على هذا المحل في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله سبحانه وتعالى وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله عز وجل من طلب محبتنا فليصبر على بلائنا فاننا لا نحب عبدا الا بعد أن نبتليه ويصبر انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) من حين كنت صغيرا أني لا أبغض أحدا من المسلمين بحكم الطبع ولا

وكانت ليلة جمعة وكانت ليلة سبعة وعشرين فذهب الشيخ الى الجامع وذهبت معه فلما دخل الجامع وأحرم رأيت الاولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ ما كانت البارحة الا ليلة عظيمة وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس قلت يا رسول الله وما ثيابي قال اعلم ان الله قد خلع عليك خمس خلع خلعة المحبة وخلعة المعرفة وخلعة التوحيد وخلعة الايمان وخلعة الاسلام فمن أحب الله هان عليه كل شئ ومن عرف الله صغر لديه كل شئ ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله أمن من كل شئ ومن أسلم لله قلما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل عذره ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل وثيابك فطهر وقال الشيخ أبو العباس جلت في ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين فقلت له ما علومك وما مقامك فقال أما علومي فاحد وسبعون علما وأما مقامي فرابع الخلفاء ورأس السبعة الابدال فقلت ما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي فقال زاد علي بأربعين علما هو البحر الذي

أحببه بحكم الطبع بل أعرض حاله وأعماله على الشريعة فان وجدتهما موافقة للكتاب والسنة أحببته في الله عز وجل وان وجدتهما مخالفة لهما أبغضته لله عز وجل فان الله تبارك وتعالى يحب من يعمل على الوفاق ويكره من يعمل على الخلاف (وكان سيدي) الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه يقول اذا وجدت في قلبك بغض شخص فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فان كانت فيهما مبغوضة فابشر بموافقتك لله ولرسوله وان كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم انك ظالم عاص لله ولرسوله ببغضك اياه فتب الى الله عز وجل من بغضك اياه واسأل الله أن يحببك في جميع أحبابه لتكون موافقا له عز وجل في محبته وكذلك افعل فيمن تحبه اعرض أعماله على الكتاب والسنة فان كانت محبوبة فيهما فاحببه وان كانت مبغوضة فيهما فابغضه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك لما شرعه الشارع صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا الخلق لم أر له فاعلا من أقراني الا قليلا ولا يقدر على التخلق به الا من آثر رضا الله عز وجل على رضا نفسه وصار هواه تبعا لما جاءت به الشريعة على أن بغضك لاهل الخير أشد اثما من حبك لاحد من عصاة المؤمنين لاحتمال أن يكون ممن سامحه الله تعالى أو يبدل سيئاته حسنات بالتوبة فالحمد لله رب العالمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) عدم تكدري من صاحبي اذا فارقني وعاداني بل آخذ ذلك من الله عز وجل من باب الفضل والمنة لاني أرجو حينئذ أنه تعالى لولا أنه يريد بي الاصطفاء ما نفر عني صديقا ولا أمات لي ولدا ولا ألقى العداوة بيني وبين أحد من المسلمين فانه تعالى غيور لعبده وعلى عبده فانه جل وعلا ما خلق عبده الا له وعبده المحجوب عن ذلك يريد أن يكون لغيره وفي القرآن فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (وفي كلام الجنيد) رضي الله تعالى عنه اذا أراد الله أن يحب عبدا لم يذر له مالا ولا ولدا وذلك لانه اذا كان له مال أو ولد احبهما فتشعبت محبته لربه وتجزأت وصارت مشتركة بين الله وبين غيره والله عز وجل لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو تعالى قاهر غالب لكل شئ فربما أهلك شريكه وأعدمه ليخلص قلب عبده لمحبته تبارك وتعالى وحده ثم اذا تنظف القلب من الشركاء والانداد من الاهل والمال والولد واللذات والشهوات والولايات والرياسات ولم يبق في القلب ارادة ولا أمنية فحينئذ لا يضر القلب ملاحظة الاسباب من المال والولد والاهل والاصحاب لان القلب حينئذ صار كالاناء المنكسر الذي لا يمسك ما يمكث فيه لانه قد انكسر بفعل الله جل وعلا فكلما اجتمعت فيه ارادة لشئ غير الله تعالى كسرها فعل الله فلم يتركها تصل الى القلب بل تكون خارجة والله تعالى لا يغار من شئ يكون خارج القلب بل يعطيه للعبد على وجه الكرامة له بين عباده فيطعم منه الواردين والقاطنين ولا حساب عليه في الآخرة ان شاء الله تعالى قال الله عز وجل في مثل ذلك هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب فافهم ذلك واعمل على التخلق به فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ) من صغري مخالطة العلماء العاملين مع خوفي من عدم القيام بواجب حقهم والبعد عن كل من لا يعمل بعلمه وما مثل نفسي بين يدي العالم العامل الا كأنها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انه صلى الله عليه وسلم لو كان في عمري لم يرشدني بغير ما أرشدني به ذلك العالم الذي هو وارث له وقد قالوا ليس فوق منزلة العالم العامل الا منزلة النبوة فعليك يا أخي بمجالسة كل من رأيته يعمل بعلمه واياك ان تخالفه أو تنافره أو تجانبه أو تعاديه فان السلامة فيما يقوله من النصح وفي مخالفته الضلال والهلاك (واعلم) يا أخي ان النفس من شأنها انها تحب الاطلاق والسراح وتكره التحجير عليها ولو من الشارع صلى الله عليه وسلم وقل من الناس من نفسه تحب التحجير من الشارع وايثاره على هواها وتأمل يا أخي ما يقع لك من الملل اذا أكثرت من الصلاة والوقوف بين يديه تبارك وتعالى أو ما يحصل منك من المزاحمة على الدنيا ورياستها وجاهها أو نومك على طراحة في الثلث الاخير من الليل تجد نفسك بالضد مما ذكرنا فقد آثرت هواها على ما يرضي ربها منها فالعاقل من فتش نفسه وجاهدها حتى صار هواها هو ما يرضي ربها سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين

لا يحاط به وأخبرني بعض أصحابنا قال قيل للشيخ أبي الحسن من هو شيخك يا سيدي فقال كنت أنتسب الى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب الى أحد بل أعوم في عشرة أبحر خمسة من الآدميين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل والروح وأخبرني ولد سيدنا ومولانا الامام العارف شهاب الدين قال قال الشيخ عند موته والله لقد جئت في هذا الطريق بما لم يأت به أحد ومن الامر المشهور انه لما دفن بحميثرا وغسل من ماء بها تكثر الماء بعد ذلك وعذب حتى صار يكفي الركب اذا نزل عليه ولم يكن قبل ذلك كذلك وكتب الى الشيخ أبو عبد الله بن النعمان أبياتا يوصيني فيها بالشيخ أبي العباس منها

عطاء اله العرش في الثغر أحمد
سررت به في الصحب فالله أحمد

ثم يقول في الشيخ أبي العباس

ووارث علم الشاذلي حقيقة
وذلك قطب فاعلموه وواحد

رأيت له بعد الممات عجائبا * تدل على من كان للفتح يجحد

فالذي عنى الشيخ أبو عبد الله بقوله رأيت له بعد الممات

(ومما

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) صبري على جفاء من دعوتهم الى خير فأبوا ولم يمتثلوا واحساني اليهم مع ذلك بالكلام الحلو في وجوههم وفي غيبتهم لمن يبلغهم فان العامي المقصر في التعلم لا لسان له ولا قلب بل هو غالبا من حثالة الناس الذين لا ميزان لهم فمن طلب من مثل هذا استقامة القول والعمل من غير علاج فلا يجاب الان حفت العناية الربانية ذلك العامي فكان من أهل هذه الخصوصية وقليل ماهم وهو حين ذاك ليس من العوام المقصرين بل هو من ثالث الاقسام الآتية * وقد قسم بعض العارفين الناس الى أربعة رجال (أحدهم) هذا العامي المقصر وهو لا يستقيم الا بالعلاج والمسارقة شيأ فشيأ لعدم استقامة قلبه ولسانه (الثاني) من له لسان ولا قلب له كالذي ينطق بالحكمة ولا يعمل بها او يدعو الناس الى الله جل وعلا ويفرهو منه ويستقبح عيب غيره ويفعل هو ماهو أعظم في العيب ويظهر للناس النسك والعبادة ويبارز ربه بالعظائم اذا خلا به ذئب من الذئاب ولكن عليه ثياب وهذا هو الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان جاهل القلب فمثل هذا ابعد عنه يا أخي وهرول لئلا يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنار معاصيه ويقتلك بنتن باطنه وقلبه اللهم الا ان تكون آمنا من وقوعك فيما يقع فيه وقصدت بالقرب منه نصحه فمثل هذا لا يضرك القرب منه بل ينفعك وهذا الامر الذي ذكرناه واقع كثيرا لمن برز والوعظ في هذا الزمان حتى ان بعض الناس يحضرون مجلسه وكلما يعظهم بأمر يقولون له قل هذا لنفسك (الرجل الثالث) من كان له قلب من غير لسان وهو المؤمن الكامل الذي ستره الله تعالى عن غالب الخلق وأسبل عليه كنفه وبصره بعيوب نفسه وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والمنطق فهذا رجل من أولياء الله تعالى ستره الله عز وجل وحفظه من الآفات وأعطاه العقل الوافر فدونك يا أخي ومصاحبة هذا ومخالطته وخدمته لتسرق من صفاته الحسنة فتصير مثله ولا أعلم في مصر الآن من اخواني على هذا القدم الا قليلا كالشيخ كمال الدين بن الموقع والشيخ شمس الدين البرهمتوشي الحنفي والشيخ سليمان الحانوتي والشيخ ابراهيم بجامع الملك خارج الحسينية كثر الله تعالى في هذه الامة من أمثالهم (الرجل الرابع) من كان له لسان وقلب وهو العالم العامل المتقدم ذكره المتصدر لارشاد الامة وهداية نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أشرنا اليه في النعمة قبله ومثل هذا يجب القرب منه ومخالطته وخدمته والاخذ عنه والتخلق بأخلاقه والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) عدم سخطي على مقدورات ربي عز وجل اذا نزل بي ما أكره وعدم اعتراضي عليه أو اتهامي له اذا أبطأ عني الوصول الى رزقي أو أخر عني كشف كربي وذلك لعلمي يقينا بأن لكل اجل كتاب ولكل بلية غاية ومنتهى ونفادا لا يتقدم شئ من ذلك ولا يتأخر وأوقات البلايا لا تنقلب عافية وأوقات البؤس لا تنقلب نعمة وأوقات الفقر لا تنقلب غنى وان عجزت عن الوصول الى مقام الرضا بالقضاء صبرت وانتظرت الفرج الى أن يبلغ الكتاب أجله فتسفر تلك الحالة عن ضدها كما تنقضي الليلة فتسفر عن النهار فمن طلب ظلمة العشاء في النهار أو نور النهار في الليل فقد جهل ولم يعط ما طلب لانه طلب الشئ في غير وقته وحينه وقد مدح الله عز وجل الصابرين بقوله جل وعلا ان الله مع الصابرين أي بنصرهم وتثبيتهم جزاء لما نصروا الله تبارك وتعالى به على أنفسهم وهواهم قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فكل من نصر الله تعالى هكذا كان الله تبارك وتعالى له ناصرا ومعينا فكن يا أخي خصما على نفسك على الدوام ينصرك الله عز وجل على الدوام وان كنت خصما لها في بعض الاوقات نصرك في بعض الاوقات ففتش نفسك فان الله سبحانه وتعالى يعامل عبده بحسب ما برز منه جزاء وفاقا فاعمل على ذلك الخلق ترشد والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) من صغري الى وقتي هذا انه لم يجعل الدنيا أكبر همي فلا أصبح وامسي قط وأنا مهتم بشئ من أمرها بل جعلت الآخرة رأس مالي وجعلت الالتفات الى ما احتاج الى الاقتيات به في الدنيا كالربح فأصرف زماني أول ما أصبح في أمر الآخرة من علم أو ذكر أو غيرهما ثم ان فضل بعد ذلك من زماني شئ صرفته في طلب معاشي الذي أمرني الحق سبحانه وتعالى به وهذا الخلق عزيز في أبناء الدنيا بل

مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الارض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم وما على وجه الارض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك وقال الشيخ أبو العباس لما نزلت بتونس لما أتيت من مرسيه وأنا اذ ذاك شاب فسمعت بذكر الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال لي رجل تمضي بنا اليه فقلت حتى أستخير الله فنمت تلك الليلة فرأيت كأني أصعد الى رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت هنالك رجلا عليه برنس أخضر وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل فنظرت اليه فقال عثرت على خليفة الزمان قال فانتبهت فلما كان بعد صلاة الصبح أتاني الرجل الذي دعاني الى زيارة الشيخ فسرت معه فلما دخلنا على الشيخ رأيته بالصفة التي رأيته فوق الجبل قال فدهشت فقال لي عثرت على خليفة الزمان ما اسمك فذكرت له اسمي ونسبي فقال لي رفعت لي منذ عشر سنين وقال الشيخ أبو العباس لما قدمنا من المغرب الى الاسكندرية نزلنا عند عمود

حالهم بالعكس مما ذكرنا فجعلوا دنياهم رأس مالهم وآخرتهم ربحهم فان فضل عن طلب دنياهم زمان جعلوه لآخرتهم والافاتهم عمل الآخرة بالكلية * وفي الحديث ان الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا وايضاح ذلك ان اعمال الآخرة كلها يحبها الله عز وجل واذا أحب الله عز وجل عبدا أحبه الوجود الصامت كله وغالب الناطق اذ الخلق كلهم تبع للخالق الا من حقت عليه الشقاوة كمن يكره الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الاولياء ومن جملة الصامت الدنيا فهي تسعى خلف الزاهد فيها الراغب في الآخرة ولو انه تركها السعي خلفه خادمة له وحكم الراغب في الدنيا بالعكس وهو هروب الآخرة منه لان الله تبارك وتعالى يغضب على محب الدنيا ومن غضب عليه الرب تعاصت الدنيا عليه وتعسرت وأتعبته في تحصيل ما قسم له منها لانها مملوكة لله تهين من عصاه وتكرم من أطاعه ومن يهن الله فماله من مكرم فاعمل على ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) ملاطفتي لمن رأيت عنده حسدا لاخيه المسلم وضربي له الامثال لعله يتوب من خفة العقل وهذا الداء قد كثر في غالب الناس اليوم فترى أحدهم يحسد جاره على مطعمه أو مشربه أو ملبسه أو منكحه أو مسكنه أو على الكل وغاب عن هذا ان ذلك مما يضعف ايمانه ويزيده مقتا من الله عز وجل ثم ليتأمل الحاسد في الوجه الذي يحسده عليه فانه لا يخلو أن يكون الحسد واقعا على قسم المحسود أو على قسم الحاسد فان كان على قسم المحسود الذي قسمه الله تعالى له في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فقد ظلمه بذلك الحسد فانه رجل يتقلب في نعمة مولاه عز وجل التي تفضل بها عليه وقدرها له من غير تفعل منه ولم يجعل لاحد فيها نصيبا فاوجه حسده وان كان حسدك يا أخي له على اعطائه قسمك الذي قسمه الله تعالى لك فهذا لا يصح قط فان قسمك لا يعطى لغيرك ولا ينقل منك اليه أبدا فقد جهلت يا أخي بهذا الحسد غاية الجهل وظلمت أخاك به غاية الظلم وسيأتي بسط هذا الخلق في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) الاطلاع على بعض المنعمين والمعذبين في قبورهم ثم حجب ذلك عني رحمة بي فان صاحب هذا الحال يموت في اليوم والليلة موتات كما أشار اليه حديث لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر وهذا أمر لا يحصل للعبد الا بعد غلبة روحانيته على جسمانيته حتى يكون كالروحانيين والا يخاف عليه افشاء الاسرار * وفي كلام الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه لا تطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين وتسمع ما يسمعونه من الاسرار الا ان عاديت جميع جوارحك وتفردت عن وجودك حتى صرت في مثل الحالة التي كنت عليها قبل نفخ الروح فيك لان جميع ما حصل بعد نفخ الروح هو حجاب لك عن ربك فان أردت الاطلاع على ما ذكرناه فتجرد حتى تصير روحا منفردة سر السر وغيب الغيب والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم أمني من مكر الله عز وجل بي في ساعة من ليل أو نهار فانه تعالى لا يدخل تحت التحجير وله حضرة تسمى حضرة الاطلاق يفعل فيها ما يشاء كما ان له حضرة تسمى حضرة التقييد لا يخلف فيها الميعاد قال الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه وقد يقرب الله تعالى عبده المؤمن ويجتبيه ويفتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والانعام فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من مطالعة الغيوب في ملكوت السموات والارض ومن تقريب وكلام لطيف ووعد جميل ودلال واجابة دعاء وتصديق وعد ووفائه وكلمات حكمة تفاض على قلبه قذفا من بعيد فتظهر على لسانه ويسبغ عليه مع ذلك نعما ظاهرة على جسده وجوارحه في المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود وكثرة العبادات الظاهرة ويديم جميع ذلك على هذا العبد برهة من الزمان حتى اذا اطمأن الى ذلك واغتر به وظن دوامه فتح عليه جملة من أبواب البلايا والمحن في النفس والمال والاهل والولد والقلب فينقطع عنه جميع ما كان فيه من النعيم قبل ذلك فيبقى متحيرا حسيرا منكسرا مقطوعا به ان نظر الى ظاهره رأى ما يسوءه وان نظر الى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه وان سأل الله تبارك وتعالى كشف ما به من الضر لم يرج اجابة وان طلب وعدا جميلا

السواري من ظاهرها وكان وصولنا عند اصفرار الشمس وكانت بنا فاقة وجوع شديد فبعث لنا رجل من عدول الاسكندرية طعاما فلما قيل للشيخ عنه قال لا يأكل أحد منه شيأ فبتنا على ما نحن عليه من الجوع فلما كان عند الصبح صلى بنا الشيخ وقال مدوا السماط واحضروا ذلك الطعام ففعلوا وتقدمنا فاكلنا فقال الشيخ رأيت في المنام قائلا يقول أحل الحلال ما لم يخطر لك ببال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال وقال الشيخ أبو العباس كنت ليلة من الليالي نائما بالاسكندرية واذا قائلا يقول مكة والمدينة فلما أصبحت عزمت على السفر وكان الشيخ بالقياس بالقاهرة فسافرت اليه فلما مثلت بين يديه قال لي مكة والمدينة فقلت لاجل ذلك جئت يا سيدي قال اجلس فجلست واذا برجل دخل عليه وقال يا سيدي عزمت على الحج وما معي شيء من الدنيا فقال لي الشيخ أي شيء معك قلت عشرة دنانير قال ادفعها لهذا الرجل فدفعتها له فقال لي الشيخ اذا كان غدا أخرج الى الساحل واشتر لي عشرين أردبا قمحا فاصبحت ونزلت الى الساحل واشتريت عشرين أردبا وجاءت القمح الى المخزن وأتيت الشيخ فقال لي هذا القمح قالوا لي انه مسوس ما تأخذ منه شيئا

لم يجد ه سريعا وان وعد بشئ لم يصل اليه وان رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها وان رام الرجوع الى الخلق لم يجد الى ذلك سبيلا وان عمل برخصة تسارعت اليه العقوبات وتسلطت أيدى الخلائق على جسمه وألسنتهم على عرضه وان طلب الاقالة مما دخل فيه والرجوع الى الحالة الاولى التى كانت له قبل التقريب لم يقل وان طلب الرضا والتنعم بما هو فيه من البلاء لم يعط وحينئذ تأخذ النفس فى الذوبان والهوى فى الزوال والامانى والارادات فى الرحيل والاكوان كلها فى التلاشى ويداوم عليه ذلك مدة حتى تفنى جميع أوصافه البشرية فاذا صار روحا مجردا وتعطف الحق تبارك وتعالى عليه يسمع النداء فى باطنه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب كما قيل لايوب عليه السلام وحينئذ فيمطر الله تبارك وتعالى على قلبه ماء رحمته ورأفته ولطفه ومنته ويزيل عنه سائر البلاء ويطلق ألسنة العباد بمدحه والثناء عليه ويذل له الرقاب ويسخر له الملوك والارباب ويسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة فكن يا أخى على حذر اذا نزل بك بلاء واسأل الله تعالى السلامة من فتنته فانه لابد لمن يريد الله تبارك وتعالى اجتباءهم واصطفاءهم من تجربتهم بالبلاء قبل ذلك ليصفيهم به من خبث الهوى والميل الى الخلق والسكون اليهم والفرح باقبالهم عليه فابرح العبد عن البلاء فى حال النعمة وفى حال النقمة فافهم ذلك واعمل على التخلق به وسيأتى بسط ذلك فى مواضع ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم التمادى فى استحسان شئ من أفعال نفسى وأقوالها وجميع أحوالها العلى بعجزها عن الوفاء بحقوق ربها عز وجل وعن الوفاء بما كلفت به ولو قدر ان معونة الله تبارك وتعالى صاحبتنى ففوق ذلك المقام مقامات لا تحصى * وكان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول للنفس حالتان لا ثالث لهما حالة عافية وحالة بلاء فان كانت فى بلاء فمن لازمها غالبا الجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق تعالى من غير صبر ولا رضا ولا موافقة بل محض سوء أدب وشرك بالخلق والاسباب وان كانت فى عافية ونعمة فمن لازمها غالبا الاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات كلما نالت شهوة تبعت أخرى وازدرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومسكون ومنكوح ومركوب وتظهر فى كل نعمة من هذه النعم عيوبا ونقصا وتطلب أعلى منها مما لم يقسم لها وتقول ان مثل هذه النعمة لا تكفينى ولا تغنى وتطلب ما لم يقسم لها كلما تعطى ما طلبت فتوقع صاحبها فى تعب طويل لا غاية له فى الدنيا ولا منتهى * وقد قالوا من أشد العذاب على النفس طلبها ما لم يقسم لها * واعلم يا أخى ان من شأن النفس انها اذا كانت فى بلاء لا تتمنى سوى انكشافه عنها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة فاذا عوفيت وشفيت من ذلك رجعت الى رعونتها وأشرها وبطرها واعراضها عن طاعة ربها جل وعلا وانهماكها فى معاصيه وتنسى كل ما كانت فيه من البلاء فربما تعاقب فترد الى أشر ما كانت فيه من البلاء والضر عقوبة لها وذلك من رحمة الله عز وجل بها ليفطمها بذلك ويكفها به عن المعاصى فى المستقبل لانها لا تصلح لها العافية والنعمة فكان البلاء والبؤس أولى بها ولو انها كانت تابت وندمت ولم ترجع الى نقائصها ورذائلها لحماها الله تعالى من العقوبات دنيا وأخرى لكنها جهلت ولم تعلم كل ما فيه صلاحها وذلك لان الله تبارك وتعالى قد طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به وأعطاهم بدل ذلك ميزان الشرع فما كان من محمود فهو من المصالح وما كان من مذموم فهو من المفاسد فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الحاجة الى سؤال الناس طول عمرى الى وقتى هذا وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فلم يحوجنى تعالى قط الى كتابة قصة فى طلب وظيفة أو غيرها بل لم يزل يرزقنى ما يسد ضرورتى من غير سؤال (وقد قال) أهل الحق رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ما سأل أحد الناس الا لجهله بالله عز وجل وضعف ايمانه ويقينه وقلة صبره وما تعفف متعفف الا لوفور علمه بالله عز وجل وقوة ايمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه جل وعلا وكثرة حيائه منه انتهى ثم ان كان العبد ولا بد سائلا فليسأل الله عز وجل كما أشار اليه حديث اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فان أجابه فذاك وان أبطأت عنه الاجابة يعنى قضاء الحاجة فلا ينبغى له أن يتكدر لذلك بل الواجب عليه ان يفرح بذلك لان الله عز وجل انما لم يستجب

فبقيت متحيرا لا أدرى كيف أصنع فبقيت ثلاثة أيام لا يطالبنى صاحب القمح بالثمن فلما كان اليوم الرابع واذا رجل يطوف على فلما رآنى قال أنت صاحب القمح قلت نعم قال تأخذ فيه فائدة ألف درهم قلت نعم قال فوزن لى ألف درهم فوضع الله لى البركة فيها فلو قلت انى أنفق منها الى اليوم لصدقت وقال الشيخ أبو العباس سافرنا مع الشيخ رضى الله عنه فى السنة التى توفى فيها فلما كنا عند اخميم قال لى الشيخ رأيت البارحة كأنى فى جلبة وأنا فى البحر والرياح قد اختلفت والامواج قد تلاطمت والمركب قد انفتحت وأشرفنا على الغرق فأتيت الى جانب المركب وقلت أيها البحر ان كنت أمرت بالسمع والطاعة لى فالمنة لله السميع العليم وان كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم فسمعت البحر يقول الطاعة الطاعة فلما سافرنا وتوفى الشيخ رضى الله عنه دفناه بحميثرا من صحراء عيذاب ركبنا فى جلبة فلما صرنا فى وسط البحر تلاطمت الامواج واختلفت الرياح وانفتحت الجلبة وأشرفنا على الغرق وأنسيت كلام الشيخ فلما اشتد الامر ذكرت ذلك فأتيت الى جانب المركب وقلت أيها البحران كنت أمرت بالسمع والطاعة لاولياء الله فالمنة لله السميع العليم ما قلت كما قال

لعبده فى كل ماسأل لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك و يترك فعل الاوامر و يقع فى المناهى فكان عدم استجابة دعائه رحمة به لان خوف المؤمن و رجاءه كجناحى الطائر لا يتم الايمان الا بهما مع أن العارف لا يسأل ربه قط فى شئ الا ان علم أنه مأمور بذلك فلا يزيده السؤال الا قربا وأدبا كما لو سأل الزيادة من العلم والصلاة والصوم ونحو ذلك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طمأنينة نفسى الى دوام النعمة على لعدم استحقاقى لها ولشهودى التحويل والتغيير فى غيرى ليلا ونهارا فلا يخلو صاحب النعمة قط من حصول ما ينغص عليه عيشه اما عاجلا واما آجلا من الامراض والاوجاع والمصائب فى النفس والمال والولد والاهل والاصحاب وهذه الامور لا تفارقنى بحمد الله عز وجل الا قليلا ثم اذا حصل للعبد تنغيص العيش حببته الحالة التى هو فيها عن تذكر شئ من النعيم السابق ولذلك قال تعالى فى حق من قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون لانهم ما قالوا ذلك الا بلسان الحالة التى هم فيها فظنوا انها تدوم معهم اذا خرجوا ولو علم أحدهم انه اذا رد الى الدنيا يُرَدُّ اليها بحكم القبضتين ما قال ذلك (وسمعت سيدى) عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما التذ عاقل بنعمة فى الدنيا قط لان الحقوق التى عليه فى تلك النعمة تحجبه عن التنعم بها فانه مكلف بانفاقها على المحتاجين اليها من نفسه وأهله وجيرانه وعامة المسلمين وليس له حبس شئ عنده من الدنيا وهو يعلم ان فى الحبس مديونا أو فى البلد مريضا لا يجد ما يصرفه على مرضه أو عريانا لا يجد ما يستر به عورته بين الناس ونحو ذلك لكن اذا عمل العبد بما أمره الله تعالى به فى ماله من الصدقات والخيرات لا بد أن الله تعالى يتفضل عليه بطيب العيش فى أواخر عمره و يعطيه الراحة والدلال والعز بين الناس * وقد قالوا من صبر على بلاء الدنيا حل له نعيمها أواخر عمره انما يعطى الاجير أجرته بعد عرق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته واذلال نفسه وكسر هواه كله والشأن فى خدمة المخلوقين فلا يكاد يطيب له عيش الا بعد تجرعه فى خدمتهم هذه المرارات كلها فاذا تجرعها أعقبت له طيب طعام وادام وفاكهة ولباس وراحة وسرور وتلذذ بالبلاء (وقد كان) سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول لا يعطى الله تبارك وتعالى مقام التلذذ بالبلاء لعبد الا بعد بذله المجهود فى مرضاته فان الابتلاء على ثلاثة أحوال تارة يكون عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها أو معصية اقترفها وتارة يكون تكفيرا وتمحيصا وتارة يكون لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ولكل من هذه الاحوال علامة فعلامة الابتلاء على وجه العقوبة والمقابلة عدم الصبر عند وجود البلاء وكثرة الجزع والشكوى الى الخلق وعلامة الابتلاء تكفيرا وتمحيصا للخطايا وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا اظهار جزع ولا ضجر الى الاصدقاء والجيران وعدم ثقل الطاعات على بدنه وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا والموافقة وطمأنينة النفس وخفة الاعمال الصالحة على القلب والبدن انتهى فاعمل على التخلق بذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) فزعى لذكر الله عز وجل والى الصلاة اذا احتجت الى شئ من أمور الدنيا ولا أشتغلُ بالسؤال عن الذكرِ والصلاةِ وذلك عملا بحديث يقول الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة و يقول ارحنا بها يا بلال انتهى والسائلون على أقسام ولكل قسم مشهد فان الله عز وجل اذا أراد أن يصطفى عبدا من عبيده سلك به فى الاحوال وامتحنه بانواع البلايا والمحن فيفقره مثلا بعد الغنى و يضطره الى مسئلة الخلق فى الرزق بعد سد جميع جهات رزقه عليه ثم انه يصونه بعد ذلك عن مسئلتهم و يضطره الى القرض منهم ثم انه يصونه عن القرض و يضطره الى ذل المكاسب و يسهل عليه ذلك فيأكل من كسبه كما هو السنة ثم انه يعسر عليه الكسب و يلهمه السؤال للخلق بامر باطن يرى انه يعصى بتركه لا يذوقه الا هو ليكسر بذلك نفسه وهواه وهو حال الرياضة للنفس ثم يصونه عن ذلك و يأمره بالقرض منهم أمرا جازما لا يمكنه تركه ثم ينقله من ذلك و يقطعه عن الخلق ومعاملتهم و يجعل رزقه فى السؤال له تعالى فقط فيسأل ربه جميع ما يحتاج اليه فيعطيه عز وجل

الشيخ بالسمع والطاعة لى وان كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم فسمعت البحر يقول الطاعة الطاعة وسكن البحر وطاب السفر وقال الشيخ أبو العباس كنت مع الشيخ فى بحر عيذاب وكنا فى شدة من الريح الازيب وكان المركب قد انفتح فقال الشيخ رضى الله عنه رأيت السماء قد انفتحت ونزل منها ملكان أحدهما يقول موسى أعلم من الخضر والآخر يقول الخضر أعلم من موسى ونزل ملك آخر وهو يقول والله ما علم الخضر فى علم موسى الا كعلم الهدهد فى علم سليمان حين قال أحطت بما لم تحط به ففهمت ان الله سلمنا فى سفرنا فان موسى سخر له البحر وقال أبو العباس قال رجل للشيخ ما تقول فى الخضر أحى هو أم ميت فقال الشيخ اذهب الى الفقيه ناصر الدين بن الانبارى فانه يفتى انه حى وانه نبى والشيخ عبد المعطى لقيه وسكت ساعة وقال وأنا لقيته وسبابته ووسطاه سوا واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والاخذ عنه واشتهر ذلك الى ان بلغ الامر حد التواتر الذى لا يمكن جحده والحكايات فى ذلك كثيرة قال الشيخ أبو الحسن لقيت الخضر فى صحراء عيذاب فقال لى يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل

ذلك

ذلك ولا يعطيه له ان سكت وأعرض عن السؤال ثم ينقله من السؤال باللسان الى السؤال بالقلب فسأل بقلبه جميع ما يحتاج اليه فيعطيه له حتى انه لو سأله بلسانه لم يعطه شيأ أو سأل كذلك الخلق لم يعطوه شيأ ثم انه تعالى بعد ذلك كله يغنيه عن السؤال ظاهرا وباطنا ويصير الحق تبارك وتعالى يبدؤه بجميع ما يحتاج اليه ويصلحه من المأكول والمشروب وغير ذلك من غير أن يخطر ذلك بباله وحينئذ يتحقق بولاية الله تبارك وتعالى له قال تبارك وتعالى ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ويتحقق أيضا بمعنى قوله تعالى من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تقديمي الاهم فالاهم من المأمورات الشرعية من حين كنت صغيرا الى وقتي هذا ولذلك لم أعول قط على علم من غير عمل ولا على نافلة قبل العمل على اكمال الفريضة الكمال النسبي الذي يصل اليه أمثالنا وقد قالوا من اشتغل بالنوافل عن الفرائض فهو أحمق ومثاله من دعاه ملك الى حضرته فقال له اصبر حتى أفرغ من خدمة غلامك أومثال حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولد أومثال من يجود بما لا يجب عليه ويترك وفاء الديون أو وفاء الزكاة مثلا (وفي كلام) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه من الفرائض التي يجب تقديمها على الاشتغال بالعلم والكسب ترك الحرام وعدم الشرك الخفي بالله فلا يشرك به خلقه في جلب نفع أو دفع ضرر الا بقدر نسبة التكليف اليهم من غير وقوف معهم (ومن ذلك أيضا) ترك الاعتراض على أقداره واجابة الخلق الى المعصية والاعراض عن أمر الله تبارك وتعالى وطاعته عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالحمد لله الذي هدانا لذلك والحمد لله على كل حال

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم محبتي للشبع من الحلال فضلا عن الحرام والشبهات وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي فان أكل الحرام أو أكل الحلال الزائد على الحاجة يجلبان النوم والنوم أخو الموت لانه يورث الغفلة عن جميع المصالح وقد قالوا الخير كل الخير في اليقظة والشر كل الشر في النوم والغفلة (وقد قال) الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه من شبع من الحلال كثيرا شرب كثيرا فنام كثيرا فندم كثيرا لفواته الخير الكثير (وقد قال) بعضهم أكل القليل من الحرام في الظلمة كأكل الكثير من الحلال لان الحرام يغطي محل الايمان ويظلمه كما يظلم الخمر العقل ويغطيه فاذا أظلم محل الايمان فلا صلاة ولا عبادة ولا اخلاص ومن أكل من الحلال كثيرا لم يجد الامر كما كان في النشاط والعبادة ان أكل منه قليلا ولم يشرب عليه فاذن الحلال نور في نور والحرام ظلمة في ظلمة انتهى فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم صبري على البعد من حضرته تعالى وطيراني اليها كلما أغفل وأخرج منها ولا أعرف اسرعة الطيران شيأ أعون عليه من هذين الجناحين: أحدهما ترك اللذات والشهوات المحرمة والمباحة وترك الراحات كلها الثاني احتمال الاذى والمكاره وركوب العزائم والشدائد والخروج عن الخلق والهوى والارادة والمنى الدنيوية والاخروية فان هذه الامور تخرج أصحاب الحضرة من الحضرة فمن استعملها خارج الحضرة منعته الدخول (وكان) سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه يقول كن طيارا الى الحضرة كلما تغيب عنها ولا ترض بالقعود عنها ثم اذا من الله تعالى عليك بالدخول فأحسن الادب ولا تغتر بما أنت فيه من النعيم الاوفر والعز الدائم والكفاية الكبرى والدلال والغنى في الدنيا والاخرى فمن اغتر بذلك قصر في الخدمة ضرورة واخلد الى الرعونة الاصلية من الظلم والجهل فاخرج بذلك من الحضرة في أسرع من لمح البصر فاحفظ يا أخي قلبك من الالتفات الى ما تركته قبل دخول الحضرة من الركون الى الخلق والهوى والارادة والتدبير ورؤية النفس على أحد من المسلمين وتعام عن رؤية ما سوى الله تعالى ولا تره نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا (وكان) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول اجعل الخلق كلهم والاسباب كلها عند حصول الاذى والبلية لك كسوط ربك عز وجل الذي يضربك به واجعلهم عند النعمة والعطية كيده تبارك وتعالى التي سخرها لك من عبيده ليلقمك بها الحلوى ولله المثل الاعلى انتهى والحمد لله رب العالمين

وكان للشيخ صاحبا في المقام وفي الرحيل وذكر ابن عربي ان أبا السعود ابن الشبلي كان في مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني يكنس فيها فوقف الخضر على رأسه فقال السلام عليكم فرفع أبو السعود رأسه فقال وعليك السلام ثم عاد الى شغله بما هو فيه فقال له الخضر ما بالك لا تنتبه لي كأنك لم تعرفني فقال أبو السعود بل عرفتك أنت الخضر فقال له الخضر فما بالك لم تنتبه لي فقال له أبو السعود مشغول بخدمتي والتفت الى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وقال لم يترك في هذا الشيخ فضيلة لغيره وقال ابن عربي مخبرا عن نفسه كنت أنا وصاحب لي بالمغرب الاقصى بساحل البحر المحيط وهناك مسجد يأوي اليه الابدال فرأيت أنا وصاحبي رجلا قد وضع حصيرا في الهواء على مقدار أربعة أذرع من الارض وصلى عليها فجئت أنا وصاحبي ووقفت تحته وقلت شعرا

شغل المحب عن الحبيب بسره
في حب من خلق الهواء وسخره
العارفون عقولهم معقولة
عن كل كون ترتضيه مطهره

فهم لديه مكرمون وعنده * أسرارهم محفوظة ومحرره

قال فاوجز في صلاته وقال انما فعلت هذا لهذا المنكر الذي معك وأنا أبو العباس

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) رمي الدنيا الزائدة عن حاجتي حتى الحالة الراهنة في بداية أمري وكراهتي لامساكها ودوامي على ذلك عدة سنين حتى تحققت بخروجها من قلبي وصرت أنقبض لدخولها علي وأفرح للفقر وضيق اليد ثم اني الآن أجمع منها ما يكفيني ومن تلزمني كفايته يومنا وليلتنا اظهارا للفقر والحاجة ولعلمي بان الله تبارك وتعالى غني عن جميع الخلق وما خلق ما خلق الا لخلقه لينتفعوا به فكان من الادب أخذ الدنيا ثم استعمالها فيما شرعت له (ومن هنا) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي وغيره ان الزاهد في الدنيا يثاب بسببها مرتين الاولى برميها بعد أن فتح عينيه على محبتها تبعا للجمهور والناس الثانية باخذها بعد رميها وخروجها من قلبه فقد رماها باذن وأخذها باذن فان لسان اشارة الحقيقة تقول للمؤمن وما تلك بيمينك أيها المؤمن فيقول هي دنياي أنفق منها على نفسي وعيالي وأهلي واخواني والواردين علي فيقال له ألق ما في يمينك فيلقيها فيراها حية تسعى كعصا موسى فيقال له خذها ولا تخف كما وقع لموسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام فهو ممتثل أمر الله تبارك وتعالى في الحالين لا اختيار له معه وهذا الخلق قليل من اخواننا من تخلق به على وجهه فهو ممسك للدنيا بقلبه ويده كالعوام فاعمل يا أخي على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) مبادرتي عند نزول البلاء بساحتي أو عند توقف اجابة دعائي في حق نفسي أو في حق غيري الى تفتيش نفسي فيما ارتكبته من الذنوب أو تركته من الاوامر الظاهرة أو الباطنة أو فيما نازعته من الاقدار ونحو ذلك اذ الغالب ان العبد انما يبتليه الله تبارك وتعالى مقابلة ثم ان لم ينكشف البلاء مثلا بادرت الى التضرع والاكثار من الاعتذار والاعتراف بنحو قولي اللهم اني أعترف بين يديك باني لا أعلم أحدا على وجه الارض من المؤمنين أكثر عصيانا ولا مخالفة ولا أسوأ حالا ولا أقل حياء مني (وقد قال) بعضهم قد يبتلي الله تبارك وتعالى عبده ليرده بالبلاء الى السؤال فيجيب سؤاله فاذا سأل أحب تبارك وتعالى اجابته وذلك ليعطي الله تعالى الكرم والجود حقهما لانهما يطالبانه عز وجل عند سؤال عبده بالاجابة وقد تحصل الاجابة بقوله تعالى لبيك عبدي ولكن يؤخر كشف المرض والبلاء مثلا لتعويق القدر لا على وجه عدم الاجابة والحرمان والصد عنه فاعلم ذلك واعمل على التخلق به فانه نفيس والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث في جملة من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) ردي نفسي فورا اذا اشمأزت من تقدير الله تبارك وتعالى عليها في أمر من الامور الى الرضا بقضاء الله تعالى وقدره طلبا لرضا الله تعالى عني برضاي عن ربي فان العبد لا يعرف رضا الله تبارك وتعالى عنه الا بوجود الرضا منه عن ربه عز وجل كما قاله الجنيد وغيره ومن رضي بقضاء الله وأفنى فعله في فعله واختياره في اختياره تعالى حصلت له الراحة الكبرى والجنة المعجلة في الدنيا فان أهل الجنة هكذا يكونون فيها وهذا هو باب الله الاكبر الذي هو سبب الرضا عن العبد وما دام العبد يرى نفسه تطلب غير مراد ربها فالحق تعالى غير راض عنها وقد قالوا من رضي الله تعالى عنه في الدنيا وأحبه لم يعذبه في الآخرة والدنيا لقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي لو كنتم كما تزعمون ما عذبكم لان الحبيب لا يعذب حبيبه فافهم وهذا الخلق قل من يراعيه من المريدين فيشتغل أحدهم بالطاعات والعبادات مع العلل غافلا عن قصده بذلك رضا الله عز وجل انما هي لتخلص له نسبة كمالها لتطلب أجرها من الله تعالى وذلك من الجهل وانما الواجب عليه العمل على تنقيتها من العلل طلبا لمحبة الله عز وجل له ورضاه عنه وقد أجمع أهل الله عز وجل على ان من ادعى انه يحب الله عز وجل واختار مع ربه غيره أو طلب عوضا على عبادة ربه فهو مغتر كذاب غير مخلص لله عز وجل فان المخلص هو من يعبد الله عز وجل ليعطي الربوبية حقها فانه عبده والسيد يستحق على عبده الطاعة والخدمة له فكيف يطلب العبد عوضا على ذلك بل الواجب عليه الشكر لله الذي أهله للوقوف بين يديه ولم يطرده كما طرد غيره من العبيد السوء والله اني لأرى الفضل لله الذي أهلني لأن يجري اسمه تبارك وتعالى على لساني ولا أرى أني كافأته على ذلك ولو عبدته عبادة أهل الدنيا كلهم

الخضر ولم أكن أعلم ان صاحبي ينكر كرامات الاولياء فالتفت الى صاحبي وقلت يا فلان أكنت تنكر كرامات الاولياء قال نعم قلت فما تقول الآن فقال ما بعد العيان ما يقال وقال الشيخ عبد المعطي الاسكندراني لما يده عند موته خذ هذه الجبة فطالما عانقت فيها الخضر وقالت زوجة القرشي رضي الله عنه خرجت من عند الشيخ ولم أترك عنده أحدا فسمعت عنده رجلا يكلمه فوقفت حتى انقطع كلامه ثم دخلت فقلت يا سيدي خرجت من عندك وما كان عندك أحد والآن سمعت كلاما عندك فقال الشيخ الخضر أتاني بزيتونة من أرض نجد فقال كل هذه الزيتونة ففيها شفاؤك فقلت اذهب أنت وزيتونتك لا حاجة لي بها وكان الشيخ به داء الجذام وقد جاء انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا قائلا يقول من جوف البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وان المصاب من حرم الثواب قال الراوي كانوا يرون انه الخضر واعلم رحمك الله ان من أنكر وجود الخضر فقد غلط ومن قال انه غير خضر موسى أو من قال ان لكل زمان خضرا وان الخضر مرتبة يقوم بها رجل بعد رجل

وبالجملة

وبالجملة فقد جعل الله تعالى دونه خنادق من لم يقطعها لم يدخل حضرته أعظمها على المريدين الاشتغال بالحظوظ التي قسمت أو لم تقسم فانها ان كانت لم تقسم له فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهل وعقوبة وان كانت قد قسمت فالاشتغال بها شره وحرص وشرك في باب العبودية والمحبة والحقيقة اذ الاشتغال بغير الله عز وجل شرك وذلك ينافي طريق الولاية التي يزعمها ثم كيف يطلب العاقل رضا الله جل وعلا بالاشتغال بغيره وهو يرى خلقا كثيرا كلما كثرت عندهم الحظوظ وتواترت وتتابعت زاد تسخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بنعمه وزاد همهم وغمهم وفقرهم الى امور لم تقسم لهم وحقروا وصغروا ما عندهم من النعم فليقل العاقل لنفسه غايتك أن تكوني مثل هؤلاء في الجهل والغفلة عن الله تبارك وتعالى اذا اشتغلت بغيره فان الامور تجر بعضها الى بعض وتأمل يا أخي في الزهاد لما نظروا الى أن الدنيا ليس لها حد يقف أحدهم عليه ثم يشتغل بعد ذلك بربه جل وعلا كيف أخذوا منها الكفاف واشتغلوا بربهم عز وجل وبذلك صاروا أعقل الناس كما قال به الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فكان يقول كثيرا لو أوصى شخص بشيء لأعقل الناس لصرفته الى الزهاد في الدنيا انتهى ومن تأمل وجد الفقير القانع أكثر نعيما في الدنيا من الملوك لانه رضي عن ربه جل وعلا ورأى ان ما بيده من الدنيا كثير على مثله والملوك لا يرون أن ما بيدهم من الدنيا كثير بل يطلب أحدهم ان تكون معه مملكة غيره زيادة على مملكته فلم يزل في تعب وغم وهم وقتال وحرب (وقد رأيت) مرة شخصا من أهل الوراقين يحمل مسكا وعليه ثوب أبيض رفيع وعبد يروح عليه بالمروحة وهو يقول أسأل الله ان يريحنا من هذه العيشة فقلت للعبد ما سيدك متكدر فقال قال لهم في البيت اطبخوا كشكا فطبخوا شوربة فقلت له في اذنه تذكر وتفكر في المقيدين في الحبوس في الحر والجوع فقال أستغفر الله العظيم انتهى وأصل ذلك أن العبد كلما غمرته النعم يجهل مقدارها ولا يعرفها غالبا الا بالتحويل وهذا الداء قد كثر في أبناء الدنيا اليوم فترى أحدهم يحتقر ما قسم له ويقلله ويقبحه ويعظم ما بيد غيره من التجار ويكثره ويحسنه في عينه ويطلب أن يكون له مثل ذلك زيادة على ما بيده مع ان ذلك لم يقسم له فذهبت أعمارهم وانحلت قواهم وكبر سنهم وصارت لحية أحدهم بيضاء من كثرة الهم والتعب فتعبت أجسادهم وعرقت جباههم واسودت صحائفهم من كثرة الذنوب والآثام التي يقعون فيها بسبب تحصيل الدنيا ثم انهم بعد ذلك لم ينالوها فخرجوا من الدنيا مفاليس فلا هم شكروا ربهم جل وعلا فيما أعطاهم ولا هم نالوا ما طلبوا مما هو في يد غيرهم فضيعوا دنياهم وآخرتهم (وقد سئل) الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه عن شر خلق الله من هم فقال من اشتغل بالدنيا عن الآخرة ثم لم ينل ما طلب فهذا شر خلق الله وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقلا وبصيرة انتهى ويشير لذلك قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد رأيت من معه نحو ثلاثين ألف دينار يشاح بائع الفجل على خلة ورأيت من عنده مائة ألف دينار ذهبا يحلف بالله تعالى يمينا مغلظا على ستة انصاف عند قاض ونفقته كل يوم عشرة انصاف وهو الآن في سن الشيخوخة وليس له ولد فلو أن هؤلاء جلسوا ايا كانوا بقية عمرهم مما جمعوه لكفاهم وفضل عنهم ولو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء واشتغلوا بطاعة ربهم لكانوا ممن لم يشغلهم القيام في الاسباب عن ربهم وبتقدير تركهم الاسباب فلا بد أن الله تبارك وتعالى يبعث لهم من الدنيا ما يكفيهم من غير تعب ولا عناء ثم ينقلون اذا ماتوا الى جوار المولى جل وعلا فيجدون عنده فوق ما كانوا يؤملون كما درج عليه السلف الصالح جعلنا الله تبارك وتعالى منهم وجميع اخواننا وأحبابنا وأصحابنا آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم طلبي لشيء من مناصب الدنيا من حين وعيت على نفسي فلم أزل بحمد الله تعالى أحب الزهد في الدنيا وشهواتها الهاما من الله تعالى من غير سلوك على يد شيخ كما مر أوائل الباب الثالث وغيره فليس لي بحمد الله تعالى علاقة في الدار تعوقني عن الاشتغال بربي جل وعلا ولذلك لا يطلب مني أحد شيئا مما هو بيدي الا أعطيته اياه الا أن يمنعني الشرع منه وهذا من أكبر نعم الله عز وجل علي (وقد قال) العارفون رضي الله تعالى عنهم من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا ومن أراد الله فعليه بالزهد في نعيم

في كل زمن والمنكر لوجود الخضر معترف على نفسه بان منة الله بلقاء الخضر لم تواجهه وليته اذ فاته الوصول اليها لا يفوته الايمان بها ولا تغتر بما عساك ان تقف عليه من كلام أبي الفرج بن الجوزي في كتاب سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر أنكر فيه وجود الخضر وقال من قال انه موجود فانما قال ذلك لهواجس ووساوس وهوس قائم به واستدل على عدم وجوده بقوله سبحانه وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فعجب لهذا الرجل كيف استدل بهذه الآية ولا دليل فيها لان الخلد هو بقاء لا موت معه وليس هو المدعى في الخضر انما المدعى طول اقامة يكون الموت بعدها فاعجبوا رحمكم الله لرجل يصدق بطول بقاء ابليس وينكر طول بقاء الخضر وما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الخضر حيا لزارني فلم يثبته أهل الحديث فان قالوا لو كان ذلك لنقل فاعلم انه ليس كل شيء أطلع الله عليه رسوله صلى الله عليه وسلم يلزمه الاعلام به كيف وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال علمني ربي ثلاثة علوم علم أمرني بافشائه وعلم نهاني عن افشائه وعلم خيرني في افشائه وقال بعض العارفين ان الله سبحانه وتعالى أطلع الخضر على أرواح الاولياء فسأل ربه أن يبقيه في دائرة الشهادة حتى

الآخرة فيترك الدنيا للآخرة والآخرة لربه عز وجل ويشتغل بالله وحده خالصا مخلصا لا يطلب على عبادته وخدمته عوضا في الدارين وسيأتي في هذه المنن أن هذه النعمة لا يعطاها العبد الا بعد دخوله طريق القوم فليس لغير من دخلها غالبا قدم في ذوقها انما هو يطلب العوض على عبادته في الدنيا أو الآخرة ولذلك كان اسمه عند القوم عبد الدنيا أو عبد الآخرة لا عبد الله جل وعلا وقد انشد سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى

محب الله لا يهوى خلافه * ولو أعطى على ذاك الخلافه

فعلم انه مادام في قلب العبد شهوة من شهوات الدنيا أو لذة من لذاتها فهو محجوب عن الآخرة كما انه مادام في قلبه شهوة من شهوات الآخرة فهو محجوب عن ربه عز وجل (وقد عد) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه من شهوات الدنيا طلب العلم لغير العمل به كأن طلبه لولاية أو رياسة وعد من شهواتها أيضا قراءة القرآن بالروايات من غير مطالبة نفسه بالعمل به وقراءة النحو واللغة والبلاغة والفصاحة الزائدة على الحاجة فليس صاحب هذه الامور بزاهد حقيقة لان كل خصلة من هذه الخصال فيها لذة للنفس وموافقة للهوى وراحة للطبع وكل ذلك من الدنيا يحبب الانسان في البقاء فيها ويحصل لديه السكون والطمأنينة اليها (فليفتش) العالم نفسه أو مدعي الزهد في الدنيا نفسه ويأخذ في مجاهدة نفسه ورياضتها حتى يخرج من قلبه كل شهوة دنيوية أو أخروية فحب الجنة لكونها دار المشاهدة والمجالسة للحق تعالى لا لشيء يأكله أو يلبسه أو ينكحه فان ذلك انما خلقه الله تبارك وتعالى بالاصالة لعبيده والاشتغال بالحاصل تضييع للوقت فاعمل يا أخي على تحصيل كل مرتبة قبل طلب ما بعدها والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم تسليمي للنفس ما تدعيه من تركها الحظوظ النفسانية في الدنيا والآخرة لان لها غوائل في طلبها قل من يتنبه لها ولذلك طالت الطريق على المدعين ولم يدخل أحد منهم حضرة الله تبارك وتعالى لعدم تفتيشه نفسه وتوبته من الصفات التي تمنعه من دخول الحضرة (وقد كان) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول لا يدخل أحد من عتبة الولاية حتى يسمع المنادي من قلبه ينادي الا من أراد دخول حضرة الحق جل وعلا فليترك الحظوظ كلها ويخلع نعليه وهما دنياه وأخراه ويتجرد عن الاكوان كلها ويتعرى عن جميع الاماني فلا يكون له ميل ولا محبة لشيء الا بأمر الله عز وجل ثم يدخل بعد ذلك ومن لم يتجرد كما ذكرنا فلا يصح له أن يطأ بساط الحضرة أبدا ثم اذا دخل فله أدب آخر وذلك أن يكون مطرقا لا ينظر يمينا ولا شمالا أي لا ينظر يمينا الى الآخرة ولا شمالا الى الدنيا وحينئذ يتهيأ لان يخلع عليه الخلع انتهى وكان رضي الله تعالى عنه يقول تترك الحظوظ ثلاث مرات ثم يؤمر العبد بأخذها فان لم يأخذها عصى أمر ربه (المرة الاولى) أن يترك الحرام والشبهات (المرة الثانية) أن يترك الحلال خوفا أن يشغله عن الله عز وجل (المرة الثالثة) أن يسمع من قلبه النداء اترك كل شهوة في الدارين ثم يؤمر بأخذ النعم والتلبس بها وينهى عن ردها لشهوده أن في رد نعم الملك في تلك الحضرة سوء أدب وافتياتا على الملك واستخفافا بالحضرة وحينئذ يتلبس بالنعم ويراها فضلا من الله تعالى ونعمة بعد أن كان يتلبس بها بهواه ونفسه وهو غافل لان العبد كلما نزل منزلا تعددت نعمته قال رضي الله تعالى عنه ولا يسمى صالحا الا من وصل الى هذا المقام وصار بالله لا بنفسه وهواه اذ الصالح هو من تولى الله تعالى أموره ولم يبق عنده في نفسه طلب لجلب مصالح ولا لدفع مفاسد بل هو كالطفل الرضيع مع الظئر أو الميت مع الغاسل فتتولى القدرة تربيته وتجلب له مصالحه وترفع عنه مضاره من غير أن يكون له اختيار أو تدبير (فهذه) هي صفات الصالح التارك للحظوظ على الحقيقة فاعمل على التخلق بذلك والحمد لله رب العالمين.

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تسليمي لكل من ادعى أنه تخلص من حظوظ نفسه من الفقراء بأن صار يدبر بارادة الله عز وجل ويدبر بتدبيره ويختار باختياره ويشاء بمشيئته ويرضى برضاه على الكشف والشهود وكذلك نسلم له دعواه أنه خرج عن النفس والهوى والاماني والارادات دنيا وأخرى وأن الله اصطفاه واجتباه وذلك لانه ادعى ممكنا راجعا الى الباطن لا يطلع عليه الا الله تبارك وتعالى. ثم صاحبه فنسلم له ما يدعيه

براهم شهادة كما رآهم غيبا قال الشيخ أبو العباس كنت مع الشيخ في السفر ونحن قاصدون الى الاسكندرية حين مجيئنا من المغرب فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله فأتيت الى الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فلما أحس بي قال أحمد قلت نعم سيدي قال آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته نصف يوم خمسمائة عام ثم نزل به الى الارض والله ما أنزل الله آدم الى الارض لينقصه ولكن نزل به الى الارض ليكمله ولقد أنزله الى الارض من قبل أن يخلقه بقوله اني جاعل في الارض خليفة ما قال في السماء ولا في الجنة فكان نزوله الى الارض نزول كرامة لا نزول اهانة فانه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف فأنزله الى الارض ليعبده بالتكليف فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة وأنت أيضا لك قسط من آدم كانت بدايتك في سماء الروح في جنة المعارف فأنزلت الى أرض النفس لتعبده بالتكليف فاذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة وأخبرني بعض أصحاب الشيخ أبي الحسن قال قال الشيخ ليلة اجتمع بي الشرف البوني وشرف الدين بن المحيلي وأخبراني انهما دخلا على امرأة بغربي الاسكندرية قال فقالت لنا أروني أيديكما

ثم

ثم ان كان صادقا فقد صدقناه وحصل لنا الثواب وان كان كاذبا رجع اثم ذلك عليه وحرم الوصول الى ذلك عقوبة له (وفي كلام) سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه لا يكمل الرجل حتى يكون محوا في صفات الله تبارك وتعالى انتهى (قال بعضهم) ومراده ان العبد اذا زالت أهويته وارادته وخرج عن جميع الحظوظ صار لا يرى لغير الله تبارك وتعالى وجودا ولا فعلا بل هو في نفسه فعل لله عز وجل ومراد له ولذلك لا يضاف الى صاحب هذا المقام صدق في وعد ولا خلف في وعد لان الوعد أو الخلف انما يكون ممن له هوى وارادة فحكم هذا مع الله عز وجل اذا وعد أحدا حكم رجل عزم على فعل شئ في نفسه ونواه ثم صرفه الى غيره انتهى وهنا أمور يذوقها العارفون رضي الله تعالى عنهم لا تسطر في كتاب لعدم طاقة غالب الناس على تحملها انتهى والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) تنبيهي بتصاريف القدرة في بما أكره علي وجود ذكرا لحق تعالى لي فاشكر الله تعالى على كثرة تصاريف الاقدار في لعلمي بان الحق تبارك وتعالى اذا اعتنى بعبد تعرف اليه بما تهوى نفسه وبما تكره نفسه ليعطي كل وارد عليه حقه من الشكر أو الاستغفار وليرده عما تسمح فيه نفسه من الحظوظ وأما اذا لم يعتن به فانه يجعله تجري عليه تصاريف الاقدار وهو عن ذلك غافل كالبهيمة (وتامل يا أخي) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممحوق الهوى والارادة كيف قال الله تعالى له ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير عقب قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أي ألم تعلم أنك في بحر القدرة تقلبك أمواجه تارة كذا وتارة كذا فيوحي اليك وحيا ثم ننسخه ونوحي اليك بامر آخر فلم يترك تعالى نبيه على حالة واحدة محبة فيه صلى الله عليه وسلم ليصير الحق تبارك وتعالى له على بال ولا ينساه لحظة واحدة ومن هنا تعلم يا أخي أن في قول الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه ان الخواص يصلون الى حالة لا يكونون فيها تحت أمر ولا نهي نظرا الا أن يريد حالة تزول عنهم فيها عمل التكاليف وذلك لانه اذا كان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين لم يترك لنفسه هملا في وقت من الاوقات فكيف بغيره فلابد أن يكون العبد المكلف تحت حكم الاوامر والنواهي ولو بلغ الغاية فافهم واياك والغلط (ومن هنا تعلم) أيضا ضعف قول من قال ان الفرق بين الانبياء والاولياء كون الانبياء يملكون أحوالهم والاولياء لا يملكون أحوالهم لانه لو صح ذلك ما خر موسى صعقا فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) حسن ظني بربي اذا قسى قلوب عباده علي وأطلق ألسنتهم بذمي وكف لسانهم عن حمدي والثناء علي وأرجلهم عن السعي الي وأقول لولا أن الله تبارك وتعالى أراد تقريبي منه لما جفاني عباده لانه ربما داخلني الميل الى من أحبني ومدحني وواصلني بالنعمة قهرا علي فينقص ذلك من محبتي لله عز وجل واشتغل بعبيده ومراعاتهم وأغفل عنه تبارك وتعالى وأنسى كون ما وصل الي على يد عبده هو من نعمته تبارك وتعالى علي لا من نعمة عبده وهو تعالى غيور لا يوحد عبدا في المحبة الا ان وحده العبد كذلك في المحبة . قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فكان في كف أيدي الغير عن مواصلتي وعدم حمدهم أو مشيهم الي في حال مرضي مثلا سعي في كف بصري عن رؤية النفع أو الضر من غيره فيجتمع قلبي عليه تعالى وأفرده بالمحبة قال صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها زاد في رواية وبغض من أساء اليها ثم لا يخفى أن العبد لا يصطفيه الحق جل وعلا وهو يرى نفعا أو ضرا من غيره أبدا فاحسن الظن بربك يا أخي وانظر الى من هو ناظر اليك وأقبل على من هو مقبل عليك وأحبب من يحبك وأعط يدك لمن ينشلك من سقطتك في الوحل ويخرجك من ظلمات الجهل وينجيك من ورطات الهلاك ويطهرك من الانجاس وينظفك من الاوساخ ويبعدك عن الاقران المضلين لك عن سواء السبيل من شيطانك وهواك وخلانك من الجهال القطاع لطريق الحق تبارك وتعالى الحائلين بينك وبين كل شئ ينفعك (وكان سيدي) عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يحذر أصحابه من خلطة الناس ويقول الى متى عادة الى متى خلاف الى متى هوى الى متى رعونة الى متى دنيا الى متى أخرى الى متى الاشتغال بغير الله تعالى تعس والله وانتكس من اشتغل بالاكوان عن المكون

فشممت أيدينا وقالت اخوان صالحون ثم قالت انهيت في المعرفة الى مقام الحيرة فقلت الهي بم يخرج العارفون من الحيرة فقيل لي بالتوحيد فهل فيكم من يعرف هذا التوحيد الذي يخرج العارفون به من الحيرة قالا فقلنا لها انما جئنا نلتمس بركتك قال ثم قال الشيخ أبو الحسن ألا دلوها على من ضيق عليه ألا دلوها على من ضيق عليه ثم توجه الى جهتها وقال التوحيد الذي يخرج العارفون به من الحيرة لا اله الا هو يخرج العارفون من الحيرة بلا اله الا هو فاصبح بعض أصحاب الشيخ فذهب اليها فوجدها وهي تقول استغنيت استغنيت فعلمنا ان الشيخ أمدها في تلك الساعة وقال الشيخ أبو الحسن كنت في بعض سياحاتي وقد آويت الى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فكنت فيها ثلاثة أيام لم أذق طعاما فبعد الثلاثة أيام دخل علي ناس من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك فلما رأوني قالوا قسيس من المسلمين فوضعوا عندي طعاما وادما كثيرا فعجبت كيف رزقت على أيدي الروم ومنعت ذلك من المسلمين واذا قائل يقول لي ليس الرجل من نصر باحبابه انما الرجل من نصر باعدائه وقال الشيخ أبو الحسن بت ليلة في سياحتي على

سبحانه وتعالى فتدرج يا أخي في قطع العلائق شيأ بعد شئ واشكر ربك تبارك وتعالى على كل شئ منعك من الدنيا والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) معرفتي بداواة من رأيته يتسخط اذا سأل الله تعالى شيأ ولم يعطه الحق له سواء كان ذلك في حق نفسه أو غيره فان سوء الادب مع الله تبارك وتعالى لا يحتمله محب لله عز وجل ابدا بل تراه كفرا بالله جل وعلا فاذا سمعت يا أخي أحدا يقول قد سئمت وأنا أدعو الله تعالى في الشئ الفلاني فلا يعطيه لي فقل له أنت حر أم عبد فان قال أنا حر لست بعبد له فقل له كفرت يا عدو الله وان قال أنا عبد فقل له فان العبد ليس له مع سيده اختيار انما يدعو سيده عبودية واظهارا للفقر والحاجة وسيده يفعل ما يشاء فان لم يرجع عن الاعتراض فقل له أمتهم ربك في كمال حكمته وعلمه باحوال عباده أم غير متهم فان كنت متهما له في ذلك فانت كافر وان كنت غير متهم فعليك بالشكر على منعه لك من حظوظ نفسك وان كان لابد لك من الاتهام وسوء الظن باقدار ربك فاتهم نفسك الامارة بالسوء العاصية لربها عز وجل فان ذلك أولى لك لانها عدوة الله وعدوتك وحبيبة الشيطان ومصافية له وهي خليفته عندك وجاسوسه فكن خصما مع الله تعالى عليها ومجادلا لها نيابة عن الله عز وجل وجندا من جنود الله عليها فان كان بالضد من ذلك فهو عدو الله عز وجل فالحذر الحذر منها ولا ينبئك مثل خبير ثم لا يخفى انه يجب على كل داع الى الله تبارك وتعالى أن يعلم الناس الادب مع الله جل وعلا قبل الادب مع عباده فان سؤال الحق تعالى من جملة الادب معه لان فيه اظهار الفاقة والحاجة وترك السؤال اظهار للغنى عنه وذلك لا يصح وقد قال تعالى واسألوا الله من فضله فامرنا بالسؤال ثم ان كان المسؤل فيه مقسوما فلا بد أن يسوقه تبارك وتعالى الى السائل ثم يزيده ذلك ايمانا أو يقينا وتوحيدا ورجوعا الى الله في جميع أحواله وان لم يكن مقسوما أعطاه الله تعالى الغنى عنه في الباطن والرضا عنه بالفقر ان كان المسؤل فيه غنى أو أرضاه بالمرض ان كان المسؤل فيه ترك المرض أو قلب عنه قلب صاحب الدين ان كان المسؤل فيه طلب شئ يوفي به دينه أو صبر صاحب الدين عليه أو ثبطه عن مطالبته أو ألهمه اسقاطه عنه أو بعضه ثم ان لم يعطه الحق تبارك وتعالى شيأ مما سأل في الدنيا فسيعطيه في الآخرة ثوابا أعظم من ذلك فلابد للسائل من حصول فائدة عاجلة أو آجلة والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) منازعة النفس لي بعد أن طعنت في السن وميلها الى الشهوات واعانته تعالى لي على مجاهدتها وذلك ليكتب الله تعالى لي ثوابا دائما ونعيما متجددا في الجنة وغالب الناس اذا طعن في السن خمدت نار نفسه وكفى الله المؤمنين القتال ففاته ثواب المجاهدة وفي الحديث رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يعني مجاهدة النفس لان جهادها دائم مستمر وعليه ينزل قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الله تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة حتى يأتيه الموت فافهم وانما كانت العبادة مجاهدة لانها كلها مبنية على مخالفة النفس اذ جميع العبادات تأباها النفس من أصلها لولا لطف الله تبارك وتعالى بها وانما كان كل من جاهد نفسه وخالفها وقتلها بسيف المخالفة يحييها الله عز وجل ليكتب له ثوابا دائما مستمرا كما مر فان قال قائل كيف أمر الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم بالعبادة وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الهوى كما أخبر عنه البارى جل وعز بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * فالجواب ان الله تبارك وتعالى ما خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الا ليقرر بذلك شرعه فيكون عاما بين أمته الى أن تقوم القيامة والا فهو تعالى قد أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم القوة على النفس والهوى فلا يضرانه ولا يحوجانه الى المجاهدة والمحاربة بخلاف أمته فاذا دام المؤمن على مجاهدة نفسه حتى أتاه الموت ولحق بربه عز وجل ولقيه بسيفه المسلول الملطخ بدم النفس والهوى أعطاه تبارك وتعالى ما ضمن له من الجنة بقوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ثم اذا أدخله الله تعالى الجنة واستقر فيها وأمن من النقلة وغرق في النعيم طلب العود الى دار الدنيا ليجاهد نفسه ثانيا فيجدد الله تبارك وتعالى له كل ساعة نعيما الى ما لا غاية له من الطعام والشراب والحلي والحلل على حسب ما كان في دار الدنيا من تجدد المجاهدة لنفسه كل ساعة عكس

رابية من الارض فباتت السباع فطافت به فاقت الى الصباح فما وجدت انسا كانس وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لي انه حصل لي من مقام الانس بالله شئ فهبطت واديا وكان هناك طيور حجل لم أرها فلما أحسست بي طارت بمرة فخفق قلبي رعبا فاذا علي يقال لي يا من كان البارحة يأنس بالسباع ما لك توجل من خفقان الحجل ولكن البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك وقال رضي الله عنه قلت يوما وأنا في مغارة في سياحتي الهي متى أكون لك عبدا شاكرا فاذا علي يقول لي اذا لم تر منعما عليه غيرك فقلت الهي كيف لا أرى منعما عليه غيري وقد أنعمت على الانبياء وأنعمت على العلماء وأنعمت على الملوك فاذا علي يقال لي لولا الانبياء لما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما أمنت فلكل نعمة مني عليك وقال رضي الله عنه جعت مرة ثمانين يوما فخطر لي ان قد حصل لي من هذا الامر شئ واذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها الشمس حسنا وهي تقول منحوس منحوس جاع ثمانين يوما فأخذ يدل على الله بعمله وها أنا لي ستة أشهر لم أذق طعاما وقال رحمه الله كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد هل ألازم البراري والقفار

حال

حال الكافر أو المنافق أو العاصى اذا مات من غير توبة فان هؤلاء لما تركوا مجاهدة نفوسهم كل ساعة و وافقوها في هواها وشهواتها وكفرها حتى أتاهم الموت على غير الاسلام أدخلهم الله عز وجل النار فاذا دخلوها وجعلها الله مقرهم ومصيرهم وأحرقت جلودهم ولحومهم جدد الله لهم جلوداً ولحوماً غيرها ليذوقوا العذاب المتواتر المضاعف فعلم ان ساعات المجاهدة للمؤمن هي التى كانت سبب نعيمه وساعات ترك المجاهدة للكافر أو العاصى هي التى كانت سبب التعذيب به فضوعف على كل قسم ما يناسبه من النعيم والعذاب وهذا هو معنى حديث الدنيا مزرعة للآخرة وكل ميسر لما خلق له فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) انى لا أسأله تعالى شيأ من أمور الدنيا والآخرة الا مع التفويض ورد العلم فيه اليه تعالى عملا بعموم قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فأقول فى دعائى اللهم أعطنى كذا وكذا ان كان فيه خير لى واصرف عنى كذا وكذا ان كان فيه شر لى ثم كل شئ وقع بعد هذا التفويض كانت عاقبته محمودة من عطاء أو منع وهذا الميزان واجب على العبد ما دام له ارادة واختيار مع الله تبارك وتعالى فاذا فنيت ارادته واختياره وتفرغ قلبه لمحبة الله عز وجل كان اختياره باختيار الله تبارك وتعالى وارادته بارادة الله جل وعلا وكان فى سؤاله ذلك ممتثلا أمر الله عز وجل فلا يقع له الا ما يسره لموافقة مراده مراد ربه تبارك وتعالى سواء كان السؤال فى أمر الدنيا أو الآخرة وعلامة صاحب هذا المقام انه ان أُعْطِيَ شكر وانْ مُنِعَ شكر ولم يتغيرْ على ربه جَلَّ وعلا بباطنه فاعلم ذلك واياك أن تدعى ذلك من غير تحقق به وعليك بسؤال الله عز وجل الامور التى لابد لك منها وعاقبتها حميدة على الدوام لا يدخلها مكر ولا استدراج أبدا كسؤالك المغفرة للذنوب السالفة وسؤالك الحفظ فى المستقبل والتوفيق لحسن المعاملة ثم ختام ذلك بخاتمة الخير وهى أن تموت وأنت حسن الظن بالله عز وجل فان ذلك محط رِحَالِ الاولينَ والآخرين فعليك بالاكثار من سؤال الله تعالى ذلك والحمد لله رب العالمين

(وَمما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) مبادرتى لشُكْرِ رَبِّى اذا حَفِظَنِي من مضلاتِ الفِتَن دونَ العُجْبِ بذلك على مَنْ وقع فى الفتن وهَذِهِ مِنْ أكبرِ نعم الله تبارك وتعالى عَلَيّ فانَّ العُجْبَ يورثُ المقتَ واحباطَ الاعمالِ كما ورد لاسيما ان سَمِعَ الناسَ الذين يقتدى بهم يقولون ليس فى مصر الآن على الطريق المستقيم فى العلم والعمل مثل فلان وحصَلَ له جاهٌ بذلك فى قلوب الخلقِ دون أقرانه فانه يهلك بالكلية ومن هنا أخفى بعض الفقراء كثيرا من أعمالِهم الصالحة خوفا من ميل النفسِ الى مدح الناس لهم عليها فيهلكوا من حيث لا يشعرون ثم لا يخفى عليكَ يا أخى ان العجبَ لا يكونُ الا عن شهود العبد نفسه فاعلاًّ لذلك الامْرِ الذى يعجب به أو مشارِكاً لله تبارك وتعالى فيه وقد يشير الى ذلك القرآن العظيم حيث قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فالاولياء رضى الله تعالى عنهم كشف الله تبارك وتعالى لقلوبهم عن كون ذلك ظلما يعنى للنفس فتركوه من هذه الدار وغيرهم لم يكشف الله تبارك وتعالى لهم عن ذلك فلا يظهرُ لهم الا يوم القيامة فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) مداومتى على الاعمال التى كنت أعملها فى حال بدايتى وصبرى على الشدائد التى تصيبنى فى حال كهولتى وقد قيل للجنيد رضى الله تعالى عنه نراك تدمن امساك السبحة وقد وصلت الى مقام لا تحتاج الى من يذكرك بربك من الخلق فقال شئ وصلت به الى حضرة ربى لا أقطعه انتهى * وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يسبح على عُقَدِ أصابعه ويقول انهن مستنطقات يعنى يوم القيامة بل أنا نعمد الله تبارك وتعالى أحب كثرة الاعمال الصالحة ولو رضيت النفس بدون ذلك فان الله جل وعلا قال وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله فطلب منا كثرة الاعمال فالعاقل يعلم ان نفسه وان رضيت بالدون لا يَرْضَى الحق تبارك وتعالى منها بذلك قال تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون ومن ذاق ذلك علم ان الحق تبارك وتعالى أشفق عليه من نفسه وان المنازلَ فى الجنة لا تُشَيَّدُ ولا تُرْفَعُ الا بالاعمال فى الدنيا لانها مزرعة الآخرة * ثم اعلم يا أخى ان مراد القوم رضى الله تعالى عنهم بالبداية حيث أُطْلِقَتْ فى لسانهم هو خروجُهم من المعهود الى المشروع كما ان

للتفرغ للطاعة والاذكار أو أرجع الى المدائن والديار لصحبة العلماء والاخيار فوصف لى ولى هنا الآن وكان برأس جبل فصعدت اليه فما وصلت اليه الا ليلا فقلت فى نفسى لا أدخل عليه فى هذا الوقت فسمعته وهو يقول من داخل المغارة اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك قال فالتفت الى نفسى وقلت يا نفس أنظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فلما أصبحت دخلت عليه فارعبت من هيبته فقلت له يا سيدى كيف حالك فقال أشكو الى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت له يا سيدى أما شكواى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضى والتسليم فلماذا قال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله فقلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم فانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك فتبسم ثم قال يا بنى عوض ما تقول سخر لى خلقك قل يا رب كن لى أترى اذا كان لك أيفوتك شئ فما هذه الجناية

مرادهم بالتوسط خروجهم عن ظاهر المشروع الى الاطلاع على المقدور وكان مرادهم بالنهاية الرجوع الى المعهود بشرط حفظ الحدود فصورة الكامل في الاعمال صورة المبتدي والقصد مختلف لان المبتدي يشهد مشاركة نفسه لربه تبارك وتعالى في الفعل والمنتهي يرى الفعل لربه وحده وربه هو الفاعل به فيه وقل من يخرق سور الشرع الى شهود الحقيقة الا وتحصل له الزندقة فيستبيح المحرمات ويستهين بالمأمورات فالحمد لله تبارك وتعالى على حفظنا من ذلك ثم لا يخفى عليك يا أخي ان أعمال الاكابر من الانبياء والاولياء بعد أداء الاوامر واجتناب النواهي انما هي الصبر والرضا والموافقة في حال البلاء فيكون غالب أعمالهم قلبية فلا يقدر على اتباعهم فيها من أصحابهم الا القليل لعلو مراقيها عكس أعمالهم أوائل أمرهم فان الغالب عليها كونها جسمانية ليقتدي جمهور قومهم بهم فيها ومن الاكابر من ختم أمره بالاعمال الجسمانية زيادة على القلبية لعلو المقام كنبينا صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضي الله تعالى عنهم فقاموا حتى تورمت منهم الاقدام ليقتدي بهم الاكابر من بعدهم مبالغة في النصح فلا يقال فكيف ابتلى الله تبارك وتعالى الاكابر في حال كمالهم وانما الابتلاء لهم يكون في مقام الارادة ومن كان مرادا فلا يحتاج الى الامتحان أصلا لانا نقول ان كل محبوب محب فهو تبارك وتعالى يبتليه من حيث كونه محبا وينعمه من حيث كونه محبوبا * وفي الحديث الشريف أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) شهودي ان صفات نفسي الموفقة باقية معي الى أن أموت وأنه يجب علي استصحاب التحفظ من ارتكاب الفواحش والحمية عنها الى حين لقاء الله عز وجل ويؤيد ذلك قوله تعالى في حق يوسف على نبينا وعليه وعلى بقية الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آلهم وصحبهم أجمعين كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ولو أن حكم الطبع يزول من غير المعصوم لالتحق بالملائكة كالمعصوم ولانخرم النظام وبطلت الحكمة فكان من كمال الولي ابقاء حكم الطبع فيه ليستوفي به ما قسم له من الحظوظ المأذون له فيها قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة فانه صلى الله عليه وسلم لما نفى عن الدنيا وما فيها ردت اليه أقسامه المحبوسة عنه في حال سيره الى ربه جل وعلا حال بدايته فاستوفاها موافقة لربه تبارك وتعالى وامتثالا لامره فكمل مقامه بذلك ولم ينقص وهكذا الولي يرد الله اليه أقسامه وحظوظه بعد الفناء مع حفظ الحدود بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم شهوتي لشيء من المطاعم والملابس اذا دخلت السوق فأنا بحمد الله تبارك وتعالى لو رأيتها أراها ببصر رأسي لا ببصر قلبي وأراها رؤية فأر لا رؤية شهوة وأنظرها نظر صورة لا نظر معنى كما أنظرها نظر الظاهر لا نظر الباطن وهذا الخلق نادر في المريدين اليوم فربما غلبت أحدهم نفسه فاشترى لها ما اشتهته وربما لم يجد معه شيأ فيشتري به في الذمة ولو برهن أو ضامن ويقول مررت على الشيء الفلاني فاعجبني وما رأيت معي شيأ من الفلوس وخفت أن يأخذه غيري بينما أذهب الى البيت وأرجع وهذا كله من غلبة الشهوة والحرص وفوق هذا المقام الذي ذكرناه مقام آخر خاص بالكمل رضي الله تعالى عنهم وهو تخلقنا بالرحمة على أهل الاسواق اذا دخلنا اليها أو مررنا فيها وغيبتنا بامتلاء قلوبنا بالرحمة عليهم عن الميل الى شهوة من الشهوات بل لم يزل صاحب هذا المقام من حين يدخل السوق الى أن يخرج منه يحس بقلبه انه محترق عليهم من غلبة الشفقة والرحمة فلا يزال يدعو لهم ويشفع فيهم عند ربه تبارك وتعالى حتى يخرج ثم انه يشكر الله عز وجل على كونه تعالى غمرهم بنعمته مع غفلتهم عن الشكر عليها ولم يسلبها عليهم جزاء لكفرانهم وقد بلغنا ان ذلك كان من خلق الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه فكان اذا دخل السوق لم يزل يتضرع ويدعو لاهل السوق وتغرغر عيناه بالدموع حتى يخرج منه فرضوان الله على كل فقير وصل الى هذا المقام فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) شدة غضبي باطنا على كل من ادعى عندي دعاوى كاذبة ومباسطتي

وقال رضي الله عنه كنت أنا وصاحب لي قد أوينا الى مغارة نطلب الوصل الى الله فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول غدا يفتح لي بعد غد يفتح لي فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لا تعبدين الله لله قال فتفطنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح لنا وقال رضي الله عنه كنت يوما بين يدي الاستاذ فقلت في نفسي ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الاعظم فقال ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم الشأن من يكون هو عين الاسم فقال الشيخ من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدي وقيل للشيخ أبي الحسن يا سيدي لم لا تسمع السماع فقال السماع من الخلق جفاء وأخبرني بعض أصحابنا قال استشفع طالب بالشيخ أبي الحسن الى القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز أن يزاد على مرتبه فذهب الشيخ اليه فأكبر القاضي تاج الدين مجيء الشيخ وقال له سيدي فيم جئت فقال من أجل فلان بالطالب لتزيده في مرتبه عشرة دراهم قال فقال له القاضي تاج الدين يا سيدي هذا له في المكان الفلاني كذا

له

له ظاهر اثم اعلامي له بيني و بينه بكذبه ان رأيت نفسه تحمل مثل ذلك كأن يدعي الرقي أو يحب من يرقيه الى مقامات الصالحين رضي الله تعالى عنهم وهذا الخلق فيه جمع بين الغيرة لله تعالى والنصح لذلك العبد وقل من يجمع بين هذين الشيئين وقد دخل علي مرة شخص لابس عمامة صوف وله عذبة بحضرة أخي الشيخ أفضل الدين فاطلع على باطنه فرآه مملوأ كذبا ورعونة وشركا لله في الافعال والاقوال واضمار السوء للمسلمين ثم صار يمدح نفسه ويزكيها فصاح فيه الشيخ أفضل الدين وقال له كذبت وأمر باخراجه وقال له كيف تدعى السلامة مع هذه العلل والمعاصي الظاهرة والباطنة فلا تسأل يا أخي ما فعل لابس ذلك الصوف بالشيخ أفضل الدين بعد ذلك في المجالس نقمت وانسلخ من جميع ما كان يدعيه وصارت أفعاله الظاهرة تكذب ما يدعيه من الاخلاق الباطنة وذلك انه تبع من يزعم انه يعرف صنعة الكيمياء وطائفة العرجان وترك جميع ما كان فيه من الكسب والعبادة الى وقتنا هذا فاتخذت أنا عبرتي من ذلك اليوم وصرت ولو أطلعني الله عز و جل على معاصي جليسي الباطنة لا أفضحه بها وانما أذكر ذلك في معرض وقائع سايح بن رايح أو اذكرها لصاحبها في أذنه ثم أصير أحبب عنه اذا أضاف أحد اليه تلك النقائص وأقول ما رأيت عليه الاخيرا وهذا الكلام الذي قيل عنه انما هو من اشاعة الحسدة عنه وذلك لا يقدح في مقام العلماء والصالحين فليحذر من أطلعه الله تبارك وتعالى على سريرة أحد من المتلطخين بالمعاصي أن يكتم ذلك عن صاحبه و يحكيه لغيره فان في ذلك عدة مفاسد وربما انتصر بعض المحجوبين له ونسبوا ذلك الشيخ الى غيبة الناس و يصيرون يقولون لا يجوز لفلان انتهاك أعراض المؤمنين بما يزعم ان الله تبارك وتعالى أطلعه عليه كذبا و زورا وحاشا أن يكون هذا من أولياء الله عز و جل وهو يقرض في أعراض الناس ونحو ذلك وان كان ولا بد لذلك الشيخ من اظهار ما كشف له فليكن بنية صالحة لمن يصدقه على صحة كشفه فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) طلبي لكل حاجة احتجتها من باب الله تبارك وتعالى دون باب أحد من عبيده ولا أنظر الى باب غيره الا من حيث كون الخلق كالقناة التي يجري لنا منها الماء لا غير فالفضل لصاحب الماء الذي أجرى القناة لا للقناة فنشكر الوسائط امتثالا لامر الله عز و جل من غير وقوف معها وفي كلام الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه تعام يا أخي عن الجهات كلها حال طلبك حاجة من ربك ولا تنص على جهة معينة منها بغير علم فان ربك غيور فلا يفتح لك باب فضله وأنت ناظر الى جهة أحد من عبيده فسد يا أخي الجهات كلها بتوحيدك وامحها بيقينك ثم بفنائك وحولك وحينئذ يفتح تعالى في قلبك عينا تنظر بها الى جهة الجهات وهي جهة فضل الله تعالى فتراها بعيني رأسك بشعاع نور قلبك وايمانك ثم يظهر ذلك النور من باطنك الى ظاهرك كنور الشمعة التي في البيت المظلم فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه وتسكن النفس والجوارح الى وعد الله وعطائه دون عطاء خلقه ووعدهم فمن لم يصل الى ما ذكرناه فلا زمه الاعتماد على الاسباب والوقوف معها وذلك شرك عند أهل الحقيقة رضي الله تعالى عنهم . انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم استبعادي على نفسي وقوعها في الكبائر فضلا عن الصغائر ولو صارت يقتدى بها في مثل هذا الزمان المبارك فان من وصية سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه اياك أن تستبعد وقوعك في أكبر الكبائر ولو توالت عليك المراقبة لله آناء الليل وأطراف النهار لان باب العصمة مسدود على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل أتباعهم على الصحيح فلا أمان لنا ما دمنا في هذه الدار وقد أغوى ابليس خلقا كثيرا حين ظنوا بانفسهم الخير ووقعوا في أكبر الفواحش و بعضهم أوقعه في عمل الزغل وشنقوه أو نفوه (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ليس لابليس حيلة يوقع بها الفقراء في المعاصي أكبر من ظنهم بانفسهم الخير والصلاح فيصرعهم من حيث لا يشعرون لامانهم وعدم حذرهم منه انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وفي القرآن العظيم فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون *وفي كلام سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه من لم يحاسب نفسه في كل نفس و يتهمها بالسوء فلا يكتب في ديوان الرجال

وفي المكان الآخر كذا وفي موضع كذا كذا قال فقال له الشيخ أبو الحسن يا أبا ج لانسة كثر على مؤمن عشرة كراهم تزيده اياها فان الله تعالى لم يقنع بالجنة للمؤمن جزاء حتى زاده النظر الى وجهه الكريم فيها وقال الشيخ أبو الحسن سمعت الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة فاشكل علي معناه فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الظلم والاكدار وقال سمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سكن خوف الفقر قلبه فلما يرفع له عمل فمكثت سنة أظن انه لا يرفع عملي أقول ومن يسلم من هذا فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي يا مبارك أهلكت نفسك فرق بين خطر وسكن وقال رضي الله عنه رأيت الصديق في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب قال قلت لا أدري قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد وقال رضي الله عنه استنار قلبي يوما فكنت أشهد ملكوت السموات والارضين السبع فوقعت مني هفوة فحجبت عن شهود ذلك فتعجبت كيف حجبني هذا الامر

انتهى وقد درج السلف الصالح كلهم رضى الله تعالى عنهم على الخوف حتى ماتراخى ان بعض رجال رسالة القشيرى أوصى أهله وقال اذا خرجت من هذه الدار على دين الاسلام ومت فشيعوا جنازتى بالدف والمزمار أى الحلال فلما مات فعلوا معه ذلك ولا اعتراض على مثل ذلك فان الموت على الاسلام أعظم سرورا عند العاقل من تزويج ولده أو ختانه وقد رأينا بعض العلماء والصالحين يعطون الزامر وغيره فى الدعوات الفلوس على ذلك واختلاف الائمة رحمة وبالجملة فكل شئ دخل به المجرمون بيت الوالى جائز وقوعه من سيدى الشيخ فليكن على حذر (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا يصح لفقير أن يحفظ من الوقوع فى المعاصى الظاهرة والباطنة الا ان صارت حضرة الاحسان مقره لا يبرح منها ليلا ولا نهارا كالانبياء والملائكة والا فهو معرض للوقوع اذا خرج منها فى وقت من الاوقات فعلم ان أحدا لا يحفظ الا مادام يعبد الله كانه يراه أو يعتقد هو انه بين يدى الله تبارك وتعالى وانه تعالى يراه ومتى غاب عنه هذا المشهد خرج من الحضرة وتعرض لكل سوء وأجلب عليه ابليس بخيله ورجله انتهى *وكان أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول لابد للعبد من اسدال الحجاب عليه حتى يقع فى المعصية والا فعصيان العبد ربه تعالى على الكشف والشهود بان الله تعالى يراه لا يصح أبدا وهذا من جملة رحمة الله تبارك وتعالى بعصاة الموحدين فان مجاهرة الحق تبارك وتعالى بالمعصية على اعتقاد انه تعالى ساخط عليه فى ذلك الفعل قلة احترام للجناب الالهى فكانت العقوبة تشتد عليه ويؤيد هذا حديث اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى اذا نفذ فيهم قضاؤه وقدره رد عليهم عقولهم ليعتبروا أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا ان ابليس قال يارب كيف تؤاخذنى بترك السجود لآدم ولم ترد وقوعه منى فقال الله عز وجل له متى علمت انى لم أرد وقوعه منك أبعد وقوع الاباية منك أو قبلها فقال بل بعدها فقال له بذلك آخذتك انتهى فاذا كان ابليس الذى يوقع الناس بالوسوسة اصطاده فخ القدرة الالهية فكيف بغيره فتأمل (وذكر) الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية أن الاسباب المانعة للعبد من الوقوع فى المعاصى أربعة لاخامس لها اذ وجود أحدها فى المؤمن يستدل على عدم تقدير تلك المعصية على ذلك العبد (الاول) المحبة لله تعالى (الثانى) دوام الحياء من الله تعالى على الكشف والشهود بان الله تبارك وتعالى يراه (الثالث) دوام خوفه من مؤاخذة الله تعالى له اذا عصاه وصحة ايمانه بذلك (الرابع) الرجاء لمغفرة الله تبارك وتعالى وثوابه اذا ترك ذلك الذنب فمادام يشهد ذلك لا يقع فى معصية ابدا قال والى ذلك الاشارة بحديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أى لانه لو انتفى عنه الخوف من الله تبارك وتعالى كان معه ثلاثة من الاسباب المانعة له من الوقوع فى المعاصى أو واحد منها وكذلك القول فى بقية الثلاثة غير الخوف كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه انتهى أى فان الانسان لا يخالف محبوبه ولا من يستحى من مخالفته ولا من يرجو احسانه ولا من يخشى سطوته وهو كلام نفيس مما أظنه طرق سمعك يا أخى أبدا (وقد تقدم) فى هذه المنن ان العبد لا يقع فى معصية قط الا بعد تأويل أو تزيين ولو تحقق ان الله تبارك وتعالى يؤاخذه ماعصى أبدا كما لو أجج الوالى لأحد نارا وقال له ازن بهذه المرأة وأحرقك بهذه النار لا يزنى بها أبدا فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) دوام اعتمادى على الله تبارك وتعالى وحده فى الشدائد دون شركة أحد معه فى ذلك من الاصحاب والمحبين والمعتقدين وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان حكمى بين الحسدة كحكم البهلوان الذى يمشى على الحبل العالى بقبقاب وجميع الحسدة والاعداء والمبغضين من أهل مصر واقفون تحتى ينتظرون لى زلقة حتى أنزل الى الارض متقطعا فما تغيب الشمس على كل يوم أو تطلع وأنا لم أقع فى شئ يشمتون بى فيه وفى عينى قطرة وتعظم الشماتة عند الحسدة وتصغر بحسب النعمة فان عظمت النعمة على العبد عظمت الشماتة فيه وان قلت بالنسبة الى نعمة أخرى فى العدد مثلا صغرت الشماتة فيحتاج صاحب هذا المقام الى العكوف فى حضرة الله عز وجل على الدوام ومتى خرج منها لتناول شهوة ولو

الصغير عن هذا الامر الكبير فاذا على يقال لى البصيرة كالبصر أدنى شئ يحل فيها يعطل النظر ولنقبض عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب والا فكلام الشيخ أشهر من أن ينبه عليه وأكثر ماذكرته هنا لا يوجد فى الكلام المنسوب اليه وقد مضى من كلامه فى المقدمة وسيأتى فى أثناء الكتاب ان شاء الله وحسبك من كلامه ماذكره من كرامات القطب وماذكره من طريق الخصوص والعموم والعلوم والحقائق والاسرار وحلاوة اللفظ وجزالته مع الاشتمال على المعانى الكثيرة والهيبة التى تجدها عند ذكرك لكلامه أو سماعك اياه فقل ان تجد ذلك فى شئ من كلام أهل الطريق أما ماقال فى كرامات القطب فقال رضى الله عنه للقطب خمسة عشر كرامة فمن ادعاها أو شيأ منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ماقبل وما بعد وحكم مالا قبل له ولا بعد وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدأ من السر الاول الى منتهاه ثم يعود

بيت الوالى لعلها الحكمة بتعبير اليوم

مباحة فقد عرض نفسه للزلقة من فوق الجبل * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول حكم العارف اذا تناول الشهوة مع الغفلة عن ربه جل وعلا حكم القمر اذا كسف ثم من أعظم النعمة التي يعطاها العبد في دار الدنيا قيام الجاه عند الحكام وكثرة المعتقدين فيه الصلاح فمن جمع بين هاتين الصفتين صار كل حسودي في بلده ينتظر له زلقة لكونهم لا ينظرون الا لظاهر الدنيا ولو انهم أنصفوا ونظروا الى امور الآخرة لكانوا يحسدونني على مجالسة الله عز وجل ومجالسة رسوله صلى الله عليه وسلم ولو لحظة في النهار فان ذلك أولى بالحسد لانه لا نعيم في الدارين أعظم من ذلك * ولما طلعت للوزير علي باشاه في ضرورة الى القلعة وأكرمني تحرك علي الحسدة من كل جانب وصاروا يفترون علي أمورا لم تقع لي قط فتعجبت منهم غاية العجب فان منهم من يدعي انه أعلم من في مصر ومنهم من يدعي الولاية فكيف يحسدونني على اكرام جندي من عبيد السلطان ولا يحسدونني على جلوسي في حضرة الله تبارك وتعالى في مجالس الذكر صباحا ومساء ولكن قد عرفت بذلك عدم صدق دعواهم العلم والصلاح ثم ان بعضهم اذا وقع له مصيبة يأتيني فيحملني حملة فأقاسي فيها الموت دونه ولا أتخلف عنه فان عندنا ان الحملة تخف بحسب الاعتقاد وتثقل بعدمه وقد جاءني مرة شخص من أهل العلم ليلا وحملني حملته وقال ان بعض الحسدة أرشى شخصا في الحبس كان محبوسا على دين قيل ان فيه شبهة لذلك العالم وقالوا له اكتب فيه قصة للباشا واخبره انك هدمت عنده حائطا فوجدت فيه قدرتين من الذهب وعمودين من الفضة كل عمود طوله ذراع فاشرت عليه ان يسامح ذلك المديون مما طره عليه فتوقف فاشتد غضب المديون فكتب بذلك قصة ووصلت للباشاه وأمر الوالي بالقبض عليه فلما جاءني ليلا قاسيت في حملته مالا طاقة لي به لكونه يرى انه أتم أيامي فامرته بطلوع القلعة قبل أن يطلبه الوالي فطلع وأيقن الحاضرون كلهم بالترسيم عليه فصرت أسأل الله عز وجل وأنا في البيت تحويل قلب الباشا وان يطلعه على الحق في المسئلة فلا بكل من الخصمين ساعة ثم قال ظهر لي ان دعوى كل منكما باطلة ثم قال للعالم سامح خصمك بما في المسطور وقال للآخر ظهر لي انك كذاب فلو ان هذا العالم كان سمع الاشارة بانه يسامحه بما في المسطور من غير توقف في الباطن لقضيت حاجته من غير ارعاب ولا خوف فالله تبارك وتعالى يصبرنا على هؤلاء الحسدة ويعيننا على دوام الاعتماد عليه ليحمينا من شماتتهم فقد فرت الانبياء من شماتة الاعداء كما في القرآن العظيم والحديث الشريف آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تعظيمي لولاة الزمان ظاهرا أو باطنا من قاض ووال ومحتسب وكاشف وشيخ عرب فان هؤلاء قد رفعهم الله تبارك وتعالى علينا في هذه الدار بين الناس والادب معهم مطلوب شرعا أو عرفا بحسب استقامتهم واعوجاجهم وهذا الخلق قل من يفعله من الناس مع ولاة الزمان باطنا أو خاليا عن العلل وربما قام بعضهم لمن هو عنده فاسق واذا استشعر ان أحدا ينكر عليه قال الضرورات تبيح المحظورات ولا هكذا تعظيمي لهم لاني انما أعظمهم وفاء بحقهم علينا * وكثيرا ما كنت أسمع سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ينبغي لنا ان نعظم الولاة ونكرمهم أدبا مع الله عز وجل الذي ولاهم رقابنا وحكمهم فينا انتهى * وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في باب الوصايا من آخر الفتوحات المكية ما نصه ينبغي للفقير أن يعظم كل وارد عليه من الولاة لان أحدهم لم يطلع لزيارة ذلك الفقير حتى خلع كبرياء نفسه وعظمتها ورأى نفسه دون ذلك الفقير ولو انه كان نظر الى عظمة نفسه وان ذلك الفقير من جملة رعيته لما كان يطلع له زاويته ولكان أرسل اليه ليحضر ومن خلع عظمته قبل أن يصعد الينا فما لقينا الا وهو فقير حقير فوجب على الفقراء اكرامه انتهى فان اعترض معترض لا معرفة له بنيتنا ولا مصطلحنا وقال ان ذلك الامير مثلا ظالم لا ينبغي اكرامه قلنا ونحن كذلك ظالمون لانفسنا بالمعاصي ولغيرنا ولو بسوء الظن به في وقت من الاوقات فظالم قام لظالم وأكرمه فلا مزية لذلك الشيخ عليه لو أنصف لا سيما ان كان لذلك الامير عليه منة بهدية أو مساعدة له على تمشية جواليه أو مرتبه أو رزقه اذا توقف الولاة فيها ونحو ذلك وقد رأيت شخصا له عمامة صوف وعذبة أرسل نقيبه ليسأل له شيأ من أمير فأرسل له عسلا وعدسا وأرزا حتى كفي مولده

اليه فهذا معيار أعطاه الشيخ يختبر به من ادعى هذه الرتبة العظيمة القائمة بكفالة الاسرار والمحيطة بعدد الانوار وهذا نحو ماذكره العارف بالله أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له ان من ادعى الولاية فيقال له صف لنا منازل الاولياء فذكر مسائل معيارا على من ادعى الولاية ولقد أخبرني الشيخ مكين الدين الاسمر قال مكثت أربعين سنة يشكل على الامر في طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل عني اشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فازال عني كل شئ أشكل علي ولما قدم الشيخ صدر الدين القونوي الى ديار مصر رسولا اجتمع بالشيخ أبي الحسن وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة والشيخ مطرق الى ان استوفى الشيخ صدر الدين كلامه فرفع الشيخ أبو الحسن الشاذلي رأسه وقال اخبرني أين قطب الزمان اليوم ومن هو صديقه وما علومه قال فسكت الشيخ صدر الدين ولم يرد جوابا وطريقه رضي الله عنه طريق الغنى الاكبر والتوصل العظيم حتى انه كان يقول ايش الشيخ من ذلك على نعبك انما الشيخ من دلك على راحتك ونشأ رضي الله عنه على يديه رجال منهم من أقام بالمغرب كأبي الحسن الصقلي وكان من أكابر الصديقين وعبد الله الحبيبي وكان من أكابر أولياء الله تعالى

فلما حضر ذلك الامير تشاهم عليه ولم يقم له فتعجبت من مثل ذلك فان التشاهم انما يكون ممن لا يقبل من الظلمة شيئا ولا يحتاج اليهم فى شئ كالاشياخ الصادقين الذين مضوا وأما النصاب فلا يناسبه مثل ذلك * وكان من خلق سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه تعظيم الولاة بطريقه الشرعى ويقول انما نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن التواضع للاغنياء اذا طمعنا فى دنياهم أو علمنا بان تعظيمنا لهم يزيدهم طغيانا وغفلة عن الله تبارك وتعالى وأما اذا تعففنا عما فى أيديهم وتعاطينا الاسباب التى تميل قلبهم الينا حتى يحبونا ويقبلوا شفاعتنا فى مظلوم مثلا فلا حرج علينا فى ذلك والاعمال بالنيات انتهى * وكان رضى الله تعالى عنه اذا زاره أحد من الاكابر يمشى معه الى خارج باب داره يشيعه ويقول له حصل لنا سرور بروئيتكم اليوم واذا أرسل له هدية ردها عليه ويقول له ارسلها الى أحد من المحتاجين الهها فانى غير محتاج ثم يقول اذا عظم صاحب ولاية هذا أدبنا مع ولاة أمورنا فى هذه الدار وسيعلمنا الله تبارك وتعالى الادب مع أكابر الدار الآخرة اذا انتقلنا اليها ان شاء الله تعالى كما تقدم ايضاح ذلك مرارا ومر ابن موسى المحتسب أيام السلطان الغورى على الشيخ وهو فى حانوته فنزل الشيخ وقبل ركبته وهو راكب ودعا له فانكر بعض الفقهاء على الشيخ فقال له الشيخ انما قبلت ركبته أدبا مع الله تعالى الذى ولاه وجعل الناس يسمعون قوله فاذا اخفت البضائع من السوق يبعث مناديه ينادى للناس الذين يحتكرون الطعام عن المحتاجين أخرجوا ما عندكم فيخرجون البضائع حتى يمتلئ السوق أفتقدر أنت يا فقيه على مثل ذلك فسكت الفقيه ثم حكى لى ان بعض الفقراء رأى سيدى عبد الله بن أبى حجيرة الشاذلى رضى الله تعالى عنه وهو جالس على كرسى وعليه خلعة خضراء والانبياء والاولياء واقفون بين يديه غاضون طرفهم فاستنكر ذلك وقال كيف يقف الانبياء بين يدى واحد من الناس فقص ذلك على بعض الاولياء فقال له لا تستنكر ذلك فان أدب الانبياء ليس هو مع لابس الخلعة وانما هو مع الله عز وجل الذى ألبسه فزال الاستنكار ثم قال له أما رأيت أكابر الدولة وهم راكبون امام بعض غلمان السلطان اذا ألبسه خلعة أدبا مع السلطان لا مع الغلام انتهى ثم لا يخفى ان التردد للاكابر مع السلامة منهم ليس هو لكل فقير انما هو لكمل العارفين وقد طلبت مرة انى أذهب الى زيارة أمير بلغنى انه عازم على زيارتى حملا للمشقة عنه فنهانى أخى العبد الصالح الامير شجاع كخية الغرب وقال لى ان هؤلاء لا يحملونك على انك تزورهم أدبا مع الله عز وجل الذى ولاهم ولا يعرفون لذلك طعما وانما يحملونك على زيارتهم طلبا لدنياهم اسوة غيرك من النصابين فتذل نفسك بزيارتك لهم وتحملهم الاثم من جهتك فمن ذلك اليوم ما ذهبت الى أحد من ولاة الزمان وانما أراسلهم فى حوائج الناس خوفا على دينهم لا غير * وبالجملة فمن أراد اكرام الولاة له وتعظيمهم له واعتقادهم فيه فلا يأكل لهم طعاما ولا يقبل منهم صدقة ولا هدية الا ان كانوا صادقين فى المحبة له بحيث يشهدون الفضل له اذا أكل من طعامهم أو قبل هديتهم فان مثل هؤلاء ارتفعوا عن درجة المعتقدين الذين لا ينبغى أكل طعامهم لان الاكل من طعامهم أكل بالدين والفرق بين المحب والمعتقد ان المحب يطعمك كالوالد سواء كنت صالحا أو غير صالح وأما المعتقد فلا يطعمك الا لاعتقاده فيك الصلاح فاذا أكلت طعامه كأنك أكلت بدينك ولا بد أن تعتقد حل ما تأكله وتسلك طريق الاستقامة مع الله تبارك وتعالى وأنا أضمن لك حصول التعظيم والاعتقاد التام وأما من يخالف ما ذكرناه فان حصل له عندهم جاه واعتقاد فانما ذلك بطريق نصب وحيل وخداع يسأله الله تبارك وتعالى يوم القيامة عنه * وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من أراد اجلال الله تبارك وتعالى له فى قلوب عباده فلينظف باطنه من الرذائل وليجل الله تعالى بقلبه حتى لا يتحرك ولا يسكن الا وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى يراه وأما من يظهر للناس خلاف ما يضمر من النفاق والخداع فان الناس يعاملونه بمثل ذلك فيعظمونه خداعا ونفاقا فى وجهه فاذا غاب عنهم وصفوه بما يعتقدونه فيه ويقطعون فروته من ورائه * وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول كيف يقبل الفقير هدايا الظلمة ويرهم واحسانهم ثم يطلب له المقام فى قلوبهم هذا أمر لا يكون وهو من قلب الموضوع لانه صار معدودا من عائلة الظلمة وكيف تطلب العائلة ممن يعولها انه يخضع لها ويقبل يدها ورجلها ثم يحكى ان بعض الامراء كان يعتقد سيدى محمدا الحنفى

ومنهم من أتى معه وهاجر الى ديار مصر منهم سيدنا ومولانا حجة الصوفية علم أهل الخصوصية شهاب الدين أحمد بن عمر الانصارى المرسى رضى الله عنه ومنهم الحاج محمد القرطبى وأبو الحسن البجائى وأبو عبد الله البجائى والوجهانى والخراز ومنهم من صحبه بديار مصر منهم الشيخ مكين الدين الاسمر والشيخ عبد الحليم والشيخ الشرف البونى والشيخ عبد الله القانى والشيخ عثمان التوريجى والشيخ أمين الدين جبريل ولكل من هؤلاء علوم وأسرار واسرار آت وأصحاب أخذوا عنهم تركنا تتبع كراماتهم وخصوصياتهم لئلا نخرج عن غرض الكتاب وطريقه رضى الله عنه تنسب الى الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام ينسب الى الشيخ عبد الرحمن المدنى ثم واحد عن واحد الى الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول طريقنا هذه لا تنتسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد الى الحسن ابن على بن أبى طالب وهو أول الاقطاب وانما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند اليهم طريق الانساب من كانت طريقه بلبس الخرقة فانها رواية والرواية تتعين بتعين رجال سندها وهذه هداية وقد يجذب

رضى الله تعالى عنه اعتقادا زائدا فارسل الامير اليه مرة نحو نصف ويبة فضة فدخل بها القاصد والشيخ جالس على الكرسى فصار يحفن منها ويرمى للناس حتى فرغت الفضة فاخبر القاصد بذلك سيده فركب وجاء الى الشيخ وقال له انما أرسلها اليك لتتوسع أنت بها فقال الشيخ للامير خذ ثيابك واملأ لى دلوا من هذا البئر أتوضأ منه ففعل فثقل الدلو عليه فلما أطلعه الا بجهد فنظر فيه فاذا هو ذهب أحمر فقال له الشيخ صبه فى البئر واملأ غيره فطلع الدلو كذلك ذهبا حتى فعل ذلك معه ثلاث مرات فقال له قل للبئر ان محمدا يطلب منك ماء الوضوء فطلع الدلو ماء فقبل الامير رجل الشيخ واستغفر ثم يقول سيدى ابراهيم رضى الله تعالى عنه فلو ان سيدى محمدا أخذ الفضة لنفسه أو شكر فضله على ذلك لما قام له فى قلبه جاه بعدها ومن هنا قالوا الوزن الذى يقبل هدايا الامراء مقام نفسه قبل أن يأخذها ومقامه بعدها لما وجد مقامه بعده يجىء قيراطا من مقامه قبل الاخذ ومن شك فى قولى هذا فليردمن أتاه بشىء من الذهب مع حاجته اليه فانه يحس بان مقامه عظم فى عين صاحب الذهب بيقين عكس حاله اذا قبله وقد بلغنى عن بنى بغداد أنهم يقولون قد سئمت نفوسنا من كثرة ما يسألنا الفقهاء والفقراء وبعضهم جعل نزوله كل سنة الى مولد سيدى أحمد البدوى حجة فى سؤالنا وقبول صدقتنا وربما أنه لم يدخل قبة سيدى أحمد مطلقا فيضرب خيمته خارج الملقة ويصير يأخذ ما يأكل هو وجماعته وبهائمه ثم اذا انقضى المولد يأتى الى محلة المرحوم يسألنا بعياله وبقاله ويزعم انه انما نزل لزيارتنا شوقا الينا وهو كاذب فاننا لسنا من العلماء حتى يستفيد منا علما ولا من الصالحين حتى ندعو له ولا عندنا شىء من الحلال حتى يأخذ منه ما طلبه فما بقى الا انه نصاب فاسق انتهى فاياك يا أخى من وقوع مثل ذلك منك وسمعت جماعة الوزير على باشا يقولون قد سئمت نفسنا من كثرة ما يسألنا هؤلاء المشايخ ونعطيهم من العدس والعسل والفلوس ثم انهم يقولون عنا اننا ظلمة فلاى شىء يأخذون منا ولوان مثل هؤلاء شموا رائحة الطريق لتعففوا عما فى أيدى الخلائق فكانوا يعظمون فى عيونهم وطلب بعض الفقراء من خازن دار الباشاه الزيارة فقال ان زاره أستاذى زرته تبعا له وان زارهو أستاذى لم أزره لانه مريد من جملة مريدى أستاذى فانا وهو سواء فى الدرجة انتهى فاياك يا أخى أن تتخذ صلاحك وليسك الجبة وارخاء العذبة شبكة تصطاد بها الدنيا فتخسر مع الخاسرين وعليك بالورع تفز مع الفائزين فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لولاة أمور المسلمين ومشاركتى لهم فى الهموم والامراض لاسيما السلطان الاعظم وقد مرضت لمرضه مرتين وضربت على مفاصل رجلى مرات آخرها فى شهر رمضان سنة احدى وستين وتسعمائة لما سافر لقتال الروافض ومكثت مريضا من أول رمضان الى آخره فلما شفى السلطان شفيت وجاءنى فى المنام وضرب خيامه من الخليج الحاو رابينى الى بولاق وكانت خيمته خضراء من ياقوت وفتح طاقة بيتى وقال شكر الله فضلك ثلاث مرات ولقى شخص من أرباب الاحوال الشيخ نور الدين الشربينى وقال له لولا ان عبد الوهاب حمل عن السلطان وجع الرجل فى سفره مالقى خيرا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لتردد أحد من الاكابر الى من علماء وفقراء وأمراء فانا بحمد الله تعالى أتشوش من ترددهم الى تعظيما لهم لاسيما ان أتى أحد منهم ماشيا كما فعله الشيخ العالم الصالح الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى والشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى فسح الله تبارك وتعالى فى أجلهما ونفعنى والمسلمين ببركتهما فانى أكاد أذوب من الحياء منهما لعجزى عن مكافأتهما بنظير ذلك ولعلى بانهم ما ترددوا الى الا لظنهم فى الصلاح والبركة وأنا أعرف انى لست بصالح وان صفات نفسى أنجس من ماء خرارة المذبح وكان ذلك من خلق سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهما فكانا يقولان اسع الى اخوانك قبل أن يأتوا اليك ولا تنقطع عنهم بحيث يستوحشون اليك فيأتون لزيارتك واياك أن تحب ان أحدا يتردد اليك من غير ان تتردد أنت اليه كما يفعله بعضهم ممن لم تربهم الاشياخ فان جميع ما مع الفقير فى هذا الزمان من المدد قد لا يجىء حق طريق واحد يمشى اليه * وقد رأى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه شخصا يقول

الله العبد اليه فلا يجعل عليه منة لاستاذ وقد يجمع شمله برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون آخذا عنه وكفى بهذا منة ولقد قال لى الشيخ مكين الدين الاسمر رضى الله عنه أنا مار بانى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عن الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه انه كان يقول أنا لا منة لاحد على الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذا أراد الله أن يتفضل على عبد ويغنيه عن الاستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل وقال مالك لبعض جلسائه انى أريد ان أجعل وزيرا قال ليس لى فى هذا سلف قال انى أريد ان أجعلك سلفا لمن بعدك ولنقتصر على هذا القدر فانه كاف فى التعريف بقدر الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه وما الامر الا كما قال القائل

وقد وجدت مكان القول ذا سعة

فان وجدت لسانا قائلا فقل

وبدأنا بذكر الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه وان كان قصدنا فى وضع الكتاب ذكر مناقب شيخنا أبى العباس رضى الله عنه لكن فعلنا ذلك لامرين أحدهما ان ذلك تعريف بقدر الشيخ أبى العباس لان شرف التابع بشرف المتبوع ولان الشيخ كان هذا شأنه ذكر الشيخ والدلالة عليه والاعراض عن

لفقير ما عندنا ننظر كم فرحه وقال لاى شئ ما تذهب أنت اليه اذا اشتقت اليه * وكان رضى الله تعالى عنه اذا بلغه ان أميرا عازم على زيارته يذهب هو الى بيته ويزور ذلك الامير ويقول أنا أقل كلفة فى المجىء اليك من مجيئك الى ولامه بعض الناس على ذلك فقال انما ذم السلف الوقوف على أبواب الامراء لمن يخاف على نفسه الفتنة أو وقف يطلب منهم شيأ ونحن بحمد الله لا نركن اليهم اذا دخلنا عليهم لزيارة أو عيادة ولو أنهم اعطونا شيأ لانقبله منهم وانما نأتيهم لنسوق اليهم خيرا وتقدم قريبا ان محل طلب زيارة الفقير للامير ما اذا لم يترتب عليه محظور فراجعه * واعلم يا أخى ان لصاحب هذا الخلق علامة وهى أن ينشرح صدره اذا تركه الا كابر الذين كانوا يترددون اليه وترددوا الى أحد من أقرانه وينقبض خاطره اذا تركوا أقرانه وترددوا اليه فان الصادق يحب غفلة الناس عنه ونسيانهم له خوفا أن يشتغل بهم عن ربه عز وجل والكاذب بالعكس وقد رأيت شخصا انقطع فى بيته وزاويته يعتب على بعض الناس عدم تردده اليه فقلت له عتابك للناس على ترك ترددهم اليك يخالف ما أشعته عن نفسك فى مصر من محبة العزلة والانقطاع الى الله تبارك وتعالى فما درى ما يقول فعلم ان كل ما فيه تفعل من العبد غالبا فهو مذموم وهو الى صفة النفاق أقرب بخلاف ما ليس بتفعل وانما دعاه الى ذلك صدق التوجه الى الله تبارك وتعالى كالشيخ شاهين حين انقطع فى الجبل وكالشيخ دمرداش حين انقطع فى الصحراء فمثل هؤلاء كانوا يفرحون اذا غفل الناس عنهم وقد سمعت مرة الشيخ شاهين رضى الله تعالى عنه يقول والله مالى حاجة فى توسعة مطالعنا الى الجبل حتى يطلع الينا الناس بالدواب ولا بعمارة مسجد عندى لان ذلك يجمع الناس ويكثر الزائرين والعقل يشهد بصدقه رضى الله تعالى عنه فرحم الله تبارك وتعالى من تبعه فى ذلك الرحمة الواسعة آمين اللهم آمين والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) ردى كل ما يأتينى من مال الولاة فان أبوا أن يقبلوه رميته لكل من كان حاضرا من الناس ولا أقبل منه نصفا واحدا لنفسى ولا لعيالى وكثيرا ما يرسل الاكابر الى مالا سرا الا يعلمه الا الله تبارك وتعالى فاخرج به للفقراء وأفرقه عليهم ولا أمسك منه درهما واحدا ولا لولدى ولم أر أحدا من أقرانى يفعل مثل ذلك بل رأيت من يقبل المال على اسم الفقراء ويسمى لقاصد صاحب المال أسماء خلائق على غير مسمى ويوهمه انه يفرق ذلك المال عليهم فقال له بعض القصاد يوما أما تأخذون لعيالكم شيأ فقال قد عاهدت الله أن لا آكل من مال الولاة أبدا فتفرس فيه القاصد الكذب فأمر غلامه أن يتخلف بعده حتى ينظر ايش يفعل سيدى الشيخ فى ذلك المال فرآه أعطاه لخازنداره فتسامع الفقراء فأتوا الشيخ فلم يعط أحدا منهم نصفا وقال هذا مال أرسله الباشا لى بالخصوص فأخبر الغلام بذلك أستاذه فتعجب من ذلك وأخبر بذلك الباشا فقطع عنه بره وحسنته فاياك يا أخى أن تفعل مثل ذلك فتخون الله ورسوله وتخون نفسك وصاحب الصدقة والفقراء ولما بلغ بعض الحسدة انى أرد مال الولاة قال هذا ليس بتمام عندنا فبلغ ذلك الامير محمد الدفتردار فارسل الى ذلك الحاسد بالمال الذى رددته أنا وكان ذلك بحضرة جماعة فرده وقال هذا شئ ما فعلته قط فلما رد القاصد الى الدفتردار قال الذى ألقاه الله فى قلبى ان هذا ما تفعل ولم يرد ذلك الا خوفا من لوث الناس به ولكن خذ هذه الصرة وأعطها له ليلا فى جامع الازهر وجعل فى الصرة رملا وشقفا فلما دخل القاصد بها الى الجامع وجده تحت دكة المؤذنين فأعطاها له فقبلها وانشرح وانبسط وقال سلم على الامير وقل له جزاك الله تعالى عن الفقراء والعلماء خيرا فقال له القاصد يا بطال ترد الذهب فى النهار بحضرة الناس وتقبل الشقف والرمل ليلا فخجل وافتضح ووقع لى أيضا ان الامير أحمد الدفتردار زارنى وعرض على ألف نصف فرددتها فخرج ثم أرسلها الى مع غلامه وقال أعطها له بينك وبينه بحيث لا يراك أحد لظنه انى رددتها عليه حياء من الناس فلما جاءنى بها قلت له يا أخى شئ لم أقبله من استاذك أقبله من غلامه ورددتها عليه ثانيا فتحقق انى ما رددتها الا تورعا فاعتقدنى غاية الاعتقاد وقضيت عنده بعد ذلك عدة حوائج للناس وهذا الامر قد أعطاه الله تبارك وتعالى لى من حين كنت صغيرا لا أعرف الرياء ولا النفاق انتهى وانما ذكرت لك يا أخى هذه الوقائع لتقتدى بى فيها وترد الدنيا خالصا لا لعلة والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

ذكرته لأمه هو فى نفسه حتى قال له انسان يا سيدى نراك تقول قال الشيخ قال الشيخ وقل ان تسند لنفسك شيأ فقال الشيخ لو أردت على عدد الانفاس ان أقول قال الله قلت قال الله ولو أردت على عدد الانفاس ان أقول قال رسول الله لقلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شئت على عدد الانفاس ان أقول قلت أنا قلت أنا ولكن أقول قال الشيخ أو أترك ذكر نفسى أدبا وقد تم الكلام فى الباب الاول والله تعالى سبحانه أعلم

(الباب الثانى)

فى شهادة الشيخ له انه الوارث للمقام والحائز قصب السبق بالتمام واخباره هو عن نفسه بما من الله به عليه من النعم الجسام وشهادة الاولياء له انه بلغ من الوصول الى الله تعالى لافضل مرام وانقدم امام ذلك مقدمة * اعلم أن الوارث للرجل هو الظاهر بعلمه وحاله وهو الذى يظهر طريق الموروث على يديه يفسر مجملها ويبسط مختصرها ويرفع منارها ويبث أنوارها يعرف الناس بما كان ذلك الرجل الكبير عليه من العلم بالله تعالى والمعرفة والنفوذ اليه والاحتظاء من نوره حتى اذا فرط الناس فى محبة ذلك الرجل الكبير وتعظيمه فى حال حياته استدركوا ذلك بعد وفاته لان كل مقدور عليه مزهود فيه وكل محجوز عنه متطلع

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم خوفي من أحد من الولاة بسبب كلام نقله لهم بعض الحسدة في حقهم عني أو نحو ذلك الا ان كان الخوف منهم يرجع الى الخوف من الله عز وجل كما اذا خفت من الله تبارك وتعالى أن يسلطهم على بذنوبي فان ذلك لا يقدح في كمال مقام المؤمن وقد وقع لموسى عليه السلام وغيره الخوف من الخلق ويجب حمل ذلك جزما على ما قلناه لان الاكابر لا يشهدون الامور الا من الله تبارك وتعالى أصالة وان شهدوها من الخلق فانما ذلك بحكم التبعية وأيضا فان في كل مؤمن جزأ يخاف من الخلق ويجب على كل مؤمن كف الضرر عن نفسه قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وانما كنت لا أخاف من الظلمة لعلمي بأنهم لا يسلطون الا على من يحب الدنيا بقلبه وأنا أعلم من نفسي انها لا تحب الدنيا وليس فيها بحمد الله تعالى الا محبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الاولياء والصالحين رضي الله تعالى عنهم وساكن البيت يحميه من كل ظالم واعتقادي في رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحميني باذن الله عز وجل من كل سوء في الدنيا والآخرة فعلم أن من لم يحب الدنيا فلا يتسلط عليه أحد من الظلمة سواء كان خالي اليد منها بالكلية أو عنده مال لكن في يده لا في قلبه فلو أراد الظالم أن يؤذي مثل هذا لما أقدره الله تبارك وتعالى عليه وتأمل يا أخي المجاذيب لما تحقق الولاة منهم تركهم للدنيا كيف صاروا يقبلون أقدامهم ويخافون منهم ومن تغير خاطرهم عليهم وقد قال لي صاحبنا الامير خضر الكاشف بالشرقية والقليوبية لقيني مرة الشيخ علي البراسي المجذوب في طريق قليوب ومعي العسكر فقبض على طوقي وأنزلني من فوق الفرس وصار يصفعني ويضربني على عمامتي حتى هدمها في عنقي بحضرة عسكر السلطان وصرت أرعد من هيبته وأنا خائف منه ثم سألني أن أطيب خاطره عليه هذه حكايته لي عن نفسه فلو أن أحدا من المحبين للدنيا أراد أن يفعل بالكاشف مثل ذلك لم يقدر ولو قدر أنه فعل ذلك لكانوا يضربونه ويحبسونه أو يقتلونه أصلا فعلم ان كل من تحقق بالزهد في الدنيا حكمه الله تبارك وتعالى في الولاة ولم يقدر الولاة أن يحكموا فيه ولو كانت عمامته عمامة قاض وثيابه ثياب أمير فافهم ذلك ترشد ومن هنا تصدر العلماء العاملون لازالة منكرات الولاة كالشيخ محيي الدين النووي والشيخ تقي الدين الحصني ونحوهما لكمال زهدهم في الدنيا ولو انهم كانوا يحبون الدنيا ومناصبها لما قدر أحد منهم على مخاصمة أحد من الولاة ولا ساعدته القدرة الالهية على مثل ذلك وقد حكى السخاوي في مناقب النووي رضي الله عنه ان النووي أنكر على نائب الشام لما أراد أن ينقل كتب العلم التي في خزانة الجامع الاموي الى بلاد العجم وأغلظ عليه القول فأراد نائب الشام أن يبطش به وكان في فرش نائب الشام جلود نمار وسباع فأشار الامام النووي اليها فقامت سباعا ونمارا بقدرة الله عز وجل وكشرت بأنيابها على نائب الشام فخرج منها هاربا هو وجماعته ثم صالح الشيخ وقبل رجله وكذلك بلغنا ان الشيخ تقي الدين الحصني رضي الله تعالى عنه هدم وكالة عمرها نائب الشام وأخرج حائطها في طريق المسلمين فأرسل نائب الشام اليه من يقتله فلما جاء وجد عند كتف الشيخ سبعا عظيما قدر الفيل فخاف ورجع الى نائب الشام ولم يقدر أن يفعل فيه شيأ فهكذا كان العلماء العاملون رضي الله تعالى عنهم وقد كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كل من لم يقدره الله تبارك وتعالى على حماية نفسه من الولاة فليس له أن يتعرض لازالة منكراتهم خوفا أن يقتلوه أو ينفوه فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حلمي للعلماء الذين يدخلون على الامراء ولا ينصحونهم ولا يأمرونهم بمعروف انهم لم يتركوا ذلك الا عجزا أو انهم لم يروا عندهم منكرا وقد كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول لاصحابه من أدرك منكم النصف الثاني من القرن العاشر فلا يشدد في ازالة منكرات الولاة لان في ذلك الزمان تترادف علامات الساعة التي أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم ومن شدد في منع وقوعها أصلا فكأنه ساع في خلف ما وعد به الشارع ولا يخفى ما فيه قال وعلى ذلك يحمل حديث الطبراني مرفوعا اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بخويصة أنفسكم ودعوا عنكم أمر العامة انتهى قلت لكن قواعد الشريعة تشهد لوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقا ولو كان

كان فلان وربما دخل في طريق الرجل بعد وفاته أكثر مما دخل فيها في حياته والذي ظهر بهذه الاوصاف هو الشيخ أبو العباس الذي بث علوم الشيخ أبي الحسن ونشر أنوارها وأبدى أسرارها وسار الناس اليه من أقاصي البلاد وأقبلوا مسرعين اليه من كل ناد فقد شاهدت على يديه الرجال وبصرها وأظهرها بالمقال والفعال حتى انتشرت في الآفاق الاصحاب وأصحاب الاصحاب وظهرت علوم الشيخ في مظاهري لسان وكتاب وأخبرني الشيخ الصالح الامين العدل زكي الدين الاسواني قال قال لي الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يا زكي عليك بأبي العباس فوالله انه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء الا وقد وصله الى الله يا زكي عليك بأبي العباس فوالله ما من ولي لله كان أو هو كائن الا وقد أظهره الله عليه يا زكي أبو العباس هو الرجل الكامل وسمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول عن نفسه والله ما سار الاولياء والابدال من ق الى ق حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم ثم قال والله الذي لا اله الا هو ما من ولي لله كان أو هو كائن الا وقد

ذلك الأمر من علامات الساعة الأ أن يخاف الانسان على نفسه من ذلك حصول ضرر شديد لا يحتمله عادة وقد كان الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه يقول لو كشف لولي ان فلانا لابد أن يزني بفلانة أو يشرب الخمر مثلا وجب عليه النهي لان نور الكشف لا يطفئ نور الشرع غايته ان الله تبارك وتعالى اطلع بعض أوليائه على تقديره على عبده وجميع ما أوجب سبحانه وتعالى علينا ان ننهى عنه كله من تقديره باجماع أهل السنة فالايمان بأن ذلك من تقدير الله تعالى أو مشاهدته من طريق الكشف لا يسقط الامر بالمعروف لان الله تبارك وتعالى قد تعبدنا بازالة المنكرات ولو شهدنا كشفا بانها بارادته وخلقه تعالى * وفي كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه اياك أن تخرق سور الشرع يامن لم يخرج عن عادة الطبع فان الذي أشهدك ان كل شئ في الوجود خلقه هو الذي أمرك بازالة المنكر انتهى فعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينافي التسليم لله تبارك وتعالى فالعبد يسلم لربه تعالى من حيث تقديره على عباده ويقوم بما كلف به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه ليس للعبد أن يقف مع ظاهر الحديث السابق ويقول قد وجدت العلامات التي أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم وما بقي على أحد وجوب في أمر غيره بمعروف وانما يترك العبد ذلك اذا خاف على نفسه ضررا شديدا من قتل أو نفي من بلده أو اخراج وظائفه التي بها معاشه ونحو ذلك ولعله مراد الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله فعليكم بخويصة أنفسكم أي لانه يخاف عليكم حينئذ من الضرر الذي لا تطيقونه ولا تجدون معينا يعينكم عليه هذا لا يبعد فليس في الحديث تصريح باسقاط أصل الامر بالمعروف انما فيه الامر بعدم التشديد فيه لان أمر الشارع صلى الله عليه وسلم لا يترك اختيارا الا اذا نسخ ولا ناسخ لامره صلى الله عليه وسلم بعده الى قيام الساعة حتى ان عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وردفتأمل ذلك وحرره والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم خوفي من مخلوق مطلقا من حية أو عقرب أو تمساح أو لص أو جن أو غير ذلك وانما أتحرز من هذه المذكورات عملا بالشرع من حيث انه تعالى قد أمرني أن لا ألقي بنفسي الى التهلكة كما مر تقريره قريبا لا خوفا من ذلك المخلوق مع غفلتي عن كون ذلك من الله تبارك وتعالى وهذا الامر قد أعطاه الله لي من حين كنت دون البلوغ فلا أهاب سبعا ولا سفرا في ليل مظلم وان وقع مني خوف من جهة الجزء الذي في نشأة كل انسان فذلك الجزء ضعيف لا يكاد يظهر له صورة لغلبة عسكر اليقين والتوكل على الله عز وجل على ذلك الجزء فافهم وقد وقع لي انني نمت في شيخ مدفون في قبة مهجورة وكانت القبة كلها ملآنة أحجارا فيها ثعابين كبار لا يتجرأ أحد منها ان يزور الشيخ لا ليلا ولا نهارا الا من خارج القبة فدخلت الشيخ في ليلة مظلمة أيام الشتاء ونمت فيها فصار الثعابين يدورون حولي الى الصباح ولم يتغير مني شعرة فلما طلع النهار وجدت مكان سعيهم في السباخ يشبه ذراع الآدمي في الغلظ فتعجب أهل البلد من ذلك وقالوا لي كيف سلمت في هذه الليلة فقلت لهم اعتقادي أن الثعبان لا يلسعني الا ان ألهمه الله تعالى ذلك فيقال له بلسان القدرة اذهب الى فلان فالسعه في المكان الفلاني من جسمه ليمرض أو يعمى أو يموت ولا يمكن الثعبان أن يلسع أحدا بلا ارادة الله عز وجل ومن نظر الى السوابق لم يخف من اللواحق وقد سبقني الى نحو ذلك شجاع الكرماني رضي الله تعالى عنه كان يذهب الى الغيضة فينام بين السباع الى بكرة النهار ليمتحن نفسه في اليقين فكانت السباع تشمه وتمشي حوله ولا تضره وكان رضي الله تعالى عنه يقول ما أمثل نفسي في الليلة التي أنام فيها بين السباع الا بليلة عرسي ونومي مع العروس * ومما وقع لي في سنة تسع عشرة وتسعمائة انني سافرت الى الصعيد فتبع مركبنا تماسيح نحو سبعة كل تمساح قدر ثور ففزعت الناس كلها من الجلوس على حافة المركب خوفا من ان تخطفهم التماسيح فجعلت في وسطي مئزرا ونزلت البحر بين التماسيح فهربت كلها مني فطاردتها في البحر ثم رجعت الى المركب فتعجب الناس من ذلك * ومما وقع لي مع الجن ان جنيا كان يدخل علي في بيتي الذي في مدرسة أم خوند في الليل فيطفئ السراج ويصير يرمح في البيت فكان العيال يفزعون منه فكمنت له ليلة وقبضت على رجله فصار يصيح ويرق رجله في يدي وتبرد الى ان صارت كرقة الشعرة الباردة ثم خرجت من يدي فمن ذلك اليوم ما ظهر ونمت

أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله تعالى وبلغني عن الشيخ أبي الحسن انه كان يقول أبو العباس شمس وعبد الحكيم قمر وعبد الحكيم هذا ولي كبير من أصحاب الشيخ أبي الحسن وقد تقدم ذكره وسمعت الشيخ أبا العباس يقول قال الشيخ أبو الحسن سمعت يقال لي لن تهلك أمة فيها أربعة امام وولي وصديق وسخي قال الشيخ أبو الحسن الامام هو أبو العباس وسمعت الشيخ أبا العباس يقول ليس الشأن من ملك الشأن من ملك وملك أن ملك وأنا والله ملكت وملكت ان أملك من سنة وثلاثين سنة وسمعته يقول الولي اذا أراد أغنى وسمعته يقول والله ما بيني وبين الرجل الان أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وسمعته يقول قال الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك الا لتكون أنت أنا وأنا أنت وسمعته يقول قال لي الشيخ يا أبا العباس فيك ما في الاولياء وليس في الاولياء ما فيك وأخبرني بعض أهل البهنسا قال قدم علينا الشيخ أبو العباس فقال لي الآن خمس وعشرون سنة ما حجبت فيها عن الله طرفة عين قال ثم غاب عنا خمسة عشر سنة ثم قدم علينا فقال لي الآن أربعون سنة ما حجبت عن الله طرفة عين وقال يوما والله لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماعددت نفسي مع المسلمين وأخبرني بعض أصحابه قال دخل عليه بدمهور انسان فلما أن أراد أن يخرج قال ياسيدي صافحني فانك قد لاقيت عبادا وبلادا فلما خرج قيل ما الذي يعني ببلاد وعباد فقال انسان يريد انك صافحت عبادا وسلكت بلادا اكتسبت بركاتها فاذا صافحك حصل له منك بركة فضحك الشيخ ثم قال والله ما صافحت بهذه اليد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بشبين القناطر رجل يقال له خليل وهو الآن مدفون بها وكان من أولياء الله تعالى قال دخل على الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فتوضأ عندي ثم أخذ قوسا لي فجرها ثلاثا فقلت له سيدي من هو الخليفة بعدك فقال من يأتيك الى ههنا ويتوضأ نحو وضوئي هذا ويجر هذا القوس ثلاثا فهو الخليفة بعدي قال فدخل على أصحاب الشيخ اجمعهم وأنا أترصد هل يفعل ذلك أحد فلم يتفق حتى دخل الشيخ أبو العباس رضي الله عنه علي في ذلك الوقت وتوضأ نحو وضوء الشيخ ورفع بصره فوجد القوس معلقا فقال ناولني تلك القوس فناولته اياها فجرها ثلاث مرار ثم قال يا خليل جاءك وعد الشيخ وبلغني عن الشيخ أبي الحسن انه قال هذا أبو العباس منذ نفذ الى الله لم يحجب ولو طلب الحجاب لم

مرة عند شخص من أصحابي في قاعة مهجورة كالهاجن فأوقد السراج بعد العشاء وأغلق علي الباب وتركني وحدي فجاءني وأطفأ السراج ومعه جماعة كثيرة من الجن فصاروا يرمحون حولي الى الصباح وقلت لهم وعزة الله ان قبضت على أحد منكم ما يقدر أحد أن يطلقه مني ولا الملك الأحمر ونمت وأخذني النوم من غير فزع (ووقع لي) اني دخلت مغطس ميضأة جامع الغمري ليلا لأتوضأ منه وكانت ليلة مظلمة فخبط شيء في المغطس يشبه الفحل الجاموس وغطس فصعد الماء حتى فاض ونزل ناحية الحنفية فنزعت ثيابي ونزلت عليه في المغطس فزهق من تحتي فلم أجده وانما كنت لا أخاف من المؤذيات لاني كنت في مقام التدريج في اليقين وكذلك لا أخاف من اللص لانه لا يطالب مني الا الثياب أو غيرها من امور الدنيا وأنا بحمد الله تبارك وتعالى اذا رأيته سمحت له بها بطيبة نفس ثم أبرأت ذمته في الدنيا والآخرة حتى لا يلحقه اثم من جهتي فلماذا يضربني أو يؤذيني وأنا أعلم انه لا يضربني الا ان قلت له ما أعطيك ثيابي مثلا وبالجملة فلي أن أقاتله ولي ان استسلم له بالطريق الشرعي ولا يجب علي قتاله الا ان كان معي مال الغير وديعة مثلا أو حريم لي أو لغيري ولم يمتنع عن الفجور الا بالمقاتلة وأما المال اذا كان لي فهو عندي أخس من ان أقاتل مسلما لاجله فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تنبيهي في المنام على الامور التي تقع مني في المستقبل من خير أو شر لآخذ حذري منها اذا لم يكن الامر مبرما قد حق به القدر وذلك معدود من وحي الحق تبارك وتعالى الى المؤمن ولا يعرف ذلك ويعتني به الا الاولياء الكمل وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح يقول لاصحابه من رأى منكم رؤيا يعني اعبرها له فكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يرى أثر الوحي في أمته وان اختلف المقام وتفاوتت المراتب ولي أمارات أعرف بها جنس ما يقع مني لا عينه وأعرف بها عظمة الذنب وصغره بالنسبة لما قرره العلماء من صغير وكبير ومكروه فاذا رأيت انني أمشي حول شجر التين أعرف انني حائم حول خصلة دنيئة أريد أن أفعلها كما في قصة آدم عليه السلام واذا رأيت انني آكل من الشجرة أعرف انه لا بد لي من الوقوع في تلك الخصلة وان رأيت أحدا يجني التين ويطعمه لي أعرف انه يساعدني على تلك الخصلة كما وقع لحواء مع آدم عليهما السلام وان رأيت أنني بمجالس الاموات أعرف ان قلبي مات عن فعل الطاعات وان رأيت أني مصاحب لاعمى أعرف اني عميت عن طريق حق فارجع وان نمت عن وردي ولم أتداركه عندي أرى في الليلة الآتية ان رواحلي ضاعت مني وأنا مسافر في أرض كثيرة الوعر والشوك وان نمت عن قيام الليل مع الاوائل أرى نفسي مسافرا الى مكة وقد انقطعت عن الحاج بنحو مرحلة أو أكثر أو أقل بحسب ما تخلفت في الزمان وان نمت عن وقت التجلي الالهي أرى نفسي مضطجعا مع الاموات وان تخلقت بشيء من اخلاق البهائم أرى نفسي مخالطا للبهائم في زريبة وربما رأيت نفسي معانقا لذلك الحيوان الذي تخلقت بأخلاقه من آدمي أو بهيمة وان نمت على غير وتر أرى نفسي تلك الليلة وأنا واقف على باب الوتر من الجنة فأريد أن أدخل منه فيمنعني الملك من الدخول ويقول لي أنت نمت على غير وتر وقد امرت ان لا أفتح هذا الباب الا لمن نام على وتره وأرى الكتابة التي على عتبة الباب الفوقانية وصورتها باب الوتر وان رأيت قلة صفاء معاملتي مع الله تبارك وتعالى أرى كأني أتطهر من ماء منتن الرائحة وهو قليل لا يكفي للطهارة وان رأيت الى كثرة عملي أرى الليلة الآتية انني ألعب مع المحبطين وان فعلت خصلة من خصال المنافقين أرى نفسي حاملا خشبا عظيما غليظا أو متوسطا أو رفيعا بحسب تلك الخصلة أصغرها حطب الطرفاء الشعشاع وان وقع مني غيبة في المسجد أرى كأني أشرب فيه الخمر وأرى نفسي كأني آكل في لحم رجل مشوي أحمر وأنا استحلي ذلك اللحم كالحلاوة فأعرف اني استلذيت بغيبته وان نمت عن قيام ليلة أرى نفسي في مركب وهي منحدرة بي الى جهة دمياط وان نقصت من قيام الليل أرى نفسي منحدرا الى ميت غمر أو سمانود أو غيرها بحسب ذلك النقص وان انحدرت عن بلدي ساقية أبي شعرة أعرف أنني نزلت في المقام عن الحالة التي كنت عليها في الريف قبل مجيئي الى مصر وكأني لم أترق في مصر بعمل من الاعمال التي عملتها وان نمت عن وردي حتى قرب طلوع الفجر أرى نفسي في الليلة التي بعدها كأني تركت صلاة العصر

حتى كادت الشمس ان تطلع وان نمت في الليل وختمت وردى قبل انصراف أهل الحضرة من بين يدى الله تبارك وتعالى أرى كأني صليت الجمعة وحدى قبل الناس ثم انصرفت الى بيتي وان نمت عن قيام الليل في الليالي الفاضلة أرى نفسي في مكة المشرفة وقد تخلفت عن الجمعة حتى كاد الخطيب ان يفرغ من الخطبة الثانية وان كان تخلفي بسبب الاشتغال بلهو أو عمل لا اخلاص فيه أرى نفسي في مكة وأنا واقف على مجالس اللهو والخطيب يخطب في الحرم لم أحضره وان تركت قيام الليل ليلتين متواليتين أرى نفسي جاوزت دمياط ودخلت البحر المالح وان نمت ثلاث ليال أرى نفسي في الليلة الرابعة اني مضطجع معانق شخصا أعمى مزمنا أكتع يخط برجله في الارض وبصاقه سائل على لحيته فاعرف ان مقامي في النهضة للعبادة كحال ذلك الشخص وان سترت عورة أحد من المسلمين أرى تلك الليلة كأن لحيتي مضمخة بالمسك والعنبر والغالية والكافور وان رأيت اني آكل طعاما مخلوطا بغبره أعرف اني مخلط في أعمالي تلك الايام وان رأيت نفسي في حارة الباطلية أعرف اني ارتكبت باطلا فارجع عنه وان رأيت نفسي تائها فيها أعرف اني لا أهتدي للخروج من ذلك الباطل الا بعسر وان رأيت سيدي الشيخ أبا الحسن الغمري رضي الله تعالى عنه وهو متبسم أعرف اني فعلت شيأ حسنا وان رأيته معبسا أعرف اني فعلت شيأ قبيحا وان رأيت الشيخ أمين الدين رضي الله تعالى عنه معبسا أعرف اني عزمت على فعل شئ فيه خيانة للدين فارجع عنه (وقد) عزمت مرة على منع أولاد أخي الشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه أن يخرجوا من باب قاعتي وقلت لهم من باب السر فرأيت تلك الليلة الشيخ أمين الدين وقد فتح بابا من خلوته يطلعون منه الى بيته فعرفت اني خرجت عن وصية الله تبارك وتعالى على الايتام فرجعت عن ذلك لما رأيته فتح بابا من خلوته التي هي محل ماله وحوائجه التي يخاف عليها خوفا من كسر خاطر اليتيم وان خضت مع أحد في مجالس اللغو أرى تلك الليلة كأني عائم في بحر مع أعمى أخاف الغرق أنا واياه وان اغتاب أحد عندي شخصا أو حصل عندي شك في أمر ذلك الشخص أراه تلك الليلة وعليه ثياب نقية البياض فاعرف كذب ذلك المغتاب له وان رأيت اني لابس ثيابا خضرا ملطخة بحبر أعرف ان أحدا ينقصني في مجلس ويقبل بعض الناس ذلك منه فان لباس الاخضر لباس الصالحين ولكنه لم يسلم ممن يجرح في صاحبه وان سمعت غيبة في أحد ولم أردعنه أرى نفسي تلك الليلة وأنا كأني أسمع الآلات المحرمة في مجلس الخمر مع أهل ذلك المجلس وقد صب الخمر على ثوبي فدنسه وان نفرت نفسي من فعل خير أرى كأني منحدر في مركب وهي سائرة كالحجر المرمي في المشرعة وان وقعت في معصية رأيت نفسي في ناحية برشوب الصغرى أعرف صغر تلك المعصية أو ناحية برشوب الكبرى أعرف كبر تلك المعصية وان الله تعالى غضبان علي وان رأيت نفسي تائها في أزقة هاتين البلدتين أعرف اني لا أخرج عن تلك المعصية الا بعسر وان رأيت نفسي في مركب قد أرست على برشوب أعرف اني أقع في شئ عاقبته رديئة وان رأيت اني في الصالحية أعرف ان الحق تبارك وتعالى رضي عني وعفا عني في ذلك الذنب وان رأيت نفسي مقلعا من الصالحية في مركب نحو مصر أعرف اني شرعت في الرجوع الى المقام الذي نزلت منه بفعل ذلك الامر القبيح وان رأيت نفسي مقلعا من مصر العتيقة الى ناحية الصعيد أعرف اني شرعت في الرقي عن مقامي قبل فعل تلك المعصية مثلا وان رأيت نفسي خارجا من باب النصر الى الصحراء أعرف اني غير منصور في تلك الحركة التي أنا فيها في ذلك الوقت وان رأيت نفسي داخلا من باب النصر أعرف انه لابد من نصرتي وان وقعت في تقريب شخص أو في فعل عاقبته رديئة وأنا أحسب أنه حسن أجد نفسي وأنا أغرس شجرة التين التي هي كناية عن حصول الندم بعد ذلك ثم ان غير الله تعالى الحال أجد ذلك الشجر قد تحول خسا أو قلقاسا ونحو ذلك من الخضراوات وان جلست في مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبي يتفكر في شئ من أمور الدنيا أرى تلك الليلة ان بستاني الفاكهة تحول الى شجر شوك وأثل وسدر وان غفلت عن الحضور مع الله تبارك وتعالى أرى شجر بستاني كله قد اصفر من العطش بقدر ما غفلت فيه من مرات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو مرات من الذكر وان عظمت الغفلة تلك الليلة على قلبي ولم أحضر الا قليلا أرى اني موسق مركبا ترابا من بلاد الريف وأنا مقلع بها الى مصر التي هي بلد

هذا في الهواء فقلت له الى أين انتهيت في سياحتك في هذه الليلة فقال خرجت من نشبيل وانتهيت الى جبال الزيتون بالمغرب الاقصى وأنا أريد أذهب الى البيت المقدس وأعود الى بلدتي ولو بسطت لي أكثر من ذلك لانبسطت قال الشيخ فقلت له ليس الشأن أن تذهب الى جبال الزيتون وتعود من ليلتك ولكن أنا الساعة لو أردت ان آخذ بيدك وأضعك على ق وأنا ههنا فعلت وأخبرني أبو عبد الله بن سلطان وكان من أولياء الله قال أردت ان أرسل الى الشيخ أبي العباس عسلا فقلت لبعض أصحابي فقال لي عندي نصفيتان عسل فراخ أي جرتان صغيرتان فائتني بهما فسددتهما وكتبت عليهما وديعة الشيخ أبي العباس المرسي وأتيت بهما الى بحر تونس فادليتهما فيه فجاءني الخبر من عنده انهما وصلا اليه وأخبرني بعض أصحابه قال كان الشيخ جالسا يوما فقال لبعض أصحابه قم بنا فاتى الى بحر السلسلة وأدلى يده فاخرج الجرتين وأخبرني عبد الدائم ابن الشيخ ماضي وماضي هذا أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن وهو أخو

السلطان فاعرف ان عملى تلك الليلة لا يصلح هدية للملوك بوجه من الوجوه وان رأيت أحدا من العصاة الغفور لهم ورجحت نفسى عليه أرى تلك الليلة انى على الصراط وذلك العاصى يحاذينى على الصراط خوفا أن أقع منه فاعرف انه أحسن حالا منى عند الله تبارك وتعالى فأستغفر فى حقه وان تلاهيت عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو عن ذكر الله عز وجل لاجل كلام أحد من الكشاف أو مشايخ العرب الذين يدخلون على وأنا فى المجلس أرى تلك الليلة أن بستانى الفواكه ليس فيه سوى صف واحد بجانب الزرب من شوك وأثل وصفصاف وأشجار غير مثمرة والباقى كله قاع صفصف ليس فيه شجر فمن نظر الى البستان من بعيد يعتقد انه مغروس كله ومن دخله لا يجد فيه شيأ فاعرف ان عملى فى ذلك المجلس لم يتحصل منه شئ سوى الصورة فقط كبساتين أهل سبا وكثيرا ما أرى الصف الذى عند الزرب كالشجرتين فاعرف شدة الندم يوم القيامة وان لم أتدارك أمرى فى الدنيا لم أتداركه فى الآخرة وان مالت نفسى الى جاريتى من وراء زوجتى الممكنة نفسها منى أرى تلك الليلة انى صاحبت كلبة جربا ضعيفة تأكل الذباب الطائر وتلتقطه من الهواء فاذا عطست طار من أنفها بصاق فاصاب ثوبى فأحتاج الى غسله فاعرف ان نفسى عند ذلك كنفس الكلبة المذكورة فى الدناءة والقذارة وطيب نفسها بأكل الذباب الذى يورث القرف والمرض ولما زوجت جاريتى دام السرور وامتنعت من رؤية وجهها نحو سنتين فرفعت طرفى اليها مرة بحضرة زوجها فرأيت تلك الليلة كأنى فى جامع الحاكم وبين يدى قطعة من دم أسود نحو القنطار معجونة بخمر فأنا أريد أن ألحس منها مع انى بحمد الله تبارك وتعالى لم أنظر الى وجهها بشهوة وأعلم ان حكم الامة المزوجة مع سيدها حكم المحارم فى النظر فعلمت بذلك كثرة اعتناء الحق تبارك وتعالى فى منعى من النظر الى جاريتى المزوجة ولو بغير شهوة وشكرته تعالى على ذلك وان أكثرت الكلام فى العلم وأنا غافل عن العمل به أرى نفسى تلك الليلة وأنا معاشر جماعة من الفقهاء المشهورين بعدم العمل بالعلم وان عظمت غفلتى بالتلاهى مع أحد من الخلق أرى نفسى تلك الليلة وأنا فى المقابر أتفرج على أهل السخرية فاعرف انى نسيت الموت والاعمال الصالحة واشتغلت بما لا يعنينى وان سكنت الى خلق مذموم أرى نفسى ساكنا فى الليلة فى بيت أحد من الفسقة وان أكلت طعاما من غير تفتيش على حله أو التبس على وجهه مع التفتيش أرى ذلك الطعام تلك الليلة وقد قدم لى وهو مطبوخ بلحم كلب أو خنزير أو ميتة أو لحم حمار ونحو ذلك فاعالجه بالقئ فان لم يخرج أكثرت من الاستغفار (ومما وقع لى) ان محمد بن أخت خضر أتانى بطعام قلقاس حامض بلحم ضانى وقال كل هذا فان هذا من طعام نخص بعتقدك تزوج الليلة فاكلت منه فرأيت تلك الليلة كأنه يقدم الى طعاما فيه لحم كلب وخنزير وهما معا مطبوخان وأولئك الجماعة الذين أكلوا معى يأكلون معى فى المنام فبحثت عن ذلك فوجدته طعام عبد تزوج وسرق من مال سيده شيأ فعمل به العرس وسيده من مباشرى الظلمة فكأنه حرام بعد حرام من حيث كسب سيده ومن حيث سرقته وان اشتغلت عن الطاعات من أوراد بشئ من الدنيا أرى تلك الليلة ان اللص قد نقب جدار دارى وأراد الدخول الى قعر الدار (والوقائع) فى ذلك كثيرة وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فينبهنى حتى أتدارك ما يمكن تداركه قبل موتى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لرفع صوتى بالذكر محبة فى الله عز وجل وطلبا لأحديذ كر الله عز وجل بذكرى وتنهيضا لهمم الاخوان لا لعلة أخرى من حظوظ النفس فانا أحب اذا قلت لا اله الا الله أن يسمع بها أهل المشرق والمغرب من انس وجن ومسلمين وكفار وقد بلغ الكتمان حده لكونى الآن فى معترك المنايا وما بقيت نفسى بحمد الله تبارك وتعالى تطلب مقاما عند الخلق ولا شيأ سوى رضا الله عز وجل عنها ويا طول ما كتمنا العبادات ويا طول ما أمرت قيم المسجد أن يغلق شبابيك المسجد حتى لا يسمع أحد صوتنا بالورد فيذكر الله تعالى ولو مرة واحدة وأنا الآن أحب لقيم المسجد أن يفتح الشبابيك كلما نذكر فاعل أحدا من المارين يسمع صوتنا فيذكر الله تعالى ولو مرة واحدة محبة فى الله عز وجل ومحبة فى حصول الخير للمارين الغافلين وانما كنت أخفى أعمالى قبل أن يشتهر اسمى فى مصر وغيرها وقد بلغت الشهرة حدها والله

عبدالله بن سلطان قال صليت ليلة عند الشيخ أبي العباس قيام شهر رمضان فلما فرغ من الصلاة قال لولده خذ ابن عمك واصعد به الى فوق قال فطلعنا عند الشيخ فوضع لنا قطائف وعسلا وقال هذا العسل من عند عمك فلما ذهبت الى والدى قال لى أبطأت الليلة لقد شغلت قلبى قلت كنت عند الشيخ أبى العباس وأطعمنى قطائف وعسلا وقال هذا العسل من عند عمك قال فقال أبى عجب هذا لى فى ديار مصر عشرون سنة ما أرسل الى أخى شيأ قط حتى بلغه ان وصول العسل كان على الوجه الذى تقدم وكان يقول والله لو حجبت عن جنة الفردوس طرفة عين ما عددت نفسى مع المسلمين وكان يقول لو فاتنى الوقوف بعرفة فى سنة ما عددت نفسى مع المسلمين وسمعته يقول كان الشيخ اذا أوذيت من بعض أصحابه يقول اصبر فوالله ما هى الا لك أى ما الوراثة الا لك ووجدت بخط الشيخ ابن ناشى أخبرنا الشيخ جلال الدين عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه انه قال ألبس اليوم أبو العباس ثياب البدلية حين يجيئهم من الحجاز بالمراسى بالجدير قال ابن ناشي فكتبت الى شيخى أبي العباس رضي الله عنه فى ذلك شعرا

على ذلك الوجه الجميل تحيتى *

انى لا طالب في بعض الاوقات الخفاء فلا يتيسر لي وأشتاق الى بعض الاخوان فلا أقدر على الخروج اليه لكثرة ماشير الناس الى بالاصابع فاخاف أن أكون معدودا من شر الناس كما ورد ولذلك لبست الطيلسان وصرت أرخيه على وجهي حتى لا أعرف فلم يزل الناس يسألون من يقود بي الحمارة عني حتى صاروا يعرفوني ولو غطيت وجهي فتركت الطيلسان ثم انى قصدت بارخاء الطيلسان على وجهي الآن كف البصر عن فضول النظر وان وقع ان أحدا عظمني أجد ذلك من باب فضل الله تبارك وتعالى لا من باب المكر والاستدراج هذا اقصدي الآن وأزيد في أعمال الشكر لله تعالى (وقد علم) مما تقرر ان ما ورد من ذم الشهرة في نحو حديث من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من النار وما ورد من ذم التسميع في نحو حديث من سمع سمع الله به محمول على من فعل ذلك رياء وسمع الناس باعماله لغير غرض صحيح وسيأتي زيادة على ذلك في نعمة ارخائي الطيلسان على وجهي حياء من الله عز وجل ومن الخلق فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتي للتقليل من مجالسة الاكابر كلهم من العلماء والصالحين وقضاة العسكر والامراء والكبراء خوفا من وقوعي في الاخلال بواجب حقهم لا لعلة أخرى فان حقوق الاكابر يعجز أمثالنا عن الوفاء بها والقاعدة ان كل من كثرت مشاهدة الناس له هان في العيون ولذلك قالوا أقل الناس نفعا بالشيخ زوجته وولده ونقيبه لكثرة مشاهدتهم له ووقوفهم مع ظاهر بشريته دون الوصول الى معرفة قلبه وما فيه من الاسرار والمشاهد النفيسة انتهى (وتأمل) أهل مكة لما كثرت مشاهدتهم للكعبة كيف تجدهم لا يعظمونها كل ذلك التعظيم الذي يقع من الآفاقي ومن هذا الباب أيضا احتجاب الخطيب في خلوة الخطابة كما عمل به العلماء طلبا لتأثير وعظه في قلوب السامعين لان التأثير تابع لشدة الهيبة ولو ان الخطيب جلس يمزح ويلغو ويستغيب الناس الى ان أمر بالصعود الى المنبر على أثر تلك الغفلة واللهو والمعصية لما أثر وعظه في قلوب السامعين من أهل ذلك المجلس وربما وعظهم بشئ فقالوا له بلسان الحال أو المقال قل هذا لنفسك (فعلم) ان مجالسة الاكابر لا تطلب شرعا الا لحاجة ترجح عن البعد عنهم لا سيما ان كانوا أمراء (وقد) قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه اياك والدخول على الامراء ولو أمرتهم ونهيتهم فان ذلك لا يتيسر لك المداومة عليه انتهى وكم ينظر الفقير الجالس عند الامير محرما في مأكله ومدخله ومخرجه وملبسه وملابس غلمانه وهو ساكت لا ينهاهم عن ذلك لا تصريحا ولا تعريضا بل قد رأيت من كان يأخذ البلص على يده للامير ثم ان الامير يستشهد به في أنه لا يقبل باصافيشهد له بذلك ويقول حاشا كم من ذلك حماكم الله من مثل ذلك فالبعد أولى والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تعظيمي للشرفاء وان طعن الناس في نسبهم وأرى ذلك التعظيم من بعض ما يستحقونه على (وكذلك) من نعم الله تبارك وتعالى على تعظيم أولاد العلماء والاولياء واكرامهم واجلالهم بطريقه الشرعي ولو كانوا على غير قدم الاستقامة ثم من أقل ما أعامل به الشريف في الاجلال والتعظيم ان أعامله مثل ما أعامل نائب مصر أو قاضي العسكر وهذا خلق عظيم غريب في هذا الزمان قل من يعمل به من الناس (ومن جملة الادب) مع الشرفاء أن لا يجلس أحدنا على فرش أو مرتبة أو صفة والشريف بضد ذلك وان لا نتزوج لهم مطلقة أو زوجة مات عنها (وكذلك) لا نتزوج شريفة الا ان كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وان يعمل على رضاها فلا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يقتر عليها في المأكل والملبس دون قدرتنا ونقول ان جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار ذلك (وكذلك) لا نمنعها شهوة مباحة سألتنا فيها ونقدم لها نعالها اذا قامت واحتاجت ونقوم لها اذا وردت علينا لانها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك) من الادب أن لا نرى لها بدنا ولو لبيع أو شراء الا ان تعين ذلك علينا شرعا ولا ننظر رجلها اذا كان أحدنا يابع خفاف ولا نمعن النظر اليها في الازار اذا مرت علينا فان ذلك يغضب جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآنا نفعل ذلك (وكذلك) من الادب مع الشريف أن لا يطلب منا شيئا

وصحح لي عقدي وعهدي ونيتي
وأشرقت الانوار من كل وجهة
بتلقينه الاوراد في كل زورة
وأبصرت ما أبصرت من ذلك الذي
فلا تسألوا يا قوم عن تلكمو التي
أنوح عليها لا أبوح ببعضها
ولكنني ان بحت بحت بعبرة
فسبحان من أعمى القلوب عن الذي
تصرف في سر القلوب بهمة
ومن ذا الذي ربي بحضرة شيخه
فأكرم بها من حضرة بعد حضرة
وكان جديرا في الجدير بحلة
غدت حلة الابدال أول سفرة
كذلك قال الشيخ وهو مسافر
بلا وقفة للركب في عام وقفة
أفي الوقت ربان كأحمد الذي
أتاني قرباني على حين فترة
ومدحي له مدح لاحمد الذي
علا في العلا أعلى مقام المحبة

وغنمه ولو فوت يومنا أو عمامتنا أو جوختنا النفيسة الا لعذر يقبله منا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها في جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذرة من التراب (وقد) أوضحنا الكلام على حقوق الشرفاء في كتاب البحر المورود وتقدم أيضا في هذه المنن اننا لا نفتح مجلس ذكر فيه شريف بل نسأله أن يفتح بنا ثم نكون تبعا له فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وممامن الله تبارك وتعالى به على) معرفتي بصوت الشريف وتمييزه عن غيره ولو من وراء حجاب (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به على معرفتي لكلام النبوة وتمييزه عما أدرج فيه (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به على معرفتي بالمساطير الزور وتمييزها من غيرها فأرى الحرف ميتا لا روح فيه عكس الحرف الذى وضع بحق (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به على معرفتي بشهادة الزور فأعرف ذلك من نطقه بالكلمة ثم انى توجهت بقلبي الى الله تبارك وتعالى فحجب عنى جميع ذلك في سنة خمسين وتسعمائة أدبا مع الشريعة المطهرة (وكان) على هذا القدم سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وكذلك أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه ر بما نازعهما أحد في ذلك فيخبرانه باوقات كل معصية وأنها تكررت منه كذا كذا مرة أولم تتكرر فيرجع اليهما ويستغفر (وكان) على هذا القدم أيضا الشيخ محيسن المجذوب المدفون بتربة جامع الجزاوى بالقرب من الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه كنت جالسا عنده وكان برجله اليمنى أكلة فقال له انسان الذى طلع في هذه ان شاء الله يطلع لك في الرجل الاخرى مازحا معه فقال له الشيخ ما يستحق ذلك الا الذى أمسك امرأة جاره فوق الفرن في بلده في الوقت الفلانى فاصفر لون الرجل فقلت له مالك فقال هذا الامر صحيح وله سبع وخمسون سنة ثم صار يتعجب و يقول كان هذا الشيخ في أين وأنا في أين (ثم) من فوائد معرفة صوت الشريف من غيره مبادرتنا الى تعظيمه والادب معه ولا نتوقف على اظهار علامة خضراء في عمامته أو ثبوت نسبه عند حاكم (وكذلك) من فوائد معرفتي لكلام النبوة من غيره أننى أبادر الى العمل به من غير معرفة ماقاله المحدثون فيه من صحة أو حسن أو ضعف وأقدمه على ماشككت فيه (وكذلك) من فوائد معرفتي بالكلام الزور عدم تصديق قائله وعدم الاكل من غلته أو أجرته ان كان مكتوب رزقة أو بيت وهذه الامور قد أعطاها الله تبارك وتعالى لى من حين كنت صغيرا (وقد كنت) وأنا صغير أسمع الخطيب يروى حديثا يقول فيه الليل والنهار مطيتان فاحسنوا السير عليهما واعلموا ان أحدا لا يموت حتى يرى حسن عمله وسوء عمله فكنت أقول في نفسى تركيب هذا الكلام ليس فيه فصاحة لركاكته حتى رأيت الحافظ المنذرى نبه عليه في الترغيب والترهيب وقال في اسناده من لا يوثق به فلا تسأل يا أخى عما حصل عندى من السرور لما وافقنى الحفاظ على ما كان عندى من طريقتهم الظاهرة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل من الصدقات الخاصة الا لضرورة شرعية لظهور المنة فيها بخلاف العامة كالموقوف على الفقراء والمساكين فلا أكره الاكل منه لكن بشرط الحاجة وسيأتى في هذه المنن كراهة أكلى من خبز الخوانق الموقوف على الصوفية لعزة اجتماع شروط الصوفية المنطلق اليها الاسم في عرف أهل الطريق كالجنيد واضرابه فراجعه (وأما) دراهم الزكاة المفروضة فلا أتذكر أنى أكلت شيأ منها ولا لبست وعلى ماتقدم ذكره أوائل الكتاب من أننى من ذرية محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه فأنا شريف فيحرم على الصدقات و بتقدير انى لست بشريف فلى التعفف عن أوساخ الناس وان قبلت شيأ من الزكاة في السنين الخالية فانما كان على اسم المحاويج من الفقراء والارامل والعجائز (وقد) منع الناس زكاة أموالهم في سنة تسع وخمسين ومابعدها فلم يأت الفقراء شئ منها لقلة المكاسب وضعف يقينهم فاسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا القناعة حتى نلقاه آمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) استئذانى بقلبي لربي جل وعلا أو لرسوله صلى الله عليه وسلم أو لاحد من المجتهدين رضى الله تعالى عنهم أو غيرهم اذا كنت أقرأ في قرآن أو حديث أو علم وأردت أن أكلم أحدا في حاجة فأقول بقلبي ولسانى دستور يارب أكلم عبدك في حاجة كذا أو دستور يارسول الله أو دستور يامحمد

الاصفهانى نزيل مكة قال قال لى شيخ صحبته وأنا ببلاد العجم انك ستلقى القطب بديار مصر فخرجت من بلادى قاصدا لذلك فانا في بعض الطريق واذا بجماعة من التتار فامسكونى وقالوا هذا جاسوس فكتفونى ثم تشاوروا في فقال بعضهم نقتله وقال آخرون لا نقتله فبت مكتوفا ففكرت في أمرى فقلت خرجت من بلادى أريد لقاء من يعرفنى بالله والله ماجزعى من الموت ولكن كيف أموت قبل ان أنال ماقصدت فعملت أبياتا ضمنت فيها شعر امرئ القيس منها

وقد أوطأت نعلى كل أرض
وقد أتعبت نفسى باغترابى
وقد طوفت في الآفاق حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب

فما استتممت الانشاد الا وأنا أرى رجلا كث اللحية ظاهر الهيبة أتى الى كالبازى اذا انقض على الفريسة فحل كتافى وقال قم ياعبد الله فانا مطلوبك ثم انى قدمت ديار مصر فقيل لى ههنا رجل يقال له أبو العباس المرسى فذهبت اليه فاذا هو ذلك الرجل الذى حل وثاقى وقال لى لقد أعجبنى تضمينك ليلة أسرت وقولك وذكر الابيات الى آخرها وأخبرنى الشيخ نجم الدين أيضا قال قال لى شيخى اذا

يا ابن ادريس مثلا أن أكلم فلانا كل ذلك مراعاة للادب مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع العلماء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولهذا الادب حلاوة عظيمة يجدها صاحبه لا يعادلها حلاوة ثم ان غفلت عن الاستئذان وكلمت انسانا فلا بد من استغفارى لله تبارك وتعالى حتى يلقى الله تعالى فى قلبى أنه قبل استغفارى (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه اذا كلم انسانا غافلا وهو يقرأ القرآن يستغفر الله عز وجل ألف مرة وان كلم أحدا وهو يقرأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر الله تبارك وتعالى أكثر من سبعين مرة وان كلم شخصا وهو يقرأ فى كلام أحد من العلماء رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم يستغفر الله جل وعلا ثلاث مرات ولم أر لهذا الادب فاعلا الآن من أقرانى غيره فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) جعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة بينى وبين الله تبارك وتعالى فى كل حاجة طلبتها لانه صلى الله عليه وسلم كبير الحضرة الالهية فسؤالنا ربنا جل وعلا بلا واسطته سوء أدب معه صلى الله عليه وسلم ولاننا لا نعرف الادب مع الله تبارك وتعالى لعدم احاطتنا به عز وجل بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك (وفى كلام) سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه اياك ان تحذف واسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الله عز وجل بلا واسطته فانك تكون اذ ذاك مبتدعا لا متبعا والكامل لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه أبدا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لمد رجلى فى ساعة من ليل أو نهار الا بعد قولى دستور يا الله أمد رجلى لاريحها من القرفصاء ثم أمدها بعد ذلك وكذلك الحكم فى مدها نحو المدينة المشرفة أو نحو ولى من الاولياء لا أمدها ناحية أحد منهم حتى أقول دستور يا سيد المرسلين أو دستور يا سيدى عبد القادر يا جيلانى أو يا سيدى أحمد يا ابن الرفاعى أو يا سيدى أحمد يا بدوى أو يا سيدى ابراهيم يا دسوقى ونحوهم من الاولياء الاحياء والاموات كل ذلك لشهودى أننى بين يدى الله تبارك وتعالى أو بين يدى رسوله صلى الله عليه وسلم أو أئمة دينه رضى الله تعالى عنهم على الدوام شعرت بذلك أو لم أشعر فان لم يكن ذلك كشفا كان ايمانا (ولهذا) الادب حلاوة عظيمة لا يقدر قدرها ثم انى اذا حصل لى وجع من كثرة ضم رجلى بحيث انى أعرف أن مثل ذلك الوجع يعذرنى الله تبارك وتعالى فيه بقرينة قواعد الشريعة فحينئذ لا يتأكد على الاستئذان (وقد رأيت) الام اذا خافت على ولدها من القرفصاء تصير تمدد رجلى ولدها كلما قبضهما رحمة به مع ان رحمتها بولدها دون رحمة الله تبارك وتعالى بعبده بيقين فاذا كانت الام تمدد رجلى ولدها مع ضعف رحمتها فالله تبارك وتعالى أرحم وأشفق ولم أر لهذا الادب فاعلا من أهل عصرى الا قليلا فاعمل على التخلق بذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى للنوم على حدث أكبر أو أصغر ظاهر على الجسد أو باطن من حقد أو مكر أو خداع أو غل أو حسد أو تنقيص أحد من المسلمين الا بطريق شرعى كل ذلك مراعاة للادب مع الحضرة التى ننتقل اليها بعد النوم فان الارواح اذا ارتفعت عن الجسم الى السماء لا يؤذن لها فى السجود بين يدى الله تبارك وتعالى الا اذا نامت على طهارة ظاهرة وباطنة فان لم تكن طاهرة كما ذكرنا منعت من السجود والدخول لحضرة الله عز وجل فتصير واقفة خارج الحضرة لا تقدر على السجود ولو انها سجدت خارج الحضرة على حدث لم تقبل فى عالم الارواح فصلاتها باطلة وتأثم بذلك اثما ما ينشأ كل مقام صاحبها ويشترح لما قلناه بقوله صلى الله عليه وسلم فى خروج النساء لصلاة العيد والحيض يعتزلن المصلى مع أن المصلى ليس هو بمسجد انما ذلك لكونه محلا يسجد الناس فيه فافهم وما يعقلها الا العالمون (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لسيدى أفضل الدين اياك أن تنام على حدث ظاهر أو باطن من محبة الدنيا وشهواتها فربما أخذك الله تعالى بروحك تلك الليلة فتلقى الله تعالى وهو عليك غضبان بحسب قبح ذلك الذنب الذى نمت عليه (وقد قال) تعالى أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض الآية (وفى) الحديث أيضا مرفوعا

اقيت القطب فلا تصلين وهو وراءك فقمت يوما الى أبي العباس وهو بالاسكندرية عند صلاة العصر فلما دخلت عليه قال أصليت العصر قال قلت لا قال قم فصل وفى المكان الذى هو فيه ايوانان قبلى وبحرى وكان الشيخ جالسا فى البحرى فلما قمت لاصلى ذكرت ما قاله لى شيخى اذا لقيت القطب فلا تصلين وهو وراءك وعلمت انى اذا صليت كان الشيخ وراء ظهرى فاقام الله بقلبى حالة وقلت حيثما كان الشيخ هنالك القبلة فتوجهت لناحية الشيخ وأردت ان أكبر فقال الشيخ لا هو لا يرضيه خلاف السنة وقال رضى الله عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر ابانا للوقت فمن صحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وأخبرنى بعض أصحابنا قال كنت أصحب بمدينة قوص الشيخ أبا عبد الله الحجانى أحد أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى فكان يقع لى الامر فاسأل عنه الشيخ أبا عبد الله فيقول ليس هذا الامر لى ولكن ان جمع الله بينك وبين أبى العباس المرسى تجد عنده ما تريد وقال رأيت فى المنام كأن معى طبقا فيه بسر وحوارى يأكل منه فعبرته فقيل هذا رجل كبير لك على يديه علوم بعدما أتى وقتها فلما ورد الشيخ

بحشر

يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وفى) الحديث أيضا ان الله تعالى من منذ خلق الدنيا لم ينظر اليها أى نظر رضا عنها وعن محبها والا فهو تبارك وتعالى ينظر اليها نظر تدبير ولولا ذلك لذهبت فى علم الله جل وعلا ولم يبق لها وجود فافهم ذلك فمن نام على محبة الدنيا ومات فى تلك النومة حشر مع متبغوض لله لم ينظر اليه منذ خلقه (وهذا) الامر قل من يتنبه له حتى يتوب منه بل غالب الناس لا يعد محبته للدنيا ذنبا أبدا وغاب عن هؤلاء قول المسيح عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فلم يخرج عن محبتها خطيئة واحدة انتهى (وكذلك) ينبغى للانسان مراعاة التوبة من جميع الذنوب والشهوات أيضا اذا استيقظ من منامه فربما مات بغتة فلم يمهل عليه ملك الموت حتى يتوب (وقد كان) مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يجمع أصحابه ويقول لهم تعالوا نستغفر من الذنب الذى لا يهتدى أحد للتوبة منه وهو محبة الدنيا فواظب يا أخى على التوبة من ذلك وواظب على النوم على طهارة الظاهر والباطن كما ذكرناه لك ولا تترخص تندم فى الآخرة والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى للنوم فى الثلث الآخر من الليل أشد من كراهتى للمعاصى الظاهرة وكذلك أكره النوم ليلتى العيدين وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان أو ليالى القدر ونحو ذلك الا غلبة لا اختيارا وربما نمت جالسا لحرصى على اليقظة وذلك لا ينقص رأس مال الفقير بخلاف نوم الاختيار (وهذا) الخلق من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على ومن أين لمثلى أن يوقفه الله تعالى بين يديه فى الظلام مع أوليائه وأصفيائه وان لم ألحق بهم فان صفوف المواكب الالهية على هيئة صفوف الدنيا ولله المثل الاعلى فيقف الاكابر فى حضرة الشهود الكبرى التى ما فوقها مرتبة ومن دونهم قريبا منهم وهكذا الى آخر من يحضر وربما تأخرت عن المبادرة الى موقفى المعتاد فيقول لى جارى فى الموقف قد تخلفت هذه الليلة عن عادتك وهناك شخص لم يزل يزاحمنى ويقول اذا رآنى قد جاء المتماق على الله لكثرة ما يسمعنى أدعو لنفسى ولاخوانى (واعلم يا أخى) ان الموكب الالهى تارة ينصب من أول النصف الثانى وتارة ينصب من أول الثلث كما يعرف ذلك أرباب القلوب الا ليلة الجمعة فانه ينصب من غروب الشمس الى خروج الامام من صلاة الصبح كما ورد فى حديث رواه الامام سنيد فى تفسيره فينبغى لكل مسلم أن لا يغفل عن سؤال ربه ليلة الجمعة من الغروب الى صلاة الفجر وذلك لان الملائكة كل وقت يحثون عبده على سؤاله فاذا رفع الحجب عن قلوب عباده وقال لهم هل من سائل هل من مبتلى هل من مستغفر ونحو ذلك فقد أذن لهم فى السؤال وما أذن لهم فى ذلك الا وهو تبارك وتعالى يريد أن يجيب دعاءهم كما صرح به فى الحديث فلا يغفل عن الدعاء فى ذلك الوقت الا كل محروم (وتأمل) يا أخى أصحاب السلطان اذا رأوا من يتخلف عن طلوع الموكب كيف يقطعون جامكيته ويمحون اسمه من ديوان عسكر السلطان فيصير ممقوتا بين الناس (وكذلك) حكم الفقير اذا نام فى وقت المواكب الالهية ربما يمحون اسمه من ديوان الولاية (وكان) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه يقول ما من ليلة الا وينزل فيها نثار من السماء فيفرق على المستيقظين ويحرم النائمون انتهى (وقد) مكث ابن المؤذن بناحية منية أبى عبد الله أربعين سنة لا يضع جنبه الارض فكان سيدى محمد السروى يقول لم يدع ابن المؤذن مددا ينزل من السماء فى ليل أو نهار الا وله فيه نصيب فاعمل على التخلق بذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع فى ذكر جملة أخرى من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة ثنائى على الله تبارك وتعالى اذا نزل على ما يسوءنى عادة لعلمى بان تقديراته تعالى كلها على عباده عين الحكمة لا بالحكمة لانها لو كانت بالحكمة لكانت أفعاله تعالى معلولة تحت الحكمة (ومن هنا) كان لا يجوز السخط على شئ من أفعاله تعالى قط ومن سخط فهو جاهل ولو كشف للعبد عما يسوءه من الواردات الالهية ورأى ما أعد الله تبارك وتعالى له فى نظير صبره عليها لكان هو يسأل الله تبارك وتعالى وقوع ذلك (وأيضا) فان كل واقع فى الوجود بارادة الهية وسبق علم فلا يصح تغييره

أبو العباس الى مدينة قوص فدخلت عليه فسألته عما كان يقع لى فاجابنى عن ذلك وقال تذكر يوم يا لك البسر والحوارى يا تأكل منه أنا ذلك الحوارى وتجاريت الكلام يوما مع الشيخ مكين الاسمر رضى الله عنه فقلت له عن الشيخ أبى العباس قال الشيخ كذا وقال كذا الى ان تمادى بنا الكلام والفقيه مكين يستغرب تلك الحقائق التى أقولها عن الشيخ الى ان قال نقول لك الحق ما عرفنا الشيخ أبا العباس فهذا اعتراف من الشيخ مكين الدين بعظيم شأن الشيخ أبى العباس وانه لم يعرفه مع ان الشيخ أبا الحسن الشاذلى شهد للشيخ مكين الدين الاسمر انه من السبعة الابدال وكنت يوما عند الشيخ أبى العباس الدمنهورى وعنده انسان من أصحاب أبى العباس فقال له انسان يا سيدى هذا من أصحاب أبى العباس المرسى فقال الشيخ أبو العباس الدمنهورى سيدى أبو العباس المرسى ملك من ملوك الآخرة وأخبرنى سليمان بن الباخس قال دخلت على الشيخ أبى العباس الدمنهورى فسمعته يقول يارب هذاك أبو العباس وأنا أبو العباس ويكرر ذلك فقلت يا سيدى من أبو العباس قال المرسى يا بنى ما من اسوان الى الاسكندرية رجل مثله ثم قال ما من اسوان الى دمياط

(وفى الحديث) أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ومعلوم ان الانبياء والاولياء محبوبون له تبارك وتعالى وما يفعل الحق بمحبوبه الا ما يقربه اليه (وايضاح ذلك) أن الحق تعالى متعرف متعطف بكل شئ وردمن حضرته ليعرف أهل حضرته مقدار الوصل والهجر ومقدار النعمة والبلاء ومن تأمل الداء بعين الاستبصار وجده دواء وخيرا هذا فى البلاء فى الجسد والمال والولد ونحوهم واما البلاء فى الدين فذلك مؤذن بغضب الله تبارك وتعالى على العبد فافهم واياك والغلط (وقد) قلت فى هذا المقام

يارب لا أحصى عليك ثناء * فى كل أمر سرنى أو ساءا
أنت الحكيم وعين فعلك حكمة * قد عمت السراء والضراءا
بكلهما متعرف متعطف * فالداء فى الدنيا تراه دواءا

فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى لا أتداوى قط من مرض الا ان اشتد بحيث يشغلنى الالتفات اليه عن كمال الاقبال على الله تبارك وتعالى والحضور معه ومادمت اقدر على الحضور والسعى فى عباداتى فلا أتداوى ثم لابد لى مع التداوى بشرطه من مراعاة نية التداوى لحق الغير لأخرج عن حظ نفسى من محبة العافية بالطبع لا لكون الحق تبارك وتعالى هو المالك الجسمى اذ العارف انما يتداوى لاجل كون ذاته أمة لله تبارك وتعالى لا لنفسه هو ولولا انهما ملك لله تعالى ما اعتنوا بها فى التداوى كل ذلك الاعتناء ففرق بين من يتداوى قياما بواجب حق ربه عز وجل وبين من يتداوى قياما بواجب حق نفسه وما يعقلها الا العالمون (ونظير) ذلك محبتى للغفور من قبل الحق تبارك وتعالى فلولا انى اعلم محبة الحق تعالى له ما طلبته منه ومن مقام الاكابر انهم لا يعتنون بشئ الا ان رأوا وجها فيه للحق تبارك وتعالى دون أنفسهم فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى لخطاب الحق جل وعلا ومناجاته اذا تلطخ ثوبى أو بدنى عذرة ولو من مرض حصل أو نحوه الا ان وجب ذلك الخطاب تعظيما لحضرة مناجاة الحق جل وعلا سيما ان حصل لى ادرار بول أو مشى بطن فمن خاطب الله تبارك وتعالى فى حال تقذر بدنه أو ثيابه فهو خارج عن أدب الاكابر وكثيرا ما أرسل الى أحد من الاخوان ليحادثنى بأمور الدنيا ويشغلنى عن مراقبة الحق تبارك وتعالى فى تلك الحالة القذرة حتى لا استحضر أنى بين يدى ربى تعظيما لجنابه عز وجل لا لعلة أخرى (ومن هنا) بخرت الاكابر ثيابها للجمعة والجماعات وبسطوا الصلاة ثم السجادات النفيسة المبخرة تعظيما لحضرة خطاب الله تبارك وتعالى المشار اليها بنحو حديث ان الله فى قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه وخوفا ان يدوس أحد برجله فى محل يتخيل فيه وجود قرب الحق تبارك وتعالى حين يصير يعبده كانه يراه ففرش السجادة مطلوب ليتوقى الماشى الدوس برجله اذا رآها مفروشة فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حضورى مع الله تبارك وتعالى عند أكلى الفاكهة والحلوى وغيرهما من الشهوات كالمناكح والملابس فلا أفعل شيأ من ذلك غافلا عن الله تبارك وتعالى وانما أفعله بحضور ونية صالحة كنية مداواة النفس بميلها الموافقنى فيما أريده منها من طاعة الله عز وجل فان لسان حالها يقول لصاحبها كن معى فى بعض اغراضى والا صرعتك (وهذا خلق) غريب قل ان يوجد فى الناس اليوم بل اذا رأى أحدهم الشهوة جذب قلبه اليها ونسى ربه (ومن هنا) منع الشرع من الاكل فى الصلاة لان شهوة الاكل ولذته تصرف قلبه عن الله تعالى فلا يقدر على كمال الاقبال عليه (نعلم) ان كل من ادعى ماذكرناه من الادب والحضور قل حجابه عن الله عز وجل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) زيادة اكرامى لليتيم ومراعاتى له بعد موت والده أكثر مما كنت أراعيه لاجل والده وكذلك أزيد فى الغض عن النظر الى المرأة التى غاب عنها زوجها أكثر من غض طرفى عنها اذا كان زوجها حاضرا لاسيما ان كان زوجها حاجا أو بمكة أو المدينة أو كان شريفا أو كانت المرأة شريفة أو

من

الى الاسكندرية فرجل مثله وأخبرنى سليمان هذا قال لقيت يوما الشيخ أبا العباس المرسى وقد خرج من الحمام فعزمت عليه فطلع عندى فقدمت له من البطيخ الصالحى فهو فى أثناء أكله سألته عن رجل كان كثير الشهرة برجل بالخلق الكثير من والزيارات ولا يحضر صلاة الجمعة فلما ذكرته للشيخ تغير وقال والله لو علمت انك تذكره لى ما اطلعت عندك تذكرون بين يدى الابدال والاولياء أهل البدع وسمعته يقول والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم فى زمن واحد قط الا واحد عن واحد الى الحسن وأخبرنى جماعة من أهل اشموم قال قدم علينا الشيخ أبو الحسن البجائى من أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى فكان يتكلم علينا فيعجبنا كلامه فاذا رأى اعجابنا بذلك قال كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسى لو أطلق أبو العباس لسانى لتكلمت بالعلم الغريب وسمعته يقول كان يتكلم فى هذا العلم ثلاثة الشيخ أبو الحسن وصاحبه أبو الحسن الصقلى وأنا توفى الشيخ رضى الله عنه وتوفى الصقلى ولا أعلم اليوم على وجه الارض أحدا يتكلم فى هذا العلم غيرى وكنت أنا حين توفى الشيخ أبو العباس بالقاهرة فدخلت يوما زاوية

من بنات الاولياء فانى أزيد فى غض الطرف عنها أكثر مما أغض اذا سافر زوجها الغير مكة والمدينة لكون زوجها يصير فى حضرة الله تبارك وتعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم والشريفة بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت الولى ملحقة به فمن تعرض لحرمه أو حرم الاولياء فقد تعرض لعقوبات الله عز وجل (وهذا خلق غريب) لم أر من تخلق به من أقرانى الا القليل وايضاح ذلك انه يتأكد على العبد زيادة التعظيم والاكرام لكل من كان فى كفالة الحق جل وعلا المحضة أكثر من تعظيم من كان فى كفالة الحق تبارك وتعالى المخلوطة بكفالة الخلق عادة (فلابد) من تمييز الحق جل وعلا بزيادة تعظيم وكل من راعى اليتيم أو غض عن النظر الى المرأة التى غاب عنها زوجها مثل مراعاته لها حال حياة الوالد أو حضور الزوج فقد ساوى فى التعظيم بين الله وبين خلقه وأساء الادب (وقد وقع لى) أننى ساويت فى الغض عن رؤية وجه جاريتى دام السرور حين غاب عنها زوجها بحضوره فلم أزد فى الغض حين سافر فعوتبت على ذلك فى المنام وقيل لى ميز الحق تعالى بزيادة غض على ما كنت عليه حين حضور زوجها فقلت سمعا وطاعة فاذا كان من لم يزد فى الغض يعاتب فكيف بمن يخون زوجة جاره ويفسق فيها ويسارق النظر اليها كالمتلصص نسأل الله تعالى العفو والعافية والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) نفرتى من كثرة اعتقاد أحد من الامراء وغيرهم فى وان وقع ان أحدا مدحنى عند أمير حتى رفعنى فوق جميع أقرانى توجهت الى الله تبارك وتعالى فى ان يحرك لى أحدا من الاعداء فينقصنى عنده أو سألت الله تبارك وتعالى ان يحول باطنه عن الاعتقاد فى حتى يصير لا يلتفت الى بوجه من الوجوه وذلك فتحا لباب الراحة لنفسى وسدا لباب تنقيص أحد من اخوانى برفعتى فوقه عند ذلك الامير (وهذا) الخلق لم أجد له فاعلا من اقرانى فاعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اجابتى لمن دعانى الى التصدر لصلاة الاستسقاء ودفع الوباء لما فى ذلك من تحريك نفس الحسدة من الاقران وقد أرسل الى مرة الباشا محمد قاصده أن أطلع مع العلماء الجبل المقطم لدفع الوباء والبلايا فى سنة احدى وستين وتسعمائة بشرط أن أكون أنا الداعى والناس كلهم يؤمنون فلم أجبه الا الى الحضور رخوفا من تحرك نفس بعض الناس على ومع ذلك فلا تسأل يا أخى ما حصل من قول الباشا لا يدعو الا فلان من الغيبة والتنقيص لى عند الباشا وهؤلاء وان كانوا صادقين فى تنقيصى وتنفير الاكابر من الاعتقاد فى لكن ما كل أحد يحتمل مثل ذلك وقد تقدم فى هذه المنن ان مما من الله تبارك وتعالى به على محبتى لمن ينفر الولاة عنى أكثر ممن يحببهم فى وانه خلق غريب لا يكاد يوجد فى أحد من أقرانى وقد شكرت فضل من غير اعتقاد الباشا محمد فى جزاه الله تعالى عنى خيرا فى الدنيا والآخرة فانه سترنى بين العباد فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ادبى مع شيخى الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه ومع شيخى الشيخ نور الدين الشونى رضى الله تعالى عنه فى دوام السهر معهما فلا أتذكر اننى نمت فى وقت يكون أحدهما مستيقظا فيه وذلك من أكبر نعم الله تعالى على لكونه وسيلة الى دوام السهر بين يدى الله عز وجل ومن لم يحكم مقام السهر بين يدى شيخه لا يصح له مقام السهر بين يدى الله عز وجل وقبيح على المريد أن ينام وشيخه جالس بين يدى الله تبارك وتعالى فى مثل ليلة الجمعة أو غيرها بل ذلك علامة على كذبه فى محبة الله جل وعلا فضلا عن محبته للشيخ فانه لو كان يحب الشيخ لاستغنم أوقات الخلوة به كما أنه لو كان يحب الله عز وجل المحبة المعروفة بين القوم لما أخذه نوم الا بعد أن يصرع كذا كذا مرة (وقد) أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى انتهى فشهد الحق تبارك وتعالى على من نام فى الليل اختيارا بكذبه فى محبته (وفى زبور داود) عليه السلام يا داود جعلت النهار للمعاش وجعلت الليل للسمر معى فاشتغلتم عنى فى النهار ونمتم عن مجالستى فى الليل فلا أنتم فى النهار معى ولا فى الليل انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اظهارى انتظام الطريق اذا دخلت على أمير أو كبير فلا أقول

الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فجلست فيها فقال واحد من الفقراء يخاطب آخر يا أخى لقد مات رجل كبير فقال له الآخر من هو قال الشيخ أبو العباس المرسى وهما لا يعلمان انى من أصحاب الشيخ تدرى ما اتفق له مع شيخنا صفى الدين قال لا قال سمع الشيخ ليلة هناك كرا لا يعهده فقال لى اذهب فانظر من هذا فذهبت فاذا هو أبو العباس وأصحابه فرجعت الى الشيخ صفى الدين فاخبرته فقال يأتى هذا الرجل هنا ولا نزوره ما هذا الا أمر عجيب ثم أصبح الشيخ صفى الدين فقال لاصحابه رأيت البارحة كأنى فى فلاة من الارض وأبو العباس فى موضع مرتفع وهو يقول لى يا أخى يأبى الله ان نجتمع الا هكذا وقال الشيخ أبو عبد الله بن النعمان الشيخ أبو العباس المرسى وارث علم الشاذلى حقيقة وأخبرنى بعض أهل البهنسا قال قال لى الشيخ أمين الدين جبريل تريد ان أريك وليا من أولياء الله تعالى قلت نعم قال امض بنا فاتى بى الى الشيخ أبى العباس وقال هو هذا وأخبرنى بعض أصحابه قال عزم على الشيخ انسان فقدم اليه الطعام يختبره فاعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال ان كان الحارث بن أسد المحاسبى فى أصبعه عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه فانا فى يدى ستون عرقا

تحرك على "اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر للشيخ ومن المشهور بين أصحاب الشيخ أبي الحسن

للمداح الذى ينشد للفقراء أسمعناشيأ بحضرة ذلك الامير الابنية صالحة ولا أقول للامير اذا دخل بعد ان انفض أهل مجالس الذكر وقراءة الورد مثلا سبحان من جعل للفقراء نعيم الجنان فى الدنيا فى مجالس ذكرهم وقد نزل على الفقراء فى هذا اليوم رحمة حتى عمتهم وحصل مدد كبير وكنت أودّ انك دخلت قبل انفضاضهم لحصل لك الرحمة وربما كان ذلك القول من شيخ الزاوية للامير رياء وسمعة لظنه فى الامير انه قليل الذكر والاشتغال بالله عز وجل حين رآه جالسا للفقراء عنده ولاذكر (وهذا) يقع فيه كثير من المتمشيخين بالنصب اذا زارهم الامراء ولوانهم كانوا صادقين لم يذكروا مثل ذلك للامير لانه ليس بمريد لهم ولا سألهم هل قرأتم وردكم اليوم ولا قال أسمعناشيأ من كلام القوم والفقراء فاى أمر ألجأ سيدى الشيخ أن يقول ماقال فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مشاركتي لكل من بلغني انه فى ضيق فى جميع مايصيبه وينزل عليه من البلايا والمحن لاسيما السلطان الاعظم فانى مرضت لمرضه مرات عديدة وجاءنى وشكر من فضلى واطلع على ذلك أهل الكشف وصاروا يتحدثون فيما بينهم أننى لولا حجت عن السلطان ورجع رجله لما سافر لقتال الروافض ماكان حصل له خير (وذلك) من علامات صحة ارتباطى مع امامى (ومما) يقع لى انه اذا كان عندنا امرأة فى المخاض أحس بانى أطلق مثلها اذا بلغنى ماهى فيه من الوجع وكذلك اذا بلغنى ان أحدا يعاقب فى بيت الوالى أحس بالمقارع والكسارات وعصر الرأس ووضع الخودة المحماة بالنار على رأسى حتى انى أحس بسيلان دهن رأسى وهو نازل ناحية أذنى فاضع يدى أمسحه لاعتقادى انه سال وخرج الى ظاهرها وهذا أمر عز وقوعه فى الفقراء ولا يعرف هذا الحال الامن ذاقه (وكان) ذلك من وظيفة سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه (وورثت) ذلك من سيدى على الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه وسبق سيدى ابراهيم المتبولىَ رضى الله تبارك وتعالى عنه الى مثل ذلك سفيان الثورى رضى الله تبارك وتعالى عنه وميمون بن مهران رضى الله تبارك وتعالى عنه والفضيل بن عياض رضى الله تبارك وتعالى عنه واضرابهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين فلاتطلع الشمس ولا تغرب على صاحب هذا المقام الا وبدنه ذائب كأنه شرب رطلا من السم والله انى لاحس فى بعض الاوقات ان جسمى كله من فرقى الى قدمى كالدمل الذى قرب انفجاره (وقد حكيت) ذلك مرة لاخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فقال لى والله ان لى منذ عشر سنين وأنا أحس بان جسمى فى طبق من نحاس على نار من غير ماء ولحمى ودهنى يطشطش على النار وأنا صابر فقلت له مم ذلك فقال من كثرة توجه الناس الى فى شدائدهم انتهى (فعلم) أن أهل هذا المقام لم يزل أحدهم مريض التواصل وجود البلاء فى الوجود على اختلاف طبقاته فلا يستريح الا فى وقت لم يتوجه اليه مكروب ولم يبلغه ان أحدا فى بلاء ولا عقوبة يتعين عليه مساعدته فهاهذا هو حظه من الراحة فى الدنيا (ومن أعظم) علامة على صاحب هذا المقام وجود الصداع والضارب الشديد فى رأسه حتى يحس بان شخصا ذا قوة شديدة يضرب رأسه بطبر اوقتاق ليلا ونهارا أوان رأسه مرضوض بين حجرى معصرة فيتمنى الموت فلا يجاب (ومن أدلة ذلك) مارواه الطبرانى وغيره مرفوعا من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم وحديث الترمذى وغيره مرفوعا مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا مرض منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (وممن رويناه) عنه انه كان اذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض له أياما السيد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه والشعبى رضى الله تعالى عنه فكانوا يمرضون ويعادون كما تعاد المرضى فاذا ارتفع ذلك الهم أو البلاء عن المسلمين خلصوا من المرض لوقتهم حتى كأنه لم يكن بهم مرض (ويقع) لى بحمد الله تبارك وتعالى مثل ذلك كثيرا فربما أتونى بالطبيب فيصف لى دواء فيطول جلوسه عندى ساعة فاشفى من المرض كأن لم أكن مريضا فيتعجب الطبيب من ذلك (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه اذا نزل باحد بلاء يقول له أكثر من الاستغفار ليلا ونهارا ويقول ماثم أسرع لرفع البلاء من كثرة الاستغفار قال الله تبارك وتعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وأقل الاستغفار الدافع لغالب البلاء

وغيرهم ان الشيخ كان يوما بالقاهرة فى دار الزكى السراج وكتاب المواقف للنفرى يقرأ عليه فقال أين أبو العباس فلما جاء قال تكلم يابنى تكلم بارك الله فيك تكلم ولن تسكت بعدها أبدا فقال الشيخ أبو العباس فاعطيت فى ذلك الوقت لسان الشيخ ولقد كان علماء الزمن يسلمون له هذا الشأن حتى كان شيخنا الامام العلامة سيف المناظرين حجة المتكلمين شمس الدين الاصفهانى والشيخ العلامة شمس الدين الايكى يجلسان بين يديه جلوس المستفيد آخذين عنه ومتلقين مايبديه حتى سأله أحدهما عن بعض المشايخ الظاهرين فى الوقت ياسيدى أتعرفه فقال الشيخ أعرفه هنا وأشار الى الارض ولا أعرفه هنالك وأشار الى السماء وسأله أحدهما عن انسان كان بدمشق الغالب عليه السكر والغيبة فقال الشيخ رضى الله عنه كل من لايكون له فى هذه الطريقة شيخ لايفرح به وكان من مذهبه رضى الله عنه انه لايلزم أن يكون القطب شريفا حسينيا بل قد يكون من غير هذا القبيل وتكلم يوما فى القطب وأوصافه ثم قال وما

عندى

عندى الآن ألف مرة صباحا وألف مرة مساء (وسمعته) رضى الله تبارك وتعالى عنه مرات يقول من ضحك
أو جامع زوجته أو لبس ثوبا مبخرا أو ذهب الى مواضع التنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم
سواء انتهى ومثل حال أهل هذا الزمان مثل ما حكى ان سخصا مر على شخص خرج صرمه وهو مدلى من دبره
فقال له أعطنى هذه القطعة النازله أطعمها القطى فانه جيعان انتهى (ولعمرى) ليس عند مثل هذا من تحمل هم
أخيه ذرة واحدة وسيأتى ايضاح ذلك ان شاء الله تبارك وتعالى فى مواضع من هذا الكتاب فاعلم ذلك وراجعه
والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مساعدتى لاصحاب النوبة فى سائر أقطار الارض فى حفظ ادراكهم
من برارى وقفار ومدائن وبحار وقرى وجبال فاطوف بقلبي على جميع أقطار الارض فى نحو ثلاث درج
(وايضاح ذلك) ان حكم القلب حكم المرآة الكرة المعلقة بين السماء والارض فيرتسم فيها جميع العلويات
والسفليات وبصير البصر القلبى يدركها كلها على التفصيل فالمدار على قوة وسع دائرة البصر لا غير وان شككت
يا أخى فى ذلك فامتحن ذلك بمرآة صغيرة تضعها فوق منارة عالية فانك اذا قابلتها بمدينة مصر كاملة تجدها كلها
مرتسمة فى تلك المراة الصغيرة فاعمل يا أخى على جلاء مرآة قلبك من الصدأ أو الغبار ان أردت العمل بهذا الخلق
فانك تطوف أقاليم الارض كلها فى مقدار ساعة (ومما) وقع لى أن شخصا من بلاد الحبشة أسلم عندنا فى مصر
فسألته عن بلده وعن الكنيسة الكبيرة التى فى آخر زقاق داره وعن شجرة النبق التى فى دار جاره فصدقنى
على ذلك ثم قال للحاضرين هذا صالح لاطلاعه على بلدى ودار جارى مع انى ما رحت البهاقط بجسمى وانما
نظرت البها بقلبى (وكذلك) وقع لى مع خادم نبى الله لوط عليه السلام لما قدم علينا مصر فقلت له ما فعل
شجر الليمون المغروس تجاه مقام السيد لوط فقال موجود لم يقطع منه شئ مع انى لم أره الا بقلبى (وفى
كلام) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه ان القلب اذا انجلى من محبة الدنيا وشهواتها صار
كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس واذا صدأ قلب الفقير حدثه بأباطيل
يغيب معها رشد الرجل وعقله انتهى (وصورة طوافى كل ليلة) على مصر وجميع أقاليم الارض انى أشير
باصبعى الى أزقة جميع المدائن والقرى والبرارى والبحار وأنا أقول الله الله الله فابدأ بمصر العتيقة ثم بالقاهرة ثم
بقراها حتى أصل الى مدينة غزة ثم الى القدس ثم الى الشام ثم الى حلب ثم الى بلاد العجم ثم الى بلاد التركية ثم
الى بلاد الروم ثم أعدى من البحر المحيط الى بلاد المغرب فأطوف عليها بلدا بلدا حتى أجىء الى اسكندرية ثم
أعطف منها الى دمياط ثم منها الى أقصى الصعيد ثم الى أقصى بلاد العبيد ثم الى بلاد الرجاج وهى اقطاع جدى
الخامس ثم أعطف الى بلاد التكرور وبلاد السكوت ومنها الى بلاد النجاشى ثم الى أقصى بلاد الحبشة وهى
سفر عشر سنين ثم منها الى بلاد الهند ثم الى بلاد السند ثم الى بلاد الصين ثم أرجع الى بلاد اليمن ثم الى مكة ثم
اخرج من باب المعلى الى الدرب الحجازى الى بدر ثم الى الصفراء ثم الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنه
عند باب السور ثم أدخل حتى أقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فأصلى وأسلم عليه وعلى صاحبيه وأزور من فى
البقيع ثم أقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وما أرجع
الى دارى بمصر الا وأنا الهث من شدة التعب كانى كنت حاملا جبلا عظيما ولا أعلم أحدا سبقنى الى مثل هذا
الطواف (وكان) ابتداء حصول هذا المقام لى فى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فرأيت نفسى فى صحفة طائرة
فطافت بى سائر أقطار الارض فى لحظة وكانت تطوف بى على قبور المشايخ من فوق أضرحتهم الاضريح سيدى
أحمد البدوى وضريح سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله تبارك وتعالى عنهما فان الصحفة نزلت بى من تحت عتبة
كل من أحدهما ومرت من تحت قبره ولم أعرف الى الآن الحكمة فى تخصيص هذين الشيخين بذلك نفعنا الله
تعالى بهما والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) استئذانى أصحاب النوبة نفعنا الله ببركاتهم كلما خرجت من بيتى أو بلدى
أو دخلت وذلك لا كون تحت نظرهم حتى أرجع سالما ان شاء الله تعالى (وكذلك) لا أطلع القلعة أو أدخل
بيت حاكم فى شفاعة مثلا حتى أقول بتوجه تام عند أول عتبة تلاقينى من أعتاب القلعة أو ذلك الامير دستور يا

القطبانية بعيدة من بعض الاولياء وأشار الى نفسه وأخبرنى بعض أصحابه
قال استلقى الشيخ يوما على ظهره ومسك
بلحيته وقال لو علم علماء
العراق والشام ما تحت
هذه الشعرات لاتوها
ولو سعيا على وجوههم
وكان يقول والله ما طالع
كلام أهل الطريق الا
لنرى فضل الله علينا
وقال فى الامام أبى حامد
الغزالى رضى الله عنه
انا لنشهد له بالصديقية
العظمى كان الشيخ
أبو الحسن يقول اذا
عرضت لكم الى الله
حاجة فتوسلوا اليه
بالامام أبى حامد الغزالى
وكان يقول عن شيخه
أبى الحسن كتاب
الاحياء يورثك العلم
وكتاب القوت يورثك
النور وكان يقول عن
الشيخ أبى الحسن عليكم
بالقوت فانه قوت وكان
هو والش أبو الحسن
كل منهما يعظم الامام
الربانى محمد بن على
الترمذى وكان لكلامه
عندهما الحظوة التامة
وكان يقول عنه انه
أحد الاربعة الاوتاد
ودخلت عليه يوما
فوجدته مغموما فى
وارد ورد عليه فقال
سمعت البارحة يقال
لى السلام عليكم
يا عبادى ثم قال وهذا
قد أسمعته فى السنة
مرة أو مرتين وهذا
من الحديث الذى قال
فيه أبو العباس بن العريف شعرا بدا لك سر طال عنك اكتتامه * ولاح صباح كنت أنت ظلامه فأنت حجاب القلب عن سر غيبه *

أصحاب النوبة جهتي تحت نعالكم اليوم فلاحظوني مع هذا الأمير أو هذا القاضي أو هذا الظالم مثلا فلا أخرج بحمد الله تعالى من عنده الا منصورا مكرما مبجلا كما وقع لي ذلك مع الباشا على كما مر ايضاحه اللهم الا ان أكون مبطلا والعياذ بالله تعالى فان أصحاب النوبة لا يساعدونني فليحرر صاحب الحاجة نفسه ان طلب النصرة على يد أصحاب النوبة رضي الله تعالى عنهم (وهذا) الذي ذكرناه قل من يتنبه له من فقراء هذا الزمان بل رأيت بعضهم ينكر وجود أصحاب النوبة أصلا وهذا يدل على انه لم يدخل دائرة الولاية قط فانه لو دخلها لعرف أهلها على اختلاف طبقاتهم كما يعرف جماعة السلطان بعضهم بعضا وبعضهم يظن ان أصحاب النوبة هم الاولياء المرصدون لتربية المريدين وذلك جهل عظيم اذ لا يلزم من كون أحدهم مسلكا ان يكون بيده تصريف كما يعرف ذلك من له أدنى خلطة بأهل الطريق (وقد كان سيدي) علي الخواص رضي الله تعالى عنه معه ثلاثة أرباع التصريف في مصر وقراها (وكان) يرسل الحوائج في بعض الاوقات الى أصحاب التصريف في الربع الباقي رضي الله تعالى عنه (وكان) كثيرا ما يرسل الحوائج للشيخ محسن المجذوب لكونه كان من أصحاب التصريف في الربع الباقي في مصر وقراها (وجاء شخص) من تجار بحر الهند الى سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يأخذ خاطره و يسأله بالله تعالى ان يحفظ مراكبه بحر الهند فقال له اذهب الى الشيخ محسن فانه صاحب درك بحر الهند وأعطه نصفا فان قبله منك فهو دليل على انه دخل في الجملة وان رده فاحتسب ما في مراكبك عند الله تعالى فذهب اليه فقبل منه النصف وسلمت مراكبه تلك السنة (وكان) الشيخ محسن اذ ذاك جالسا في رميلة مصر (ورأيت) مرة بعض أشياخنا بمصر ذهب الى دكان الشيخ بركات الخياط وكان من أصحاب النوبة فوضع على دكانه حجرا في غيبته فلما جاء الشيخ بركات عرف الحجر ومن جاء به والحاجة وقضاها وكانت الحاجة ان شخصا كتبوه الى اصطنبول سركن لما دخل ابن عثمان الى مصر وكان محسنا للشيخ المذكور كثيرا فسلك الشيخ الادب مع أصحاب النوبة وسألهم في قضائها ولو أنه سأل الله تعالى بلا واسطتهم لربما أجيب لصلاحه وولايته (ثم) لا يلزم من مشاورة الولي الكبير لاحد من أصحاب النوبة أن يكون ذلك نقصا وأيضا فان الكمل مقامهم منزه عن مشاركة الخفير في التصريف دنيا وأخرى بخلاف أرباب الاحوال فالكامل كشيخ الاسلام وصاحب الحال كخفير البلد ولكن هكذا أهل الادب (وكان) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه اذا شاوره أحد في السفر من مصر الى الريف مثلا يقول له اذا أردت الخروج من سور البلد أو من عمرانها فقل بقلبك دستور يا أصحاب النوبة اجعلوني تحت نظركم حتى ارجع ثم اذا رجعت فاستاذنهم أيضا في الدخول فانهم يحبون من يسلك معهم الادب (وقد) أعطاهم الله تبارك وتعالى معرفة الخواطر التي تمر على قلوب أهل ادراكهم فضلا عن معرفة أعمالهم ومعاصيهم في قعر بيوتهم ولهم التأديب على كل زلة وقعت في ادراكهم لان قوسهم موتور على الفساق وعلى الفقراء الغافلين عن الادب مع الله تبارك وتعالى (وسمعته) رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرارا يقول لا يخرج أحدكم الى السوق الا وهو على طهارة فان أصحاب النوبة يحبون من يراعي الطهارة في ادراكهم انتهى (ومما وقع لي) تصديقا لكلام الشيخ رضي الله عنه انني أخرجت ريحا بنواحي شون السلطان بمصر العتيقة واذا بشخص أسمر جالس في دكانه يحبك الشدود فرفع رأسه الي وقال كنا محتاجين اليك قوي في فسائك في دركي وحارتي فعلمت انه من أصحاب النوبة (وكذلك) مما وقع لي انني كنت مارا تجاه سوق الصاغة بخط بين القصرين وأنا غافل فبينما أنا كذلك اذ أحسست بكل شعرة في قامت تمشي وأحسست بأن خلفي تمساحا كبيرا يريد أن يبتلعني فالتفت فاذا بشخص أشعث الشعر أحمر العينين كاد فمه أن يصل الى كتفي فقال لي لا تعد تمشي في خطي وأنت غافل عن الله تعالى ما يجري لك خير فمن ذلك اليوم ما أذكر أنني مررت في ذلك الدرك غافلا أبدا فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) في هذا الزمان حفظي من تصريف أصحاب النوبة في عرض أو سلب حال أو نحوهما مع كثرة مزاحمتي لهم في الشفاعات عند الحكام وكثرة معارضتهم لمن يشفع عند الحكام من غير واسطتهم ومع كونهم أتم نظرا مني فلم يزالوا يسامحوني بشفاعتي عند الحكام وأنا غافل عنهم أو غير مستوعب

وجاء حديث لاجل سماعه
شهي الينا نثره ونظامه

(الباب الثالث)

في مجرياته ومنازلاته وما اتفق لاصحابه معه ومكاشفاته سمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول كنت وأنا صبي عند المؤدب فجاء رجل فوجدني أكتب في لوح فقال لي الصوفي لا يسود بياضا قال فقلت ليس الامر كما زعمت ولكن لا يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب وسمعته يقول عمل الى جانب دارنا خيال الستارة وأنا اذ ذاك صبي فحضرته فلما أصبحت أتيت الى المؤدب وكان من أولياء الله تعالى فانشد حين رآني

يا ناظرا صور الخيال تعجبا
وهو الخيال بعينه لو أبصرا

وقال رضي الله عنه رأيت ليلة كأني في سماء الدنيا واذا برجل أحمر اللون قصير الطول كبير اللحية فقال قل اللهم اغفر لامة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم استر أمة محمد اللهم اجبر أمة محمد هذا دعاء الخضر من قاله كل يوم كتب من الابدال فقيل هذا الشيخ ابن أبي شامة فلما انتبهت وأتيت الى الشيخ أبي الحسن جلست ولم

لهم

لهم في الاذن فان من لم يستوعبهم في الاستئذان فربما نقموا فيه فريقين أجده ما يعارضه فيقاسي من الشدائد والاهوال مالا يعبر عنه وقل من يسلم من عطبهم من الفقراء والعلماء ثم ان جرح من طعنوه لايلتئم جرحه الا بعد موت صاحبه (وقد) تشفع الشيخ علي الخواص رضي الله تعالى عنه مرة عند الامير حاتم الجزاوي من غير استئذان أصحاب الثالث الذي لاتصريف له فيه من مصر فطعنه انسان بخنجر في مشعره فلم يزل بها حتى مات بعد عشرين يوما وهو يقول آه من حرارة هذه الضربة انتهت (وقد) سبق لي أنا معهم وقائع كثيرة أوائل دخولي طريق القوم رضي الله تعالى عنهم حتى كدت أن أهلك ولكن بحمد الله تبارك وتعالى كلهم يحبوني اليوم ولا أعرف أحدا منهم يكرهني ولذلك رتبت لهم الدعاء عندي في الزاوية في قراءة الاسباع والكرسي وغير ذلك (فمن) وقائعهم الماضية معي أن ثلاثة منهم عارضوني فمكثت تسعة أيام بلياليها لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أضع جنبي الى الارض حتى صار بدني كله كالدمل الذي قرب انفجاره ثم حصل لي الفرج على يد الشيخ محمد البهوتي بباب زويلة العربان وقال لابن عمي عبد السلام قد عرضوا حكاية عبد الوهاب على ثلاثين نفسا فابوا أن يحملوها ولكن أنا أحملها الله تبارك وتعالى (وأخبرني) أن الذي عارضني ثلاثة من العجم كانوا يجلسون تحت المدرسة البرقوقية بخط بين القصرين ثم قال لي تبخر هذه الليلة ببخور رحصا البان وان شاء الله تعالى تنام هذه الليلة ويخف العارض ففعلت فكان الامر كما قال (ومن جملة) من لم يحمل عني سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه وقال لاخي الشيخ أفضل الدين رضي الله عنه اياك أن تحمل شيئا عن عبد الوهاب مما هو فيه ودعه يدمن على البلاء الآتي (وأما) الشيخ شعبان المجذوب والشيخ محمد الجوهري المكشوف الرأس فطالعالي البيت وأمراني بالصبر ونقش لي الشيخ شعبان في الحائط بسكين يقول الله عز وجل في التوراة يا عبدي تحمل ما رد عليك مني واصبر وقال لي الشيخ محمد الجوهري سبحان من حمل عنك يا ولدي فانهم كانوا قاتليك ولكن كان في قنديلك الزيت فان أصحاب النوبة اليوم يا ولدي من العجم لايحبون أحدا له اسم من أولاد العرب انتهى (ومما وقع لي أيضا) أن شخصا جاء من الفقراء الى مصر ليدخلها على نية الاقامة فمنعه أصحاب النوبة فجلس تجاه قبة يشمك الدوادار خارج باب النصر وصار كل من مر عليه يقول له كيف يمنعوني من دخول مصر ويمكنون عبد الوهاب فصار الناس يخبروني بكلامه فمكث أربعين يوما ثم مد الشيخ محمد الصوفي المقيم بالفيوم يده من الفيوم فضربه فمات وقال أنا مذهبي ان كل من قتل أحدا من أصحابي فقتله عندي حلال انتهى (وقد كان) الشيخ حسن العراقي المدفون بكوم أبي الريش المطل على بركة الرطلي يقول لا يأذن أصحاب النوبة لفقير أن يسكن في مصر الا ان كان تحت نظرهم مراعيا للادب معهم والا أخرجوه الى القرى أو الى خارج السور انتهى (ومما وقع لي معهم أيضا) أن شخصا التف في عباءة ونام في مجاز الزاوية ثلاثة أيام لايأكل ولا يشرب وأنا لا أشعر فدخل على الشيخ حسن الريحاني فاخبرني به وقال كيف يجلس في زاويتك شخص يقصد معارضتك اذا وجد عندك غفلة ولا تحس به ثم خرج اليه وضربه بعصاه وأخرجه من الزاوية فصادف الشيخ حسن بعد مدة فطعنه في فخذه بسكين وقال انما طعنتك لكونك عارضتني في عبد الوهاب وكان ذلك آخر معارضة الفقراء لي فلم يعارضني منهم بعد ذلك أحد الى وقتي هذا (وقد) أخبرني سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه ان شخصا تبع فقيرا من بلاد الشام الى مصر يريد أن يقتله بالحال فلم يجده غافلا عن الله تبارك وتعالى في وقت فاجتمع هو واياه مع الفقراء في جامع عمرو آخر جمعة من رمضان فوجده غافلا فطعنه فمات انتهى (وقد أخبرني) أخي الشيخ أبو العباس الحريثي رضي الله تعالى عنه قال لما طفت بلاد الغربية دخلت جامع اصطنها فبينما أنا جالس والناس حولي اذ أحسست بثقالة في بطني فكدت أهلك فقلت لهم ائتوني بشيء أتقايا فيه فأتوني بجفنة كبيرة فملأتها قيحا ودما ثم ان شخصا تحرك من جانب الجامع وكان نائما مغطى بملاءة مزعفرة وقال والله لولا انك ضعيف الحال وأنت ضعيف ما تركتك تخرج من الجامع الا للقبر كيف تطلع بلاد الناس وأنت غافل عن استئذانهم كالبهائم قال فقلت له التوبة فتبت ومن ذلك اليوم ما طلعت بلدا حتى أستأذن أصحاب دركها قبل ان أطلع اليها انتهى (وكذلك) وقع لي وأنا في مولد سيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وأنا جالس في ركن القبة فجاء شخص من

أخبره بشيء فقال اللهم اغفر لامة محمد الدعاء من قاله كل يوم كتب من الابدال وقال رضي الله عنه كنت أخرج كل يوم من باب البحر نحو المنار فخرجت يوما الى المنار فنمت عند الجانب الشرقي وكان قد خطر في نفسي ما سبب قلة رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة ملازمته له فاذا علي يقال لي أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وانما قلت روايته عنه لتحققه به وقال رضي الله عنه طالعت مقام الرحمة فاذا علي يقال لي والله ليكونن من رحمة الله يوم القيامة ما ينال منها ابن أبي الطواجن وكان هذا ابن أبي الطواجن قد قتل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما وقال رضي الله عنه كنت مع الشيخ في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فاردت ان أزور حمزة رضي الله عنه فخرجت من المدينة فتبعني رجل فاتينا الى التربة فاذا الباب مغلق فانفتح الباب ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلنا فوجدنا هنالك رجلا من الابدال فقلت للرجل الذي تبعني ادع في هذا الوقت بما تريد فانه مستجاب فدعا ذلك الرجل أن يعطيه الله دينارا

الطائفين بقبر سيدي أحمد يده الى معاليق قلبي وقبض على قلبي فكدت أن أهلك وكان متقلدا بقوس فشكوته الى سيدي أحمد البدوي فاتهم بتهمة أو مسكه الكاشف وأرسل يستغفر الله تعالى فسألت سيدي أحمد فيه فخلص ولم يشعر بهذه الواقعة أحد من أصحابي (وكان) سيدي محمد الشناوي رضي الله تعالى عنه يقول لا يؤخذ الفقير بسلب العارف الا عند رؤية أحدهما نفسه على اخوانه أو غفلته عن الله تعالى (ثم حكى لي) عن سيدي محمد بن هرون بمدينة سنهور أنه مر على صبي قراد وهو مادرجله فقال الشيخ في نفسه ان هذا الصبي لقليل الادب يمر عليه مثلي ولم يضم رجله فسلب لوقته حتى صار لا يعرف الفاتحة ثم طلب الصبي فلم يجده وكان صبيا للقراد فسأل عنه حتى وصل الى الرميلة فلما رآه القراد الكبير قال أقم رأسك ها هو غريق قد جاء فلما فرغوا من اللعب بالقرد والدب والحمار سلم عليه القراد الكبير وقال مثلك في هذه الشهرة العظيمة بالعلم والصلاح يخطر على باله انه خير من أحد من المسلمين فقال التوبة فقال الشيخ محمد وقال القراد الكبير للصبي أين وضعت علم هذا وحاله فقال في قلب السحلية التي كنت أفلي ثوبي على باب بحرها في بلده فليذهب اليها ويقول لها يقول لك قرعزان صبي القراد ردي على الوديعة التي عندك للشيخ محمد فخرجت السحلية ونفخت في وجه الشيخ فرد الله عليه حاله وعلمه وقال في نفسه كيف تفتخر على الناس بشئ حملته السحلية في فمها فمن ذلك اليوم ما رأى نفسه على أحد حتى مات انتهى (وقد ذكرنا) في كتاب العهود المحمدية حكاية سلب شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين البلقيني على يد الحشاش الذي كان يبيع الحشيش فلا يأخذها أحد منه الا و يتوب منها لوقته (وكذلك) ذكرنا فيه سلب الفرغل لشيخ الاسلام ابن حجر وغير ذلك فراجعه فاياك يا أخي ورؤية نفسك على أحد من المسلمين الا بطريق شرعي خال عن الكبر فان كل من رأى نفسه على أحد فقد تعرض للسلب (ووقع) للشيخ علي حسن الغزاوي وكان من أهل الكشف أنه ذهب الى الشيخ محيسن بناحية برلاق يريد ملاقاته فلما أقبل على الشيخ عرف ما في نفسه فقام له الشيخ محيسن وعظمه وقال خاطرك علي يا شيخ حسن ولما قام قدم له نعله فرأى الشيخ حسن نفسه بذلك فسلبه الشيخ محيسن حاله كله فلما أحس بذلك جاءه مستغفرا فقال أنت الظالم فانك أنت الذي جنيت ولم يزل مسلوبا فضاقت عليه مصر فسافر وانقطع عنا خبره فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اعانتي على الاحتماء من الذنوب وتناول الشهوات أيام تحملي البلاء عن الاخوان وتوجهي في قضاء حوائجهم عند الله تبارك وتعالى فان من لم يحتم عن مثل ذلك فلا يصلح للتصدر لقضاء حوائج اخوانه ولا لتحمل البلاء عنهم وللتحمل والاحتماء شروط (الاول) أن يتخلق بوصف الذل والانكسار والفاقة فلا يرى له شفوف نفس على أحد من المسلمين ولا يكون معتمدا على أحد غير الله تبارك وتعالى حتى أنه لا يدبر قط حيلة في قضاء تلك الحاجة (الثاني) كثرة الملازمة والوقوف في المواكب الالهية ليلا ونهارا وذلك بين الاذان والاقامة وحين يدخل نصف الليل الثاني فان الموكب ينصب من ذلك الوقت الى طلوع الفجر وفي أوقات يبقى الى انصراف الامام من صلاة الصبح وتأمل يا أخي وزراء السلطان لا يقومون بقضاء حاجة أحد الا ان لازمهم زمانا طويلا ويقولون لو أنه كان محتاجا للازمنا في كل موكب (الثالث) صدق التجاء صاحب الحاجة الى الفقير الذي جعله واسطة في قضاء حاجته وعدم شركة أحد من الفقراء معه في ذلك واستحقاق المشفوع فيه للشفاعة بأن تكون العقوبة فيه قد بلغت حدها ومن علامة صدق صاحب الحاجة في الالتجاء أن لا يحتاج في طريق قضاء حاجته عند ذلك الامير مثلا الى غرامة فلوس لاحد من الوسايط الذين هم حول الولاة ومتى احتاج الى وزن فلوس فهو غير صادق في الالتجاء (الرابع) أن يأمر المتحمل صاحب تلك المصيبة مثلا بكثرة الاستغفار حتى تخف العقوبة فاذا خفت أو انقضت كملت الشفاعة حينئذ كما يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال ويقول يا رب أمتي ويقال له انك لا تدري ما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم يعني وقعوا في معاصي أهل الاسلام ثم اذا ذهب الغضب الالهي يشفع فيهم ويخرجهم من النار فما يشفع فيهم الا بعد بلوغ العقوبة حدها فافهم (وكثيرا) ما يأتي المحبوس أو المعزول عن وظيفته مثلا

فلما رجعنا الى المدينة لقيه رجل فاعطاه دينارا فلما دخل على الشيخ أبي الحسن قال له يا بطال صادفت وقت اجابة فسألت الله دينارا هلا سألت الله كما سأله أبو العباس سأله أن يكفيه هم الدنيا وعذاب الآخرة وقد استجاب الله تعالى له ذلك وقال رضي الله عنه كنت جالسا بين يدي الاستاذ فدخل عليه جماعة من الصالحين فلما خرجوا من عنده قال هؤلاء الابدال فنظرت ببصيرتي فلم أجدهم ابدالا فتحيرت بين ما أخبر به الشيخ و بين ما شهدته بصيرتي فبعد ذلك بايام قال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت ان الشيخ أراد أول مراتب البدلية وأخبرني الشيخ العارف نجم الدين الاصفهاني قال قال لي الشيخ أبو العباس يوما ما اسم كذا وكذا بالعجمية فخطر لي ان الشيخ يحب أن يقف على اللغة العجمية فاتيت اليه بكتاب الترجمان فقال الشيخ رضي الله عنه ما هذا الكتاب قلت كتاب الترجمان قال فضحك الشيخ وقال سل ما شئت بالعجمية أجبك بالعربية وسل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية فسألته بالعجمية فاجابني بالعربية وسألته بالعربية فاجابني بالعجمية وقال يا عبد الله ما أردت بقولي ما اسم كذا الا مباسطتك والا فلا يكون صاحب

الى الفقير ويقول له حبسوني أو عزلوني لاذنب لي ولا جريمة فيتحرك الفقير الساذج بل الابله الى التوجه الى الله تبارك وتعالى في الافراج عنه أورده الى وظيفته فلا يجاب فيكاد الفقير يموت من ثقل تلك الحملة ولعل ذلك المحبوس أو المعزول وقع في الزنا أو شرب الخمر أو غير ذلك مما لا يحصى فليتنبه الفقير لما ذكرناه من الاستغفار وأخذ العقوبة حدها ثم يشفع (الخامس) أن يرى ذلك المعزول مثلا ان الله تبارك وتعالى قد جعل بيد ذلك الفقير الولاية والعزل ليتوجه قلبه الى ذلك الفقير جزما من غير تردد ومتى تردد في ذلك بطل عمل الفقير ولو كان قطبا (وبالجملة) فمتى ظن أنه لولا فلوسه التي غرمها لذلك الامير وحاشيته مثلا أو لولا قراءة ورد مثلا ما قدر الفقير على توليته تلك الوظيفة فهو غير صادق في الالتجاء الى ذلك الفقير فيا طول تعب ذلك الفقير ويا بعد ولاية ذلك المعزول ولعل ذلك الفقير يرمي حملته على طول حتى تتمزق همته (السادس) أن لا يقبل الفقير الحامل من المحمول عنه هدية ولا يأكل له طعاما ليكون قلبه متوجها الى الله تبارك وتعالى في حقه خالصا ومتى قبل منه شيأ بطل توجهه وخرب باطنه وتوقف قضاء حاجته لان الفقير يصير يقابله عوضا عن دنياه التي أهداها له وأهل الدنيا لا تنفذ لهم همة في أحد هذا مذهبنا وأما مذهب غيرنا من الاكابر فربما أخذ على ذلك هدية ونفذت همته مع ذلك فله أن يشترط في تحمله أخذ العوض من المحمول عنه ومتى طلب منه ذلك الفقير الذي تحمل حملته شيأ من ثيابه او أمتعته ومنعه فلا يلزم ذلك الفقير قضاء حاجته لانه في ذلك كالاجير في الاعمال الظاهرة وفي ذلك اعطاء الفقير بدنه حقه في تعبه وعتق المحمول عنه من منته عليه (ومما) وقع لسيدي محمد السروي رضي الله تعالى عنه انه حمل حملة شمس الدين بن عوض لما نقم عليه السلطان الغوري فجاء الى الشيخ يستعجله في الحملة فقال له اخلع لي هذه الجوخة الحمراء والصوف والعمامة التي عليك حتى أحمل حملتك بقلب واخرج أنت بالقميص والقبع فقط فشاور نفسه وتوقف فاخذ الشيخ قدرة فخار كبيرة كانت قريبة منه فرماها من الطاقة في الخليج وقال روحي يا حملة ابن عوض (ثم) قال أنا أدخل معك بالروح وأنت تشح علي بخليقات عندك في الدار غير هم فساوه تلك الليلة للعقوبة فحلقوا رأسه وكتفوه وملؤا قحفا خنفسا وألبسوه على رأسه وربطوا القحف من تحت لحيته فصار الخنفس يحفر في دماغه حتى صارت رأسه حفرا والدم نازل على وجهه ولحيته فلو أنه كان أعطى الشيخ الثياب لكان حمل عنه هذا العذاب (السابع) كف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل محرم ومكروه وخلاف الاولى أو خطور ذلك على باله وهذا أعظم الشروط فان منع الجوارح من شهواتها من أشد العقوبة عليها فعلم أن من لم يكف جوارحه المذكورة عما ذكرناه فليس هو باهل أن يجيب الحق تبارك وتعالى دعاءه لانه كما نهاه فلم يجتنب وأمره فلم يمتثل فكذلك دعا ربه فلم يجبه جزاء وفاقا ولو أنه أجاب أمر ربه لكان أجابه تبارك وتعالى فاجابته تعالى لدعاء عبده على قدر مبادرته لامتثال أوامره سرعة وبطأ بحسب حال العبد (الثامن) عدم تناول شيء من شهوات النفس المباحة فضلا عن المكروهة فضلا عن المحرمة أيام التحمل لان تناول هذه الشهوات يعمي البصيرة ويمنع من دخول حضرة الله تبارك وتعالى لحديث البخاري وغيره مرفوعا وحفت النار بالشهوات ومن ادعى من المتصوفة أن تناول الشهوات المباحة لا يؤثر فيه فهو جاهل بطريق الله عز وجل غافل عن الاهتمام بامر المسلمين (وقد كان) سيدي علي الخواص رضي الله عنه يقول من شرط من يتحمل عن اخوانه أن لا يجلس قط على حدث الا لضرورة ولا يجامع حليلته مدة التحمل الا أن يكون ممن يحضر مع الله تبارك وتعالى في جماعه كما يحضر في صلاته وكذلك لا يشم رائحة طيبة ولا يدخل حماما بغير ضرورة ولا يضع جنبه الى الارض في ليل أو نهار ولا يضحك ولا يغفل عن الله تعالى لحظة ولا يبيت على دينار ولا درهم انتهى (وقد جاء شخص) الى سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه ليسأله الدعاء في قضاء حاجته فقال له سيدي أحمد اذهب فان عندي الآن قوت جمعة فاذا بلغك أنه ليس عندي قوت يوم فتعال أدع لك فان لي حينئذ أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليعقوب الخادم يا يعقوب ان الرجل اذا كان عنده قوت غدا وشبعان فدعاؤه خداج لعدم اضطراره وصدق التجائه (وقد ذكر) الغزالي رضي الله تعالى عنه ان من شرط من له حاجة أن لا يفطر ذلك النهار حتى يقضيها ولو عند غروب الشمس (قال وقد) جربناه فصح قال لان الانسان اذا شبع

هذا الشأن ويخفى عليه شيء من الاسنة وأخبرني أيضا قال قال لي الشيخ أبو العباس يوما كم بين بلدة كذا وبلدة كذا من نهر لبلدتين من بلاد العجم فقلت أربعة أنهار فقال والنهر الذي غرقت فيه فذكرت اني نسيت نهرا أتيت لاخوضه فكدت ان أغرق فيه وأخبرني العارف ياقوت قال عزم على انسان فقدم لي طعاما فرأيت عليه ظلمة كالكب فقلت في نفسي هذا حرام فامتنعت من أكله ثم دخلت على الشيخ أبي العباس فقال لي أول ما جلست ومن جهل بعض المريدين أن يقدم له طعام فيرى عليه ظلمة فيقول هذا حرام يا مسكين ما يساوي ورعك بسوء ظنك بصاحبك المسلم هلا قلت هذا طعام لم يردني الله به ودخلت أنا عليه وفي نفسي ترك الاسباب والتجرد وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلا أن الوصول الى الله لا يكون على هذه الحالة فقال لي من غير ان أبدي له شيأ صحبني بقوص انسان يقال له ابن نائي وكان مدرسا بها ونائب الحكم فذاق من هذا الطريق شيأ على يدينا فقال يا سيدي أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أقامك الله وما قسم لك على أيدينا هو اليك واصل ثم قال وهذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق هو الذي يتولى

كان دعاؤه كالسهم الذى يخرج من غير وتر مشدود انتهى وسيأتى فى الشرط الذى بعده ما يؤيده (التاسع) أن لا يفطر أيام التحمل بل يكون صائما وذلك ليستنير قلبه ويقرب من حضرة الدعاء فان الشبعان قلبه محجوب عن الله تبارك وتعالى بنحو سبعين ألف حجاب (العاشر) أن لا يكون الفقير الذى يتحمل قد خرق بصره الى الدار الآخرة فان من خرق ببصره كذلك تصير همته فاترة فاذا اطلع على ما فى ذلك البلاء من الاجر والثواب والقصور والدور والبساتين فتصير كل شعرة منه تطلب دوام ذلك البلاء على ذلك السائل أو دوام عزله عن ولايته واذا فترت الهمة كذلك بطل توجهه فيجب عليه أن يرشده الى غيره من الفقراء المحجوبين عما ذكرناه ممن بصره مقصور على الدنيا فقط فانه أسرع اجابة ولذلك كان دعاء الولاة والاغنياء مقبولا فى هذه الدار أكثر من بعض الفقراء الصادقين لما قررناه (الحادى عشر) أن يعمل الفقير على الوصول الى مقام التخلق بالرحمة حتى يكون أشفق على أخيه من نفسه فاذا حمل حملة من مات ولده مثلا وحم بالنار من فرقه الى قدمه فيكون أحم منه وأكثر حزنا على ذلك الولد من والديه فان لم يصل الى ذلك فليأمر الوالدين بان يسألا الله تبارك وتعالى لانفسهما فان ذلك أسرع اجابة لهما من دعاء ذلك الفقير (وقد توجهت) الى الله تبارك وتعالى مرة فى التحمل عن سيدى أبى الفضل وزوجته بنت سيدى محمد الحنفى لما ماتت ابنتهما وحصل لهما حزن عظيم فكاد لحمى وعظمى أن يذوب حتى وصلت الى مقام فوقهما فى الحزن ثم دعوت لهما (وبالجملة) فلم أر لهذا الخلق فاعلا بعد سيدى على الخواص غيرى وغاية غالب الناس اذا شكى له أحد مصيبة نزلت به أن يتوجع له باللسان ساعة أو يدعو له من غير استجماع هذه الشروط بكلام يشبه كلام الغائبين العقل وربما كان ذلك الفقير وكذلك المشفوع له مرتكبين شيأ من المعاصى الكبيرة فضلا عن غيرها فلا الشيخ أهلا لان يدعو ويقبل دعاؤه ولا المريد أهلا لان يشفع أحد فيه وربما دخل سيدى الشيخ الحمام ذلك اليوم ولبس الثياب المبخرة بعد أن تلذذ بزوجته وسريته على الفراش وأكل الاطعمة اللذيذة ونام على طراحة وغفل عن الله تبارك وتعالى فضلا عن ذلك المحمول عنه وما عند أهل الجنة خبر من أهل النار فاسأل بالله تبارك وتعالى جميع اخوانى أن لا يأخذوا فى أنفسهم على اذا كلمونى ورأونى معبساضيق الصدر فربما أكون فى ذلك الوقت مشاركا لمن ضرب فى بيت الوالى مقارع وكسارات أو لمن مات ولدها من النساء أو لمن كانت فى الطلق فان صاحب هذا الحال لا يصير له وجهة لغير ما هو فيه فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) الهامى لان آتى الى قضاء الحوائج من أبوابها التى جعلها الله تبارك وتعالى لها فاذا قضيت من الادنى لا أسأل الاعلى أدبا معه وذلك أنى أسأل فيها أصحاب النوبة أولا فان لم تقض على يدهم توجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم فان لم تقض توجهت الى الله عز وجل فان لم تقض أكثرت من الاستغفار وعلمت ان المحل ما هو قابل أو أن من سألنى لا يستحق قضاء تلك الحاجة (واعلم) يا أخى ان أصحاب النوبة الآن فى مصر وذلك سنة ستين وتسعمائة سبعون رجلا وهم مفرقون فى بيوت الحكام فلا يوجد حاكم الا وعنده واحد منهم أو أكثر فاذا دخلت يا أخى الى حاكم فى حاجة فتوجه بقلبك الى صاحب النوبة فى داره واسأله أن يعطف قلب ذلك الحاكم عليك فانه يفعل ان شاء الله تبارك وتعالى ومن لم يتوجه اليه فربما عارضه فى حاجته عند ذلك الحاكم وقسى قلبه عليه لسوء أدبه (فعلم) أن من أنكر أصحاب النوبة رضى الله تعالى عنهم أو اعترف بهم ثم تعداهم الى الحكام فهو مظلم القلب ليس له فى قدم الصدق لطريق الفقراء نصيب ولو انه كان من أهل الطريق لعرف أهلها ولزم الادب معهم (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول كم من كامل لا تصريف له وكم من ناقص بالنسبة اليه يتصرف فى الوجود ليلا ونهارا فلا تظن يا أخى أن صاحب التصريف أعلى مقاما ممن لم يتصرف (قال وقد كان) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول ان الشيخ ابا السعود بن الشبل أعلى مقاما من شيخه الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنهم لانه عرض عليه مقام التصرف فابى وقال قد تركنا الحق تبارك وتعالى يتصرف لنا والشيخ عبد القادر عرض عليه مقام التصريف فتصرف وكان الاولى له أن يتركه حتى يؤمر بالتصريف فهنالك يتصرف بامر اه (وتأمل)

اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي وكأنها كانت ثوبا نزعته ورضيت عن الله فيما أقامنى فيه وأخبرنى بعض أصحابنا قال رأيت وأنا بالمغرب دائرة من الرجال ورجل فى وسطها وكل من فى تلك الدائرة متوجه اليه فقلت فى نفسى هو القطب وعرفت ذلك الرجل بصفته وبقيت كلما ذكر لى عن رجل آتى اليه وأقول عسى أن يكون ذلك الرجل حتى قيل لى عن الشيخ أبى العباس المرسى فاتيته واذا هو ذلك الرجل الذى رأيته فى وسط تلك الدائرة فاخبرته فقال نعم أنا القطب أما الذين يقابلون بطنى لهم المدد من باطن حقيقتى والذين يقابلون ظهرى لهم المدد من ظاهر على والذين يقابلون جنبى لهم المدد من العلوم التى بين جنبى وأخبرنى بعض أصحابنا قال رأى انسان من أهل العلم والخير كأنه بالقرافة الصغرى والناس مجتمعون يتطلعون الى السماء وقائل يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلى ينزل من السماء والشيخ أبو العباس مترقب لنزوله متأهب له فرأيت الشيخ أبا الحسن قد نزل من السماء وعليه ثياب بيض فلما رآه الشيخ أبو العباس ثبت رجليه فى الارض وتهيأ لنزوله عليه فنزل الشيخ أبو الحسن عليه ودخل من رأسه

باأخي في مقدم الوالي كيف يتصرف في المجرمين بالعقوبة لهم والافراج عنهم ولا يقدر على ذلك شيخ الاسلام مع انه أعلى رتبة عند الله عز وجل ان شاء الله تعالى من المقدم بيقين بل ربما سئل شيخ الاسلام في حاجة عند الوالي فيسأل هو المقدم فيها ولا يقدر على اطلاق متهوم بحرام أو فجور أبدا بخلاف المقدم قال الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها (وقد خالف قوم) وتصرفوا بغير واسطة أصحاب النوبة فمقتلوهم بالحال وقد أوصاني سيدي الشيخ أبو الفضل شيخ بيت بني الوفا رضي الله تعالى عنهم وقال اياك أن تدخل في حملة أحد من ولاة هذا الزمان ويحن عليه قلبك فلعلك تقتل تحتها ولا تجب فانهم سم ظلمة ولسان حالهم يقول ياسيدي الشيخ دعنا نظلم العباد والبلاد واجنا من العقوبة التي استحقيناها فليكن الفقير حاذقا فانه في النصف الثاني من القرن العاشر انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول اياكم أن تسألوا في حوائجكم الاولياء الذين ماتوا فان غالبهم لا تصريف له في القبر وأما غير الغالب كالامام الشافعي رضي الله تعالى عنه والامام الليث رضي الله تعالى عنه وسيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وأضرابهم فربما جعل الله تبارك وتعالى لهم التصريف في قبورهم بحسب صدق من توجه اليهم (قال) وقد استدارت أبواب جميع الاولياء رضي الله تعالى عنهم الى الغلق ومابقي مفتوحا الا باب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم زاده فضلا وشرفا لديه فمن كان له حاجة فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم عليه ألف مرة بتوجه تام ثم يسأله في قضاء حاجته فانها تقضى ان شاء الله تعالى (ولما وقع التفتيش في مكاتيب الرزق خرج بعض جهات الزاوية أقطاعا السلطان فاشتغلت الفقراء بالقرآن فقرؤا نحو ثلثمائة ختمة وأهدوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لاصحاب النوبة رضي الله تعالى عنهم وللسلطان نصر الله به الاسلام والمسلمين فافرج عنهم الباشا ولم يقع ذلك لاحد في مصر غيرنا ولذلك رتبت الدعاء لاصحاب النوبة فليس أحد من جماعتنا الذين بزاويتنا يدعو عقب صلاة أو قراءة الا ويدعو لاصحاب النوبة رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) قضائي الحوائج عند الحكام من غير وقوع نقص في ديني بسبب ذلك وذلك أنه اذا كان لي حاجة عند الباشا فمن دونه أتوجه الى الله عز وجل وأسأله أن يسخر ذلك الامير لي في قضاء تلك الحاجة فيصبح الامير متهيئا لذلك فأول ما يقرأ القصة أو يسمع كلام القاصد يقضي الحاجة لوقتها بخلاف غيري فربما أظهر النسك والعبادة ويقول للوسايط اذكروا الفقراء عند الامير أو اذكروهم عنده بما أنتم أهله من الخير وربما وقع في الرياء والنصب والحيل الا أن يكون من كمل الاولياء الذين لا رياء عندهم في اعتقادنا كسيدي أحمد الزاهد فقد كان يقول لصاحب الحاجة اذا سأله قضاء حاجة عند من لا يعرفه انظر أحدا يسبق الى بيت الامير ويعظمني عنده حتى تقضى حاجتك فاني لا ينبغي أن أزكي نفسي عنده وان لم أزكها لا تقضى لك حاجة انتهى والاعمال بالنيات (قلت) وقد قضيت عند قضاة العساكر والكشاف ومشايخ العرب حوائج من المهمات وما رأيت أحدا منهم ولا جالسته ولا أرسلت له من يعرفه بي ولكن يحتاج صاحب هذا الخلق الى قوة توجه فانهم قالوا تحويل الجبل بتوجه الفقير أهون عليه من تحويل قلب أمير وذلك لان الجبل لا روية عنده ولا تأمل بخلاف الامير فانه ربما ظهر له أن الصواب في مخالفة الفقير فعمل به ولا كذلك الجبل فافهم (ويقع لي) في بعض الاوقات اني أتوجه الى الله تعالى في قضاء حاجة وأنا ساجد فاحس بجسمي وعظمي قد ذاب فارمى الصحو من غير تشهد ولا سلام فما أفيق الا بعد ساعة وأعرف اني لو زدت في السجود وطولت فيه مع الحضور لاحترقت (وهذا أمر لا يذوقه الا أهله) فأين من له عظم يثبت من أمثالنا في حضرة هي أقرب الحضرات ولكن من أراد أن يحيط بما قلناه علما فليطل السجود ويقول يا الله يا أرحم الراحمين حتى ينقطع نفسه مرارا بحيث لا يبقى فيه متسع لان ينطق بكلمة واحدة وكل شئ خطر في باله من غير الله عز وجل يصرفه عنه حتى لا يبقى في ذهنه الا الله وحده فانه يحس بجسمه انه يكاد يحترق لو زاد في التطويل (ثم) ان كل من صح له الثبوت هناك أجيب دعاؤه بوقته لانها حضرة لا يرد فيها سائل لارتفاع الحجب والوسايط فيها الا ما استثنى شرعا انتهى فاعمل على التخلق بذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

ثم غاب فيه واستيقظت وأخبرني الشيخ محمد السراج قال كنت ليلة من الليالي نائما وأنا أرى في المنام قائلا يقول لي اذهب الى خارج الاسكندرية من باب السدرة فاول بستان تلقاه من الجانب الايسر فادخل فيه فانك تجد هناك جماعة من الناس الجالس منهم تحت أطول نخلة هناك رجل من الرجال ثم قيل لي ان في الجامع حلقة من دخل فيها فهو آمن فلما أصبحت خرجت الى ظاهر الاسكندرية فدخلت أول بستان من الجانب الايسر فوجدت حلقة هناك فرفعت بصري لانظر الى أطولها نخلة فاذا قائل يقول كلها طوال فاذا هو الشيخ أبو العباس المرسي فسلمت وجلست فقلت ياسيدي رأيت البارحة كذا وكذا وقصصت عليه الرؤيا فقال أنا الجامع والحلقة هم أصحابي ومن دخل فيها فهو آمن أي من دخل في شروطنا فهو آمن ثم قال أنا الليلة آتيك فقلت ياسيدي أنتظرك على الباب أو أترك لك الباب مفتوحا قال لا ولكن اغلق الباب وأنا آتيك قال فلما كان الليل أخذني شبه الوهم وصرت أقول من أين يأتي من ههنا يأتي لا بل من ههنا يأتي فلم أطق المكث فخرجت الى رباط الواسطي فصعدت المأذنة ووقفت لاصلي فاناني الصلاة واذا الشيخ أبو العباس قد أتى في الهواء وقال يامحمد أتظن

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجيهى لكلام الائمة المجتهدين ومشايخ الصوفية وحمل كلامهم على أحسن الوجوه وكذلك كلام أتباعهم فاحمله على محامل حسنة وقد يتفق لى ذلك مع بعضهم ولو علمت أنهم لم يصلوا الى ذلك المشهد كل ذلك سدا لباب الوقيعة فيهم وللتحقيق موضع آخر (فمن ذلك) ما اذا سمعنا شخصا من الاكابر يقول اللهم احبس عنى ألسنة عبادك مثلا حتى لا ينقصونى لا نحمل ذلك على أنه قصد بذلك تعظيمه عند الناس لغرض نفسى وانما نحمله على أنه قصد بذلك عدم تنقيصه حتى لا يتوقف اتباعه فى قبول نصحه ووعظه أو حتى لا يرتكب أحد معصية بغيبته ونحو ذلك كهضم نفسه تواضعا فكأنه يقول للناس مثلى لا يقدر على تحمل الكلام فيه ونحو ذلك (وقد) نقل أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب احبس عنى ألسنة عبادك فقال ياموسى هذا شئ ما جعلته لنفسى قد قالوا فى ما قالوا انتهى (ومعلوم) أن موسى عليه السلام لا يطلب مقاما عند الخلق لحظ نفس قط لعصمته فكذلك القول فى الاولياء رضى الله تعالى عنهم لحفظهم فما سأل الاكابر فى حبس ألسنة الناس عنهم الا خوفا من عدم قبول اتباعهم نصحهم اذا نقصوا فى أعينهم وقد كلفوا بهدايتهم فيتبعون فى ذلك ومن هنا قال العارفون رضى الله تعالى عنهم يشترط فى كمال الداعى الى الله تعالى أن يكون محفوظ الظاهر من الزيغ عن الشريعة حتى لا يجد المدعو فيه مطعنا ونظير ما قلناه أيضا قول هرون عليه السلام ولا تشمت بى الاعداء فانه انما قصد بذلك عدم وقوع قومه فى الاثم بسبب شماتتهم به فان من شمت بنبى كفر وهذا الباب الذى فتحناه لك قليل من الفقراء من يعرفه بل غالبهم يسارع الى الانكار اما لقلة العلم واما لغير ذلك فينكر بمجرد رؤيته لشئ رآه أو سمع به أو أشيع من غير تثبت وقد جاءنى مرة شخص من جامع الازهر فقال لى ما عدت أعتقد فى العالم الفلانى أبدا فقلت له لماذا فقال سمعته يقول أنا أعلم من جميع علماء مصر الآن بل أعلم من جميع من على وجه الارض من العلماء فقلت له يحتمل انه يريد أنا أعلمهم بزلاتى ومخالفتى أو بما فى بيتى من الامتعة أو أعلمهم ببدن زوجتى ونحو ذلك قال وسمعته أيضا يقول العالم الفلانى لا يجئ فى قلامة ظفرى ولا شعرة منى فقلت له صحيح انه لا يجئ فى قلامة ظفره ولا شعره بل هو أجل وأعظم من ذلك وكان لسان حالك أنت تقول بل هو يجئ كذلك قال وسمعته أيضا يقول ونحن فى طريق بولاق سبحان من شرف هذه البقاع بمشينا فيها فقلت له هو قول صحيح فان النوع الانسانى أشرف من التراب لانه خلاصة الوجود فهو أشرف ممن هو دونه خصوصا اذا أنعم الله عليه بذكره وهو ما رقال وسمعته يقول أيضا أنا أفضل علماء مصر الآن فقلت له يحتمل انه يريد بذلك أنا أفضل منهم عند نفسى الخبيثة وهى مخطئة فى تلك الدعوى والحال أنهم أفضل منى قطعا انتهى (فانتحل) يا أخى لاخوانك الاجوبة الحسنة وان كانت بعيدة فانه أخلص لك وأسلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يسوغ الانكار شرعا الا اذا لم يقبل ذلك الامر التأويل انتهى (وكان يقول) أيضا من كمال الفقير أن يحمل كلام الاكابر على أحسن المحامل لخروجهم عن مقام التلبيس والرعونات النفسانية وان عجز عن الجواب عنهم فى قول قالوه أو فعل فعلوه فليسلم لهم وليكف عن الانكار لان منازعهم دقيقة على عقول أمثالنا لا سيما الائمة المجتهدون وكبراء مقلديهم وأنى لامثالنا أن يتصدى لرد كلامهم (وقد) تصدى شخص للرد على الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعمل فى ذلك كراسة وأتى بها الى يعرضها على فطردته ولم أصغ الى قوله ففارقنى ووقع من سلم بيته وكان عاليا فانكسر صلبه وخرج زر وركه من مكانه فهو الى الآن مكسور يبول ويتغوط على نفسه نسأل الله تبارك وتعالى العافية (وقد أرسل لى) مرات انى أعوده فلم أفعل أدبا مع الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ان أوالى من أساء الادب معه (هذا التأويل) فى حق الائمة الماضين أما الاحياء فلا أقبل فى أحدهم كلاما قط حتى أجتمع به وأفاوضه فى ذلك الكلام فربما نقل الحسدة عنه كلاما باطلا أو حرفوه عن مواضعه على خلاف مراده ليشنوا الغارة عليه عند المتهورين فى دينهم من باب التعصب والباطل بقصد أنهم يطفؤن نوره فى البلد ويأبى الله الا أن يتم نوره (وهذا الامر) قد كثر نقله بين الاقران وذلك من قلة الورع فى المنطق فان الورع فى المنطق فى كل زمان أعز من الكبريت الاحمر وقد كان شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه اذا رفع اليه سؤال عن أحد من علماء العصر

انك اذا جئت الى هنا يخفى على مكانك فقلت ياسيدى انما جئت ههنا لانى لم أطق وهالنى الامر وكان المخاطب له منى لسان آخر غير الذى كنت أقرأ به وأخبرنى بعض أصحابه قال كنا مع الشيخ بمدينة قوص وكان من أصحاب الشيخ أبى العباس المرسى أبو الحسن المرسى وكان فى خلقه حدة فنزل يوما ولد الشيخ يلعب كما تلعب الصبيان فقال له الشيخ أبو الحسن المرسى اطلع لا أطاعك الله فسمعه الشيخ أبو العباس فنزل وقال يا أبا الحسن حسن خلقك مع الناس بقى لك عام وتموت فمات تمام العام وأخبرنى أبو عبد الله الحكيم المرسى قال قدم علينا شيخ اشموم فلما جن الليل دعانى الشيخ وقال ادن منى ياحكيم فدنوت فوضع يده خلف ظهرى وفعلت أنا كذلك وضمنى اليه وبكى وبكيت لبكائه ولا أدرى مم بكاؤه فقال ياحكيم ما جئتكم الا مودعا ياحكيم اذهب الى المقر فاودع أخى ثم أعود الى الاسكندرية فابيت بها ليلة وأدخل فى اليوم الثانى قبرى فسافر فاقام عند أخيه مدة يسيرة ثم انحدر الى الاسكندرية فاقام بها ليلة ودخل اليوم الثانى قبره كما قال وأخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ رضى الله عنهما قال ورد رسول الافرنج الى الاسكندرية فذهبت لانظره ولم أعلم الشيخ فلما جئت

يقول لا أكتب عليه الا ان اجتمعت به وسألته عن مراده وتارة يقول ان ثبت ذلك عن قائله بطريق شرعي لا تعصب فيه فالحكم كذا وكذا انتهى (وقد دريت) انا هذا الباب كثيرا مع حسادي فكل قليل يحرفون عني مسائل لم أقل بها قط ثم يكتبون بها سؤالا ويستفتون عنها العلماء فيفتون بحسب السؤال ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لي من ذلك أجور لا تحصى من كثرة الوقوع في عرضي بغير حق فلو أني كنت مؤاخذا أحدا من هذه الامة لما رضيت يوم القيامة بأعمال الواحد منهم طول عمره في غيبة واحدة (هذا) وما أحد من المستفتين على اجتمع بي طول عمره ولا بلغه ذلك عني ببينة عادلة ولو أنهم كانوا يقصدون الخير لاجتمعوا بي وأخذوا مني الجواب فاما أن أتبرأ من ذلك الكلام فلا يجوز نسبته الي بعد ذلك واما ان أرد تحريفهم بتبيين مرادي على الوجه الشرعي لكن العدو ماقصده الا الاذى و يخاف ان أجيب عن نفسي فلا يروج له أمر فيما افتراه علي فالله يغفر له (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لفقير أن يؤاخذ أحدا من الفسقة بكلام قاله في حقه لانه ليس مع الفاسق أعمال صالحة في الآخرة يعطى شيأ منها الاحد من أخصامه أو معنه ولكن لاتني بماعليه ثم ان الفقير ان وضع من أو زاره شيأ على ظهر ذلك الفاسق بعد نفاد أعماله الصالحة وقع فيما يقدح في مروءته فما بقي الا المسامحة وان كان ولا بدله من المؤاخذة فليؤاخذ العلماء العاملين المخلصين لان غير المخلصين لا يصل لهم عمل الى الآخرة حتى يأخذ حقه منها لاحباطه بالرياء والعجب مثلا في دار الدنيا انتهى (وسمعت) أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا سامحت أحدا في حقك من مال أو عرض فاجعل ذلك من جانبك لا من جانب الحق تبارك وتعالى من حيث انها كحرمة الله عز وجل وتعدى حدوده بالكلام في المؤمنين بغير حق فان ذلك ليس هو اليك وانما هو الى الله تعالى يفعل فيه مايشاء انتهى (فعلم مما قررناه) انه لا ينبغي للمفتي أن يبادر الى الكتابة على سؤال متعلق بأحد من الاحياء لا سيما ان كان يعلم ولو بالقرينة ان ذلك المستفتي منه عدو للمستفتى عنه فيحصل بتلك الكتابة ضرر كبير اذ الاستفتاء على شخص كالكتابة والعلامة على قلة دينه فهو كالتقرير له (وقد وقع) في سنة سبع وخمسين وتسعمائة ان شخصا ممن لا يخشى الله تبارك وتعالى زور علي انني ادعيت الاجتهاد المطلق كاحد الائمة الاربعة فلا تسأل يا أخي عن كثرة ملاث الناس بعرضي ولعل شبهتهم في ذلك كثرة أجوبتي عن الائمة فيرونني أوجه هذا المذهب وهذا المذهب كتوجيه أصحابه فربما يفهمون من ذلك بفهمهم المعكوس ما فهموه مع اني بحمد الله تبارك وتعالى لم أجب عن امام قط بالصدر وانما أجيب عنه بعد اطلاعي على دليله كما يعلم ذلك من كتابي الذي ألفته في بيان أدلة المجتهدين (وممن توقف) عن الكتابة على ذلك السؤال تورعا الشيخ ناصر الدين اللقاني والشيخ شهاب الدين الرملي والشيخ نجم الدين الغيطي والشيخ نور الدين الطندتائي والشيخ شمس الدين البرهمتوشي وسيدي محمد الرملي وقال ائتوني بالكتاب الذي فيه هذه الدعوى أو ببينة عادلة تشهد عليه بذلك فاعجزهم وأما الشيخ نجم الدين فسح الله في أجله فاجاب عني بنحو خمسين جوابا وقال للحسدة بتقدير ثبوت ذلك عنه فليس في ذلك محذور لان من شرط القاضي أن يكون مجتهدا انتهى ولما بلغ ذلك الشيخ ناصر الدين الطبلاوي قال ان ثبت ان فلانا ادعى ذلك فانا أول من يقلده انتهى وقد اشاعوا مثل ذلك عن الشيخ جلال الدين السيوطي والحال ان الشيخ لم يدع الا الاجتهاد المنتسب لانه على قسمين اجتهاد مطلق مستقل كالائمة الاربعة وهذا لم يدعه أحد بعد الائمة الاربعة الا ابن جرير الطبري ولم يسلم له ذلك واجتهاد مطلق منتسب كما عليه المزني والقفال والشيخ أبو محمد الجويني والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين فكل هؤلاء مجتهدون منتسبون لا مستقلون هكذا رأيته بخط الشيخ جلال الدين السيوطي وقال اني لم أدع الا الاجتهاد المطلق المنتسب فظن الحسدة اني أعني المطلق المستقل انتهى على ان الاجتهاد عند أهل الطريق يحصل للمريدين فضلا عن العارفين وعبارة الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في الفتوحات المكية في كتاب الجنائز واذا بلغ المريد مقام الاجتهاد فهل يقيم تحت حكم أستاذه أو يخالفه قد قال بكل منهما جماعة (قال) والذي أراه انه يقيم تحت حكم شيخه حتى يرقيه الى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين انتهى وذلك فوق مقام الاجتهاد بيقين اذ غاية الاجتهاد في الفروع الظن فانه

قال أين كنت قلت ههنا قال لا بل ذهبت تنظر رسول الافرنج أتظن ان شيأ من أحوالك يخفى علي كان الرسول لابسا كذا راكبا عن يمينه فلان وعن يساره فلان فوصف الحال على ما كان عليه وأخبرني عبد العزيز المدوني قال قال لي الشيخ يا عبد العزيز سقيت الفرس وما كنت سقيتها فقلت نعم خوفا من الشيخ فقال يا عبد العزيز سقيت الفرس قلت نعم فكرر علي ذلك مرارا وأنا أقول نعم ففي المرة الاخيرة قال يا ألله وطار في الهواء حتى غاب عن بصري فلما كان في اليوم الثاني قال يا عبد العزيز ما الذي يحوج الانسان منكم أن يقول غير الحق كنت تقول ما سقيتها وماذا كنت أصنع بك اذا كنت لم تسقها وكنت أنا سمعت الطلبة يقولون من صحب المشايخ لا يجيء منه في العلم الظاهر شيء فشق علي أن يفوتني العلم وشق علي أن يفوتني صحبة الشيخ فاتيت الى الشيخ فوجدته يأكل الباغل فقلت في نفسي ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده فما استتمت الخاطر الا وقد دفع في في لقمة من يده ثم قال نحن اذا صحبنا تاجرا ما نقول له اترك تجارتك وتعال أو صاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال أو طالب علم لا نقول له اترك طلبك وتعال ولكن نقر كل واحد فيما أقامه الله تعالى فيه وما قسم له على أيدينا

تبارك وتعالى يحمى جميع اخواننا من الوقوع فى الانكار على أحد من الائمة ومقلديهم كما وقع لى فانى لا أعلم بحمد الله تبارك وتعالى أحدا من أقرانى أكثر أجوبة عن الائمة رضى الله تعالى عنهم وعن مقلديهم منى خلاف ما أشاعه الحسدة على فلو أن أحدا سالما من التعصب جالس عندى وعرض على أقوال جميع المذاهب المتضادة عند غيرى لجمعت بينها من غير تكلف انتهى وقد رأيت وأنا شاب الامام الاعظم أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه والامام مالك جالس عن يساره وأنا واقف بين يديهما فقال الامام مالك رضى الله عنه للامام أبى حنيفة ما أحد أجاب عنا مثل هذا الشاب فسررت بذلك غاية السرور وقد حبب الى أن أذكر لك يا أخى جملة من المسائل التى اختلف فيها الائمة رضى الله تعالى عنهم فى الوضوء والصلاة تأنيسا لك (فربما) تستبعد أقدار الحق تبارك وتعالى لمثلى على الجمع بين الاقوال المتضادة فأقول وبالله التوفيق (وجه) قول من قال لا يصح الوضوء بالماء المستعمل فى فرض الطهارة كون الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يجمعوا المستعمل فى أسفارهم القليلة الماء ليتوضؤا به ثانيا بل عدلوا عنه الى التيمم ولان الخطايا قد خرجت فيه بنص الحديث وما تخرج فيه الخطايا فهو مستقذر شرعا فلا ينبغى لمؤمن أن يتطهر به لان من شأن مقام الطهارة انها تزيد الجسد طهارة وتقديسا والوضوء من غسالة الخطايا يزيد الجسد تقذرا فلو كشف الحجاب عن العبد لرأى الماء المستعمل فى الميضأة التى يردها الناس كالذى وقع فيه جملة من الحيوانات الميتة كالكلاب والخنازير والحمير والحشرات على حسب تفاوت المعاصى التى خرجت من زنا ولواط وشرب خمر وغيبة ونميمة ومرافعة فى الناس عند الحكام وغير ذلك من كبائر وصغائر ومكروهات فرحم الله الامام أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث عم بأقواله الثلاثة الكبائر والصغائر والمكروهات فان له قولا ان حكم الماء المستعمل فى حدث حكم النجاسة المغلظة وله قول آخر انه كالمتوسطة وله قول آخر انه طاهر غير طهور (وجه) كونه كالنجاسة المغلظة الاخذ بالاحتياط فربما وقع ذلك المتطهر فى شئ من الكبائر ووجه كونه كالنجاسة المتوسطة كون الغالب فى الناس وقوعهم فى الصغائر وهى حالة متوسطة بين الحرام والمكروه ووجه كونه طاهرا غير طهور ان الاصل عدم ارتكاب الناس الصغائر والكبائر فما بقى الا ارتكابهم المكروه والذى أباحته الشريعة (ويؤيد) ما ذكرناه فى تقسيم الغسالة قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة لما قالت له حسبك من صفية كذا تعنى قصيرة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أى لو وقعت فى البحر لغيرته كله وأنتنته فاذا كان مثل هذه الكلمة يغير ماء البحر الاعظم لو وضعت فيه فما ظنك يا أخى بغسالة الذنوب العظام اذا سقطت فى فسقية صغيرة فرحم الله تعالى أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث أشاروا الى منع الوضوء من فساقى المساجد فانها بالنسبة للبحر المحيط كقطرة صغيرة فهى أولى بالتقذر والتغيير * وأما وجه من جوز الطهارة بالماء المستعمل فهو لان تقذر الماء بالخطايا المعنوية أمر غير مشهود الا لاهل الكشف ولا ينهى الانسان الا عن الطهارة بالماء الذى يشهد قذارته وتغييره على اختلاف المقامات فى ذلك ويؤيد ذلك تسمية الماء طهورا أى تتكرر به الطهارة عند من جوزه * وأما وجه من منع الوضوء بالماء المعتصر من النبات والاشجار فهو لان مشروعية الطهارة انما جعلت لانعاش البدن ليقوم العبد الى مناجاة ربه ببدن حى ومعلوم ان الماء المعتصر ضعيف الروحانية لان الروحانية التى كانت فيه قد انتقلت الى الحبة والنواة مثلا حتى اخضر ذلك الزرع وكثرت أوراقه وأغصانه فصارت روحانية ذلك الماء ضعيفة لا تنعش بدن المتوضئ ومن شك فى قولى فلينظر بدنه اذا توضأ بماء البئر الذى لم يستعمل وماء الفساقى فانه يجد بدنه ينتعش بماء البئر أكثر * وأما وجه من منع صحة الوضوء اذا لم يذكر اسم الله عليه فلان كل ما لم يذكر اسم الله عليه غير مبارك أو يحمل ذلك على الكمال لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد (وأما) وجه من أوجب الترتيب فى أعضاء الوضوء وأبطل الوضوء اذا لم يرتب فلانه لم ينقل لنا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ غير مرتب أبدا وقد قال صلى الله عليه وسلم كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد فالترتيب مأمور به أولا ثم نهض به الى الوجوب اجتهاد المجتهد وأما وجه من صحح الوضوء اذا لم يرتب فانه جعل الواو فى آية الوضوء لغير الترتيب والمقصود غسل جميع هذه الاعضاء قبل أن يقوم للصلاة ويدخل فيها ويؤيده ما روى عن على

هو واصل اليه قد صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال للتاجر أترك تجارتك ولا للذى صنعة اترك صنعتك بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها وسمعته يقول سافرت الى قوص ومعى خمسة أنفس الحاج سليمان وأحمد بن الزين وأبو الربيع وأبو الحسن المرسى وفلان فقال لى انسان ما الذى تقصد بسفرك يا سيدى فقلت له أدفن هؤلاء بقوص وأجيء فدفنت الخمسة بها أما الحاج سليمان فما مات حتى شرب من حوض الكوثر وأخبرنى بعض أصحابه قال نزل عنده بعض الاعيان فقال فى نفسه أشتهى من ينبهنى قبل الفجر بمنزلة ويأتينى بابريق ماء سخن ويأتينى بسراج ويرينى محل الطهارة قال وأنا قبل الفجر الا وطارق يطرق الباب فخرجت واذا هو الشيخ فقال الوقت قبل الفجر بمنزلة وهذا ابريق فيه ماء سخن وهذه شمعة وتعال حتى أريك محل الطهارة وكنت قد قلت لبعض أصحاب الشيخ أريد أن نظر الى الشيخ بعنايته ويجعلنى فى خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا فى خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده ثم قال أى شئ تريد أن يكون والله ليكونن

رضي الله تعالى عنه لا أبالي بدأت برجلي أو بوجهي * وأما وجه من أوجب الموالاة من حيث الاعتبار والحكمة فلأن الطهارة انما شرعت لانعاش البدن مما تولد من وقوع صاحبه في المعاصي أو الشهوات أو الغفلات حتى كاد البدن أن يموت أو يضعف أو يفتر فلو لم يوجب الموالاة لأدى الى زيادة البطء في زمن الطهارة كأن يغسل وجهه قبل طلوع الشمس مثلا ثم يغسل بقية أعضائه قبيل العصر مثلا مع وقوعه في الغيبة والنميمة وكثرة الضحك وأكل الشهوات وكثرة الغفلات بين الوقتين حتى صار بدنه من كثرة الضعف كأنه لم يتوضأ وبذلك يذهب المقصود من حكمة الوضوء وهي انعاش البدن قبل الدخول في الصلاة فيقوم للصلاة قبيل العصر مثلا ببدن ميت أو ضعيف أو فاتر فالموالاة من أصلها مأمور بها ونهض بها الاجتهاد الى الوجوب كما مر في الترتيب * وأما وجه من قال ان النية لا تجب في الوضوء وتجب في التيمم فهو أن الماء يحيي ما سرى اليه بطبعه ولو بلا نية فعل فاعل كالأرض التي سال عليها الماء من غير فعل انسان فانها تحيا وتصلح للزرع وتنبت الحب الذي بذر فيها فكذلك القول في حياة الأعضاء * وأما وجه من قال بوجوبها في التيمم فلأن التراب ضعيف الروحانية بالنسبة للماء فاشترط معه النية المقارنة للقصد تقوية لروحانيته من حيث ان الهمة تؤثر فيما قابلها * وأما وجه من قال انه يصلي بتيمم واحد ما شاء من الفرائض فلأن الشارع صلى الله عليه وسلم سكت عن ذلك ولو أنه كان لا يؤدى به غير فرض لبينه الشارع ولو في حديث * وأما وجه من قال لا ينقض مس الفرج فلأن الناقض حقيقة انما هو الخارج لا المحل ولذلك ورد فيمن مس ذكره ما يعطي عدم النقض في حديث هل هو الا بضعة منك * وأما وجه من نقض الوضوء بمسه فهو زيادة في التنزه وذلك خاص بالأكابر دون الأصاغر * وأما وجه من نقض الوضوء بالنوم ولو ممكنا مقعدته فلأن النوم أخو الموت كما ورد وهذا خاص بالأكابر أيضا دون الأصاغر وأما وجه من لم ينقض بنوم ممكن مقعدته فلأمنه حينئذ من خروج الريح وذلك رخصة * وأما وجه من نقض الوضوء بمس الفرج باليد الى المرفقين ظهرا أو بطنا فلأن اليد تطلق على ذلك كله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا أفضى أحدكم بيده الى فرجه الخ * وأما وجه من نقض بباطن الكف فقط فهو عمل بما عليه أهل اللغة من تخصيص الافضاء ببطن الكف دون غيره * وأما وجه من لم ينقض الطهارة الا بالجماع فلأن اللمس يطلق على الجماع نظير قوله تبارك وتعالى وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن أي تجامعوهن * وأما وجه من نقض بالدم الجاري وبالقهقهة والغيبة ومس اليهودي أو الصليب أو الاجذم ونحو ذلك فهو لكون المكلف مأمورا بالتنزه عن كل ما تولد من الأكل المشغل بلذته عن الله تبارك وتعالى حالة فعله * وأما وجه من لم يوجب الغسل بالجماع من غير انزال فلخفة اللذة فيه بخلاف من أنزل فانه لا يكاد يقدر على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال جماعه أبدا لعموم اللذة لجسمه كله ولذلك أمر بالغسل لبدنه كله * وأما وجه من أباح وطء الحائض اذا انقطع دمها وغسلت فرجها فقط فلأن الوطء انما حرم للأذى الذي يخرج من الفرج وقد زال وحكم غسل بقية البدن انما هو زيادة تنظيف وقس على ذلك بقية المسائل التي تركناها (وأما توجيه) أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم في الصلاة (فوجه) من قال يجب على المصلي استحضار أفعال الصلاة وأقوالها كلها في حال التكبير فهو لأن المصلي الحقيقي يدخل حضرة الله عز وجل بالروح دون الجسم وذلك سهل على مثله فهو خاص بالأكابر وأما وجه من قال لا يجب ذلك لعسره فهو في حق من غلبت جسمانيته على روحانيته من غالب الناس فانه لا يتعقل أمرا الا بعد شهوده ما قبله وهكذا وذلك يؤدي الى زمن طويل بخلاف الروح فانها تدرك الأشياء جملة في آن واحد فهذا في حق قوم وذاك في حق قوم * وأما وجه من أمر المصلي بالاستعاذة في قراءة كل ركعة فلأن غالب المصلين ضعيف الحال ليس له عزم يطرد به ابليس عنه باستعاذته مرة واحدة أول قراءته فأمر بالاستعاذة في كل ركعة بخلاف قوي العزم فان ابليس يطرد عنه باستعاذته في الركعة الأولى فقط فلا يحتاج الى الاستعاذة ثانيا لعدم حضور ابليس عنده بعد الاستعاذة الأولى ويؤيده ظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا شك أن في كل ركعة قراءة جديدة لتخلل الركوع والسجود بين كل قراءتين * وأما وجه من أوجب البسملة في قراءة الفاتحة في كل ركعة فهو للاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند من أوجبها ومن

فكان من فضل الله سبحانه وتعالى مالا نذكره وأخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ هم يريدون يصدرون ابن عطاء الله في الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف ودخلت أنا عليه فقال لي اذا عوفي الفقيه ناصر الدين يجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية وتتكلم ان شاء الله في العلمين فكان ما أخبر به وسمعته يقول أريد أن أستنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الاول فقال ما هذا فقلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فاخذه فلما نهض ليقوم قال اجعل بالك الولي لا يفضل عليه أحد تجد هذا ان شاء الله في ميزانك فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه بعد نزولي من عنده وقال قال الشيخ عنك والله لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به في العلم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة

لم يوجبها لعدم ثبوت حديثها عنده وأما وجه ذلك من حيث الاعتبار فهو لأن ذكر الاسم انما يكون فى الغيبة
عن مشاهدة صاحب الاسم فمن شاهد الحق تبارك وتعالى بقلبه كفاه مناجاته من غير ذكر اسمه فلكل مجتهد مشهد
وفى مواقف الشيخ محمد النفرى أوقفنى الحق تبارك وتعالى بين يديه فى المنام وقال لى اذا لم ترنى فالزم اسمى فأمره
تبارك وتعالى بلزوم اسمه الا اذا لم يره ومن هنا ألغز بعض العارفين رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته وامداداته
فى شعره بقوله * بذكر الله تزداد الذنوب * أى لأن حضرة المشاهدة حضرة بهت وخرس وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا وعلى ذلك يحمل قول الشبلى رضى الله تعالى عنه لما قيل له متى تستريح فقال اذا لم أر لله
ذاكرا وذلك فى حضرة الشهود فكأنه تمنى لجميع أهل محله دخولها ليكتفى عن الذكر بالشهود هكذا وجهه أهل
الطريق * وأما وجه من قال يرخى يديه بجنبيه دون أن يضعهما تحت صدره كما ورد فذلك فى حق من شغله مراعاة
كون يديه تحت صدره لا ينزلان عنه عن كمال مناجاة الله تبارك وتعالى واقباله عليه لأن من شأن النفس العجز عن
مراعاة شيئين معا فى آن واحد الا بقوة مدد الله تبارك وتعالى العبد بها واذا تعارض معنا أمران راعينا الافضل
منهما ولا شك أن اقبال العبد على خطاب ربه عز وجل من غير التفات الى غيره أولى من أن يشتغل بيديه خوفا أن
ينزلا الى سرته أو ينفكا عن وضع اليمين على اليسار * وأما وجه من قال انه يضع يديه تحت السرة فهو لأن اليد اذا
طال وضعها على الاخرى يغفل المصلى عن مراعاتها فتنزل الى أسفل السرة وأصلها انما كانت فوق السرة فربما
رآها بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك فظن أن أصل وضعها كان كذلك فقال به واتباع ما صح فى الاحاديث
أولى فعلم أن وضع اليدين تحت الصدر خاص بالاكابر الذين لا يشغلهم عن الله تبارك وتعالى شاغل وارخاؤهما
خاص بالاصاغر كما قررناه وبهذا حصل الجمع بين مذهب الامام مالك والامام الشافعى رضى الله تعالى عنهما فان
الشارع أمن المجتهد على شريعته وأمته فلا يخالف ظاهرها الا من يعلم رضا الشارع به فافهم * وأما وجه من
قال لا تصح الصلاة الا بفاتحة الكتاب دون غيرها من القرآن فالاحاديث الصحيحة فى ذلك وأقواها دليلا على تعين
قراءتها فى كل ركعة حديث مسلم وغيره قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ثم فسر ذلك بقوله فاذا قال العبد
بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل ذكرنى عبدى واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدنى
عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدنى عبدى الى آخر الحديث فانه جعل الفاتحة جزأ من الصلاة
وأما وجه من قال يجزئ المصلى قراءة ما تيسر من القرآن فلأن القرآن صفة من صفات الله عز وجل وصفاته
تعالى لا تقبل التفاضل من حيث نسبتها اليه تعالى وانما التفاضل راجع الى القراءة والقارئ لا الى المقروء
وصاحب هذا المذهب يقول فى نحو حديث لا صلاة الا بفاتحة الكتاب أى لا صلاة كاملة ففيه نفى الكمال لا نفى
الصحة (وسمعت) بعض العارفين رضى الله عنه يقول وجوب الفاتحة انما هو على الاكابر الذين أشهدهم الله
تبارك وتعالى جميع معانى القرآن فيها فكأنهم صلوا بالقرآن كله فى كل ركعة وعدم وجوبها خاص بمن عجز
عن تعقل جميع معانى القرآن فيها انتهى * وأما وجه من أمر المصلى بمراعاة الانغام فى القراءة فهو فى حق الاكابر
الذين أقدرهم الله تبارك وتعالى على رفع الصوت بين يديه من غير اشتغال بذلك عنه تعالى وأما وجه من قال انه
يقرأ ساذجا فهو فى حق العاجز عن الاقبال على الله عز وجل مع الاشتغال بالانغام وهو حال أكثر الناس سلفا
وخلفا * وأما وجه من منع صحة الصلاة اذا لم يعتدل اعتدالا كاملا أو لم يطمئن فى الركوع فهو أن المبالغة فى ذلك
خاصة بالاكابر أما الركوع فلأن الضعيف لما كان قائما وتجلت له عظمة الله تعالى نفضع وركع فربما لم يقدر على
كمال الطمأنينة لشدة ما تجلى له من عظمة الله عز وجل فيرجع الى القيام بسرعة وهو الاعتدال من غير
تطويل وكذلك القول فى السجود بل ذلك أولى بالرجوع الى الجلوس بين السجدتين عن قرب لأن السجود
أقرب حضرة يدخلها ذلك المصلى فربما حكمت عليه الهيبة من الله تبارك وتعالى فارتعدت كاد عظمه ولحمه أن
يذوب فأسرع بالرجوع الى الجلوس تنفيسا له ورحمة بنفسه وفى القرآن العظيم ان الله بالناس لرؤف رحيم وأما
وجه من قال انه لا بد من المبالغة فى الاعتدال عن الركوع والسجود فذلك خاص بالضعفاء الذين لا يقدرون على
طول الخضوع من شدة الهيبة التى طرقتهم ولا على توالى عظمة الله عز وجل على قلوبهم فتخفيفهما خاص

بعض أصحابه قال قال الشيخ يوما اذا جاء ابن فقيه الاسكندرية فأعلمونى به فلما أتيت أعلمنا الشيخ بك فقال تقدم فقدمك بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له جبريل هذا ملك الجبال أمره الله أن يطيع أمرك فى قريش فسلم عليه ملك الجبال وقال يا محمد ان شئت أطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيأ فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء من يخرج من أصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر رضى الله عنه وخرج معى أبو الحسن الجريرى وكان من أصحاب الشيخ أبى الحسن فسلمت عليه فسلم على ببشاشة واقبال فقلت له من أين تعرفنى فقال وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند أبى العباس وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدى انه ليعجبنى هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة

بالاقوياء فيكفيهم أدنى اعتدال يتنفسون به فما نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه خاص بالاكابر وما نقل عن الشافعي رضي الله تبارك وتعالى عنه خاص بالاصاغر فكان صلى الله عليه وسلم يطول الاعتدال والركوع تارة ويخففهما أخرى ليقتدي به الاقوياء والضعفاء * وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس بين السجدتين كأنه جالس على الرضف أي الحجارة المحماة يعني فيرجع الى السجود بسرعة لقوته صلى الله عليه وسلم فانه ابن الحضرة وأخو الحضرة وأبو الحضرة لا أحد من البشر أكثر جلوسا فيها منه صلى الله عليه وسلم زاده الله فضلا وشرفا وانما كان يخفف صلى الله عليه وسلم رحمة بامته (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما اشترط بعض الائمة كمال الاعتدال من الركوع والسجود رحمة بالضعفاء من الامة الذين لا يقدرون على توالي شهود عظمة الله تبارك وتعالى في حال ركوعهم وسجودهم فلو أراد أحدهم أن ينزل الى السجود من غير اعتدال لربما زهقت روحه وخرجت من حضرة الله عز وجل قهرا عليها فلذلك شرع له الشارع الاعتدال ليستريح فيه من ثقل تلك العظمة التي كادت تفصل أعضاءه وقال لا صلاة لمن لم يقم صلبه في الصلاة وفي رواية لا ينظر الله الى صلاة من لم يقم صلبه في الصلاة أي لا صلاة كاملة أو لا صلاة أصلا أي لان عجزه عن تحمل تلك العظمة يفسخ مقام اقباله على الله تبارك وتعالى حتى يكاد يخرج من حضرته فيفوته كمال الصلاة ووجه لا صلاة أصلا كون روحه خرجت من الحضرة بالكلية من شدة ضعفه وعجزه تعلم أن أصل الاعتدال عن الركوع والسجود لا بد منه لكل مصل من أكابر وأصاغر لعجزهم عن توالي عظمة الله عز وجل في الركوع والسجود من غير اعتدال أصلا وأن العبد كلما ضعف خوطب بزيادة الطمأنينة في الاعتدال أكثر وكلما قوي خوطب بزيادة الطمأنينة في السجود أكثر (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما ثنى السجود دون الركوع لان السجدة الاولى امتثال للامر عكس ما وقع لابليس والثانية شكر لله تعالى على حصول امتثال الامر انتهى ووجه ما قررناه آنفا أن من وصل الى محل القرب في ركوعه أو سجوده فقد حصل المقصود فلا يرجع الى محل البعد عادة الذي هو القيام والجلوس بين السجدتين الا لحكمة وهذا الذي ذكرناه هو من حكمة ذلك فتأمله فانه نفيس * وأما وجه مشروعية جلسة الاستراحة فهو ان العظمة التي تجلت للمصلي في حال سجوده لا عظمة فوقها لان حضرة السجود تقرب من حضرة قاب قوسين أو أدنى كما أشار الى ذلك حديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فلو أن المصلي المستحضر لعظمة الله عز وجل طلب أن ينهض الى القيام من غير جلسة الاستراحة لما قدر وكان كالتكليف بما لا يطاق فلذلك شرعت جلسة الاستراحة رحمة بالعباد (ومن شك) في قولي هذا فمن صلاته صورية لا حقيقية فليلزم نفسه في حال سجوده ويجمع حواسه كلها بين يدي الله تبارك وتعالى بحيث لا يصير في ذهنه الا الله تبارك وتعالى وحده ولا يصير شيء من الكون في خاطره الا مايدعو ربه لاجله فانه لو أراد أن يقوم الى القيام من غير جلوس لا يقدر أبدا فكان خطور الاكوان على قلوب الضعفاء حال سجودهم من جملة رحمة الله عز وجل لهم والا لتقطعت مفاصلهم وماتوا عن آخرهم لان كل من تجلى له من عظمة الله تبارك وتعالى ما هو فوق طاقته مات فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فانهم فاذا كان من هو من أولي العزم خر صعقا فكيف بغيره (فعلم مما قررناه) أن من قال طول القيام أفضل من تكرار الركوع والسجود فهو في حق الاصاغر الذين لا يطيقون تجلي عظمة الله عز وجل لهم في الركوع والسجود ومن قال بالعكس فهو في حق الاكابر الذين يحملون تلك العظمة فافهم ويؤيد ما ذكرناه من أن خطور الاكوان على قلب العبد بين يدي الله تبارك وتعالى من جملة الرحمة به ما ورد في بعض طرق حديث الاسراء من قوله صلى الله عليه وسلم فسمعت صوتا يشبه صوت أبي بكر يقول قف ان ربك يصلي الحديث فآنسه الحق تبارك وتعالى بصوت أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه لان تلك العظمة التي تجلت له لا يطيقها غيره من الخلق أبدا فتأمل (وقد) بسطنا الكلام على أسرار الصلاة في كتاب مستقل فراجعه (وأما وجه) من لم يوجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير فهو أن حضرة الصلاة خاصة بالله تعالى بالاصالة فربما قويت هيبة الله عز وجل

والحمد لله وأخبرني أبو الحسن هذا قال كنت ليلة عند الشيخ أبي الحسن وكان يقرأ عليه كتاب ختم الاولياء للترمذي الحكيم فرأيت واحدا جالسا لم يطلع معنا ولم يكن عند الشيخ وقت طلوعنا فقلت لانسان الى جانبي من هذا الرجل الجالس الى جانب فلان فقال ماههنا أحد غير الجماعة الذين تعرفهم فسكت وعلمت انه لم يره فلما انصرف الجمع سألت الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه فقلت يا سيدي رأيت ههنا رجلا لم يطلع معنا ولم يكن عندك قبل طلوعنا فقال الشيخ ذاك أبو العباس المرسي يأتي كل ليلة من المقسم حتى يسمع الميعاد ثم يعود من ليلته الى مكانه والشيخ أبو الحسن اذ ذاك بالاسكندرية وكنت كثيرا ما يطرأ على الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء فقلت نعم فقال هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت أياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس

فقلت على حاله فقال ان كنت لا تبرأ الوسوسة فلا تعد تأتينا فشق ذلك على وقطع الله الوسواس عني وكان رضي الله عنه يلقن الوسواس سبحان

على قلب المصلى فلم يكن له التفات الى أحد من أكابر الحضرة الالهية فجعل بعض العلماء رضى الله تعالى عنهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى حق مثل هذا مستحبة لا واجبة بخلاف الاكابر الذين يشهدون الله تبارك وتعالى مع خلقه لا يشغلهم شهود الله عز وجل عن شهود خلقه ولا عكسه فان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بين يدى الله تبارك وتعالى واجبة عليهم لانه واسطتهم عند الله تعالى لا يمكن أحد منهم أن يقرب من حضرة الله عز وجل فى عبادة من العبادات الا و رسول الله صلى الله عليه وسلم امامهم فيها (وفى كلام) الجنيد رضى الله تبارك وتعالى عنه الكامل من الرجال من لا يحجب بشهود الله تعالى عن شهود خلقه ولا عكسه بل يعطى كل ذى حق حقه اهـ فعلم أن من قال بعدم وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك استهانة بمقامه صلى الله عليه وسلم وانما ذلك لعظمة ما تجلى لقلب المصلى من الهيبة (وقد نقل) القشيرى رضى الله تعالى عنه عن أبي بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه أنه أذن مرة فلما أتى للشهادتين وقف وقال وعزتك وجلالك لولا أنك أمرتنى بذكر رسولك صلى الله عليه وسلم لما استطعت أن اذكره اهـ ولعل هذا كان من الشبلى رضى الله تعالى عنه قبل كماله (وأما وجه) من قال تجب نية الخروج من الصلاة فهو أن المصلى كان فى حضرة الله تبارك وتعالى الخاصة ومعلوم عند أهل الادب منا أن أحدهم اذا كان مجالسا كبيرا فلابد فى الادب أن يستأذنه فى المفارقة تعظيما له واستمالة لقلبه فالله سبحانه وتعالى أحق بذلك وتأمل يا أخى ان قام جليسك من مجلسك من غير استئذان كيف تجد فى نفسك منه وحشة لاخلاله بالتعظيم والادب عكس ما تجد من الانس اذا استأذنك وما كان أدبا مع الاكابر من الخلق فالحق تعالى أحق وأولى به (وأما وجه) من لم يوجب نية الخروج من الصلاة فنظر الى سعة رحمة الله تبارك وتعالى ومسامحته عباده فى مثل ذلك ولو أن ذلك كان واجبا لامرنا الشارع به ولو فى حديث (وأما وجه) من قال ينصرف من الصلاة عن يمينه فهو خاص بالاكابر الذين توالت عليهم المراقبة لله تبارك وتعالى وأنهم بين يديه تعالى فى سائر أحوالهم فهم لا ينتقلون حقيقة من حضرة الله تبارك وتعالى الى غيرها وتلك الحضرة مقدسة واللائق بها اليمين وأما من ليس لهم هذا المشهد فهم ينتقلون من حضرة الله تبارك وتعالى الى غيرها واللائق بمثل هؤلاء اليسار بدليل ما ورد من الامر بالبداءة بالرجل اليمنى فى دخول المسجد وباليسرى فى الخروج منه فرحم الله تبارك وتعالى أئمة الدين رضوان الله عليهم أجمعين ما كان أنور قلوبهم وما كان أعرفهم بطريق الادب ومنازع الاحكام وما فيها من الحكمة فتأمل يا أخى فى هذا المحل وتدبره واشكر من نبهك على ذلك عند ربك جل وعلا وهو كلام ابن وقته واياك وتضعيف أقوال الائمة رضى الله تعالى عنهم ببادئ الرأى اذا خالفوا مذهبك من غير معرفة أدلتهم وما فهموه من الحكمة وشهدوه من الاسرار واسلك طريق القوم على يد شيخ تعرف ذلك ذوقا والله تبارك وتعالى يتولى هداك (وأما الجواب عن السادة الصوفية) رضى الله تعالى عنهم فغالب مؤلفاتى جواب عنهم فانها طريق عزيزة وغالب الناس لم يدخل حضرتهم فيقل الانكار ويكثر من الناس بحسب دخولهم حضرة القوم فمن دخل كثيرا أنكر قليلا ومن دخل قليلا أنكر كثيرا ولذلك ألف القوم كتبا فى بيان اصطلاحهم ومرادهم لمن لم يدخل حضرتهم شفقة عليه ليقل انكاره عليهم فلا يقع فى الاثم والجهل و يحرم من ذوق ما انكره فان كل من أنكر شيأ على القوم بغير دليل عوقب بحرمان ما أنكره فلا يعطيه الله تبارك وتعالى له أبدا* ومن خاصية طريق القوم أن الصادق من المريدين اذا دخل طريقهم يعرف جميع ما اصطلحوا عليه بالخاصية من أول قدم يضعه فى طريقهم حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح وليس ذلك لغير الصادقين فى طلب الطريق ولا لغيرهم من أهل سائر العلوم فلا بد لهم من شيخ يوقفهم على مصطلح أهل ذلك العلم هو كما هو مقرر فى كتب المتكلمين والمناطقة وأهل الهندسة ثم انه قد يكون ذلك الكلام الذى أنكره بعضهم على ذلك الولى مثلا مدسوسا عليه فى كتبه أو مفترى عليه كما وقع ذلك فى كتب الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فانهم دسوا عليه جملة من الامور المخالفة لظاهر الشريعة فى كتاب الفتوحات المكية التى ألفها رضى الله تعالى عنه وفى الفصوص أيضا الذى ألفه رضى الله تعالى عنه كما قاله الشيخ بدر الدين بن جماعة وغيره وكما وقع لى فى بعض كتبى كما مرت الاشارة اليه أوائل هذا الكتاب

الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وعملت قصيدة أمدحه بها مذكورة فى آخر هذا الكتاب فقال حين أنشدت أيدك الله بروح القدس ثم عملت قصيدة أخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد العجم وسيأتى فى آخر الكتاب ذكرها فلما قرأتها عليه قال هذا الفقيه صحبنى وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث فى العلمين يشير الى مرض الوسوسة فلقد انقطع ببركات الشيخ حتى صرت أخاف ان أكون لشدة التوسعة التى أجدها قد تساهلت فى بعض الامر والمرض الآخر كان بى ألم برأسى فشكوت ذلك اليه فدعا الله لى فعافانى الله وشفانى وبت ليلة من الليالى مهموما فرأيت الشيخ فى المنام فشكوت اليه ما أنا فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما فلما انتبهت أتيت الى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان شاء الله وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وبهاك بين خلقه فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكننى الانقطاع عن الخلق وانى مرادهم لقوله وبهاك بين خلقه وكنت أنا لامره من المنكرين

وقد

(وقد) يكون سبب الانكار جهل المنكر بمصطلح القوم رضى الله تعالى عنهم وعدم ذوقه لمقاماتهم كما فى كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه فى التائية وغيرها فالعاقل من ترك الانكار وجعل مالم يفهمه من جملة مجهولاته لاسيما ولم يبلغنا عن أحد من الاولياء رضى الله تعالى عنهم انه أمر الناس بترك وضوء أو صلاة أو صوم أو غيرها مما يخالف الشريعة أبدا بل رسائلهم كلهم طافحة بالامر بالتقيد على الكتاب والسنة وعلاج أخلاقهم وأعمالهم وتنقيتها من الدسائس والعلل القادحة فى الاخلاص وتحمل الاذى وترك الاذى والزهد والورع والخوف والخشية وربما كان المنكر عليهم بالضد من هذه الصفات كلها وربما تكلم العارف فى نظمه أو غيره على لسان الحق تبارك وتعالى وربما تكلم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وربما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم ان ذلك على لسانه هو فيبادر الى الانكار فافهم وربما أنكر العالم على بعض الصوفية فى بعض الاوقات رحمة بالعوام والمحجوبين خوفا أن يتبعوه فى ذلك الامر بالجهل فيهلكوا الا ردا على ذلك الصوفى بالكلية كما وقع للشيخ برهان الدين البقاعى فى كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه وكما وقع لغيره فى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه ونعم ما فعلوا فان هؤلا القوم قد ماتوا والانكار عليهم الآن لا يضرهم بل يزيدهم أجورا وثوابا ولا هكذا العوام والمحجوبون فانه يجب على كل عالم انقاذهم من الهلاك لامكان تداركهم وتقريرنا لهم على ما فهموه من كلام القوم على غير مراد القوم يضرهم وربما ضر القوم أيضا فى قبورهم ولذلك كان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا يبلغ الكامل مقام الكمال حتى لا يخدش كلامه شيأ من ظاهر الشريعة فان الشارع صلى الله عليه وسلم قد أمنه على شريعته (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول الكامل لا يسترله كلاما ولا يرمزه بل يتكلم بكلام يسع أفهام العلماء والعوام اذ التستر والرموز من بقايا النفوس انتهى (وما رأيت) فى كلام القوم أوسع من كلام السادة الشاذلية رضى الله تعالى عنهم أبدا (وقد سمعت) شيخى الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمرى رضى الله تعالى عنه يقول قد وضع الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه كتاب الحكم وجعل كل كلمة وحكمة منها تحتوى على معانى جميع الكلام السابق واللاحق وقل من الصوفية من يقدر على استخراج تلك المعانى السابقة واللاحقة من كل حكمة انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أيضا أقل درجات الادب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم انتهى فافهم ذلك (وكان) سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم والانكار عليهم سم ساعة فى اذهاب الدين وربما تنصر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله العافية انتهى (فان أردت) يا أخى عدم الانكار فاجل مرآة قلبك فانك تشهد الصوفية من خيار الناس ويقل انكارك والا فن لازمك كثرة الانكار لانك لا تنظر فى مرآتك الا صورة نفسك فافهم (اذا علمت ذلك) فمما نقل عن الشيخ أبى يزيد قوله طاعتك لى يا رب أعظم من طاعتى لك أى اجابتك لى يا رب دعائى فى نحو قول اغفر لى وارحمنى واعف عنى ولا تؤاخذنى أعظم من اجابتى أنا لامتثال أمرك واجتناب نهيك لانك عظيم وأنا حقير وأنت سيد وأنا عبد ولذلك ستر أهل الادب مع الله تبارك وتعالى مثل ذلك وسموه دعاء لا أمرا للحق تبارك وتعالى ونهيا وان كان اللفظ يؤدى ظاهره الى ذلك (وأول من أحدث هذا الاصطلاح) الحكيم الترمذى رضى الله تعالى عنه فعلم انه ليس مراد أبى يزيد ان الحق تبارك وتعالى تحت طاعته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عنده وعند جميع المسلمين وعلى ما قررناه ينزل معنى ما نقل عن أبى يزيد أيضا أنه قال طاعة الله لى أكثر من طاعتى له هكذا أوله بعضهم (ومما نقل) عن أبى يزيد أيضا انه قال بطشى أشد من بطش الله بى لما سمع قارئا يقرأ ان بطش ربك لشديد فصاح حتى طار الدم من أنفه وقال بطشى أشد من بطشه بى ومراده رضى الله تعالى عنه ان بطش الله عز وجل بى لا يكون الا مخلوطا بالرحمة لان رحمته بعبده غلبت غضبه عليه فهو أرحم بالعبد من والدته الشفيقة ولا هكذا بطش أبى يزيد فانه محض انتقام لا يشوبه رحمة لان غضبه غلب رحمته لضيقه فكان بطشه باخيه أشد من بطش الله جل وعلا به لاسيما عدوه اذا قدر عليه فانه لا يكاد يرحمه فى الدنيا ولا فى الآخرة هكذا أوله الشيخ محيى

وعليه من المعترضين لا الشئ سمعته منه ولا لشئ صح نقله عنه حتى جرت بينى مقاولة و بين أصحابه وذلك قبل صحبتى اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظيمة وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل بعد ان صحبت الشيخ تدرى ماقال لى الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فاول ما قال لى هؤلاء كالجرما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاما فما سمعت منه شيأ ينكره ظاهر العلم من الذى كان ينقله عنه من يقصد الاذى وكان سبب اجتماعى به ان قلت فى نفسى بعد ان جرت المخاصمة بينى و بين ذلك الرجل دعنى أذهب انظر الى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم فى الانفاس التى أمر الشارع بها فقال الاول اسلام والثانى ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الاول عبادة والثانى عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الاول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق أو نحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت وان شئت قلت الى ان أبهر عقلى وعلمت ان الرجل انما يغترف من فيض بحر الهى ومدد ربانى فاذهب الله ما كان عندى ثم أتيت تلك

الدين وغيره (ومما نقل عنه أيضا) انه قال لبعض مريديه لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة ومراده ان المريد ليس له قدم في معرفة الله جل وعلا اذا رآه فانه يراه ولا يعلم انه هو فلا يعرف بأخذ عنه علما ولا أدبا بخلاف أبي يزيد فانه ينتفع به ويعلمه الادب مع الله تبارك وتعالى حتى يرقيه الى معرفة ربه جل وعلا والله تعالى أعلم بمراده رضي الله عنه (ومما نقل عنه أيضا) سافرت من الله الى الله ولعل مراده سافرت في طريق الله تعالى فضلا من الله الى أن عرفته أو سافرت في حب الله من باب قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وليس مراده رضي الله تعالى عنه بذلك مسافة تعالى الله عند العارفين عن التحيز ويصح أن يكون مراده ابتداء سفري الى انتهائه بحول الله وقوته لا بحولي ولا قوتي (ومما نقل) عن الجنيد رضي الله تعالى عنه قوله العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار انتهى أنكر ذلك بعضهم وقال قد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت أي تذوق الموت عند انتهاء أجلها في الدنيا فكيف الحال (والجواب) كما قاله بعضهم ان مراد الجنيد ان العارفين لما جاهدوا أنفسهم في حال سلوكهم حتى ماتت عن جميع تصرفاتها وشهدت التصريف لله وحده فكأنهم ماتوا في حال حياتهم الان حكمها اذ ذاك حكم الاموات في عدم اضافتها الفعل الى نفسها (وقد ورد) في الحديث من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر انتهى أي لان التسليم لله تبارك وتعالى حق نفسه حتى صارت كنفس الميت (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول طلوع الروح يهون ويصعب على العبد بحسب كثرة مجاهدته لنفسه وقلتها فان صعب على عبد طلوع روحه فانما ذلك لبقية مجاهدة بقيت عليه من الميل الى شهوات الدنيا وعلاقاتها بخلاف من لم يبق عنده ميل الى شيء من ذلك فلا يحتاج الى جذب روحه بشدة بل حكمه حكم من ينتقل من دار الى دار اللهم الا أن يكون من الانبياء أو أكابر الاولياء فان صعوبة طلوع روحهم ليست بسبب ميلهم الى الدنيا وانما ذلك لحبهم لطاعة الله تعالى في دار الدنيا والقيام بشعائر دينه حبا فيه تعالى أو اهتماما بقومهم الذين كانوا يرشدونهم الى طريق الله تعالى حيث ماتوا ولم يبلغوا بهم مرتبة الكمال ونحو ذلك من الاغراض الصحيحة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده (ومما نقل عن الشبلي) رضي الله تعالى عنه انه كان يقول ان ذلي عطل ذل اليهود ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ان ذلي لله تبارك وتعالى أعظم من ذل اليهود له تعالى اذ الذليل يكون على قدر معرفته بعظمة من ذل له ولا شك ان الشبلي رضي الله تعالى عنه أعرف بعظمة الله تعالى من اليهود فذله لله أعظم من ذل اليهود له والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده (ومما نقل عنه أيضا) انه قال ما في الجبة الا الله انتهى وضبط بعضهم الجبة بالجيم والباء الموحدة وبعضهم بالجيم والثاء المثلثة التي هي البدن ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ما ثم في جسدي فاعل الا الله تبارك وتعالى نظير قول بعضهم ما في الكونين الا الله تعالى فليس مراده نفي الكونين ولا أن الله سبحانه وتعالى يحل في خلقه لانه أثبت وجودهما كما ترى ولكن جعل الله تعالى خالقا لهم ولافعالهم وكم في الكتاب والسنة من كلام يحتاج الى تقدير كما في قوله تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي أشربوا حب العجل وفي الحديث أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فافهم (ومما نقل عن الامام الغزالي) رضي الله تعالى عنه انه قال ليس في الامكان أبدع مما كان ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ان جميع الممكنات أبرزها الله تعالى على صورة ما كانت في علمه تعالى القديم وعلمه القديم لا يقبل الزيادة (وفي القرآن) العظيم أعطى كل شيء خلقه فلو صح ان في الامكان أبدع مما كان ولم يسبق به علمه تعالى للزم عليه تقدم جهل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وهذا) هو معنى قول الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في تأويل ذلك ان كلام حجة الاسلام في غاية التحقيق لانه ما ثم لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والحادث له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق الى ما لا يتناهى عقلا فلا يرقى عن رتبة الحدوث الى رتبة القدم أبدا انتهى (وقد رأيت) مؤلفين للشيخ برهان الدين البقاعي رضي الله تعالى عنه في تأويل هذه الكلمة عن الغزالي رضي الله تعالى عنه وكلاهما لم يحم حول هذا الحمى فالحمد لله رب العالمين (ومما نقل) عن الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه انه قال حدثني قلبي عن ربي أو حدثني ربي عن قلبي أو حدثني ربي عن نفسه تعالى

أنظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيهما من عجائب قدرته فحملني ذلك على العود اليه مرة أخرى فاتيت اليه فاستؤذن على فلما دخلت عليه قام قائما وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي ان أكون أهلا لذلك فكان أول ما قلت له يا سيدي أنا والله أحبك فقال أحبك الله كما أحببتني ثم شكوت اليه ما أجده من هموم واحزان فقال أحوال العبد أربع لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان كنت بالنعمة فيقتضي الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فيقتضي الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فيقتضي الحق منك شهود منته عليك فيها وان كنت بالمعصية فيقتضي الحق منك وجود الاستغفار فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والاحزان ثوبا نزعته ثم سألني بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت أفتش على الهم فما أجده فقال

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى
والناس في سدف الظلام * ونحن في ضوء النهار

الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد

بارتفاع الوسائط ليس مراده ان الله تعالى كلمه كما كلم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما مراده ان الله تعالى يلهمه على لسان ملك الالهام بتعريف ببعض أحوال فهو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن في أمتي محدثون بفتح الدال المشددة فعمر (وايضاح ذلك) ان من الفرق بين وحي الالهام الذي يكون للاولياء رضي الله تعالى عنهم وبين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلق بتشريعهم لانفسهم أولا ممهم ان النبي يشهد الملك ويسمع كلامه فيجمع بين الرؤية وسماع الكلام ولا هكذا الولي فانه ان سمع كلام الملك لا يرى شخصه وان رأى شخصه لا يسمع منه كلاما والسر في ذلك كون النبي مشرعا والولي تابعا يدعو بشرع نبيه صلى الله عليه وسلم الثابت المقرر عنده فلا يحتاج الى مزيد انكشاف أمر وأما النبي فيريد ينشئ شرعا جديدا او ينسخ شرعا آخر فلذلك احتاج الى مزيد تأكيد وانكشاف أمر ففرق يا أخي بين وحي الالهام وبين وحي الكلام تكن من العلماء الاعلام هكذا قرره الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه (ومما نقل) عن القوم رضي الله تعالى عنهم قولهم اللوح المحفوظ هو قلب العارف ليس مرادهم نفي اللوح المحفوظ وانما مرادهم ان قلب العارف اذا انجلى ارتسم فيه كل ما كتب في اللوح المحفوظ نظير المرآة اذا قابلها لوح مكتوب فافهم (ومما نقل أيضا عن القوم) رضي الله تعالى عنهم قولهم دخلنا حضرة الله وخرجنا من حضرة الله ليس مرادهم بحضرة الله عز وجل مكانا خاصا معينا فان ذلك ربما يفهم منه التحيز الحق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما مرادهم بالحضرة حيث أطلقوها شهود أحدهم انه بين يدي الله عز وجل فما دام يشهد انه بين يدي ربه جل وعلا فهو في حضرته فاذا حجب عن هذا المشهد خرج من حضرة الله تعالى والناس في ذلك بين مقل ومكثر كما سيأتي ايضاحه في هذا الكتاب فمنهم من يحضر في صلاته أو بعضها ومنهم من يحضر في صلاته وغيرها مقدار درجة أو درجتين أو ثلاث وهكذا الى ان يستغرق الليل والنهار في الحضور الا ما يسامح الله تبارك وتعالى به عبده في غفلته عنه ونيل بعض شهواته رحمة به فان مراقبة الله تبارك وتعالى مع الانفاس كلها ليست من مقدور البشر كما صرح بذلك المحققون رضي الله تعالى عنهم ومما لم يصح نقله عن الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه وأشاعه بعضهم عنه قولهم عنه انه قال ان لله عبادا لو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وان لله عبادا لو سألوه ان يقيم الساعة الآن لاقامها فان مثل ذلك كذب وزور على الامام حجة الاسلام رضي الله تعالى عنه وأرضاه يجب على كل عاقل تنزيه الامام عنه لانه يرد النصوص القاطعة الواردة في مقدمات الساعة فيؤدي ذلك الى تكذيب الشارع صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وان وجد ذلك في بعض مؤلفات الامام فذلك مدسوس عليه من بعض الملاحدة (وقد رأيت كتابا) كاملا مشحونا بالعقائد المخالفة لاهل السنة والجماعة صنفه بعض الملحدين ونسبه الى الامام الغزالي فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة فكتب عليه كذب والله وافترى من أضاف هذا الكتاب الى حجة الاسلام انتهى (وكذلك) ذكر الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس في اللغات ان بعض الملاحدة صنف كتابا في تنقيص الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وأضافه اليه ثم أوصله الى الشيخ جمال الدين بن الخياط اليمني فشنع على الشيخ أشد التشنيع فارسل اليه الشيخ مجد الدين يقول له اني معتقد في الامام أبي حنيفة غاية الاعتقاد وصنفت في مناقبه كتابا حافلا وبالغت في تعظيمه الى الغاية فاحرق هذا الكتاب الذي عندك أو اغسله فانه كذب وافتراء علي انتهى (وكذلك) مما لم يصح عن الشيخ أبي يزيد رضي الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من انه قال ان آدم عليه السلام باع حضرة ربه بلقمة انتهى فان الشيخ أبا يزيد من جملة مشايخ رسالة القشيري الجامعين بين الشريعة والحقيقة فكيف يصدر عنه مثل هذا الكلام الجافي في حق السيد آدم عليه السلام فافهم (وكذلك مما لم يصح نقله عنه) رضي الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من أنه قال لو شفعني الله تعالى في الاولين والآخرين لم يكن ذلك عندي بكبير غاية الامر انه شفعني في لقمة طين انتهى فان ذلك كلام من لم يشم رائحة الادب فانه يبطل خصوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وقد فتحت لك) يا أخي باب الاجوبة عن علماء الاسلام من الفقهاء والصوفية رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقس على ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته كان رضي الله عنه لا تحدث معه في علم من العلوم الا تحدث معك فيه حتى يقول السامع له انه لا يحسن غير هذا العلم سيما علم التفسير والحديث وكان يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه وكان كتابه في أصول الدين الارشاد وفي الحديث كتاب المصابيح وفي الفقه التهذيب والرسالة وفي التفسير كتاب ابن عطية ولقد كان يقرأ عليه بعض المعربين في العربية فيرد عليه اللحن وأما علوم المعارف والاسرار فقطب رحاها وشمس ضحاها تقول اذا سمعت كلامه هذا كلام من ليس وطنه الا غيب الله هو باخبار أهل السماء أعلم منه باخبار أهل الارض وسمعت ان الشيخ أبا الحسن قال عنه أبو العباس بطرق السماء أعرف منه بطرق الارض كنت لا أسمعه يتحدث الا في العقل الاكبر والاسم الاعظم وشعبه الاربع والاسماء والحروف ودوائر الاولياء ومقامات الموقنين والاملاك المقربين عند العرش وعلوم الاسرار وامداد الاذكار ويوم المقادير وشأن التدبير وعلم البدء وعلم المشيئة وشأن القبضة

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم قطعي البر الذي جعله الله تعالى على يدي للفقراء اذا كفر أحد منهم واسطتي وكذلك لا أقطع تعليمه العلم والادب الا بطريق شرعي وذلك لاني أعلم ان من لم يشكر من أحسن اليه فقد وفّر له الاجر عند الله تعالى ومن شكره فربما جعل الله تعالى ذلك الشكر في مقابلة احسانه وتعليمه ولا يقدر على التخلق بهذا الخلق الا من أمّل الله تعالى دون خليقه وأما من يعامل الخلق فمن لازمه غالبا ان يقطع برّه وحسنته وتعليمه عن أساء معه الادب (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول اياك ان تطلب من العبيد مجازاة على احسانك اليهم فانك تخسر أجرك عند الله تعالى وانما الادب ان تعاملهم بالبر والخير لكونهم عبيد الله تعالى لا غير وما ألذها من معاملة اذا اطلع الحق تعالى على قلبك ووجد الباعث لك على اكرام الخلق انما هو كونهم عبيد الله تعالى (وفي القرآن العظيم) ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (وكذلك) القول فيمن يحسن الى الخلق ليجازوه بنظير فعله فانهم اذا لم يجازوه يندم ويتأثر فاحسن يا أخي الى من كفر بنعمتك التي كنت واسطة له فيها ولو كرهت نفسك ذلك فان فيه من رياضة النفس ما لا يخفى (وقد عاتب) الله تبارك وتعالى السيد أبا بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه لما قطع نفقة مسطح وشفع تعالى فيه عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه بقوله عز وجل وليعفوا وليصفحوا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم طلبي الثواب من الله تبارك وتعالى على شيء من الاعمال التي أبرزها عز وجل على شيء من جوارحي الا من باب المنة والفضل لعلمي بان نعم الدنيا والآخرة ما خلقها الله تبارك وتعالى الا لنا لانه غني عن العالمين فمن الادب طلب ذلك الثواب الذي جعله في مقابلة تلك الطاعة اظهارا للفاقة والحاجة ومن لم يطلب ذلك الثواب فهو قليل الادب لاظهاره الغنى عن فضل ربه جل وعلا فافهم (وقد شنع العارفون) رضي الله تعالى عنهم على من قال لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى لا يكون له الى الله حاجة اه لان ظاهره وصول العبد الى الغنى المطلق وذلك محال اذ العبد لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين ولو لم يكن الا خروج النفس ودخوله فتاركه النفس يموت (ويصح أن يجاب) عن ذلك بان مراده الا كتفاء بعلم الله تعالى فيه وبما قسمه له وان الحق تعالى قد أغناه عن السؤال بالقسمة الالهية والله سبحانه وتعالى أعلم (ووالله) اني لأرى الفضل لله تعالى الذي أهّلني للوقوف بين يديه ولو خالف جميع العصاة المارقين الفاسقين رجاء أن يصيبني شيء من الرحمة التي لعلها أن تنالهم وأني لي أن يقف بين يدي رب العالمين في صلاة أو غيرها مع جهله بآداب تلك الحضرة المقدسة فالحمد لله الذي لم يطردني كما طرد تاركي الصلاة فلم يمكن أحدا منهم أن يقف بين يديه (وفي بعض الكتب الالهية) يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع انتهى (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يليق باحد من أمثالنا أن يسأل الله تعالى ثوابا على عبادته وانما اللائق به أن يسأل العفو عما جنا في تلك العبادة من سوء الادب وعدم الخشوع فيها لما ورد ان الصلاة اذا لم يكن فيها خشوع تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها (وسمعته أيضا) رضي الله تعالى عنه يقول لا يصح لعبد أن يسأل ربه ثوابا على أعماله من باب المنة والفضل الا ان أحكم مقام التوحيد لله تعالى في الفعل والا فمن لازمه غالبا طلب الثواب في مقابلة عمله كما عليه طائفة العباد الذين لم يسلكوا الطريق فيقول الحق جل وعلا لاحدهم ادخل الجنة برحمتي فيقول بل بعملي كما ورد ولو أن أحدهم ذاق التوحيد لم يقل له مثل ذلك لانه جهل وخروج عن أدب العبيد فان من شأن العبد أن يخدم سيده قياما بواجب حق السيادة وعلة أخرى من علل النفوس (وايضاح ذلك) أن من شهد الفعل لله تعالى كشفا زال عنه طلب الثواب على طاعاته جملة واحدة لان أحدا لا يطلب ثوابا على فعل غيره (وسمعته أيضا) رضي الله تعالى عنه يقول انما شرع صلى الله عليه وسلم للمصلي حين يسلم من صلاته أن يقول أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله ثلاث مرات لينتبه المصلي على نقص صلاته وعدم الحضور مع الله فيها وكثرة الغفلة وحديث النفس وغير ذلك

اذ

ورجال القبضة وعلوم الافراد وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده من حلمه وانعامه ووجود انتقامه حتى لقد سمعته يقول والله لولا ضعف العقول لاخبرت بما يكون غدا من رحمة الله وان تنزل الى علوم المعاملة في الزمن اليسير لحاجة الخلق الى ذلك ولذلك تقل اتباع من هذه علومه وقد يكثر المشترون للمرجان وقل ان يجتمع على شراء الياقوت اثنان ولذلك كان يقول اتباع أهل الحق قليلون وقد قال الله سبحانه وقليل ماهم وقال سبحانه وقليل من عبادي الشكور وقال ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال في أهل الكهف ما يعلمهم الا قليل فاولياء الله أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم وقد سمعته يقول معرفة الولي أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وأما زهده في الدنيا فيستدل على الزهد في الدنيا بالزهد في الرياسة ويستدل على الزهد في الرياسة بالزهد في الاجتماع باهلها ولقد مكث رضي الله عنه بالاسكندرية ستا وثلاثين سنة ما رأى وجه متوليها ولا أرسل اليه وطلب ذلك المتولي بالاسكندرية الاجتماع به فأبى الشيخ ذلك وقال له الزكي الاسواني

اذ الاستغفار لا يكون الا عن ذنب أقل ما هنالك شهوده نسبة الطاعة اليه مع كونه غافلا عن شهود كون الحق تعالى هو الخالق لها وما قال عارف قط اياك نعبد واياك نستعين الا على وجه التلاوة فقط لا على وجه كونه له شركة فى الفعل الا بقدر نسبة التكليف فقط تعالى فعل الله عز وجل عنده أى العارف عن الشركة فافهم وبالجملة فمن تأمل وجد حكم وقوف أمثالنا بين يدى الله تبارك وتعالى حكم العبد المجرم الذى فسق فى حريم الوالى وعرضوه عليه ليعاقبه فلا يكاد يخطر على باله قط أنه يخلع عليه خلعة وانما يسأل ربه عز وجل فى العفو عنه وترك العقوبة وما أبردها على كبد ذلك المجرم اذا سمع بان الوالى عفا عنه وترك معاقبته وحرقه بالنار ووضع الخودة المحماة على رأسه فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكديرى اذا قدر على السهو والنسيان حتى صليت صلاة بلا طهارة مثلا بل أشكره تبارك وتعالى الذى من على بصورة الوقوف بين يديه ثم أشكره ثانيا على ذلك السهو أو النسيان لانه كان سببا لامرى بالوقوف بين يديه ثانيا بطهارة أو لطول مناجاتى له سبحانه وتعالى بسجود السهو أو تتدارك ما سهوت عنه مثلا ولو أنى صليت الاولى متطهرا لربما لم أكن أقف بين يديه تبارك وتعالى ثانيا فى ذلك الوقت بل من شأن المحب من الخلق اذا غضب عليه أستاذه أن يعمل الحيل التى يتوصل بها الى الوقوف بين يديه بالقصد ليفتح باب الكلام معه فافهم ثم انى بعد ذلك أكثر من الاستغفار حيث غلبت على الغفلة عن الطهارة حتى قمت بين يدى رب العالمين من غير طهارة وقد يؤاخذ العبد بالنسيان فى بعض فروع الشريعة ويحتاج صاحب هذا الخلق الى عينين عين ينظر بها الى نعمة الوقوف بين يدى الله تبارك وتعالى ولو محدثا وعين ينظر بها الى تقصيره واشتغاله بامور الدنيا حتى غفل عن صلاته بلا طهارة فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طلب نفسى مقاما عند الخلق وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان من طلب مقاما عند الخلق عدم المقام عند الله تبارك وتعالى وعند الخلق ومن طلب المقام عند الله تعالى حصل له المقام عند الله عز وجل وعند الخلق هذا فيمن يطلب المقام عند الناس لغير غرض صحيح والا فقد كان سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه يقول لمن سأله فى حاجة عند أمير لا يعرف مقامه اذهب يا أخى وخذ معك أحدا من أبناء الدنيا وانتظرنى عند دهليز ذلك الامير فاذا رأيتمانى جئت فهرولا وقبلا يدى وأعضدانى من تحت ابطى ليبادر غلمان ذلك الامير الى تعظيمى تقليدا لكما فيدرى بذلك الامير فيعظمنى كذلك تقليدا لتقضى حاجتكم بخلافى اذا شفعت عنده وهو لا يعرفنى فانه يتعبنى فى تحويل قلبه اهـ وتقدم فى هذا الكتاب ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على قضائى للحوائج عند الامراء والاكابر من غير تقدم تعريفهم بى وقل من يقع له ذلك الا بنقص دين فى طريق قضاء تلك الحاجة من اظهار عبادة أو ورع أو زهد بحضرة جماعة ذلك الامير ليوصلوا علم ذلك اليه بل بعضهم سمعته يقول اذكرنى بخير عند الامير وقل له هذا ما هو من الفقراء النصابين فى هذا الزمان وما بقى فى مصر أقدم هجرة منه فى طريق الفقراء اهـ فليحذر الشافع عند الامراء من دخول الرياء فى مثل ذلك وليحرر نيته لمصالح العباد كما قدمنا عن سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه وصورة شفاعتى عند من لا يعرفنى أنى أتوجه الى الله تبارك وتعالى فى تحويل قلب ذلك الامير فاذا وجدت أثر الاجابة ذهبت اليه والا توقفت عن الشفاعة الى محل قابل فى وقت آخر فان من لم تكن له همة تنفذ فليس فى شفاعته الا بخس مقامه عند ذلك الامير وأضرابه واقامة الحجة عند الله تعالى على ذلك الامير فأساء فى حقه وسيأتى ايضاح ذلك فى عدة من المنن (وكذلك) حكمى فى مكاتبات الاكابر أنى لا أكاتب أحدا منهم الا ان حصل لى علامات القبول بأن تصير كل شعرة فى توقن بقبول شفاعتى فان لم تحصل تلك العلامة فلا أكاتب أحدا فى ذلك وربما يقسم على صاحب الحاجة بأن أكتب له ولو بلا وارد فأكتب له كتابا فلا تقضى له حاجة لان الوارد اذا لم يحصل عند الفقير فلا فرق بينه وبين آحاد الناس من العوام فلا يقرأ الامير له كتابا فضلا عن العمل به (وقد جربت) ان كل من لم يذهب بكتابى على أثر الوارد لا تقضى له حاجة لاشتغالى عن صاحب الحاجة بأمر آخر بخلاف من ذهب بالكتاب على أثر

ياسيدى متولى الاسكندرية قال انه يؤثر الاجتماع بك و ياخذ بيدك فتكون شيخه فقال الشيخ باز كى لست ممن يلعب به والله انى ألقى الله ولا يرانى ولا أراه فكان الامر كذلك وكان اذا نزل بلدة وقيل له متولى البلدة يريد أن يأتيك غدا سافر هو ليلا ولقد كان يأتى اليه متولى الثغر وناظره ومشد الدواوين فى قليلة اتيانهم يغلب القبض عليه ولا ينبسط للكلام كحاله فى عدم حضورهم حتى كنا نقول اين ذلك الكلام الذى كان فى غيبتهم كان ليلة حضورهم ولقد أتى اليه الشجاعى فى بحبوحة عزه وتمكنه من السلطنة فما ألوى اليه عنان همته ولا فوق اليه سهام عزمته حتى لقد بلغنى ان الزكى الاسوانى لما استعرض الشجاعى حوائجه قال للشيخ ياسيدى اطلب منه أرضا يزرعها أصحابك فقال يا زكى هذا مما لا يكون أبدا ومن زهده انه خرج من الدنيا وما وضع حجرا على حجر ولا اتخذ بستانا ولا استفتح سببا من أسباب الدنيا ولا خلف وراءه رزقة مع ان الزهد وصف من أوصاف القلوب يصف الله به قلب من أحبه لكن له علامات تدل عليه وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه رأيت الصديق فى المنام فقال أتدرى ما علامة خروج

الوارد فانى أصيراً لاحظه حتى يقف بين يدى الامير فأساعده بالهمة فى قضاء حاجته (ومما جربته) ان كل من أخذ لذلك الامير كتابا آخر من أحد مع كتابى لا تقضى له حاجة فليستخر صاحب الحاجة ربه فى جميع أهل بلده مثلا فكل من ترجح عنده فى الاعتقاد أخذ مراسلته فان حاجته تقضى ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى مرتبا من بيت مال المسلمين أو مسموحا ولو سألنى الولاة فى ذلك لعلمى بأن مال بيت المال انما هو معد لمصالح عسكر الاسلام من علماء ومقاتلة تسافر فى البحار بدولبس لى قدرة على السفر لمثل ذلك ولا أنا معدود من العلماء العاملين الذين يحمون الدين لضعف يقينى وشوكتى وأيضا فان أحد الايتوصل الى ترتيب المرتب والمسموح الا ببذل النفس فى طريقه عاجلا وآجلا وأيضا فان الله تبارك وتعالى قد رزقنى القناعة فلو انى وجدت كسرة يابسة قنعت بها ومن كان كذلك لا يحتاج الى مال السلطان وهذا كان مذهب جمهور العلماء والصالحين سلفا وخلفا فبهداهم اقتده ولا تغتر يا أخى بكثرة من يترخص فى مثل ذلك من أهل زمانك فانها طريق تجر الى العطب هذا الو أعطى مثل ذلك وهو فى بلده من غير سؤال فكيف بمن يسافر لاجل ذلك من مصر مثلا الى الروم ويزاحم عسكر السلطان (وقد رأيت) شخصا صغير العمامة ينكر على فقيه كبير العمامة ويقول هذا اسراف وله أربعون نصفا مسموحا فى الشأم من جهة السلطان ثم يسافر الى بلاد الروم يطلب أن يرتبوا له شيأ آخر مع أنه ليس عنده فقراء مجاورون ولا عليه واردون فلما وصل الى الروم جلس فى طريق اصطنبول وأرسل وراء الوزير ليحضر عنده دون أن يذهب هو اليه فقال الوزير سبحان الله يسافر من بلاد الشأم الى هنا فى طلب الدنيا ويتكبر علينا مع دعواه الولاية ويطلبنا نذهب الى عنده مع عدم حاجتنا اليه وعدم رياضة نفوسنا ثم عاكسه فيما طلب ورده الى مصر من غير قضاء حاجة فعاتبته وقلت له كبر أنت عمامتك مثل الفقيه واقنع بالاربعين نصفا كل يوم فانه أفضل لك من تصغير العمامة وارخاء العذبة وأنت تحب الدنيا فما درى ما يقول وافتضح (وقد أدركت) بحمد الله تبارك وتعالى جمعا كثيرا من مشايخ الطريق وعلماء الاسلام كانوا كلهم يردون عطايا الولاة احتياطا لانفسهم وكانوا يقنعون بالخبز والملح اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بوصيته فى قوله صلى الله عليه وسلم ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وقد كان مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يأكل الخبز بالبقل وبالخل وبالملح ويقول من رضى بهذا من الدنيا لم يحتج الى الناس ولا الى الوقوف على أبواب الولاة فعلم ان كل فقير لم يقنع بما ذكرناه فمن لازمه طلب الدنيا غالبا بلسانه أو بقلبه لاجل ملابسه ومطاعمه ومشاربه وسراريه وخدامه الا أن يزرع أو يتجر أو يعمل حرفة كما كان السلف الصالح يفعلون وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الى من ان آكلها بدينى ودخل عليه الخليفة مرة فرسم له بالف دينار فردها فقالت امرأته من الخباء دع منها للصبيان قوت يومهم فلم يفعل ثم قطع بساطا باليا كان تحته نصفين وقال اشتروا بهذا طعاما كلوه اليوم وما مثلى ومثلكم الا كبعير ندّ من أهله فصار كل من قدر عليه طعنه فأكلكم من ثمن هذا البساط خير لكم من ان تطعنوا فضيلا اه ولما رأى الناس قد أقبلوا عليه بهداياهم لاجل تجرده من الدنيا اشترى له جملا بمكة فكان يسقى عليه ويتقوت هو وعياله منه حتى مات رضى الله تعالى عنه وقد ارسل زين الدين الاستادار الى الشيخ جلال الدين المحلى رضى الله تعالى عنه ألف دينار فلم يردها ووضعها عند شخص وصار يرسل له المحتاجين واحدا بعد واحد الى أن صرفها كلها على المديونين والمحتاجين والعاجزين عن الكسب وأوهمه انه قبلها لنفسه وما علم الناس بذلك الا بعد موت الشيخ رضى الله تعالى عنه ورحمه اه وكان الشيخ له دكان تحت الربع يبيع فيه القماش ويغلقه من الظهر ثم لا يخفى عليك يا أخى ان طالب المسموح لابد أن ينهى فى قصته انه من أهل العلم والخير والفقر وليس له ما يقوم به ولا بعياله والمترددين اليه وينسى كون الحق تبارك وتعالى يطعمه ويسقيه الى أن شابت لحيته من حيث لا يحتسب لم ينسه يوما واحدا فانظر يا أخى كيف زكى نفسه بالعلم والخير وشكا ربه تبارك وتعالى لعباده بغير حق لاجل زيادة شهوات الدنيا وربما كان فى ذلك اليوم الذى شكا ربه عز وجل فيه أوسع من بيت النبوة وربما كان حاله بخلاف ما أنهى من الخير والعلم والفقر ثم

ان

حب الدنيا من القلب قلت لا أدرى قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد وقال الشيخ أبو العباس رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المنام فقلت يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا قال خوف المذمة وحب الثناء فاذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء فعلامة الزهد فيها وبغضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء وأما ورعه فلقد أخبرنى بعض أصحابه انه دخل يوما بيت واحد من الجماعة فى البرج الذى هو فيه فوجده يضرب فيه وتدا فقال فاتفق للشيخ من الحرج الامر الكبير وقال كيف يحل لك ان تتصرف فى الحبس بامر لم يؤذن لك فيه وكان يقول والله مادخل بطنى حرام قط وكان يقول الورع من ورعه الله وقال رضى الله عنه عزم علينا بعض صلحاء الاسكندرية فى بستان له بالرمل فخرجت أنا وجماعة من صلحاء الثغر ولم يخرج معنا صاحب البستان فى ذلك الوقت بل وصف المكان فصار بنا ونحن خارجون الكلام فى الورع فكل قال شيأ فقلت لهم انما الورع من ورعه الله فلما أتينا الى البستان وكان زمن ثمرة التوت فكلهم أسرع الى الاكل وأكل وكنت كلما جئت لآكل أجد وجعا

ان الحيلة التي يعملها صاحب المسموح بعد أن أعطيه لا تخلصه عند الله تبارك وتعالى فان المعصرة التي يؤجرها للمعاصري أو الدكان الذي يؤجره للقصاب مثلا كل يوم بنحو أربعين نصفا ولا توفرما كان أصحاب جملة الوزر يأخذونه ما أعطى تلك الاجرة أبدا ولو حبس أوضرب لكونها لم تتوفر له بل أخذها صاحب المسموح منه وكان لسان حال صاحب المسموح يقول للمعاصري أو الجزار أعطني ما كان أصحاب جملة الوزر يأخذونه منك لاني شيخ أو عالم وقد سألني الامير جانم الجزاوي لما سافر الى الروم أني أكتب له قصة معه للسلطان ليأتيني بمرسوم للمعصرة الموقوفة على فلم أجبه فراجعني في ذلك وقال هذا هو ليس لك وانما هو للفقراء فكتبوا القصة فلما رأيتها وجدت فيها ان فلانا فقير وعليه الوارد كثير وليس له ولا لاولاده ما يقوم بهم وقالوا الابد في الانهاء من ذلك فقطعت القصة لاجل ذلك اه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتي من الاكل من هدايا الظلمة وأعوانهم من العمال ومشايخ العرب والكشاف وشيوخ البلاد والمباشرين وهذا الامر قليل من يقع له الحماية منه في هذا الزمان ثم من اقل ما يحصل لمن أكل من هداياهم أو لبس منها الركون اليهم بالقلب وكراهة عزلهم من ولاياتهم ولو ظلموا وأهلكوا الحرث والنسل وقد قال تبارك وتعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فنهانا عن الركون وأوعدنا بامساس النار فقل من يأكل طعامهم مثلا ويريد أن يعمل بوصية الله تبارك وتعالى فلا يقدر على قلبه يطاوعه وفي الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فلا يخرج عن ذلك الا من كان يرى احسان الناس له من جملة احسان الحق تعالى اليه كما عليه أهل الله تبارك وتعالى فانهم لا يرون محسنا الا الله تعالى فمثل هؤلاء لا يضرهم ما يأخذونه من الظلمة الا ان علموا انه حرام مثلا لانهم يرون الخلق مستخلفين كالوكلاء للحق تبارك وتعالى في انفاق رزقه على عباده على الوجه الشرعي فلذلك جبلت قلوبهم على حب الله وحده فلا يضرهم ما يأخذونه من الظلمة بشرطه لعدم وقوفهم معهم دون الله تبارك وتعالى فافهم وكان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول اياكم أن تأكلوا من طعام من يعتقد فيكم الصلاح من الامراء وغيرهم فانكم تأكلون بدينكم وكان رضي الله تعالى عنه يرد هدايا الولاة ويقول لهم انما صحبناكم لنأخذ بيدكم في الشدائد واذا أكلنا من طعامكم المخلوط بالحرام والشبهات عجزنا عن تحمل ما يصيبكم من الشدائد وعدمتم النفع بنا فيرضون منه بذلك اه وقد أرسل الباشا قاسم الى شيخنا الشيخ محمد الشناوي رحمه الله تعالى نحو خمسمائة دينار وبعض ثياب فردها عليه وقال لو أني بعت ما عندي من روث بهائمي لجاء أكثر من هذه الهدية فرضي الله تعالى عن أهل الصدق (ومما) وقع لي ان شخصا من جند السلطان أرسل لي في رمضان صحن كنافة مبخرة ونثر عليها السكر والفستق فأكلت منها لقمة فقساقلبي جمعة وعجزت عن اخراجه بالقيء وكذلك وقع لي أنني أفطرت عند شخص من مباشري القلعة في رمضان فرأيته صنع طعاما كثيرا نحو خمسة عشر لونا فعلمت أنه متهور في مكسبه فأكلت لاجل خاطره ثلاث لقم بورق فجل فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي استعد لان يحاذيك على الصراط من أجل الثلاث لقم التي أكلتها الليلة بورق الفجل فاردت أن أتقيأ ما أكلت فلم يتيسر لي ذلك فاذا كان هذا في مثل ثلاث لقم بفجل فكيف الحال فيمن يشبع فاسأل الله تعالى من فضله أن يحميني واخواني من مثل ذلك بقية أعمارنا آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انصافي لكل من عاملني ببيع أو شراء أو استئجار رزقة في ملكي الحجازي فلا أطلب منه شيأ زائدا على القيمة بل ان بعته شيأ سامحته بشيء من الثمن وان اشتريت منه شيأ زدته في الثمن ولو قدر أن المشتري أعطاني شيأ زائدا على السعر الواقع لا أقبله منه ولو قال لي انه بطيبة نفس أقول له أنا أعرف ذلك ولكن خاطري أنا ما هو بذلك طيب وهذا كان من خلق سيدي على الخواص رحمه الله تعالى وفيه الهروب من تحمل منن الناس ومن الاكل بالدين فانه ما سامحنا بزيادة عما يعطيه للناس مثلا الا لاعتقاده فينا الخير والصلاح ونقل مثل ذلك عن الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى شارح المنهاج كان اذا أعطاه البائع شيأ زائدا لا يأخذه فلما عرفه السوقة وعرفوا اصلاحه كان يرسل غيره فيشتري له ويقول اياك أن تقول هذا

في بطني فارجع فينقطع الوجع عني فعلت ذلك مرارا فاستفوتهم آكل شيأ فهم يأكلون واذا بانسان يصيح كيف يحل لكم أن تأكلوا من ثمرة بستاني بغير اذني فاذا هم قد غلطوا بالبستان فقلت لهم ألم أقل لكم الورع من ورعه الله واعلم رحمك الله ان ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم من أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم بالطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وتداعي الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى نور التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فانا أسير واذا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فاعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد

الجلال الدين فاني لا آكله وكذلك لا آخذ خراجا قط ممن زرع في رزقتي وحصل للزرع جائحة من دودة أو فأر أو هياف أو استأجرها الترا وى فشرقت تلك السنة لانه قد خسر عمله و بذره ولم يستفد من وراثي شيأ لاسيما ان أغناني الله تعالى عن أكل ماله فكيف أستحل ماله قلت ومما وقع لي ان بعض التجار كان ينكر على فبعث له جبة فاشتراها بزيادة عن ثمنها بعشرة أنصاف فرددت عليه العشرة فردها وقال ان خاطري بذلك طيب فلم أقبلها فاعتقدني من ذلك اليوم وهو صاحبي الى الآن فالحمد لله الذي جعلني أولى باخواني من أنفسهم وراثة محمدية وكذلك لا آخذ من المعاصري والنوتي أجرة أيام بطالة الدواليب والمراكب لعدم الحب الذي يعصره أو لعدم من يحمل في المركب شيأ في الشتاء وليقدر الانسان ان المعصرة كانت تحت يده هو أو المركب من غير أحد يستأجرها فماذا كان يصنع وكذلك لا أقبل شيأ من الاجرة المعجلة ولو بطيبة نفس المستأجر وانما أصبر حتى يحصل له الانتفاع بتلك المعصرة المستأجرة مثلا ثم آخذها منه على العادة في مثل ذلك وذلك لاحتمال أني أموت أو هو يموت قبل الانتفاع فتشتغل ذمتي وذمة ورثتي ويقع بينهم وبين ورثة المستأجر النزاع وربما هاف الزرع أو أكله الفأر وربما مات ولم يقدر ورثته من بعده أن يزرعوا تلك الرزقة وكذلك لا أضع في عيني لبن امرأة أجنبية الا ان أخذت قيمته مني من جديد أو رغيف وذلك مكافاة لها على هديتها أو لما في اللبن من رائحة حق الولد الرضيع لاسيما ان كانت مستأجرة للارضاع أو قليلة اللبن ولا يمكن معرفة طيب نفسه ولا عدم طيبها لعدم نطقه وصغره وهذه الاخلاق لم أجد لها فاعلا من أهل عصري فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) شهودي ان جميع ما أقاسيه من الشدائد والاهوال في حقي أو حق غيري انما هو من رحمة الله تبارك وتعالى بي اذ هو كالتأسيس والادمان لتحمل الشدائد والاهوال التي بين أيدينا يوم القيامة والانسان لا يهوله شئ الان ورد عليه جديدا مما لم يكن له به عادة وأما من ذاق شدائد الدنيا وأهوالها فان أهوال يوم القيامة تهون عليه وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لفقير أن يكثر من تحمل الشدائد عن اخوانه اذا دخل النصف الثاني من القرن العاشر فانه يسيء في حقهم الادب ولا يشعر وذلك لان البلاء يكثر في ذلك الزمان حتى يعم القرى والامصار وكل بلاء وقع في ذلك الزمان فانما هو كالادمان لتحمل البلاء الذي يأتي بعده فمن الاحسان للمريد باطنا ان يتركه شيخه يتقلب في بلائه حتى يخرج بنفسه هو منه ولكن يحتاج صاحب هذا المقام الى كشف صحيح وميزان دقيق ليعرف أعمار الناس الذين يتحمل جملتهم أو يتركها فقد يتحمل عن انسان يظن ان عمره طويل فيموت في ليلته وكان الاولى له أن لا يتحمل عنه ففاته أجر التحمل فلا يتحمل الا عمن عرف طول عمره الى حصول بلاء آخر فانه هو الذي يحتاج الى الادمان وسمعت أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول ينبغي للشيخ اذا رأى عند المريد ضجرا وسخطا على المقدور أن يتحمل عنه بقدر ما يزول به الضجر فان ذلك أولى من وقوعه في الضجر وسوء الادب مع الله تعالى اهـ فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتي من الاكل من طعام من شفعت عنده شفاعة أو من طعام من شفعت فيه شفاعة أو قبول هدية على ذلك لاسيما ان وقع ذلك قبل الشفاعة أو قبل قبولها ولكن ان حلف انه لا يستردها أطعمتها للفقراء والمساكين أو بعتها وفرقت ثمنها عليهم وكذلك قد حماني الله تبارك وتعالى من قبول هدية أهداها لي من سألت الله تبارك وتعالى في قضاء حاجته وقضيت وهذا الخلق وما قبله قد صارا غريبين في هذا الزمان بل بعضهم يأخذ الهدية قبل أن تقضى الحاجة ويأكلها ويتوسع فيها وقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول من شفع لاخيه شفاعة فاهدى له على ذلك شيأ فقبله فقد أتى بابا من الكبائر اهـ وقد وقع أني توجهت الى الله تبارك وتعالى في قضاء حاجة لانسان فقضيت فاعطاني مالا جزيلا فلم أقبله منه وقلت له لا يخلو ما سألت الله تبارك وتعالى أن يفعله لك من أحوال اما أن يكون كتبه عليك أو لك أو لم يكتبه عليك أصلا فان كان كتبه عليك في الازل فلا أقدر أن أرده عنك ما قدره الله تعالى عليك

الرحمن المغربي وكان مقيما بشرقي الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقال لي انك العام القابل عندنا فقلت اذا كنت العام القابل ههنا فلا أعود الى الاسكندرية نخطر لي الذهاب الى اليمن فاتيت الى عدن فانا يوما على ساحلها أمشي واذا أنا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم تصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقال لي من لا يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله وعلى البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبسطون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون دعم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم

وان

وان كان كتبه لك فلم أعمل لك شيأ أستحق به أجرة وان كان لم يكتبه عليك ولا لك فما هنالك شئ فعلته لك أصلا ومابقى الا ان الحق تبارك وتعالى كتبه عليك وجعلنى واسطة فى دفعه عنك بدعائى وتوجهى من باب توقف المسبب على السبب فلا أطلب أجرى الا من الله تبارك وتعالى وما أرضى أن يكون أجرى أمرا يفنى ويضمحل فى هذه الدار فأخذ الرجل ماله وولى وصار يقول شئ لله المدد ما كنت أعرف مقامك ثم ان المرض اشتد بولده فدخل عليه شيخ لا ينبغى تعيينه فقال اخرج لى عن خمسين دينارا وأنا أضمن سلامة ولدك من هذا المرض فأعطاه الخمسين دينارا فأصبح الولد ميتا فطلب منه الخمسين دينارا فلم يعطها له الى وقتنا هذا اه وكذلك وقع لهذا الشيخ انه دخل على صلاح الدين ناظر الخواص لما تكسح فقال له أعطنى مائة دينار واشتر لى رزقة خراجها مائة دينار وأنا أخلصك من الكساح فى هذا الوقت فانى أنا الذى كسحتك لما رددت شفاعتى فى الوقت الفلانى فشاغل الشيخ بالكلام وأرسل قاصده يقول لى ان سيدى يقول لك ان فلانا ادعى انه هو الذى كسحه وطلب منه مائة دينار ورزقة خراجها كذلك فهل تعلم ان له قدرة على مثل ذلك فأعطيه ما طلب وعليك الدرك فقلت له الامر راجع الى اعتقادك أنت فيه فان كان اعتقادك فيه القدرة على ذلك فأعطه والا فلا تعطه وخفت انى أقول له انه نصاب ويكون سبق فى علم الله انه يعافيه على يده فأكون سببا فى منع شفائه أو أقول ان له قدرة على ذلك فأكذب وربما يبلغه انى قلت انه نصاب فيسلط على الزوالق الذين حوله فالله يغفر له ما جناه من هذا النصب وقد توفى الى رحمة الله تعالى فى هذه السنة واستراحت العباد والبلاد منه فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى هدية أعلمنى بها صاحبها قبل أن يحضر بها وذلك لعلمى بان من شأن النفس انها تصير مستشرفة لما وعدت به كأنه حق لازم على الذى وعد فلا تزال تستشرف لتلك الهدية حتى تحضر وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أخذ كل ما استشرفت له النفس وهذا خلق لم أر له فى عصرى هذا فاعلا ثم ان صاحب تلك الهدية ان غلبنى وأدخلها بيتى لا آكل منها شيأ وانما أطعمها للفقراء والمساكين والمترددين وقد بلغنا ان شخصا قال لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه قد خرجت للفقراء عن سلة عنب فأرسل معى أحدا من الفقراء يحملها فأبى الشيخ وقال نحن لا نأكل شيأ أعلمنا به قبل أن يحضر عندنا فالحمد لله الذى جعل لنا بهذا الشيخ أسوة وكذلك بلغنا عن سيدى أبى الحسن أيضا انه كان لا يقبل قط رزقة ولا مرتبا وقال لا أربى أصحابى الا على التوكل والاكل من حيث لا يحتسبون بشرطه فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم البخل بشئ دخل يدى على مستحقه من النقود والطعام والثياب وغير ذلك وهذا الخلق قد أعطاه الله تعالى لى من حين كنت صغيرا قبل أن أعرف ما جاء فى ذم محبة الدنيا وقبل أن أعرف رميها نفاقا ورياء للناس وهو خلق غريب لا يوجد اليوم الا فى افراد من المشايخ ثم لا يكون لهم الا بعد مجاهدة طويلة على يد شيخ صادق بعد أن يحكم مقام الزهد فى الدنيا ويصير ينشرح اذا أدبرت وينقبض خاطره اذا أقبلت (وقد) أوصى لى الشيخ خضر رحمه الله تعالى الذى ربانى يتيما بخمسمائة دينار فلم أقبلها (وكذلك) أوصت لى زوجته بنحو مائة دينار ذهبا ففرقتها على الفقراء والمساكين ولم آخذ لنفسى منها فلسا (وعرض على) بعض الاكابر ثلاثة آلاف دينار على انى أتزوج ابنته فلم أفعل (وأوصى لى) القاضى شمس الدين بن محاسن قاضى اسكندرية بثلث ماله وكان أربعة آلاف دينار فرددتها لكون ذلك من مال قاض لا لعلة أخرى فوصل الى الفقراء بالزاوية خمسين دينارا ليقرؤا له بها قرآنا فأمرتهم بردها فردوها وقرؤا له احتسابا (وسألنى) مرة فقير بالقرافة فى شئ لله فأعطيته ثيابى كلها وكانت جوخة وصوفا ومضربة بعلبكية وعمامة ورجعت الى الجامع الغمرى بفوطة فى وسطى فوجدت شخصا هو سيدى يحيى بن صالح من تجار الخانقاه ينتظرنى بقميص ومضربة بعلبكية وعمامة فلبستها وشكرت الله تعالى (وسألنى مرة) شخص فى عنقه جنزير من حديد شيأ فأعطيته جميع ثيابى فظن انى سكران فتبعنى من بعيد حتى وصلت الدار فطلع لى بالثياب فرآنى غير سكران وقال رضيت منك بنصفها فقط فلم أجبه الى ذلك وخرج بالثياب فباعها فاشترى منها يحيى بن العامل

يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز على خلقه والاستكبار على مثله والدال على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعمله وعلمه افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فانظر فهمك الله سبل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبابه هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع ألا ترى قوله فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذى ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم وأما رفع همته فكان ظاهرا من ذلك بالعجب العجاب وقد تقدم من رفع همته عن ولاة الامور مع استعراضهم لحوائجه وتطارحهم عليه قال يوما لاصحابه جاءنى الطواشى بهاء الدين وهو يومئذ شاد الدواوين اذ ذاك والفقيه شمس الدين الخطيب وهو يومئذ ناظر الاحباس

صوفا بمائة وستين نصفا ولم أزل بحمد الله تبارك وتعالى من حين كنت صغيرا يأتيني الناس بالذهب والفضة فارميها في جامع الغمري فيلتقطها المجاورون وهو خلقي بحمد الله الى الآن وربما كنت أحوج منهم الى شيء من ذلك ولكني أفعل ذلك هوانا بالدنيا في عيون الحاضرين حتى يقتدوا بي في ذلك (وكان) بعض الحسدة يقول ما رأيت نصابا مثل عبد الوهاب أبدا انما يرمي الذهب والفضة ليتسامع الناس بذلك فيعتقدوه ويأتوه بما يطلب فقال له بعض الاخوان فارم أنت الآخر ما معك فلم يقدر على ذلك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) رجوعي على نفسي باللوم اذا قدمت نفسي على خصمي في الراحة بل أوثره على نفسي بالراحة وأتكلف أنا المشقة وكثيرا ما تتعارض المصلحتان فتصير مصلحتي تضره فأؤخرها ولو كانت مصلحته تضرني فلابد في المعروف من تقاضي واحد منا وهو خير الرجلين نظير ما ورد في حديث المتشاحنين وخيرهما الذي يبدأ بالسلام (وقد حكى) أن شخصين كان بينهما مركب شركة نصفين فتعاندا فاراد أحدهما أن يوسق نصفه ملحا وأراد الآخر أن يوسق نصفه ماء ومعلوم ان مجاورة الماء للملح تذيبه فما فصل بينهما الا الحكام فاعمل يا أخي على ما ينفع خصمك وأحول على الله تبارك وتعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اقامة العذر لزوجتي اذا تزوجت عليها أو تسريت ولا أطالبها بالصبر جزما لعلمي بان ذلك لا تطيقه غالب النساء (وقد وقع) لزوجتي أم عبد الرحمن اني مزحت معها يوما وقلت لها أنا أسبق الى الجنة بضرتك تفرش لك بيتك وتملأ لك الاباريق وتنتظرك حتى تجيئي الينا فحلفت بالله العظيم انها لو دخلت الجنة ورأت ضرتها هناك رجعت وأقامت خارج الجنة أبد الآبدين حلفا لا تورية فيه انتهى فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) غلبة الحياء من الله تبارك وتعالى أو من عباده حتى ربما جعلت الطيلسان على رأسي وأرخيته على وجهي حتى لا أرى وجه أحد ولا يراني وان كانت رؤية وجوه المؤمنين شفاء (وقد كان) أبو بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وأبو يزيد البسطامي وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بارديتهم غالبا ثم ان أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدمن من لبس البرنس وقال انه يكف البصر عن فضول النظر انتهى ويقع لي في بعض الاوقات اني أستحي أن أمر في شوارع مصر راكبا ولا أقدر على المشي فارخي الطيلسان بحيث لا يعرفني أحد وأعطي مقود الحمارة لشخص (ونقل) مثل ذلك عن الشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي كان اذا مشى يضع يده على كتف شخص ويصير شاخصا الى السماء لا ينظر الى وجه أحد حتى يرجع الى بيته وللفقراء في ذلك مشاهد صحيحة فاياك والمبادرة الى الاعتراض على من يفعل مثل ذلك فتقع في الاثم والجهل أما الاثم فلكونك تظن بهم انهم يفعلون ذلك تمشيخا ومحبة لان يعرفوا وأما الجهل فلكونك جهلت انه من سنة السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم (فعلم) أن صاحب هذا المشهد غائب عن قصد التمشيخ بذلك أو عن قصد دفع حر أو برد وأما قصد التمشيخ بذلك فهو حرام يبعد وقوعه من الفقراء والعلماء وأما دفع الحر والبرد فانه حاصل في ضمن نية كف البصر عن فضول النظر ونية الحياء من الله عز وجل فلا تحتاج الى نية أخرى (وسمعت) الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يقول شرط الطيلسان المشروع أن يكون نازلا قبالة وجه الانسان حتى يصير لا ينظر من الارض الا موضع مواقع قدميه فقط انتهى وانما صح جعلنا الطيلسان بقصد الحياء من الله تعالى وان كان الحق تعالى لا يحجبه شيء لان الشرع قد تبع العرف في مثل ذلك حال الصلاة وغيرها فاوجب على العبد أن يستر عورته ولا يكشفها الا لضرورة شرعية واستحب للعبد أن يستتر في الغسل ولو كان خاليا أو في ظلام وقال الحق تعالى أحق ان يستحيى منه فلما رأينا استحباب ذلك حياء من الله تعالى قسنا عليه الطيلسان اذا غلب على صاحبه الحياء من الله تعالى أو من خلقه فان العبد بين يدي الله تعالى على الدوام شعر بذلك أو لم يشعر فمن لم يصل الى مقام شهوده ذلك فليكن معه الايمان بذلك (وقد كان) عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه اذا أراد دخول الخلاء يتقنع بردائه حياء من الملائكة الكرام الكاتبين ولا شك ان الله تبارك وتعالى أحق منهم بالاستحياء منه وكان أخي الشيخ أبو العباس الحريثي

رضي

فقالا لي ان هذه القلعة تحتاج الى حصر وزيت وقناديل وتحتاج الفقراء فيها الى ما يأكلون ونحن حكام الوقت نطلق لها شيأ كل شهر قال فقلت لهم حتى أشاور أصحابي وأنتم أصحابي فماذا تشيرون فلم يرجع اليه أحد جوابا فاعاد الامر مرارا فلم يجبه أحد فقال اللهم أغننا عنهم ولا تفتنا بهم انك على كل شيء قدير ولم يجبهم الى ما ذكروا ومات الشيخ رحمه الله تعالى وليس للمكان مرتب ولا معلوم وسمعته يقول والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة عن الخلق وسمعته يقول رأيت كلبا في المحجة ومعي شيء من الخبز فوضعته بين يديه فلم يلتفت اليه فقربته من فمه فلم يلتفت اليه فاذا علي يقال لي أف لمن يكون الكلب أزهد منه وسمعته يقول خرجت يوما أشتري حاجة من بعض من يعرفني بنصف درهم فقلت في نفسي ولعله لا يأخذه مني فاذا علي يقال لي السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال فاتيت الى الموضع الذي كنت مقيما به ودخلت وأغلقت الباب وأنا جالس وانسان قد فتح الباب على عجزة وقال بماذا تكون السلامة في الدين قال فقلت له بترك الطمع في المخلوقين فاخذها كأنما كانت ضالة وجدها فتبين من حاله ان الشيخ كان قد قال له

رضي الله تعالى عنه لا يغتسل خاليا الا في ثوب مهاهل كما يفعل بالميت اذا غسل (وكان) رضي الله تعالى عنه يقول الفقير كالمرأة المخدرة لا ينبغي له أن يكشف يده أو رجله أو ساعده بحضرة اخوانه الا لضرورة أو حاجة وعلى ذلك أكابر الدولة مع من هو أكبر منهم انتهى (ومن هنا) أدمن المباشرون وغيرهم لبس الخف وضيقوا أكمامهم واتخذوا الاطواق التي تستر أعناقهم أيام دولة الجراكسة انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق بهذه الاخلاق المحمدية والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتي للاكل من ضيافة الوقف الذي تحت نظري أو نظر غيري وعدم استقرارها في باطني اذا أكلت منها فلا آكل منها وان جعلها الواقف لي الا ان علمت طيب نفس الفلاح بذلك من حيث محبته لي لا لعلة أخرى لا تبعة فيها ومتى علمت ان علة مجيئه بالضيافة لكوني ناظرا على ذلك الوقف واني متى عزلت منه لا يأتيني بشئ فلا آكل من ضيافته شيأ وما جعل الفلاحون المتقدمون الضيافة لاستاذيهم الا لما كانوا يجدونه منهم من البر والاحسان وكف مظالم الكشاف وشيوخ العرب عنهم وهذا أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا (وقد رأيت) وأنا صغير الفلاح اذا جاء لاستاذه بضيافة يصير يطبخ له الطعام الطيب والحلو والارز الى ان يطلب السفر فيعطيه الكسوة والهدية أكثر مما جاء هو به فيصير يمدح أستاذه بين الفلاحين ثم يأتيه بعد ذلك بضيافة أعظم من تلك الضيافة لما وجد من بره واحسانه فاين هذا ممن يجيئه فلاحه بالضيافة فلا يعلق على جارته ولا يطبخ له طعاما او يطعمه الطعام البائت وان عزم الفلاح على أحد من معارفه وأتى به الى بيت أستاذه قامت عليه القيامة ثم يصير يسمعه الكلام الجافي حتى يسافر بلا حسنة في مقابلة تلك الضيافة بل رأيت شخصا من العلماء أتاه فلاحه بضيافة الاوز فوجد فيها واحدة هزيلة فردها عليه فسافر بها الى البلاد ليرسل له واحدة مكانها فاذا كان هذا فعل حامل القرآن فكيف بالظلمة فعلم ان من طلب ان يأكل ضيافة الفلاح و يتحكم فيه فليفعل معه كما كان السلف يفعلون (وقد قال لي) فلاح عتيق كنا نعد الايام التي نأتي لاستاذنا فيها بضيافة كأنها أيام عيد وكان يطعمنا الحلوى والاطعمة الفاخرة التي لا نجدها في النوم اهـ فتنبه يا مدعي الدين لنفسك وخلص نفسك من تبعات الفلاح واحمه من الكشاف ومشايخ العرب وأحسن اليه ثم اقبل ضيافته كأنها جعالة لك على دفع الاذى عنه والا فنزه نفسك عن الاكل من ضيافته فانها من قسم الشبهات بيقين فان الفلاح ربما أتى بها خوفا منك أن تغالطه في الحساب أو تسلط عليه ما كما يؤذيه بل أفتى بعضهم بان أخذ الجعل على كف المظالم حرام لانه يلزم القادر على دفع الظلم ان يدفعه مجانا فان لم يقدر على دفع الظلم عن الفلاح فاوجه أخذ الضيافة منه (وهذا) خلق غريب ما رأيت له في مصر كلها فاعلا غيري فالحمد لله الذي منّ علي بالشفقة على الفلاح واقامة العذر له في هذا الزمان اذا ترك الضيافة وأتاني بلا ضيافة فان غالب الفلاحين قد صار لا يحصل له من زرعه بعد وزن المغارم عنه طول سنته الا القوت و بعضهم لا يحصل له القوت فكيف يؤخذ من هذا ضيافة بل مثل هذا لا يلزمه ضيافة الوارد عليه ولا تستحب له (وكان) أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يرد خراج رزقته الزائد على خراج مثلها ويرد الضيافة ويقول ليس لفقير أن يأخذ خراج رزقته مثل ضريبة طين السلطان وله رد الضيافة ولو كانت حلالا صرفا انتهى فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اذا زرعت في طين وقف تحت نظري أو لم يكن تحت نظري ان أجعل الحظ والمصلحة للوقف فان جاء الزرع أكثر من الخراج عادة جعلت الزائد بيني و بين الوقف وان جاء الخراج أكثر لم اندم على اعطائه لهم كاملا وذلك لان حكم أرض الوقف عندي اذا كنت ناظرا أو زارعا من غير نظر حكم مال اليتيم تحت يد الوصي مثلا فلا انظر اليه الا بالحظ والمصلحة (فليحذر) الناظر من محاباة نفسه فيزن الخراج لجهة الوقف الذي هو تحت نظره بانقص مما يأخذه هو من الفلاح (وليحذر) من ان يسخر الفلاح في الحرث والحصاد مثلا بغير طيب نفس كما يفعل الامناء ومشايخ العرب فيساعدون استاذهم خوفا من شرورهم وكذلك فلاح سيدي الشيخ ربما ساعده خوفا من شره وذلك من قسم الظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة (ثم) ان هذا

اذهب الى موضع كذا فاكتل لك ثلاث ويبات فذهب فاكتال لنفسه أردبا فبلغ ذلك الشيخ فقال فرغوا ما اكتاله في موضعه واعطوه ثلاث ويبات التي كنا اعطيناه اياها وقال رضي الله عنه الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة فهو بطن كله فلذلك صاحبه لا يشبع أبدا وكان يقول للناس أسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض (تنبيه واعلام) اعلم ان رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق ولقد سئل الجنيد رضي الله تعالى عنه أيزني العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا ولعمري لو سئل أيطمع العارف في غير الله لقال لا وانما مراد الحق سبحانه أن يفرده العباد في كل شئ حبا وثقة وتوكلا وخوفا ورجاء وذلك الذي تستحقه فرديته وكان بعض العارفين ينشد شعرا

حرام على من وحد الله ربه
وأفرده أن يجتدي أحدا رفدا
ويا صاحبي قف لي مع الحق وقفة
أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

و رفع الهمة انما ينشأ عن صدق الثقة بالله وصدق الثقة بالله انما

خلق غريب قل من يفعله الآن مع الفلاح والمستحقين واصل الاخلال بذلك قلة دين الناظر وعدم ثقته وكثرة محبته للدنيا مع ان ذلك ممحقة للبركة كما جربت ولم ازل بحمد الله تبارك وتعالى ازرع في طين الوقف والكلام من مالي ثم اعطيه كله للفقراء وآكل منه كأحدهم لا احاسبهم قط على شيء لي ثمار بحمته انتهى فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الخامس في جملة أخرى من الاخلاق فاقول وبالله تبارك وتعالى التوفيق)

(ممّا أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي للاكل من صدقة أو هدية علمت ان في بلد المتصدق أو المهدي أو جارته من هو أحوج الى ذلك مني من الفقراء والمساكين والارامل ومن ارتكبتهم الديون ثم ان قدّر أني قبلتها صرفتها فيما أراه أرجح في ميزانه من اكلي منها وذلك انه كما قصد نفعنا بدنياه فينبغي لنا ان ننفعه بزيادة دينه كذلك ولا ننقصه من الاجر فان في ضمن اكلنا من تلك الصدقة أو الهدية رائحة حق لذلك المحتاج الذي تعداه وجاء الينا من حيث ان الشارع أمره ان يبدأ في صرف صدقته أو هديته بالمحتاج أو الاقرب دارا أو رحما فلا نساعده على مخالفة السنة بتقديمه لنا على من هو أولى منا من قريب أو محتاج أو جار ثم اننا اذا قبلنا من ذلك شيئا بشرطه لا نقبله الا بنية نفعه مما هو اولى بالاجر والثواب ونجعل نفع نفوسنا بالتبعية لا بالقصد الاول كل ذلك لتكون حركاتنا في نفوسنا أو في حق اخواننا في دوان الحسنات ويكتب لنا اجر القائمين في مصالح العباد وتحصل محبة الحق تعالى لنا فان الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله كما ورد (وقد رددت) بحمد الله تبارك وتعالى كثيرا من الذهب والفضة والطعام على من تعدى جيرانه أو قرابته أو المحتاجين من اهل حارته واني بذلك الى خوفا على دينه ان ينقص لا لعلة أخرى (ويؤيد) ذلك قوله صلى الله عليه وسلم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم أي لان فقراء كل بلد ناظرون الى صرف صدقة اغنيائهم عليهم (ومن هنا) حرم بعض العلماء نقل صدقة أغنيائهم عليهم من بلد الى أخرى الا لعذر شرعي وهذا الخلق ما رأيت له فاعلا الى وقتي هذا غير أخي الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى فاعلم ذلك يا أخي واعمل بالتخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وممّا منّ الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي لشيء يقيم في قلبي من محاب الدنيا الا سهوا أو غفلة سواء كان ذلك المحبوب زوجة أو ولدا أو مالا أو غير ذلك ومن ذاق هذا المقام استراح من مزاحمة الناس على الدنيا واستراح الناس منه لان من كانت الدنيا في يده دون قلبه فمن شأنه الفرح والسرور اذا فاتته خوفا من ان تشغله عن ربه جل وعز وقل من تخلق بهذا الخلق من أقراننا ولذلك يقع بينهم وبين غيرهم الشحناء والبغضاء والحسد لان حب الدنيا في قلوبهم ساكن ولو أنهم كانوا محبين لله عز وجل ما مكنوا اعدوه يسكن في قلوبهم فانه تعالى غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده المؤمن محبة لسواه الا باذنه ولصاحب هذا المقام علامة وهو أنه لا يطالب أحدا منفسه لو عنعه منه الا لعذر شرعي فلا عنعه قط بخلا لان البخل من ثمرة سكون محبة المال في القلب فافهم (فعلم) ان المذموم من محبة الدنيا انما هو اذا كان بحكم الطبع لا بحكم تحبيب الله تبارك وتعالى له ذلك لغرض صحيح لان ذلك غير مذموم بل هو محبوب شرعا كما سيأتي بسطه في هذا الكتاب فان أكابر الاولياء يحبون المال حبا جما لينفقوه في مرضاة الله عز وجل لا ليبخلوا به على احد من عباده الا لحكمة لانهم محفوظون من آفات المال (ونقل) عن بعضهم انه كان يقول انما احببت المال لافوز بلذة خطاب الله لي بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه لم يخاطب بذلك الا أهل الجدة وكثرة الاموال دون الفقراء الذين لا يملكون عشاء ليلة وعلى ذلك يحمل حال أيوب عليه السلام حين صار يحثو في ثوبه من الذهب حين أمطرته السماء فان الله تعالى أوحى اليه الم أكن أغنيتك عن مثل هذا فقال بلى يارب ولكن ليس لي غنى عن بركتك انتهى وكذلك وقع للعباس رضي الله تعالى عنه وارضاه عم النبي صلى الله عليه وسلم حين امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل في بردته ماشاء من الذهب فجعل فيها مالم يقدر على حمله فصار كلما اراد ان يحمله لا يقدر على حمله فان مثل العباس رضي الله تعالى عنه انما فعل ذلك

ولرسوله وللمؤمنين والنصر من عند الله قال سبحانه وكان حقا علينا نصر المؤمنين والنجاة من العوارض الصادرة عن الله قال الله تعالى كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين فعز المؤمن بثقته بمولاه ونصرته على نفسه وهواه ونجاته من العوارض أن لا تقطعه عن سبيل هداه وشعار أهل الارادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عما سوى الله وصيانة ملابس الايمان من ان تدنس بالميل الى الاكوان أو الطمع في غير الملك المنان ولنا في هذا المعنى

شعر

بكرت تلوم على زمان أجحفا
فصدفت عنها علها ان تصدفا
لا تكثرن عتبا لدهرك انه
ما ان يطالب بالصفاء ولا الوفا
ماضرني ان كنت فيه خاملا
فالبدر بدر ان بدا أو ان خفا
الله يعلم انني ذو همة
تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتي
وأريهم عز الملوك وأشرفا
أأريهم اني الفقير اليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه * هذا لعمري ان فعلت هو الجفا

محبة

محبة فى الانفاق لا محبة فى الامساك انتهى (و بالجملة) فمن خالط الاكابر بالادب والتعظيم لهم حملهم على أحسن المحامل وعرف مقامهم ونزههم عن محبة الدنيا لغير غرض صحيح فان منهم من يأخذ الدنيا اذا ساقها الله تعالى اليه تبركا بفضل الله تبارك وتعالى و بعضهم يأخذ ليظهر الفاقة وكلما أكثر من المزاحمة عليها كلما اظهر فاقته وعجزه وكثرة حاجته الى فضل ربه تعالى فيزداد بكثرة الدنيا فاقة وحاجة حتى يصير سداه ولحمته حاجة وفاقة و يصير عاكفا فى حضرة ربه تبارك وتعالى لا يخرج منها قال تبارك وتعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى و ربما اعطى الله تبارك وتعالى العبد قوت سنة وأكثر ليطرده عن الوقوف بين يديه بفضله و ربما قتر على عبد رزقه حتى يصير واقفا بين يديه تعالى ليلا ونهارا (وكان) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول لابد للفقير فى بداية امره من رمى الدنيا والزهد فيها الخاص من محبة ماسوى ربه بحكم الطبع فاذا تخلص لمحبة ربه وحده وسكنت محبته فى قلبه قيل له خذ برنا وفضلنا وحسنتنا لك بشدة وعزم ومزاحمة عليها واستعمل ذلك فيما خلقناه لاجله من القربات الشرعية فكما القاها أولا باذن كذلك أخذها آخرا باذن انتهى (قلت) ولولا أن الحق تبارك وتعالى امر المريد فى بداية امره بالزهد فى الدنيا ما قدر على السير فى الطريق ولا ترقى الى مقام من المقامات لانه فطر على الاستفادة لا على الافادة فانفتح عينه الاعلى محبتها ثم رأى جمهور الناس على ذلك فازداد محبة لها (فعلم) أنه فى اصله مجبول على الشح بالدنيا حتى تود ان كل شئ فى الوجود يكون له وذلك من أكبر القواطع عن الله تبارك وتعالى فلا يصح له دخول طريق أهل الله تبارك وتعالى الا بعد فطامه عن الدنيا ثم بعد أن يقوى فى المقام بحيث لا يصير شئ يشغله عن الله تبارك وتعالى يرجع الى جمع الدنيا لمصالح نفسه وغيره و يصير صورته صورة من يحب الدنيا والقصد مختلف فلا يكاد يعرف أحد انه من الصالحين لاحتجابهم عنه بشهود مزاحمته على الدنيا ومشاححته على الجديد مع انه يعطى الالف دينار وأكثر وكأنه أعطى بعرة فيشاح على أقل القليل و يعطى الكثير بمشاهدة صحيحة فان اعطى الكثير شهد حقارته وان أخذ اليسير بغير حق شهد كثرته من حيث المطالبة به يوم القيامة حين تتقاسم الناس حسنات بعضهم بعضا وان شاح فى القليل فهو لاجل عتق غيره من المنة لو سامحه ومن شرط الكمل ان لا يكون لهم حركة ولا سكون الا وهم فيها تحت الامر الالهى و بذلك نفذت عهودهم و وصاياهم الى مريديهم فى سائر أقطار الارض فان أحبوا الدنيا فذلك بحق وان كرهوها فذلك بحق وان أحبوا أولادهم فذلك بحق وان كرهوهم فذلك بحق وان أحبوا الرياسة فذلك بحق وان كرهوها فذلك بحق وان أحبوا الخفاء فذلك بحق وان أحبوا الظهور فذلك بحق وهكذا فى سائر أحوالهم رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم فاعلم ذلك يا أخى واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة اضافتى للفعل المذموم الذى فعلته أنا الى نفسى قبل ابليس ببادئ الرأى وكثرة اضافة ما فعله الاخوان معى الى ابليس قبل اضافته اليهم فاضيفه الى ابليس ببادئ الرأى ولذلك قل غضبى عليهم وتحملت منهم أثقال الجبال من الاذى من غير مؤاخذة لهم كما ايضاحه أوائل الباب الثالث وذلك لان ابليس هو الذى وسوس لهم و زين لهم ان ما يفعلونه معى من الاذى خير ونصرة للدين مثلا فابليس فى ذلك أصل وهم فرع منه وارسال العداوة وسوء الظن على الاصل أولى من ارسالهما على الفرع هذا فى الاصل والفرع من الخلق أما فى حق الحق تعالى فلا يجوز ارسال ذلك له على الاصل فان فيه اقامة الحجة على الله تبارك وتعالى ولا يخفى ما فى ذلك من سوء الادب قال الله تبارك وتعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أى ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى اسنادا لا ايجادا فافهم وهذا الخلق قل من يتخلق به بل غالب الناس يرسل العداوة وسوء الظن الى أخيه المسلم ببادئ الرأى اذا آذاه أخوه أو آذى غيره أو عصى ربه ولا يرسل ذلك الى ابليس الا بعد تفكر وتدبر و بذلك كثر ازدراؤهم بعضهم لبعضهم وذلك حرام بخلاف من ازدرى ابليس أو بغضه فانه لا يقع فى حرام و بخلاف من يضيف الامور الناقصة الى ابليس ببادئ الرأى ولا يضيفها الى الخلق الا بعد ذلك فان ازدراءه و بغضه للناس يقل ومن هنا قالوا اذا صحبت فاصحب العارفين فانه ليس لكثير الطاعات عندهم كبير أمر حتى يعظموك لاجله لعدم اعتمادهم عليها دون الله تبارك وتعالى وللقبيح عندهم وجوه من المعاذير

عم البرية منة وتلطفا
والجأ اليه تجده نعما ترتجى
لا تعدعن أبوابه منحرفا

والذى يوجب لك رفع الهمة عما سوى الله علمك بانه لم يخرجك الى مملكته الا وقد كفالك ومنحك واعطاك فلم يبق لك حاجة عند غيره فاذا كان قد اقتضى لهم الفهم عن الله أن يكتفوا بعلمه عن مسألته كيف لا يوجب لهم الفهم الاكتفاء بعلمه عن سؤال خليقته ومن فاتحه الحق سبحانه بشئ مما فاتح به أحباءه فقد اقتضى منه رفع همته اليه كما اقتضاه من غيره وأولى ألم تسمع قوله سبحانه ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك وكيف لا تكون منته فيك ومواهبه وفواتح عناياته وخصائص ولاياته ناهية لك عن التعلق بغيره وكان بعض العارفين ينشد شعرا

أبعد نفوذى فى علوم الحقائق
وبعد انبساطى فى مواهب خالقى
وفى حين اشراقى على ملكوته
أرى باسطا كفا الى غير رازق

وان كل ذي رتبة من المخلوقين لا يرضى منك ان تنسب له رتبة تضيف المنح والعطاء

(وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اضافة المذمومات الى النفس والشيطان أولى من اضافتها الى الحق تبارك وتعالى بحكم الخلق والتقدير فان ذلك تحصيل الحاصل وأحكام التكاليف انما هى دائرة مع نسب المكلفين لانه الباب الذى يؤاخذون منه (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول من أضاف المذمومات الى الله تعالى ووقف مع ذلك دون اضافتها الى الخلق وقع فى أعلى طبقات سوء الادب مع الله تعالى وهلك فى دينه من حيث لا يشعر وذلك لانه حينئذ لا يكاد يندم على ذنب فعله أبدا ويقول هذا مقدر على قبل أن أخلق فايش كنت أنا انتهى (وفى كلام) الجنيد رضى الله تعالى عنه لا يضر فى توحيد العبد للحق تعالى فى الافعال شهوده نسبة الافعال اليه هو بل ذلك واجب لان من لم يضف الى نفسه الاعمال يلزمه هدم أركان الشريعة كلها واسقاط المؤاخذات التى يؤاخذ الله تعالى عليها عباده فى الدنيا والآخرة انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى الى سوء الظن باحد من المسلمين وكثرة سترى لما تحققته من عوراتهم وذلك لان الظن أكذب الحديث وأما قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأرضاه احترسوا من الناس بسوء الظن فمراده عاملوا الناس كمعاملة من يسىء بهم الظن فى الحذر منهم لا حثهم على سوء الظن فان سوء الظن لم يأت لنا شرع بالحث عليه فافهم ثم ان ورد فهو مؤول ولا يؤاخذ الله تعالى فى الآخرة عبدا أحسن الظن بعباده المؤمنين أبدا انما يؤاخذ من أساء بهم الظن وسيأتى فى هذه المنن ان العبد لا يصح له حسن الظن بالمسلمين الا بعد تنظيفه باطنه من الرذائل حتى لا يكون له سريرة سيئة قط يفتضح بها فى الدنيا والآخرة ومادام له سريرة سيئة فمن لازمه سوء الظن قياسا على نفسه وصفاتها فان أردت يا أخى أن تكون ممن يحسن الظن بالمسلمين فطهر باطنك أولا من الرذائل والا فلا سبيل لك الى الخلاص فانك اذا كان عندك ميل للزنا باجنبية مثلا وتود انك تزنى بها فلا تتمكن من ذلك ثم انك رأيت شخصا قد اختلى بها أو وقف يحدثها فى زقاق لا تحمله الا على صورة نفسك ولو انك كنت بالعكس لحملته على أحسن الاحوال قياسا على نفسك فكم من طهر الله باطنه من المعاصى حكم من خلقه الله عنينا فهو لا يعرف للجماع طعما ولو اختلى باجنبية لا يخطر فى باله فاحشة فتأمل فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها (وقد كان) سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا رأيت انسانا بالغا يطوف بشئ يبيعه والناس يصلون الجمعة فاحمله على عذر شرعى فاذا رأيت عالما أو صالحا يأخذ من الظلمة مالا فاحمله على أنه يفرقه على أصحاب الضرورات بالطريق الشرعى ولا يأكل منه شيأ واذا رأيت عالما توقف عن الكتابة على سؤال متعلق بامور السلطنة فاحمله على خوف الفتنة التى تبيح له كتم العلم أصلا كاخراج من وظيفته التى يتقوت منها هو وعياله عنه أو نفيه من بلده ونحو ذلك واذا رأيت شخصا يسار رامرأة فى عطفة فاحمله على انها من محارمه أو زوجته أو انها ممن لا يخاف منها الفتنة انتهى فقس يا أخى على ذلك ولكن بعد تنظيف باطنك كما مر فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مطالبتى بالوفاء بعهدى من لم يوف بعهود الله تبارك وتعالى وعهود رسوله صلى الله عليه وسلم العلمى بأن من لم يصح له الوفاء بعهد الله أو عهد رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح له الوفاء بعهد مثلى مع شهوده نقصى ومماثلتى له وذلك كأن أطلب من أحد من اخوانى أنه يراعينى فى الرخاء كما يراعينى فى الشدة أولا يخالف ما عاهدته عليه من فعل الاوامر واجتناب المناهى ولو أننى طلبت ذلك منهم أو من نفسى لما صح لهم ولا لى فان ذلك راجع الى حكم القبضتين ومادام الحق تبارك وتعالى يخلق المعاصى للعبد فلا يقدر على الوفاء بالتوبة النصوح التى لا ذنب بعدها أبدا بل انما يتوب بعد كل معصية ومن هنا قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وغيره ليس من الادب أخذ العهد على العوام بانهم لا يقعون قط فى معصية وانما الادب أن يأخذ عليهم العهد انهم كلما أذنبوا يتوبوا على الفور ولا يصروا قط على معصية لانه اذا كان فى علم الله تبارك وتعالى أنهم يعصون يصير عليهم معصيتان معصية من حيث الشرع ومعصية أخرى من حيث نقض العهد ولو انه لم يعاهدهم لما كان عليهم سوى اثم معصية واحدة انتهى وهو كلام فى غاية التحقيق

من الذين قال فيهم سبحانه وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وقبيح أن تكون فى دار ضيافته وتوجه وجه طمعك لغيره ولنا فى هذا المعنى شعر
أيحسن انى فى ذراكم ونزلكم
أوجه يوما للعباد رجائى
بلى انى ألوى اليك بهمة
أخلف فيها ماسواك ورائى
ولا تطلب ممن هو بعيد عنك وتترك الطلب من مولى هو أقرب اليك من حبل الوريد ألم تسمع الى قوله سبحانه واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان وقال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال واسألوا الله من فضله وقال ادعونى أستجب لكم وقال وان من شئ الا عندنا خزائنه كل ذلك ليجمع همم عباده عليه كيلا يرفعوا حوائجهم الا اليه * وأما حلمه فكان من شأنه انه لا ينتقم لنفسه ولا ينتصر لها ولقد دخلت عليه يوما فقال لى ما تقول فى فلان

رجل كان قد آذى الشيخ الاذى البالغ أتى الى أصحاب فلان بعض من كان له الامر فى ذلك الزمن وكان يتردد

التحقيق (وأما مبايعته) صلى الله عليه وسلم للنساء والرجال بترك المعاصى فكان ذلك بوحى الهى أوائل اسلامهم أو اسلامهن ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم بايع هذه المبايعة لمن رسخ فى الاسلام أبدا وقد يكون أراد صلى الله عليه وسلم بتلك المبايعة تقبيح الذنوب فى أعينهم لينقادوا لأحكام الاسلام بعدما كانوا فيه من الشرك ويؤيد ذلك ماورد انه صلى الله عليه وسلم كان يبايع وفود العرب ويقول بخفض صوت فيما استطعتم وبايع شخصا على انه يصلى صلاة الصبح والعصر فقط وقال بعدما ولى سيصلى يعنى بقية الصلوات فعلم من هذا التقرير ان للفقير أن يأخذ العهد بالتضييق والتحجير على من رسخ فى صحبته لعلمه بالقرائن أن الله تعالى يحفظ مثله عن الفواحش وكتب الشريعة طافحة بذلك ومن فهم ما أومأنا اليه حمل نحو قوله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وقوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه على حال رعاع الناس دون الاكابر من الانبياء والاولياء وكمل المؤمنين فانا نراهم فى الشدائد والرخاء لا يرجعون فى أمورهم الا الى الله وحده بخلاف رعاع الناس فليس لفقير أن يطلب منهم أن يكونوا معه فى الشدة والرخاء على حالة واحدة فان ذلك لم يفعلوه مع ربهم وخالقهم ورازقهم فكيف يفعلونه مع من هو مثلهم فى الفاقة والعجز (وقد وقع) انه صلى الله عليه وسلم أخذ العهد على جماعة وكتبوا الوحى زمانا ثم انهم ارتدوا بعد ذلك كعبد الله بن خطل وأضرابه وفى القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ فعلى الداعى أن يدعو الى حضرة الله تبارك وتعالى ليميز أهل القبضتين فقط بدعائه وأما الامتثال وعدمه فذلك الى الله تبارك وتعالى لا الى العبد ومن طلب ممن دعاهم أن لا يخالفوا ما عاهدهم عليه مطلقا فقد رام المحال ولا يناله الا العناء والتعب ولما غلبت الرحمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يكره الناس على الايمان فانزل الله تعالى عليه ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية وقال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية والداعون من بعده من أمته على سنته صلى الله عليه وسلم (فمنهم) من غلبت عليه الرحمة ورأى سعة الاطلاق فدعا الى الحق تعالى وأخذ العهد على كل من طلب منه ذلك (ومنهم) من توقف عن أخذ العهد على من لم يعلم قدرته على الوفاء بذلك العهد وهى طريقة الجنيد وأتباعه الى عصرنا هذا (وقد كان) الشيخ ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه لا يأخذ العهد على مريد قط ويقول ماهى طريقتنا وكان يقول لو أردت ذلك لاخذت العهد على جميع من فى الاسكندرية وكثيرا ما كان يقول العهد صار الآن يؤخذ برغيف انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى لا يأخذ العهد على فقير الا ان كشف له عن حاله وانه يوفى بالعهد والا لم يأخذ عليه عهدا وهى طريقتنا الآن فكثيرا ما يسألنى أحد فى تلقينه الذكر وأخذ العهد عليه فاتفرس فيه الخيانة فلا أجيبه الى ما طلب شفقة عليه وكثيرا ما أجيب الى ذلك من سأل لغلبة ظنى أنه يوفى بالعهد وعلى ذلك يحمل قول من قال لا ينبغى للشيخ اذا جاءه مريد يطلب أخذ العهد عليه أن يقول له اصبر الى غد مثلا لانه يفتر همته ويخمد نار عزمه اللهم الا أن يكون ما قال له اصبر الا بعد أن تفرس منه انه لا يوفى بالعهد وانه يلعب بالطريق والا فكيف يقدر الصياد على صيد ما هو محتاج اليه ويتركه انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجهى الى الله تبارك وتعالى فى تسهيل رزق عيالى الذى قسمه لى من غير حصول منة فى طريقه للخلق فيسخرهم الله تبارك وتعالى لى فضلا منه ونعمة وما فعلت ذلك الا بعد ان غلب على ظنى انه تبارك وتعالى لم يقسم لى عمل حرفة من خياطة أو تجارة أو ضفر خوص ونحو ذلك وكثيرا ما أستأجر أرضا واستأجر من يزرعها لى فيأتينى منها بقوتى وقوت عيالى (وقد) حث السلف كلهم رضى الله تعالى عنهم على عمل الحرفة وأشدهم فى ذلك السادة الشاذلية رضى الله تعالى عنهم فكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يحث أصحابه على السبب والسعى على العائلة وعلى أنفسهم ويقول من فعل ذلك وأقام بفرائض ربه عز وجل عليه فقد كملت مجاهدته (وكان) سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى

الى الشيخ فقالوا ياسيدى هذا الرجل الذى آذاك نسعى فى ضربه واشهاره فى البلدين مصر والقاهر فماذا تقول أنت قلت له مصلحة فقال كالمنكر لاى شئ قلت ذلك قلت نتشفى منه قال أنا ما أتشفى من أحد قلت انما أردت الاتباع قال ولا تحمل اتباعى على التشفى فاطرقت خجلا فما توجه أحد بالاذى لنا بعد ذلك فنزلت به نازلة فاهمت نفسى بالتشفى منه الا وذكرت كلام الشيخ أنا ما أتشفى من أحد حتى كأنى سمعته ذلك الوقت فتخمد النفس عن التشفى بذلك واتفق بعد مدة نحو الخمسة عشر سنة ان الذى كان سعى فى أذية الشيخ سعى فى أذيتنا واتفق له نازلة فصاننا الله من التشفى منه وسلم وكان الشيخ يقول لى هذا الذى استشرتك فيه سيتفق لك معه مثل ما اتفق لى فافعل معه مثل ما فعلت معه وهكذا هو كلام الاكابر يطوى فى صحائف قلوب المريدين حتى اذا جاء وقته أظهره الله سبحانه كأنك قد سمعته ذلك الوقت وربما أحضر الله بفكرك شيخك الذى خاطبك الله بهيئته وزيه وربما تمثل لك فى الخيال المنفصل وربما حضر بوجوده الحسى عند وجود النوازل مثبتا للمريد ومعلما وسمعته رضى الله عنه يقول ما سمعتموه منى ففهمتموه فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة وما لم تفهموه

عنه يقول لاصحابه عليكم بالسبب وليجعل أحدكم مكوكه سبحته أو قادومه سبحته أو تحريك أصابعه فى الخياطة أو الضفر سبحته وهذه الطريق وان كانت عظيمة ففيها التحجير على الخلق بشئ لم يحجره الله عز وجل فان الله تبارك وتعالى لم يحجر على العبد الأن يأكل من الحلال بأى طريق وصل اليه ولم يزل الناس سلفا وخلفا على ذلك فمنهم من قسم الله له حرفة دنيوية ومنهم لم يقسم له ذلك (ولما صحب) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه أراد أن يضفر الخوص فقال له الشيخ ماهى اقامتك فخالف وضفر فلم يصح له أكل رغيف من ثمنها فاستغفر ورجع (وكان) الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه أواخر عمره يقول طريقنا المداومة على الذكر وترك الغيبة وسوء الظن بعباد الله فمن واظب على ذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول كثيرا نحن لا نقول لمن يأتينا اترك سببك وتعال لنا وانما نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقرير كل انسان على ماهو عليه من الحرفة وغيرها لكن نأمرهم بعدم الغش فيها كما فعل صلى الله عليه وسلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ليس عمل الحرفة لكل فقير وانما هو للرجال الكمل الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله مع اقامتهم فى التجارة والبيع والشراء والمعاوضات والمحاسبات أما من كان يلهيه ذلك عن الله تعالى فترك التجارة فى حقه أولى قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون وسيأتى فى هذه المنن ان غاية أمر العبد انه يأكل ويلبس من مال سيده ويسكن فى داره وسداه ولحمته من فضله دنيا وأخرى فافهم ذلك يا أخى واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) محبتى لكل شئ ينكس رأسى بين يدى الله تبارك وتعالى ويورثنى الحياء منه ورؤية الفضل له على بذلك وهروبى من كل شئ يرفع رأسى ويورثنى الكبر والعجب (وقد سمع) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى شخصا يقول فى دعائه اللهم طهرنى من كل دنس ورجس حتى ألقاك طاهرا مطهرا من كل رذيلة فقال له سيدى على قل اللهم الطف بى ودبرنى واغفر لى ما جنيته من المعاصى والسيئات واحفظنى بعد ذلك من العجب بأحوالى فان مثلك يا أخى اذا رأى نفسه طاهرا مطهرا من كل رذيلة يطرقه العجب والكبر على اخوانه فيقع فيما هو أشد مما سأل الله تعالى رفعه انتهى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول لا تكمل رؤية العبد المنة لله تعالى عليه الا ان رأى سداه ولحمته ذنوبا فيجب ان يتميز بالنقص المطلق ليكون للحق تعالى الفضل والكمال المطلق انتهى وهذا أمر لا يصح الا بعد أن يأخذ العبد حظه من كثرة الطاعات والاخلاص ويتنصل من شهود الرذائل المحسوسة حتى لا يجد كاتب الشمال شيأ يكتبه عليه والا فلا يقدر على التخلق به فاياك والغلط فقد علمت انه لا ينبغى للعبد ان يقول اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد الامع سؤاله الحفظ من رؤية النفس بذلك على أحد من المسلمين ولا تقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بذلك فانا أدعو به اقتداء به صلى الله عليه وسلم لانا نقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من رؤية النفس بخلافك أنت فاسأل الله الحفظ ثم ادع بذلك (وقد سمعت الشيخ عبد الرحمن النقلى بباب زويلة) وكان من أولياء الله عز وجل يقول يا لطيف يا لطيف فقلت له مالك يا عم فقال سمعت الواعظ يقول حديثا فقلت له وما هو فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه فخفت ان يقع لى ذلك فارى به نفسى على من حدث نفسه وأرى أنه تعالى غفر لى ما تقدم من ذنبى فيقل خوفى من الله تعالى ويطرقنى العجب فقلت له ان الناس يسألون الله تبارك وتعالى أن يرزقهم صلاة بغير حديث نفس فلا يحصل ذلك لهم فقال صحيح ليس من علم كمن جهل ثم قال لا ينبغى لعبد أن يسأل الله تبارك وتعالى قط شيأ من الكمالات الامع سؤاله الحفظ من آفاتها اه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) قيامى فى الاسحار مع رؤية المنة لله تبارك وتعالى الذى أقامنى ولم يمنى

فكاوه الى الله يتول الله بيانه فى كلام الاكابر مردودة على المريدين وقت حاجتهم فيظن المريد انه ما أخذ ولقد أخذ ولكن للحكمة بذر ونبات ووقت البذر غير وقت النبات وقد يبذر فيك بذر الحكمة ويبقى النبات متوقفا على مجىء سحابة ماطرة فاذا جاءت أظهرت ماكان فى الارض كامنا فتبقى الودائع مطوية فى العباد حتى تجىء أوقاتها وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن انه كان يقول لاصحاب الاوقت وسمعته يوما يقول كان اذا آذانى انسان يملك للوقت وأنا الآن لست كذلك فرآنى رضى الله عنه مستشرفا لسبب ذلك فقال اتسعت المعرفة وسمعته يقول لحوم الاولياء مسمومة واعلم علمك الله من العلم الذى يدل عليه وجعلك من الداعين بين يديه ان انتصار الحق لاوليائه ليس ذلك لانهم طلبوه من الله ولكن لما صدقوا التوكل عليه وارجعوا الامر اليه انتصر الحق لهم ألم تسمع قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا تعوان هم من ينتصر لنفسه منك بل علهم من ينتصر الله له فانه الغالب الذى لا يغلب والقادر الذى لا يعجز والقهار الذى لا قبل لاهل السموات والارض بذرة من بلائه

كما

كما أنام غيري ورؤية المنة لله تعالى أيضا اذا لم أستلذ بصلاتي أو بمناجاتي لما ورد ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام نعم العبد برخيا في قيامه بين يدي في الليل لولم يكن يسكن الى نسيم السحر فان من يسكن الى غيرنا لا يصلح لنا اهـ (وشكا) أخي سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى الى سيدي علي الخواص ما يجده من قساوة قلبه فقال له اشكر الله الذي أطلعك على مساويك وحجبك عن كمالاتك خوف العجب وان كان الكامل يشكر الله تعالى على كل حال فان كشف له عن كمالاته شكر وان سترها عنه شكر انتهى وهذا خلق غريب قل من يتخلق به من اخواننا بل يضيق صدر أحدهم اذا لم يحصل له لذة بقراءته أو صلاته وربما كان الباعث لمثل هذا على قيامه ما يجده من اللذة ولولا هي لما قام (وكان) الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه يقول خطاب العبد لربه لا لذة فيه لان الهيبة تمنعه من اللذة وأيضا فان الانسان لا يأنس الا بجنسه والحق تبارك وتعالى ليس بينه وبين عباده مجانسة بوجه من الوجوه فان رأيت يا أخي في كلام أحد أن العبد يأنس بسيده فاعلم انه غير محقق ولو انه حقق النظر لوجد أنسه بما من الله تبارك وتعالى من لذة التقريب ونحوه لا بالله عز وجل قال وهذا الحكم لنا في الدنيا والآخرة فانه صلى الله عليه وسلم لم يفصح لنا عن سبب اللذة اذا وقعت لنا الرؤية بل قال فما أعطوا لذة مثل لذة نظرهم الى ربهم ولذة النظر أمر آخر غير الانس فافهم انتهى هكذا قال (وقال أيضا) لا يصح الانس بالله عند المحققين وانما يأنس العبد ويلتذ بملاطفات الحق تبارك وتعالى لقلبه لانتفاء المجانسة بينه وبين ربه تبارك وتعالى ولذلك كان الجن لا يأنس أحدنا بهم بل تقوم كل شعرة من الانسي اذا رآهم انتهى وبالجملة فكل يتكلم عن ذوقه فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) عدم الجهر بالقرآن في قيام الليل فان حضرة الحق تبارك وتعالى حضرة بهت وصمت فمن جهر لغير غرض شرعي فقد أساء الادب عند القوم وقد جربت انا ذلك فاذا أسررت حصل عندي الخشوع واذا جهرت ذهب الخشوع ومعلوم ان الخشوع لا يذهب الا من فعل ما فيه سوء أدب فافهم يا أخي ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) نوم عيني دون قلبي بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ذلك لا يقع لي الا ليلة الاحد فقط وسبقني الى ذلك الشيخ أبو الربيع المالقي رحمه الله تعالى فكان له هذا المقام ليلة الاثنين وليلة الخميس فقط وأما الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه فاخبر ان هذا المقام له في كل الاسبوع انتهى وكثيرا ما أقرأ القرآن وأنا نائم فاعتد به ثم أبني عليه لكن في غير قراءتي في الصلاة انتهى فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) شهودي عدمَ كمالِ الاخلاص في كل عبادة فعلتها ولو بلغتُ الغايةَ في خشوع امثالي وفي كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي اذا كان لا يسلَم مِنَ النفاقِ من يعمل على الوفاق فكيف يسلم من النفاق من يعمل على الخلاف (وفي الحديث) كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ وربما كانت المؤاخذة للاكابر في صلاتهم أكثر من مؤاخذة الاصاغر لان الاصاغر لا يرونَ لهم عبادةً كاملة قط بخلاف الاكابر فقد يرون كمالَها الكثرة ما فيها من الخشوع مثلا فعَلَى هذا إنْ كمَلَ الاكابرُ من جهةٍ نقصُوا من جهة وانْ كمَل الاصاغرُ من جهة نقصُوا من جهة والكامِلُ مَنْ نظر الى أعماله بالعينين فشكَرَ الله تعالى من حيث رائحةُ الاخلاصِ في اعمالِه واستغفَرَ الله تعالى من حيثُ وجودُ النقْصِ فيها الذي ما سلم منه سِوَى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم الذين يؤدّون العبادات على وفق ما أُمِرُوا ولذلك كانوا لا يحزنُهم الفزعُ الاكبر لعدم خوفهم على أنفسهم ومن خاف منهم انما يخاف على أمته وأما غيرهم فمن لازمه وجودُ النقص في أعماله وعباداته كلها شعر بذلك أم لم يشعر (وقد كان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول لا نفل الا عن كمال فرض وكان سيدي أحمد الزاهد يقول ليس لامثالنا نوافل لنقص فرائضنا عن الكمال وانما هي جوابر وانما النوافل لمن كملت فرائضه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي)) اذا رأيتُ شخصا عريانا أو جيعانا أو مبتلى أن لا أبادر الى الرقة اليه

ولو وضع ذرة من ذرات قهره على الجبال لأذابها ومعنى قول الشيخ اتسعت المعرفة ان المريد في مبدأ ارادته بهمته وفي نهايته بوجود معرفته فاذا كان في مبدأ ارادته توجه بصدق الهمة الى الله لاجئا اليه في الانتقام ممن أذاه فينتصر الحق له لتوجهه بصدق الهمة في طلب النصرة واضيق عطنه عن الصبر عن تأخر الانتقام له والعارف اتسع عليه بحر المعرفة فانطوت همته واشاءته وتدبيره في اشاءة الحق له وتدبيره اياه ومن غلب عليه شهود المشيئة فاي همة تبقى له وأيضا انه اذا أخرت عقوبة من آذاه شهد حسن اختيار مولاه فلم يحصل له الانتصار لانه لا يخشى عليه ما يخشى على المريد من عدم الصبر اذا أخر الانتقام له وأيضا ان العارف لو توجه لطلب الانتقام ممن ظلمه قامت الرأفة والرحمة القائمتان به لتخلقه بخلق معروفه فمنعاه من الانتصار وان كان على ذلك قادرا وكيف ينتصر من الخلق من يرى الله فعالا فيهم ثم أولياء الله اذا ظلموا على طبقات داع يدعو على من ظلمه استثار الاذى منه القرح واستخرج منه الاضطرار فهذا الذي لا يرد دعاؤه ومنه قوله عليه السلام واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب القسم الثاني وهم الذين اذا ظلموا لجأوا الى الله سبحانه في طلب النصرة وتعجيل

عليه ولا رجاعهم الامر اليه وقد قال سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولقد ذكر ان امرأة كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تتقوت ببيضها فجاء سارق فسرقها فلم تدع عليه وأرجعت الامر الى الله فاخذ السارق الدجاجة وذبحها ونتف ريشها فنبت جميعه بوجهه فسعى فى ازالة ذلك فلم يستطع وسأل الناس فلم يقدر أحد على ازالة مانزل به الى أن أتى الى حبر من أحبار بنى اسرائيل فقال لاأجد لك دواء الا ان تدعو عليك المرأة التى سرقت دجاجتها فان فعلت شفيت فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك التى كانت عندك قالت سرقت قالوا لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل قالوا وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فلم تزالوا بها حتى أثاروا الغضب منها فدعت فتساقط الريش من وجهه فقالوا لها ذلك الحبر من أين علمت هذا قال انها لما سرقت دجاجتها لم تدع عليه وأرجعت الامر الى الله فى أمره فانتصر الله لها فلما ادعت انتصرت لنفسها فسقط الريش من وجه السارق * القسم الثالث عباد لما ظلموا لم يدعوا ولم يلجؤا الى

والتوجع له وانما أرق له بعد شهودى وجه حكمة الله تبارك وتعالى فى ذلك فانه أرحم بعباده منى والدهم (وقد بلغنا) ان سيدى ياقوتا العرشى رحمه الله تعالى مر على مساكين يسألون الناس فاخذته الرقة فاذا بالهاتف يقول له الله تعالى أرحم بهم منك ولوشاء لاشبعهم فتب من ذلك قال فقلت له من أنت يرحمك الله فقال أنا أخوك الخضر كنت بالصين فقيل لى أدرك فلانا فانه يتكرم على الله تبارك وتعالى ويرى نفسه أشفق على عباده منه انتهى (واعلم) ياأخى انه لابد لاهل الله تبارك وتعالى فى طريقهم من المحن والشدائد لينظر تعالى صبرهم وهو العالم بهم وبسرائرهم فربما يكون ذلك المسكين الذى رأيته فى بؤس وشدة فى مقام الامتحان فتكسوه أو تطعمه فتعارض الحكمة الالهية وتسىء الادب مع الله تبارك وتعالى وان كان ياأخى ولابد لك من الاحسان الى ذلك المسكين فقل اللهم ان كان احسانى لهذا المسكين يضره فى طريق سلوكه فاصرفنى عنه وان كان ينفعه فاوصل ذلك اليه واحفظنى فى عاقبته وقد كان بعض العارفين يسأل الناس خلقة أو كسرة فلا يعطونه شيأ ثم بعد سنين صار الناس يعطونه بغير سؤال فقال له أصحابه ماهذا الحال فقال ذهبت أيام المحن وأتت أيام المنن فلو أعطانا تعالى الدنيا والآخرة لم يحجبنا ذلك عنه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة قربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطى المسافة بينى وبين قبره الشريف فى أكثر الاوقات حتى ربما أضع يدى على مقصورته وأنا جالس بمصر وأكلمه كما يكلم الانسان جليسه وهذا الامر لايدركه الاذوق ومن لم يشهد ذلك فربما أنكره والانسان تابع لقلبه لأن القلب تابع للجسم * وفى كلام السيد عيسى عليه الصلاة والسلام قلب الانسان حيث يكون ماله فاجعلوا أموالكم فى السماء تكن قلوبكم فى السماء أى تصدقوا بها تصعد الى السماء وتروا ثوابها هناك * وكان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول لو حجبت عنى جنة الفردوس طرفة عين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين أو فاتنى الوقوف بعرفة سنة واحدة ما أعددت نفسى من جملة الرجال انتهى فسلم ياأخى للفقراء مايدعونه من مثل ذلك ولاتنكر عليهم الاماصرحت الشريعة بمنعه فقد أجمعوا على ان كل من أنكر شيأ من مقاماتهم حرم الوصول اليه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تعويلى فى الشدائد كلها على الله تبارك وتعالى ثم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان بيده تبارك وتعالى ملكوت كل شئ وليس لنا واسطة أعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والانسان مع قلبه فتارة يرى نفسه قريبا من حضرة الله تبارك وتعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يحتاج الى أحد من الخلق وتارة يحس بنفسه أنه بعيد فيحتاج فى قضاء حاجته الى بعض الاولياء الاحياء أو الاموات ويطرق أبواب المشايخ * وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى يقول قال لى سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه أفرد الله يفردك ووحد الله يوحدك والزم قرد باب تفتح لك الابواب واخضع لربك وحده تخضع لك الرقاب وعليك بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم تكفك أمر الدنيا والآخرة انتهى * وقد جعلت فى وردى أنى أقول اللهم حبب نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم فى ألف مرة كل ليلة وذلك لعلمى بأنه اذا أحبنى كفانى بعون الله تعالى هم الدنيا والآخرة انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) جعلى عباداتى كلها مقاصد لاوسائل وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان كل من جعل عباداته وسائل فانه الجلوس بين يدى الله تبارك وتعالى حال العمل ثم انه ان لم يحصل له ماقصده حصل عنده أسف وصار ممن يعبد الله على حرف كما تقرر فى هذه المنن * وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه كنت فى بدايتى أعبد الله تعالى أنا وصاحب لى وأقول غدا يفتح علينا بعد غد يفتح علينا فمكثنا على ذلك الحال زمانا ونحن فى تعب عظيم فدخل علينا رجل مهيب المنظر فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله تعالى فقلنا له ماحاجتك فقال جئت أنصحكما لله تعالى أن تعبدا الله تعالى ولا تقولا غدا يفتح علينا بعد غد يفتح علينا قال فكشف لنا عن أمر كنا عنه غافلين فعبدنا الله لله ففتح علينا فى ثانى يوم

نعلم ان من اتخذ عباداته وسائل لتحصيل غرض من الاغراض طالت عليه الطريق وربما رجع من أثناء الطريق كما هو حال غالب المريدين في هذا الزمان فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اذا كنت أقرر علما وأدخل على فقيه أقول له قرر وأنتم فان أبى عزمت عليه الان كنت اعلم أن عندي من النقول في تلك المسائل أكثر مما عند ذلك الفقيه فاني أقرر دونه خوفا عليه من ان يرى نفسه على فهمت وان لم أعلم أنا بذلك وقليل من الفقهاء من يهتدي في تقريره النقول التي ليست عند أقرانه ويسلم من رؤية النفس والدعوى والرعونة فما عزمت عليه أنه يقرر الا لحسن ظني به ثم اني أسأل الله تبارك وتعالى بتوجه تام أن يحميه من رؤية النفس * وقد دخل علي مرة فقيه وأنا أقرر في بعض المسائل فصار يبادرني الى التقرير فقلت له قرر أنت ففعل فما قام من المجلس الا ممقوتا وكان تاجرا عليه نحو تسعمائة دينار دينا فطالبه أرباب الديون وحبسوه وباعوا كل شيء في دكانه وأخلوه وأخذوا خلوه في الدين وصار أولاده يسألون الناس وقسى الله تبارك وتعالى عليه القلوب فسافر الى الارياف فادعى العلم فضربوه وعروه مما كان عليه من الخليقات ثم ابتلي بترك الصلاة واخراجها عن أوقاتها وصار ممقوتا في العلماء لا يحبه أحد من علماء جامع الازهر فضلا عن غيرهم نسأل الله العافية فشفع فيه بعض الفقراء فرد الله تعالى عليه بعض حاله وكان ذلك تأديبا له من الله تبارك وتعالى ليس لي في ذلك فعل * وقد حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله تعالى عنه ان شخصا من الفقهاء دخل على سيدي الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه وهو يدرس العلم في اسكندرية فصار يزاحم في التقرير فعزم عليه الشيخ فقرر فرأى نفسه على الشيخ فقال له الشيخ أخرج يا ممقوت فاخرجوه فسلب جميع ما كان معه من القرآن والعلم وصار دائرا في أزقة المدينة كل من رآه مقته فدلوه على سيدي ياقوت العرشي رضي الله تعالى عنه فشفع فيه عند سيدي الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه فقال قد رددنا عليه الفاتحة والمعوذتين ليصلي بهما وكان قد حفظ القرآن وثمانية عشر كتابا في العلم ولم يزل مسلوبا الى أن مات انتهى فاياك يا أخي ثم اياك من مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم تزوجي لابنة شيخي الشيخ محمد الشناوي رضي الله تعالى عنه اجلالا له لا لعلة أخرى فان السلامة مقدمة على الغنيمة وقد تزوج جماعة بنات مشايخهم فجرهم ذلك الى العطب * ولما تزوج سيدي ياقوت العرشي رضي الله تعالى عنه ابنة سيدي الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه مكثت عنده ثلاث عشرة سنة حتى ماتت عنها وهي بكر برضاها وكان اذا دخل عليه احد من أكابر الاولياء وهو يكلمها لا يقطع حديثها الاجله ثم يعتذر اليه ويقول له اني كنت اكلم ابنة شيخي فلا تؤاخذني يا أخي انتهى ومن قواعد السلف رضي الله تعالى عنهم السلامة مقدمة على الغنيمة فالعاقل لا يتزوج ابنة شيخه الا ان كان يقوم بواجب حقها انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) انه ما جلس عندي أحد قط وهو متضمخ بمعصية وأوهمته أنني اطلعت على شيء من أحواله أبدا بل أقول له حلت البركة علينا وأضاء مجلسنا بنورك وأؤانسه وألاطفه حتى ينصرف من عندي فمن الناس من يعود ومنهم من لا يعود * وقد كان سيدي الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه يكاشف الناس بما في سرائرهم حتى ربما قال للرجل يقوم أحدهم الى مجالس الاولياء ويجلس فيها عقب فعله للمعصية من غير توبة ما يخشى ان يمقته الله تعالى وينهر ذلك العاصي حتى يكاد يهلكه ولم يزل ذلك دأبه مدة مجاهدته لنفسه فلما أتاه التعريف من الله تبارك وتعالى واتسع حاله صار يقول نحن لا نحب الا من يأتينا وهو متضمخ بدم المعصية فقيل له في ذلك فقال طريقنا أيها الشاذلية أن من كانت بدايته التعريف كانت نهايته التكليف ومن كانت نهايته التكليف كانت بدايته التعريف وأنا كانت بدايتي التكليف انتهى * وكذلك حكى عن سيدي علي البدوي الشاذلي رضي الله تعالى عنه تلميذ سيدي الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه انه قال اصبحت يوما من الايام وأنا اعمى البصر فضاق صدري ولم أعرف السبب وتمادى بي الحال سبعة أيام ثم قيل لي يا علي انما فعل الله تعالى بك ذلك اكراما لك قال فقلت كيف ذلك فقال انك اذا رأيت عباده على معصية تنهرهم

الله في طلب الانتقام ممن ظلمهم ولكن فوضوا الامر الى الله فكان هو المختار لهم * القسم الرابع وهم الطبقة العليا وهم الذين اذا ظلموا رحموا من ظلمهم وقال الشيخ أبو الحسن واذا آذاك ظالم فعليك بالصبر والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما ألزمت من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فيجاب فيه دعوتك وما أحسن حالك اذا رحم بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ومن هذا القبيل الذي ذكره الشيخ أبو الحسن ما اتفق لابراهيم بن أدهم رضي الله عنه انه قال له جندي أين العمران فاشار الى المقابر فظن انه يهزأ به فضربه فشجه فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصت الله فقيل للجندي هذا ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فاحنى على رجليه يقبلهما ويعتذر اليه فقال له ابراهيم بن أدهم والله ما رفعت يدك عن ضربي الا وأنا أسأل الله لك المغفرة لاني علمت ان الله تعالى يثيبني على ذلك ويؤاخذك بما فعلت فاستحييت أن يكون حظي منك الخير وحظك مني الشر قال الشيخ أبو العباس ليس

لاجله فأعمى بصري لرحمة بك و بهم كي لا تمقتهم قال فاستغفرت الله تعالى وتبت اليه فرد على بصري انتهى *قال الشيخ تاج الدين رضي الله تعالى عنه فكان بعد ذلك اذا دخل عليه احد و رأى قلبه أسود يقول له حصلت لنا البركة و يلاطفه و يسأل الله تعالى له التوبة فتخلق يا أخي بأخلاق الله تبارك وتعالى فانه يرى العيب و يستره فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) شهودي ان جميع ما أنا فيه ببركة ملاحظة مشايخي لي بارادة الله تبارك وتعالى فجميع ما أنا فيه من محبة الناس لي ما اعده الا من فضل الله تبارك وتعالى علي بواسطتهم * وقد كان سيدي الشيخ ياقوت العرشي رضي الله تعالى عنه يقول النظر في وجه الولي على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة وان كانت مخالطة الصغير للكبير مخاطرة بالروح ولكن الغالب السلامة بحمد الله تبارك وتعالى * وكان رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يقول انا راسي وكوارعي لا تساوي أربعة دراهم نقرة وانما خالطت الاكابر و جالستهم فعملوني بين الناس ثم يقول قالوا الدود القمح لم تنطحن مع الدقيق فقال لما خالطت الاصاغر انطحنت معهم وقالوا السوس الفول لم لا تنطحن مع الفول فقال لما خالطت الاكابر حلوا عني الآفات انتهى فخالط يا أخي مشايخك بالادب والا كانت صحبتك لهم سما قاتلا لك وانما قلنا ان من شرط المريد أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه لان كل مريد محبوس في دائرة شيخه لا يمكنه ان يتجاوزها فلا مدد الا وشيخه واسطة له فيه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) محبتي لاطعام الطعام وسقي الماء واغاثة الملهوف وذلك لان بعض المشايخ اجتمع بالخضر عليه السلام وقال عرفني طريق الوصول الى الله تعالى زيادة على الصلاة والصيام فقال له عليك بهذه الثلاث خصال المذكورة فرأى أولا وما دخل علي بحمد الله تبارك وتعالى أحد الا وعرضت عليه الاكل والشرب وما استغاث بي أحد الا واغثته بطريقه الشرعي وكان ذلك من خلق سيدي محمد بن عنان وسيدي يوسف الحريثي وسيدي عبد الحليم بن مصلح رضي الله تعالى عنهم وما رأيت له بعدهم فاعلا الا القليل بل بعضهم قيل له ان فلانا يطعم العيش كثيرا في زاويته فقال هذه بطالة يجعل زاويته مناخا لكل بطال فقال له القائل ورأيته أيضا يغيث الملهوف فقال هذا اعتراض على الله تعالى فقال له القائل فقل لي على نفعك أنت في الوجود فما دري ما يقول وافتضح فاعلم يا أخي أفضل من اغاثة الملهوف في الدنيا والآخرة اذا كان ذلك خالصا لوجه الله عز وجل فان ابليس بالمرصاد لمثل ذلك فقد يطعم الشخص الناس ليقال أو يسقي لهم في جر نفع ليقال *وقد حضرت شخصا من مشايخ الشام كان بمكة مجاورا سنين فجاء مع الحاج الى مصر فقلت له ما أقدمك الى مصر فقال جئت لاعلم مولانا الباشا ليكتب لي عرضا الى السلطان ليعمر بيمارستانا بمكة لاجل الغرباء والمنقطعين وطلب مني ان أجمعه على محمد دفتردار الاموال فجمعته عليه فقال لي سرا هذا ما هو من أهل هذا الأمر وانما مراده ان يشتهر بين الولاة بأنه شيخ يسعى في مصالح المسلمين فقلت للدفتردار ما عهدت عليه الا خيرا فقال أنا أكشف لك حاله ثم أخرج له مائة دينار ذهبا فقال اجبروا خاطرنا واقبلوها مني لله تعالى وتوسعوا فيها فأخذها الشيخ ثم قال لي الدفتردار سوف تنظر انه ما عاد يذكر لنا البيمارستان أبدا فكان الامر كما قال فصار الدفتردار يقول له حين عزم على السفر اصبروا حتى يكتب لكم العرض فلم يصبر و رجع الى مكة بالمائة دينار فاياك يا أخي ان تفعل مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك و يعينك على اطعام الطعام واغاثة الملهوف والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) سياحتي في الجبال والبراري حتى قطعت براري ما أظن أن أحدا يعرفها الآن من أقراني ثم حبب الله تبارك وتعالى الي الجبل المقطم ثم المساجد المهجورة في القرافة ثم الخرايب في مصر وأقمت على سور باب الفتوح في القصر المطل على خرابة الاحمدي نحو سنة وما من فقير حق له القدم في الطريق الا بعد سياحة وذلك لان الانس بالخلق حجاب عظيم فلا بد من قطع هذا الحجاب اما بالمجاهدة واما بجذبة الهية وكتب الصوفية طافحة بذلك في حق ذي النون المصري وابراهيم بن أدهم والخواص والسادة الشاذلية وغيرهم رضي الله تعالى عنهم وحكي عن الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه انه قال ما جلست للناس حتى

كانت كاذبة فاعمها وأمتها في مكانها فعميت وجاءت تمشي يوما في بستانها فوقعت في بئر فماتت فلو كان ما فعله ابراهيم عين الكمال لكان الصحابي أولى به ولكنه كان سعد أمينا من أمناء الله نفسه ونفس غيره عنده سواء فما دعا عليها لانها آذته ولكن دعا عليها لانها آذت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم لم يصل الى هذه المرتبة فترك الدعاء على الجندي لئلا يكون ذلك انتصارا لنفسه وسعد رضي الله عنه قد خلصه الله من نفسه وأبرزه للخلق يخاص به من يشاء من عباده والصوفي لا يستقضي الحق لنفسه بل يستقضي الحق لربه *(فائدة)* اعلم ان أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكيلا يساكنوا الخلق باعتماد ويميلوا اليهم باستناد ومن أذاك فقد أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وقال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل

سحت

سحت خمسا وعشرين سنة في البراري وكنت آكل من نبات الارض وأشرب من الانهار وكنت أصبر عن الماء السنة وأكثر قال وأعطيت حرف كن وانا سائح في البرية فكنت أجد المواد منصوبة قفا كل منها ما اشتهي واقطع من الجبل الحلوى وآكل وكنت أشرب من الرمل السكر فاضع الرمل واصب عليه من البحر الملح واشربه حلوا ثم تركت ذلك أدبا مع الله تعالى انتهى (وقال) الشيخ على البدوى الشاذلى تلميذ سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنهما مررت في سياحتي بقبة كبيرة ليس لها باب فاذا هي بيضة رخ قال رضى الله تعالى عنه ودخلت مرة أخرى برية فرأيت فيها نحو ألف فيل وفيهم فيل أبيض يقومون لقيامه و يقعدون لقعوده واذا بطائر أبيض عظيم الخلقة خرج على الفيلة فهربوا كلهم منه وقال أيضا رضى الله تعالى عنه قطعت مع أولياء الله تعالى في السياحة جبل ق كله ثم قطعنا بحر الرمل بعده وهو بحر عظيم من رمل تتلاطم أمواجه بغلى كغليان القدر قال وكنا أربعين رجلا فمات منا سبعة وثلاثون رجلا فدفناهم هنالك ورجعنا ثلاثة أنفس فكان ذلك آخر سياحتنا انتهى قال الشيخ على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وكثيرا ما كان الشيخ ياقوت يوجهني في الحاجة من اسكندرية الى بلاد الاندلس فأذهب اليها وارجع في يوم واحد لسرعة خطاى من غير أن تطوى لي الارض انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول سياحة المريدين باجسامهم وسياحة العارفين بارواحهم انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اقامة العذر للفقيه اذا بادر بالانكار على بعض أهل الطريق لانه ما تعدى دائرة علمه وكثير من الفقراء من لا يقيم لهم عذرا بل كان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه وسيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وغيرهما يقولون ما بيننا وبين هؤلاء المنكرين الذين ينكرون علينا مودة ولا محبة لانه ليس معهم شئ نستفيده ولا يقبلون منا ما هو معنا من المعارف والاسرار انتهى وقد حكى أن الشيخ على البدوى الشاذلى تلميذ سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنهما كان له صهر ينكر عليه كثيرا فخرج الشيخ الى خارج الاسكندرية فرأى غيطا فيه فواكه فقال للفقراء ادخلوا وكلوا من التين الذى فيه دون الشجر الذى بجانب الخرنوب فلا تأكلوا منه شيأ فدخلوا وأكلوا الا صهره فقال انى صائم فقال الشيخ كلوا بسرعة واخرجوا لئلا يجيء صاحب الغيط يضربكم فازداد صهره انكارا وقال في نفسه كيف صلاح هذا وهو يأكل هو وأصحابه حراما بغير اذن أصحابه ثم خرج الشيخ والجماعة من الغيط مهرولين فلما بعدوا عن الغيط واذا برجلين سلما على الشيخ وجماعته ثم قالا ارجعوا معنا الى غيطنا فانا خرجنا لك ولاصحابك عن التين الذى في الغيط الا ما كان بجانب الخرنوب فانه ليس لنا فالتفت الشيخ الى صهره وقال له فاتك الاكل من التين يا صائم فاستغفر صهره وتاب عن المبادرة الى الانكار على الفقراء انتهى فاياك يا أخي والمبادرة الى الانكار على أهل الطريق والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة أدبي مع المجاذيب وأرباب الاحوال من حين كنت صغيرا فما أتذكر أني أسأت مع أحد منهم الادب يوما واحدا وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على (وقد حكى) ان شخصا مر على سيدى الشيخ على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه فخطر في باله أن هذا زوكارى ما هو شيخ صادق فكلمه الشيخ شفاها وقال ما لك لا تتأدب مع الفقراء أما تخاف الهلاك ثم حل الشيخ يده واذا بيد في بطن ذلك المنكر يجذب مصارينه حتى كادت تتقطع فصاح باعلى صوته تبت الى الله تعالى فخرجت اليد من بطنه انتهى * وقد كان الشيخ ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول سلموا على أرباب الاحوال بالقلب دون اللفظ فانهم في حضرة لا يقدرون على خطاب أحدهم باللفظ وربما سألهم أحد في الدعاء له فيدعون عليه ويستجيب الله تعالى لهم من باب توقف المسبب على السبب وسيأتي بسط ذلك في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) البركة في رزقي فربما أقدم للضيوف شيأ قليلا فيأكلون منه

ذلك ليخلص القلب من احسان الخلق و يتعلق بالملك الحق قال الشيخ أبو الحسن اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في قالبك ولأن تصاب في بدنك خير لك من ان تصاب في قلبك واعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا ألا تراهم اذا أقبلوا فتنوا وتسليط الخلق على أولياء الله في مبدأ طرقهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه ولذلك قال الشيخ أبو الحسن اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك ومما يدلك على ان هذه سنة الله في أحبابه وأصفيائه قول الله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقوله عز وجل حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وقوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض وقوله أذن للذين

و يشبعون وأتاني مرة أربعة عشر نفسا من الفلاحين فقدمت اليهم رغيفا واحدا فأكلوا كلهم منه وشبعوا (وقدمت) مرة الطاجن الذي نعمله في الفرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا كلهم منه وشبعوا (وأتاني) مرة ضيوف صحبة الشيخ شهاب الدين بن داود المنزلاوي رضي الله تعالى عنه بعد صلاة العشاء وليس عندي شئ فطبخت لهم شوربة قمح بلا شيرج ولا دهن بل بالماء فقط فأكلوا وصاروا يقولون نعمل هذه الشربة كثيرا في دارنا فما نجد لها طعما مثل هذه في اللذة فقلت لهم سبحان الله الستار * وكان على هذا القدم سيدي على رضي الله تعالى عنه من تلامذة الشاذلي رضي الله تعالى عنه كان يأمر بوضع الزبادي الفارغة للضيوف ويقول لهم غمضوا عيونكم ثم يفتحونها فيجدون الاواني كلها ملآنة من الاطعمة المختلفة (وكذلك) بلغنا عن سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه أن أصحابه اشتهوا في البرية سماطا مدفي أواني صيني من سائر الالوان وفيه شوربة ودجاج فأمرهم الشيخ بان ينتشر و ليتطهر وا ثم يأتوا فاتوا فوجدوا سماطا ممدودا عند الشيخ كما اشتهوا قال الشيخ يوسف الكردي فأكلنا ثم ارتحل الشيخ وتركنا السماط ممدودا كما هو انتهى (قلت) وكان على هذا القدم سيدي على المليجي رضي الله تعالى عنه فبلغنا ان السلطان محمد بن قلاو ون نزل لزيارته بالعسكر فكفاهم من قدر فيه قدحان من عدس وعلى هذا القدم أيضا عدة جماعة ممن أدركناهم كسيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح رضي الله تعالى عنه وسيدي الشيخ محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه وسيدي الشيخ محمد الشناوي رضي الله تعالى عنه (وقد شاهدت) أنا شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي الله تعالى عنه قد جاء بجماعة من الريف نحو خمسين رجلا ثم تسامع بذلك المجاور ون بجامع الازهر فاتوا حتى امتلأت زاوية شيخه الشيخ محمد السروي رضي الله تعالى عنهما ثم فرشوا للناس الحصر في الزقاق حتى امتلأ الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندكم طبيخ فقال نعم طبيخي أنا وزوجتي فقط فقال لا تغرف شيأ حتى أحضر ثم غطى الشيخ الدست الصغير بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى أن كفى من في الزاوية وخارجها هذا شئ رأيته بعيني (وأما) سيدي الشيخ محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه فكفى نحو خمسمائة نفس من ستة أقداح دقيق وذلك ان سيارة الفقراء أتوه على غفلة فقال لوالدته غطي العجين بهذا الرداء وقرصي منه ولا تكشفيه فملأت البيت والحيرة ونصف صحن الدار حتى أكل الخمسمائة منه وفضل والله ذو الفضل العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم نفرة نفسي من مخالطة الابرص والاجذم وأرباب العاهات فتطيب نفسي بحمد الله تبارك وتعالى ان آكل معهم المائعات وأشرب فضلتهم وكان على هذا القدم جدي الشيخ علي رحمه الله تعالى دخل الى بلده مجذوم تقطر أطرافه صديدا فنفر الناس منه فأخذه جدي وأدخله داره ثم حلب له البقرة وأكل معه في اناء واحد ثم شرب فضلته فلامه والده رحمه الله تعالى وقال له أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الأسد فقال له جدي أما قال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ثم قال والله ان عدم كسر خاطره مقدم عندي على ما لو حصل لي مثله من الجذام فان كسر الخاطر عظيم عند الله تبارك وتعالى ثم حكى عن زوجة الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنهم انها كانت تضع الاناء تحت رجلي الشيخ وقدميه وكان أجذم كسيحا فاذا تحصل منه شئ من الصديد شربته الى أن مات رحمه الله تعالى فاستخلفها الشيخ بعده فكملت أصحابه من بعده انتهى (ومما وقع) لسيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه ان كلبا حصل له جذام فقذرته نفوس أهل بلده وصار كل واحد يطرده عن داره فأخذه سيدي أحمد وخرج به الى البرية وضرب عليه مظلة وصار يأكل هو واياه ويسقيه ويدهنه مدة أربعين يوما حتى عافاه الله تعالى من الجذام ثم سخن له ماء وغسله ودخل به البلد فقيل له أتعتني بهذا الكلب هذا الاعتناء فقال نعم خفت أن يؤاخذني الله تعالى به يوم القيامة و يقول أما كان عندك رحمة لهذا الكلب أما كنت تخشى ان أحول ما ابتليته به اليك انتهى فافهم يا أخي ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) طاعة الجن لي واعتقادهم في أوائل دخولي طريق القوم فكنت ربما اقول للواحد منهم ارجع عن ركوب فلان أو فلانة فينزل عنهما من غير عزيمة ورب ما دخلوا علي في الليل أفواجا من

يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى فمن حالهم في بداياتهم ابراهيم بن أدهم طأطأ رأسه حين ضربه الجندي فقال اضرب رأسا طالما عصت الله وقوله ما فرحت في عمري الا ثلاث مرات مرة كنت في مسجد فاصابني البطن فكنت أقوم وأقعد فجاء صاحب المسجد وأمرني ان أخرج فلم أستطع لقوة الضعف فاخذ برجلي يجرني الى ان أخرجني والمرة الثانية نزعت يوما ما كان علي من ملبس فلم أره لكثرة القمل والمرة الثالثة ركبت في سفينة فكان هناك مضحاك فكان يقول كنا نأخذ العلج في بلاد العدو هكذا ويمد يده الى لحيتي فيهزها فاعجبني اذ لم ير في السفينة من هو أحقر مني وهذا شأنهم في بداياتهم علما منهم بوجود البقايا فيهم فخافوا أن ينتصروا فينتصروا لنفوسهم فيسقطون من عين الله فرجعوا الى وجود الحلم كافين أيديهم عن الانتصار لعلمهم بآفات الانتصار للنفس وشرعة الحق سبحانه وعادته في أصفيائه كثرة الاعداء والنصرة منه لهم عليهم قال الشيخ أبو الحسن آذاني انسان مرة فضقت ذرعا لذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقية كثرة

طبقان القاعة فيصلون معي ويسبحون معي على السبحة ثم يذهبون وتحبب واحد منهم خيط السبحة فقلت له الزم الادب والا لا تعد تجالسني فتاب (وأتوني مرة) بعدة أسئلة في التوحيد اشكلت عليهم يطلبون مني أن أكتب لهم عليها فكتبت لهم عليها وكانت نحو خمسة وسبعين سؤالا ونقلت الاسئلة وألفت أجوبتي عليها في نسخة سميتها كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان ليراجعها من يريد استفادتها فتلقاها العلماء بالقبول وكتب الناس منها نسخا لا أحصيها ونقلت الى الممالك القريبة والبعيدة (وكان) على هذا القدم سيدي أبو الخير الكليباتي رضي الله تعالى عنه وسيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه وسيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه وسيدي على الشاذلي رضي الله تعالى عنه فكانوا يستخدمون الجن في صورة كلاب (وكان) الشيخ أبو الخير الكليباتي رضي الله تعالى عنه يدخل بهم جامع الحاكم فينكر ذلك عليه الفقهاء انكارا شديدا لاعتقادهم أنهم كلاب وقال له فقيه يوما كيف تدخل الكلاب بيت ربك جل وعلا فقال انهم لا يأكلون حراما ولا يشهدون زورا ولا يغتاب بعضهم بعضا (وكان) يرسلهم في قضاء الحوائج فيقضونها ويقول لصاحب الحاجة اشترله رطلين لحم شورية ورغيفين فيفعل فيذهب معه الى ذلك الضائع من أمتعة أو بهيمة الى أن يقف به على المكان التي هي فيه وكان يعمل لهم الوليمة في بعض الاوقات في المكان الذي بين الازبكية وباب اللوق ويمد لهم الطعام هنالك في صحاف فيعتقد المارون أنهم كلاب والحال انهم جن (قال) الشيخ أحمد البهلول رفيق الشيخ نور الدين الشرنوبي الشاذلي رضي الله تعالى عنهما وأنا ممن أجلسني الشيخ أبو الخير معهم مرة وقال كل مع اخوانك فما وسعني الا طاعته فلما قام الشيخ أبو الخير رضي الله تعالى عنه ذهبت لاطهر ثيابي فرجع الي وقال هؤلاء من مؤمني الجن فقلت اني أطهر ثيابي لظاهر الشرع انتهى (ومما وقع) للشيخ حسن الغزاوي وكان ممن ملأ قعاوي الكلاب باذن سيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه فقال له لا تملأ القعاوي التي خارج درب الازبكية مما يلي باب اللوق الا باناء طاهر فانهم من الجن فخالف فصكه واحد منهم فكاد أن يعمى بصره (واعلم) ان هذا الخلق المذكور من جملة ما يتفضل الله تعالى به على من يشاء من عباده من الانس فافهم والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) كراهتي للاكل من طعام العزاء والجمع في المقبرة لاسيما الاطعمة الفاخرة التي يعملها الاكابر فان أكلها لا يليق بحضرة الاموات انما اللائق بمن دخل مقبرة البكاء والنوح على نفسه وتذكر ما كان فيه هؤلاء الاموات من الغفلة حتى أتاهم الموت على غفلة ويقول لنفسه هكذا يقع لك عن قريب ولم أر لهذا الخلق فاعلا بل بعض الفقراء يذهب فيذكر مجلس ذكر ثم يجلس هو وأصحابه فيأكلون أطايب الطعام وربما يكونون كلهم غافلين عن الموت وعما اليه مصيرهم وقد نهت الشريعة عن النوم في المقابر وبلغنا عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه أنه رأى رجلا يأكل بين المقابر فزجره ووبخه وقال أما في حال هؤلاء الاموات ما يلهيك عن الاكل وفي رواية أنه قال والله انك لمنافق تأكل بين المقابر انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) عدم مبادرتي الى الانكار على من ينسب الى البدعة كطائفة القلندرية والمطاوعة وغيرهما وانما أنكر عليهم اذا خالطتهم ورأيت منهم ما لا يوافق الشريعة ونهيتهم عنه فلم ينتهوا وذلك لعلمي بان قلوب الخلق خزائن الله تعالى وربما أسكن الحق تعالى بين هؤلاء المبتدعة أحدا من أوليائه وجلسته على اسمهم في الملبس وذلك لحفظهم بوجوده من نزول البلاء عليهم لكون رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه فربما أحكم على ذلك الولي بأنه منهم والحال أنه ليس منهم فأخطأ في حقه وربما جرني ذلك الى العطب كما بلغني عن سيدي على الشاذلي رضي الله تعالى عنه انه قال أنكرت يوما على النواتية بساحل رشيد حين رأيتهم يكشفون عوراتهم على بعض المذاهب واذا رجل في الهواء يقول يا على تنكر على النواتية وأنا منهم والعورة مختلف فيها فارتعدت من هيبته وكدت أن أهلك فاستغفرت الله تعالى (قال) ومما وقع لي مع القلندرية المقيمين بالقرب من عمود الصواري أني دخلت عليهم يوما فرأيت منهم شيأ يخالف ظاهر الشريعة عند بعض الائمة فضاق صدري من

أعدائها ثم لا يبالي بهم ويجب أن تعلم أن النفوس شأنها استحلاء الاقامة في مواطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه وما تريد لهلكت فازعجها عن ذلك بما يسلطه عليهم من أذى المؤذين ومعارضة الحاسدين وقال بعض العارفين الصيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ولولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم وصدق رضي الله عنه وهذا الصنع من حسن نظر الله لاوليائه وأحبابه واظهار الآثار ولايته فهم لقوله الله ولي الذين آمنوا فاذا تمت أنوارهم وتطهرت من البقايا أسرارهم حكمهم في العباد وادالهم عليه فحينئذ يكون العبد المجتبي سيفا من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه ومن هذا الباب دعاء سعد على المرأة التي ادعت عليه كذبا اللهم اعمها وأمتها في مكانها فاستجيب له ولما دخل على عثمان الدار رضي الله عنه لطم انسان وجه زوجته فقال له عثمان قطع الله يديك ورجليك وأخلدك في النار فروي ذلك الرجل بالشام وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يقول دعوة عثمان استجيبت في الثالثة وبقيت الثالثة ولذلك قد تلتبس أحوال الرجال على عموم العباد فلا تفضل وليا ظلم فصفح على ولي ظلم فانتصر أو دعا فقد يكون صفح من صفح

لعلمه بالبقايا من نفسه ودعاء الداعي لعله بتطهيره من البقايا فدعا انتصارا لربه * وأما صبره فكان رضي الله عنه من الثابتين

ذلك فرفعت طرفي الى السماء فاذا شخص جالس في الهواء وهو يتوضأ فقال تنكر على القلندرية وأنا منهم قال فاستغفرت الله تعالى وتبت عن الانكار على الناس عموما انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم حرماني للسائل ولو رأيته قويا على الكسب فقد يكون سؤاله لغيره من الارامل والايتام والعميان وقد كنت أعطي شخصا على هذه الصفة وكان بعض الناس ينكر على ويقول لو أعطيت ذلك لاحد من المحتاجين لكان أفضل فتبعت ذلك الرجل يوما من غير علمه فرأيته يفرق جميع ما يأخذه من الناس على العجائز والشيوخ المنقطعين في باب اللوق ولا يأكل منه شيأ فحمدت الله تبارك وتعالى على عدم سوء ظني به كما وقع لغيري انتهى (وأخبرني) سيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه ان جماعة من الاولياء يقيمون في الجبل المقطم دائما ويرسلون خادمهم الى أقطار الارض ليأتيهم بالقوت الذي قسمه الله تبارك وتعالى لهم وأودعه عند بعض عباده فيستخرجه الخادم ممن هو عنده بالالحاح فربما أنكر ذلك عليه من لم يعرف الحال قال أخي الشيخ أفضل الدين رضي الله تعالى عنه وقد أرمتني المقادير مرة الى سبعة أنفس منهم في مغارة فاشار واحد الى أن اجلس فجلست فصاروا يقولون أبطأ فلان أبطأ فلان وأنا لا أعرف الخبر ثم انه دخل عليهم فقالوا له ما أبطأك وعندنا هذا الضيف فقال جبت لكم الارض كلها فلم أجد فيها شيأ من الحلال اللائق بمقامكم الا عند عجوز في مدينة مراكش بأرض المغرب ومد لهم قليلا من النخالة فقالوا لي تقدم فكل فقلت في نفسي وما أصنع بهذه النخالة وأنا لا أقدر على بلعها من خشونتها فقال لي واحد منهم هكذا وجدنا الحلال في هذه الليلة ثم مسح بيده على النخالة فصارت حلوى فأكلت معهم منها انتهى (وأخبرني) الشيخ حسن الريحاني أنه مر على قوم بالجبل المقطم المطل على بحر السويس فرآهم يأكلون من الحشيش النابت هناك من المطر وبعضهم يتغذى بنسيم السحر ويصلون كل ليلة المغرب بمكة خلف القطب رضي الله تعالى عنه ونفعنا به فاحسن يا أخي ظنك بالمسلمين فان الله تعالى لا يسألك قط يوم القيامة لم حسنت ظنك بعبادي أبدا فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تفقد قلبي صباحا ومساء من دخول الصفات الرديئة فيه وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وأنا أنبهك على الصفات التي تتوارد على القلب لتعرفها فتشكر الله تعالى أو تستغفره فأقول وبالله التوفيق يتوارد على قلوب العلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم خمسة أشياء العلم والحلم والحكمة والخشية والكرم ويتوارد على قلوب الاولياء رضي الله تعالى عنهم خمسة أشياء الصمت والذكر والفكر والنور وزيادة العقل وعمدة هذه الصفات تحصل من الجوع ومن قيام الليل ويتوارد على قلوب الغافلين خمسة أشياء الغفلة والسهو والضحك والراحة والنوم ويتوارد على قلوب المنافقين خمسة أشياء الهوى والبغض للعبادة والخبث والمكر والنفاق هذه أمهات الصفات وأما الفروع فهي بعدد الخواطر وهي سبعون ألف خاطر في الليل والنهار وكان سيدي على الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول تفقدوا بيت ربكم وهو القلب وانظروا ما نقص من صفاته وأركانه وأبوابه فان الله تعالى جعل أرضه من المعرفة وسماءه من الايمان وشمسه من الشوق وقمره من المحبة وبابه من الهمة ورعده من الخوف وسحابه من الوفا وثمرته من الحكمة وبهاءه من العلم وبرقه من الرجاء وغمامه من الفضل ومطره من الرحمة ونهاره من الطاعة وليله من المعصية فمن لم يكن في زيادة تفقد كل وقت لهذه الصفات فهو مغرور وأما أركانه فهي أربعة الانس والتوكل واليقين والصدق وكذلك أبوابه أربعة العلم والحلم واليقين والمعرفة وقد قفل الله تعالى على القلب بقفل لا يفتحه الا هو يوم القيامة وبالجملة فمن لم يكن بوابا لقلبه يعرف ما يدخل وما يخرج فهو في خسران فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تدعي من حيث كسبي على كل نومة نمتها في ليل أو نهار لأن الخير كله في السهر واليقظة فمن أحب النوم فقد أحب النقص والعوق بالاموات والغفلة عن عمل الحسنات وفاته

في مركز الصبر وكان به أمراض عديدة لو وضع بعضها على الجبال لذابت كان به جرد الكلا وكان به الحصا وكان به اثنا عشر ناسورا وهو يجالس الناس ولا يقطع الجلوس لهم ولا يتأوه في حين جلوسه ولا يعلم الجالس عنده ان به شيأ من الامراض ولم تكن الامراض أورثته صفرة في الوجه ولا تغيرا في البدن حتى كان يقول لا تنظروا الى حمرة وجهي فحمرة وجهي من قلبي ودخل عليه انسان فوجد ما به فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي فسكت الشيخ ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال عافاك الله تعالى يا سيدي فقال الشيخ وأنا ما سألت الله العافية قد سأل الله العافية والذي أنا فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان انقطاع أبهري أبو بكر رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما عمر رضي الله عنه قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا عثمان رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات مذبوحا على رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات

مصالح دنياه وآخرته لان النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز على الله تعالى نوم أبدا لانه نقص وكذلك الملائكة لما قربوا من حضرة الله عز وجل نفى النوم عنهم وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وكذلك أهل الجنة لما كانوا فى أرفع الاماكن وأطهرها من المعاصى وأكرمها نفى عنهم النوم لكونه نقصا فجميع الخير فى السهر وجميع الشر فى النوم ولهذا جعل العارفون السهر أحد أركان الولاية قال سيدى على الشاذلى رضى الله تعالى عنه وقد جربنا فما رأينا شيأ يطرد النوم مثل أكل الحلال وترك الحرام والشبهات فمن أكل الحرام والشبهات كثر نومه وذلك من جملة رحمة الله تعالى به لان أكل الحرام يحرك الاعضاء للمعاصى فيطلب كل عضو منه أن يعصى فيتفضل الله تعالى عليه بالنوم ليريحه من المعاصى كما أنه يتفضل على الطائع باكل الحلال ليقيمه بين يديه ليلا ونهارا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بالولى اذا زرته فى قبره هل هو حاضر أو غائب فان غالب الاولياء لهم السراح والاطلاق فى قبورهم فيذهبون ويجيئون وكان على هذا القدم سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه كان اذا رأى انسانا عازما على زيارة بعض الاولياء يقول له اذهب بسرعة فانه عازم على الذهاب الى موضع كذا وفى بعض الاوقات يقول له لا تروح له فانه ما هو هناك اليوم وقد زرت مرة سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه فلم أجده فى قبره فجاء الى بعد ذلك وقال اعذرنى فانى كنت فى حاجة وكان سيدى على البدوى رضى الله تعالى عنه يقول لا تزوروا سيدى الشيخ أبا العباس المرسى رضى الله تعالى عنه الا يوم السبت قبل طلوع الشمس فانه يكون حاضرا ولا تزور واسيدى ابراهيم الاعرج رضى الله تعالى عنه الا ليلة الجمعة بعد المغرب ولا تزوروا سيدى ياقوتا العرشى رضى الله تعالى عنه الا يوم الثلاثاء بعد الظهر واذا أمامت فزوروا فى يوم السبت بعد الصبح انتهى وهذا أمر لا يعرفه الا من كشف الله تعالى عن بصيرته وأما غيره فهو يزور بالنية وأجره على الله تعالى اذا لم يجده فى قبره فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب السادس فى جملة من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق
وهو حسبى ونعم الوكيل)

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاختصاص عن الفقراء بشئ وقف على وعلى ذريتى فقط فقد وقف على شخص ربع رزقة فى ناحية برشوب الصغرى وآخر نصف سيرجة ونصف طاحون وغير ذلك فلم أختص عن اخوانى بشئ من أجرة ذلك ولا خراجه بل آكل من ذلك كآحاد الفقراء وسبب ذلك اننى أفهم من نية الواقف بالقرينة انه لولا انه يعلم منى الكرم وعدم الاختصاص ما وقف ذلك على بدليل انه لا تسمح نفسه أن يوقف مثل ذلك على من رآه يختص بما دخل يده من الدنيا وهذا الخلق غريب فى هذا الزمان بل رأيت بعضهم غير وبدل فى كتاب الوقف ما كان للفقراء وجعله باسمه واسم ذريته فلما جاء التفتيش فى الرزق لم يقدر يظهر ذلك المكتوب أبدا وصار يستشهد بالاستمرار والشواهد على المستحقين فالله تعالى يتوب عليه من محبة الدنيا فان ذلك هو الذى أوقعه فيما وقع فيه فالحمد لله الذى حمانى من مثل ذلك مع أن مكاتيب هذه الجهات التى وقفت على وعلى ذريتى قد صرح واقفها بان ربعها لى ولذريتى من بعدى أستحق ذلك بمفردى ثم ذريتى من غير مشارك وذلك لانى أرى جميع ما يدخل فى يدى مشتركا بينى وبين اخوانى المسلمين وكل من كان أحوج قدمته من نفسى أو من غيرى كما سيأتى بسطه فى مواضع من هذا الكتاب فكان فى ضمن عدم الاختصاص القيام بواجب حق اخوانى وتحقيق ما ظنه الواقف فى من عدم التخصيص عن اخوانى وقد رأيت شيخا زعم اننى لا أصلح تلميذا له نازعه فقراء الزاوية فى اختصاصه بجهة من جهات زاويته مع غناه عن خراجها بماله من المسموح والمرتبات فحضر هو والمجاورون عند القاضى المنصوب للتفتيش ولم يعط جماعته من ذلك شيأ فخرجوا من زاويته وكان ينبغى له أن يشركهم معه فى ذلك لانه ما هو شيخ الا بهم ولا أعطوه المسموح الاعلى اسمهم بانهم اتباعه ذلك فى قصته وأنا بحمد الله رب ما أخلط فيما يخص الفقراء شيأ مما يخصنى من غير أن أعلمهم بذلك عملا بحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقد طلب ولدى عبد الرحمن أن يختص عن الفقراء باجرة

مقتولا فاذا سألت الله تعالى العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها الله انها عافية

وكان يقول رضى الله عنه الصبر مشتق من الاصبار وهو الغرض الذى يرمى عليه بالسهام فالصابر من نصب نفسه غرضا لسهام القضاء وكان كثيرا ما يسأل الله اللطف يسأله اللطف قبل ان يفتر عن ذلك ودخلت عليه يوما فوجدته لما به فقلت يا سيدى أظنك ضعيفا فقال الضعيف من لا ايمان له ولا تقوى واعلم ان الصبر على ثلاثة أقسام صبر على الواجبات وصبر عن المحرمات وصبر فى البليات وصبر الاكابر على كتم الاسرار وفقد الركون الى الآثار وعدم الوقوف مع الانوار صبرهم على حمل الاذى والثبوت تحت مجارى القضاء صبرهم على حمل أثقال العباد والصبر مع الله فيما أراد صبرهم على القيام باحكام العبودية والثبوت لمجارى أحكام الربوبية صبرهم على مكارم الاخلاق والقيام مع الله بشرط الوفاق صبرهم على جمع الهم عليه والرجوع فى كل أمورهم اليه صبرهم على الجلوس للخلق والدلالة على الملك الحق وكان الشيخ أبو العباس رضى الله عنه يقول والله ما جلست للناس حتى هددت بالسلب وقيل لى لئن لم تجلس لنسلبنك ما وهبناك * وأما اسداد طريقته فكان رضى الله عنه شديد التحرز من

السيرجة لما تزوج واحتاج فنعته وقلت له لا تختص بشئ وقف عليك بعدي الا ضرورة وأما وقت الرخاء فلا فاطاعني فافهم والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تعففي عن الا كل من طعام من عرف في هذا الزمان بكثرة الكرم وقرى الضيوف من مشايخ العرب والقرى وفقهاء الارياف وغيرهم وذلك لان من عرف بذلك لا يقدر على تهيئة طعام لكل من ورد عليه الا بتكلف زائد ثم بتقدير أن نفسه تسمح بذلك فالعيال لا يصبرون على تهيئة ذلك من غربلة وعجين وخبز وطبخ كل يوم وربما عجنت المرأة وخبزت وطبخت في اليوم مرتين وتصير تتسخط وتقول اللهم أرحنا من هذه العيشة وربما أكرهها زوجها على ذلك وضربها بالعصا ضربا مبرحا ولا يخفى عليك يا أخي ان كل طعام دخله التكلف فالا كل منه مذموم شرعا لا سيما ان كان صاحبه لا يحلل ولا يحرم كغالب مشايخ البلاد وفقهائها واذا لم تجد أحدا نبيت عنده غير من عرف باقراء الضيوف بتنا عنده وكافأناه على كلفته لنا ولدوابنا ثم لا ينبغي لنا أن نأكل عنده الا ان كان بنا جوع مفرط والا طوينا *وكان سيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه يقول طعام المتكلفين يورث الظلمة في القلب لانه كطعام البخيل على حد سواء لكونه يطعم الضيف وعنده ثقل من ذلك * وفي الحديث طعام البخيل داء وكان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كل فقير لا يقدره الله تعالى على أن يمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه فليس له أن يمد يده الى طعامه فان أكل من غير امداد ولا مكافاة فقد أكل بدينه ونقص مقامه بذلك انتهى وكان سيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه يقول لا ينبغي لفقير أن يمد يده لطعام انسان الا ان كان يشاركه في بلاء تلك السنة كلها أو يحمله عنه كله ولما دار بعض اخواننا بلاد الشرقية والغربية ومعه جماعة بكثرة عاب عليه ذلك وأرسل يحط عليه وقال له ان جميع أعمالك كل يوم لا تفي بثمن الطعام الذي تأكله بالمحاباة يوم القيامة وقد أدركت سيدي محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه وسيدي عليا المرصفي رضي الله تعالى عنه وسيدي محمدا السروي رضي الله تعالى عنه اذا ذهبوا الى طعام أحد يذهبون بجماعة قليلة بشرط اعلام صاحب الطعام بهم قبل الذهاب وانشراح خاطره بذلك والا لم يذهبوا واستدلوا بقصة عائشة رضي الله تعالى عنها لما دعي النبي صلى الله عليه وسلم الى طعام فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهذه يعني عائشة فقال لا فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا وثالثا حتى قال له نعم فأخذها معه وذلك قبل نزول آية الحجاب وقد برز شخص من الفقراء في مصر وصار يحضر الولائم بجماعة كثيرة فأخبرت سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه به فقال أسأل الله تعالى أن يفرق شمله فما اجتمع عليه بعد ذلك اثنان الا بتكلف بعد ان كان يركب البغلة وبين يديه نحو مائة شخص وقال رضي الله تعالى عنه ما درج السلف الصالح الا على العفة وعدم الشهرة انتهى وقد عزم شخص من الامراء على الشيخ دمرداش المحمدي رضي الله تعالى عنه فذهب الشيخ اليه وحده فقال الامير أرسل وراء الفقراء فاني عملت طعاما واسعا فقال الشيخ أنا آكله فجلس على السماط وصار يأكل وعاء بعد وعاء الى أن أكله كله وقال جاء لنا حسابه عن اخواننا وكان الطعام يكفي ثلثمائة نفس هكذا أخبرني الشيخ محمد الحانوتي خليفته فعلم أن كل فقير ليس عنده حال يحمي به صاحب الطعام من البلاء أو يمده بالبركة في طعامه كما تقدم فأكله من ذلك الطعام قلة مروءة وخروج عن طريق أهل الله تعالى الذين يزعم انه على طريقهم (فاياك) يا أخي اذا نزلت بلاد الريف أن تأكل من طعام من لا تكافئه كما عليه مشايخ الحرف والمتهورون في دينهم من مشايخ مصر فينام أحدهم وجماعته عند من عرف بالكرم ويذهبون من غير مكافاة ولا علم منه ان كان ذلك بطيبة نفس أو بكراهة أقل ما في الكراهة أن يطعم الشيخ خوف العتب عليه منه أو من جماعته الذين يأخذون من الحافي نعله وربما رأوا لانفسهم الجميلة على من باتوا عنده وكلفوه ورأوا انه حصل لصاحب الطعام الجبر بمبيت سيدي الشيخ عنده وربما قالوا له نصباوز وراكم شخص عزم على سيدي الشيخ فلم يجبه ولولا انه يحبك ما بات عندك وربما كان صاحب الطعام مستندا الى شيخ آخر لا يعتقد غيره فيحصل له بذلك الذكد خوفا على تغيير خاطر شيخه عليه الذي عمل الطعام لذلك الشيخ الآخر لا سيما ان كان بينه وبينه وقفة فيصير في غلبة بين مراعاة خاطر شيخه وبين القيام بواجب حق الشيخ الآخر فليكن الشيخ في هذا الزمان يلحق

تحقوق العباد مشرعا للوفاء لها حتى انه يوفي الشئ قبل استحقاقه ويحمل أصحابه على الخلاص من حقوق العباد اذا كان عليه دين أحسن القضاء واذا كان له حق أحسن الاقتضاء منقطعا عن أبناء الدنيا والتردد اليهم لا يرفع قدمه لاحد منهم ولا يبعث اليهم ولا يكاتبهم اذا طلب منه أن يكتب اليهم قال للطالب أنا أطلب لك ذلك من الله فان رضي الطالب ربح مسعاه ولطف به مولاه مبتلى في الجلوس للخلق لا تأتيه ليلا ونهارا الا وجدته ولقد أتيته يوما فاستأذنت عليه فقيل لي اصبر قليلا فتشوشت من ذلك وقلت قد يكون بلغ الشيخ عني ما أوجب تغيره فبعد ساعة أذن لي فدخلت فقال الشيخ رضي الله عنه اعذرني كانت ابنة الشيخ أبي الحسن عندي فكرهت ان أقطع كلامها والله ما أعد نفسي خادما من خدامهم وكان ينهى أن يعوق المريد اذا جاءه ويقول المريد يأتي بشعلة همته فاذا قيل له قف ساعة طفئت ما جاء به وكان لا يدل المريد على المتاعب والمشقات ولا يلزمه ذلك وكان يقول عن شيخه أبي الحسن ليس الرجل من دلك على تعبك انما الرجل من دلك على راحتك ومبنى طريقته على الجمع على الله وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر ولكل مريد معه سبيل

بلاحق اللاحق فافهم يا أخي ذلك وتمسك باذيال ماهنالك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تعففي عن الاكل من مال الايتام ومن كل شئ للشرع عليه اعتراض فعلم انه ينبغي لمن مات له صاحب من المشايخ أن لا يبيت عند أولاده القاصرين بعده على جاري عادته مع والدهم أو عند أولاده الرشداء قبل قسمهم التركة بينهم وبين القاصرين الان تحقق انهم يضيفونه من مالهم دون التركة فان الاكل من طعامهم قلة ورع ان كان بطيبة نفوسهم وحرام ان كان بغير طيبتها وهذا الامر يقع كثيرا في زوايا المشايخ في الريف وفي مصر ويساعد على ذلك نقباء الشيخ الذي مات ويقولون لأم الاولاد مثلا نريدان أولادك يطلعون مشايخ ويفتحون عين الزاوية فتظن الوالدة ان أولادها يطلعون مشايخ بذلك فتكلف نفسها وتطبخ من مال الايتام فليحذر الفقير الخائف على دينه من مثل ذلك والله تبارك وتعالى يحمينا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايته تبارك وتعالى لي من أخذ شئ من المعاليم المرصدة على شئ من القربات الشرعية ولو أن الواقف صرح في كتاب وقفه باسمي فلا آخذه الا لضرورة شرعية وذلك كأن لا أجد شيأ غيره واحتاج ثم اذا أخذته بهذا الشرط لا آخذه الا ابتداء اعطاء من الله تعالى لا في مقابلة فعل ما وقف ذلك عليه من القربات ومحك صدق صاحب هذا المشهد أن لا يعطل الوظيفة ويترك مباشرتها اذا صار الوقف معطلا بل يباشرها حسبة لله تبارك وتعالى ومن محك الصدق في ذلك أيضا أن لا يطالب بمعلومه ناظرا ولا جابيا لا تصريحا ولا تعريضا الا ان احتاج اليه ولم يجد غيره ومتى فعل ذلك فهو لم يشم لهذا الخلق رائحة * وقد رأيت شيخا له عذبة يشتكي ناظرا في بيت التفتيش على معلوم وظيفة لم يباشرها الا بنفسه ولا بوكيله مع غناه عن معلومها فقلت له هذا يجرح مشيختك فلم يلتفت الي * ولما عمل القاضي أبو البقاء بن الجيعان لسيدي الشيخ محمد السروي رضي الله تعالى عنه معلوما في الزاوية الحمراء خارج مصر في نظير الخطابة والامامة امتنع سيدي محمد من ذلك وقال نحن نفعل ذلك احتسابا وأنت ان شئت أن تعطي الفقراء ذلك احتسابا فافعل أن من ورع الفقير أن لا يأخذ معلوما على نظر مسجد ولا امامة ولا خطابة ولا وقادة ولا فراشة ولا قراءة جزء ولا سبع ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية وعلى ذلك درج العلماء العاملون رضي الله تعالى عنهم ونفذت به وصاياهم في سائر أقطار الارض كالشيخ أبي اسحق الشيرازي رضي الله تعالى عنه والامام النووي رضي الله تعالى عنه فكانا رضي الله عنهما يوفران معلوم تدريسهما للوقف ويباشران التدريس لله تعالى مع انه بلغنا ان الشيخ أبا اسحق كان يحتاج الى جديد وكان يفت الرغيف اليابس ويسقيه بماء الفول المصلوق ويجعل ذلك اداما فاين هذا ممن يأكل في بيته الطيبات ويطبخ كل يوم اللحم الضاني ويأخذ معلوم وظيفته التي لم يباشرها الا بنفسه ولا بنائبه وربما يقول ان الله تعالى لم يجعل لي رزقا الا من الوظائف فنقول له صحيح فاننا ما نازعناك في انه رزقك اذ رزق الانسان هو ما ينتفع به ولو حراما وانما قلنا لك ان طريق الاشياخ كانت هكذا وأنت تزعم انك منهم فباشر وظيفتك لله عز وجل وخذ ذلك المعلوم ابتداء عطاء من الله جل وعلا لا بنية الثواب تلك القربة لذلك المعلوم كما مر وهذا الخلق لا أعلم له في مصر فاعلا من أقراني الا القليل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولي شيأ زائدا على اخواني المستحقين اذا كان لي شئ في وقف المرتب لا في مقابلة عمل ولو فاض الوقف عملا بحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه ولو أن الناظر أعطاني ذلك من غير سؤال على وجه الاكرام رددته عليه أو فرقته على جميع المستحقين وأخذت منه كأحدهم لان من كمال مرتبة الداعي الى خير أن لا يتميز عن المدعوين بشئ ثم ينهاهم عنه أو يأمرهم به فانهم ناظرون الى أفعاله ليقتدوا به وقد رأيت شيخا من مشايخ العصر يتنازع هو والناظر على عدم تمييزه عن اخوانه ويقول تجعل رأسي برأسهم والناظر يقول له هذا ما جعله لك الواقف فقلت له هذا يجرح مقامك فلم يلتفت الي وبالجملة فالذي ينبغي للشيخ أن لا يتعاطى شيأ فيه كراهة الله تعالى له بل يراعي كل أمر علم أن الله تعالى يحبه اجلالا لله تعالى لا لعلة ثواب ولا غيره لان عبد الثواب معدود عند كمل العارفين ممن هو في مقام بعض النساء وان

يحمل كل واحد على السبيل الذي يصلح له وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له وكان يدل المريد على الانجماع في حبه ولا يلزم المريد أن لا يرى غيره وكان يقول عن شيخه اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فان وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا وكان اذا دخل المريد في أوراد بنفسه وهواه أخرجه عنها وكان اذا مدح بقصيدة أو أبيات يجيز المادح باقباله وربما واجهه بنواله وكان مكرما للفقهاء ولاهل العلم ولطلبته اذا جاؤه وكان يقول لاصحابه اذا جاءه رئيس أو ذو وجاهة عرفوني به وكان أزهد الناس في ولاة الامور فاذا جاؤه أكرمهم وربما مشى لهم خطوات وكان شديد التعظيم لشيخه أبي الحسن حتى انك كنت تشهد منه انه لا ثبات منه لنفسه معه وكان اذا ذكر الشيخ رضي الله عنه ينشد شعرا

لي سادة من عزهم
أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي
في ذكرهم عز وجاه

وكان من شأنه انه ما نحي له لا بأكله وكان يكره ان يعلم بطعام أو هدية قبل اتيانها وكان لا يدعو للمحسن بحضرته بل اذا غاب دعا له بظهر الغيب وكان اذا أهدي له شئ يسير تلقاه ببشاشة وقبول واذا أهدي له شئ كثير تلقاه بالعزة وكان لا يثني على مريد ولا يرفع له علما بين اخوانه

كان له حيبة كبيرة وقد رأيت سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه مرة يعطي عامل البراس عادته من جباية الظلم الذي على البراس بطيب نفس و يبرئ ذمته مع ان معه مربعة السلطان فاتبناي باعتاقه منها ويقول ان الله تعالى يكره العبد المميز عن اخوانه حتى في ترك وزن المغارم التي يجعلها الظلمة على الناس بغير حق انتهى وهذا الخلق لم أر له فاعلا في مصر فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم مطالبتي لمن لي عليه حق دنيوي مادمت أجد الكسرة اليابسة والخلقة ولكن ان أتاني بشيء مما لي عليه من غير مطالبة قبلته ابتداء عطاء من الله تبارك وتعالى وان لم يأت به لا أطالبه بنفسي ولا بوكيلي بانه مراح صدر لذلك استهانة بالدنيا الا لعلة أخرى من حظوظ النفس فعلم ان من أخذ ماله بالمطالبة عند الحاجة اليه فلا يقدح ذلك في كماله لكون ذلك يكفه عن سؤال الناس و يعتقه من تحمل منة الخلق الذين يفتقدونه بالطعام والشراب واللباس اذا رأوه محتاجا وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يطالب من له عليه حق بنية عتق ذلك المديون من المنة وتقبيحا لعدم اعتنائه بوفاء الدين في عمره حتى لا يتساهل به ولكل رجال مشهد ثم اذا وقع اني طالبته عند الحاجة وتعلل بضيق اليد فلا أكذبه ولا أحلفه على ذلك بل أسامحه الى وقت ميسرة الله تبارك وتعالى ثم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه معدودا من أمته أو محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لعلة أخرى من طلب ثواب أو غيره وهذا الخلق لم أر له فاعلا مع انه من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهورة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما رعى الغنم لخديجة قبل النبوة هو ورجل آخر كان الرجل يقول له يا محمد طالب لنا خديجة بالأجرة فيقول صلى الله عليه وسلم أنا أستحي انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم رؤيتي في نفسي انني أحق بما عندي من النقود والثياب والطعام وغير ذلك من أحد من اخواني المسلمين الا ان كنت أحوج الى ذلك منه فاقدم نفسي حينئذ عملا بحديث ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وبحديث الاقربون أولى بالمعروف ولا أقرب الى الانسان من نفسه فهي أقرب جار اليه بل هي حقيقته وهذا الخلق لا يصح لاحد التخلق الا بعد احكامه مقام الزهد في الدنيا وبعد تخلقه بالرحمة على جميع خلق الله تعالى ومحك الصدق في احكامه مقام الزهد انه يصير ينقبض خاطره اذا دخلت عليه الدنيا فوق الحاجة و ينشرح اذا ضاقت يده ولم يجد عشاء ليلة وأن يكون بحيث لو سرق انسان قدرة ذهب له كانت معدة للمصالح لم يتغير منه شعرة ولو أن شخصا فتح صندوقه بحضرته وهو ساكت وأخذ ما لا يقول له اتركها ولا خل لي منها شيا ومتى رجح من يدعي الزهد شيأ من ذلك على ضده أو رأى ان ترك القدرة أحسن من أخذها فهو لم يشم من الزهد رائحة انما هو متفعل في ذلك ولا أعلم أحدا من أقراني تخلق بهذا الخلق في مصر غيري الا قليلا انتهى فافهم يا أخي ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم التفاتي الى شيء ضاع مني أو سرق أو نسيته في مكان أو وقع ولو كان أردبا من الذهب ولا أبعث قط مناديا ينادي من رأى ذلك كل ذلك هوانا بالدنيا وتنشيطا لهمم الاخوان اللهم الا أن يكون ذلك المال الذي ضاع مني حلالا لا أجد غيره في ذلك الزمان أو يكون ملكا للغير فلا بأس هذا الى أن أبعث مناديا يقول من رأى كذا وكذا بل ذلك واجب في مال الغير كما وقع ذلك لعائشة رضي الله تعالى عنها لما ضاع عقدها كما هو مذكور في قصة نزول آية التيمم ثم انا اذا لم نبعث مناديا ينادي لذلك لا بد من براءة الذمة من وجده في الدنيا والآخرة حتى انه لا يقع في أكل الحرام في زعمه ويستهين بحدود الله تبارك وتعالى حيث لم يعرفه سنة أو أكثر أو أقل بحسب حكم الشرع في ذلك وحتى لا يكون انا عليه مطالبة في الدار الآخرة فانه لا بد من اجتماع الخصم مع خصمه في ذلك اليوم الشديد وربما تاه الخصم من خصمه فلم يجده الا بعد مقدار سنة أو سنتين لكثرة اجتماع الخلائق ولا يمكن أحدا أن يدخل الجنة الا بعد اعطاء ما عليه من الحقوق فاذا أبرأناه من

وذلك

خشية عليه أن يحسد وكانت صلاته موجزة في تمام وكان يقول صلاة الابدال خفيفة وكان اذا تلا تقول الكون كله مستمع له وصلى قيام رمضان سنة فقال قرأت القرآن في هذه السنة كأنما أقرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء رمضان ثان فقال قرأته في هذه السنة كأنما أقرأه على جبريل عليه السلام ثم جاءت السنة الثالثة فقال قرأته في هذه السنة كأنما أقرأه على الله وكان اذا كانت ليلة القدر أخبرهم أصحابه ودعا فيها بمقدار ما يدعو كل ليلة ثلاث مرار وكان يقول أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة قدر أنشدنا بعض اخواننا لبعض أهل الطريق شعرا

لولا شهود جمالكم في ذاتي
ما كنت أرضى ساعة بحياتي
ما ليلة القدر المعظم قدرها
الا اذا عمرت به أوقاتي
ان المحب اذا تمكن في الهوى
والحب لم يحتج الى ميقات

وجاءه الفقيه مكين الدين الاسمر فقال له يا سيدي رأيت ليلة القدر ولكن ليست كما أراها كل سنة رأيتها هذه السنة ولا نور لها فقال الشيخ رضي الله عنه نورك طمس نورها يا مكين الدين ولقد كنت مع الشيخ مكين الدين هذا بالجامع الغربي من الاسكندرية

ذلك أرحناه من طول انتظاره لنا وهذا خلق لم أره فاعلا من أقراني انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) من صغري عدم مزاحمتي على شيء فيه رياسة دنيوية أو تؤل الى الدنيا لاسيما ان كان هناك من هو أولى بها مني لكثرة علمه أو ورعه مثلا أو لكثرة تحمله للأذى ممن يترأس عليهم من الاخوان فلا أنازع من يزاحمني في الرياسة قط واذا كنت أخطب للناس أو أصلي بهم أو أدرسهم العلم أو أعظهم أو أسلكهم وجاءني شخص يريد أن يكون مكاني وهو أهل لذلك تركته له بانشراح صدر مع اتهام نفسي في الاخلاص وذلك لان مقصود الصادقين انما هو اقامة شعار الدين من حيث هو لا بشرط أن يكونوا هم الفاعلين لذلك الا بطريق شرعي ومتى نازعنا من يطلب منا ذلك ولم نتركه له بطريقه الشرعي فنحن محبون للرياسة ليس لنا في قدم الصدق نصيب بل نحن محبون للدنيا التي زعمنا اننا تركناها وهذا أمر لم أجد له في مصر فاعلا غيري الا القليل فاني اذا جاءني أحد يطلب الطريق الى الله تعالى أرسله الى غيري لاسيما الامراء والاكابر الذين حولهم البر وما رأيت أحدا من أقراني فعل معي مثل ذلك أبدا مع قلة معرفته بالطريق وكثيرا ما أرى عند الشخص قلة اعتقاد فيمن أريد أني أرسله اليه فأحسن اعتقاده فيه جهدي ثم أرسله له فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة حذري من ابليس كلما ترقيت في مقامات الطريق لعلمي بأنه لمثل ذلك بالمرصاد لحرصه لعنه الله تعالى على اغواء الخلق فهو لا يفارق الاعوج ولا المستقيم أما الاعوج فانه من جنده وأما المستقيم فيلازمه ويترقب له وقتا يغوبه فيه من وقت غفلة أو سهو أو تأويل أو تزيين ولولا ان الله تبارك وتعالى يحفظ الاكابر منه بعصمة أو حفظ لما قدر أحد على رد كيده منه ولذلك شرع الله تبارك وتعالى لنا الاستعاذة به تعالى منه فلم يقل لنا استعيذوا بأحد من الملائكة ولا بأحد من الانبياء من كيد ابليس لعلمه تبارك وتعالى بعجز الخلق عن مثل ذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول الحكمة في استعاذتنا باسم الله تعالى دون غيره من الاسماء كون الانسان لا يعرف من أي حضرة يأتيه ابليس من طرق حضرات الاسماء الالهية فلذلك أمرنا أن نستعيذ منه بالاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها لنسد على ابليس كل طريق أتى لنا منها انتهى (وسمعته) أيضا رضي الله تعالى عنه يقول لم يعصم الله تعالى الاكابر من وسوسة ابليس لهم وانما عصمهم من العمل بما يوسوس لهم به فقط فهو يلقي اليهم وهم لا يعملون بذلك لعصمتهم أو حفظهم قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته (ثم لا يخفى) ان العبد كلما قرب من حضرة الله تعالى اشتدت عداوة ابليس له وكان له أشد ملازمة من غيره وذلك لعلم ابليس بكثرة ضلال الناس اذا ضلت أئمتهم ثم اذا دخل الاكابر الحضرة فان ابليس يقف على الباب ينتظرهم فكل من خرج منهم بغير اذن ركبه كما يركب الانسان الحمار يصرفه باذن الله كيف شاء ومرادنا بالحضرة شهود العبد انه بين يدي الله تبارك وتعالى وهو تعالى يراه ومرادنا بخارج الحضرة حجابه عن هذا المشهد فمتى حصل للانسان غفلة عن شهود ان الله تبارك وتعالى يراه خرج من الحضرة في أسرع من لمح البصر فركبه ابليس كما يركب الانسان الحمار ومتى استحضر ان الله تبارك وتعالى يراه نزل ابليس من على ظهره أسرع من لمح البصر هكذا شأنه مع الخلق دائما والناس في المكث في الحضرة والخروج منها متفاوتون قلة وكثرة بحسب علو الدرجة وخفضها فمن الناس من لا يدخل الحضرة الا في صلاة الفريضة فقط ومنهم من يدخلها في النوافل كذلك ومنهم من يدخلها في كل عبادة مشروعة ومنهم من يمكث فيها من أول العبادة الى آخرها ومنهم من يخرج في أثنائها ثم يدخل ومنهم من يخرج فلا يدخل حتى تنقضي تلك العبادة مع الغفلة ومنهم من يدخلها في الليل والنهار مقدار درجة أو أقل أو أكثر بحسب مقامه ومنهم من يحضر في أكثر النهار ويغفل في باقيه ومنهم من يحضر في الليل كذلك ومنهم ومنهم وهكذا وأكملهم من كان حاضرا مع الله تبارك وتعالى في ليله ونهاره الا في الاوقات التي يسامح الحق تبارك وتعالى فيها البشر فانهم قالوا ان مراقبة الحق تبارك وتعالى مع الانفاس ليست من مقدور البشر بخلاف الملائكة وكان

في العشر الاخير من رمضان ليلة ست وعشرين فقال الشيخ مكين الدين أنا الساعة أرى ملائكة صاعدة وهابطة في تهيئة وتعبية أرأيت تأهب أهل العرس له قبله بليلة كذلك رأيتهم فلما كانت الليلة الثانية وهي ليلة سبع وعشرين وكانت ليلة جمعة قال أنا الساعة أرى ملائكة معهم اطباق من نور الملك يوازي مأذنة الجامع وفوق ذلك ودون ذلك وهذه هي ليلة القدر فلما كانت الليلة الثالثة وهي ليلة ثمانية وعشرين قال رأيت هذه الليلة كالمغيظة وهي تقول هبان ليلة القدر حقا يرعى أما لي حق يرعى وكان الشيخ مكين الدين من أرباب البصائر ومن النافذين الى الله وكان الشيخ أبو الحسن يقول عنه بينكم رجل يقال له عبد الله بن منصور أسمر اللون أبيض القلب والله انه ليكاشفني وأنا مع أهلي وعلى فراشي ومرة أخرى قال فيه ما سلكت غيبا من غيوب الله الا وعمامته تحت قدمي ولقد أخبرني الشيخ مكين الدين هذا قال دخلت مسجد النبي بالاسكندرية بالدعاس فوجدت النبي المدفون هناك قائما يصلي وعليه عباءة مخططة فقال لي تقدم فصل قلت له تقدم أنت فصل قال تقدم أنت فصل فانكم من أمة نبي لا ينبغي التقدم

سيدي معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه يقول لي ثلاثون سنة في حضرة الله تعالى ماخرجت فأنا أكلم الله دائما والناس يظنون اني أكلمهم والى ماقررناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فنكر الوقت تشير بعالامته قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد بالوقت العمر كله أي لي عمر لا يسعني فيه غير ربي أي نخصني الله بذلك ويؤيده قوله تعالى وما ينطق عن الهوى فليتأمل وهو أي الوقت في الحديث يشمل الوقت الكثير والقليل بحسب مقام أمته وقد نقل الجلال السيوطي رضي الله تعالى عنه في كتاب الخصائص أنه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بخطاب الحق تبارك وتعالى والخلق معا في آن واحد لا يشغله أحد الخطابين عن الآخر وأما غيره فان خاطب الحق تبارك وتعالى حجب عن الخلق وان خاطب الخلق حجب عن الحق جل وعلا انتهى ولم أر أحدا من أقراني تخلق بالحذر من ابليس كلما ترقى في المقامات الا القليل فان أحدهم بمجرد مايصير يقال له ياسيدي الشيخ يظن ان ابليس فارقه ومابقي له عليه سلطنة بل سمعت بعضهم يقول نحن لا نعرف ابليس أصلا وماثم الا الله تعالى فقلت له فهل زال ابليس من الوجود في مشهدك أم أنت حجبت عنه فقال حجبت عنه فقلت له فاذن هو مسلط عليك وبالجملة فمن دقق النظر وجد ابليس يترقى معه في كل مقام سلكه من حيث دوام مجالسته له ولا ينقطع بالكلية فبعد أن كان يوسوس له في فعل المعاصي الظاهرة صار يوسوس له في المعاصي الباطنة أو الصغيرة في عينه الخفية عن شهوده * وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول كلما ترقى العارف في المقام سذج باطنه وقبل عمل الحيلة من ابليس وقد قالوا من كان كثير الانقياد خيف عليه الفساد وقد قالوا ان أكذب الناس الصالحون أي لانهم لا يعتقدون ان احدا يكذب قياسا على أنفسهم فيرون كل ماسمعوه لاسيما ان حلف لهم انسان بالله تعالى (وقد بلغنا) ان عيسى عليه الصلاة والسلام رأى انسانا يسرق فقال له عيسى الا ترد المتاع الى أصحابه فقال والله ياروح الله ماهو أنا الذي سرق قال عيسى عليه الصلاة والسلام فصدقته وكذبت عيني انتهى فقد بان لك ياأخي ان معنى أكذب الناس الصالحون ظنهم ان أحدا لا يكذب لا انهم يتعمدون الكذب حاشاهم من ذلك فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة تكبيري باخواني اذا صاحبت أميرا أو كبيرا فلا أزال أمدحهم عنده في غيبتهم وأحسن اعتقاده فيهم حتى ربما تركني وصحبهم ثم اني أفرح بتحويل اعتقاد ذلك الامير عني واعتقاده فيهم وانكاره علي أشد من فرحي بالعكس وهذا الخلق عزيز في الفقراء من أهل العصر ولم أره فاعلا غيري الا قليلا فما صحبني قط أمير ولا كبير الا وأرسلته الى غيري وحسنت اعتقاده فيه ولم يفعل ذلك أحد منهم معي بل بعضهم جرح في عند من سبقهم لصحبتي وحكى له عني ماهو أهله فالله يتوب عليه * واعلم ياأخي أن المعين لي على حصول الفرح بتحويل اعتقاد الامراء والاكابر عني كوني لا أصحبهم قط لعلة دنيوية من احسان أو بر وانما أصحبهم لصالح العباد لا غير فاذا أعرضوا عني أقبلت بقلبي على عبادة ربي واشتغلت به وحده دون خلقه وان كان صحبتهم الاخرى فيها الخير لكن ثم مقام رفيع ومقام أرفع فعلم ان كل من لم يصحب الاكابر لله تعالى فمن لازمه غالبا قلة التكبير باخوانه عند ذلك الكبير خوفا ان يميل الى غيره و ينقطع عنه بره واحسانه ونحو ذلك وفي الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها انتهى فمن كان مشهده أن المحسن له هم الخلق تكدر لفراقهم ضرورة ومن كان مشهده ان المحسن له الحق تبارك وتعالى وحده لم يتغير منه شعرة لو أدبر الخلق عنه أجمعون فافهم ياأخي ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) انشراح صدري لتقديم زيارة من يكرهني و ينكر علي على زيارة من يحبني و يعتقدني وذلك لان القلب مع من يحبني في قرار الدار ومع من يكرهني في طبقات النيران فانا بحمد الله تبارك وتعالى أخاف على نفسي من كراهتها لمن يكرهني وأخاف على من تمادى على كراهتي من نقص دينه بسبب ذلك فابادر لزيارته طلبا لتخفيف عداوته وكراهته لي أو كراهتي له ان وقعت وفي ذلك أيضا من رياضة النفس مالا يخفى على عاقل هذا كله في حق من يكرهني لعلة أخرى غير الحسد تمكنني عادة ازالتها أما الحاسد فلا يرضيه مني الا زوال نعمتي وذلك الى الله تبارك وتعالى لا الي فليس في قدرة العبد ان يرد ماقسمه الله تعالى له بل

من

عليه قال فقلت له بحق هذا النبي الا ما تقدمت فصليت قال فانا أقول بحق هذا النبي الا وقد وضع فمه على فمي اجلالا للغطة التي كيلا تبرز في الهواء قال فتقدمت فصليت وأخبرني الشيخ مكين الدين أيضا قال بت بالقرافة ليلة جمعة فلما قام الزوار قمت معهم وهم يتلون الى ان انتهوا في التلاوة الى سورة يوسف ومنها الى قوله وجاء اخوة يوسف وانتهوا في الزيارة الى قبور اخوة يوسف فرأيت القبر قد انشق وطلع منه انسان طوال خفيف شعر اللحية صغير الرأس آدم اللون وهو يقول من أخبركم بقصتنا هكذا كانت قصتنا ولقد كنت يوما مضطجعا وأنا ساكن مطمئن فاجد في قلبي انزعاجا على بغتة وباعثا يبعثني على الاجتماع بالشيخ مكين الدين رضي الله تعالى عنه فقمت مسرعا فدققت عليه الباب فخرج فلما وقع بصره علي قال أنت ماتجيء حتى يسير الناس خلفك فتبسم وقلت سيدي قد جئت فدخل وأخرج لي وعاء وقال هذا الوعاء اذهب به الى الشيخ أبي العباس وقل له قد كتبت فيه آيات من القرآن ومحوتها بماء زمزم وشيء من عسل فذهبت بذلك الى الشيخ فقال ماهذا قلت أرسله اليكم الفقيه المكين الاسمر فادلى فيه أصبعا واحدة وقال هذا بحسب البركة

من الادب عدم ردها وشكره تعالى له عليها فان ردّ نعم الاكابر من ملوك الدنيا سوء أدب معهم فمع الحق جل وعلا أولى وأنا أعلمك يا أخي ميزانا تعرف به من يكرهك حسدا ومن يكرهك لغير ذلك وهو أن كل من رأيته يكرهك ويحط عليك في مجالس المستهزئين ولا يقدر على نصو بر دعوى صحيحة عليك لا عندنا كمن الخلق ولا بين يدى الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة فاعلم أنه حسود خالص فلا تتعب نفسك في زيارته بقصد أنه يحبك فان ذلك لا يكون * وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك أن تقبل رجل عدولك وتتواضع له طلبا لزوال ما عنده من الحسد فانك تذل نفسك في غير محل وتكبر نفسه بغير حق انتهى فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) قصدى بتقديم زيارة عدوى نفعه هو في دينه بتخفيف عداوته بالاصالة وتركه التنقيص الموجب للاثم لا لنفرة نفسى من تنقيصه لى في المجالس بقطع النظر عن نفعه هو فان الفقراء يحملون أكثر من ذلك كما سيأتى بسطه في الخاتمة وفيها ان حكم من يريد تغيير الفقير الصادق بكلام يقوله فيه حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ان تزيله من مكانه وأيضا فلو قدر أن الفقير الصادق تأثر من كلام قيل فيه فهو لغرض صحيح كخوفه على الضعفاء من أصحابه وأتباعه أنهم ينفرون عنه فلا ينتفعون بشئ من نصحه لهم وأيضا فانه يعلم ان له ربا يأخذ له بحقه لا يغيب عنه مثقال ذرة من كلام عدوه فهو راض بذلك ولو كشف للعبد لرأى نفسه وخصمه بين يدى الله تبارك وتعالى وهو يسمع ويرى ما يصنعه بعض عبيده مع بعضهم وقد أرسل لكل منهما ملكين كاتبين حافظين يكتبان ما يلفظ به كل عبد ضبطا لحقهما اذا نسى أحدهما ما فعله الآخر معه ومن آمن بذلك جزما ذهب تكدره من عدوه جملة واعلم يا أخى ان كراهة المسلمين بغير حق تنقص دين الكاره ثم يقل النقص ويكثر بحسب قلة الكراهة وكثرتها فمن أبغض عشر أهل بلده مثلا نقص عشر دينه ومن كره ربعهم نقص ربع دينه وهكذا من نصف وثلاثة أرباع وأكثر وأقل فمن فهم ما ذكرناه لم يكره أحدا من المسلمين بغير حق أبدا صيانة لدينه هو اذ ينقص منه شئ ويحتاج من يريد التخلق بهذا المقام في مجاهدة طويلة على يد شيخ صادق ليس عنده شحناء ولا كراهة لاحد من أقرانه وهذا أعز من الكبريت الاحمر الآن وقد خبرت كثيرا ممن جلسوا في صورة مشايخ العصر فلم أجد أحدا منهم يسلم من الشحناء الا القليل كسيدى الشيخ سليمان الخضيرى والشيخ ابراهيم الذاكر واضرابهما نفعنا الله ببركاتهم وكل ذلك من قلة رياضة نفوس المدعين للطريق ومبادرتهم للجلوس للمشيخة قبل خمودنا بشريتهم وزوال رعوناتها (وقد أدركت) سيدى عليا المرصفى رحمه الله تعالى لا يأذن لاحد في الجلوس للمشيخة الا بعد الاذن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صريحا بقوله له قل لفلان يبرز للخلق وينفع الناس فلما مات رضى الله تعالى عنه صارت مصر كأنها مقات بطيخ خربت وأطاقت فيها البهائم فالعاقل من نصح نفسه وأخذ الطريق عن أهلها ولم يجلس الا بعد اذنهم له ولا أعلم الآن من جلس في مصر باذن من شيخه الا القليل ولذلك كثرت عداوتهم لابناء الخرقة فتجد أحدهم يكره صاحبه كما يكره الفجار الابرار ولاسيما ان كانوا في حارة واحدة حتى انى رأيت كثيرا منهم يموتون فلا يحضر أحد من أقرانهم جنازته ولو أن هؤلاء كانوا فطموا على يد شيخ عن رعونات نفوسهم لاحبوا كل من أطاع الله وكرهوا كل من عصاه رحمة وشفقة شرعيتين كما يظهر الوالد والوالدة لولدهما الصغير الغضب والانفة بالفعل والقول وقلبهما يرحمه وبالجملة فاذا رأيت فقيرا يدعى الكمال وهو يكره فقيرا كذلك ويدعى الكمال فكلاهما كذاب على الطريق أو أحدهما في نفس الامر وقد كنت أسمع الناس وأنا صغير يقولون لو لم يكن في اتباع طريق الفقراء من الخير الا قول أحدهم اذا سئل عن أخيه حال غضبه عليه ونعم من ذكرت لكان في ذلك كفاية في الحث على اتباع طريقهم بخلاف غيرهم فانك اذا سألته عن أحد من اخوانه حال غضبه عليه يقول بئس من ذكرت فصار غالب الفقراء اليوم يقولون عن اخوانهم لمن رأوه يمدحهم بئس من ذكرت ويظهر التكدر على وجهه والعبوسة وقد بلغنا أنه كان بين خالد بن الوليد وبين شخص وقفة فلما ذكروا عنده ذلك الشخص بخير أخذ خالد يمدحه فقيل له في ذلك فقال ان الذى وقع بينى وبينه لم يبلغ الى ديننا * ومما وقع لى ان شخصا جاءنى يطلب منى أن ألقنه فلم أجد عنده همة ففارقنى ولبس له عمامة

وفرغ الوعاء وملأه عسلا وقال اذهب به اليه فذهبت بذلك اليه ثم عدت اليه بعد ذلك فقال لى رأيت البارحة ملائكة أتونى باوعية من زجاج مملوءة شرابا وهم يقولون خذ هذا عوض ما أهديت الى الشيخ أبى العباس وكان الشيخ أبو العباس كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود سعة الرحمة وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فاكرمه لان ذلك الطائع ربما أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذله ومخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس في الطهارة والصلاة ويثقل عليه شهود من كان ذلك وصفه سئل يوما وأنا حاضر فقيل له ياسيدى فلان صاحب علم وصلاح كثير الوسوسة فقال وأين العلم يافلان العلم هو الذى ينطبع في القلب كالبياض في الابيض والسواد في الاسود

(الباب الخامس) في آيات من كتاب الله تعالى تكلم على تبيين معناها واظهار فحواها قال الله تعالى الحمد لله رب العالمين قال الشيخ رضى الله عنه علم الله سبحانه عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين أى قولوا الحمد لله رب العالمين أى

من صوف وأرخى له عذبة وجمع له جماعة من الشباب والعوام وقال لهم تعالوا اخذوا عنى طريق التصوف فقال له بعض الناس من شيخك فقال أخذت عن فلان فكذبه أصحاب ذلك الشيخ فادّعى أنه تلقن على شيخ آخر فكذبه جماعته فادعى أن سيدى عليا المرصفى لقنه فى المنام وأذن له وذلك كله كذب وتلبيس ثم انه تحلس بحلاس الفقراء القدماء الهجرة فى الطريق حتى صار كأنه واحد منهم فارسلت له ورقة أرشده فيها الى أحد من أشياخ الطريق يتلمذ له و يأذن له ان رآه أهلا لذلك فلم يفعل فأسأل الله عز وجل أن يتوب علينا وعليه آمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) حسن سياستى لمن رأيته يبغض أخاه المسلم بغير حق وذلك باقبالى عليه و بشاشتى له وتقديم طعام له ونحو ذلك مما يميل القلوب الى المحبة فاذا مال الى وأحبنى سارقته بذكر الصفات التى تميل خاطره الى عدوه شيأ فشيأ ولا أقول لاحدهما قط لاتعد تأتنى مادام فلان غضبان عليك فانه يفهم من ذلك العصبية مع عدوه فلا يصير يسمع لنا نصحا لكونه جعلنا خصماء له فصرنا نحتاج الى شخص ثالث يصلح بيننا لاسيما والفقير اذا شاع اسمه فى الوجود يصير موردة للناس العدو والصديق كما يرد على الامير العدو والصديق ولا يمكنه أن يرد واحدا منهما ومن شرط الفقير الاقبال ببشاشته على كل وارد عليه بطريقه الشرعى قياما بواجب حقه وقلبه فارغ من العصبية لاحد الاخصام * ولما قام أهل مصر على ناظر النظار فى سنة تسع وخمسين وتسعمائة بسبب ابطال نظار المساجد كلها صار أهل مصر فرقتين فرقة معه وفرقة عليه وصار كل من الفريقين يرد على فكنت أحبب كل فريق من الفريقين فى الآخر من وراء صاحبه وأنهاه على فعل شئ يضر عدوه وكان الوزير على باشا مساعدا لاهل مصر فجاءنى ناظر النظار يأخذ خاطرى فطيبت عليه وأعلمته بوجوب طاعة ولى الامر عليه فى المعروف وأنه لايخونه بالغيب فبلغ بعض الحسدة مجىء ناظر النظار الى فطلع للباشا وقال ان ناظر النظار زار فلانا وأكرمه بقصد تغيير خاطر الباشا على فقال له الباشا فاسمعته يقول له قال لم أعرف ماذا قال له فزجره ولم يصغ الى قوله فكتبت ورقة للباشا خشية على دينه أن ينقص بسببى من مضمونها أنا الذى طلبت الاجتماع بناظر النظار لاعلمه طريق الادب معكم وأخبره بوجوب طاعتكم وتحريم مخالفتكم فرضى منى بذلك وقال ذلك هو ظنى بالفقراء فلما مرض وزرته فى القلعة لم أر عنده شيأ من تغيير الخاطر فاياك ياأخى أن تظن بفقير أنه يتعصب بالباطل مع أحد الخصمين كما يفعل أبناء الدنيا فان ذلك ظن كاذب فان الفقراء لايمشون بين الناس الا بالصلح فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) عدم تقديم نفسى على أحد من اخوانى فى شئ من الامور التى فيها رياسة الا بسؤالهم لى فى ذلك بطيبة نفس أو لمصلحة أراها ترجح على مصلحة عدم التقديم فلا أفتتح مجلس ذكر الا ان سألونى كلهم فى ذلك بشرط أن لايكون هناك أحد من الاشراف ولا أحد أكبر منى سنا فان كان هناك من هو أسن منى أو شريف ولو صغيرا قدمته على ولو سألونى فى ذلك أدبا مع من هو أسن منى ومن هو أشرف منى ثم اذا افتتحت المجلس بالشرط المذكور أقصد بذلك المبادرة الى تعجيل سماع الناس ذكر الله تبارك وتعالى محبة فى الله تعالى لا لعلة أخرى من ثواب أو غيره وهذا خلق ما رأيت له فى عصرى فاعلا الا القليل بل رأيتهم يتخاصمون على البداءة بالذكر وبعضهم رأيته يستخدم الشريف ويحمله سجادته ليفرشها له وهذا كله جهل بالمراتب وسيأتى بسط ذلك فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكثيرا مايتنازع عندى اثنان فأكثر فاسألهما أن يفتتحا قبلى فاعلم ياأخى ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) انى لاأرى لى ملكا مع الله تبارك وتعالى فى شئ أعطانيه بل أقبله من الله تبارك وتعالى ثم اخرج عنه فورا الى المالك الحقيقى وهو الله تبارك وتعالى وانما كنت أقبله أولا ولا أرده أدبا مع الله تعالى فانه تبارك وتعالى ماخلق كل ما فى الوجود الا لعباده لغناه تبارك وتعالى عن العالمين فانا أقبله منه وأبقيه بقدر ما أتحقق بقبوله لاشكره تبارك وتعالى عليه الذى استخلفنى فيه ولولا نسبة ذلك العطاء

الحمد لله الذى جد به نفسه بنفسه هوله لاينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا يكون الالف واللام عهدية ومعنه يقول فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع واعلم رحمك الله باقباله عليك برده وجعلك من الراعين لعهده ان الله سبحانه وتعالى طلب من العباد أن يعبدوه واقتضى منهم أن يسجلوا بذلك على أنفسهم نطقا كما قاموا به عملا واقتضى منهم أن يفردوه واقتضى منهم أن تنتظم للعبادة جميع جوارحهم الظاهرة وحقائق وجوداتهم الباطنة واقتضى منهم الرجعى اليه من دعوى القيومية فى العبادة بصدق التبرى من الحول والقوة فلما قام العبد لله بالعبادة عملا اقتضى الحق أن يعترف بها نطقا ليكون ذلك معاهدة بينه و بين الحق سبحانه حتى اذا تفلتت نفسه من القيام بالعبادة له وثقلت عليها ملازم التكاليف قامت الحجة على العبد بما أعطى الله سبحانه من الاعتراف بالعبادة له وانه لايعبد غيره بقوله اياك نعبد واقتضى من العباد أن تستوعب العبادة جميع جوارحهم الظاهرة وعوالمهم الباطنة باتيانه بالصيغة هكذا

لى

لما صح لاحد شكر على نعمة طعام ولا شراب ولا غيرهما وانما كان يشكر على نعمة الايجاد والامداد فقط كالملائكة اذ لم يرد لنا انهم يحتاجون الى شئ من المطاعم والمشارب والمراكب والمناكح والدور وغير ذلك مما هو خاص بنا وايضاح ماقلناه ان حقيقة العطاء أن ينتقل ذلك من ملك المعطى اسم فاعل الى ملك المعطى اسم مفعول وهذا لايصح فى حقنا مع البارى جل وعلا فان العبد ومايدخل فى يده لسيده باجماع ولا يصح أن يتوارد ملك الحق عز وجل والعبد على عين واحدة بحقيقة واحدة لان الله تبارك وتعالى مالك حقيقى والعبد مالك مجازا من حيث الحدود المتعلقة بالخلق لا المتعلقة بالله جل وعلا فغاية ملك العبد انه مستخلف فيما بيده يصرف منه بالمعروف على عباد الله من نفسه وغيره لاغير كالوكيل المحض وعبارة المنهاج فى مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه تأليف الامام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى ولا يملك العبد بتمليك سيده فى الاظهر (فان قيل) فاذا كان العبد لا يملك شيأ فمن أين جاء تحريم غصب ماله (فالجواب) ان تحريم الغصب ماجاءنا من جهة ملك العبد مع الله تعالى وانما هو من جهة تمليك الحق جل وعلا ذلك على وجه الاستخلاف دون غيره من العبيد كما مرت الاشارة اليه فلما تعدى الغاصب وأخذ مالم يستخلفه الحق تبارك وتعالى فيه بما استخلف فيه غيره عوقب بسبب ذلك وكان لسان الحق جل وعلا يقول من أخذ من أحد شيأ بغير طريق شرعى عذبته فالعذاب من حيث أخذه ذلك بغير طريق شرعى لامن حيث ملك العبد مع الله تبارك وتعالى فافهم هذا ماعلل به القوم وهو اختلاف فى العلة لافى الحكم فان القوم أجمعوا على تحريم الغصب وان كانوا يرون ان العبد لا يملك مع الله شيأ وانه يستحق العقوبة التى توعد الله الغاصب عليها فقد اتفق القوم مع العلماء على تحريم الغصب وعلى استحقاق صاحبه العقوبة واختلافهم فى العلة لايقدح فى الحكم ويؤيد ماقررناه من عدم ملك العبد وأنه لايشترط فى تحريم الغصب لشئ ملك صاحبه له حقيقة ماقاله علماؤنا من تحريم غصب الاختصاصات كالزبل مع أنها لاتملك ثم لايخفى عليك ياأخى ان مقام شهود العبد ذوقا انه لايملك مع الله سبحانه وتعالى شيأ مقام يذوقه المريد أول دخوله فى طريق القوم فليس هو بمقام عزيز كما يظنه من لم يسلك الطريق فيقول عن مثل ذلك هذا مقام الخواص ولو أنه دخل طريق القوم لعرف ان المريد يذوقه من أول قدم يضعه فى الطريق كما مر ايضاحه فى الباب الاول فلا يزال يذكر الله تبارك وتعالى حتى يتجلى باطنه فيشهد ان الملك لله عز وجل والفعل لله تعالى والوجود الحق لله ومحك الصدق فى حق من ادعى هذا المقام ذوقا انه لو كان عنده ألف دينار واحمال من الثياب والامتعة فسرقت من داره لم يتغير منه شعرة لاجل زوال ملكه عنه وانما يتأثر لنقص دين الآخذ لذلك بل يرى ان عبيد الله تعالى أخذوا ما يحتاجون اليه من مال سيدهم دون مال عبده ونرجح فى اعتقاده شمول مغفرته تعالى للآخذ فلا يتأثر على مامر تقريره وكذلك من محك صدقه فى دعواه انه لافاعل الا الله تبارك وتعالى أنه لو ضربه انسان بسيف لم يتغير على ذلك الضارب الامن حيث ماذكر فمن ذاق ماذكرناه فهو الذى يحسن منه أن يقول لاملك ولا فعل الا الله تعالى ذوقا وشهودا ولا ينسب ذلك الى الخلق الا بقدر نسبة التكليف اليهم فقط فعلم انه متى تكدر ممن أخذ ماله أو ضربه فتوحيده الملك والفعل لله تبارك وتعالى علم لاذوق * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول جميع مابيد العارفين من أمور الدنيا مما أضيف اليهم ملكه حكمه فى الاضافة حكم باب الدار وبرذعة الدابة على حد سواء فان كانت الدار تملك الباب أو الدابة تملك البرذعة فكذلك العبد مع الله تبارك وتعالى فما شكر العارفون ربهم على ما أعطاهم الامن حيث تمكينهم من الانتفاع به على الوجه الشرعى لامن حيث ملكهم لذلك نظير ماقررناه آنفا من وجه تحريم الغصب عند القوم هكذا حكم العارفين فى جميع مايعطيه الله عز وجل لهم فى الدنيا والآخرة وقد تحققنا بذلك ولله الحمد فلست أرى لى ملكا مع الله تبارك وتعالى فى الدارين انما أرى نفسى عبدا اغار قافى احسان سيدى آكل وألبس وأنكح وأنفق من مال سيدى فسواء أعطانى شيأ أو منعنى فهو عندى سواء لعدم شهودى الملك معه ماعدا نسبة العطاء أى لاجل الشكر عليه فقط كما مر تقريره * ومما وقع لى أوائل دخولى فى الطريق ان شخصا لقينى فى سوق خان الخليلى لاأعرفه فقبض على طوقى وصار يصكنى فى عنقى ويقول هذا أفسد امرأتى فلازال يسحبنى حتى قربت من عطفة الجامع الازهر فنظر فى وجهى وقال أنا غلطت فيك

نعبد واعراضه عن التعبير بالهمزة المنفردة بالتكلم لان النون انما تكون للواحد المعظم نفسه أو هو مع غيره وليس هذا موضع هذين المعنيين اذ العبد لا يبتدئ بين يدى الله بوصف عظمة فلم يبق الا أن يكون للواحد ومعه غيره وذلك ما أشرنا اليه من الجوارح الظاهرة والحقائق الباطنة وأما انه اقتضى منهم الرجوع اليه من دعوى القيومية فى العبادة لانه لما قال اياك نعبد فاضاف العبادة اليهم واقتضى منهم أن يعترفوا بذلك قياما بدائرة الفرق التى عليها يترتب التكليف أردف ذلك بقوله واياك نستعين كيلا يدعى العباد معه انهم قاموا بالعبادة بانفسهم فاراد منهم أن يوفوا الحقيقة حقها والشريعة حقها فذلك جمع بين الامرين القيام بالعبادة لربوبيته والتبرى من الحول والقوة مع الهيبة ثم قال سبحانه اهدنا الصراط المستقيم قال الشيخ بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره وبسطه الشيخ فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك الثبات فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل

وأقول أستغفر الله فى حقك ولم يتغير مني عليه شعرة واحدة بل كنت مسرور النظر الى خالق تلك الحركة التى صكني بها والقول الذى قاله فعلمت أني تحققت بتوحيد الفعل لله تعالى ذوقا * وكذلك وقع لي انني ألزمت باحضار الامير محيي الدين بن أبي أصبع لما استخفى من السلطان أحمد فمسكني أعوان الوالي ومدوني للتوسيط بحضرة الوالي فلم يتغير مني شعرة بل صرت أتبسم حتى تعجب الوالي وقال أطلقوه ثم استغفر في حقي ثم تحول غضب السلطان على ذلك الوالي فمسك وعوقب فى البرج ومات بعد ثلاثة أيام انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على *) خفض جناحي لفسقة المسلمين كالحشاشين والمقامرين والظلمة ولا أحتقر في نفسي أحدا منهم الا من حيث ذلك الفعل المذموم حين التلبس به فقط فاذا نزع منه وتوضأ وصلى مثلا حملته على انه تاب منه وندم ودليل ذلك قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * وقد رأيت سيدي الشيخ أبا السعود الجارحي رضي الله تعالى عنه يتواضع لحشاش فقلت له فى ذلك فقال ربما كان أحسن حالا مني وأصفى قلبا وأخشع لله مني انتهى * وكان سيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه يقول لا ينبغي أن يتواضع للفسقة الا الدعاة الى الله تعالى من العلماء العاملين لأمنهم على أنفسهم من الفتنة بمخالطتهم بخلاف العامة لانهم ربما مالوا الى محبة أهل المعاصي ووقعوا فيما وقعوا فيه انتهى فعلم انه لا لوم على الدعاة الى الله تعالى من العلماء العاملين فى تليينهم الكلام للفسقة بقصد صحيح كأن يقصدوا بذلك تمييل قلوبهم الى محبتهم حتى يصغوا لنصحهم فان التكبر على الفسقة واظهار احتقارهم مما ينفر قلوبهم وتأمل يا أخي الصياد اذا اصطاد سمكة كبيرة وخاف على خيطه أن ينقطع كيف يخدعها ويرخي لها الخيط حتى تبعد ثم يسحبها مسارقة شيأ فشيأ حتى تدخل تحت يده ويقبض عليها وكذلك العصاة فانهم مارقون من طريق الاستقامة وقد ضرب بينهم وبين محبة المأمورات الشرعية بسور فلا يجدون لفعلها طعما بخلاف المعاصي فان نفوسهم كادت تطبع على محبتها فكأن أهل المعاصي صاروا أعداء لاهل الطاعات * وقد رأيت مرة فقيها رأى شخصا في الحمام قد كشف عن فخذيه فحركه برجله على وجه الازدراء والاحتقار وقال غط فخذك يا قليل الدين فتحركت نفس ذلك الشخص ونزع المئزر من وسطه ورماه وقال ما عدت أجلس الا عريانا حكارة فيك يا فقيه ولو ان الفقيه كان قال له بشفقة ورحمة وعدم احتقار يا أخي أنت من ذوي المروآت ولا يعرف كل أحد عذرك في كشف فخذك وقد غرت عليك ان أحدا يرى فخذك مكشوفة ممن يكرهك فيزدريك ونحو ذلك لربما قال له جزاك الله عني خيرا وغطى فخذه وقد قال المحققون من شرط الداعي الى طريق الله تبارك وتعالى معرفته بطرق السياسة قبل الدعاء ليدعو كل انسان من الطريق التى يسهل عليه انقياده منها فيمهد الطريق للمدعو أولا ولو بارسال هدية اليه أو كسوة أو باطعامه الفاكهة أو الكنافة المخرة المبسوسة بالقطر ونحو ذلك مما يميل نفس ذلك المدعو الى محبة الناصح فاذا مال اليه بالمحبة فحينئذ يسارقه باعلامه بما فى تلك الكتبة من غضب الله تبارك وتعالى ومقته وتعسير الوصول الى رزقه وعدم حفظه من الآفات حتى ان صاحب الكتبة يبادر الى سماع النصح والعمل به لما يرى لنفسه فى ذلك من الحظ والمصلحة فى الدنيا والآخرة قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة قال بعض العارفين الحكمة هنا هي غنى الداعي عن الحاجة الى المدعوين فلا يحتاج اليهم فى مطعم ولا ملبس ولا غير ذلك لئلا يذل لهم لعلة دنيوية فتذهب حرمته ولا يؤثر كلامه فى قلب أحد من العصاة اذ هو حينئذ معدود من جملة عيال المدعو والعائلة تحت حكم من يعولها شاءت أم أبت قال وأما الموعظة الحسنة فالمراد بها تليين القول للمدعو وبيان ماله فى ترك تلك الكتبة من المصالح وما ينصرف عنه اذا تركها من العقوبات والمضار كما تقدم وهذا باب قد أغفله غالب الناس فترى أحدهم يحتقر الظالم ويذمه فى المجالس أو يقبل بره واحسانه ثم يريد أن يمتثل أمره اذا وعظه وذلك غلط لانه اذا ذمه نفر منه واذا قبل بره سقطت هيبته من قلبه لا سيما ان صار يمدح ذلك الظالم على احسانه اليه ويقول والله ما كنا محتاجين لما أرسله الينا فلان ونحو ذلك * وقد كان الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول لا ينبغي للشيخ أن يأكل من طعام مريده أول صحبته لئلا يموت

والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات الصديقية والصديق يقول اهدنا الصراط المستقيم أي بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم درجات الصديقية وفاتهم درجات القطب والقطب يقول اهدنا الصراط المستقيم أي بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل له علم رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله أن يطلعه عليه أطلعه وقال فى قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة كل موضع ذكر فيه المصلين فى معرض المدح فانما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة رب اجعلني مقيم الصلاة وأقام الصلاة أقم الصلاة وأقاموا الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة والاقامة هو انه اذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه خلق الله تعالى من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة الى يوم

فى عينه بل يرد كل ما أهداه اليه بسياسة وتبسم و يقول له اعطه لمن هو أحوج اليه منا فانما صحبناك ياولدى لمثل ذلك فيوهمه الغنى عنه مع عدم تنفيره انتهى * وقد بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام كان ينفر من مجالسة عصاة بنى اسرائيل غيرة لله تبارك وتعالى فاوحى الله تبارك وتعالى اليه ياداود المستقيم لايحتاج اليك والاعوج قد أنفت نفسك عن مجالسته وتقويم عوجه فلماذا أرسلتك فتنبه داود لامر كان عنه غافلا وامتثل أمر الله تبارك وتعالى وصار يجالس عصاة بنى اسرائيل و يحسن اليهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة فانقادوا له كلهم الا من حقت عليه كلمة العذاب وعلم مما قررناه ان محل قولهم يحرم ايناس العصاة ومجالستهم مالم يكن ذلك لغرض شرعى فافهم وقد تقدم أوائل الباب ان من شرط الفقير ان يتواضع لاخوانه المسلمين و يرى نفسه دون كل فاسق على وجه الارض من حيث جهله بالخاتمة فمثل هذا يأمر العصاة و ينهاهم و يرى نفسه مع ذلك دونهم فى التقوى وانه أكثر معصية لله تبارك وتعالى منهم من حيث عظمة الذنب فى عينه أو من حيث كثرة عدد مايعلمه من نفسه بالنسبة لما يعلمه من غيره وسيأتى فى هذا الكتاب ان عطاء السلمى رضى الله تعالى عنه كان يستخدم فى بيته المخنثين واذا لاموه فى ذلك يقول والله لهم أحسن حالا منى عند نفسى انتهى وفى شرح شعب الايمان للقصرى لايكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الارضين السفليات التى مابعدها الاما لايعقل انتهى وقد طلبت أنا مرة الدعاء من شخص رأيته رث الثياب كاصحاب الكتب فعرق جبينه من الخجل والحياء فسألت عنه فقيل لى انه صاحب كتبة لايرى نفسه أهلا لان يدعو لاحد ثم انى وجدته بعد أيام وعليه ثياب نظيفة فقال قد أثرفى قولك لى أمس ادع لى فتبت الى الله تعالى وتركت تلك المعاصى التى كنت مرتكبها انتهى فحال العارفين فى نفوسهم دائما كحال أعصى العصاة وكثيرا ما أقول فى سجودى اللهم ان حلمك على ربح على حلمك على غالب الاولين والآخرين فأجد لذلك حلاوة عظيمة فافهم يا أخى ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة نصحى لجميع اخوانى فلا أتذكر انى ابست على أحد منهم أمرا مذموما ولاسكت عن ذلك الابطريق شرعى والنكتة فى معونتى على ذلك كونى لاأصحبهم لعلة دنيوية وانما أصحبهم لله تبارك وتعالى وأقدم رضا الله تبارك وتعالى على رضاهم مع تعففى عما بيدهم من الدنيا وأنا أعرف وأتحقق أنى لوصحبتهم لغرض فاسد لربما وقعت فى غشهم والسكوت عن نصحهم خوفا على خاطرهم أن يتكدر منى بل بلغنى ان شخصا خطيبا دعا شخصا الى حضور وليمته فقال بشرط انك تشترى لى برشا آكله فارسل واشترى له ذلك انتهى وهذا خروج عن الشريعة وبالجملة فلوان أصحابى عملوا بكل ما نصحتهم به لكانوا كلهم علماء عاملين زاهدين هادين مهديين ولكن لم يصح ذلك لداع قبلى ولا بعدى بحكم القبضتين فلابد فى الوجود من طائع وعاص على الدوام مادام سلطان الشريعة قائما وذلك ليظهر فضل الله تعالى وحلمه على خلقه و يؤجر الداعى على صبره على من خالفه لانهم لو كانوا كلهم طائعين لفاته أجر الصبر ولو كانوا كلهم عاصين لفاته أجر الشكر ولما غلبت الرحمة على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والشفقة وتمنى أن الناس كلهم يؤمنون به و بما جاء به أوحى الله تبارك وتعالى اليه ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية وقال تعالى ولوشاء الله لجمعهم على الهدى الآية وقال تبارك وتعالى ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم ترددى الى بيوت الحكام الالضرورة شرعية ترجح على عدم ترددى مما ينفعنى أو ينفع أحدا من المسلمين فعلم أنه يشترط النية الصالحة فى التردد وعدمه فربما يترك بعض الناس التردد الى الحكام تكبرا عليهم وذلك من الجهل فان قاضى العسكر والمحتسب أكبر منه عند غالب الناس بيقين و يرفعونه عليه غيبة وحضورا ولوأن الواحد منا قال للناس عظمونى مثل ما تعظمون الحاكم الفلانى لسخروا به ولم يجيبوه فالعاقل من عرف مقامه وسيأتى فى هذه المنن ان بعض العارفين كان يعظم ولاة الامور و يقول هذا أدبنا معهم فى هذه الدار وسوف يعلمنا الله تعالى الادب معهم اذا انتقلنا الى الدار الآخرة انتهى فالله تبارك وتعالى

القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة وقال فى قوله سبحانه وتعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال بقرة كل انسان نفسه والله أمرك بذبحها وقال فى قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قبل انما وقع التفصيل فى العبارة أدبا من الله لنا فاضاف المحاسن اليه وأضاف المساوى الينا وان كان فعل العبد كله خلق الله حسنه وسيئه كما قال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما فاضاف ذلك الى الله وقال فى السفينة فاردت ان أعيبها ولم يقل فاراد ربك أن يعيبها أدبا فى التعبير وكما قال ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض لنفسه والشفاء لله عزوجل ومنهم من قال ان ذلك داخل فى مضمون القول وان هذا التفصيل حكاه الله عنهم والتقدير فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا فى قولهم ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ورد عليهم بقوله قل كل من عند الله وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يولج المعصية فى الطاعة والطاعة فى المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها و يعتمد عليها و يستصغر من لم يفعلها و يطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيئات

يجعلنا واخوانا ممن تكون حركاتهم وسكناتهم محررة على الشريعة تحرير الذهب آمين اللهم آمين فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تعليمي الادب للامراء اذا اجتمعت بهم عند تعين ذلك على فان الناصح لهم أعز من الكبريت الاحمر وغالب الناس يستحي أن ينصحهم هيبة لهم أو خوفا من شرهم ولعدم اكتراثه بذلك ومن هنا كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يقول لاتدخلوا على الامراء ولو بقصد نصحهم فان سلامتكم منهم مقدمة على آفة الدخول عليهم انتهى ولما دخلت على الوزير علي باشا مصر في خيمته حين برز السفر سلخ المحرم سنة احدى وستين وتسعمائة تلقاني من خارج الخيمة وعضدني من تحت ابطي واجلسني على فراشه وجلس هو دوني وقال لي مهما يكن لكم من الحوائج فارسلوا النا بها ورقة في اصطنبول نقضها لكم فاننا هناك لاهل مصر أحسن من أقامتنا عندهم لقربنا هناك من السلطان فقلت له ليس للفقراء بحمد الله تعالى عند الولاة حاجة ولكن ان كان لكم أنتم حاجة فاعلمونا بها نسأل الله تعالى لكم فيها فاطرق مليا ثم قال استغفر الله أنتم تعلقتم بالحق تعالى ونحن تعلقنا ببعض عبيده فكان الصواب معكم لان الحق تعالى بيده ملكوت كل شئ انتهى فكان في اعلامي له بان الفقراء محتاجون الى الله تبارك وتعالى لا الى خلقه وانهم يشفعون في غيرهم من الملوك والملوك لا تشفع فيهم بيان مقام الفقراء وتعليم الباشا الادب معهم وما رأيت أحدا ممن دخل عليه من الفقراء معهم خاطبه بمثل ذلك ولا بين له مقام الفقراء والادب معهم بل قال لي بعضهم اذا دخلت عليه فاسأله شيأ من الدنيا ولا تردها عليه فيسيء ظنه بالفقراء فلا يعود يعطي أحدا منهم شيأ ويقول ان هؤلاء معهم دنيا اهـ فافهم ذلك يا أخي والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدري على شئ فاتني من الدنيا وتكدري ممن صدها عني وذلك لعلمي ويقيني بان كل شئ فاتني فليس هو برزقي ولا قسم لي فكيف أحزن على شئ لم يقسمه الحق تبارك وتعالى لي أو أتكدر ممن صدذلك عني بالوهم وهذا خلق غريب في هذا الزمان وغالب الناس يحزن ويتكدر ممن سعى في قطع رزقه أو خروج وظيفته عنه وربما عادى من عارضه في رزقه الذي كان يتوهم انه له أبدا ما عاش (وقد رأيت) خطيبا كان يخطب في الجامع الازهر فلما دخل السلطان سليم مصر وصلى في الجامع الازهر قال الناس لا يخطب اليوم الا فلان لفصاحته ومعرفته بالوعظ المناسب للسلطان ومنعوا صاحب النوبة تلك الجمعة لعجزه عن مثل ذلك فلما خطب رسم له السلطان بخمسين دينارا فقال هذه لي ولم يعط صاحب النوبة منها شيأ فمشيت في الصلح بينهما فلم أقدر ولم تزل العداوة بينهما الى أن ماتا على العداوة فقلت لصاحب النوبة أين قولك في الخطبة والله ثم والله ما يعطي ويمنع ويضع ويرفع الا الله تعالى فما تدري ما تقول وبالجملة فلا يقع في مثل ذلك الا جاهل محجوب عن الله تعالى فان كان ولا بد للمؤمن من أن يحزن فليحزن على ساعة مرت به لم يذكر الله تعالى فيها فان ذلك محمود ولو لم يمكن تداركه لما فيه من تعظيم لجناب الله تعالى والحزن على فوات مجالسته تعالى والوقوف بين يديه جل وعلا كما هو شأن كل محب مع محبوبه ومن لم يحزن على فوات مجالسة محبوبه فليس له في مقام المحبة نصيب (واعلم يا أخي) ان الحزن على ما فات من الطاعات انما هو محمود للعبد ما دام محجوبا يختار خلاف ما يختاره له ربه جل وعلا فاذا رفع عنه الحجاب لم يجد شيأ قسم له ثم فاته أبدا لان ذلك لا يصح عقلا ولا شرعا (وكان) الشبلي رضي الله تعالى عنه يقول وهو في بداية أمره اللهم ان عذبتني بشئ فلا تعذبني بذل الحجاب فلما كمل حاله صار يقول الحمد لله الذي حجبني في الوقت الفلاني عن شهوده فانه تعالى ما حجبني عنه الا رحمة بي خوفا ان لا أقوم بأدب الشهود وتارة يقول اني لا أشتهي رؤية الله عز وجل أبدا فقيل له في ذلك فقال انزه ذلك الجمال البديع عن رؤية محدث مثلي انتهى ولكل مقام رجال فافهم يا أخي ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدري اذا أمسيت أو أصبحت وليس عندي شئ من الدنيا وانقباض خاطري اذا أصبحت أو أمسيت وعندي دينار أو درهم عكس ما عليه من يحب الدنيا وكان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أمسى وعنده شئ من

فايهما الطاعة وأيهما المعصية وقال الفتى من كسر الصنم قال الله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال رضي الله عنه في قوله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم بتغيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله دائم وان الاضطرار نعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممد عدمه ومدد عدمه وكما ان الحق سبحانه هو الغني أبدا فالعبد مضطر اليه أبدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله فيها غير أنه غمس اضطراره في المنة التي أفرغت عليها ملابسها وهذا هو حكم الحقائق أن لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم صنعته الكشف أي علم كان وفي أي وقت كان والارادة صفتها التخصيص أي ارادة كانت وفي أي وقت كانت ومن اتسعت أنواره لم يتوقت اضطراره

الدنيا ولم يجد من يقبله من الفقراء والمساكين لا يأوي الى بيته ثلاث الليالي بل ينام في المسجد انتهى ولم أزل أنا بحمد الله تبارك وتعالى على هذا الحال الى ان دخلت سنة سبع وخمسين وتسعمائة فاطلعني الله تبارك وتعالى على أنَّ في كل انسانٍ ماعدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام جزأ يضطرب ويهتم بامر الرزق لا يسكن عن ذلك الاضطراب الا ان كان عنده شئ من الطعام أو شئ من الدنيا يشترى به ما يحتاج اليه في دنياه في تلك السنة وأنا أجعل عندي تارة طعاما وتارة نحو المائة نصف ونحو ذلك مما هو دون النصاب (وكان) على هذا المذهب جماعة من السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم منهم سفيان الثوري وسليمان بن يسار وأبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم فكان سفيان رضي الله تعالى عنه يقول الدنيا وان كثرت لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة وما عسى يصيب الواحد منها حتى يزهد فيه أو يأخذه وكان رضي الله تعالى عنه يقول أحب ان لا أخلي بيتي من الذهب والفضة ليلة واحدة (وكان) رضي الله تعالى عنه يقول لان أخلف بعدي أربعين ألف دينار مع قلة الاهتمام بامر رزقي أحب الي من ان أموت خالي اليد من الدنيا وأمتعتها وأنا مهتم بامر رزقي فان ذلك يؤذن بالاتهام للحق جل وعلا (وكان) رضي الله تعالى عنه يكوم الذهب بين يديه يذريه في الهواء ويقول لولا هذا الذهب لتمندل الناس بنا (وكان) أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه يقول ليس الشأن ان تصفّ قدميك للعبادة وغيرك يفت لك انما الشأن ان تحرز عندك قوتك ثم تغلق بعد ذلك بابك (قال) رضي الله تعالى عنه وقد غلط في هذا الامر خلق كثير فتجردوا في الظاهر عن الدنيا ثم تطلعوا بالمعاني الى أيدي الخلائق ليطعموهم ويكسوهم وينفقوا عليهم فاحرز يا أخي قوتك ثم اغلق بابك فحينئذ لا تبالي بأي داقٍّ دقّ الباب بخلاف ما اذا لم يكن في بيتك شئ فانك تصير تقول اذا دق داق الباب لعل مع هذا شيأ أنا كله انتهى (ويؤيد) ذلك قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لا تشاورْ من ليس في بيته دقيق أي لان عقله مشتت وتدبيره ناقص انتهى (واعلم) يا أخي ان امساك الدنيا والبيات عليها على اسم غيرنا من المحتاجين لا يقدح في مقام الزهد بخلاف الامساك على اسم العبد نفسه فربما كان ذلك لشح في الطبيعة (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يخلو المدخر للدنيا من حالين اما ان يكشف له ان ذلك من رزقه أو لا يكشف له فان كشف له أن ذلك من رزقه فالادب انفاقه على الناس اذا طلبوه منه فيكسب الثناء الحسن ويحبب نفسه اليهم ثم انه يرجع بعد ذلك اليه بطريق من الطرق فلا يقدر أحد منهم يتناول منه ذرة واحدة وبذلك يخرج عن رطة الادخار بغير حاجة وان كان لم يكشف له انه من رزقه فهو مخير في ادخاره وعدمه وينتظر بعد ذلك فكل من قسم له فهو له (وبالجملة) فلا يقدر على التخلق بهذا الخلق الا من سلك على يد شيخ وصبر تحت تربيته حتى خلقه بصفات العبودية فيرى انه ليس له مع سيده ملك في الدارين انما هو عبد استخلفه الحق تبارك وتعالى في ماله لينفق منه على عباده بالمعروف ويتساوى عنده كون جميع أموال الناس عنده أو عند غيره على حد سواء ولهذا الخلق حلاوة يجدها العبد في نفسه أشد من حلاوة الامساك عند أهل الدنيا كما يعرف ذلك أهل الله تبارك وتعالى (ولما) ترك ابراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه الملك ولاموه على ذلك فقال لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل العبد في مقام العبودية حتى لا يرى له ملكا مع الله تبارك وتعالى في الدارين انما هو عبد يأكل من مال سيده ويلبس من مال سيده ويسكن دار سيده وحينئذ يخرج من ورطة الامساك والادخار جملة واحدة ولا يصير يشح في شئ يسئل فيه الا لغرض شرعي انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به يا أخي والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) عدم مبادرتي للانكار على من رأيته يأخذ مال الولاة الا بطريق شرعي سواء كان طعاما أو ثيابا أو غير ذلك بل أتربص في ذلك فربما كان ذلك الشيخ يصرف ما يأخذه من الظلمة للمعاويج كالذي ارتكبته الديون وطلع عليه الحب الفرنجي وهو ذو عيال وكالعميان والعجائز والايتام ونحو ذلك ممن لا يقدر على التعفف عن مثل ذلك وكذلك لا ننكر عليه اذا رأيناه يأكل من ذلك لانه ما أكله الا عند الضرورة الشرعية بخلاف ما اذا رأيناه يجمع مال الظلمة ولا يعطي منه أحدا من المحتاجين شيأ

وقد عتب الله قوما اضطروا اليه عند وجود أسباب ألجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال الله سبحانه واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى ولما لم تصل عقول الغموم الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الهيبة ومن الدليل على فخامة رتبة الاضطرار ان الحق سبحانه أوقف الاجابة عليها فقال أمن يجيب المضطر اذا دعاه واذا أراد الله تعالى أن يعطي عبدا شيأ وهبه الاضطرار اليه فيه فيطلب بالاضطرار فيعطى واذا أراد الله ان يمنع عبدا أمرا منعه الاضطرار اليه فيه ثم منعه اياه وقالت حجة الله على العبد لو اضطررت الينا لاعطيناك فلا يخاف عليك ان تضطر وتطلب فلا

و يتوسع هو به فى مأ كله أو ملبسه أو مؤنة حجه فمثل هذا لا ننكر عليه من غير رؤية شوف نفس عليه الا على وجه النكر لله تبارك وتعالى فننكر عليه شفقة على دينه ولحمه من النار كما أشار اليه حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ثم بعد انكارنا عليه نتوجه الى الله تبارك وتعالى وندعو له بالمغفرة والمسامحة وارضاء الخصوم الذين جمع ذلك الظالم المال منهم ثم نشكر الله تعالى الذى عافانا من مثل ذلك (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يرد مال الولاة الذى يعطونه له ليفرقه على المحاويج و يقول من جمعه فهو أولى بتفرقته ثم قبله أواخر عمره وصار يفرقه على المحاويج وصار يقول ماثم درهم من شبهة الاوفى الوجود من يستحق الانتفاع به من أصحاب الضرورات كالذى طلع عليه الحب الفرنجى فى الشتاء ولا يقدر على عمل حرفة ولا أحد يفتقده ولا عياله برغيف (وبالجملة) فلا يقدر على ترك الفضول وترك المبادرة الى الانكار بغير علم الا من راض نفسه على يد شيخ حتى صار يثقل عليه النطق بالكلام (وأما من شبع) من الشهوات فالفضول من لازمه لا يقدر على ترك كثرة الكلام الحرام فضلا عن الفضول بل سداه ولحمته كثرة كلام فرحم الله من أتى البيوت من أبوابها وقد تقدم فى منة حسن الظن ان الانسان لا يقدر على حسن الظن بالناس الا ان نظف باطنه من سائر الرذائل والا فمن لازمها سوء الظن قياسا على ما فى نفسه هو وان الانسان مادام يسىء الظن بأحد فهو لم يتطهر من الرذائل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رضاى عن ربى عز وجل اذا قتر على الرزق كرضاى اذا وسع على لعلمى بأنه أعلم بمصالحى من نفسى ولا يفعل معى الا ما سبق به علمه وليس لعبد أن يقول لسيده ردعنى ما سبق فى علمك ولو سأل ربه فى ذلك لا يجيبه اذ لا يمكن تبديل ما قسم وأيضا فانه اذا قتر على الرزق فقد سلك بى طريق أنبيائه واصفيائه واذا وسع على فقد سلك بى طريق أعدائه فى الغالب فان فى الفقر عدم الغفلة عن الله تبارك وتعالى ورقة الحجاب وفى سعة الرزق كثرة الغفلة عن الله عز وجل وكثافة الحجاب وسيأتى بسط ذلك فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رضاى عنه تبارك وتعالى اذا قدر على معصية كما أرضى عنه تعالى اذا قدر لى طاعته لكن من حيث التقدير لا من حيث الكسب لان المعاصى بريد الكفر ومقدمته وهذا هو معنى قول أهل السنة والجماعة رضى الله تعالى عنهم يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى ومعنى قولهم أيضا نؤمن بالقدر ولا نحتج به (وايضاح ما قلناه) من الرضا ان يعلم العبد ان سيده فعال لما يريد لا يتوقف على غرض عبيده فله ان يستعمله تارة فى تقليب المسك وتارة فى تقليب الزبل فالمسك مثال الطاعات والزبل مثال المعاصى وميزان الشرع فى يد العبد لا يضعها من يده لحظة فما كان من طاعة قال الحمد لله وما كان من معصية قال أستغفر الله (فان قيل) اذا كان فعل العبد خلقا لله تبارك وتعالى فكيف سميتموه زبلا فى حق العاصى (فالجواب) قد قال تبارك وتعالى الله خالق كل شئ فخالق الحسن والقبيح ولكن من الادب أن لا يثنى على الحق تبارك وتعالى الا بما هو حسن فى العرف فلا يقال سبحان خالق القردة والخنازير وان كان ذلك حقا فمثال الطاعات والمعاصى مثال صندوقين محشوين مسكا وكتب على ظاهر أحدهما مسك وعلى ظاهر الآخر زبل فهل ينقلب ما فى باطن ذلك الصندوق من المسك زبلا بكتابة الاسم عليه لا والله لا ينقلب بل هو مسك من حيث انه فعل حكيم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من تأمل فى مقدورات الحق تبارك وتعالى وجدها فى غاية الكمال وعلم ان الحق جل وعلا لم يقدر على عبد معصية الا لحكمة اما اختبارا له واما لوقوعه فى عجب بأعماله أو تكبره بها على أحد من المسلمين ونحو ذلك فان العبد مادام مستقيما فى أحواله كلها فهو محفوظ من الوقوع فى المعاصى جملة وتامل يا أخى الانبياء وكمل الاولياء لما كان من شأنهم الاستقامة كيف حماهم الله تعالى من المعاصى جملة اما عصمة واما حفظا بخلاف غيرهم فان الله تبارك وتعالى ينوع عليهم الواردات ليخلصهم من ورطة أمور أخر كما قال تبارك وتعالى وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون وفى المثل السائر

تعطى بل يخاف عليك أن تحرم الاضطرار فتحرم الطلب أو تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء وقال فى قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ثم قال بعد ذلك وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذكر بعض الناس فى هذا تاويلا لا يرضى ولا ينبغى أن يلتفت اليه وهو انه كان حبها لله وحده فلما ولدت انقسم حبها وليس كما قال هذا القائل لانها صديقة كما أخبر الله عنها وأمه صديقة والصديق والصديقة لا ينتقلان من حالة الا الى أكمل منها ولكنها كانت فى بدايتها متعرفا اليها بخرق العادة وسقوط الاسباب فلما تكمل يقينها أرجعت الى الاسباب فالحالة الثانية أتم من الحالة الاولى وقال رضى الله عنه الفتوة الايمان والهداية قال الله سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى حاكيا عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوق للتوحيد وتحت للاسلام والشيطان لا يمكنه أن

من

من لم يحظ بشراب الميون جاء بحطبه فشراب الميون هنا هو كناية عن الطاعات وحطبه هو كناية عن المعاصى (وفى كتاب) الحكم لسيدى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا يعنى بالنظر للاثر فان الله تبارك وتعالى ما وضع التكاليف فى عنق المكلف الا ليذل بها نفسه فلما خالف وتكبر بها مثل ابليس كان أثر المعصية من الذل والانكسار أحسن أثرا من أثر تلك الطاعات التى رأى بها نفسه على الخلق فافهم (ويحتاج) صاحب هذا الخلق الى ميزان دقيق يفرق به بين الحق والباطل ليعطى كل واحد منهما حقه فيستغفر و يندم من حيث كسبه ونفسه و يرضى من حيث كون ذلك من تقدير ربه عليه (وكان) سيدى عبد القادر الدشطوطى رضى الله تعالى عنه يقول ما دام العبد بعيدا من حضرة ربه فلا يلزمه غالبا كثرة الاعتراض على مقدور الحق تبارك وتعالى فاذا قرب من الحضرة أطلعه الله تبارك وتعالى على ما فى أفعاله من الحكمة فلم يطلب قط تغيير شئ برز فى الكون الا بوجه شرعى حياء من الله تبارك وتعالى وكان سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه يقول لا يقدح فى كمال الولى منازعته للاقدار الالهية اذ من شأن الكامل أن ينازع أقدار الحق بالحق للحق (وفى رواية) أخرى عنه رضى الله تعالى عنه انه كان يقول كل الرجال اذا ذكر القدر أمسكوا الا أنا فانه فتح لى فيه روزنة فدخلت ونازعت أقدار الحق بالحق للحق فالرجل هو المنازع للقدر بالقدر لا الموافق له انتهى وهو كلام نفيس ومعناه ليس الرجل من يكون راضيا بالمعاصى و يحتج بالقدر انما الرجل من يدافع الاقدار حتى لا تقع ثم ان وقعت كذلك أعطاها حقها من الاستغفار والتوبة والندم والحزن (فعلم) ان كراهة العبد للوقوع فى المعاصى لا تقدح فى رضاه عن الله تبارك وتعالى وتسليمه لاقداره بل هو مطلوب شرعا اذ المعاصى موجبة لسخط الله تعالى على العبد ومن فر من مواطن السخط فهو مأمور بذلك كأن من رأى حائطا قد مال للسقوط فليس له أن يقف تحتها ينتظر سقوطها عليه ليموت ومن فعل ذلك فحكمه حكم قاتل نفسه وقد توعده الله تبارك وتعالى بالعذاب لانه تعدى على الحق تعالى فى استجلاب الاذى ببدنه الذى هو بنية الله تبارك وتعالى ولا يهدم البنية الا خالقها وأما العبد فالواجب عليه السعى فى حفظها من سائر الآفات الظاهرة والباطنة فهو ولو علم أن الله تعالى قدر عليه معصية يجب عليه مدافعتها حتى تقع بمحض القدر و يثاب على ذلك كما بسطنا الكلام عليه فى كتاب اليواقيت والجواهر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اعتمادى على شئ من طاعاتى دون الله تبارك وتعالى فان كل من اعتمد على غير الله تبارك وتعالى تخلى عنه فى الآخرة والله ثم والله ثم والله انى لا انصرف من صلاتى وأنا فى خجل من ربى عز وجل أكثر من خجلى اذا عصيته لسوء ما يقع لى فى صلاتى من شهودى سوء الادب والغفلة عما يليق بتلك الحضرة ولا أتجرأ أن أقول فى سجودى أو فى ركوعى اللهم لك سجدت و بك آمنت أو اللهم لك ركعت الى آخره الا ان أعقبت ذلك بقولى سجودا أو ركوعا أستحق به فى اعتقادى المؤاخذة لولا عفوك وحلمك وشفقتك على فلك الفضل الذى لم تخسف بى الارض ولم تمسخ صورتى انتهى فلو نظر العبد لوجد سداه ولحمته ذنوبا بالنظر لما يستحقه جلال الله عز وجل ومن كان هذا مشهده لا يقدر أن يرفع له بين العباد رأسا وفى منظومة الشيخ اسمعيل بن المقرى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته وامداداته

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة * اذا عددت تكفيك عن كل زلة

تصلى بلا قلب صلاة بمثلها * يكون الفتى مستوجبا للعقوبة

صلاة أقمت يعلم الله أنها * بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

الى آخر ما قاله رضى الله تعالى عنه فعلم ان من كان ما ذكرناه مشهده فى طاعاته فهو غائب عن طلب ثواب بفعلها بل لا يتجرأ أن يطالب ذلك من الله أبدا فحكمه كالمجرم الذى أتوا به بين يدى الوالى بسبب قتل أو عمل زغل أو فجور بامرأة أمير أو نحو ذلك فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى للمقاريض الذين يقرضون فى اعراض الناس بغير حق

سره محبة الله تعالى وقال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح منى * و بذا سمى الخليل خليلا

واذا ما نطقت كنت كلامى * واذا ما صمت كنت الغليلا

وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله وابراهيم الذى وفى قال وفى بمقتضى قوله حسبى الله وقال فى قوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قال من طاعاتهم وأعمالهم التى قاموا بها لله فى لياليهم أن يشهدوها من أنفسهم ودليل ما قاله الشيخ ان الله سبحانه وصفهم قبل ذلك بقوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ثم قال و بالاسحار هم يستغفرون فلم يتقدم منهم فى لياليهم ذنوب يكون استغفارهم منها وقد جاء فى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال الواسطى العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقال رضى الله عنه فى قوله قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون أى من طاعاتهم وأعمالهم ومثل ذلك ورحمة ربك خير مما يجمعون وقال فى قوله تعالى

فاقدم لاحدهم الطعام اذا ورد على وأبش له فى وجهه وأباسطه وكثيرا ما أعطيه ردائى أو قيصى أو شيأ من الدنيا ونحو ذلك مما يحببه فى فاذا أحبنى ومال الى ثم سمعته يذكر أحدا بسوء قلت له وأنا متبسم يا أخى ماهى عادتك تذكر أحدا بسوء فانه يخجل من ذلك ويستحى ان يكمل الحكاية فاذا خجل من ذلك واستحى وسكت داو يناه بنحو قولنا للحاضرين فلان يلتق من غير أخينا ولا يلتق منه ثم نقول للحاضرين لو كان أصحابنا كلهم مثل صاحبنا هذا كانوا بخير فانه يحببى حاله لكونه رجلا حقانيا لايداهن أحدا فى حق ويقبل النصح من المحببين ونغالطه فى نفسه فاذا غلط فيها قلناله قد أحببناك يا أخى فى الله واشهدوا على انه أخى دنيا وأخرى ان شاء الله تعالى ولكن مقصودى ان نتبايع فى هذا المجلس على ان أحدا منا لايذكر أحدا قط بسوء ولا يقر على معصية ولا غيبة فى أحد من المسلمين فلا يسع الحاضرين الا أن يجيبوا الى تلك المبايعة ويدخل ذلك المقراض فى جملتهم ويبايع فاذا بايع تصرفنا فيه بعد ذلك لاجل الشرط شيأ فشيأ حتى يصير ان شاء الله تعالى لايذكر الناس فى مجلسنا الا بخير (وهذا) الخلق قل من يفعله من الناس فانهم اما أن ينكروا على ذلك المقراض ويعبسوا وجوههم فى وجهه فيخرج مقراضا فيهم كذلك واما أنهم يشاركونه فى الغيبة فى الناس واما أن يسكتوا على تلك الغيبة ومن أدب مجالس المؤمنين أن لايذكر فيها أحد بغيبة ولا يشمت فيه بمصيبة ولا خير فى مجلس يقوم أهله كلهم متحملين الاوزار (وكان) من حسن سياسة أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله انه كان اذا علم من أحد أنه يغتاب الناس يقول للحاضرين أول ما يجلس عنده مثل صاحبنا هذا هو الذى ينبغى للفقير أن يتخذه صاحبا لكونه لايذكر الناس قط الا بخير فيلجمه فى ذلك المجلس عن الغيبة حتى يقوم لانه يستحى ان يخيب ظن الناس فيه الخير (وقد) تحزب عليه رضى الله تعالى عنه مرة جماعة بالباطل وجاؤا معهم بجماعة من الزواقير يدون سب الشيخ فقال لى ايش قلت فمن يلجم لك هؤلاء الزواقى فلا يقدر أحد منهم ان يكلمنى كلمة قبيحة ويخالفون جميع ما اتفقوا عليه مع أصحابهم فقلت له وماذا تفعل فقال أقول لهم الحمد لله الذى لم تجيبوا معكم الا جماعة خيرين دينين يستحيون أن يتكلم أحد منهم بين اثنين أو يساعد أحدا على الباطل ولو كان أباه أو أخاه ولم أسمع منهم فى عمرى الا الكلمة الطيبة فالجموا كلهم عن سيدى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه فلم يقدر أحد منهم على النطق بكلمة فى حقه وصار أصحابهم يغمزونهم أن يسبوه كما وعدوهم فلا يستطيعون بل انقلبوا على الذين جاؤا معهم ثم قال سيدى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه ايش قلت فى هذه السياسة فقلت له عظيمة فقال نصرناهم وكففناهم عن الوقوع فى الاثم بسبب ما كانوا أضمروه لى من السب وصار وا انصرة لى على أصحابهم الذين جاؤا بهم انتهى (فتعلم) يا أخى هذه السياسة واعمل بها بقصد حماية دين أعدائك عن النقص واياك ان تعلم أعداءك انك تكرههم فانهم يزدادون فيك عداوة ويتعبون سرك انتهى والله انى لاعرف جماعة من الفقهاء كانوا يكرهوننى فما زلت أقول للناس انى أحب فلانا لدينه وخيره فيبلغه الناس ذلك فتقل عداوته حتى صار من أصحابى ولو انى كنت قلت انى أكره فلانا لقلة دينه لكان ازداد عداوة وبغضا واذا أردت يا أخى ان لاتجرئ عليك السفهاء فلا تجبهم اذا شتموك ولا تقل قط لاحدهم البعداء عندى مثل النعل أو أقل أو أخس فانهم اذا تأدبوا معك قالوا لك وكذلك أنت الآخر عندنا لانهم اسفه منك بيقين وأقل حياء (وقد قال) الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته وامداداته

اذا سبنى نذل تزايدت رفعة * وما العيب الا ان وقفت أسابيه

(وقال) رضى الله تعالى عنه وأرضاه لاينبغى للعالم أن يرد على سفيه قط بالسفه فان كان ولابد فليجعل عنده سفيها يسافه عنه السفهاء انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم رؤيتى فى نفسى أننى معدود من جملة علماء الزمان بل لم يزل جهلى مشهودا لى على الدوام ولو أن السلطان رسم لاهل العلم والصلاح فى مصر كل واحد بالف دينار لاتحدثنى نفسى بانهم يعطونى من ذلك شيأ (وهذا) الخلق من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وغالب من يدعيه متفعل فيه

سبحان الذى أسرى بعبده ولم يقل بنبيه ولا برسوله وهو نبيه ورسوله وانما كان كذلك لانه أراد أن يفتح باب السريان الاتباع فاعلمنا ان الاسراء من بساط العبودية والنبى صلى الله عليه وسلم كان له كمال العبودية فكان له كمال الاسراء أسرى بروحه وجسمه وظاهره وباطنه والاولياء لهم قسط فى العبودية فلهم قسط من الاسراء يسرى بارواحهم لا باشباحهم وسمعته يقول فى قوله تعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ان المتقين فى جنات ونهر فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى جنات العلوم وأنهار المعارف وفى الآخرة فى الجنة التى وعدوا بها فى مقعد صدق فى هذه الدار وفى تلك الدار عند مليك مقتدر فى هذه الدار وفى تلك الدار وبسط كلام الشيخ هو أن نعيم الجنة الكائن فيها تكون رقائقه معجلة للمتقين فى هذه الدار فما كان لهم فى الجنة حسا يكون لهم فى هذه الدار معنى ومثل هذه الآية قوله ان الابرار لفى نعيم أى فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى نعيم الشهود وفى الآخرة فى نعيم الرؤية وكذلك قوله وان الفجار لفى جحيم أى فى هذه الدار وفى تلك الدار فى هذه الدار فى جحيم القطيعة وفى تلك الدار فى جحيم العقوبة

فيقول

فيقول أحدهم نحن لسنا من العلماء واذا فرق السلطان على العلماء مالا فلم يعطوه شيأ تكدر وتميز من الغيظ ففعله هذا يخالف دعواه فليمتحن الناصح لنفسه نفسه بهذا الميزان فان رآها انشرحت لكل شئ فاتها مما هو على اسم العلماء من وظائف ونقود فليعلم انه صادق فى شهوده فى نفسه الجهل اذا الجاهل اذا بلغه أن السلطان رسم بمال للعلماء لا تحدثه نفسه قط بانهم يعطونه من ذلك شيأ وكذلك صاحب هذا المقام كامر (وقد رأيت) من يدعى الجهل من طلبة العلم قد كتبوا اسمه فى ديوان صدقات السلطان فجاء واحد وقال للكاتب امح اسم فلان فانه متورع ولا يأكل قط من مال السلطان فمحا اسمه فلا تسأل يا أخى ما حصل لذلك الواحد فصار يقول له أنا عظمتك ووصفتك بالورع حماية لك من الشبهات فيقول له أنا ما قلت لك انى ورع ولم يزل معاديا له حتى مات (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من نظر فى علوم السلف الصالح حكم على نفسه بالجهل ولم يحدث نفسه قط بانه من العلماء انتهى (وقد نقل) ابن السبكى رحمه الله تعالى ان كتب خزانة المدرسة النظامية حرقت فى زمان حياة نظام الملك فشق عليه ذلك فقالوا له لا تخف فان ابن الحداد على الكتاب جميع ما حرق من حفظه فأرسلوا خلفه فأملى جميع ما حرق فى مدة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو ذلك (ونقل) أصحاب الطبقات ان ابن شاهين الحافظ صنف ثلثمائة وثلاثين مؤلفا (منها) تفسيره للقرآن فى ألف مجلد (ومنها) المسند فى ألف وستمائة مجلد وذكروا انه حاسب الحبار فى استجراره منه الحبر للكتابة أواخر عمره فبلغ ألف رطل وثمانمائة رطل (وحكى) بعضهم ان الشيخ عبد الغفار القوصى صنف فى مذهب الشافعى باخميم ألف مجلد (وحكى) الجلال السيوطى رحمه الله تعالى ان الشيخ أبا الحسن الاشعرى رضى الله تعالى عنه ألف تفسيرا استمائة مجلد قال وهو فى خزانة النظامية ببغداد (وحكى) أيضا رضى الله تعالى عنه عن محمد بن جرير الطبرى الذى ادعى الاجتهاد المطلق بعد الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه انه كان يحفظ من العلم وقر ثمانين بعيرا (وحكى) الشيخ تقى الدين السبكى رضى الله تعالى عنه أن محمد بن الانبارى رضى الله تعالى عنه كان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة (وحكى) أيضا رضى الله تعالى عنه أن الامام الواحدى رضى الله تعالى عنه كان يحفظ من كتب العلم وقر مائة وعشرين بعيرا (قال) رضى الله تعالى عنه ومن الغريب ان محمد بن سينا لامه انسان على عدم حفظه للقرآن فحفظه كله فى ليلة ولم يكن سبق له قبل ذلك حفظ سورة منه غير الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين وكان لا يسمع شيأ الا حفظه من أول مرة وكذلك الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه فكان يقول ما سمعت شيأ قط ونسيته بعد ذلك (وروينا) عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه انه كان يقول لو شئت لاوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى الباء (وكان) الليث بن سعد الامام رضى الله تعالى عنه وأرضاه يقول لو كتبت ما فى صدرى ما وسعه مركب انتهى (فانظر) يا أخى الى علمك مع هذه العلوم التى أوتيها غيرك من العلماء الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم تجده لا يجىء قطرة من البحر المحيط وهنالك تحكم على نفسك بالجهل (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من أراد أن يعرف مرتبته فى العلم فليرد كل قول علمه الى قائله وينظر فى نفسه فما بقى معه بعد ذلك فهو علمه الذى يبعث عليه يوم القيامة ويثيبه الله عليه ويأجره وما زاد على ذلك فله ثواب حمله لا غير (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول لا يبلغ العبد مقام الكمال الا ان صارت مذاهب المجتهدين نصب عينه (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول لا يكمل الرجل عندنا فى الطريق حتى يقدر على استخراج جميع أحكام القرآن من أى حرف شاء من حروف الهجاء انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) نفرة طبعى ممن يمدحنى فى المجالس بنظم أو نثر من حيث خوفى من رؤية نفسى لذلك فاهلك مع الهالكين ثم انى بعد ذلك أشكر الله تعالى الذى أطلق بعض الالسنة بمدحى مع أنى لا أستحق ذلك ثم بعد ذلك أيضا أفتش نفسى فربما كان حب المدح كامنا فيها فيورثها المدح بعض زهو وعجب فيعيب على الفقير مراعاة ذلك على ان المادح غالبا لا يخلو من مجازفة وكذب ومثال من يفرح بما قاله الشعراء

وقوله فى مقعد صدق أى فى هذه الدار وفى ثالث الدار فى هذه الدار فى مقعد صدق العبودية وفى ثالث الدار فى مقعد صدق الخصوصية عند مليك مقتدر فى هذه الدار وفى ثالث الدار فى هذه الدار لهم عندية الامداد وفى ثالث الدار لهم عندية الاشهاد وقال فى قوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق الحق الذى خلق به كل شئ كلمة كن قال الله سبحانه ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وقال فى قوله سبحانه أن اشكر لى ولوالديك انما قرنت شكره بشكرهما لانهما أصل فى وجودك وقال فى قوله وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى الى قوله سيرتها الاولى يقال للولى وما تلك بيمينك أيها الولى قال هى دنياى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى وغنمه أعضاؤه ولى فيها مآرب أخرى فيقال له ألقها فناء عنها فالقاها فيكشف له عن حقيقتها فاذا هى حية تسعى ثم يقال له خذها ولا تخف ولا تضره أخذها حين أخذها لانه أخذها باذن كما ألقاها باذن فأخذها من الوجه الذى به ألقاها فاطاع الله فى أخذها كما أطاع الله فى القائها وقال فى قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن انما قال الرحمن ولم يقل القهار ولا العزيز

كذبا مثال من سمع شخصا يقول عنه ما رأيت رائحة أطيب من رائحة غائط فلان اذا دخل الخلاء فيفرح بذلك مع علمه بنتنه فهو الى السخرية به أقرب وكان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول من مدحك بما ليس فيك فقد يذمك بما ليس فيك أي فكما أنه لم يتورع في المدح فكذلك لا يتورع في الذم وأيضا فان غالب الحاضرين لمدحك قد يعرفون من عيوبك ما يصدهم عن قبول المدح فيك اماطا وامادقيقة (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا رأيت نفسك على قدم الاستقامة ثم مدحك انسان فهو تنبيه لك على نقصك ففتش نفسك وتعرف من الله تبارك وتعالى سبب مدح الناس لك فربما علم تعالى من نفسك حب المدح لها على عبادتها مثلا فاعطاك ذلك وجعله هو حظك منه سبحانه وتعالى كما يفرح الوالد الطفل بالجلاجل والشخاشيخ انتهى (وكان) أخي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه يقول اذا مدحك انسان فقل لنفسك لولا أن الله تبارك وتعالى علم منك عدم الاخلاص وعدم الاكتفاء بعلمه وحده لأخفاك كما أخفى عباده المخلصين ولم يبعث لك من يمدحك اذ لا يحتاج الى الترغيب في الطاعات الا من كان يعبد الله على حرف (وأما) مدح الله تبارك وتعالى للانبياء عليهم الصلاة والسلام فانما هو ليعلمنا الله تعالى بعلو مقامهم وصدقهم لنقبل منهم كل ما جاؤنا به من الهدى من غير توقف لا لترغيبهم في الطاعة خوفا أن يخلوا بها كغيرهم فان ذلك لا يحتاج اليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام لعصمتهم (وكان) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يزجر من يمدحه أشد الزجر غيرة لجناب الله عز وجل ان يشركه في صورة المدح أحد مع أنه كان مشهده ان جميع الصفات التي يمدح بها انما هي بالاصالة للحق تبارك وتعالى فكان يحب أن يتميز بالنقص المطلق وليتميز الحق جل وعلا بالكمال المطلق وان كان لم يزل متميزا كذلك وكان رضي الله عنه يقول ليس في حل من يمدحني في غيبتي أو حضوري فان مثلي لو نطقت كل ذرة من جميع الكائنات بهجوه لكان ذلك قليلا انتهى (وهذا) المقام أعلى مما ذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه في حكمه بقوله العارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق والعباد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم ذلك من الخلق انتهى فان الكامل هو من ينظر بالعينين أو العيون لا بعين واحدة فينظران ذلك من الحق بأحد العينين فيشكره على ذلك وينظران ذلك من الخلق بالعين الاخرى فيخاف ويستغفر فقد يكون ذلك استدراجا وقد تحققت بهاتين العينين ولله الحمد (وكان) أخي سيدي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه يقول من ادعى انه وصل الى مقام لا يؤثر فيه مدح الناس له فليمتحن نفسه بما لو ذموه ونقصوه وكفروه فان كان يتأثر من ذلك فهو يحب المدح انتهى وهذه ميزان تطيش على الذر فزجر المادح أو منعه بسياسة أولى حتى لا يعود لمثل ذلك (وكان) سيدي عبد القادر الدشطوطي رضي الله تعالى عنه يقول لا ينبغي للعبد أن يفرح بما آتاه الله تعالى من العلوم والمعارف والجاه الا بعد مجاوزة الصراط وماذا ينفع المدح لمن يسقط يوم القيامة من الصراط في النار انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) موافقتي على مدح من يكرهني اذا سمعت أحدا يمدحه أو يذكره بخير فاظهر البشاشة وطلاقة الوجه حتى لا يكاد يلحق بي أحد اني متفعل بذلك وفي ذلك من حسن السياسة ما لا يخفى على عارف (وفيه) أيضا سد باب الغيبة والنميمة في وفيمن يكرهني فربما اني اذا لم أظهر البشاشة لمدح من يكرهني وانقبضت فهم الناس عداوتي وينفتح للناس باب الغيبة ونقل الكلام بالفساد بيننا وبينه وتكثر الفتنة وتشتد العداوة فيحتاج من يخالط الناس في هذا الزمان الى عقل وافر وسياسة عظيمة والا قال العدو ما شاء من النقائص بخلاف ما اذا قالوا له ان فلانا ظهر لنا منه الفرح والسرور لما مدحناك عنده وتحققنا أنه يحبك وجميع ما بلغك عنه من ضد ذلك انما هو ري فتن من الناقل وأكثر الناس اليوم لا يكادون يذكرون عن بعضهم ما يؤلف قلوبهم أبدا انما يذكرون ما ينفرهم عن بعضهم ويتفرجون عليهم حتى لا يكاد أحد الشخصين يخالط أخاه ساعة بل سمعت بعضهم يقول اللهم ان أدخلتني الجنة فلا تجعلني جار الفلان وقد رأيت شخصين من المدرسين بينهما وقفة فجمعتهما دعوة لعرس فأول ما دخل أحدهما ورأى عدوه هناك شرع في الرجوع

وشرع

لأن تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة مظهران من مظاهر القهر والسطوة فلو قال للقهار أو للعزيز لم يطق العباد ذلك وتفطرت قلوبهم فرفق بهم ان قال الملك يومئذ الحق للرحمن وهكذا قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ولم يقل للقهار ولا للعزيز لان الحشر وهول المطلع شديد فلاطفهم بروحانيته في ظهور سلطان قهره وقال وقد سئل عن قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال القائل من أين للعبد أن يتقي الله حق تقاته ومن أين له أن لا يموت الا وهو مسلم فقال الشيخ رضي الله عنه أقول ان هذه الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم فكانوا قد خوطبوا أولا بتقوى الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ثم خفف عنهم بقوله فاتقوا الله ما استطعتم قال ويمكن الجمع بين الآيتين فاتقوا الله ما استطعتم أي في جانب الاعمال وقوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته أي في جانب التوحيد وقوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أي لا تتعاطوا من الاعمال الا أعمالا اذا متم عليها متم مسلمين وقال رضي الله عنه صليت خلف الشيخ صلاة الصبح فقرأ بحم عسق فلما انتهى الى قوله يهب لمن يشاء اناثا خطر لي

وشرع الجالس فى الخروج فعجز الناس أن يجلسوا أحدهما مع جلوس الآخر فلم يقدروا فخرج الجالس ودخل الخارج فتكدر الوقت على جميع العلماء الحاضرين وعلى كل من كان حاضرا وصار الناس يقولون اذا كان هذا فعل العلماء فى بعضهم فما بقينا نعتب على الظلمة والعوام وحصل لصاحب الوليمة كذلك غاية التكدر واذا كان العلم لا يهذب حامله فكيف يتهذب به غيره انتهى فينبغى لمن حضر وليمة وكان هناك من يتأذى بمجالسته أن لا يدخل لئلا يقع له كما وقع لمن قدمنا ذكرهما من التعزير أو يتصبر حتى ينفض الناس وانه اذا لم يوافق على سماع مدح عدوه فأقل أحواله السكوت (وقد حضرت) مع أخى سيدى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وليمة وهناك شخص من أشد المنكرين عليه فقام المادح يمدح ذلك المنكر فخلع أخى سيدى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه عليه جبته ونقطه بالفضة فزال انكار ذلك الشخص على يدى سيدى أفضل الدين وقام وقبل رأسه وكأن الكراهة التى كانت عنده لم تكن وهذا من حسن السياسة (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة يقول ينبغى للفقير اذا كان فى مجلس وهناك من يحط عليه أو يكرهه أن يذكره بخير للحاضرين من ورائه فانه أقوى فى تخفيف العداوة من مدحه فى وجهه وأكمل فى رياضة النفس وكذلك ينبغى له أن يقوم له اذا قام بقصد ازالة المانع بينه وبينه ويؤجر على ذلك ان شاء الله تعالى وهذا خلق لا يشم رائحته الا من سلك على يد الاشياخ حتى فطموه عن جميع الرعونات البشرية أو من جذبه الحق تبارك وتعالى الى حضرته بغير واسطة أحد من الاشياخ فلم يلتفت الى مراعاة أحد من الخلق الا عن اذن الله تبارك وتعالى والا فمن لازمه غالبا مراعاتهم رياء ونفاقا فيعاملونه كذلك رياء ونفاقا ولا يحصل بذلك تخفيف عداوة (وقد دخلت) بحمد الله تعالى الى مقام صرت أكرم فيه جميع المسلمين وأجلهم وأعظمهم من حيث كونهم عبيد الله عز وجل لا لعلة أخرى وصرت أسعى فى التأليف بينهم بكل ما يمكننى وربما أتانى النمام بكلام قبيح عن بعض أعدائه فاقلبه بكلام حسن وأبلغه له فيتعجب ويقول أنت صادق فيما تقول ولكنى أعرف منه سابقا خلاف هذا ولكن القدرة صالحة (ومما وقع لى) أن شخصا من الحسدة صار يذكرنى بالسوء فى المجالس فصار الناس يقولون لى ان فلانا يقول فى عرضك كذا وكذا فأقول لهم أنا عاهدت الله تعالى ان لا أقبل نميمة من أحد وقد فارقته على صفاء وصلح ولم أجتمع به بعد ذلك فلا أصدق فيه قولا الا ان سمعته منه باذنى فانقطع الناس عن نقل الكلام الى عنه وأنا أعلم انى لو صدقتهم وقابلته بالسوء لنقلوا اليه كذلك ما يسمعونه منى فان من نم لك نم عليك ومن نقل اليك نقل عنك (ولهذا) الخلق حلاوة يجدها الانسان فى نفسه أشد من حلاوة العسل فافهم يا أخى ذلك ترشد واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) عدم المبادرة الى الانكار على من رأيته يسعى على وظائف اخوانه فى هذا الزمان بل أتربص وانظر فى أمره فربما كانت تلك الوظيفة تحت يد من لا يستحقها شرعا لفقد شروط الواقف أو غير ذلك ثم اذا تبين لنا بعد ذلك أنه أخذها من أخيه بغير حق كأن لبس على الناظر حتى جونه فى تقريره فعند ذلك ننكر عليه أشد الانكار وأحسن ما يقول الواحد منا اذا رأى طالب علم سعى على وظيفة أخيه أو سمع عالما ينكر على عالم شيئا لم تصرح الشريعة بحكمه اعلم يا أخى ان فلانا اعلم منى وربما يكون أعلم منك بالشريعة فلولا ان له شبهة حق فى مثل ذلك لما فعله على ان هؤلاء المنكرين لا ينكرون على ذلك الذى سعى غالبا الا من ورائه ولا أحد يبلغه فى الغالب وذلك معدود من الغيبة لا من النصيحة فليتنبه الانسان لمثل ذلك (وقد بلغ) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه ان شخصا يسعى على وظائف الناس ثم ينزل عنها لقوم آخرين بفلوس فأرسل وراءه وزجره أشد الزجر وخوفه من سوء الخاتمة بمقتضى الايذاء وحب الدنيا وتحول عنه بالقلب فتاب الى الله تبارك وتعالى ورجع (وبالجملة) فكل من ذاق ضيق العيش فى الدنيا أقام لمن يسعى فيها الاعذار وصار لا ينكر على الناس الا ما خالف صريح السنة المحمدية أو كلام أئمتها رضى الله تعالى عنهم (وقد كان) طلبة العلم فى الزمان الماضى لهم صدقات وخيرات وهدايات تأتيهم من التجار والاكابر بغير سؤال ويقولون لاحدهم اشتغل بالعلم ونحن نكفيك ما تحتاج اليه من كسوة ونفقة (وكان) كل غنى أو أمير

انما الحسنات ويهب لمن يشاء الذكور فخطر لى انما العلوم أو يزوجهم ذكرانا وانانا علوما وحسنات ويجعل من يشاء عقيما لاعلم ولا حسنة فلما سلم الشيخ من الصلاة استدعانى وقال لقد وجدت فهمك فى الصلاة يهب لمن يشاء انانا الحسنات ويهب لمن يشاء الذكور العلوم أو يزوجهم ذكرانا وانانا علوما وحسنات ويجعل من يشاء عقيما لاعلم ولا حسنة فتعجبت من اطلاع الشيخ على ذلك فقال أتعجب من اطلاعى على فهمك فى الصلاة قد فهم فلان كذا وفهم فلان كذا حتى عد افهام الجماعة الذين خلفه وقال فى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو ففهم قوم من هذا الخطاب انهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أى وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه قيل لبعضهم كيف صنعك مع الشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا الى الله فكفانا من دونه وقال رضى الله عنه قرأت مرة والتين والزيتون الى ان انتهيت الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين فتفكرت فى معنى هذه الآية فكشف لى عن اللوح المحفوظ فاذا مكتوب فيه لقد خلقنا الانسان فى

يفتقد كل ليلة جميع من في حارته من الفقهاء والفقراء بالطعام مهيأ مطبوخا فصار الاكابر اليوم لا يرى أحد منهم حسنة من حسنات الدنيا (وقد قررنا) لاخواننا مرارا ان سعى الفقير وطالب العلم على نفسه في هذا الزمان ليلا ونهارا لا يقدح في مقامه لان جميع ما يحصله بالجرى والتعب قد لا يكفي عياله فسعيه على ما يستره ولو سماه الناس دنيويا أفضل من تركه التكسب ولو سماه الناس صالحا وقد يكون الساعي فقيرا ليس له ما يقوم بأوده والمسعى عليه غنيا لا يحتاج لتلك الوظيفة ولا يقوم بها فاراد الساعي سترة حاله وعياله وأكله بتعاطى تلك الوظيفة على الوجه الشرعي وحمايته من أكله الحرام بأخذه المعلوم وتركه المباشرة فهذا من الساعي مقصد حسن لا ينبغي الاعتراض عليه فيه (فاياك يا أخى) أن تنكر على طالب علم يسعى على قوته وتقول ما بقى عند أحد من الناس قناعة بل تربص وتأمل فربما كان ذلك السعي واجبا عليه والواجب لا يجوز لاحد الانكار على فاعله (وقد بلغنا) أن الشيخ أبا عبد الله القرشي المصرى رضي الله تعالى عنه مر باصحابه على صبى يقرط فريكا من الغيط فقال للصبى هذا حرام عليك يا ولدى فقال لاى شئ يا عم والله انه لزرع أبى وحده وقد أرسلني أقرط منه شيأ نعمله فطيرا لاخوتي فجعل الشيخ أبو عبد الله بين أصحابه ومن ذلك اليوم ما بادر بالانكار على أحد الا بعد علم (وكان) أبو عبد الله هذا من أكابر العارفين وهو تلميذ الشيخ أبي الربيع المالقي رضي الله تعالى عنه (وكان) رضي الله تعالى عنه يقول قلت يوما في دعائي اللهم لا تفضحنى بسر يرتى على رؤس الخلائق فقال له الشيخ أبو الربيع رضي الله تعالى عنه ولاى شئ تجعل لك سر يرة تفتضح بها هلا نظفت نفسك من سائر الادناس انتهى رضي الله تعالى عنهما فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى للامير الذى خدمه أحد من أصحابنا وصار صاحبي يأكل من طعامه الذى غالبه بلص وحرام وذلك بأنى أقول له مشافهة أو في كتاب أرسله له وبعد فانى أوصيك يا أخى ان تأكل من طعام الامير الذى اختاره لنفسه ولا تأكل من طعام أحد من البلاصية الذين حوله الا الدينين منهم فانى أعتقد من الامير التحرز من أكل الشبهات ومقتضى دينه انه لا يأكل الا ما ظهر له حله فان مثل هذا الكلام حق فاذا سمعه صاحبنا أخذ له منه معنى أو سمعه الامير يأخذ له منه معنى أو سمعه المباشرون أخذوا لهم منه معنى من غير ان نسمى أحدا منهم بلاصا أو انه يأكل حراما لاسيما ان كنا نشفع في المظلومين عند ذلك الامير فانه ربما نفرت نفسه من قولنا لصاحبنا لا تأكل من طعامه فيصير يخالفنا في الشفاعات فيتعب سرنا في تحويل قلبه الى ما نطلب منه اللهم الا أن نعلم احتمال ذلك الامير لزجرنا وقبوله نصحنا فلا بأس اذن بالافصاح عن المقصود (وقد كتبت) مثل ذلك للاخ الصالح ابن الصالح سيدى أبي المجد ابن الشيخ أحمد المغربي الزفتاوى نفعنا الله تعالى ببركاته حين عمل اماما وفقيها عند حمزة الكاشف بالغربية فارسلت له اياك ثم اياك والاكل من طعامه أو موافقته على هواه المذموم (وكتبت) للكاشف أوصيك بان لا تقبل كل ما تأتيك به جماعتك واياك أن تغفل عما يفعلونه مع الرعية خوفا من حرقك بالنار (وهذا) دأبي دائما في سياسة الولاة اذا علمت أن أحدا منهم ظلم انسانا لا أجعل ذلك الظلم على علمه أبدا لئلا يصير يخاصم عن نفسه وانما أقول بلغنا ان جماعتك ظلموا فلانا من غير علمك والمسؤل النظر في هذه القضية ولا تكل أمرها لاحد غيرك وأجر الاخ على الله تبارك وتعالى وكثيرا ما أقول السلام على الاخ العزيز العبد الصالح فلان واقصد بذلك صلاحه لاحدى الدارين الجنة أو النار فربما ينكر على بعض الجهلة ويقول لى كيف تصف شيخ العرب الفلانى أو الكاشف الفلانى بالصلاح وهو يظلم الناس وذلك كذب وليس ذلك بكذب على هذا القصد وهو أيضا أخ في الله عز وجل وعزيز على من يحبه وكثيرا ما أقول للظالم أسأل الله تبارك وتعالى ان يدخلك الجنة بغير حساب وأضمر في ذلك انه يتوب عليه ويرضى عنه خصماءه يوم القيامة من فضله ثم يدخله الجنة بغير حساب وكذلك أقول في حق النصارى واليهود من الظلمة لو وقع منا الدعاء لهم بدخول الجنة لا بد ان نضمر الدعاء بوقوع اسلامهم قبل ان يموتوا والا فنحن نعلم قطعا ان الجنة محرمة على الكفار فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

ومما

أحسن تقويم زوحا وعقلا ثم رددناه أسفل سافلين نفسا وهوى وقال في قوله ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه همت به هم ارادة وهم بها هم ميل لا هم ارادة وقال في قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ثم تاب عليهم فقال عن شيخه أبي الحسن ذكر توبة من لم يذنب لئلا يستوحش من أذنب لانه ذكر النبي والمهاجرين والانصار ولم يذنبوا ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا فذكر من لم يذنب ليؤنس من قد أذنب فلو قال أولا لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم وقال رضي الله عنه التقوى في كتاب الله على أقسام تقوى النار قال الله تعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال تعالى واتقوا يوما وتقوى الربوبية يا أيها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية واتقوا الله وتقوى الالية واتقون يا أولى الالباب وقال رضي الله عنه في قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت نزلت في اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثرا للسماع لهواه آكلا لما حرمه مولاه فهى نزعة يهودية لان القوال يذكر العشق وماهو بعاشق والمحبة وماهو بمحب والوجد وماهو بمتواجد فالقوال يقول الكذب والمستمع

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم بغضى أو عداوتى أو ايذائى لاحد ممن يحضر المواكب الالهية كقوام الليل والمؤذنين والذاكرين الله تعالى كثيرا والميقاتى فربما حفت بهؤلاء العناية الربانية فغفر الله تبارك وتعالى لهم ما جنوه من السيآت فى الماضى والمستقبل وصاروا محبوبين للحق تبارك وتعالى فكيف نكره أو نعادى أو نؤذى من يحبه الحق تبارك وتعالى (وهذا) الخلق وان كان فعله واجبا كذلك مع غير من يحضر المواكب الالهية لكنه فى حقهم آكد كما قالوا يستحب للصائم أن يكف لسانه عن الغيبة فى رمضان مع أن ذلك واجب عليه فى غير رمضان أيضا فافهم (وقد تقدم) فى هذه المنن انى سامحت جميع من آذانى من المسلمين اكراما لله تبارك وتعالى ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم فدخل فى ذلك المؤذنون وقوام الليل وانما نبهنا عليهم هنا زيادة تأكيد لئلا يغفل الاخوان عن مثل ذلك فيعادوا أحدا منهم بغير حق و ينتحل له عذرا لا يقبل عند الله تبارك وتعالى (وقد كان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يكرم المؤذنين والذاكرين لله تبارك وتعالى غاية الاكرام و يقول ان هؤلاء من خدام الله عز وجل و ربما أقبل الحق تبارك وتعالى عليهم فى الاسحار بالرضا وجعل دعاءهم مقبولا فى حق كل من دعوا عليه و ربما كان الذى آذاهم وعاداهم فى ذلك الوقت نائما على جنابة (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول اذا تشوش منكم أحد من المؤذنين فصالحوه فورا وقبلوا نعله لئلا يدعو عليكم دعوة فى الاسحار فتنفذ فيكم الى سابع ولد (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول اياكم أن تعادوا أحدا من خدام المساجد من مؤذن و بواب وفراش وامام وغيرهم لانهم أهل حضرة الله عز وجل وحضرة الله تبارك وتعالى محرم دخولها على الذى عنده شحناء من أخيه بغير حق واضح كالشمس فمن كان من أهل حضرة الله تبارك وتعالى عرف ما قلناه وأومأنا اليه ومن لم يكن من أهلها فهو كالبهائم السارحة فلا كلام لنا معه حتى يخرج من صفات البهائم (وقد) تكدرت مرة من مؤذن فقمت فى الليل للتهجد فلم أجد قلبى معى ولا قدرت على احضاره فألهمنى الله تبارك وتعالى السبب فطلعت له المنارة فى الليل وصالحته فرد الله تعالى على قلبى ودخلت الحضرة وقد كنت عالجت قلبى قبل ان أطلع له حتى ذاب فلم أقدر على حضوره بل صار كلما يلوح لى بارقة من حضوره تذهب لوقتها و تتفلت من الاقبال على الحضرة (وهذا) أمر لم أره فاعلا فى عصرى من أقرانى الا القليل وذلك لعدم دخولهم الحضرة فلو دخلوها لعرفوا أهلها وعرفوا المقدم عند الملك فاحترموه حتى لو أرادوا أن يؤذوه بعد ذلك لا يقدرون بل يكرمونه تعظيما للملك كما هو الحكم فى جماعة ملوك الدنيا (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لو أن الناس علموا ولاية أحد من الفقراء ما آذوه قط وانما يعتقدون فيمن يؤذونه انه زوكارى نصاب مراء شيطان انتهى وفى هذا الكلام ما يشبه رائحة العذر لهم (وقد دخل) مرة شخص مجهول من جماعة الباشا على الوزير بمصر على بعض المشايخ فكلمه الشيخ بغلظة وأنا حاضر فقال له أما تعرفنى أنا فلان قهجى الباشا على فقام له الشيخ وأكرمه وصار يعتذر اليه كأنه وقع فى ذنب عظيم ولو ان انسانا قال له أنا من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أكرمه ذلك الاكرام فتعجبت من ذلك الشيخ كل العجب فالله يغفر لنا وله آمين فاياك يا أخى ان تعادى أحدا ممن ذكرنا اكراما لله تبارك وتعالى فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أدبى مع قضاة هذا الزمان كبارا وصغارا ولا أقول ببطلان أحكامهم فى العقود والوثائق كما يقع فيه بعضهم بل أرى عقودهم وأنكحتهم صحيحة أدبا مع أئمة الدين القائلين بصحتها وأدبا مع السلطان الذى ولى أولئك الحكام ولعلمى بانه أتم نظرا منى ومن أمثالى بل ربما كان أتم نظرا من جميع رعيته وصاحب هذا المشهد لا ينكر على امامه فى تولية أحد أو عزله ولا يذمه أبدا من وراءه كما يفعله بعضهم (وقد) قال العلماء رضى الله تعالى عنهم لو ولى السلطان قاضيا فاسقا نفذ قضاؤه للضرورة (وقالوا) أيضا من غلبت طاعاته على معاصيه فهو عدل واعتقادنا بحمد الله تبارك وتعالى فى جميع من نعرفهم من قضاة مصر وشهودهم ان طاعاتهم غلبت على معاصيهم (و بلغنا) عن الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه كان يقول كل مسلم عدل وان كان المتأخرون من أصحابه قد قيدوه ببعض شروط و يكفى المتعنت فى القضاة والشهود

للسحت وقال رضى الله عنه عبر بعض الصحابة على بعض اليهود فسمعهم يقرؤن التوراة فتخشعوا فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل فقال اقرأ قال وما أقرأ قال اقرأ أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فوبخهم أن تخشعوا من غيره وهم انما تخشعوا من التوراة وهى كلام الله فما ظنك بمن أعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهى والغناء وقال رضى الله عنه وقد سأله سائل يا سيدى لم قال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ولم يقل الغفور الرحيم فقال لانه لو قال الغفور الرحيم لكان شفاعة من عيسى عليه السلام لهم فى المغفرة ولا شفاعة فى كافر ولانه عبد من دون الله فاستحيى من الشفاعة عنده وقد عبد معه وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله فى هذه الآية مدح لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أى ان هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها

الاقتداء بهذا الامام الاعظم رضي الله تعالى عنه ولم أزل بحمد الله تبارك وتعالى على هذا الخلق من حين كنت شابا بخلاف ما أشاعه عني بعض الحسدة من اني أقول ببطلان أحكامهم لفسقهم بقبض فلوس القانون وذلك باطل عني وما رأيت قط أحدا منهم وهو يأخذ رشوة لكوني لم أقف على قاض قط الى وقتي هذا وان كان ذلك يقع من بعضهم فلا يجوز لي تعميم الحكم فالله تعالى يغفر لهذا الحاسد ماجناه آمين بل من جملة ما وقع لي انني اطلعت على شخص عقد عقدا ابنته على يد قاض ثم انه جاءنا يعقد العقد ثانيا بحضرة الفقراء فانكرت عليه غاية الانكار وقلت له القاضي أعلى مرتبة في العدالة من أمثالنا لعدم ثبوت عدالتنا على يدها كو قلت له ان كنت تعتقد بطلان أحكامهم فكيف يسوغ لك أن تدعي بالحقوق التي تثبت لك على الناس بشهاداتهم وأحكامهم وتقاريرهم كالبراآت والحجج فاستغفر وتاب فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) موالاتي لمن والى شيخي أو الامام الاعظم ومعاداتي لمن عاداهما بغير طريق شرعي ولو لم يعلما بذلك قياما بواجب حقهما وان وقع انني أظهرت المحبة لعدوهما فانما ذلك بنية صالحة كنحو أن يميل الي بالمحبة حتى أعلمه الادب في حقهما لا خيانة لهما (وكان) على هذا القدم الامام الاعظم أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وسعيد بن جبير واضرابهما رضي الله تعالى عنهم (ومن وقائع) الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان الخليفة لما منعه الفتيا سألته ابنته في الليل عن الدم الخارج من لحم الاسنان هل ينقض الوضوء فلم يجبها وقال سلي عن ذلك عمك حمادا فان امامي منعني الفتيا ولم أكن أخونه بالغيب (ومن وقائع) سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه أن الحجاج لما حبسه وصار أولاده يبكون عليه قال له السجان اذهب فنم عند أولادك وأنا أكتم ذلك فقال معاذ الله ان أخالف ولي أمري فقال له السجان ان الحجاج ظالم ولا يلزمك طاعته فلم يصغ اليه وقال ان الحجاج لو علم ذلك منك لآذاك ولم أكن ممن يجر الى أخيه الاذى ولم أر لهذا الخلق فاعلا في عصري من أقراني الا النادر وتقدم هذا الخلق في هذه المنن بابسط مما هنا فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) أدبي مع طلبة العلم من المالكية أكثر من غيرهم من حيث ان الامام مالكا رضي الله تعالى عنه له مشيخة على امامي رضي الله تعالى عنهما فكما كان امامنا يتأدب مع شيخه وأتباعه كاشهب وابن القاسم كذلك ينبغي لمقلدي مذهبه أن يتأدبوا مع اتباعه (وقد نقل) عن الشيخ محيي الدين النووي رضي الله تعالى عنه انه بحث مع بعض المالكية فاغلظ عليه المالكي فقيل للنووي في ذلك فقال ان امامه شيخ امامي فالادب معه كالادب مع امامه انتهى ولم أر لهذا الخلق فاعلا في مصر من أقراني الا القليل فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) حمايتي من الاكل من طعام المتهورين في مكاسبهم سواء دعوني اليه في بيوتهم أو أرسلوه الي بيتي ثم بتقدير انني أسهو وآكل منه فتلعب نفسي منه واتقيأه في الوقت قبل ان تتشربه العروق وقد قدمنا في هذه المنن ان من علامة المتهورين في مكاسبهم أن ينوعوا الاطعمة في بيوتهم في هذا الزمان فانهم لو تورعوا فيما يدخل يدهم ربما لم يجدوا شيأ من ذلك الذي نوعوه بل لم يقدروا على الخبز الحاف ومن المتهورين في المكسب بعض التجار والزياتين ونحوهم ممن يبيع على الظلمة والمكاسين وأكلة الرشا ويأخذ ثمن بضاعته من أموالهم فانه لا فرق في الحرام والشبهة في مذهب المتورعين بين أن يأخذوه بواسطة أو بلا واسطة (وما نقل) عن بعض علماء الحنفية رضي الله تعالى عنهم من أن الحرام لا يتعدى ذمتين سألت عنه الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي شيخ الاسلام بمملكة مصر رضي الله تعالى عنه فقال هذا محمول على من لم يعلم بذلك أما من رأى المكاس مثلا يأخذ من أحد شيأ من المكس ثم يعطيه لآخر ثم أخذه ذلك الآخر فهو حرام فافهم وبلغنا عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه انه زار عمر بن عبد العزيز أيام خلافته فأخرج له عمر كسرة يابسة ونصف

وأنت يا محمد تثبت لنزوله للقوة الربانية التي أودعناك اياها وفيه ذم للكافرين أي ان هذا القرآن لو أنزل على جبل لخشع وتصدع وأنتم ما خشعتم ولا تصدعتم *(فائدة)* اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعاني الغريبة كما مضى من فهم الشيخ قوله بهب لمن يشاء اناثا الآية وقوله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وكما سيأتي في تفسير الاحاديث فذلك ليس احالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثم افهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء انه عليه الصلاة والسلام قال لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا احالة لكلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فليس ذلك باحالة وانما كان يكون احالة لو قالوا لا معنى للآية الا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه كما أخبرنا الشيخ الامام مفتي الانام تقي الدين محمد بن علي القشيري قال كان

خيارة وقال له كل يا حسن فان هذا زمان لا يحتمل فيه الحلال السرف انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم أكلي من طعام من يعتقد في الصلاح ولولا ذلك لما طعمني لانه لا يخلو حالي من أمرين اما أن أكون صالحا في نفس الامر من حيث لا أشعر أو غير صالح فان كنت صالحا فقد أكلت بديني طعاما وان كنت غير صالح فقد أكلت حراما في الشرع لانه لو اطلع على ما أقع فيه من المخالفات ليلا ونهارا لم يعتقدني أبدا بل ربما بصق على وجهي ولم يجالسني (وقد كان) أخي سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اني أحب ان آكل طعام من يحبني اذا كان حلالا دون طعام من يعتقدني فقلت له ما الفرق بينهما فقال لان المحب لا يتزلزل عن محبتي اذا وقعت في زلة بل يحبني محبة الوالدة لولدها فهي تسمح بالاحسان اليه سواء اتصف بالصلاح أو لم يتصف وأما المعتقد فانما يحبني مادام الصلاح قائما بي وأنا لا أقدر على المداومة على الاستقامة انتهى (وهذا) الامر قل من يتنبه له من الاخوان فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم أكلي من طعام من يأكل بدينه من فقراء هذا الزمان ويجرد الناس ويسلقهم اذا لم يبروه بألسنة حداد لا سيما اذا عمل مولدا كبيرا فانه لا يكاد يحلل فيه ولا يحرم أي لا يحلل الحلال ويعتني به ولا يحرم الحرام ويجتنبه فالورع ترك الاكل من طعام هؤلاء لانه لولا اعتقاد الناس فيهم الصلاح لم يعطوهم شيأ ومعلوم أن من يأكل الدنيا بدينه أقبح ممن يأكلها بدنياه (وقد كان) الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه يسقي على جمل بمكة فيحمل الماء من العين الى دور الناس ويتقوت هو وعياله من ثمن ذلك فقيل له ان فلانا ترك الحرفة فلم يضيعه الله تبارك وتعالى وأقبل على عبادة ربه فقال الفضيل رضي الله تعالى عنه هذا رجل ربما يأكل بدينه خبزا وإداما ثم قال رضي الله تعالى عنه والله لان آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الي من أن آكلها بديني انتهى (وقد سأل) شخص من الامراء أن يعمل مولدا لسيدي علي الخواص رحمه الله تعالى فأبى الشيخ رضي الله تعالى عنه وقال والله إن كسبي من هذا الخوص لا يحبني الاكل منه فكيف آكل من كسب الامراء أو أدعو الناس الى الاكل منه انتهى وهذا الامر قل من يتنبه له من فقراء هذا الزمان بل رأيت منهم من يسافر البلاد فيجمع آلات طعامه في ذلك المولد من أموال الولاة والظلمة ثم يدعو الناس اليه فيلطخ بواطن الناس بالحرام والشبهات وربما قال بعض الناس قد حصل لنا الليلة خير لانا أكلنا حلالا من طعام سيدي الشيخ ولا يفتشون على ذلك الطعام من أين جاء به الشيخ (وقد كان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى لا يجيب قط فقيرا دعاه الى طعامه الا ان علم أن له كسبا شرعيا من تجارة أو زراعة أو صنعة بل قد رأيته مرة أمر فقيرا بالقيء لما أن أكل من طعام متمشيخ عمل مولدا ولا حرفة له وقال رضي الله تعالى عنه كيف تأكل من طعام شخص يأكل بدينه (وقد أخبرني) شخص من جماعة الباشا علي الوزير فقال قد سئمت نفوسنا من كثرة سؤال هؤلاء المشايخ الذين يعملون لهم موالد فلم يتركوا عندنا عسلا ولا أرزا ولا عدسا ولا بسلة وايش قام على هؤلاء أن يشحذوا ويعملوا لهم مولدا انتهى فاخذت لي من ذلك مشروبا ومن أراد من المشايخ المتجردين عن الكسب بالحرف والصنائع أن يعرف كونه يأكل بدينه أم لا فليقدر نفسه متجردا من جميع صفات الصالحين التي تظاهر بها واعتقده الناس وقبلوا يده ورجله لاجلها وينظر بعد ذلك حاله فكل من أطعمه أو عمل له مولدا فليأكل من طعامه بشرط الحل في ذلك فان مثل هذا لم يطعمه لاجل دينه وأظن انه اذا تجرد من صفات الصالحين لا يصير أحد يحسن اليه ولا يعمل له مولدا قط كما لا يعمل مثل ذلك لمن لم يظهر صلاحه (وقد كان) أخي سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لا أحب أن آكل لأحد طعاما الا ان كان الطعام حلالا وكان الشخص بحيث لو رآني أشرب الخمر لم يتغير اعتقاده في الصلاح انتهى فقلت له هذا باب للامتناع من أكل طعام جميع الناس أو غالبهم فقال مالي ولهم (ومما وقع) ان الامير يوسف بن أبي أصبع اعتقد شيخا من مشايخ الريف وصار يقبل يده ورجله ويعمل له مولدا كل قليل ويدعو الناس الى مولده ويتشوش ممن لم يحضر ثم بعد ذلك مد الشيخ

ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقرأ اثني عشر علما فخرج يوما قاصدا الى مدرسة فسمع منشدا ينشد شعرا

اذا العشرون من شعبان ولت
فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار
فقد ضاق الزمان عن الصغار

فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة فلم يزل مجاورا بها حتى مات وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني
لما انتظرت بشرب الراح افطارا
الراح شئ شريف أنت شاربه
فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية
كن في الجنان ودعني أسكن النارا

فقال انسان هنالك لا يجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب ويكفيك في هذا ان ثلاثة سمعوا مناديا يقول يا سعتر بري ففهم كل منهم عن الله مخاطبة خوطب بها في سره سمع الواحد اسع ترى برى وسمع الآخر الساعة ترى برى وسمع الآخر ما أوسع برى فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين ثم قال سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في

وضربه علقة وحلق شعره وقال كنت أظن انه صالح فظهر لى انه ليس بشيخ انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله الذى جعلنى أكره طعام المعتقدين والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) حمايتى من الاكل من طعام النذور والاعراس الواسعة وطعام العزاء والجمع وتمام الشهر فلا تحضرانى أكلت شيأ من ذلك الا مرة واحدة ثم تقيأته (وايضاح) كون ذلك لا يليق بأهل الطريق أنه لا يسلم من الشبهة غالبا وأن طعام النذر لا يعمله صاحبه الا بعصار الزامه نفسه به ان شفى الله مريضه مثلا كما أشار اليه خبر ان النذر لا يقدم شيأ ولا يؤخره وانما يستخرج به من البخيل مالم يكن يخرجه أو كما ورد (ومعلوم) أن طعام البخيل داء كما صحت به الاحاديث لاسيما ان عملته امرأة من كسبها فان الاكل منه ينافى شهامة الرجل لاسيما سيدى الشيخ الحاضر بجماعته ليأكل ويلحس الصحون حتى لا يخلى فيها لمن بعده شيأ (وقد نقلت) وصايا الاشياخ رضى الله تعالى عنهم بالنهى عن الاكل من كسب النساء فى سائر الاقطار ليرفعوا همة المريد عن مثل ذلك واذا كانوا يمنعونهم من الاكل من كسب غيرهم من الرجال فكيف بالنساء وقالوا من رضى لنفسه بالاكل من كسب امرأة فارفضوا أمره فانه لا يجىء منه شئ فى الطريق وأما ما ورد من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذهب بأصحابه كل يوم جمعة الى دار امرأة يأكلون عندها سلقا تطبخه لهم فهو لا يدخل فى هذا الميزان لان كل ما فى الدنيا ملك له بالاصالة وجميع الخلق يأكلون من رزقه صلى الله عليه وسلم وأيضا فانه معصوم من تناول ما يحصل به نقص شئ من كماله صلى الله عليه وسلم فافهم (وأما) أطعمة العرس الواسعة فان الغالب على صاحبه التكلف فيه فيطبخ ما ليس من عادته ان يطبخه مما هو فوق طاقته (وقد نهانا) الشارع صلى الله عليه وسلم عن الاكل من طعام المتكلفين والمتباهين والمتفاخرين فترى أبا العريس أو أم العروسة أو أم العريس يبيع أحدهم ثيابه فى عمل الطعام أو يقترض غالب ذلك ولو بالربا ويقول قد تجونت فى عمل هذا العرس وما بقى الاعمله فيعمل ذلك الطعام متكرها له متفاخرا به حتى انه بعد ذلك ربما سمع بعض الناس يقول كان طعام فلان أكثر من طعام فلان فيتأثر لذلك (وأما) طعام العزاء والجمع وتمام الشهر فربما دخله المفاخرة كذلك وربما عملوا ما عملوا من الفطير والعجمية والسنبوسك والحلو والارز متكلفين له خوفا من عتب الناس الذين يعزون ويطلعون له التربة وربما كان ذلك من مال الايتام أو بعضهم ولا يتصور منهم اذن وليس لولهم فعل مثل ذلك شرعا فالعاقل من فتش على كل لقمة دخلت بطنه قبل ان يضعها فى فمه (وكذلك) لا ينبغى لمتورع ان يشرب من الماء الذى يسبلونه عند الدفن ان كان أهل الميت يقيمون ذلك من التركة اللهم الا أن يكونوا بالغين رشداء فلا حرج فى ذلك ولا فى طعام العزاء والجمع وتمام الشهر بطريقه الشرعى (وقد) حمى الله تبارك وتعالى بعض اخواننا من الاكل من طعام العزاء فالله تعالى يديم عليهم ذلك (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول لا يليق بمن له مروأة ان يجلس يأكل من طعام العزاء من الجبن المقلى والفطير وغير ذلك وأم الميت وأبوه واخوته واخواته كأنهم غمسوا فى نار من فرقهم الى قدمهم من شدة الحزن والداهية العظمى خناق المقرئين على الفلوس وانتهاب بعض الطعام وأهل الميت يسمعون ذلك وذلك دليل على خلو باطنهم من مشاركة أهل الميت فى الحزن ولا يخفى ما فى ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له جميع الجسد بالحمى والسهر انتهى (فاياك) يا أخى والاكل مما ذكرناه ثم اياك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) حمايتى من الاكل من طعام الصنايعى الذى يعمل بالقوت لاسيما ان كان قد طعن فى السن الان كافأته على ذلك باعطائه ثمنه أو بتوجهى الى الله تبارك وتعالى ان ينزل له البركة الخفية فى رزقه بقية عمره وأرى أثر الاجابة لدعائى وسبب التورع عن مثل ذلك كون الصنايعى يقاسى شدة فى كسبه طول يومه حتى يعاين ما يقارب أسباب الموت فلا ينبغى لمن له مروأة أن يأكل من مثل ذلك لاسيما ان كلفته امرأته لعمل أسبوع أو مولد أو نحو ذلك انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

الاكل وقال سبحانه قد علم كل أناس مشربهم فأما الذى سمع اسع تربرى فيدل على النهوض الى الله بالاعمال ليستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة تربرنا بوجود المواصلة وأما الثانى فكان سالكا الى الله طاولته الاوقات تخاف أن يفوته الوصلة فقيل تروبحا على قلبه لما أحرقه نار الشغف الساعة تربرى وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسمع ما أوسع برى وقال الشيخ محي الدين بن عربى دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعجز الاوعية وهنالك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول ولم يستعمل بعد فغرف فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول أكرمنى الله بأكل هؤلاء السادة منى لا أرضى لنفسى ان أكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال ابن عربى فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعاء قالوا نعم قلت ما سمعتم فأعادوا القول الذى تقدم قال فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله واياك من أولى

((ومما

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الاكل من طعام من علمت أن عليه ديناً حالا وهو يماطل صاحبه مع القدرة على وفائه والعلة في ذلك كون الواجب عليه أن يصرف ثمن ذلك الطعام في الدين ففي أكلنا منه شبهة لكون الحق فيه لغير نادونناو كذلك لا آكل من طعام شخص عليه دين وهو عاجز عن وفائه بل هو أشد من أكل طعام القادر لما فيه من الاجحاف به ولو أنه دعانا بطيب نفس فلا نجيبه لانه جاهل بما قلناه لانه كالطفل في حجر واليه أو وصيه أو قيمه لايجيبه الى كل ماتهواه نفسه فافهم ياأخي ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الاكل من هدية علمت بالقرائن انها عند صاحبها قدرا عظيما كأن أرسلها مع غلامه وقال له لاتسلمها الا الى عبد الوهاب في يده أو جعل على وعائها قفلا أو خيطه أو علمت أنه في كل قليل يصير يتذكرها ولو في نفسه وذلك من علامة أن نفسه تتبعها بعد ان أرسلها ففهما ضرب من التكلف وقد نهينا عن الاكل من طعام المتكلفين وكذلك من علامة كبر مقدار الهدية عنده كونه ينص على أني آكلها ولا أعطيها الغيري فانه تحجير علي وذلك من علامة ان نفسه تبعتها أيضا فان من أعطى لغيره شيأ خالصا فلا له والتحجير عليه وكذلك اذا جلست مع أحد على سماطه وصار يحلفني انني آكل ذلك الورك من الدجاجة مثلا وكلما أبعده عني يقربه مني فانني ازداد فيه نفرة فلا آكله لانه لولا عظمته عنده مااعتنى به ذلك الاعتناء (وهذا) الخلق والذي قبله لم أرلها فاعلا في مصر غيري فافهم ياأخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي للاكل وحدي كما أكره الصلاة فرادى من غير عذر ويضيق صدري من الاكل وحدي كما يضيق اذا صليت وحدي بجامع أن الشارع صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاكل مع الجماعة كما أمرنا بالصلاة معهم (وفي ذلك فوائد منها) ائتلاف القلوب (ومنها) كثرة البركة في الرزق والمدد (ومنها) امتثال أمر الشارع صلى الله عليه وسلم وايضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى أمرنا باقامة الدين وعدم التفرق فيه ولا يستقيم ذلك الا بائتلاف القلوب ولا تتألف القلوب غالبا الا بالاجتماع على الطعام والاحسان الى بعضهم بعضا ولعل بعض الناس يرتبط قلبه معك اذا أطعمته أكثر من ارتباطه معك اذا صليت معه جماعة وأكسبته الاجر (فعلم) ان كل من أكل وحده ومنع رفده وأراد من غالب الناس نصرته ولو على الدين فقد أتى البيوت من غير أبوابها وربما خذلوه ولم ينصروه عنادا لكثرة بغضهم له اذ البخيل مبغوض ولو كان كثير العبادة والسخي محبوب ولو كان فاسقا كما هو مشاهد (وهذا) الخلق قد اعطانيه الله تبارك وتعالى من حين كنت صغيرا فكل ليلة لا أجد من يأكل فيها معي لا أتهنا بالطعام فيها ولا استلذ به وكلما كثرت الايدي وأكلوا أطايب الطعام كلما أفرح عكس البخيل (وكان) على هذا القدم سيدي محمد بن داود رضي الله تعالى عنه والشيخ عبد الحليم ببلاد المنزلة رضي الله تعالى عنه فربما عمل أحدهم الدجاجة ففرقها على نحو سبعين نفسا انتهى فافهم ياأخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) مباسطتي للخادم حتى صار لايمتنع اذا قلت له تعال كل معي فان كثيرا من الخدام اذا قال سيده تعال كل معي يقول فضيحة آكل مع سيدي وفي ذلك رائحة علم العبد بفظاظة سيده وتكبره عليه ولو انه كان يعلم منه الرحمة واللين لجلس يأكل مع سيده بلا اذن (وقد بلغنا) أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه دعا فتى له ليأكل معه فأبى فجلس عمر يبكي وقال لولا انه علم مني الكبر ماأبى انتهى (فاياك) ثم اياك من التكبر على خادمك أو رؤية نفسك عليه فافهم ياأخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم ردي للسائل اذا كان محتاجا فاعطيه ماسأل ولو كان عمامتي أو جوختي أو همامع الاسميان كان أحوج الى ذلك مني ولا أمنعه الا لغرض شرعي لا للبخل ولا الشحة نفس (وهذا) الخلق من أكرم أخلاق الفقراء ولا أحصي عدد من لبس من ثيابي ويجمع ذلك كله أني لم ارقع ثوبا قط منذ

الخصوصية قال رضي الله عنه في قوله عليه السلام سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الاظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني أخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه فقال الشيخ الامام العادل هو القلب ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود اليه أي ورجل قلبه معلق بالعرش فان العرش مسجد قلوب الموقنين ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه أي خاليا من النفس والهوى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها أي من النفس والهوى وكذلك قال في قوله تعالى اذنادى ربه نداء خفيا أي من النفس والهوى * واعلم ان هؤلاء السبعة جازاهم الحق سبحانه من حيث معاملتهم اياه أما الامام العادل فانه عدل في عباد الله فأوى المظلوم الى ظل عدله فاواه الله في ظله يوم لاظل الا ظله وأما الشاب الذي نشأ في عبادة الله فانه آوى الى الله معرضا عن هواه وآوى الى كنف

وعيت على نفسي انما يأخذه الناس من أصحابي وغيرهم كما هو مبسوط في نعمة ذكرأيماء من كسوتهم من العلماء والصلحاء والفقراء والاقارب ونحوهم (واعلم يا أخي) أن من الغرض الشرعي أن أقدم نفسي لكونها أحوج الى ذلك من السائل وكذلك من الغرض الصحيح عدم اعطائي لذلك السائل ذلك الشئ حتى أجد نية صالحة ولو شهرا أو أكثر فربما يتجى الفقير اذا طلب منه شئ بحضرة الناس مما يشح به الناس غالبا فأعطى فاتبعته نفسه وذلك معدود من التهور ومن الرياء وحب المحمدة وكذلك من الغرض الصحيح اذا علم ولو بالقرائن أن سؤاله تعنت لا لحاجة اليه فليتنبه الانسان لمثل هذه الامور ولا يعطي ويمنع الا بحق فان الاموال انما وضعها الحق تبارك وتعالى في يد العارفين لمنافع العباد من أنفسهم أو غيرهم فان رأوا نفوسهم أحوج قدموها أو غيرهم أحوج قدموه (وفي الحديث) ابدأ بنفسك ثم بمن تعول فمن آثر السائل على نفسه بما هو أحق به فقد ظلم نفسه فعليه اثم من ظلم رعيته وشق عليها وما مدح الله تبارك وتعالى المؤثرين على أنفسهم الا ترغيبا لهم وتشجيعا ليخرجوا من ورطة البخل الذي فتحوا عيونهم في الدنيا عليه فلولا مدح الله تبارك وتعالى لهم على ذلك ما قدروا على الخروج من شح نفوسهم فاذن الايثار من صفات المريدين والبداءة بالنفس من صفات الكمل لان العبد يؤمر أولا بالخروج من الشح فاذا وفى العمل به أمر بالبداءة بنفسه قياما بالعدل اللهم الا أن يكون له أتباع يقتدون به في الايثار فاللائق به التنزل لمقامهم ويؤثر على نفسه بحضرتهم ولا يخفى ان الكامل على يقين من طريق كشفه أنه من رزقه أو من غير رزقه فان كان من رزقه فهو على يقين من عوده اليه ولا يقدر أحد أن يأكل منه شيأ فيستفيد بايثارهم على نفسه حسن الثناء عليه وفتح باب الاقتداء به والثواب الذي هو الأصل وان كان من غير رزقه فليس له منع صاحبه منه بل اللائق دفعه اليه ومن شأن الكامل ان يعطي كل ذي حق حقه بخلاف غير الكامل فانه ان وفى بمقام أخل بمقام آخر (وفي الحديث) الاقربون أولى بالمعروف ولا أقرب اليك من نفسك فهي مقدمة على جارك اذا كانت محتاجة لما هي أحق به (فعلم) أنه لا تعارض بين حديث ابدأ بنفسك وبين قوله تبارك وتعالى ويؤثرون على أنفسهم لان الآية في حق من عنده ايثار لنفسه في المنع لبخل وشح في النفس أو لمن يقصد أنه يقتدي الناس به والحديث في حق من ليس عنده ذلك وتقديم المريد غيره عليه من باب ظلم دون ظلم فسومح بظلم نفسه طلبا للترقي الى مقام آخر أعلى مما هو فيه فعمدته العمل على الخروج من عهدة نفسه وحظوظها ما أمكن ولو انه أمر بالبداءة بنفسه لازداد بخلا وشحا * ولما لام بعضهم سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه على أكله المطاعم اللذيذة ولبسه الثياب الفاخرة والنوم على الفرش الناعمة الوثيرة قال لهم يا طول ما أطعمت نفسي الطعام الكريه وألبستها الخشن وأنمتها على التراب وقد وفت بما استأجرتها عليه واستحقت ان تأخذ أجرتها قبل ان يجف عرقها وذلك قبل موتها فان عرقها لا يجف الا بالموت انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وهذا الذي قاله الشيخ رضي الله تعالى عنه لا يكون الا لمن له أتباع يعرفون مقامه أو لمن ليس له اتباع أما من له اتباع لا يعرفون مقامه فمن لازمهم غالبا الاقتداء به في الترفهات ثم لكون ويقفون عن السير لنقص رأس مالهم بذلك بخلاف الكامل ثم لا يخفى على المريد أن جميع ما يؤثر به غيره ليس هو من رزقه فلا ينبغي له ان يرى له به مقاما على غيره بايثاره لانه ما آثر الغير الا بما هو لذلك الغير ولو أنه كان أمسكه لنفسه لا يقدر على أنه يتناول منه شيأ (ومن هنا) قالوا ما تورع المتورعون وزهد الزاهدون الا فيما لم يقسم لهم انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اعتقاد كثير من الانس والجن واليهود والنصارى في الصلاح واجابة الدعاء مع أني لست من الصالحين عند نفسي ولا عند كثير من الناس (وهذا) من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي ومن أعظم سترة سترني بها بين العباد حتى اني أنفي الصلاح عن نفسي بحضرة بعض الناس لينفر مني فيقول لي بل أنت صالح فأتعجب من صنع الله تبارك وتعالى وأعرف انه أراد ستري بين عباده ولولا ذلك لكان الامر بالعكس فأقول لهم أنا صالح فيقولون لي تكذب لست بصالح (ثم) ان الناس قسمان قسم يعلم بصلاح نفسه

مولاه فصنع الحق معه ذلك في الآخرة جزاء كما صنع هو ذلك مع الله في الدنيا معاملة وأما الرجل الذي قلبه معلق بالمسجد حتى يعود اليه فانه آثر طاعة الله وغلب عليه حب الله فلذلك صار قلبه متلفتا الى المسجد لا يحب البراح عنه لانه يجد فيه روح القربة وحلاوة الخدمة فآوى الى الله مؤثرا لربوبيته فاظله الله بظله يوم لا ظل الا ظله جزاء لما سبق من معاملته وأما الرجلان اللذان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه فهما تواصلا بروح الله تعالى وتألفا بمحبة الله فكان ذلك منهما انحياشا الى الله فآواهما الله بظله يوم لا ظل الا ظله وأما الرجل الذي دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني أخاف الله رب العالمين فانه صلى نار مخافة الهوى من المولى وخالف بواعث الطبع المعارضة للتقوى ولما خاف الله هرب اليه ولما هرب اليه ههنا معاملة آواه الله اليه في الآخرة مواصلة فاظله الله بظله يوم لا ظل الا ظله وأما الرجل الذي ذكر الله خاليا ففاضت عيناه فانه لم تفض عيناه الا من القرح التي أحرقت قلبه اما حياء من الله أو شوقا اليه أو خوفا من ربوبيته أو لشهود التقصير معه فلما فعل ذلك حيث لا يراه أحد الا الاحد كان ذلك معاملة لله وانحياشا اليه بالاعتذار اليه أو بالتشوق فآوى

فيكون

فيكون نفيه الصلاح عن نفسه اتهاماً لها أو قسم لا يعلم بصلاح نفسه فهو صادق فى نفيه الصلاح عن نفسه وعلى ذلك أكثر السلف الصالح (وقد كان) مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يقول والله لو حلف حالف أننى من الفاسقين لقلت له صدقت (وكان) الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول لو حلف شخص أن اعمالى اعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك انتهى لكن صاحب هذا المقام ربما يقل شكره لله تبارك وتعالى فلا يكاد يرى لله تبارك وتعالى عليه نعمة أو صفة من صفات الكمال ولكن ان من الله تبارك وتعالى عليه بالكمال كثر شكره لله تبارك وتعالى من حيث حلمه جل وعلا عليه وعدم معاجلته بالعقوبة مع شدة خوفه من الله تبارك وتعالى من ذلك لان الكامل يكنى أبا العيون (اذا علمت) ذلك فمن جملة اعتقاد المسلمين فى أننى أعطى أحدهم القشة من الارض اذا طلب منى الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة وأقول له بخر المريض بها فيفعل فيحصل له الشفاء باذن الله تبارك وتعالى فاعرف أنه لولا شدة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضه بدخان تلك القشة فان الامور تجرى بها المقادير الالهية سرعة وبطأ بحسب قوة الاعتقاد وضعفه حتى ان بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك فى أن تلك القشة تنفعه فلا تنفعه (وقد جاءنى) مرة فقيه يأخذنى سياقاً لصهره لما غضبت زوجته وكان قد جعل لها خمسين دينارا فلم يرضوا أن يردوها له فقلت له خذ هذه القشة وأعطها لصهرك فانه يردها لك بلا فلوس فقال لى لا تمزح معى فانى مكروب فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض الاعتقاد فأخذ القشة فبمجرد ما أعطاها الصهر قال له اذهب خذ امرأتك فتعجب الفقيه من ذلك وقال أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل (وكذلك) جاءنى الشيخ ناصر الدين بن الطنب المدرس بناحية دمنهور بالحيرة وهو مكروب فقلت له مالك فقال اشتكانى شخص لى عليه دين للباشا على نائب مصر وذكر له أن الشيخ هدم جدارا فوجد فيه قدرتين ذهبا وعمودين فضة وانه أمر الوالى بالقبض عليه فقلت له أبرئ المديون مما عليه والحق تبارك وتعالى يلهم الباشا انه يكذبه فيما يدعيه عليك من المال فأبى ان يبرئه وكان معه الشيخ سالم الدمنهورى وهو كثير الاعتقاد فى الفقراء فصار يقول للشيخ ناصر الدين أطع عبد الوهاب فيقول كيف أبرئه من مالى فلما طلع القلعة مخالفاً للاشارة وعاين أسباب الهلاك قال له الشيخ سالم أبرئه كما قال عبد الوهاب فأبرأه فى نفسه فقال الباشا الذى ظهر لى ان المسطور الذى كتب على هذا الرجل باطل ودعواه بالقدرتين الذهب والعمودين الفضة باطل وقد كان جماعة الديوان كلهم تيقنوا انه معاقب لا محالة لاجل قدور الذهب وعمد الفضة فما وقع للشيخ ناصر الدين الرعب الا من جهة توقفه عن العمل بالاشارة وطلب العمل برأى نفسه (وقد وقع) ان شخصا جاءنى من حارة جامع ابن طولون يطلب منى الدعاء لابنته وذكر أن بها استسقاء وان الاطباء أيسوا من مداواتها فقلت له أعندك اعتقاد تفعل ما آمرك به فقال نعم فاعطيته قشة فبخرها بها فشفيت من يومها فعلمت صحة اعتقاده وقد بلغ ذلك بعض المنكرين فقال كل هذا سحر فرمدت عينه فصار يصيح ليلا ونهارا فقالوا له اذهب لعبد الوهاب فقال أنا لا أعتقد فيه صلاحا فاشتد عليه الالم فجاءنى غصبا عليه وكان بين أيدينا طعام كشك فقلت له كل من هذا الكشك فتوقف وقال هذا منهى عنه فاشتد عليه الالم فقال له الناس جرب الاشارة هذه المرة فأكل من ذلك الكشك فراقت عينه فى الحال فشفى (وكذلك) جاءنى فقيه يشكو القولنج وهو صائح فاطعمته بسلة فسكن القولنج كل ذلك لكونى أقول على ذلك الشئ بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم (وقد) قدموا مرة لخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه اناء مسموما فأعلمه الناس به فقال بسم الله وشرب به فلم يضره (فعلم) مما قررناه ان كل من لم يكن عنده اعتقاد فى اسم الله تبارك وتعالى أنه لا يضر معه شئ فليس له ان يأكل شيأ مضادا لذلك المرض شرعا لانه ربما ضره ووقائعى فى ذلك كثيرة شهيرة ومن جملة اعتقاد النصارى واليهود انهم يطلبون منى كتابة الحروز لاولادهم ومرضاهم فأعطى أحدهم القشة فيبخر بها مريضه فيحصل له الشفاء فأتعجب فى اعتقادهم فى مع اختلاف الدين وكثيرا ما أقول لهم لم لا تسألون رهبانكم وعلماءكم فيقولون أنت أعظم عندنا من البترك ومن جميع أهل ديننا وانما كنت أعطيهم القشة دون كتابة شئ من القرآن أو أسماء الله تبارك وتعالى اجلالا لله تعالى ولكلامه ثم من

قد آثر الله على نفسه ببذل الدنيا ايثارا لحب الله على ما تحبه نفسه لان شأن النفس حب الدنيا وعدم البذل لها فلا يبذلها الامن آثر الله عليها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان أى برهان يدل على ان العبد آثر مولاه على نفسه وهواه فلما مال هذا العبد الى الله بأعماله من الله عليه بان أظله فى ظله يوم لاظل الا ظله وتشترك الاقسام السبعة فى معنى واحد فلذلك جوزوا جزاء واحدا اشترك فى ان كلا من هؤلاء السبعة صلى حر مخالفة الهوى فى الدنيا فلم يذقه الله حر الآخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع عليه أمنين ان أمنته فى الدنيا أخفته فى الآخرة وان أخفته فى الدنيا آمنته فى الآخرة وقال رضى الله عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا أى دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره فان من دلك على الدنيا فقد غرك ومن دلك على الاعمال فقد

أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك وقال رضى الله عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته

لا كاتم منه مابقيت الدنيا فقال الانبياء يطالعون حقائق الاشياء والاولياء يطالعون مثلها فلذلك قال عليه الصلاة

أعجب ماوقع ان نصرانيا كان يبيع الخمر فى حارتنا وكان اذا باع خمره فى مثل الثلاثة شهور يجيء يأخذ خاطرى ويقول أنا خائف من فلوس الحلال انها تقف على فأقول له يامعلم الخمر عندنا محرم بالاجماع فكيف أقول ياالله ارسل للمعلم من يشترى خمره ويسكر فيقول ادع الله أن ينزل لى البركة فأقول له ان البركة لاتكون فى شئ نهى الله تعالى عنه فقال ادع الله أن يتوب على من بيع الخمر فدعوت له فمات بعد جمعة (ومن جملة) ماوقع لى مع الجن انهم أرسلوا الى نحو خمسة وسبعين سؤالا فى علم التوحيد لا كتب لهم عليها وقالوا قد عجز علماؤنا عن الجواب عنها وقالوا هذا التحقيق لايكون الا من علماء الانس وسمونى فى السؤال شيخ الاسلام فكتبت لهم الجواب عنها نحو خمسة كراريس وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان (وكذلك) أرسلوا الى قصة فيها خطبة غريبة فى شدة الفصاحة واللغات نحو حزب يسألونى فيها أن أخلص ولد شرف الدين بن الموقع لما أسره جماعة من يهود الجان فأرسلت أقول لهم اسألوا غيرى فقالوا قد عجز غيرك عن تخليصه منهم فكتبت له ورقة يحملها فرجعوا عنه وقد ذكرت الخطبة التى أرسلوها والامارات التى ذكروها لى فى كراسة فافهم ياأخى ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تسليمى وترك تكذيبى لكل من ادعى مقاما فى العادة من سائر المقامات حتى القطبية فان الولاية أمر باطنى لايطلع عليه الا الله تبارك وتعالى ثم صاحبه وقد يكون الشخص وليا من أولياء الله تعالى ولا يعلم بنفسه فتصديقنا لكل من لم يدع مقاما ممنوعا كدعواه النبوة أولى لانه ان كان صادقا فقد صدقناه وان كان كاذبا فكذبه يرجع عليه لا علينا (وقد) دخل على شخص مرة فادعى القطبية الكبرى فسلمت له فقال لى اكتب لى خطك بانك صدقتنى على دعواى فقلت هذا لايكون الا وعلمت قطبيتك من طريق كشفى وأما من طريق اخبارك عن نفسك بها فذلك لايخلصنى فأقسم على بالله تبارك وتعالى فكتبت له ورقة فيها ان فلانا أخبر عن نفسه انه قطب دائرته فصدقناه على انه قطب فى أى محل حل فيه أى لانه حيث ماجلس فرضنا حوله دائرة هو قطبها فرضى منى بذلك انتهى (وقد) كثر دعوى القطبية فى هذا الزمان وصار كل من سولت له نفسه شيأ يعتقد صحته لقلة ظهور الاشياخ فى العصر فكل جماعة شيخ يدعون ان شيخهم هو القطب وربما سمعهم وسكت على ذلك ومعلوم ان القطب لايكون الا واحدا فى كل زمان ولا يصح أن يكون فى الزمان قطبان أبدا كما لايكون للرحى قلبان الا أن يريد القائل انه قطب أصحابه فقط فلا منع فنحن نسلم لكل من ادعى القطبية لعلمنا بان من شأن القطب الخفاء دون الظهور ونرد علم حقائق الامور الى الله تبارك وتعالى (وقد) كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول الانكار فرع من النفاق قال المزنى بل هو النفاق كله لان الجحد ضد التصديق انتهى فافهم ياأخى ذلك واياك والانكار على أحد يدعى مقاما من مقامات الرجال والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كشف الحجاب عنى حتى سمعت تسبيح الجمادات والحيوانات من البهائم وغيرها من صلاة المغرب الى طلوع الفجر وذلك انى أحرمت بصلاة المغرب خلف الشيخ الصالح الورع الزاهد سيدى أمين الدين الامام بجامع الغمرى رضى الله تعالى عنه فانكشف حجابى فصرت أسمع تسبيح العمد والحيطان والحصر والبلاط حتى دهشت وصرت أسمع من يتكلم فى أطراف مصر ثم اتسع الى قراها ثم الى سائر أقاليم الارض ثم الى البحر المحيط فصرت أسمع تسبيح السمك وكان من جملة ما سمعت من تسبيح سمك البحر المحيط سبحان الملك الخلاق رب الجمادات والحيوانات والنبات والارزاق سبحان من لاينسى قوت أحد من خلقه ولا يقطع بره عمن عصاه انتهى وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ان الله تبارك وتعالى رحمنى عند طلوع الفجر وحجبنى عن سماع ذلك التسبيح لما حصل عندى من الدهشة وأبقى على العلم بذلك من طريق الكشف فتقوى بذلك ايمانى انتهى فافهم ياأخى ذلك ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قولى بالجهة فى جانب الحق تبارك وتعالى من حين كنت صغير السن عناية من الله سبحانه وتعالى بى لا بسلوك على يد شيخ من الاشياخ وقد هلك فى هذا الامر خلائق لا يحصون

والسلام رأيت الجنة ولم يقل كأنى رأيت وقال حارثة لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمنا حقا فقال صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون والى أهل النار فى النار يعذبون وكأنى أرى عرش ربى بارزا من أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ياحارثة عرفت فالزم ثم قال صلى الله عليه وسلم عبد نور الله قلبه بنور الايمان فقال حارثة كأنى ولم يقل رأيت لان ذلك للانبياء دونه وكذلك قول حنظلة الاسدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تذكرنا الجنة والنار حتى كأنا رأى عين ولم يقل حتى نراها رأى عين لما قدمناه وفى حديث حارثة فوائد عشرة * الاولى انه لما سأل النبى صلى الله عليه وسلم حارثة فقال له كيف أصبحت ياحارثة لم يقل حارثة غنيا ولا صحيحا ولا شيأ من الاحوال البدنية أو الامور الدنيوية لان حارثة علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل من

فغاب وهمهم على عقلهم وظنوا أن الحق تبارك وتعالى في جهة العلو فقط وغاب عن هؤلاء نحو قوله تبارك وتعالى واسجد واقترب وقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فان في هذه الآية والحديث تصريحا بعدم تحيز الحق تبارك وتعالى في جهة دون أخرى أي فكما تطلبونه في العلو فاطلبوه كذلك في السفل وخالفوا وهمكم ولهذا جعل الشارع صلى الله عليه وسلم حال العبد في السجود أقرب من ربه دون القيام مثلا لان من خصائص الحضرة أن لا يدخلها أحد الا بوصف الذل والانكسار فاذا عفر العبد محاسنه في التراب كان أقرب في مشهده من ربه من حالة القيام فالقرب والبعد راجع الى شهود العبد به لا الى الحق تبارك وتعالى في نفسه فان أقربيته واحدة قال تبارك وتعالى في حق المحتضر ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز وجل ونحن أقرب اليه أي الانسان من حبل الوريد وأخبر انه يحول بين المرء وقلبه فاياك وما تراه في كتب القائلين بالجهة من الاحاديث المشعرة بالجهة عند ضعفاء العقول فانها كلها مؤولة وكان صورة ما وقع لي وأنا صغير أني تفكرت يوما في الله عز وجل فقسته على ما أتعقله ثم صرفته بليس كمثله شيء وبقولهم كل شيء خطر ببالك فالله بخلاف ذلك وبقولهم حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانه مباين لخلقه في سائر الاحوال فذهب عني تعقل الجهة في حق الباري جل وعلا جملة واحدة فيا لها معرفة ما ألذها وكأنني خرجت من السجن الى الفضاء الواسع ثم اني عرضت ذلك على سيدي على المرصفي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقال هذه عناية عظيمة حصلت لك وان شاء الله تعالى نزيدك تأييدا فنمت فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي اخرج من حيطة العرش الى خارجه بعقلك وانظر تجد الوجود الجثماني كله من العلويات والسفليات كالقنديل المعلق في الهواء بلا علاقة فان صعدا أبد الآبدين لا يجد جسما آخر يتعلق به وان اهبط أبد الآبدين لا يجد أرضا يستقر عليها فخرجت بعقلي كما ذكر فعلمت سعة عظمة الله تبارك وتعالى وزال عني توهم الجهة من ذلك اليوم وجمعت في ذلك المشهد بين شهود نفسي في مكانين فاني كنت داخل العرش بيقين وأرى نفسي خارجه بيقين فبينما أنا واقف كذلك اذ جاء طير أبيض طويل العنق ففتح فاه والتقط الوجود الجسماني كله وطار به فصرت أرى نفسي في حوصلته وأنا خارجها ثم جاءت ناموسة صغيرة ففتحت فاها والتقطت الطائر بما حواه وغابت عن العين فقصصت ذلك على سيدي على المرصفي رضي الله تعالى عنه فقال الآن قد خرجت من الورطة كلها ثم قال لي كلما اتسعت معرفتك بالله تعالى كلما صغر الوجود في عينك فانك رأيت أولا العرش عظيما ثم اتسعت معرفتك باتساع الوجود فصغر العرش في عينك عن المشهد الاول ثم اتسعت المعرفة أكثر لما رأيت الطائر الذي هو أصغر من العرش ثم اتسعت المعرفة أكثر لما رأيت الناموسة اذ الوجود المحصور بالنسبة لغير المحصور كالهنابيب التي في الكوة التي في عين الشمس تراها صاعدة وهابطة واذا قبضت بيدك عليها لم ترفي يدك شيأ انتهى (وكذلك) قصصت هذا الامر على سيدي الشيخ نور الدين على الشوني رضي الله تعالى عنه فقال لي هكذا وقع لي ورأيت الوجود كذرة في الجو انتهى ثم لما اجتمعت بسيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه حكيت له هذه الحكاية فقال صحيح هذا بالنسبة الى التوحيد والا فالوجود كله عظيم من حيث انه من شعائر الله تبارك وتعالى وقد قال الله تبارك وتعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فلا يزال العبد اذا وصل الى شهود الوجود في عينه كالذرة يتكبر عنده أفراد الوجود شيأ فشيأ حتى يرجع الى الحالة الاولى التي كانت له قبل الترقي ويصير يعظم الوجود بتعظيم الله تبارك وتعالى ويحقره بتحقير الله تبارك وتعالى اذ ليس المؤمن كالمنافق ولا الكبش كالكلب انتهى وحاصل المراد من ذلك كله ان الموجودات من حيث ايجادها تتلاشى في جنب معلومات الله وأما من حيث مراتبها فما عظمه الله تعالى وجب تعظيمه وما حقره وجب تحقيره على حد ما نفهم تكاليفنا به (فعلم) ان كل من توهم ان الله تبارك وتعالى تأخذه الجهات فليس له في مقام المعرفة نصيب وانما هو كالمجسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقد كان) سيدي على بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول ليس الرجل من يتقيد داخل الاجرام من العلويات والسفليات انما الرجل من خرج من الاقطار كلها وشاهد خالقها كما يليق بجلاله انتهى أي بحسب استعداد ذلك المشاهد فانه وسعه الذي كلف به وأما قوله صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك أي ما عرفناك على ما أنت عليه في

سئلوا فلا يخبرونك الا عن دنياهم وربما أخبروك اذا سألتهم عن الضجر بأحكام مولاهم فالسائل لمن هذا وصفه مشارك له فيما استثاره سؤاله بجريان سببه منه قال الشيخ أبو العباس لرجل أتى من الحج كيف كان حجكم فقال ذلك الرجل كثير الرخاء كثير الماء كذا كذا وسعر كذا كذا فأعرض الشيخ عنه وقال نسألهم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله من علم ونور وفتح فيجيبون برخاء الاسعار وكثرة المياه حتى كأنهم لم يسألوا الا عن ذلك *(الفائدة الثانية)* انه ينبغي للمشايخ تفقد حال المريدين ويجوز للمريدين اخبار الاستاذين وان لزم من ذلك كشف حال المريد لان الاستاذ كالطبيب وحال المريد كالعورة والعورة قد تبدى للطبيب لضرورة التداوي *(الفائدة الثالثة)* أنظر الى قوة نور حارثة في قوله أصبحت مؤمنا حقا فلولا انه منصور بنور البصيرة الموجبة لمحض اليقين والتحقق بالمنة ما أخبر بذلك وأبداه وأثبت لنفسه حقيقة الايمان بين يدي صاحب المحو والاثبات

نفس الامر وفى مواقف الامام النفرى رضى الله تعالى عنه أوقفنى الحق جل وعلا بين يديه فى المنام وقال لى قل للعارفين بى ان رجعتم تطلبون منى الزيادة فى المعرفة فاعرفتمونى لان طالب الزيادة جاهل بى فيما سأل وان رضيتم بالوقوف على حد ما عرفتموه منى فما عرفتمونى وعزتى وجلالى ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه انتهى فتأمل فى هذا المحل واطلب من الحق زيادة العلم به ولا تمل فلو ترقيت فى وجوه المعارف أبد الآبدين ودهر الداهرين لم تقف للمعرفة على قرار ومن هنا قال بعض العارفين سبحان من كان العلم به عين الجهل به والجهل به عين العلم به انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تسليمى للنفس دعواها العجز عن فعل شئ من الطاعات حال مرضها فلا أسلم لها العجز عن القيام فى الصلاة مثلا الا بعد امتحانها بالوقوف ووقوعها مرة بعد مرة قهرا عليها فاذا وقعت صليت حينئذ جالسا بشرطه فان عجزت عن التماسك فى الجلوس صليت مضطجعا وانما أوجبنا امتحان النفس فى مثل ذلك لعلمنا بان النفس مجبولة من أصلها على عدم الطاعة لله تبارك وتعالى وايثارهواها على أوامر الحق تبارك وتعالى وقد ورد فى بعض الآثار ان الحق تبارك وتعالى أوقف النفس بين يديه وقال لها من أنا فقالت له تبارك وتعالى فمن أنا فغمسها فى بحر الجوع خمسة آلاف سنة ثم قال لها من أنا فقالت أنت الله خالق كل شئ انتهى فعلم ان من أطاع نفسه فى طلبها الراحة صرعته فلا تزال تسارقه وتجره الى الكسل شيأ فشيأ حتى ترجع الى ابايتها الاصلية قبل ان تغمس فى بحر الجوع وهذا الخلق قل من يتنبه له وغالب الناس يصلى الصلاة جالسا بادنى وجع ولا يمتحن نفسه وهو تهور فى الدين (وقد كان) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه شارح البهجة يصلى النوافل قائما وقد جاوز المائة عام فيصير يميل يمينا وشمالا يكاد يقع من العجز ولا يصلى جالسا فقلت له يوما ان مثلكم لا يطالبه الله تبارك وتعالى بالوقوف فى النوافل فقال النفس من شأنها حب الراحة والكسل وأخاف ان أجيبها الى ما طلبت فاختم عمرى بالكسل عن الطاعات انتهى و والله انى لأخرج للصلاة فى بعض الاوقات أجر رجلى جرا من ثقل الوارد الذى يرد على من البلايا والمحن التى تتعلق بى وباخوانى ولا أصلى فى البيت خوفا ان يقتدى بى الكسالى فى مثل ذلك فلا يخرجوا من بيوتهم لصلاة الجماعة (وفى كلام) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه من لم يحاسب نفسه على كل نفس ويتهمها فى جميع أحوالها لا يكتب عندنا فى ديوان الرجال انتهى فما ثم أتعب قلبا ولا بدنا ممن جعله الله تبارك وتعالى قدوة للناس انتهى (ومن هنا) بالغ النبى صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا فقطع جميع المجتهدين بعده ولم يلحقوه ومبالغة فى النصح لهم وما كان يصلى جالسا الا حين علم الصحابة رضى الله تعالى عنهم عجزه صلى الله عليه وسلم فصلى حينئذ جالسا انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام من شفعت فيه شفاعة وقبلت عند أحد من الولاة أو قبول هدية على ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فى هذا الزمان فقليل من الناس من يتنبه لمثل ذلك وقد شفعت مرة فى سيدى محمد العبادى عند الوزير على باشا لما كان عزم على نفيه من مصر وشرع فى بيع عبيده وأمتعته فقبل شفاعتى فيه وانحل عزمه عما كان أراد أن يفعله فأرسل الى جارية فلم أقبلها فلكها لابنى عبد الرحمن فقلت له لا تقبل فلكها الابنتى نفيسة فقلت له لا أقبل لها ذلك فخاف أن لا ترجع فمكثت عندى الى ان ماتت على ذمته والنكتة فى ذلك أن الشفاعة من القربات الشرعية وأنا لا آخذ عليها أجرا فى الدنيا وقد وقع انى أكلت مرة سهوا لمن شفعت فيه ثم تفكرت فتقيأته من بطنى وكثيرا ما يأتى الفلاح أو غيره بهدية لأشفع له عند أحد من الكشاف أو مشايخ العرب فامنع النقيب من انه يدخلها فيصير واقفا على باب الزاوية بهديته الى آخر النهار حتى يخرج عنها للعميان والمجاورين وفى أوقات يردها الى بلده أو يبيعها ثم أشفع له لله تبارك وتعالى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

وانما أبدى ذلك حارثة لانه علم ان طواعية رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة والرسول ابتداء خبره عن حاله فلم يسعه الكتم وأبدى ما علم ان الله تفضل عليه ببركات متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفرح له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنة الله فيشكر الله عنه ويسأل الله تثبيت ما أعطاه ومثل هذا ما ذكره بعض العلماء قال وقعت زلزلة بالمدينة زمن خلافة عمر فقال عمر ما هذا ما أسرع ما أحدثتم والله لئن عادت لاخرجن من بين أظهركم فانظر رحمك الله هذه البصيرة التامة كيف أشهدته ان الزلزلة انما هى من حدث وان ذلك الحدث منهم وانه برئ منه فهل هذا الا من نور البصيرة الكاملة التى وهبها عمر وكذلك ضربه لابى هريرة فى صدره حين وجد معه نعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمره ان من لقيه من وراء الحائط يشهد أن لا اله الا الله أن يبشره بالجنة ورجوعهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول عمر يا رسول الله انت أمرت أباهريرة أن يأخذ نعليك ويبشر من لقى من وراء الحائط يشهد أن لا اله الا الله بالجنة قال نعم قال لا تفعل يا رسول الله خلهم يعملوا فقال عليه السلام خلهم يعملوا وهاتان الواقعتان يعرفانك بعظيم قدر عمر ووفور

(ومما

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) كراهتي لقبول شيء من هدايا الولاة والعمال لي أو لإخواني وذلك لاننا ما نحب الولاة الا بقصد تفريج كرب المكر و بين ونحن على حذر من الميل اليهم وسهامنا المسمومة متوجهة اليهم ليلا ونهارا لتصيبهم لكثرة ظلمهم فان سددناهم ولحمهم من كثرة الظلم والبلص وأذى المسلمين ومعلوم أن قبولنا هداياهم والا كل من طعامهم يبطل عمل سهامنا فيهم ونحن لانرى ابطال عمل سهامنا فيهم بالا كل من طعامهم أو اللبس من ثيابهم مثلا مع ما في ذلك من التبعات وعدم قبول الشفاعات فان من أ كل من طعام رجل أو قبل هديته ذل له وصار معدودا من عائلته وقد أغفل غالب الفقراء هذا الباب فقبلوا من الولاة هداياهم وصدقاتهم وطلبوا منهم قبول شفاعاتهم وانقيادهم لهم وذلك كالمحال ولو أنهم زهدوا فيما في أيدي الولاة ولم يقبلوا منهم صدقة ولا هدية لعظموهم وقبلوا شفاعاتهم وقبلوا أيديهم وأرجلهم وما أخبرتك يا أخي الا بما جربته في نفسي قبل دخولي في صحبة طريق القوم وقد كان الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه يقول من أ كل من طعام رجل استحى منه ضرورة و ربما ترك نصحه جلة حياء منه انتهى وفي المثل السائر اطعم الفم تستح العين انتهى وقد بلغني ان شخصا من مشايخ العصر يسافر كل سنة لمشايخ العرب من مصر ليسلم عليهم و يقول لهم قد اشتقنا لكم مع ان له اخوانا في الطريق يرى مكانهم من زاويته ولا يزور أحدا منهم ولا يشتاق اليه و بلغني أيضا ان بعض مشايخ العرب يقول قد عز نا في رضا هؤلاء المشايخ من كثرة ما يشحذون منا وكيف تطيب نفوسهم أن يأ كلوا من طعامنا و يقبلوا صدقاتنا مع علمهم بان أموالنا لا تسلم من الحرام والشبهات انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه و تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم افشائي سر من صحبته من الولاة اذا قربني وصار يشاورني في أموره فلا أقول لاحد من أصحابي قط ان الامير قال لي كذا أو شاورني في كذا أبدا الاسيما الباشا مثلا فانه ينبني على ذلك مفاسد لا تحصى منها نفرة ذلك الامير مني وأخذه حذره مني و يعدني عدوا أو مغفلا وذلك يوجب عدم اعتنائه بشفاعتي عنده في المظلومين ومنها الفساد في المملكة وقد قالوا ليس للملك أن يعفو عن ثلاث الاول من قدح في ملكه الثاني من أفشى سره الثالث من أفسد حريمه وهذا الامر قل من يثبت فيه من المجتمعين على الامراء فيفشون أسرارهم و يفتخرون بقولهم قال لي الباشا البارحة كذا وسمعته يقول مقصودي عزل فلان أو قتل فلان أو تولية فلان ونحو ذلك انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم افتخاري بمجيء الا كابر الي من أمير كبير أو قاضي عسكر ونحوهما ولا أقول لمن أتاني ولا علم له بمجيء ذلك الامير الي البارحة كان عندنا فلان لان ذلك كالافتخار بأهل الدنيا وهذا أمر يقع فيه غالب المتمشيخين بأنفسهم في هذا الزمان كأن أحدهم يقول اعرفوا مقامي عند الامراء والا كابر وكذلك القول فيما اذا زارني ولي كبير أو عالم فان في ذكري للناس أنه زارني اعلاما لهم بان العلماء والاولياء يعظموني ولا يخفى ما في ذلك من الرياء وقلة العقل فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم مزاحمتي على صحبة أحد من الولاة وأبناء الدنيا ممن حولهم البر والحشمة وان كنت صحبت أحدا منهم ثم طرأ على أحد يزاحمني فيه تركته له بانشراح صدر وقد تقدم أوائل هذا الكتاب أني لا أتشوش ممن نقصني عند أحد من الولاة حتى صار ينكر على و يبغضني بعد أن كان يعتقدني و يحبني لانه أراحني من ورطة عزله ونفر خاطري من الركون اليه وحماني من احتمال أن تمسني النار التي وعد الله سبحانه وتعالى بها من يركن الى الظلمة ان ركنت اليه وقد كان سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا نفر أحد عنه ممن يعتقده من الولاة يقول جزى الله أخانا فلانا خيرا كان الامير الفلاني مقبلا على مثل الجرف فصده عني وأراحني من تعبه فان الولاة لا يعتقدون فقيرا الا بقصد حمايته لهم من عوارض الدهر ولا يحسنون اليه الا بذلك القصد فلسان حالهم يقول ما دام سيدي الشيخ يدعو لنا وهو حامل حملتنا لا نبالي ولو ظلمنا العباد

أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتطائه من نوره وهذا الحديث رويناه من صحيح مسلم وانما ذكرته ههنا مختصرا *(الفائدة الرابعة)* يفهم من هذا الحديث انقسام الايمان الى قسمين ايمان حقيقي وايمان رسمي فلذلك أخبر الصحابي بقوله أصبحت مؤمنا حقا والحديث يشهد له أيضا ما رواه البخاري في صحيحه برفعه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد رسولا وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان توقد نار عظيمة فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله وقد جاء في الحديث أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وقد قال الله سبحانه أولئك هم المؤمنون حقا وهما صنفان عباد آمنوا بالله على التصديق والاذعان وعباد آمنوا بالله على الشهود والعيان وهذا الايمان الثاني تارة يسمى ايمانا وتارة يسمى يقينا لانه ايمان انبسطت أنواره وظهرت آثاره واستمكن في القلب وجوده وداوم السر شهوده وغنيه

والبلاد فالصادق من يحب كل من نفر عنه أبناء الدنيا والسلام فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وممامنّ الله تبارك وتعالى به علىّ) انى لا أصحب أحدا من الولاة الا بعد أن رأيت أن صحبته ترجح على عدم صحبته ثم انى اذا صحبته لمصالح العباد لا أزال أسارقه بتكبير غيرى ممن أعتقد أهليته لما أقصد من المصالح وأرفعه فى عينه وتحسين اعتقاده فيه حتى يصير يقدمهم علىّ فاذا صار كذلك تركت صحبته بسياسة بحيث لا يشعر بى أحد ولا يعتقدوا فىّ انى تشوشت منه لكونه صحب غيرى وهذا خلق ما رأيت له فاعلا فى مصر غيرى وقد فعلته مع الامير محيى الدين بن أبى أصبع ومع محمد بن بغداد ومع كثير من الكشاف فحسنت اعتقادهم لما صحبتهم فى غيرى وصرفتهم اليه ولم يفعل ذلك معى أحد من متمشيخى أهل عصرى بل ربما نصبوا على صاحبى ليفسدوه علىّ وأرسلوا اليه أوراقا يجرحونى عنده كما وقع لى ذلك لما ترددا الى الدفتردار محمد وصار يثنى علىّ فى المجالس فجزاهم الله تعالى عنى خيرا وان لم يقصدوا ذلك الخير وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول صحبة الولاة غالبها وخيم وعواقبها رديئة فمن ابتلى بشئ من ذلك وأراد التنصل منهم فليحسن اعتقادهم فى أحد من الفقراء الذين فى بلده ويسأل الله تعالى أن يدبرهم بحسن التدبير انتهى فعليك يا أخى بتكبير اخوانك عند كل من صحبته من الامراء واذكرهم بالصلاح والخير واياك وتجريح أحد من أقرانك عنده فيقيض الله تبارك وتعالى لك بحكم العدل من يجرّحك وينقّصك عند ذلك الامير حتى تصير كخرقة الحيض جزاءً وفاقا كما وقع ذلك لجماعة من طلبة العلم فذكروا بعضهم بسوء عند الامير الذى يصحبوه فاستفاد الامير من كل منهم ان خصمه قليل الدين فقال الله لا ينفعنى ببركة أحد منهم ولو انهم كانوا كبّروا باخوانهم عنده لخرجوا كلهم من صحبته مستورين انتهى وأنا أوصى جميع اخوانى بالتخلق بهذا الخلق فان له حلاوة عظيمة وفيه رضا الله تبارك وتعالى ورضا الاخوان وحكم العكس بالعكس ثم ان أصل تنقيص الناس لبعضهم بعضا عند الامراء انما هو لحبهم الدنيا وطمعهم فى احسان ذلك الامير اليهم فهم يخافون ان يميل ذلك الامير الى غيرهم فيقطع عنهم برّه وحسنته أو يمنع عنهم ما كانوا يؤملونه منه فلذلك نفّروه عن الميل الى أحد من أقرانهم انتهى ومن أغرب ما وقع لى أن شخصا حطّ فىّ عند بعض الامراء لما كنت أشفع عنده فلامه على ذلك بعض الاخوان فقال انما نفرته عنه رحمة به خوفا أن يحسن اليه فيميل اليه ثم انه صحب ذلك الامير بعدى وصار يقبل هديته ويبثّ محاسنه فى المجالس ويصفه بالصلاح فقال له بعض الاخوان انما صحبت الامير غيرك وصفته بالظلم ولما صحبته أنت وقبلت هديته وبرّه صار من الصالحين فما درى ما يقول انتهى ولما طلعت للوزير على باشا بمصر وقبل شفاعتى وأكرمنى غار بعض الحسدة من ذلك فارسلوا له قصة وجرحونى فيها بما هو من صفتهم والله يعلم انى منه برئ ثم انهم احتاجوا الى من يشفع لهم عنده فجاؤنى فقلت لهم كيف أنكم تجرحونى ثم تطلبون منى ان أشفع لكم عنده وما ضركم لو كنتم سكتم عن تجريحى فكنت أشفع لكم ثم لم أشفع فيهم عقوبة لهم وعلما بان ما استشفعونى فيه ليس من الضروريات انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وممامنّ الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة قبول شفاعاتى عند الامراء واعتقادهم فىّ الصلاح من غير مطالبتى بكرامة ولا أعلم الآن أحدا فى مصر أكثر شفاعة عند الولاة والكشاف ومشايخ العرب والعمال منى فربما يفنى الدست الورق فى مراسلاتهم فى حوائج الناس فى أقل من شهر مع أن فى البلد من هو أعظم مقاما منى بل لا أصلح أن أكون تلميذا له وقد بلغنا أن من كان قبلنا من الفقراء لم تزل بينهم وبين الولاة الحرب والمقاطعة ولم تزل الولاة يطالبون الفقراء بالكرامات حتى يقبلوا شفاعتهم كسيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وسيدى محمد الحنفى رضى الله تعالى عنه وسيدى ابراهيم الجعبرى رضى الله تعالى عنه وسيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه وأضرابهم رضى الله تعالى عنهم وكانوا ينفخون بطن الظالم منهم حتى يكاد بطنه يتمزق وكانوا يحبسون بول أحدهم حتى يكاد يهلك وأنا بحمد الله تبارك وتعالى لم يطالبنى أحد بذلك ولم يحوجنى الى شئ من هذه الافاعيل وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول من لم يقدر على قتل الظلمة بالحال أو عزلهم لا يصح له

يكون خالص الولاية كان عن القسم الآخر يكون ظاهر الولاية وليس يستوى ايمان مؤمن يغلب الهوى وايمان مؤمن يغلبه الهوى ولا ايمان مؤمن تعرض له العوارض فيدافعها بايمانه كايمان مؤمن غسل قلبه من العوارض فلا ترد عليه لمشهوده وعيانه ولاجل هذا ما اختلف أهل الطريق فى عبدين أحدهما يرد عليه خاطر الذنب فيجاهد نفسه حتى يذهب ذلك عنه والآخر لا يخطر له هذا الخاطر أصلا أيهما أتم والذى لا نشك فيه تفضيل هذا القسم الثانى فانه أقرب لاحوال أهل المعرفة والاول هو حال أهل المجاهدة ولانه لا يكون القلب على هذه الصفة الا والنور قدملأ زواياه فلاجل ذلك لم يجد خاطر الذنب مساغا *(الفائدة الخامسة)* مطالبة الرسول صلى الله عليه وسلم لحارثة باقامة البرهان على ما أثبته لنفسه يفيدك ذلك انه ليس كل من ادعى دعوى سلمت له وقد قال الله سبحانه وتعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فموازين الحقائق شاهدة للعباد أو عليهم وقد قال سبحانه وأقيموا الوزن بالقسط فمن ادعى حالا مع الله أقيم عليه ميزانها فان شهد له سلمناله والا فلا واذا كانت الدنيا على خساسة قدرها عند الله

دوام

دوام قبول الشفاعة عندهم وكان رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يقول ينبغي للعارف أن يحمي نفسه وأصحابه بالحال ولو مرة انتهى فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حسن سياستي لمن أشفع عنده من الولاة وغيرهم فيلهمني الله تبارك وتعالى كلاما لم يمر على بالي قبل ذلك فيحل غضب ذلك الامير بعون الله تبارك وتعالى وقدرته ولما شفعت عند الوزير علي باشا بمصر في محمد العبادي لما نقم عليه وأراد نفيه من مصر وأراد أن يبيع عبيده وجواره وأمتعته قلت له قد جئنا نشفع في محمد العبادي فان كان يستحق أن نشفع فيه فشفعونا فيه وان كان لم يستحق فالفقراء معكم عليه حتى يتأدب فانا لا نوالي من خرج عن طاعة ولي أمرنا فتبسم وانحل غضبه فقلت له حلمكم يسع آلافا من أمثال العبادي وكان قدر شفاعة من هو أعظم مني قبل ذلك ولما مشى النمامون بين سيدي عبد الله الغمري رضي الله تعالى عنه بالمحلة الكبرى وبين سيدي الشيخ عبد الحميد الطريني رضي الله تعالى عنه ولم يقدر أحد على الصلح بينهما فجمعتهما القدرة عندي في مصر فقلت لا شك ولا خفاء أن كل شيخ منكما له معتقدون يصدقونه في كل ما يجرح به الآخر فيحل الامر الى بهدلة كل منكما عند الناس وعند الحكام فقالا هذا الامر معقول ما طرق سمعنا قط واصطلحا عندي ولم يزالا على ذلك حتى ماتا انتهى وكذلك لما مشى الناس بين شيخي الشيخ أمين الدين رضي الله تعالى عنه الامام بجامع الغمري وبين الشيخ شمس الدين الدواخلي رضي الله تعالى عنه بجامع الغمري وحصلت النفرة بينهما قلت للشيخ أمين الدين يا سيدي سمعت الشيخ شمس الدين يقول أنا ظالم على الشيخ أمين الدين لكونه أكبر مني سنا وكان الواجب علي أني احتمله وقلت للشيخ شمس الدين سمعت الشيخ أمين الدين يقول كان الاولى بي احتمال الشيخ شمس الدين لكونه أصغر مني سنا فدارت الكلمات بينهما فقاما وتعانقا ولم يزالا على الصلح حتى ماتا الى رحمة الله تعالى ورضوانه ثم لا يخفى أن هذا كله انما هو في وقفة تكون بين اثنين من غير مخالطة حسد اذا الحسود لا يرضيه الاعتذار وانما يرضيه زوال النعمة عن المحسود فيكل العاقل أمر الحسود الى الله تبارك وتعالى ولا يتعب نفسه معه والاثم على الحاسد دون المحسود فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الاكل من ضحايا الولاة ومشايخ العرب التي يرسلونها الى الزوايا ونحوهم من المباشرين وأعوان الولاة وان وقع أنني أذنت في ذبحها عند عدم العلم بمالكها في الاصل أطعمها لمجاويج الحارة بقصد نفع أصحاب تلك الضحية التي هي على ملكهم في نفس الامر وقد بلغنا ان الكشاف ومشايخ العرب يأخذون هذه الضحايا التي يفرقونها من أهل البلاد غصبا وأصل مشروعية التضحية انما هو لدفع البلاء عن أهل الدار طول سنتهم كالعقيقة تميط الاذى عن المولود ومعلوم من قواعد الشريعة ان الحرام والشبهات تزيد أهل الدار بلاء فضلا عن كونه يدفع عنهم وربما كانت تلك الضحية لايتام أو فقراء أخذها شيخ البلد منهم قهرا وقال نفرد أثمانها على أهل البلد فتكثر التبعات بذلك وربما لم يفردوا لهم فيأكل سيدي الشيخ وفقراؤه حراما بنص الشريعة فالمؤمن الخائف على دينه من يتورع عن مثل ذلك فلا يأكل من تلك الاضحية سواء فردوا أثمانها أم لم يفردوه فانه لا وجه لاكلها شرعا فليحذر المتدين من ذلك ولا يغتر بقول المتهورين في دينهم الاصل الحل لان الاصل لا يعمل به الا اذا لم يكن هناك سبب معتبر يحال عليه في الحرمة أو النجاسة كما هو مقرر في قواعد الفقه وقد وجد سبب الحرمة هنا وهو ان الولاة يأخذون ضحاياهم التي يفرقونها من أهل بلادهم بغير طيبة نفوسهم ومن شك في قولي هذا فليسافر الى أهل البلاد ويسألهم هل الضحايا التي يأخذها شيخ العرب منكم تعطونها له بطيبة نفوسكم أم لا يعرف صدق قولي يقينا * ومما وقع لي ان بعض الكشاف بالغربية أرسل الى خمسة أكباش فقلت لقاصده أنا لا أقبل شيئا من الكشاف فقال لا أقدر أردهم له فيشوش علي فقلت له خذها وأنا أدعو الله ان لا يعلم بها فلم يفعل فقلت للنقيب أخرجها ليلا من الدار فكل من وجد منها شيئا أخذه فلم يفعل وذبحها في الليل وفرقها على المتزوجين من الفقراء فعلمت بذلك فأرسلت أخذته منهم وقلت لهم أطعموه للكلاب فاطعموه جميعه للكلاب وشح منهم واحد أن يرمي لحمه للكلاب وعزم على أكله

لا تسلم لك الا ببينة تقيمها فمن الاخرى أن لا تسلم لك مراتب الموقنين حتى يثبتها لك برهان أو تسلمها لك حقيقة*(الفائدة السادسة)*كان الشيخ أبو العباس يقول لو كان المسؤل أبا بكر رضي الله عنه لم يطالبه الرسول عليه السلام باقامة برهان على ما ادعى لان عظيم رتبة أبي بكر شاهدة له من غير اظهار برهان فاراد الرسول عليه السلام أن يعرفنا الفرق بين رتبة أصحابه فمنهم من هو كحارثة لما ادعى حقيقة الايمان طولب ببرهانها ومنهم من هو كابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يثبت لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الرتب وان لم يثبتوها لانفسهما ألا ترى الحديث الوارد ان بقرة في بني اسرائيل ركبها رجل وأجهدها فقالت سبحان الله لم أخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال الصحابة سبحان الله أبقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر وهما غائبان فانظر هذه المرتبة ما أفخمها وهذه المنزلة ما أعظمها وسمعت شيخنا أبا العباس يقول معنى قوله عليه السلام آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر أي من غير عجب وأنتم آمنتم متعجبين فلاجل ذلك قالوا سبحان الله أبقرة تتكلم وكان يقول ان الملائكة لما بشرت زوجة ابراهيم بالولد قالت ألد وأنا عجوز وهذا

ـقاء صغير لا يهتدى لامر ولا نهى فرمى اللحم من الطاقة للكلاب من غير علمه ولو أنه كان يتيسر لى معرفة أصحاب الغنم من أهل البلاد لكنت أرسلتها اليهم وهذا أمر ما رأيت له فاعلا فى مصر الا قليلا وعلم من قولنا ان أصل مشروعية التضحية دفعُ البلاء عن أهل المنزل انه لا ينبغى لتاجر ولا لفقير ان يقدد لحم أضحيته و يخزنه لطعامه طول سنته وكان لسان حاله يقول لا أحد يحمل عنى بلاء ودعونى أحمل بلاء نفسى فان قيل فاذا قلتم ان لحم الاضحية اذا فرق على الناس يتحملون بلاء المضحى فكيف ساغ تفرقة البلاء على الناس من غير علمهم به فالجواب ان صاحب الضحية كالمستغيث باخوان فى دفع تلك البلايا عنه فلذلك فرقها عليهم فيتوزعونها عنه فيخص كل واحد منهم جزء يسير لا يكاد يحس به هذا ما ظهر لى فى حكمة الامر بالتضحية ومن لم يطلع على حكمة ذلك فيكفيه امتثاله الامر له بالتضحية من غير معرفة علة ذلك ولكن يؤيد ما ظهر لنا من العلة استحباب التصدق بالثلث واهداء الثلث وأكل المضحى الثلث ويكفى الانسان من اخوانه ان يتحملوا عنه ثلثى البلاء النازل تلك السنة على نفسه وأولاده كما أشار اليه قوله تبارك وتعالى وفديناه بذبح عظيم فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) حمايتى من مساعدة الظلمة والولاة لى فى مؤنة الحج كلما أحج مع شدة اعتقادهم فى وطاعتهم لى فى كل ما أطلبه منهم وقليل من يسلم من ذلك بل رأيت بعضهم عرّض بمساعدتهم له لما طلب الحج وأرسل اليهم النقيب الذى يأخذ من الحافى نعله فاعطاه جملين وسكرا وعمل له الزاد فقال الشيخ جزاه الله عنى خيرا ورأيت بعضهم قبل المساعدة من المكاسين وبعضهم أخذ جملين من شيخ عرب وقال هما عارية مردودة فلما رجع من الحج باعهما فى الرميلة وقال قدمتا مني فى الطريق انتهى وكانت مؤنة حجاتى الثلاثة من ثمن زراعاتى للبطيخ والنيلة وغير ذلك ولا أعلم بحمد الله تبارك وتعالى فى ذلك شبهة وكان معى من العيال والفقراء فى الطريق نحو ثلاثين نفسا وقل من يسافر بمثل هذا العدد الا ويكون فى زاده الشبهة فينبغى للفقير الذى جعله الله تبارك وتعالى قدوة ان يبالغ فى تفتيش زاده من الشبهات جهده وان تحوّن فى السفر وكان فى زاده شبهة فليحرص على الاكل من الحلال من حين يحرم بالحج الى أن يتحلل منه فانما هى مدة الحج حقيقة وما زاد على ذلك فهو من التوابع والوسائل فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من المجاورة بمكة المشرفة فى حجاتى كلها وذلك لعجزى عن القيام بآداب المجاورة والاقامة بها فانها حضرة الله تبارك وتعالى الخاصة فى الارض وهذا الامر قل من يقوم بآدابه من العلماء والفقراء فضلا عن غيرهم بل ربما يرون ان المجاورة هنالك من أكبر النعم ولا يفتشون على ما عليهم فى ذلك من الآداب ومن جالس الملوك بلا أدب جرّه ذلك الى العطب وها أنا أذكر لك بعض آداب ذكرها الاولياء حضرتنى الآن لتتنبه بها على غيرها: فمنها ان لا يخطر ببال من يجاور معصية قط مدة مجاورته فى مكة ولو فى بيته فضلا عن المسجد الحرام فضلا عن الطواف فضلا عن الصلاة لانه فى حضرة الله تبارك وتعالى التى ما فى الارض بقعة أشرف منها الا تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لم يعلم من نفسه السلامة فلا ينبغى له الاقامة هنالك حتى يجاهد نفسه بالرياضة بحيث يصير لا تشتهى نفسه معصية قط قال سيدى الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه ومن أقام بمكة خمسين سنة لم يخطر على باله خاطر سوء سيدى سليمان الديبلى رضى الله تعالى عنه وفى القرآن العظيم ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. فتوعد من أراد فيه ظلما بالعذاب الاليم ولو لم يعمل ذلك الظلم فهو مستثنى عند بعضهم من حديث ان الله تعالى تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به الحديث كما هو مقرر فى كتب الاصول وقال بعض المحققين وهذا هو السبب الذى دعا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما لى سكنى الطائف دون مكة فاحتاط لنفسه وان كان وقوع الظلم منه لنفسه أو لأحد من الخلق بعيدا منه لحفظه رضى الله تعالى عنه من الوقوع فى مثل ذلك لانه رضى الله تعالى عنه أعلى مقاما من الاولياء الذين حفظوا من الوقوع فى المعاصى بيقين فافهم وكذلك كره الامام مالك

يعلى شحنا ان هذا الشئ عجيب فقالت الملائكة لها أتعجبين من أمر الله أمر الله لا يتعجب منه فلم يسمها الحق صديقة ومريم لما بشرت بالولد من غير أب فلم تتعجب من ذلك سماها صديقة فقال سبحانه وأمه صديقة *(الفائدة السابعة)* استدلال الصحابى على حقيقة ايمانه بزهده فى الدنيا وكذلك هذا الايمان اذا تحقق به من قام به أورثه الزهد فى الدنيا لان الايمان بالله يوجب لك التصديق بلقائه وعلمك بان كل آت قريب يوجب لك شهود قرب ذلك فيورثك ذلك الزهد فى الدنيا ولان نور الايمان يكشف لك عن اعزاز الحق لك وتأنف همتك من الاقبال على الدنيا والتطلع اليها مع أن الحقيقة تقتضى ان الزاهد فى الدنيا مثبت لها فانه شهدها بالوجود اذ أثبتها مزهودا فيها واذا شهدها بالوجود فقد عظمها وهو معنى قول الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه والله لقد عظمتها اذا زهدت فيها ومثل زهد الزاهد فيما زهد فيه فناء الفانى عما فنى عنه فاثبات انك فان عن الشئ اثبات لذلك الشئ فما لا وجود له لا يتعلق به فناء ولا زهد ولا ترك ولنا فى هذا المعنى أبيات ركنت بها البعض انهواقها يسمى حسنا

حسين بان تدع الوجود بأسره * حسن فلا يشغلك عنه شاغل

والشعبى

والشعبي رضي الله تعالى عنهما المجاورة بمكة وقال الامام الناولبلد تضاعف فيها السيآت كما تضاعف الحسنات ويؤاخذ الانسان فيها بالخاطر انتهى ثم لا يخفى عليك يا أخي ان من الظلم سوء ظنك باخيك المسلم و بغضك له بغير حق كما يقع فيه من لم يكن بيده حرفة هنالك ولم يكن معه مال ينفق منه على نفسه فيصير متطلعا لما في أيدي الخلائق فكل من لم يفتقده بشئ يصير يحط عليه في المجالس ولو تعريضا او يصفه بالبخل وذلك ظلم منه لاخيه فمثل هذا ربما أذاقه الله تبارك وتعالى العذاب الاليم فجعله يطمع فيما في أيدي الناس و يقسي تبارك وتعالى قلوبهم عليه و يلقي عليه الجوع الذي لا يحتمله ولا يصبر عليه فلا هو يقدر على نفسه ترجع عن الطلب ولا هم يعطونه شيأ نسأل الله سبحانه وتعالى اللطف بنا وباخواننا. ومنها ان يأكل من الحلال الصرف مدة اقامته وذلك امابعمل حرفة شرعية كما كان عليه الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه وسفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه وابن أدهم سيدي ابراهيم رضي الله تعالى عنه واضرابهم رضي الله تعالى عنهم وامابتوجهه الى الله تبارك وتعالى ان يستخرج له الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهات فيرزقه من حيث لا يحتسب كطعام الانبياء والاولياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك ان من أكل غير الحلال قسا قلبه وغلظ وأظلم وحجب عن دخول حضرة الله تبارك وتعالى فلا يقدر على قلبه أن يمكث لحظة في حضرة الله تبارك وتعالى بل كلما اضطره الى الدخول زهق منه وخرج وتشتت فلا يقدر أن يستحضر أنه بين يدي الله عز وجل زمنا طويلا أبدا واذا حجب عن دخول حضرة الله تبارك وتعالى فما فائدة مجاورته بمكة وهذا من أعظم الشقاء لانه يصير بعيدا في محل القرب. ومنها أن لا يبيت على دينار ولا درهم ولا طعام ولا ثياب وهو يعلم أن في مكة أحدا محتاجا الى ذلك. ومنها أن لا يسأله أحد في الحرم شيأ ويمنعه منه الا ان كان هو أحوج من السائل لاسيما ان سأله أحد بالله تبارك وتعالى أو قال له أعطني نصفا بحق رب هذه الكعبة فمن سئل شيأ هنالك ومنعه فهو لم يعرف عظمة الله عز وجل واذا لم يعرف عظمته تبارك وتعالى فهو مطرود لا يعبأ الله سبحانه وتعالى به ولو أنه كان جالسا عند أحد من ملوك الدنيا وسأله انسان لاجل ذلك الملك نصف فالربما أعطاه دينارا فليتنبه المجاور بمكة لمثل ذلك فان الحق تبارك وتعالى غيور. ومنها أن لا يحن قط الى وطنه و بلاده وأصحابه وأولاده فيصير ملتفتا عن حضرة ربه جل وعلا وظهره اليها ووجهه الى الدنيا ومعلوم أن العطايا والمنح لا تكون الا للمقبلين على حضرة الله تبارك وتعالى فان المدبر عنها في حضرة ابليس. ومنها أن لا يميل قط الى شهوة محرمة ولا مكروهة بل ولا يخطر على باله كما من ومراعاة ذلك عسيرة جدا على من يجاور في الحرم من غير زوجة ولا أمة وهو شاب ولذلك ج الا كابر من العلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم بزوجاتهم وتحملوا مؤونة حملهن ذهابا وايابا كالشيخ أبي الحسن البكري رضي الله تعالى عنه والشيخ محمد الشناوي رضي الله تعالى عنه وأضرابهما رضي الله تعالى عنهم كل ذلك خوفا أن تميل أنفسهم الى الجماع هنالك وليس معهم أحد من حلائلهم ومنها أن يقلل الاكل جهده ولا يأكل حتى يحصل له مقدمات الاضطرار الشرعي وذلك بان يحس بان أمعاءه يأكل بعضها بعضا مع الحرارة لانه ليس هنالك طبيعة تشتغل الامعاء بها في تبريد النار التي تطبخ الطعام وذلك ليشارك أهل الجوع من الزيالع وغيرهم في الجوع ولا يختص عنهم بشئ وكذلك من الادب أن لا يأكل قط وعين تنظر اليه من المحتاجين الا أن يشرك ذلك الفقير معه في الاكل وذلك هو معظم الاسباب التي امتنعت أنا من المجاورة لاجلها وقد جاءني الشيخ على الكاز واني رحمه الله تعالى وسألني في المجاورة فقلت له مامعي شئ أنفقه ومعي من لا يصبر على تجريدي فقال مثلك لا يحمل هم الرزق اجلس و يأتيك الله برزقك فقال له ولدي عبد الرحمن وكان عمره أربع سنين ان كان سيدي الشيخ يطلب من والدي المجاورة فليشاركه في كل شئ دخل عليه من جواليه وصرره ولا يتميز عن والدي بشئ وهو بجلس فسكت ولم يرد لنا جوابا من ذلك اليوم لعجزه عن القيام بذلك مع أنه معدود من الصالحين عند غالب أهل مكة ومنها أن لا يعاني هنالك الملابس الفاخرة الغالية الثمن ولا الروائح الطيبة الا ان علم انه ليس في مكة جيعان ولا عريان والا فمن الادب صرف مازاد عن الضرورة على الفقراء والمساكين وان لبس الثياب الخشنة أو الخليقات أو المرقعات كان أولى وأكثر تواضعا ويجمع ذلك كله أن من أدب المجاور بمكة أن لا يتميز عن

ولئن فهمت لتعلمن بانه * لاترك الا للذي هو حاصل ومتى شهدت سواه فاعلم انه * من وهمك الادنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده
والله يعلم مايقول القائل
ولئن أشرت الى الأصرح من الهدى
دلت عليه ان فهمت دلائل
وحديث كان وليس شئ غيره
يقضي به الآن اللبيب العاقل
لاغير الا نسبة مثبوتة
ليذم ذو ترك ويحمد فاعل
(الفائدة الثامنة) قول الصحابي عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها العزوف هو ترك الشئ بالتعزف له والاعراض عنه اذ لو قال تركت الدنيا لم يلزم من الترك عدم التطلع فرب تارك للشئ وهو له متطلع فالعزوف اعراض مع كراهه وتحقر ومن كشف له عن حقيقة الدنيا فهذا شأنه فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة قذرة وقال صلى الله عليه وسلم للضحاك ماطعامك قال اللحم واللبن قال ثم يعود الى ماذا قال الى ماقد علمت يارسول الله قال فان الله جعل مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا فمن كشف له عن حقيقة الدنيا فشهدها جيفة قذرة فحري ان تعزف همته عنها فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه

اخوانه المسلمين بأكل ولا ملبس ولا غيرهما حسب طاقته وعزمه ولا بردسائه الا بالله اجلالا لله تبارك وتعالى الذى هو فى حضرته . ومنها أن لا يرى نفسه قط انه خير من أحد من المسلمين فى سائر أقطار الارض فان هذا ذنب ابليس الذى أخرج لاجله من حضرة الله تبارك وتعالى وطرد ولعن الى يوم الدين اللهم الا أن يرى انه خير من حيث نعمة الله تبارك وتعالى عليه بالتوفيق فى الحالة الراهنة أكثر مما أنعم به على ذلك الشخص و يرجو لنفسه حسن الخاتمة من غير أن يعتقد سوء خاتمة ذلك الشخص ولا ان نفسه أولى بها منه فلا حرج عليه ثم لا يخفى ان أهل الحضرة الالهية كلهم مقربون لا ملعونون فمن تعاطى أسباب اللعن أخرج من الحضرة الالهية فافهم ومنها أن لا يبول ولا يتغوط فى الحرم كما كان أبو عثمان المغربى رضى الله تعالى عنه وأرضاه والفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه وسفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه يفعلونه فكانوا يخرجون الى الحل يتغوطون ويرجعون هكذا نقله القشيرى رضى الله تعالى عنه عن أبى عثمان وغيره رضى الله تعالى عنهم أجمعين ومنها أن لا يمشى فى الحرم الشريف بتاسومة الا ضرورة كشدة حر أو برد أو جرح ونحو ذلك فان الحرم الشريف محل حياة الاولياء والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولو كشف للمؤمن الحجاب لم يجد فى الحرم محلا يمشى فيه برجله لكثرة الساجدين فيه ليلا ونهارا وقد وقع ذلك لاخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه فكاد أن يذوب من الحياء والخجل من الاولياء الساجدين فتوجه الى الله تبارك وتعالى وسأله أن يرخى عليه الحجاب فحجب عن ذلك حتى طاف وصلى ما كتب له وكذلك وقع مثل ذلك لشخص من مريدى سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه فى جامعه بالمقسم فصار اذا مشى ينحرف يمينا وشمالا ويقول دستور والناس لا يرون هناك أحدا فاخبرهم بذلك فمنهم من أنكر ومنهم من صدق فرأى مثل ما رأى وصار يقول ما أرى موضعا خاليا من الساجدين من الجن والملائكة . انتهى . ومنها أن لا يرى له عبادة وقعت هناك على وصف الكمال اعجابا أبدا لئلا يقع فى الزهو والعجب بنفسه فيهلك مع الهالكين أما اعترافا بالنعمة فلا بأس ومن هنا كان أكابر الاولياء رضى الله تعالى عنهم لا يتميزون عن العامة بكثرة صوم ولا صلاة انما يؤدون الفرائض وما لا بد منه من السنن خوفا أن يطرقهم العجب بكونهم فعلوا ما فرضه تبارك وتعالى عليهم وزادوا عليه فلاجل هذا الخاطر تركوا المبالغة فى زيادة النفل مع ان النفل لا يكون الا لمن كملت فرائضه وهو خاص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل ورثتهم من الائمة رضى الله تعالى عنهم وأما غيرهم فجميع ما يفعلونه زائدا على الفرائض فانما هو جوابر لبعض النقص الواقع فى فرائضهم فافهم . ومنها أن لا يستحلى قول من قال فى حقه هنيأ لفلان الذى أقام بمكة وأقبل على عبادة ربه جل وعلا فمتى استحلى ذلك فهو دليل على عدم اخلاصه وحبه للرياء والسمعة فعمل مثل هذا حابط من أصله وليس معه شئ يحسد عليه فكيف يفرح بمن يغبطه على ذلك فليتنبه المجاور بمكة لنفسه ويحذر من الآفات . ومنها أن لا يذكر هنالك أحدا بسوء من سكان الحرم أو فى سائر أقطار الارض وقد كنت أسمع أهل مصر يقولون فى شخص أقام بمكة هنيأ لفلان ترك الدنيا واستراح فلما حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة جلست معه فى الحرم فشرع يستغيب شخصا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له لو عرف أهل مصر ما تقع فيه هنا ما تمنوا أن يكونوا مكانك فكيف تستغيب فى الحرم الشريف شخصا من جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت فى حضرة الله تبارك وتعالى فلا استحييت من الله عز وجل ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حصلت وكذلك وقع لى أنه جلس معى شخص آخر فى الحجر تحت الميزاب فصار يستغيب الشريف عبد الرحيم البيرونى فقلت له قم واخرج من الحرم كيف تستغيب أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضرة الله تبارك وتعالى والله ان البهائم أحسن حالا منك انتهى ما حضرنى مما يليق وضعه هنا من آداب المقيم بالحرم فى هذا الوقت وقد فتحت لك الباب ففتش نفسك فان رأيتها تقوم بهذه الآداب فجاور بمكة وهنيأ لك وان رأيتها لا تقدر على القيام بذلك فارجع الى بلادك بعد الحج فربما أنه أفضل لك من المجاورة وقد حج مع سيدى أبى العباس الغمرى رضى الله تعالى عنه أربعة عشر وليا من أولياء مصر رضى الله تعالى عنهم فاستأذنوه فى المجاورة فقال لهم رضى الله تعالى عنه ان قدرتم على أدبها فجاوروا وبين لهم

وسلم الدنيا حلوة خضرة فاعلم ان الدنيا جيفة قذرة فى مرأى البصائر حلوة خضرة فى مرأى الابصار فان قلت فما فائدة الاخبار بانها حلوة خضرة فاعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة قذرة للتنفير وقوله الدنيا حلوة خضرة للتحذير أى فلا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها فان حلاوتها فى التحقيق مرارة وخضرتها يبس ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله قال هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها *(الفائدة التاسعة)* وقوف الصحابى على مستحق رتبته بقوله وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون ولم يقل نظرت وقد تقدم لك ان من الانبياء يطالعون حقائق الاشياء والاولياء يطالعون مثلها *(الفائدة العاشرة)* قوله فمن أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى فارته عبد وصل بكرامة الله الى طاعة الله ألا ترى كيف قال فى الاول عزفت نفسى عن الدنيا ثم قال فمن أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى فسبق عزوف نفسه عن الدنيا معاملاته لربه وكان الشيخ أبو العباس يقول الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه

جملة

جملة من الآداب فلم يقدر أحد منهم يجاور ورجعوا رضي الله تعالى عنهم أجمعين فاقتد يا أخي بهؤلاء الاشياخ واعمل على التخلق بأخلاقهم ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الاكل من صدقات الناس وزكواتهم مادمت أجد عندي ما يسد الرمق وذلك لما بلغني اني من ذرية سيدي محمد ابن الحنفية رضي الله تعالى عنه اللهم الا أن تكون الصدقات عامة كالاوقاف فلي الاكل منها اذا كنت بصفة المستحقين لذلك الوقف وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي وساعدني على ذلك القناعة التي جعلها الحق تبارك وتعالى عندي ومن يستعفف يعفه الله تبارك وتعالى ومن يستغن يغنه الله تبارك وتعالى وقد كان والدي وجدي وأخي الشيخ عبد القادر على هذا القدم ويقولون نخاف أن نخالف هدى أسلافنا ونأكل من أوساخ الناس انتهى فافهم يا أخي ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة شكري لله تبارك وتعالى اذا زوى عني الدنيا كما أشكره اذا وسعها علي بل أولى لانه اذا زوى عني الدنيا يكون لي اسوة بالانبياء والاصفياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واذا وسعها علي كان لي أسوة بغالب الجبابرة كقارون وثعلبة والتأسي بالانبياء والاصفياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الفقر أسلم عندي من توسعة الدنيا وانفاقها وأقل حسابا وقد قال السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم يا طالب الدنيا لتبر بها غيرك تركك لها أبر وأبر انتهى وقال سيدي الشيخ أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه خلو اليد أرقى للعبد عند الله من توسعة الدنيا عليه ولو نوى بها التصدق انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وقال الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا واذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه وشغله بها عنه ثم انه تبارك وتعالى اذا أقامنا في حالة منهما فليس لنا طلب تحويلها بل يجب علينا الرضا بجميع ما يقضيه علينا وذلك لاننا عبيد مستعملون فيما يريد تبارك وتعالى لا فيما نريد نحن ثم ان كان ولا بد لنا من سؤال التحويل لغرض من الاغراض الشرعية فينبغي لنا أن نقول اللهم وسع علينا الدنيا ان كان في ذلك مصلحة أو ضيقها علينا ان كان لنا في ذلك مصلحة كما نقول في طلب الموت والحياة ثم ان كل شئ وقع بعد ذلك كانت الخيرة فيه ان شاء الله تعالى لتفويضنا أمرنا اليه تبارك وتعالى في الحالين وفناء اختيارنا في اختياره تبارك وتعالى وقد جرب الصالحون رضي الله تعالى عنهم الدنيا وقالوا قل من كثرت عليه الدنيا الا وتكثر غفلته عن الله تبارك وتعالى لان العبد كلما كان أكثر حاجة الى الله تبارك وتعالى كلما كان الحق جل وعلا على باله بخلاف ما اذا أعطاه قوت سنة مثلا فان غفلته تكثر حتى ربما كان شيخ الزاوية أكثر غفلة عن الله تبارك وتعالى من التجار اذا خزن قوت سنة وقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل بيته الكفاف وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا والقوت هو الذي لا يفضل منه عن غدائهم ولا عشائهم شئ وذلك ليكونوا متوجهين الى الله تبارك وتعالى صباحا ومساء

*وفي كلام الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لا توسع على عيالك وأولادك بما فوق كفايتهم الا باذن شرعي فان طاعتهم لك بقدر ما يستحضر من حاجتهم اليك انتهى وكذلك القول في العبد مع ربه عز وجل تكون طاعته لربه تبارك وتعالى بقدر حاجته اليه عز وجل قال تبارك وتعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ما وسع الله تعالى على عبد دنياه الا ليكثر شكر ربه عز وجل على ما أعطاه وأغناه به عن سؤال خلقه ويكثر بذلك عبادته وانقياده له ولأوامره فعكس العبد ذلك وغفل بما أعطاه له ربه جل وعلا عنه واتخذه ذريعة الى المخالفات والشهوات وسمعته مرة أخرى يقول انما اختار صلى الله عليه وسلم التقلل من الدنيا رحمة بضعفاء أمته خوفا أن يتبعوه في توسعة الدنيا ثم لا يهتدون بعد ذلك للخروج منها ولا يقدرون على القيام بشكرها ولا على تأدية حق الله تبارك وتعالى منها فاحتاط صلى الله عليه وسلم لامته والا فاعتقادنا الجازم فيه صلى الله عليه وسلم انه لو أعطاه ربه تبارك وتعالى الكونين لم يشتغل بهما عنه لحظة لعصمته صلى الله عليه وسلم انتهى وسمعته مرة أخرى يقول لا ينبغي للعارف اذا كان له أتباع ضعفاء أن يتوسع في أمور الدنيا بحضرتهم فيهلكهم لانهم يقتدون به في ظاهر الفعل ولا يعرفون ما في طي ذلك

له الاتصاف بصفة الزهد في الدنيا والاعراض عنها ثم تنبث منه الى الجوارح فما وصل الى العين أوجب الاعتبار والى الاذن أوجب حسن الاستماع والى اللسان أورث الذكر والى الاركان أورث الخدمة والدليل على ان النور يوجب عزوف الهمة عن الدنيا والنأي عنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انشرح وانفسح فقيل يارسول الله فهل لذلك من علامة قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وأما حديث حنظلة الاسدي فقد رواه مسلم في صحيحه قال لقي حنظلة أبا بكر فقال نافق حنظلة فقال أبو بكر رضي الله عنه وما شأن حنظلة فقال نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأي عين فاذا خرجنا من عنده عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيرا فقال أبو بكر رضي الله عنه انا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حنظلة يارسول الله نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماشأن حنظلة فقال نكون عندك يارسول الله تذكرنا بالجنة

من الآفات والسموم القاتلة انتهى فعلم مما قررناه ان من كان توسعة الدنيا عليه مذكرة له بربه تبارك وتعالى ويشكره جل وعلا وهو قائم بذلك الشكر على مذهب السلف فهو أولى وأعلى ولكنه مقام خطر لا يقوم به خالصا الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء رضى الله تعالى عنهم فلذلك اختار العقلاء كلهم التقلل من الدنيا والزهد فيها اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وثم مقام رفيع ومقام أرفع والسلامة مقدمة على الغنيمة وكان الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه يقول لو أوصى رجل بماله لأعقل الناس لصرفته الى الزهاد في الدنيا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم شهود فضلى على من أحسنت اليه وتقليل ذلك في عينى فلو أنى ملكت ألف دينار مثلا وأعطيتها أحدا فحكمه عندى كما لو أعطيته قشة من الارض في عدم التفاتى اليها بعد اعطائها وذلك انى أنظر الى الدنيا بالمعنى الذى ورد من انها لا تزن عند الله سبحانه وتعالى جناح بعوضة فاذا عسى أن يخصنى أنا من ذلك الجناح اذا فرق على جميع أهل الارض حتى أنى أمن به أو أتذكره أو التفت اليه بعد العطاء وهذا خلق غريب في هذا الزمان لا يوجد الا في الفقراء الصادقين لان الفقير الصادق على قدم الملوك في شهامة النفس وكرامتها من تعاطى الرذائل المزرية بالعبد فهو يجل مقامه ان يلتفت الى ما أعطاه لسائل مثلا امتثالا لامر ربه تبارك وتعالى من حيث ذات ذلك الشئ لا من حيث كون الاعطاء قربة وقد وفقه الله لها فان التوفيق لذلك منة عظيمة يتأكد عليه شكرها ولذلك ورد مرفوعا لا تسألوا الناس شيأ وان كان أحدكم لا بد سائلا فليسأل الصالحين أو ذا سلطان انتهى أى لان الملوك والفقراء لا يمنون على أحد بما أعطوه له أما السلطان فانه يحتقر ما يعطيه من حيث ما تقدم له وأما الصالح فانه يرى الملك لله تبارك وتعالى في الوجود ويرى نفسه كالوكيل المستخلف في مال سيده لينفق منه على عبيده بالمعروف فان كان السلطان ممن يرى انه لا يملك مع الله تبارك وتعالى شيأ فقد حاز الخير بكلتا يديه فليسأله السائل وقلبه منشرح انتهى وسمعت سيدى عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه يقول لا ينبغى للفقير في هذا الزمان أن يفتح باب السؤال للناس ولو كان كل ما أعطوه له يتصدق به على الناس لان ذلك يزرى به ويفوته مصالح أعظم مما فعل الا أن يسألهم زكاة أموالهم الشرعية انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى للإسرار بالصدقة أكثر من الجهر بها الا أن تكون صدقة فرض أو لغرض صحيح شرعى وذلك لما ورد ان صدقة السر تضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفا ولكن ليس الحامل لى على الاسرار طلب مضاعفة الاجر فانى لا أملك مع الله تبارك وتعالى في الدارين شيأ وانما الحامل لى على ذلك امتثال الامر الدال على ان الشارع أحب لنا ذلك لا غير وانما ندب الشارع صلى الله عليه وسلم الى الاعلان بزكاة الفرض اقامة لشعار الصدقة كالصلاة فانها مقرونة معها غالبا في نحو قوله تبارك وتعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولئلا يلوث الناس بالغنى اذا أخفى زكاته فيقعوا في الاثم وقد يقتدى به في ذلك مانعو الزكاة ويوسعون على الفقراء فكان أجر توسعة الاغنياء على الفقراء بسبب اظهارهم الزكاة أكبر من أجر إسرارهم ومضاعفة الاجر لهم اذ الخير المتعدى نفعه أرجح من الخير القاصر على العبد فقدمنا المنفعة العامة للفقراء على المنفعة الخاصة بالاغنياء انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا ورد عليه فقراء المهاجرين يأمر أصحابه بأن يجمعوا لهم في المسجد شيأ ثم يقسمه عليهم فربما صار في المسجد كوم من الطعام والثياب والذهب والفضة فأمرهم صلى الله عليه وسلم بالاعلان بذلك وجعله في المسجد الا ليقتدى بعضهم ببعض انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من أعظم أخلاق الرجال أن لا يحدث أحدهم نفسه بصدقته أبدا ولا يحب اطلاع الناس عليها بل يتكدر اذا علم أحد بها فان غالب الناس اذا أعطى شيأ تصير نفسه تنازعه في انه يذكر ذلك للناس تعريضا أو تصريحا اللهم الا أن يكون هنالك أحد يسئ الظن بالمتصدق ويظن به البخل أو منع الزكاة فمن الادب حينئذ اظهارها ليخرج أخاه من سوء الظن لا لنفرته من كونه نقصه فافهم وكان

والذى نفسى بيده ياحنظلة لو تدومون على ما تكونون عليه عندى وفي الذكر لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فرشكم ولكن ساعة وساعة فى هذا الحديث ثمان فوائد الاولى قول حنظلة نافق حنظلة النفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو أن يجعل لبيته بابين متى طلب من أحدهما خرج من الآخر كذلك المنافق يظهر بظاهر الايمان وله مسرب من الكفر باطن اذا عتبه أهل الكفر على ما أظهر من الايمان فتح مسربا من باطن كفره ليسلم من عتبهم واذا ظهرت عليه رتبة أهل النفاق فعوتب عليها تصوت من ذلك بظاهر الايمان الذى أظهره ولذلك أخبر الله عنهم بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن فلما رأى حنظلة انه يكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على حالة فاذا خرج وحاول أسباب الدنيا تغيرحاله فلم يبق على نحو ما كان عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن يكون ذلك نفاقا والاختلاف حالتيه فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله

شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه يسر بصدقته حتى كان غالب الناس يعتقد أنه بخيل وقد خالطته رضى الله تعالى عنه عشر سنين فما رأيت فى علماء مصر أكثر صدقة منه انتهى وكان رضى الله تعالى عنه اذا أراد أن يعطى أحدا شيأ يقول له صافحنى لاجل السنة و يضع له فى كفه ما قسم له وتارة يقول هل هنا أحد فان قلت له نعم يقول لمن يريد أن يعطيه شيأ عد الينا مرة أخرى فان لى بك حاجة وهذا الامر لا يثبت فيه الا من صدق مع الله تبارك وتعالى وعامله مخلصا وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من صدقة السر أن تشترى من أحد شيأ وتزيده على الثمن أو تشترى منه بواسطة بحيث لا يشعر البائع انه وكيلك وتأذن له فى أن يعطيه زائدا على القيمة قال رضى الله تعالى عنه وليس فى مسائل الاخفاء أخفى من هذا كمن أعطى صدقته لعامل السلطان فان الفقير لا يعلم من هو المتصدق عليه عينا أبدا انتهى وفى الحديث الشريف السبعة الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه انتهى وفى هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ويؤيد ذلك كونها تشهد عليه يوم القيامة ووقوع ما يشير اليه اختلاجها من خير أو شر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب السابع فى جملة من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل)

(فمما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تشوف نفسى الى طلب مكافأتى على هدية أهديتها لاحد من الخلق اذا جئت من سفر الحجاز ونحوه وذلك بل أحرر النية لله تبارك وتعالى قبل أن أهديها له ثم ان علمت من همته الاهتمام بالمكافأة أرسلت له مع القاصد انى عزمت أن لا أقبل مكافأة على ذلك حتى أريح قلبه من التعب ومن قوله والله ما كان لى حاجة بارسال فلان لى كذا وكذا وأنا فى غنية عن ذلك وهذا الامر قل من يتنبه له من المهدى والمهدى اليه لاسيما من تعود الاخذ من الناس دون أن يعطيهم فربما أعطى شيأ لاخيه ليصطاد به منه ماهو أكثر من هديته هو ودربما يبطئ ذلك الشخص عليه بالمكافأة فيصير يحدث نفسه بها وربما أرسل اليه نظير هديته من غير زيادة فيقول ما كان لى حاجة بها لكونها دون ما كان فى أمله وبعضهم يحلف بالله تبارك وتعالى رياء وسمعة أنه لا يقبل له مكافأة وهو فى الباطن يحبها كما يقع لاصحاب الانفس الرديئة من التجار الذين يرجعون من سفر الحجاز أو الشام ولو أنهم عملوا بآداب الفقراء فأهدوا واحتسبوا بالله تبارك وتعالى وقبلوا المكافأة على ذلك من الله بقطع النظر عن الخلق أصلا أو مع النظر اليهم من غير وقوف معهم لافلحوا ولم يقعوا فى شئ مما ذكرنا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة رحمتى وشفقتى على من كان على التقوى من اخوانى ثم غير وبدل وصار فاسقا شريرا امتثالا فان أحوج ما يكون أخوك اليك اذا عثرت دابته فالاعوج أولى بالرحمة من المستقيم لاسيما ان صار يحط فى اخوانه الذين فارقهم أو فى شيخه الذى فارقه فانه يتأكد مداواته والا ذهب دينه بالكلية وكذلك اذا اجتمع على شخص ممن يكره شيخه فربما يذهب دينه كذلك كما هو واقع كثيرا فى جماعة الاشياخ فانه بمجرد ما يطرده شيخه يصير يحط عليه وعلى جماعته واذا قال له أحد كيف فارقت شيخك فيقول ما كل ما يعلم يقال و يوهم الناس انه فارقه بحق وان شيخه مرتكب أمورا لو اطلع عليها الخلق ما اعتقدوه وأصل ذلك كونه يصير ممقوتا منكسرا والخاطر بين الناس فيريد أن يجبر كسره بما يقوله فيمن فارقهم واعلم يا أخى ان المريد اذا خرج مطرودا فانما يتأكد مداواته ما دامت قابليته للخير موجودة فان تمكنت منه امارات الخذلان والعياذ بالله تعالى وكلنا أمره الى الله تبارك وتعالى حتى نجد امارات القبول و يسوق علينا السياقات وهناك ينبغى لنا قبوله فان لم يكن هناك امارات وطلب الرجوع الى الزاوية منعناه خوفا من أن يفسد الجماعة و يعلمهم سوء الادب وما أخرج الاكابر من الاولياء فضلا عن الانبياء أحدا مطرودا وأفلح أبدا لانهم لا يطردون أحدا وفيه رائحة خير أبدا ثم اذا طردناه فيكون ذلك بالقلب دون اللسان فانه أقل حياء بيقين ممن يكلمه الكلام الجافى من أهل الزاوية أو غيرهم و يتولد من ذلك شرور ومخاصمات وربما ترافعوا للحكام ولا ينسب الى

الايمان على ان أظهر ذلك ليطلب الشفاء منه ويشكو داءه ان يوجد الشفاء عنده فلما شكا ذلك لابى بكر رضى الله عنه قال له أبو بكر انا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة ولم يجبه أبو بكر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم فلم ير أبو بكر أن يجيب حنظلة ولو ان حنظلة أتى أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجابه *(الفائدة الثانية)* يستفاد من حديث حنظلة ان من جملة الصدق على اظهار ما به حصل له الشفاء اما بأن يقال ان ما ظننته داء ليس بداء واما أن يدل من الدواء على ما يزيل الداء فحنظلة قيل له ان ما ظننته داء ليس بداء *(الفائدة الثالثة)* قول حنظلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى عين ولم يقل حتى نراهما رأى عين لما قدمناه ان الانبياء يطالعون حقائق الاشياء والاولياء يطالعون مثلها فلذلك قال حنظلة كانا رأى عين ولم يقل حتى نراهما رأى عين كما قال حارثة وكانى أنظر الى أهل الجنة ولم يقل نظرت الى أهل الجنة وقد تقدم هذا من قبل *(الفائدة الرابعة)* ينبغى أن يقلل الدخول فى أسباب الدنيا ما أمكن فهذا الصحابى يقول فاذا خرجنا من عندك عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيرا وقد قال

ساكت قول انتهى وكان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول الفقير هو من يعمل بقلبه دون يده ولسانه ثم يقول رضي الله تعالى عنه كان سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول كل الطيور تقول ولا تفعل والبازي يفعل ولا يقول ولذلك صارت أكف الملوك سدنته يجلس عليها انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم قطع بري وحسنتي للناس اذا كفروا وساطتي في ذلك فاني عبد ليس لي فضل على أحد وانما أنا مستعمل فيما أمرني الحق تبارك وتعالى به وليس لي معه ملك أرى به فضلا على أحد من عبيده مطلقا ولو بتقدير رؤيتي الفضل على العباد فكلما كفروا وساطتي توفر لي الاجر بخلاف ما اذا مدحوني فربما كان ذلك المدح يرجح على ذلك العطاء فلا يبقى لي حسنة وقد كان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول أعظم الناس أجرا من يحسن الى من لا يشكره أو الى من يؤذيه من الاعداء انتهى وسمعته أيضا رضي الله تعالى عنه يقول من أراد النصرة على أعدائه فليحسن اليهم وليتأمل في نفسه الذي يعاقب ولده وتلميذه مثلا بقطع الاحسان اليه يجد الحق تبارك وتعالى يرزقه ليلا ونهارا مع كونه مخالفا له فينبغي للعبد أن يعامل عبيد سيده بالحلم والعفو والصفح وعدم المعاجلة بالعقوبة كما يعامله سيده ثم لا يخفى ان الاثم الواقع لمن يعاقب ولده مثلا بقطع رزقه انما هو من حيث قصده هو والا فالعبد لا يقدر أن يرد ما قسمه الله تبارك وتعالى لغيره أبدا انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) طيب نفسي باعطاء القطة أو الكلب ورك الدجاجة التي بين يدي اذا رأيتها تتوقع الاحسان بالقرائن وكثيرا ما أعطيها الدجاجة كاملة اذا كانت جيعانة فعلم من ذلك انني بطريق الاولى لا أجري وراءها اذا خطفت الدجاجة المحمرة ولا أمكن أحدا من ان يجري وراءها لاني قد أعطيتها ذلك بطيبة نفس ثم ان جرى أحد وراءها رأيت ان ارعابها وازعاجها يذهب أجر الدجاجة وكأننا لم نعطها شيأ بل ربما لم تكن الدجاجة تفي بضرر ارعابها انتهى واعلم يا أخي ان الهرة ما خطفت الدجاجة مثلا من بين ايدينا الا بعد ان جربتنا في البخل والشح عليها وبعد ان رأت الواحد منا يجرد اللحم عن العظام حتى لا يبقى عليها جلدة ولا عصبا فما خطفت حتى أيست من احساننا اليها مع انها ما أقامت عندنا الا لظنها فينا الكرم والبر وانا نرمي لها شيأ نأكله اذا وقفت بين أيدينا فانها تفهم الامور ولكنها عاجزة عن النطق بما تفهمه وقد ذكر بعض المحققين أن البهائم ما سميت بهائم الا لابهام أمرها علينا لا لابهام الامور عليها اهـ ثم قال رضي الله تعالى عنه وتأمل صناعة نحو العنكبوت والنحل فانها تطلعك على ان للحيوانات تدبيرا وروية بالهام من الله تبارك وتعالى وان لم تكن مكلفة انتهى وقد كان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يوصي عياله على القطيطة لا سيما في نهار رمضان ويقول ان الناس لا يأكلون نهارا فلا تجد القطة ما تأكله فتضيع مصالحها انتهى ورأيته رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يضع للنمل الدقيق أو الفتات على باب جحرها ويقول رضي الله تعالى عنه نغني النملة عن الخروج للسعي على قوتها وقوت رفقتها فانها لا تخرج حتى تبايع نفسها على أنها لا ترجع الا بشيء فتعرض نفسها لوقوع حافر أو نعل عليها فاما تموت واما تنكسر يداها أو ترضخ اضلاعها فتمرض زمانا طويلا وتقاسي من الالم ما لا يقاسي أحدنا لو كسرت يداه أو أضلاعه ونام على قور سبعة أشهر أو أكثر انتهى* وقد بلغنا عن الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه انه رئي بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بصبري عن الكتابة لما جلست ذبابة على القلم تشرب من المداد حتى فرغت فطارت انتهى* ومما وقع لي ان زوجتي فاطمة أم عبد الرحمن حصل لها حادر نزل على قلبها فصاحت والتهت وأيقنت بموتها فحصل لي تشويش عليها واذا بقائل يقول لي وأنا في مجاز الخلاء خلص الذبابة من ضبيع الذباب في الشق الذي تجاه وجهك ونحن نخلص لك زوجتك فضيت الى الشق فوجدته ضيقا لا يسع الاصبع فاخذت عودا وأدخلته فسحبت ضبع الذباب مع الذبابة فوجدتها ناصحة منه وهو عاض على عنقها فخلصتها منه فخلصت زوجتي وصحت في الحال وفرحت والتهت انتهى فمن ذلك اليوم ما احتقرت شيأ من

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قليل الدنيا يلهى عن كثير الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ما طلعت شمس الا وبجنبتيها ملكان يناديان يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى *(الفائدة الخامسة)* قوله عليه السلام لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم فيه اشارة الى أن الدوام على تلك الحالة عزيز وان عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معتبته لما طبع عليه البشر من الغفلة فكان الدوام على تلك الحالة كالمعسور *(الفائدة السادسة)* كان الشيخ أبو العباس يقول لم يقل صلى الله عليه وسلم ان ذلك محال أن يكون أعني ما رتب على تقدير الدوام وهو قوله صلى الله عليه وسلم لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم فقد يكون من أولياء الله من يهبه الله ذلك *(الفائدة السابعة)* انما خص الرسول صلى الله عليه وسلم الفرش والطرق لان الفرش محل الشهوات والطرق محل الغفلات فاذا صافحتهم الملائكة في فرشهم وطرقهم فمن الاحرى ان تصافحهم في محل طاعاتهم ومواطن أذكارهم *(الفائدة الثامنة)* اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يستوي وقت كينونتهم

الإحسان

الاحسان الى الدواب والحيوانات التى لم يامر الشارع صلى الله عليه وسلم بقتلها انتهى وقد كان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اذا كان عندكم شئ من العسل أو السكر فصبوا من ذلك شيأ على باب جحر النمل أو فى الموضع الذى تمر فيه على اسمها ولا تجعلوا لها قطرانا على الاناء الا بعد ذلك فان من عسر على حيوان طريق الوصول الى رزقه فربما عسر الله تبارك وتعالى عليه طريق رزقه كذلك جزاء وفاقا بحكم العدل الالهى ثم لا يخفى ان أولى الناس بالعمل بهذا الخلق حملة القرآن والعلم لان الناس يقتدون بهم فى ذلك ولا ينبغى لهم أن يتركوا الاحسان الى الدواب والخلق الا بطريق شرعى انتهى * وقد حكى لى الحاج محمد الحلبى قال كنت أطرد القطة كلما وقفت على وأنا آكل فجاءتنى فى المنام وقالت مثلك يطرد القطة ويبخل باكلها وقد خولك الله تعالى فى النعمة ووسع عليك فقلت أضغاث أحلام وطردتها فجاءتنى فى المنام وقالت لى مثل الاول فقلت أضغاث أحلام وطردتها ثانى مرة فجاءتنى فى الثالثة فصرت أطعمها من كل شئ أكلت منه انتهى * وقد حكى لى بعض الفقراء أنه كان له جار يطبخ ألوان الطعام قال فيدخل له أولادى الصغار فيصير أحدهم واقفا ينظر اليه فلا يعطيه قطعة لحم مثل قطة الفقيه انتهى وكنت لم أسمع بهذا المثل قبل ذلك فاستنبطت من ذلك أنه لولا أن ذلك يتكرر من الفقيه مثلا ما صح ضرب المثل به انتهى فاياك يا أخى من العمل بمثل ذلك وقد صرح بعض المحدثين رضى الله تعالى عنهم باستحباب تربية القط وذلك يستدعى اطعامه وسقيه وعدم الشح عليه واستحباب الاحسان اليه انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حضور قلبى مع الله تبارك وتعالى حال أكلى وشربى وشهودى ان ذلك من فضل الله تعالى على لا أستحق ذرة منه بل لا أقوم بواجب حقه تبارك وتعالى على لو سففت الرماد ثم اذا وقع لى أننى أكلت غافلا عن ذلك المشهد أو شربت استغفرت الله تبارك وتعالى حتى يغلب على ظنى أن الله تبارك وتعالى قبل استغفارى فضلا منه وانما لم أقل أستغفر الله مرة فقط لان مثلنا ربما لا يقع له حضور فى استغفاره الا بعد سبعين مرة وأكثر وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول ما أسبغ الله تعالى علينا النعم بالاصالة لمكر بنا وانما أسبغها علينا لنجمع قلوبنا عليه ولا نخرج من حضرته تبارك وتعالى الا لعذر شرعى وكان الحق تبارك وتعالى يقول من كنت كافيه عن الحرف والصنائع التى تحجبه عنى بما سخرته له من الرزق على يد عبادى من حيث لا يحتسب ولا تستشرف نفسه اليه فلأى شئ يخرج من حضرتى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه أيضا يقول تيسير استعمال الطعام نعمة كالصلاة فكما ان الصلاة ما شرعت الا لحضور العبد فيها بقلبه مع ربه تبارك وتعالى فكذلك الحكم فى مشروعية الاكل والشرب ما شرعا الا ليحضر العبد فيهما مع من أحسن بهما اليه انتهى * واعلم يا أخى انه ما واظب أحد على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال أكله وشربه الا أورثه الله تبارك وتعالى القناعة والزهد فى الدنيا وكفاه شر نفسه انتهى (وسمعت) أخى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول اذا عاتبت ولدك أو خادمك على أمر فعاتبه وهو جالس يأكل معك فانه أسرع لانقياده لك فيقول كيف أكون مخالفا لامر سيدى وأنا آكل فى خيره قال رضى الله تعالى عنه وايضاح ذلك ان شكر المتلبس بالنعمة أعظم من شكر من يرجوها قبل أن يتلبس بها انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فاعمل يا أخى على تحصيل الحضور مع ربك تبارك وتعالى حال أكلك وشربك ولو متفعلا كما تتفعل فى الحضور معه جل وعلا حال صلاتك فان واظبت على ذلك صار خلقا لك ولو على طول لا يتكلف له ومارأيت ألذ من الاكل حال حضور القلب مع الله تبارك وتعالى ولا أقل لذة من الاكل غافلا لكن ذلك لا يكون مطلوبا الا للكمل الذين لا يلهيهم عن الله شئ أما من تلهيه لذة الاكل عن الله تبارك وتعالى فلا يكون ذلك مطلوبا له بل يحضر مع الله تبارك وتعالى بلا أكل أكثر من حضوره وقت الاكل ومن هنا نهينا عن الاكل فى الصلاة ولو كنا من أكمل الناس سدا للباب فليفهم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول ما أدمن أحد الحضور مع الله تبارك وتعالى الا قل أكله وصار تكفيه اللقمة واللقمتان ومن هنا قالوا فلان يأكل ولا يشبع كالمجانين فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

عنده ووقت ذكرهم بما سواهما حتى يعرف عظيم قدر رتبة محاضرته صلى الله عليه وسلم وعزازة الذكر وجلالة منصبهما وقد قال رضى الله عنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر يقرأ ويخفت صوته وسمع عمر يقرأ ويرفع صوته فقال لابى بكر لم خفضت صوتك قال قد أسمعت من ناجيت وقال لعمر لم رفعت صوتك قال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال لابى بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا قال الشيخ أراد أن يخرج كلا منهما عن ارادته لنفسه لمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وقال رضى الله عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لى بالعبودية وكان كثيرا ما ينشد شعرا

يا عمرو ناد عبد زهراء
يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى الا بيا عبدها
فانه أشرف أسمائى

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول المؤمن فى الدنيا أسير ولا فكاك للاسير الا باحدى ثلاث اما بالحيلة واما بالفدية واما بالعناية وما ذكره الشيخ ماخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن قال الشيخ أبو العباس فى تفسير هذا الحديث شأن المسجون التحديق بعينيه والاصغاء باذنيه متى يدعى فيجيب

((ومما منّ الله تبارك وتعالى به على)) عدم تكدري ممن ذهبت الى زيارته ولم يأذن لى فى الدخول من عالم أو أمير أو صالح أو غيرهم حتى انى لو سمعته يقول لمن وراء الباب بئس من جاء أو قولوا له فلان ما هو هنا أو ما هو فارغ أو أغلقوا دونه الباب أو نحو ذلك لا أتكدر وهذا الخلق غريب قل من يتخلق به وغالب الناس يتكدر وهو جهل عظيم بالقرآن فانه تبارك وتعالى قال وهو أصدق القائلين وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم فشيء شهد الله سبحانه وتعالى بانه أزكى للعبد فكيف يليق به انه يتكدر اذا حصل ذلك له وبالجملة فلا يحصل هذا الخلق الا لمن راض نفسه على يد شيخ صادق حتى ذهبت رعوناتها أو حصل له جذبة الهية والا فمن لازمه غالبا التكدر ان لم يفتح له الباب ولم يجله بل بعضهم يخرج فيه شاعرا يهجوه فى المجالس ويصير بعض الجهلة يقول له ما كان ينبغي أن يغلق الباب على مثلك ويجعل له الحق على صاحب الدار فيزداد بذلك غيظا وحمقا ولو أنهم قالوا له غيظك منه حمق لان الله تبارك وتعالى قد جعل الامر الى صاحب الدار لا اليك ولو أنه جعل الامر اليك لكان نهى صاحب الدار عن قوله لك ارجع ولعمري ان الزيارة من مثل هؤلاء الرعاع مذمومة ولو تركوها لكان أولى لهم وللمزور ولانها زيارة لغير الله عز وجل وأكثر من يقع فى مثل ذلك أهل الجدال بغير علم وما رأت عيني أحسن زيارة لاخيه فى عصرنا هذا من زيارة الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني وصاحبه الشيخ الصالح المسلمي وسيدي محمد بن الحنفي الشاذلي والشيخ نور الدين الطندتائي والشيخ صالح البرهاني شيخ تربة السلطان قايتباي رضي الله تبارك وتعالى عنهم وأرضاهم وكذلك الشيخ زين العابدين البلقيني والشيخ سراج الدين الحانوتي الحنفي رضي الله تعالى عنهم أجمعين وأرضاهم فما جاءني أحد قط من هؤلاء السادة الاشياخ ووجد بابي مغلقا ودق الباب أو تكلم أبدا بل يقرأ الفاتحة ويذهب منشرحا وأما غيرهم فربما جاء أحدهم وشره على مقدمه وان رددته ولم أفتح له الباب مزقني فى الآفاق وان فتحت له أشبعني من الهذيانات وان أدخلته بيتي وأخرجت له كسرا يابسة أو شيأ يسيرا غضب وقال انى على نية فما يخرج من عندي حتى يمخض بدني ويذوب قلبي ويشغلني عن ربي عز وجل اذا كنت فى ذلك الوقت ضعيف الاستعداد عن تحمل مثل ذلك وقد جاءني مرة شخص يدعي العلم وكنت شاربا دواء فقالوا له انه شرب دواء فلم يصغ الى قولهم ودق الباب دقا مزعجا فشوش على تشويشا عظيما فان دق الباب على الفقير كضربه بالسيف كما يعرف ذلك أرباب الجمعية على حضرة الله تبارك وتعالى فقلوبهم وصار يقول أنا أعرفه قبل أن يعمل شيخا وهو يكذب لانى لم أعمل شيخا ونقلت مؤلفاتي قبل أن يولد فغارت القدرة عليه فعمي بعد أيام من غير دعاء عليه فاياك يا أخي ودق الباب على فقير فانه ربما كان فى حال قاهر يمنعه من لقاء الناس مطلقا وان تكلف وتلقاهم لا يقدر على أن ينصفهم فى السلام والبشاشة على جاري عوائدهم قبل ذلك فيحصل لاحدهم التكدر وللفقير كذلك ولا يقدر يحكي حاله لكل من ورد عليه فالعاقل من حمل الفقير على المحامل الحسنة والسلام ومن علامة الحال القاهر أن لا يقدر على الخروج لصلاة الجماعة فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما منّ الله تبارك وتعالى به على)) صحة توجهي الى الله تبارك وتعالى فى دفع الدنيا عنى كما اذا بلغني مثلا أن شخصا أوصى لى بمال فأتوجه الى الله تبارك وتعالى فى دفعه عني فيدفعه عني ويلهم صاحب الوصية أن يمحو اسمي ويكتب اسم غيري أو تشح الورثة على بتلك الوصية وينكرونها بعد أن أكون قد أسقطت حقي منها كما وقع لى ذلك مع الشيخ تاج الدين الطائفي أوصى لى بأربعين دينارا فانكرها ورثته وجاءني الشهود وأخبروني فقلت أنا الذي توجهت الى الله تبارك وتعالى فى دفعها عني وهذا دليل على صدق توجه الفقير الى الله تبارك وتعالى فى دفع الدنيا عنه وزهده فيها فان الراغب فيها لا يقدر على أن يوجه قلبه الى الله عز وجل فى سؤال دفع الدنيا عنه انتهى وهذا الخلق لم أر له فاعلا الا القليل وله حلاوة عظيمة يجدها صاحبه أعظم من حلاوة من كان فقيرا فنام واستيقظ فوجد عند رأسه جرابا مملوأ ذهبا فى برية لا يعرف له صاحبا كما جربنا ذلك فالحمد لله رب العالمين (وتقدم) فى هذه المنن ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على محبتي لمن سعى فى قطع رزقي المتوهم ومعارضته فى وصول شيء من الدنيا الى مع عدم حاجتي اليه ذلك اليوم ومن كان يدعي وصوله الى هذا المقام فليمتحن نفسه بما لو كتب جماعة

وقال رضي الله عنه الانبياء الى أممهم عطية ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هدية وفرق بين الهدية والعطية لان العطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين قال النبي صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله فى الارض هذا اذا كان عادلا وأما اذا كان جائرا فهو ظل النفس والهوى وقال رضي الله عنه مات رجل من أهل الصفة فوجد فى شملته ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان من نار قال الشيخ وقد مات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من الصحابة وتركوا أموالا فما قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما قال فى هذا لانهم لم يبطنوا خلاف ما أظهروا وهذا الذي كان من أهل الصفة أظهر الفاقة وكان عنده هذان الديناران فلما أظهر خلاف ما أبطن قال الرسول صلى الله عليه وسلم كيتان من نار وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة قال فبأي طريق يحشر مع هؤلاء قال يحشر مع الانبياء لان شأنهم أداء الامانة وبذل النصيحة فيحشر مع الانبياء بهذا الوصف وهذا التاجر أدى الامانة وبذل النصيحة

السلطان اسمه في ديوان الفقراء وجعلوا له ألف دينار فاشخص وقال هذا ليس من الفقراء هذا منافق جاهل مرائي فمحوا اسمه فان انشرح لذلك فدعواه صدق وان انقبض فدعواه كذب انتهى فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تنبيهي في المنام واليقظة على ما أكلته من الحرام والشبهة بعلامات حرّ بتها في أكل الحرام دون الحلال وهي ثلاث علامات (أولها) أن يكون للشرع على ذلك الطعام اعتراض من حيث وضع اليد عليه (ثانيها) وجود الظلمة في قلبي والثقل في باطني بعد أكله حتى كأني أكلت قطعة من الحجر (ثالثها) ان أقوم من النوم فامكث ساعة وأنا مختبط العقل كما يقع لمن يأكل الربا فان أخطأتني علامة من هذه العلامات الثلاث لم تخطئني العلامتان الاخريان وكثيرا ما أتقيأ ذلك الطعام اذا علمت بحاله قبل أن يستحيل ويقع لي ذلك كثيرا لما آكل من ضيافة الفلاحين أو من طعام أحد من المباشرين (وأما) نحو المكاس والظالم فحماني الله تبارك وتعالى في ماضي عمري كله من طعامه الى وقتي هذا فاغناني الله تبارك وتعالى بذلك عن هذه العلامات واعلم يا أخي أن من أعظم علامة للشبهة نفرة القلب من ذلك الطعام لقوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون يعني إن أفتوك بخلافه فاعمل بقلبك دون فتواهم وفي ذلك أيضا اخفاء لمقام الورع فلا يدري بورعه أحد من الناس بخلاف ما اذا تقيأ ذلك الطعام مثلا فافهم فقل من يتنبه لما قلناه من العلامات بل رأيت بعض المشايخ يأكل من طعام مكاس فانكرت عليه فقال البحر لا تكدره الدلاء فقلت له هذا من جملة الاستدراج ثم اني حكيت ذلك لسيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه فقال مثل هذا ربما يكون وقود النار لتهوره في دينه ثم قال سمعت سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول للقمة الحرام والشبهة أثر عظيم في قلوب الخلق على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم فاثرها في العوام وقوعهم في أعمال مذمومة لم تكن لهم عادة بفعلها وأثرها في طلبة العلم أو المريدين من أهل الطريق قسوة في القلب وثقل في الطبيعة وأثرها في المتوسطين في الطريق غفلتهم عما يعود عليهم نفعه من مصالح الدارين وأثرها في الكاملين كثرة الخواطر التي لا منفعة فيها وأثرها منعهم من الدخول الى حضرة الله تبارك وتعالى بقلوبهم حتى في الصلاة وأثرها في القطب والاوتاد والابدال وغيرهم من أصحاب الدوائر أمور لا يعرفها الا أصحابها انتهى وقد ألهمني الله تبارك وتعالى من نحو أربعين سنة ان أقول اذا قدم الي طعام أشك في حله اللهم احمني من الاكل من هذا الطعام فان لم تحمني منه فلا تدعه يقيم في بطني وان جعلته يقيم في بطني فاحمني من الوقوع في المعاصي التي تنشأ منه عادة فان لم تحمني من المعاصي فاقبل استغفاري وأرض عني أصحاب التبعات التي في هذا الطعام فان لم ترضهم عني فاعف عني فان لم تعف عني فصبرني على العذاب يا أرحم الراحمين انتهى فلم أزل أقول ذلك عند كل طعام شككت في حله الى وقتي هذا فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم اطعامي الضيف شيأ فيه شبهة ولو أنه هو طلب مني ذلك منعته منه كما يمنع الطفل من أكل شيء يضره في الدنيا والآخرة وايضاح ذلك ان المؤمن مؤتمن على أديان الناس وأبدانهم ومن طلب منه أن يطعمه شيأ يضره فهو في العقل كالطفل ولو أنه كان رشيدا لم يأكل ما ينقص دينه وهذا خلق غريب قليل من يعمل به في هذا الزمان وغالبهم يطعم الضيف الحرام فضلا عن الشبهات وذلك خلاف الشرع فان الشرع ما أمر بالضيافة الا من كان عنده طعام حلال وأما من كان عنده طعام حرام أو شبهة فلم يأمره بالضيافة منه الا ان كان الضيف مضطرا فان أطعم أحدا شبهة كان له المهنا وعلى من أطعمه الحساب * وكان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة اذا أكل عند أحد من اخوانه يقول اللهم ان كان هذا الطعام حلالا فوسع على صاحبه وان كان فيه شبهة فاغفر لي وله وأرض عنا أصحاب التبعات يوم القيامة آمين * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من جلابيب رحمته الهامعة ونفعنا به والمسلمين يضيف الوارد عليه باللقمة أو التمرة أو بشربة من الماء (شآبيب)
ويقول يا أخي هذا الذي وجدته لك من الحلال في هذا الوقت وكان رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه اذا علم

ويحشر مع الصديقين لان الصديق شأنه الصفاء في الظاهر والباطن وقد استوى ظاهره وباطنه والتاجر الصدوق كذلك فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف ويحشر مع الشهداء فان الشهيد شأنه الجهاد والتاجر الصدوق يباعد نفسه وشيطانه وهواه فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف ويحشر مع الصالحين فان الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف

* (الباب السابع) * في تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق وحمله لذلك على أجل الطرائق قال رضي الله عنه قال سهل بن عبد الله لا تكونوا أبناء الدهور ولا من أبناء العد والاحصاء وكونوا من أبناء الازل أشقى أو سعيد ثم قال رضي الله عنه يقول أحدهم صليت كذا كذا ركعة ختمت كذا كذا ختمة حججت كذا كذا حجة فهؤلاء أبناء العد والاحصاء فهم الى عد سيآتهم أحوج منهم الى عد حسناتهم وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم لي في طريق الله سبعون سنة وفي طريق الله ستون سنة وكونوا من أبناء الازل أشقى أو سعيد يعني لا تحظوا ما سبق في علم الله ولا تتكلوا على ما لكم من العلم والعمل ولكن ارجعوا الوجود الازل وقال رضي الله عنه قال بشر الحافي منذ أربعين

من الضيف كثرة الاكل يقدم اليه الشئ اليسير شفقة على دينه كما يفعل مع الاطفال اذا خافت عليهم والدتهم حصول وجع من شدة الاكل (وكان) رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه أكثر ما يفعل مع الناس ذلك في ليالي رمضان ويقول سر الصوم ومدده انما هو في الجوع الزائد على الجوع أيام الفطر انتهى كلامه رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه وهذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من خرج عن الحياء الطبيعي الى الحياء الشرعي ولم يخف في الله لومة لائم وكان أشفق على الضيف من نفسه فعلم مما قررناه أن كل من قدم لضيفه طعاما فيه شبهة أو قدم له طعاما كثيرا فوق العادة أو قدم له عند فطره مثل ما كان يأكله حال عشائه في أيام الفطر فقد أساء في حقه وهو يحسب أنه يحسن صنعا انتهى ذلك فاشفق يا أخي على دين ضيفك ولا تخف في الله سبحانه وتعالى لومة لائم ولا تخف أيضا من لومه لك في الدنيا فانه سوف يشكرك في الآخرة فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم تكلفي للضيف ولذلك لم يحصل عندي ملل من الضيف أبدا ولو ورد علي كل يوم ألف نفس ومعلوم أن كل من تكلف للناس كره لقاءهم وهرب ولو على طول أو يصبر يطعمهم ما يضرهم في باطنهم من غير طيبة نفس وهذا هو الامر الذي نهى الشارع صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه عن طعام البخيل لاكله وقد ورد طعام البخيل داء انتهى وقد تكلف قوم للضيوف وخالفوا ما قلناه فكان آخر أمرهم الافلاس وضيق المعيشة لكونهم أطعموا الناس لغير الله تعالى رياء وسمعة ولو أنهم كانوا أطعموهم لله عز وجل بطريقه الشرعي لما أفلسوا وكان الله تبارك وتعالى أجرى على يدهم أرزاق الخلائق الى أن يموتوا الى رحمة الله تعالى ويخلف عليهم أضعاف ما بذلوه ثم ان أكثر من يقع في التكلف أولاد الاشياخ في الفقه والتصوف فيموت والدهم فيريد أحدهم أن يفعل مثل ما كان والده يفعل من ضيافة كل من ورد عليه فيورد نفسه موارد الغلبة وربما ارتكبه الدين بسبب ذلك وغاب عنهم انه ليس كل فقير يقدر على اطعام كل وارد عليه انما ذلك لبعض أفراد من الفقراء * وقد أخبرني سيدي الشيخ محمد بن عنان رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة ان الشيخ عبود رحمه الله تعالى ونفعنا والمسلمين بامداداته الذي زاويته تحت الجبل المقطم كان عنده في زاويته أربعة أسمطة كل سماط منها موضوع في ايوان فكل من ورد عليه يأكل من أي سماط شاء سواء أوجد الشيخ أو لم يجده فلما مات جاء بعده فقير أعلى مقاما منه فلم يقدر يطعم الناس مثل الشيخ عبود وخرج من الزاوية انتهى فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم اعلامي المعارف بما أريد أن أصنعه من وليمة عرس أو ختان أو سلامة من مرض ونحو ذلك خوفا أن أحدا منهم يتكلف ويساعدني في ذلك الطعام من غير نية صالحة وان علمت من النقباء الذين حولي انهم يخبرون بذلك أحدا زجرتهم عن ذلك فلا أعلمهم الا بعد عمل الطعام وهذا خلق غريب عزيز قل من يتنبه له من الفقراء بل ربما غضب بعض الفقراء على كل من لم يساعده في وليمته ويقول فلان ليس هو بصاحب لنا ولا يقع فعله بين الناس بل رأيت بعضهم يسافر بنفسه فيجرد مشايخ العرب والكشاف ويسألهم في مساعدته بنفسه فيعمل في ذلك المولد بعض ما جردوه والباقي يبيعه أو يأكله طول سنته هذا مع انه يزعم انه من الصالحين فاياك يا أخي ان تفعل مثل ذلك وقد قالوا من شهامة مقام الشيخ ان يطعم الناس ولا يأكل لهم طعاما الا لحاجة ضرورية وأعرف جماعة من أصحابي يهربون اذا سمعوا اني عازم على عمل مولد فلا يظهرون حتى يفرغ المولد فجزاهم الله تعالى عني خيرا فانهم أحسن عندي حالا ممن يحضر خوف العتب ويصير ينقط المداحين بالفشافش والفلوس رياء وسمعة وربما لحقني الاثم بسببه لانه ما وقع مثل ذلك الا مراعاة لخاطري على وهمه ودعواه وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه لا يأكل قط من ولائم النسوان ويقول من شهامة الرجل أن لا يأكل من كسب غيره من الرجال فكيف يأكل من كسب النساء قال رضي الله تعالى عنه والنكتة في ذلك كون القلوب جبلت على حب من أحسن اليها فهو أعلاها فيصير من يقبل رفق المرأة

سنة أشتهي الشواء فما صفا لي ثمنه فقال الشيخ من ظن ان هذا الشيخ مكث أربعين سنة ما وجد درهما حلالا يشتري به شواء فقد أخطأ من أين له في الاربعين سنة ما يأكل وما يلبس وانما المعنى في ذلك ان هؤلاء قوم أصحاب مراتب لا يأكلون ولا يشربون ولا يدخلون في شئ ولا يخرجون بشئ ولا يخرجون من شئ الا باذن من الله واشارة فلو أذن له في أكل الشواء اصفاه ثمنه وقال رضي الله عنه قوت القوم على أربعة أوجه مباح وحلال وطيب وصاف فالمباح ما كان مستوى الطرفين ما على أخذه عقاب ولا على تركه ثواب والحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال والطيب هو ما أخذه العبد بوصف الفناء اذ لا وصف له مع مولاه والصافي هو ما عاينه العبد من المنبع يعني من عين قدرة الله وقال رضي الله عنه قال الجنيد أدركت سبعين عارفا كلهم يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخي أبا يزيد ولو أدرك صبيا من صبياننا لاسلم على يديه فقال الشيخ معنى قوله يعبدون على ظن ووهم لا يريد بذلك ظنا في المعرفة ووهما فيها وكيف يجتمع المعرفة والظن أو الوهم وانما المراد انهم وصلوا الى مقامات توهموا ان ليس وراءها للموقنين مقام فقال

الاجنبية يميل اليها طبعا مع انه لاحق له فى الاستمتاع بها ويكره له التلذذ بكلامها ونحوه فلا بد من نفسه انه لا يميل ولا يستلذ بحديثها فلا يقدر انتهى والله انه يقع لى فى بعض الاوقات ان بعض الناس يعطينى الدراهم وأنا محتاج اليها فاردها وأطوى خوفا من تحمل منة الرجال وربما انه كان يعطينى ولم يأتنى وينتفع بى فاذا قبلت منه تلك الدراهم صرت بالضد من ذلك وسيأتى فى هذه المنن ان الشيخ اذا علم من مريده انه صار يرى جميع ما بيده انما وصل اليه ببركة أستاذه وانه هو وعياله انما يأكلون من مال ذلك الاستاذ فلا حرج على الشيخ حينئذ فى الاكل من طعام ذلك المريد انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من التداوى باشارة كافر لعدم الثقة بقوله شرعا وقل من يسلم من ذلك فى هذا الزمان وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول فى ضمن التداوى باشارة الكافر نكتة تخفى على كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وهى انه اذا وافق شفاؤه اشارة ذلك اليهودى مثلا يصير توده بقلبه قهرا عليه فلا بد ان يتخذه عدوا كما أمره الله تبارك وتعالى فلا يقدر على نفسه ان يعاديه وقد قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة انتهى قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وانما قال تبارك وتعالى وعدوكم ولم يكتف بقوله عدوى لعلمه جل وعلا بان فى عباده من لا ينزجر عن مودة الكافر لكونه عدو الله تعالى وحده فلذلك قال تعالى وعدوكم حتى لا يبقى لنا عذر فى مودتنا الكافر انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع ما ينزل على من البلايا والمحن ليس هو من بغض الحق تبارك وتعالى لى انما ذلك محبة فى كما وردت به الاحاديث ما عدا المعاصى فان الحق تبارك وتعالى لا يبتلى بها الا من يكرهه ومن شهد هذا المشهد صار يشهد شدائده ومحنه نعما من الله تبارك وتعالى عليه ورأى جميع ما يؤلمه به انما هو تأديب له ومصلحة كشرب الدواء الكريه فان صاحب البلاء لا يخلو حاله من ثلاثة أمور كما تقرر مرارا لانه اما أن يكفر خطاياه واما ان يرفع درجاته واما أن يكون عقوبة له على ذنب سلف وتأمل يا أخى الوالد كيف يفرك أذن ولده اذا خاف عليه من الوقوع فى بئر مثلا وكذلك الوالدة تغرز الابرة فى بدن ولدها خوفا عليه من وقوعه فى أمر هو أشد من غرز الابرة فى بدنه ويعد العاقل ذلك الفعل من الوالدين شفقة ومحبة لولدهما لا بغضا له فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتى ورحمتى لمن دخلت عليه أعوده من المسلمين حتى انى كثيرا ما أسأل الله تبارك وتعالى تحويل ذلك المرض الى فيصير ذلك المرض يخف عليه وينتقل الى شيئا فشيئا حتى أمرض ويخلص هو من المرض هذا فى مرض يقبل النقل فان كان الامر الالهى قد حق به سألت الله تبارك وتعالى أن يلطف به وانصرفت من غير تحمل ثم ان المرض اذا انتقل الى لا أرى لى بذلك فضلا على المريض لانى لم أتحمل عنه المرض الذى قدره الله تبارك وتعالى على بدنه وانما حملت عنه ما لم يقدره الله تعالى عليه وكأنى سألت الله تبارك وتعالى أن يجعل عندى من المرض مثل المرض الذى عند ذلك المريض لا غير فاحمل أحد عن أحد مرضا هو لغيره أبدا لمن تأمل ذلك وانما المريض لما رأى المرض انتقل عنه بتوجه ذلك الفقير الى الله سبحانه وتعالى ظن انه حمله عنه ونظير ذلك ما اذا رمى انسان على شخص حجرا ليقتله فبادر الى ذلك الحجر شخص وتلقاه عنه فلم يصل اليه فيصير ذلك الشخص المرمى عليه يشكر من فضل من تلقاه عنه ويقول جزاك الله عنى خيرا مع ان الحجر فى الحقيقة انما قدره الله تبارك وتعالى على من تلقاه فافهم ذلك ترشد وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا دخل على مريض يقول بتوجه تام اللهم ان كان هذا المرض الذى هو فى أخى يقبل النقل فانقله الى وصبرنى عليه وأقدرنى على تحمله انتهى وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا دخل على مريض ورأى ان

الجنيد لو أدرك صبيا من صبياننا لأسلم على يديه أى اتبين له ان فوق ذلك المقام مقاما وفوق ذلك المقام مقام الى ما لا آخر له ومعنى لأسلم على يديه أى لانقاد له فالاسلام هو الانقياد وقال رضى الله عنه فى قول أبى يزيد خضت بحرا وقف الانبياء بساحله انما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالانبياء ومراده ان الانبياء خاضوا بحار التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق الى الخوض أى فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا وهذا الذى فسر الشيخ به كلام أبى يزيد هو اللائق بمقام أبى يزيد وقدمنا عنه انه قال جميع ما أخذ الاولياء مما أخذ الانبياء كزق ملئ عسلا ثم رشحت منه رشاحة فما فى بطن الزق للانبياء وتلك الرشاحة هى للاولياء والمشهور عن أبى يزيد التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الادب حتى انه حكى عنه انه وصف له رجل بالولاية فاتى الى زيارته فقعد فى المسجد ينتظره فخرج ذلك الرجل وتنخم فى حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله وما جاء عن الاكابر أولى الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال

ذلك المرض يرفع درجات ذلك المريض يدعوله بالرضا وبالصبر ثم ينصرف ورأى ان ذلك المرض يزيد المريض سخطا على مقدورات ربه دعا له بالتحويل اه وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة آمين اللهم آمين يقول اذا لم يتحمل الفقير المرض عمن عاده أو يخفف عنه المرض بدعائه فليس فى عيادته كبير أمر غايته انه يتوجع له لاغير ويخرج عن المريض وهو يتجرع الصبر وماهكذا كانت زيارة السلف الصالحين انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه ولكل رجال مشهد ويقع لى بحمد الله تبارك وتعالى فى بعض الاوقات انى أدخل على المريض فتسرقنى الرحمة له فارجع مريضا كأنى لى شهر امريض ولا أقدر على رد ذلك المرض عنى فامرض يوما أو أياما ثم أخلص وتقدم بسط ذلك مرارا انتهى فاعلم ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم غفلتى عن الصلاة فى أول وقتها مدة مرضى أو أوقات تحملى مصائب الزمان عن الاخوان أو يوم موت ولدى العزيز عندى أو نحو ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى به على وكثير من الناس يترك الصلاة أصلا ذلك اليوم أو يخرجها عن أوقاتها غالب أيام المرض وكثيرا ما أكون فى شدة المرض والالم فيدخل وقت الصلاة فيخف الالم عنى وأصحو من المرض حتى أسلم من الصلاة وقد كان صلى الله عليه وسلم يرتاح الى الوقوف فى الصلاة ويقول أرحنا بها يا بلال انتهى وهذا دأبى على الدوام وكثيرا ما أنشد قول بعض عرب البوادى

الاوجاع ما خلين فى بقية * ولا مفصل الا وفيه جراح

فلا أرى لى الآن مفصلا واحدا الا ويطرقه المرض من كثرة تحمل هموم الناس وكثرة توجههم الى فى شدائدهم وقد كانت هذه من وظائف سيدى الشيخ أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى ونفعنا به فمازال يتحمل هموم الناس حتى صار عظاما ليس عليها أوقية لحم رضى الله تعالى عنه وأرضاه وكان رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول وعدنى ربى أنى لا ألقاه وعلى أوقية لحم قال يعقوب خادمه ففنى لحمه كله قبل موته رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة آمين وكيف حال من يشارك المرضى والمعاقبين فى بيوت الولاة فى كل وقت بلغه ذلك من ليل أو نهار وعلامة صحة هذا المقام أن لا يعرف طبيب يشخص له مرضا انتهى فافهم ذلك ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كلما مرضت مرضا فيه رفع درجاتى أو كنت فى جملة أحد من المسلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل لى من جهته من يعودنى تارة على صورة شيخى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وتارة على صورة غيره من الاولياء فاذا دخل على قصاده صلى الله عليه وسلم أعرف انى أشفى من ذلك المرض فاشكر الله تبارك وتعالى على فسحته لى فى الاجل وكثيرا ما يرسل لى أحدا من أهل بيته وقد كنت فى حمى عظيمة فى سابع عشرى ربيع الاول سنة ستين وتسعمائة فاشرفت فيها على الموت فاتانى الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما ومعه شخص لا أعرفه وعليهما ثياب بيض وخضر فوقفا عند رأسى ولم يكلمانى غير ان شخصا ثالثا جاء وبسط بين يدى سجادة خضراء فلا يعلم أحد قدر ما حصل لى من الأنس فشفيت لوقتى انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حملى للعلماء والصالحين اذا رأيتهم فرشوا لهم سجادات للصلاة على انهم انما يفعلون ذلك تعظيما لحضرة خطاب الله عز وجل المشار اليها بنحو حديث ان الله فى قبلة أحدكم لا كبرا ولا فخرا وعدم عملى بقرائن التكبر فى مثل ذلك اذ القرائن وان جعلها العلماء احدى الادلة فانما ذلك فى أماكن فيها احتياط للدين وأما العمل بها فى مثل حمل العلماء والصالحين على التكبر فلا يجوز العمل بها لانه مبنى على سوء الظن بهم وذلك حرام باجماع انتهى فافهم ذلك واعلمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رضاى عن ربى عز وجل اذا قسم لى اليسير من الطاعات كما أرضى عنه

وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه من استقامتهم وحسن طريقتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظنن بكلمة برزت من امرئ مسلم سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا وقال رضى الله عنه كان الحارث ابن أسد المحاسبى اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه أصبعه فسأل الشيخ سائل فقال يا سيدى قد جاء ان الصديق قدم له لبن فاكل منه فوجد كدرته فى قلبه فقال من أين لكم هذا اللبن فقال غلام له كنت تكهنت لقوم فى الجاهلية فاعطونى ثمن كهانتى فتقياه أبو بكر رضى الله عنه ثم قال والله لو لم تخرج الا بمصارينى لاخرجتها فلم يكن على يد الصديق عرق يتحرك عليه اذا قدم له طعام فيه شبهة والصديق أولى بكل مزية من سائر الامة وقد وزن بالامة فرجحهم فقال الشيخ رضى الله عنه الصديق رضى الله عنه كالوكيل المفوض اليه مطهر من البقايا فلا يحتاج الى الاشارة والحارث بقيت عليه البقايا فلذلك ألزم الاشارة حتى لا يدخل فى شئ بنفسه وهواه وأبو بكر رضى الله عنه طهر من النفس والهوى فلا يحتاج الى الاشارة واعلم ان من حسن اختيار الله لابى بكر ان تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثيبه الله على

اذا

اذاقسم لى اليسير من الرزق على حد سواء وهذا مقام لا يثبت فيه الا من تحقق بكمال الاعتماد على فضل الله تبارك وتعالى دون الاعمال فان كل من كان معتمدا على عمله فمن لازمه غالبا التكدر من نقص طاعاته وغاب عنه ان ذلك الذى فاته لم يقسم له أصلا ومالم يقسمه الحق تبارك وتعالى للعبد لا ينبغى له أن يحزن عليه الا بطريق شرعى وكثيرا ما ينظر الانسان الى شخص قسم الله تبارك وتعالى له الطاعات الكثيرة فيتوهم انه لو ألقى باله وترك الكسل لفعل مثل مافعله من الطاعات وهو وهم فان ماسبق به العلم الالهى هو الواقع من غير زيادة ولا نقص فعلم ان كل من اعتمد على فضل الله تبارك وتعالى لا يتكدر من نقص طاعاته الا ان كان يطلب الزيادة من الطاعات لاجل مجالسة ربه عز وجل فيها فذلك مطلوب شرعا لمن علم من نفسه القدرة على محافظة الادب مع الله تبارك وتعالى فيها (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الحزن على فوات الزيادة من نوافل الطاعات محمود للمريدين دون العارفين لان العارفين قد تحققوا بمقام الرضا عن الله تبارك وتعالى فى كل ما أجراه الله جل وعلا عليهم ولا يخلو ذلك من أن يكون محمودا أو مذموما أو لا محمودا ولا مذموما فان كان محمودا قالوا الحمد لله وان كان مذموما قالوا أستغفر الله وان كان مباحا فهو بحسب مقامهم وقد بلغنا عن سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه وأرضاه انه قال نمت ليلة عن وردى فاصبحت حزينا مهموما فقيل لى فى الليلة الثانية يا ابراهيم كن عبد الله تسترح فان أغناك نم وأنت راض وان أفناك قم وأنت شاكر وليس لك فى الوسط شئ قال ابراهيم رضى الله تعالى عنه فصرت عبد الله فاسترحت انتهى وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقوم الليل كله بالقرآن ثم يقول والله ان النائم أحسن حالا منى لقلة أدبى فى صلاتى انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من شأن الحق تبارك وتعالى ان يرى عبده مقدار الوصل بتقدير عليه أسباب الهجر انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه و والله انى لأقوم بعدما ينفض الموكب الالهى فاكاد أذوب من الخجل ثم انى أرى فضل الله تبارك وتعالى على الذى أرانى أهل حضرته وهم راجعون. وقد كان سيدى الشيخ محمد السروى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأسبغ عليه من جلابيب مغفرته الهامعة يحضر مولد سيدى أحمد البدوى نفعنا الله تعالى بامداداته فى كل سنة فعاقته القدرة عنه سنة وهو مريض فقال لخادمه احملنى وضعنى على طريق الناس الذين حضروا المولد ففعل الخادم ذلك فصار يمسح وجهه بثيابهم ويتبرك بذلك لكونهم حضروا ذلك الجمع الذى لا يجئ نقطة من بحر حضرة الله عز وجل العظمى الجامعة لارواح الانبياء والاولياء والملائكة وصالحى المؤمنين من المتقدمين والمتأخرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) أخذى كل كلام سمعته من واعظ أو خطيب فى حق نفسى بالاصالة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الواعظ أو الخطيب انما هو نائبه صلى الله عليه وسلم فمن الناس من قصر بصره على النائب ومن الناس من خرق ببصره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار كأنه يسمع منه فالحمد لله الذى لم يجعلنى آخذ كلام الواعظ أو الخطيب فى حق غيرى كما وقع فيه غالب الناس فيحضرون الواعظ أو الخطيب ثم يخرج أحدهم فيقول أفلح الواعظ اليوم فى الحط على الظلمة والمنافقين والمرائين والذين يغتابون الناس ولا يأخذون لانفسهم من كلام الخطيب كلمة واحدة فى حق نفوسهم فكأنهم لم يحضروا الخطيب وكان من خلق أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى انه يأخذ كل كلام فيه زجر لنفسه سواء سمعه من خطيب أو غيره وسمع مرة رضى الله تعالى عنه تاجرا يقول لعبده تعصينى وأنا أطعمك وأكسوك ولا أؤاخذك على سوء أدبك فخر مغشيا عليه انتهى فعلم أن من كمال العقل أن يأخذ الانسان كلام الخطيب أو الواعظ فى حق نفسه دون غيره وهذا هو السر فى وجوب الانصات للخطيب أو استحبابه فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) فرحى بكل شيخ أو واعظ برز فى حارتى وطار يلتقط أصحابى الذين كانوا حولى واحدا بعد واحد حتى لم يبق حولى منهم واحد وهذا الخلق من أكمل أخلاق الرجال ولا يصح ذلك الا لمن

ذلك وأيضا ليجعله قدوة للعباد فيقتدى به من أكل طعاما فيه شبهة ولم يعلم ان الاولى له قيئه وليس لقائل أن يقول قد ضمنه باكله وقد تناول أو تناوله وهو غيرآثم اذ هو غير عالم فان أبا بكر ماسأل عن اللبن الا حتى وجد له كدرة فى قلبه دل ذلك على أن الحرام أو الشبهة قد يؤثر فى القلب كدرة أو قسوة وان لم يعلم به متناوله وقت تناوله وهكذا هم أهل التخصيص ان وقع منهم أمر مثل هذا ونحوه فهو من حسن اختيار الله لهم حتى يفتح بهم السبيل للعباد وكما ان من حسن اختيار الله لآدم أكله من الشجرة بعد ان نهى عنها حتى يتوب من الفعل فيكون قدوة للتائبين وحتى يتعرف الله بحلمه فيعلم انه أكرم الاكرمين بوقفه على وجود ستره ولطفه فيعلم انه اللطيف الخبير بعباده المؤمنين وليكون أكل الشجرة سببا فى النزول والنزول سببا فى الخلافة فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أكرم بها معصية أورثت الخلافة وقال والله لقد أنزل الله آدم الى الارض من قبل أن يخلقه بقوله انى جاعل فى الارض خليفة وقد بسطنا القول فى هذا الموضع فى كتاب التنوير فلا نعيده وقال رضى الله عنه انما بدأ القشيرى فى رسالته بالفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم لانهما كانا قد تقدم لهما

فنيت رعونات نفسه بالكلية وقطع على يد شيخ ناصح أو لمن حصلت له جذبات الهية أدخلته حضرة العبودية الخالصة فشهد ان الحق تبارك وتعالى هو الذي أبرز هذا الشيخ الذي أخذ جميع أصحابه وحول اعتقادهم عنه اليه بحيث صار لا يعتقد صلاحه أحد منهم فان من شهد هذا المشهد فهو الذي رضي عن سيده بكل ما أقامه فيه من تقليبه المسك أو تقليبه الزبل وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من احتاط لنفسه لم يطالب أن يكون رأسا في شيء من الامور الدنيوية أو الاخروية الا ان خلص من الرعونات النفسانية كالرياء والعجب ونحوهما لان كل راع مسؤل عن رعيته فيجب عليه أن لا يورد أحدا من رعيته ما يدخله النار ولا تزول قدما داع الى الله تبارك وتعالى حتى يسئل هل وفى بحق رعيته في النصح أم غشهم وغفل عنهم ومن آمن بما قلناه فرح بكل من أخذ جماعته من حوله وأحبه وشكر فضله لكونه فرغه لعبادة ربه المحضة وتحمل عنه توبيخ الحق تبارك وتعالى له في الآخرة ومناقشته له في يوم تشيب فيه الاطفال ثم من تمام فرحه به تحسين اعتقاد الناس فيه وترغيبهم في حضور مجالسه والدعاء له بظهر الغيب بان الله تبارك وتعالى يسدده وان حضر الشيخ القديم مع الناس وسمع وعظه حصل له خير كثير فعلم ان من كان بالضد مما قلناه فهو ممقوت مراء ليس له في قدم الصدق نصيب وهذا الخلق لم أر له فاعلا صادقا من أقراني بل بعضهم يصير يحط على الشيخ الجديد وينفر الناس عنه ولما انتقل الشيخ العارف بالله تبارك وتعالى الشيخ سليمان الخضيري رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة من القرافة وسكن في جامع الميدان تجاه زاويتي تناصرت أن ترددا اليه وأقبل ركبته بحضرة جماعته وجماعتي وصار الشيخ نور الدين الشوني رحمه الله تعالى يقول اللهم انقله من حارتك فاني أخاف عليك أن تتخلف عنك العناية وتتكدر منه حين ينقلب اليه جماعتك فقام عليه أهل حارة الميدان بالانكار لما عمر بيته بجوار المسجد فرجع الى مكانه الاول بجوار جامع ابن طولون فكان الشيخ نور الدين اذ ذاك يستبعد علي وصولي الى هذا المقام ويخاف علي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين آمين اللهم آمين وقد ذكر الامام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في مقدمات شرح المهذب وفي كتاب التبيان ما نصه اعلم ان من أهم ما يؤمر به العالم أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره وهذه مصيبة يبتلي بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم وهو من الدلائل الصريحة على عدم ارادتهم بالتعليم وجه الله الكريم انتهى (فينبغي) للعاقل أن يقول لنفسه اذا فارقه تلميذه الى شيخ آخر ان كان صحبة هذا المريد لنا يحصل بها خير له فهو الذي تركه وان كان يحصل بها شر له فقد استراح منا وان كان لا خير ولا شر فالامر سهل لا يحتاج الى غيظ فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) حفظي للادب مع أصحاب الوقت من العلماء والمسلكين سواء كانوا حاضرين أو غائبين عن مجلسي فلا أدرس قط علما ولا أعظ الناس في كتاب أو غيره الا بعد قولي بقلبي ولساني دستور يا أصحاب الوقت أدرس أو أعظ بحكم النيابة عنكم فمن واظب على ذلك أمن من ارتاج الكلام عليه في ذلك المجلس وقد قال العارفون رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بامداداتهم ما ارتج على خطيب أو واعظ قط الا لكون ذلك الوقت فيه من هو أولى بالكلام منه انتهى (وسمعت) سيدي الشيخ عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول اذا استأذن الواعظ أو المدرس علماء الوقت بقلبه أو لسانه مدوه كلهم بالعلم والمعارف شعر بذلك أم لم يشعر انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وأرضاه (وقد علمت) ذلك لبعض الوعاظ وكان كثير الارتاج فلم يرتج عليه بعد ذلك انتهى فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) شهودي ان جميع الفضائل والكرامات التي تقع على يدي ليس لي فيها فعل وانما هي لله تبارك وتعالى وحده كسائر أفعالي ما عدا النسبة الشرعية لكونها ظهرت على جارحتي فسواء أجرى الله تبارك وتعالى على يدي الكرامات أو لم يجرها هو عندي سواء انتهى (وسمعت) سيدي

زمن قطيعة ثم أقبلا فاقبل الله عليهما فبدأ بذكرهما ليبسط الرجاء للمريدين الذين كانت تقدمت منهم الزلات وسبقت منهم المخالفات ثم رجعوا الى استقراع أبواب العنايات اذ لو بدأ بذكر الجنيد وسهل بن عبد الله التستري وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله تعالى لقال القائل ومن يدرك هؤلاء لم تسبق لهم زلات ولم تتقدم منهم مخالفات وقال رضي الله عنه في الحكاية المشهورة عن سمنون المحب انه كان ينشد شعرا

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فابتلي بعلة الاستبراء وهي احتباس البول فتجلد يوما فزاد الالم فتجلد الثاني فزاد الالم فتجلد ثالثا ورابعا والالم يزيد فهو في صبيحة اليوم الرابع واذا بانسان من أصحابه قد أتاه وقال يا سيدي سمعت البارحة صوتك عند دجلة وأنت تستغيث الى الله وتسأل رفع ما نزل بك فجاءه ثان وثالث ورابع ولم يكن هو سأل فعلم انها اشارة من الله له بالسؤال فصار يدور على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب فقال الشيخ يرحم الله سمنونا عوض ما قال فكيفما شئت فاختبرني كان يقول فكيفما شئت فاعف عني فطلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال رضي الله

عليا

عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول العارف بالله تبارك وتعالى لا يزداد بالسلب الا تمكينا لانه مع الله تبارك وتعالى بما أحب لا مع نفسه بما تحب انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وأرضاه ومن كان هذا مشهده أمن من وقوع الاستدراج الواقع لاهل الكرامات اذ الاستدراج لا يقع الا من يرى الفعل لنفسه شهودا ولربه ايمانا فيتوارى عنه في بعض الاوقات انتهى (ومما وقع) لي من الكرامات في بعض الاوقات انني أقوم للتهجد في الليل فلا أجد ماء يكفيني لغسل الوجه فاقول بقلبي اللهم انك تعلم انني لم أرد بهذا الوضوء في هذا الوقت الا تعظيم جنابك أن أجالسك على حدث فيزيد الماء في الاناء حتى أتوضأ ويفضل منه بقية وفي بعض أوقات أتوجه الى الله تبارك وتعالى في زيادة الماء فلا يزيد قطرة واحدة فلا ينقص يقيني بذلك ذرة واحدة لان الفعل في الحالين لله تبارك وتعالى لا لي فعلم أني لا أرى اني سلبت بركة كانت معي لما لم يزد الماء وانما أقول لله تبارك وتعالى في ذلك حكمة فأصير أتطلبها فربما قصرت في عمل كان متوجها علي لله تبارك وتعالى فتخلف عني العناية جزاء على فعلي اذ الحق تبارك وتعالى مع عبده على حسب ما يقع له فكان الحق تعالى دعا عبده الى طاعته فتقاعد عنها فكذلك دعا العبد ربه فتخلفت عنه الاجابة والكل من الله تبارك وتعالى حقيقة فله الشكر في حال زيادة الماء لي وفي حال نقصه انتهى (وكذلك) يقع لي في بعض الاوقات انني أقوم فاجد الماء باردا في الشتاء لا أستطيع استعماله لبرده فاقول اللهم خفف عني برده فاجده كالمسخن بالنار أولا برد ولا سخونة وفي أوقات أجده باردا على حاله ولو توجهت الى الله تبارك وتعالى فيه على وزان ما تقدم أي جزاء وفاقا من العدل الالهي على عمل تركته فالحمد لله الذي جعلني ممن يدور مع الحق تبارك وتعالى حيث دار لا مع حظ نفسي وكان أصل ذلك أن نفسي في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وقع لها تشوق عظيم لوقوع كرامة فتوجهت الى الله تبارك وتعالى في ذلك أياما فقيل لي في الليلة الثالثة وأنا نائم في مسجد الشيخ أحمد الاباريقي في روضة مقياس النيل لو أطلعك الله تبارك وتعالى على ملكوت السموات والارض وعلى عدد الرمال وأوراق الاشجار وعلى النبات وأعماره والحيوانات وأعمارها وعلى ما يقع لاهل الجنة والنار حال وجودهم في الدنيا والبرزخ والجنة والنار وأنزل المطر بدعائك وأحيا الميت على يديك وأجرى على يديك جميع ما أكرم الله تبارك وتعالى به عباده المؤمنين فلست من عبوديته في شئ فاستقم على طاعة ربك عز وجل وقد بلغت الغاية في الكرامة انتهى فما انقضى هذا الكلام وبقي عندي بحمد الله تبارك وتعالى شهوة لمقام ولا حال بل ذهبت شهوة ذلك من قلبي جملة واحدة وقد صنفت في شرح هذا الهاتف رسالة وهي من أول تآليفي في علم القوم نحو عشرة كراريس فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم مبادرتي الى الانكار على من رأيته من العلماء والصالحين يلبس لبس أبناء الدنيا من المحرمات ويركب على نفائس الخيل والبغال وينكح السراري والمنعمات لان ذلك جائز بالشرع فمن أنكره فهو جاهل مخطئ أو حاسد ممقوت فصاحب تلك الملابس يتنعم في مال سيده باذنه والحاسد له شقي محروم وأيضا فان لله تبارك وتعالى عبيدا متواضعين ذليلين في صورة أغنياء متكبرين فجمع الله تبارك وتعالى لهم بين خيري الدنيا والآخرة (منهم) سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه (ومنهم) سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه وأرضاه (ومنهم) سيدي مدين رضي الله عنه (ومنهم) سيدي أبو الحسن البكري رضي الله تعالى عنه وولده سيدي محمد رضي الله تعالى عنهم أجمعين (فمثل هؤلاء) يأكلون ويتمتعون ولا ينقص لهم رأس مال ان شاء الله تعالى والدليل على ذلك كون علومهم ومعارفهم في زيادة مع عدم مطالعتهم واكبابهم على الكراريس بل ينام أحدهم مع زوجته على أوطإ الفراش الى الصباح ثم يقوم تتفجر من قلبه ينابيع الحكمة ولسان حالهم يقول للحسدة لهم موتوا بغيظكم فلو كانت كرامات هؤلاء في نظير عمل لكانت كراماتهم تبطل اذا ناموا وقصروا في العمل فافهم مع ان جميع ما هم فيه حصل من غير طلب ولا ذل في طريقه أبدا بخلاف غيرهم لم يقع ذلك له مثلهم ولما وقع لابي يزيد رضي الله تعالى عنه اكباب الناس على التبرك به والتمسح بمرقعته لامه بعض الناس على ذلك فقال له أما تفقه يا أخي ان الناس لا يتبركون

عنه في الحكاية التي ذكرها الاستاذ أبو القاسم القشيري قال الجنيد دخلت على السري فوجدته متغيرا فقلت له ما بالك يا أستاذ متغيرا فقال دخل علي شاب آنفا فقال لي ما التوبة فقلت أن لا تنسى ذنبك فقال بل التوبة ان تنسى ذنبك فما تقول أنت يا أبا القاسم قال فقلت القول عندي كما قال الشاب لاني اذا كنت في حال الجفاء ثم نقلني الى حال الصفاء فذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء فقال الشيخ رضي الله عنه كلام السري أتم من كلامهما لان كلام السري يدل على مبادي المقامات وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها وانما تاتي النهايات من البدايات والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة وكذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهاياتهم فكلامهما يخص حالهما وكلام السري يهيج مورد السالكين هذا معنى كلام الشيخ وقال رضي الله عنه في قول بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ عشرين سنة ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة ولكن معناه اذا أذنب استغفر منه والملك الموكل بكتب السيآت لا يكتب السيئة حتى ينتظر العبد لعل أن يرجع أو يتوب وكلما أراد أن

بابي يزيد وانما يتبركون بخاعة ربه التي خلعها عليه انتهى فصاحب هذا المقام عبد ذليل في نفسه سيد في عيون الناس وكم من صاحب مرقعة هو أكبر نفسا من صاحب ثياب الخز ورفيع الكتان وكم من صاحب مرقعة لبسها بنفس فلم يتبرك أحد بها فاحفظ يا أخي لسانك وقلبك عن الانكار على من خالف عوائد العلماء والصوفية في ملابسه ونحوها ولا تنكر عليه الا ما صرحت الشريعة بتحريمه أو كراهته انتهى فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) كراهتي للجلوس في المسجد على حدث في ليل أو نهار وذلك لما ورد ان الملائكة تصلي على أحدكم ما دام جالسا في المسجد على طهارة وصلاة الملائكة بلا شك مقبولة يعني استغفارهم لنا العصمتهم عن الذنوب (واعلم) يا أخي ان من كان مشهده ان الارض كلها مسجد فلا فرق عنده بين الاماكن الا ما خصه الشارع صلى الله عليه وسلم منها فهذا في مسجد دائما ثم ان هذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من حماه الله تبارك وتعالى من ثقل الغفلة عنه ودامت مراقبته لربه عز وجل فان المسجد حضرة الله جل وعلا الخاصة فاذا كان هذا في الحدث الاصغر فكيف بمن يعصى الله تبارك وتعالى في المسجد بغيبة أو نحوها من الفواحش وكان أخي سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة لا يقدر على الجلوس في المسجد ولو طاهرا ويقول والله اني لأتعجب من هؤلاء المجاورين في قدرتهم على اطالة الجلوس في المسجد لاسيما وهم محدثون انتهى ثم لا يخفى ان كل عاقل جلس في المسجد لا بد أن يستحي من رؤية الله تبارك وتعالى اليه ولو في طاعة فكيف اذا كان في معصية كغيبة ونميمة وسوء ظن بالمسلمين وكبر وعجب وحسد وحقد وغل ورياء وسمعة وربما مقت الله تبارك وتعالى ذلك العاصي في حضرته وطرده عنها كما وقع لابليس فلا يفلح بعد ذلك في خير أبدا ومن تأمل وجد حكم من يعصى الله تبارك وتعالى في المسجد حكم من دخل عليه ملك جبار شديد البطش فوجده يفسق في عياله فانه اما أن يقتله ويمثل به أو ينفيه من حضرته فلا يمكنه من دخول داره الى أن يموت واما أن يصير لا يرى له وجها أبدا فوالله لقد خلقنا لامر عظيم ولولا ان رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه لاهلكنا تبارك وتعالى من أول معصية تقع منا في بيته فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) كراهتي لخروج الريح في المسجد مني أو غيري تعظيما للجناب الله عز وجل كان من نعمته علي سهولة خروجي من المسجد لاخراج الريح خارجه من غير تكلف وذلك لان الريح من جملة بخار النجاسة الصاعد من المعدة وهو معدود من الرجس حتى ان بعضهم أفتى بانه لو حمل مصرانا فيه فساء وضراط محبوس لم تصح صلاته اه فاذا كان رجسا فاللائق به أن يخرجه في الخلاء والعامل بهذا الخلق قليل من الناس وغالبهم يخرج الريح في المسجد ولا يتوقفون بما يخرجه في المجلس الواحد مرارا لاسيما المجاورون وأعطيك يا أخي ميزانا وهو ان كل شئ تستحي في نفسك أن تفعله مع الناس فربك أولى بالحياء منه فيه ولا ينبغي لفقيه أن يتساهل في ذلك اعتمادا على ما ظهر بالقرائن من عفو الله تبارك وتعالى عن مثل ذلك ويقول لو أن الحق تبارك وتعالى نهى عن ذلك لوصل الينا علمه كغيره من الاحكام لانا نقول حلمه تبارك وتعالى وعفوه لا يبيح لنا سوء الادب معه بل هو باق على كونه سوء أدب في حقنا ولو عفا الحق تبارك وتعالى عنه اذ العفو لا يكون الا عن ذنب فافهم ثم ان كنت يا أخي صاحب ضرورة والغالب عليك الريح فقل دستور يا ملائكة ربي وأخرجه وأنت في حياء منهم وقد كان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول لا تقصر في حق أخيك اعتمادا على مروأته فمعاملتنا للحق تبارك وتعالى بنظير ذلك أولى بنا وكذلك لا يقال ان من كان جالسا في المسجد يشق عليه مراعاة هذا الادب والمشقة تجلب التيسير لانا نقول كلامنا في حق من لا يحصل له بمراعاة ذلك الادب مشقة ظاهرة كمن به سلس الريح مثلا مع ان المحققين من أشياخ الطريق قالوا اذا صدقت المحبة تأكدت شروط الادب فمن ادعى محبة الله تبارك وتعالى في جلوسه في المسجد تأكد في حقه مراعاة الادب أكثر ممن هو خارج المسجد وهذا أولى من قول بعضهم اذا تأكدت المحبة سقطت شروط الادب فافهم فان كتب القوم رضي الله تعالى عنهم طافحة

يكتبها قال له ملك اليمين لا تكتب فهتى أن يتوب الى أن يبلغ عددا اما السبع واما العشر الشك مني فحينئذ يكتبها سيئة فلذلك جاء صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال

(الباب الثامن) في كلامه في الحقائق والمقامات وكشفه فيها للامور المعضلات قال رضي الله عنه الشوق على قسمين شوق على الغيبة لا يسكن الا بلقاء الحبيب وهو شوق النفوس وشوق الارواح على الحضور والمعاينة فاذا رفعك الى محل المحاضرة والشهود المسلوب عن العلل فذلك مقام التعريف ايمانا حقيقيا وذلك ميدان تنزل أسرار الازل فاذا أنزلك الى محل المشاغرة والجهاد فذلك مقام التكليف المقيد بالعلل وهو الاسلام الحنفي ميدان تجلي حقائق الابدية والمحقق من لا يبالي باي صفة يكون لان صفتك تميل لا أنت والصفة من العين للعين وهو ظهورك والاسم للسان وهو نطقك والاسم حقيقة الصفة والصفة حقيقة الوجود والاسرار متنزلة عن الوجودية للصديقية والحقائق متجلية عن الصفات بالولاية لاهل العلوم الظاهرة عن الاسم بالدليل لاهل السعاية واليه الاشارة بقوله عليه السلام يا أبا حنيفة سائل العلماء وخالط

بقواخذتهم

بمؤاخذتهم وعقوبتهم بفعل ما يسامح به غيرهم كما وقع للشيخ الكبير أبي الخير الاقطع المدفون بجانب منارة الديلمية بالقرافة انه قطعت يده في تناوله شهوة مباحة كان عاهد الله تبارك وتعالى على تركها ووقع لبعضهم انه اشتهى بيضا وسمنا فطلع بلد اليأ كل ذلك فالقى الله تعالى عليه شبه لص فمسكه جماعة الوالي فضربوه سبعين خشبة ثم بان لهم انه لم يكن ذلك اللص الذي ظنوه ثم جاءه شخص ببيض وسمن فقال لنفسه كلها بعد سبعين خشبة ومثل ذلك جار على قاعدة قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة تحملي لاخواني في غيبتهم وحضورهم ولا أواجه أحدا منهم بما يكره الا ان كان باعثي على ذلك وفي ذلك رضا الله تبارك وتعالى ورضا الاخوان وعدم تنفيرهم من سماع نصحي وكثيرا ما أضرب لاحدهم المثل بأمر آخر غير ما وقع هو فيه سترة له وكثيرا ما أقول له كيف تألف جاريتي وأنت تدعي انك مريدي وأريد بجاريتي الدنيا فاذا رأيته يحب الدنيا قلت له ذلك أو نحوه الا أن يكون في المجلس غريب لا يعرف مصطلح الفقراء فلا أقول له ذلك فاياك يا أخي أن تذكر أحدا ممن يبايعك على النصح بسوء تنقصه به في المجالس فانه ربما عاملك بنظير ذلك وصار يقطع في عرضك وينقصك في أعين الناس كما نقصته ولو انك كنت كملته لكملك وكثيرا ما يبلغ الشيخ الكبير القدر ان فلانا يقطع في عرضك فيتكدر لذلك لان الشيخ كالبئر تارة ينزح ماؤه وتارة يوجد الماء ولا يوجد الحبل وتارة يحمل كلام الثقلين في عرضه وتارة لا يحمل كلمة واحدة فيسد العاقل الباب الذي يدخل له منه الاذى أولى لاسيما ان كان الغالب عليه قيام بشريته وثوران نفسه وغالب مريدي هذا الزمان غير صادقين مع أشياخهم فربما عاهد أحدهم شيخه على انه ينصحه سرا وجهرا أي في غيبته ولمن يبلغه ومواجهة وهو كاذب فليحذر الشيخ من التهور في ذلك وعدم التفتيش فربما ظن ان مريده مقيم على العهد ولا غير ولا بدل والحال انه غير وبدل فيفجر على الشيخ كما وقع لي ذلك كثيرا مع أصحابي وصار بعضهم يزرق في عرضي في أي مكان حل فيه وبعضهم يصرح في وجهي بانه ليس من جماعتي ثم انه اذا احتاج الى حاجة عند الولاة يكبرني غاية التكبير ويجعل نفسه من جملة المريدين حتى تقضى حاجته ويبلغني عنه ذلك وأقره عليه غضبا علي فتارة يجعلني متفعلا وتارة يجعلني قطبا وقد كان سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يجرح أصحابه في وجوههم وغيبتهم ويقول من لم يصحبني على اني أفعل في عرضه ماشئت بحسب ما أراه من المصالح والا فليبعد عني فقلت له ان وصفكم الانسان بما لم يقع منه لم يحتمله كل أحد فقال انما أصفه بالصدق لانه ان لم يكن وقع في ذلك الامر فهو معرض للوقوع فيه فأقبحه في عينه ليأخذ حذره منه انتهى فعلم ان من جرح انسانا بغير غرض شرعي فهو فاسق لاسيما ان ذكره بالنقص بحضرة الاجانب عن الطريق فان الفقير الصادق ينشرح لمن يذكر له نقائصه والكاذب بالعكس وأكثر الناس اليوم كاذب في قوله أنا أحب من ينقصني ويظهر لي نقائصي ومن شك فليجرب وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول لابد لكل داع الى طريق أهل الله تبارك وتعالى من مدح المستقيم وذم الاعوج ترغيبا وتحذيرا قال رحمه الله تعالى وليس ذلك من باب الغيبة في شيء ومن ظن بشيخه ذلك فقد خرج عن أدب أهل الطريق كما هو مقرر في كتب الشريعة وقد نظم بعضهم المواضع التي تجوز الغيبة فيها فقال

استفت عرف تظلم حذر استعن * على ازالة فسق واحك ما ظهرا

وايضاح ذلك ان أصل تحريم الغيبة انما جاء من حصول التأذي بها على وجه التشفي من المستغيب والمحذر ناصح لاخيه خائف على وقوعه فيما ينقص دينه قاصد بذلك دفع أذى آخر أشد دون قصد التشفي فلا يستغني شيخ عن تحذير أصحابه وترغيبهم أبدا لانه لابد فيهم من أعوج ومن مستقيم وفي القرآن العظيم فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت فنهاه تبارك وتعالى عن اتباعه ليونس عليه الصلاة والسلام في غضبه على قومه ودعائه عليهم بنزول العذاب وهذا وان كان مباحا ليونس عليه الصلاة والسلام لكونه معصوما ولكن ثم مقام رفيع ومقام أرفع فافهم وفي القرآن العظيم أيضا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وفي الحديث الشريف أنه صلى

الحكماء وجالس الكبراء فالعالم بذلك بالعلم من الاسماء ونهايته الجنة والحكيم المقرب يحملك باليقين وبالحقائق من الصفات ونهايته منازل القربة واليه الاشارة بقوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة والكبير بذلك بالاسرار من الوجود على طريق الصفاء والنزاهة ونهايته الله وتجمع المراتب الثلاثة في الكبير فيحمل قوما بالعلم وقوما بالحقائق وقوما بالاسرار وهم الانبياء وابدال الرسل وهم البصراء قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني أي على معاينة يعاين لكل صنف طريقهم فيحملهم عليها وهي النيابة وأما هو فقد انفرد بحالة لا تعرف لعظيم قربه شعر

وغنى لي مني قلبي وغنيت كما غنى
وكنا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنا

وقال رضي الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه اذ هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغفار والتوبة ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا

الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فتركه قال بعض الحفاظ يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم عين له ذلك الرجل الذي كان يقوم الليل وتركه ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم لم يعينه لانه ضرب مثل والغرض حاصل من غير تعيين وكان سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يقول لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى يصير يرضى أن يضاف اليه سائر النقائص التي في اخوانه ويستر اخوانه رضا بعلم الله تبارك وتعالى وايثار الهم على نفسه وان تأثر من حيث نقص دين المنقصين انتهى قلت ويستروح لذلك بما ورد ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم كانوا يفدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وكان بعضهم اذا رأى سهما نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض له بصدره فتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان في ذلك زهوق روحه فسماع الفقير الكلام الذي يؤذيه ويحمله عن أخيه دون أذى ذلك السهم بيقين انتهى وفي قصة أبي الحسين النوري رضي الله تعالى عنه وأرضاه أنه لما قدم للقتل وفرش النطع لضرب أعناق اخوانه في واقعة تقدم للسياف وقال له اضرب عنقي قبل أصحابي فقالوا له لاي شئ فقال لأوثر أصحابي بعدي بحياة ساعة انتهى فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) مجيئي لزيارة جميع أقراني الا الحسود فأترك زيارته شفقة عليه وذلك لعلمي بان زيارته في الغالب لا تفيده الا زيادة الغم لاسيما ان رحت اليه بثياب فاخرة مبخرة فمن نعم الله تبارك وتعالى علي أني لا أكلف أحدا من أصحابي لزيارتي ولا العيادة لي اذا مرضت ولا أعلمهم بمرضي خوفا أن أحدا منهم يحمل همي أو شيأ منه وكفاني علم ربي تبارك وتعالى بذلك وان وقع ان أحدا منهم عادني أو زارني فانما ذلك تفضلا منه ابتداء على رغم أنفي لعجزي عن مكافأتهم على ذلك ثم لو قدر أني زرت أحدهم ألف مرة في نظير زيارته لي مرة واحدة لا أرى اني كافأته على تلك المرة مع اني في بركتهم حيث كنت وقلبي مؤتلف عليهم ولو لم يزوروني ولم يعودوني وان كان في جزء يجب تردد الاخوان الي فذلك الجزء ضعيف لا يكاد يظهر له صورة وما طلب الشارع صلى الله عليه وسلم منا الزيارة والعيادة لبعضنا بعضا الا لنأتلف ولو بنا حتى نتعاضد على نصرة الدين المحمدي وهذا المعنى حاصل عندي بحمد الله تبارك وتعالى فلا ينفر خاطري ممن لم يعدني في مرضي مثلا فاياك يا أخي أن تظن بمن لم يزره صاحب هذا المقام انه يكرهه وتصير تقول لو ان فلانا كان يحب فلانا لزاره وعاده فربما كان صاحب هذا المقام هو الذي منعه بقلبه عن المجيء اليه رحمة به وشفقة عليه كما يقع لي ذلك مع صاحبي شيخ الاسلام العالم الصالح الشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني رضي الله تعالى عنه وأرضاه ومع سيدي محمد ابن الشيخ أبي الحسن البكري نفعنا الله به وبأسلافه ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ومع كل من كان مشغولا بخير يتعدى نفعه الى المسلمين فأتوجه الى الله تبارك وتعالى في عدم مجيئه الي حتى لا يفوته فعل ما هو الافضل على ان غالب زيارة الاقران اليوم وعيادتهم لأخيهم تطرقها العلل فربما يكون أحدهم يقصد بزيارته وعيادته المكافأة على ذلك ليحصل له التجميل بين الناس بكثرة من يعوده من العلماء والصالحين والاكابر وقد رأيت شخصا عاد مريضا فلما مرض هو لم يأت اليه فرق عرضه في الآفاق وحلف أنه ما صار يعوده أبدا وصار ينشد

من جا اليك فرح اليه * ومن قلاك فصد عنه

ولو انه كان عاده لله تبارك وتعالى ما ندم على عيادته له فتأمل وقد مرض شخص من مشايخ العصر فطلب من سيدي علي المرصفي رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن يعوده فلم يجبه الى ذلك وقال انما طلب عيادتي طلبا للشهرة عند الامراء الذين يعتقدونه ويقول الناس ان المرصفي زار سيدي الشيخ اليوم ثم ان ذلك الشيخ صار ينقص عرض سيدي علي المرصفي فلما بلغه ذلك قال قد أذنت له أن يطلع المأذنة ويسبني ولم يزره الى أن مات وقال انما تركت زيارته رحمة به لا رؤية نفسي عليه ولو علمت أنه يحتقر نفسه عن زيارة مثلي ولا يذكر ذلك للامراء لزرته ثم قال وكان ذلك من خلق الامام مالك رضي الله تعالى عنه فعلم ان من أدب الحاذق أن يزور اخوانه ويعودهم بالنية الصالحة مع عدم طلبه المكافأة على ذلك ولا يحوج أحدا منهم لزيارته ولا لعيادته بالتعريض لمن يبلغهم انه

ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت فقالوا يا رسول الله ماذا له فقال أولئك لهم الامن وهم مهتدون أي لهم الامن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا قال رضي الله عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله يختص برحمته من يشاء والاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان بدأه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدأه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا تظنن ان المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها

مريض

مريض مرضا شديدا أو بقوله فلان الفلانى أوحشنا كثيرا ومرادى لو رأيته قبل موتى ونحو ذلك فانه ربما سمع بذلك فترك أشغاله المهمة وحضر الى ذلك المريض بغير نية صالحة وربما كان ذلك المريض كاذبا فى دعواه الاشتياق اليه فليفتش كل واحد منهما نفسه وربما ان ذلك المتكلف الحضور كان علم بمرض ذلك الرجل ولم يجد فى نفسه داعية لعيادته وكذلك من التعريض قول المريض بالله عليكم روحوا الفلان العالم وقولوا له اقرأ الفاتحة وادع لفلان فربما كان ذلك الفلانى مشتغلا بعلم يعود على العالم والامة نفعه فيقطعه عن الاشتغال به ويشغله بأمر مفضول وقد قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة فجعله أفضل من وقوف العبد بين يدى ربه ومناجاته بكلامه والركوع والسجود بين يديه فى حضرة قربه فضلا عن وقوف عبد بين يدى عبد مريض لا يملك له ضرا ولا نفعا اهـ فان قيل كيف يترك العبد حضرة قربه عز وجل ويخرج لمجالسة عبده فالجواب ان حكم العبد حكم من كان فى حضرة ملك من ملوك الدنيا وقد أمره ذلك الملك بالجلوس معه ثم ان ولد الملك وقع فى بئر فقام ذلك العبد من مجلس سيده بغير اذنه لينقذ ولده من الغرق فالقرائن كلها متوفرة على رضا الملك بذلك حتى لو ان الملك قال له فارق حضرتى وخلص ولدى فقال لا أفارقك عصى واستحق العقوبة وحكم من يشتغل بالعلم الشرعى المتعين تقدمه حكم من هو مشتغل بانقاذ الخلق من الهلاك بالنسبة لما هو أدون منه مما له تركه من أجله وهكذا من يعود أخاه أو يزوره بالنسبة لما ينبغى تركه فان الامر فيه سهل انتهى وبالجملة فيحتاج من يعامل الله تبارك وتعالى الى رياضة نفس حتى يخرج من الرعونات والا كانت معاملته معلولة انتهى وقد رأيت بعض جماعة يعودون المكاسين اذا مرضوا ويزورون الظلمة والتجار اذا مرضوا ولا يعودون أحدا من اخوانهم العلماء خوفا أن يقول الناس عن الزائر انه دون المزور انتهى وقد كان شخص ينسب الى الصلاح يأتى لزيارة سيدى الشيخ نور الدين الشونى المدفون عندى بالزاوية رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من ينابيع مغفرته الهامعة فرآه بعض الناس فقال له حصل لك الخير حيث تزور عبد الوهاب فلا تنقطع عنه أبدا فقال والله ما طلعت الزاوية الا للشيخ نور الدين الشونى فقال له الشيخ نور الدين الطندتائى أف على نفسك الخبيثة التى ترى نفسها على أخيها المسلم ها أنا طالع اليه أزوره وما نقصت شيأ ثم ان ذلك الشخص من ذلك اليوم صار يزور الشيخ نور الدين الشونى بعد المغرب خوفا أن يراه أحد ممن يعتقده فيقول انه يزورنى فينقص مقامه فى زعمه فالله تبارك وتعالى يغفر لنا وله ويختم لنا بخير آمين فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدرك فيما ابتلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لحضور المحافل التى لم يندب الشارع صلى الله عليه وسلم الى حضورها لاسيما ان علمت ولو بالقرائن ان هناك من يعظمنى فوق مقامى أو يحتقرنى دون مقامى عادة فى المسئلتين والا فالفقير لا يرى له مقاما عاليا حتى تصح حقارته كما تقدم بسطه أوائل هذا الكتاب ومن علامة احتقاره لى عادة أن يرد السلام على أبناء الدنيا والمكاسين ونحوهم بالبشاشة ويرد على سلامى بالعبوسة وهذان الامران اللذان ذكرناهما قل أن يسلم منهما أحد من أهل المحافل وأين صاحب الميزان الصحيح الذى لا يجازف فى تعظيم ولا تحقير على ان غالب من يحضر المحافل انما هم اضداد لبعضهم بعضا وغير الغالب ينتظر ما يقع من الغالب ثم يخرجون فيقولون فلان لم يقم له أحد فلان قام له المجلس كله فلان أجلسوه فى الصدر فلان أخروه لما دخل فلان لكونه أعلم منه أو أصلح وفلان كان جالسا فى الصدر فلما دخل المحتسب أخروه وفلان كان جالسا فلما دخل فلان نهض قائما وخرج وحصل للداخل خجلة عظيمة وهكذا وقد شرط العلماء رضى الله تعالى عنهم فى وجوب حضور وليمة العرس أن لا يكون هناك من لا يليق به مجالسته أو من يتأذى به فافهم والنكتة فى كراهتنا الحضور لمن يعظمنا أو يحتقرنا ان من يعظمنا يدخل علينا الاعجاب فى نفوسنا ورؤيتها على اخوانها فيغشها ويلبس عليها حالها ومن يحتقرنا يغلق علينا باب رؤية نعم الله تبارك وتعالى فى ذلك الوقت حتى نرى نفسنا متجردة عن أكثر النعم فيدخل علينا الاذى فى ديننا مع وقوعه فى الاثم بمجازفته فى التعظيم والتحقير ونحن كنا السبب فى ذلك بحضورنا فلا يبعد أن يلحقنا من اثمه شئ انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أخذ الاشياخ علينا العهد أن

عناية الله فسلكها مسرعا الى الله عجلا وكثيرا ما نسمع عند مراجعات المنتسبين الطريق ان السالك أتم من المجذوب لان السالك عرف الطريق وما توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء منهم على أن المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول أمدها والمجذوب كمن طويت له الارض الى مكة والسالك كالسائر اليها على أكوار المطايا وقال رضى الله عنه العارف لا دنيا له لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وقال رضى الله عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا وقال رضى الله عنه الزاهد غريب فى الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة فانه عند الله فان قلت ما معنى الغربة فى كلام الشيخ هذا وما معناها فى الحديث الوارد بدا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فاعلم أن الغربة المذكورة فى الحديث معناها قلة من يعين على القيام بالحق فيكون القائم به غريبا لفقدان المساعدة وعدم المعاضدة ولا ينهض القائم حينئذ الا قوة ايمانه ووفور ايقانه فلذلك قال رسول

لا تكون سببا لنقص دين أحد من المسلمين هذا ميزان المحافل التى لم يشرع لنا حضورها أما ما شرع لنا حضوره كصلاة الجمعة وصلاة العيد ونحوهما فنحضرها امتثالا لامر الله تبارك وتعالى ونسأل الله سبحانه وتعالى الحفظ لنا ولاخواننا من الآفات على ان مواضع العبادات الغالب على الناس فيها عدم المبالغة فى التعظيم والتحقير لاشتغالهم فيها بعبادة ربهم تبارك وتعالى بخلاف ما كان بالضد من ذلك اه فعلم من جميع ما قررناه أنه لا ينبغى لعاقل أن يدخل لغير ضرورة مواضع الجمعيات الا اذا سلم من الآفات كان أعطاه الله القوة فصار يجمع على نفسه الناس اذا شاء ويصرفهم عنه اذا شاء والله سبحانه وتعالى أعلم وقد دخلت مرة جامع الازهر فى صلاة جنازة فلما انصرفت من الصلاة أكب الناس على بتقبيل اليد والخضوع وتبعونى يشيعونى الى الباب حتى صاروا أكثر من الحاضرين فى الجنازة فخجلت ومن ذلك اليوم صرت أصلى على الجنازة قريبا من باب الجامع وأخرج بسرعة وكثيرا ما أشتاق الى اخوانى فى الجامع فما أقدر على زيارتهم لاجل هذه النكتة ولعل النكتة فى ذلك قلة ورودى اليهم ورؤيتهم لى فانى أعلم ان فى الجامع كل واحد لا أصلح خادما له ومع ذلك فلم يفعلوا معه مثل ما يفعلون معى ويؤيد ذلك قول سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه وأرضاه لما دخلت اسكندرية مكثت مدة لم يلتفت أحد الى فدخل البلد زرافة وفيل فانقلب الناس اليهما فقلت يا سبحان الله ابن آدم أكمل مقاما من الفيل والزرافة ومع ذلك فلم يلتفتوا اليه قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه ثم انى نظرت فرأيت النكتة فى ذلك قلة رؤيتهم للزرافة والفيل انتهى ونظير ذلك أيضا قلة تعظيم أهل مكة للكعبة وعدم بكائهم عند رؤيتها بخلاف الآفاقى وبالجملة فيحتاج من يخالط الناس أن يكون له عدة أعين عين ينظر بها الى ما جعله الله تبارك وتعالى فى قلوب الناس من تعظيمهم له وعين ينظر بها الى حقارة نفسه فى نفسه ليعطى التواضع لاخوانه حقه وعين ينظر بها الى المواضع التى يحصل للناس بسببه نقص فى دينهم فيتركها وعين ينظر بها الا يرى له قط مقاما بين الناس وعين يرى له المقام بينهم وذلك لما يترتب عليه من الخير فى انقياد الخلق له انتهى فتأمل يا أخى ذلك واعلمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) الحماية من نومى على غير وتر تعظيما لامتثال أمر الشارع صلى الله عليه وسلم فى ذلك ومسارعة لحصول مقام المحبة لى من الله تبارك وتعالى لا لعلة ثواب ولا غيره انتهى وقد ورد ان الله وتر يحب الوتر وورد أيضا أوتروا يا أهل القرآن ولذلك جعله الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وأرضاه واجبا فوق السنة ودون الفرض فمن نام على وتر فقد فعل ما أمره الشارع صلى الله عليه وسلم به وختم أعماله بعمل يحبه الله تبارك وتعالى فاذا أخذ الله تبارك وتعالى بروحه فى تلك الليلة مات على دين الذين يحبهم الله تبارك وتعالى فلا يلقى بعد موته سوأ أبدا لان من أحبه الله جل وعلا لا يعذبه بل يرضى عنه خصماءه ويغفر له بدليل قوله تبارك وتعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم أى لو كنتم صادقين فى انكم أحباؤه ما عذبكم انتهى فتأمل يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اجابته تبارك وتعالى دعائى على أحد من المسلمين فى حال غضبى فلو آذانى أحد الآن كل الاذى فدعوت عليه فلا يستجاب لى وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وقد أعطانى الله تبارك وتعالى هذا المقام لما حججت سنة خمس عشرة وتسعمائة فالهمنى الله تبارك وتعالى أن أسأله بين الركن والمقام بان لا يستجيب لى دعاء فى حق أحد من المسلمين حال غضبى عليه فمن ذلك اليوم ما دعوت على أحد وحصل له بواسطتى سوء أبدا وانما الحق تبارك وتعالى يغار لعبيده فى بعض الاوقات فيظن ذلك الظالم ان ذلك بواسطة الدعاء عليه فيحصل له زجر عن الظلم وقد كنت قبل هذه السنة يستجاب دعائى فى كل من دعوت عليه لوقته وكان من جملة ما سألت الله تبارك وتعالى فيه فى الملتزم سنة سبع وأربعين أنه يفرغ على من الاخلاق المحمدية ما أتحمل به الاذى من جميع الانام فلو اجتمعوا بغير حق على ايذائى بالقول والفعل تحملتهم ان شاء الله

الله صلى الله عليه وسلم بدا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء يريد صلى الله عليه وسلم لانهم قاموا بامر الله فى بلاده وعباده حيث تقاعدت همم الناس عن القيام به وأما الغربة فى كلام الشيخ فمعناها ان الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه عاين الدار الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فاستغرب فى هذه الدار وأما العارف فانه غريب فى الآخرة فانه كشف له عن صفات معروفه فاخذ قلبه فيما هنالك فصار غريبا فى الآخرة لان سره مع الله بلا أين فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة ولا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا فى ذلك كله بآداب الله وآداب رسله وأنبيائه متأدبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين وقال رضى الله عنه الخوف على قسمين فخوف العامة وخوف الخاصة فخوف العامة على أجسادهم من النار وخوف الخاصة على خلعهم التى كساهم تعالى

تعالى ولم أقابل أحدا منهم بسوء فتأمل يا أخى ذلك واعلمه وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) عدم مجادلة من جادلنى بغير حق لا سيما حال ثوران نفسه أو نفسى وذلك اعلمى بانه ما جادلنى الا بعد ان زين له فى نفسه أنه الحق ومن وقع له ذلك فمن الادب الاعراض عنه حتى تروق نفسه ثم اذا راقت نفسه جادلناه بالتى هى أحسن غير طالبين للمغالبة فقد قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ما جادلنى أحد الا وددت أن يكون الحق على يديه دونى انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فعلم أن النفس مادامت قائمة على صاحبها بالرعونات فابليس راكبها وهو الذى يجيبنا على لسان ذلك الشخص ولا شك انه أقل حياء منا لعدم مراعاته الشرع بوجه من الوجوه فيظن أحدنا ان الذى يجادلنا هو صاحبنا ويقل حياؤه علينا هو والحال انه ابليس فهو يغضبنا ولا نقدر نحن نغضبه الا نادرا وكان من سياسة أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة يا مالك الدنيا والآخرة يارب العالمين أن يوجه فهم من يجادله حتى يميل اليه وتسكن نفسه فاذا سكن غضبه قال له يا أخى وهنا كلام أعرضه عليك فان كان صوابا والا تركنا ذكره ويوهمه أنه يتعلم منه فيصغى ذلك المجادل الى سماع قوله ضرورة انتهى وكان رضى الله تعالى عنه يقول كثيرا من أدب الفقير أن يعذر من جادله ولم يرجع الى قوله من حال نفسه هو فكما أنه هو لا يرجع الى ما فهمه خصمه فكذلك خصمه لا يرجع الآخر الى ما فهمه خصمه بل نقول ان رجوعه الى فهم نفسه أولى لاعتقاده الصواب فيه انتهى وكان رضى الله عنه يقول ما لمن ثارت نفسه دواء أعظم من موافقته ثم اذا راقت نفسه وقبلت الحق فحينئذ نعلمه بالصواب انتهى وكان من خلق سيدى الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة اذا رأى عند أحد قيام نفس أو دعوى للعلم يتلطف به فى السؤال ويعطف عليه الجواب على سبيل المشاورة له فيه ويقول له ما تقول فى الشئ الفلانى فاذا توقف يقول له فلعل الجواب كيت وكيت فان كان صوابا فاعلمونى به أعتمده والا تركته وتارة كان يترقب لصاحب النفس حضور أحد من العلماء ثم يسأله بحضرته السؤالات الواهية حتى يظهر له وللحاضرين أنه جاهل لا يصلح أن يكون معلما لصاحب النفس ثم يعطف له الجواب الصحيح على ذلك السؤال الواهى فيفيده العلم من غير أن يشعر به أحد من الحاضرين أنه أفاده ويقول سترنا أنفسنا وأفدنا أخانا من العلم ما لم يكن عنده وقد بان لك ان من الجهل أن يطلب الانسان من خصمه أن يرجع الى قوله هو مع خفاء مدركه عليه بل ربما أدى ذلك الى شدة خصام وسب وغيبة وتنقيص فى المجالس وارتكاب آثام فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها وأراح نفسه فتأمل يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) كثرة مشاورتى لأصحابى فى كل أمر لم يأمرنى الحق تبارك وتعالى به أو لم ينهنى عن فعله بخصوصه ولو كنت أعلم من نفسى أنى أعقل منهم قال تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر مع انه أعلم منهم بيقين ثم قال جل من قائل فاذا عزمت فتوكل على الله أى لا على اشارتهم مع غفلتك عنا (وروى) الطبرانى مرفوعا أنا فيما لم يوح به الى كأحدكم انتهى (ولذلك) رجع صلى الله عليه وسلم فى مسئلة تأبير النخل الى كلام أصحابه رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم لانه لما رأى الناس على رؤس النخل يلقحونه فقال ما لهؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال صلى الله عليه وسلم ما أرى ذلك يغنى شيأ فترك غالب الناس التلقيح فقل حمل النخل وخرج شيصا فاعلموه بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ما أخبرتكم به عن الله فاعملوا به وما أخبرتكم عن نفسى فانتم أعلم بأمر دنياكم انتهى وكذلك رجع صلى الله عليه وسلم الى قول أصحابه رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم لما نزل فى بدر على غير ماء فقالوا له يا رسول الله ان كنت نزلت ههنا بوحى من ربك فسمعا وطاعة والا فانزل بأصحابك على الماء فانه أقوى لنا على العدو انتهى (فعلم) أنه صلى الله عليه وسلم ما رجع الى مشورة أصحابه رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم الا فيما لم يوح به اليه صلى الله عليه وسلم (وكذلك) الفقير منا لا يؤمر بالمشاورة الا فى الامور التى لم يرد فى الشرع لها حكم أماما ورد حكمها فيه فنفعلها أو نتركها امتثالا للشارع صلى الله عليه

الله أن تدنس بالمخالفة ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة لم تنفذ بصائرهم الى شهود خلع الحق عليهم من ايمان واسلام ومعرفة وتوحيد ومحبة وعلموا ان الله تعالى قد تواعد أهل معصيته بعقوبته فخافوا من الوقوع فى المعصية لئلا يكون ذلك سبب وقوع العقوبة بهم فكان خوفهم اشفاقا على نفوسهم من عقوبة الله وأما أهل الخصوصية فأعطاهم الحق من نوره ما أشهدهم به ما كساهم من خلع منته فعملوا على صيانتها ليقدموا عليه بها لم تتدنس ولم تتغير طاهرة نقية مشرقة بهية وفهموا معنى قوله وثيابك فطهر فطهروا ملابس ايمانهم وايقانهم من دنس غفلتهم وعصيانهم وفهموا أيضا قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير فعبروا الدنيا وقد رفعوا ملابس المنن خشية أن تتدنس بأوساخها كى يقدموا عليه بخلعه التى أنعم الله بها عليهم وينهضوا له بالوفاء فيما اقتضى منهم وبالامانة والصيانة فيما استأمنهم وكان بعض العارفين ينشد شعرا

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جرعا

فقر وصبر هما ثوبان تحتهما * قلب يرى الفه الاعياد والجمعا

العيد لى مأتم ان غبت يا أملى *

وسلم من غير مشاورة أحد فيها الا أن يكون أحدنا فى مقام الارادة فيشاور شيخه على تقديمه العمل الفلانى على غيره من حيث ان الشيخ أمين على كل ما رقى المريد الى مقام العرفان وانما لم تشرع الاشارة فى المأمورات الشرعية بالاصالة لان المأمورات الشرعية لا تتخذ حبالة للمكر الالهى ولا للاستدراج بخلاف كل ما لم يبين الشارع صلى الله عليه وسلم حكمه فانه يحتاج الى المشاورة لامكان دخول المكر والاستدراج فيه انتهى (وكان) سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول من شرط المريد أن لا يشتغل بعلم أو صلاة نافلة من النفل المطلق أو ذكر الا باشارة شيخه فربما كان فى ذلك الامر دسيسة توقف المريد عن الترقى لا يشعر بها من عجب ورياء وسمعة ونحو ذلك (ورأيته) رضى الله تعالى عنه مرة يقول لشخص تلمذه من أهل جامع الازهر اياك أن تطالع شيأ من العلم واشتغل بالذكر ليلا ونهارا فقلت له العلم مطلوب شرعا وربما كان فرض عين وذكر الله تبارك وتعالى انما هو سنة فقال يا ولدى هذا صاحب نفس فكلما ازداد علما ازداد تكبرا على الناس فامرته بالذكر فلعل حجابه يرق ويذهب عنه العجب والرياء بعلمه وعمله ثم يشتغل بالعلم بعد ذلك على وجه الاخلاص طلبا لاحياء شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا غير انتهى (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الاستشارة بمنزلة تنبيه صاحبها من النوم وربما يكون الانسان جازما بفعل شئ وعنده أنه صواب فيشاور بعض اخوانه فيه فيقول له ان فعلت كذا وقع لك من الضرر كذا فيرجع بقلبه عن ذلك الامر ويظهر له الخطأ فيه حتى انه لو قيل له بعد ذلك افعل كذا لا يجيب أحدا الى ذلك وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الوسطى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك ويدرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم هجرى لاحد من المسلمين لحظ نفسى فوق ثلاث كما يقع لبعض أصحاب الانفس الغوية من المريدين وغيرهم ثم يزعمون أن هجرتهم تلك لله تعالى لا لحظ نفس والحال ان الامر بخلاف ذلك وأنا أعطيك يا أخى ميزانا تفرق به بين الهجرة لله والهجرة لغير الله وذلك انك اذا رأيت نفسك تحب من أحسن اليها من العصاة ولا تهجره لعصيانه ثم انها كرهته وهجرته لما أساء عليها فاعلم أن هجرتك لغير الله تعالى وقد رأيت شخصا يثنى على بعض العصاة فى المجالس ثم بعد ذلك رأيته يسبه ففتشت على ذلك فرأيته كان محسنا له حال ثنائه عليه فلما ترك احسانه اليه ذكره بكل سوء وصار يقيم الادلة على وجوب هجرته لله تعالى فمثل هذا احبه لحظ نفسه وكرهه لحظ نفسه وقد كان سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى يقول لا يصلح هجر المسلم من أمثالنا لغلبة دسائس النفوس علينا وانما يليق الهجر بالعلماء العاملين الغواصين على دسائس النفوس ومكايدها اللهم الا أن يكون الهجر بامر صريح فى السنة فهذا لا حرج على أحد فى الهجر بسببه انتهى واعلم يا أخى ان مما يخفى هجرتك لأخيك الصالح اذا عاشر أهل الفساد والفسق فربما خالطهم ليسارقهم بالنصح ويتخولهم بالموعظة شيأ فشيأ فاياك والمبادرة الى هجرته قبل تربص وتأمل فاذا لم تجد مسوغا للمخالطة أو خفت على صاحبك الفساد فاهجره وأفهمه السبب مصلحة له لينزجر وقد تكون اشاعة الفساد عن هؤلاء القوم الذين خالطهم صاحبك الصالح باطلة أشاعها عنهم بعض الحسدة ليوقعك وأمثالك فى سوء الظن بهم ولو أنك تأملت لربما ظهر لك الحق وأن أولئك القوم صالحون ولولا أنهم صالحون ما صحبهم صاحبك الذى هو صالح عندك (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ثم اياك ان تصغى فى هذا الزمان لحط أهل حرفة فى بعضهم بعضا الا بطريق شرعية واضحة فان غالب الناس قد أقبلوا بقلوبهم على الدنيا وأحب كل واحد منهم الانفراد فى بلده بالشهرة والسمعة بالعلم والصلاح فأعدى عدوهم من كان عالما صالحا فهو لظلمة قلبه وحجابه من الآخرة يريد أن لا يكون لغيره شهرة بخير فالعاقل من استبرأ منه لدينه ثم هجر أو أحب تبعا لحكم الشريعة (وقد) جاء شخص من أهل جامع الازهر يقرأ على بعض العلماء شيأ من رسائل القوم فلامه بعض الحسدة وقال كيف تقرأ على شخص يحط على العلماء فانقطع عنه زمانا ثم جاء وذكر له ما قاله الحسدة له فقال له قل لهم هل سمعه أحد منكم أو أخبركم عنه ثقة انه يحط على العلماء أم سمعتم الاشاعة فقالوا سمعنا فلانا يقول ذلك فذهب اليه وقال كيف يحط فلان على العلماء قال يوجه كلام كل عالم وهذا يؤدى

والعيدما كنت لى مرأى ومسمعا * أحرى الملابس ان تلقى الحبيب به * يوم التزاور بالثوب الذى خلعا

وقال رضى الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله وأهل الله اذا خوفوا رجوا عالمين ان من وراء خوفهم وما به خوفوا أوصاف المرجو الذى لا ينبغى أن يقنط من رحمته ولا ان يؤيس من منته فاحتالوا على أوصاف كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا خافوا يخافون غيب مشيئته الذى هو من وراء رجاهم وخافوا أن يكون ما أظهر من الرجاء اختبارا لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ الى خوف ما بطن فى مشيئته فلذلك استثار الرجاء خوفهم وحكمهم فى القبض والبسط كما قال الشيخ فى الخوف والرجاء غير ان البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجأهم قال بعضهم فتح لى باب من البسط فانبسطت فحجبت عن مقامى ثلاثين سنة وكان الشيخ أبو العباس رضى الله

عنه ينشد شعرا واقطع السير اليه وميلا * فاذا ما نلت منه وصولا (٢٠٥) فاقرع الباب قليلا قليلا *

الى تخطئة كل من خطأ صاحبه فيئول الامر الى تخطئة الكل فقال لهم أما قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه العمل بالحديثين أولى من الغاء أحدهما أما قال أئمة الاصول اعمال القولين أولى من الغاء أحدهما فأعجزهم فانظر يا أخي دسائس الحسدة حيث يقولون عن شخص يجيب عن الائمة وهو متقيد بمذهبه انه يخطئ الائمة بتأويل يخطئ لكلام لا يفهم منه رائحة الحط ولا رائحة قلة التعظيم وبالجملة فلا يفهم مثل ذلك عن هذا العالم الا شخص تعس وانتكس في الفهم كل ذلك تنفيرا منه للناس حسدا او بهتانا فلولا ان الله تعالى هدى هذا الطالب لكونهم حسدة لكان هجره بقولهم وظن بنفسه ان هجرة مثله قربة الى الله تعالى فالله يغفر لهم ولنا ما مشينا فيه بالظن آمين فاياك ثم اياك من سوء الظن بأحد من المسلمين فضلا عن غيرهم من العلماء العاملين والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حضوري مع الحق تبارك وتعالى في حال اجتماعي بزوجتي كما أحضر معه تبارك وتعالى في صلاتي على حد سواء في أصل الحضور وان تفاوت الحضوران من حيثيات أخر بجامع ان كلا منهما عبادة مأمور بها او ما شرع الحق تبارك وتعالى جميع المأمورات الشرعية الا ليحضر العبد مع ربه فيها حال فعلها او انما لم يصرح الشارع لنا بالامر بالحضور في الجماع اكتفاء بما أمرنا به من التسمية عنده فان ذكر اسمه تعالى وسيلة للحضور معه تعالى (وكان) سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول لا يتحقق لعارف قط وجه العبودية ذوقا في شيء من العبادات كما يتحقق به حال الجماع أبدا فانه يشهد نفسه مقهورا تحت حكم شهوة طبيعية حتى لا يقدر على دفع حكمها عليه ولا يكاد يتذكر شيئا آخر غير ما هو فيه ولذلك كان من شأن القطب الغوث الاكثار من النكاح لما يجده فيه من التحقق بالعبودية التي لا يشوبها دعوى قوة بل محض ضعف انتهى فاياك والاعتراض على من يكثر من الجماع فربما يكون سبب كثرة جماعه الحكمة التي ذكرناها (وقد) رأيت شخصا يدعي القطبية يدخل الحمام في النهار ثلاث مرات فازددت فيه اعتقادا وتعظيما فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتي على ذريتي من قبل أن تحمل بهم أمهم وذلك اني لا أجامع أمهم قط وأنا غافل عن الله تبارك وتعالى كما مر في النعمة قبله ولا أجامعها وأنا غضبان ولا وأنا مقبل على الدنيا ولا وأنا مخاصم أحدا لحظ نفس ولا وأنا محسود أو متكبر على أحد من المسلمين وذلك كله عملا بقول بعض أهل الكشف ان الولد يكونه الله تعالى بقدرته على صورة الحال التي كان عليها والده حال الجماع من باب ربط الاسباب بالمسببات (وهذا) وان لم يصح فيه شيء عن الشارع صلى الله عليه وسلم فالتحرز منه أولى عملا بكلام أهل الكشف والله غالب على أمره فلا أثر للطبيعة في تخليق الولد فافهم فعلى ما قاله أهل الكشف ينبغي لمن كان متلطخا بشيء من الصفات المذمومة شرعا أن لا يجامع زوجته أيام توقع الحمل الا بعد أن يتوب من كل ذنب توبة خالصة ثم يجامع (وكان) الشيخ أحمد بن عاشر المغربي شيخ تربة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى لا يجامع زوجته من حين تحمل حتى تضع حملها وتفطمه خوفا على الولد من الغيلة الواردة في الحديث وان قيل بنسخ ذلك وكانوا اذا مدحوه على ذلك يقول وهل ذلك الا اخلاق البهائم فان البهيمة بمجرد ما تحمل لا تمكن الفحل يعلوها أبدا انتهى (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول ليتأمل الشخص في صفات أولاده فان وجد صفاتهم حسنة فهي أخلاقه أو سيئة فهي أخلاقه من حيث ان النطفة نزلت من ظهره بتلك الصفات فلا يلومن الا نفسه (وقد) قلت مرة لشيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى ما سبب تخلف أولاد العلماء والصالحين عن التخلق بأخلاق أسلافهم غالبا فقال لي سببه تصفية ذواتهم من الاخلاق الرديئة اذ الكدر ينزل الى أسفل والصافي يصعد (ثم) قال وتأمل أولاد الفلاحين كيف يشتغلون بالعلم حتى يصير أحدهم شيخ الاسلام لعدم تصفية ظهور آبائهم (ثم) حكى لي حكاية ظريفة وقال كنا نقرأ يوما على شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في قاعته أيام الصيف واذا بالماء يقطر علينا فقال الشيخ انظروا هذا الماء ما هو فصعد انسان فوجد ولده قد حفر في السقف وغرز ريش الاوز وقال اني أزرع لنا أوزا فقال الشيخ بأعلى صوته انزل فان معمل الاوز في ظهر أبيك انتهى وهي تومئ الى

واحذر البسط ونادى ياحبيب
من على بعد ينادى من قريب

فقوله واحذر البسط لما قدمناه فانه رزق من الانوار بسطا فيخشى على العبد أن يبغيه وجوده قال الله سبحانه ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو في أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى وأخبرني بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقال له يا أستاذ مالك مقبوضا قال له يابني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط وقوله من على بعد أى من شهود عدم استحقاق الاجابة أو من على بعد من دعواى لاوصاف الربوبية أو من على بعد بوجود شهود الاساءة وقال الشيخ أبو الحسن ما طلبت من الله حاجة الا قدمت اساءتي أمامي فان

ماذكرناه عن أهل الكشف لكن يجب اخراج الانبياء من ذلك فلا يقال ماوقع من عصاة بنى آدم كان فى صلب آدم فانه عليه الصلاة والسلام كان معصوما من مثل ذلك ولذلك لم يكن عليه شئ من وزر أولاده بالاجماع انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) عدم بخلى على عيالى بأجرة الحمام كلما قربت منها سواء كانت جنابة جماع أو نفاس وكذلك لا أبخل عليها باجرة غسلها من حيض أو احتلام لان ذلك من جملة المعاشرة بالمعروف الذى أمرنى الله تبارك وتعالى به فمن بخل على زوجته بما ذكرناه لم يعاشرها بمعروف وكذلك لو كلفها الغسل فى الشتاء بالماء البارد (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول من مروءة الرجل مساعدة زوجته فى تحصيل كل ما احتاجت اليه من مصالح الدنيا والآخرة لانها فى حبائله وان لم تاخذ منه حاجتها فمن تاخذ ولا ينبغى له التعلل بعدم ايجاب الشارع صلى الله عليه وسلم عليه ذلك الامر بل كما ساعدته بتمكينه منها على غض بصره وحفظ فرجه وقضاء وطره فكذلك ينبغى له مساعدتها على ما ذكرناه (وهذا) الامر يخل به كثير من الناس فيكثر أحدهم الجماع و يشح على حليلته بفلوس الحمام لاسيما عيال الاكابر فان احداهن تستحى من خروجها الحمام كل يوم أو كل يومين لاجل لوث الناس بها ولحوقهم بجامعتها كل ليلة مثلا ويعسر عليها الاغتسال فى البيت خوف المرض والحوادر التى تنزل على رأسها وربما استحيت من جاريتها أن تامرها بتسخين الماء كل ليلة أو والدتها أو أختها أو والدها وربما أخرجت الصلاة عن وقتها من هذه الحيثية أو تيممت بدل الغسل من غير حصول العذر الشرعى من شدة الحياء الطبيعى فينتقص دينها بذلك فليحترز الكثير من الجماع اما أن يقلل جماعه واما أن يعطى عياله فلوس الحمام أو ثمن الوقود ويساعدها على تسخين الماء فى البيت والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به على)) كثرة تواضعى وتعظيمى لكل عالم أو فقير زرته وتقبيلى يده أو رجله بطيبة نفس ثم لا أرى انى قمت بواجب حقه على لاسيما بحضرة أصحابه وتلامذته فان فى ذلك تقوية لاعتقادهم فيه فيعكفون عليه و يقبلون نصحه وتربيته لاسيما ان لى اسما فى المشيخة عندهم فيقولون اذا كان الشيخ فلان يقبل رجل شيخنا فذلك دليل على ان شيخنا أعلى منه مقاما فيزيد اعتقادهم فيه وانتفاعهم به وكثيرا ما أقبل عتبة باب ذلك الشيخ أو باب زاويته بحضرة تلامذته اذا دخلت واذا خرجت وهم ينظرون وان كان ذلك الشيخ دونى فى مقام المعرفة وانما أفعل ذلك مع ذلك الشيخ لعلى بعكوف أصحابه عليه دونى ولو انى كنت أعلم منهم انى لو عظمت نفسى قدمونى على شيخهم حين علمت انى أعلى مقاما منه ما كنت أقبل رجل ذلك الشيخ ولا عتبة بابه اذ لا فائدة فيه حينئذ بل الفائدة الدينية فى أخذهم عنى حينئذ (وايضاح ذلك) ان العارف كلما علا مقامه كلما كان أعرف بتقريب الطريق واختصارها على المريدين وكل الدعاة الى الله تعالى خدام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونوابه وأمناؤه على أمته فكل من بادر الى ما فيه صلاح لامته وراحة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رغم منه أنف ذلك الشيخ الاول (فعلم) انه ليس لنا ان نمدح نفسنا بالمعرفة ونفضلها على ذلك الشيخ الا بحق والا كان ذلك حراما علينا وغشا للمسلمين وكان أخى أفضل الدين رحمه الله اذا دخل على شيخ ورأى نفسه فاقة يقبل رجله و يسأله الدعاء وان كان لا يصلح تلميذا له و يقول نعلمه التواضع مع اخوانه ودخلت معه مرة على شيخ فرآه ليس له قدم فى المشيخة فصار ينفر جماعته عنه و يقول انظروا لكم شيخا فان شيخكم هذا لا يعرف شيأ من الطريق فقلت له هلا حسنت اعتقادهم فيه فقال ذلك غش لهم و يجب على الفقير اذا علم من شيخ انه عامى فى الطريق كمشايخ الاحمدية والمتمشيخين بالآباء والجدود من غير سلوك على يد شيخ ان يرشدهم الى طلب شيخ فان لم يجيبوا الى ذلك نفر جماعتهم عنهم مصلحة للفريقين أما أولاد المشايخ فلئلا يصيروا من الائمة المضلين وأما جماعتهم فتقريبا للطريق عليهم انتهى وصاحب هذا المقام دائر مع المصالح لا مع حظ النفس مع انه خلق غريب فى هذا الزمان وما رأيت قط فقيرا تمشيخ يقبل رجل شيخ أو عتبة زاويته فى مصر غيرى ثم لا يخفى ان محل طلب تقبيلى رجلى ذلك الشيخ ما لم أخف عليه عجبا أو كبرا فان خفت ذلك عليه ولو بالقرائن تركت تقبيل رجله وعتبة

قلت فحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار فقالوا ليذكر كل واحد منكم أرجى عمله فذكر أحدهم بره بابويه والآخر عفافه عن ابنة عمه مع حبه اياها والتمكن منها وذكر الآخر تثميره لاجر أجير استأجره فلما وجده دفع ذلك كله اليه فكشف الله ما نزل بهم وزالت الصخرة عن فم الغار فخرجوا هذا معنى الحديث مختصرا رواه مسلم والبخارى فى صحيحيهما وغيرهما من الائمة فاعلم ان هؤلاء الثلاثة لم يذكروا طاعاتهم الا وقد شهدوها فضلا من الله عليهم فتوسلوا الى نعمته بنعمته كما أخبر الله عن زكريا ولم أكن بدعائك رب شقيا فتوسل الى الله بسابق حسن عوائده فيه وسألت امرأة بعض الملوك فقالت انك أحسنت الينا عام أول ونحن محتاجون لاحسانك الينا العام فقال أهلا بمن توسل لاحساننا باحساننا واعطاها وأجزل لها العطاء ومن فتح له هذا الباب جاز له الاخبار بطاعته ووجود معاملته لانه حينئذ متحدث بنعم الله سبحانه وقد كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا كذا ركعة وتلوت كذا كذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رأيتم من يرائى بفعل

بابه كما يشهد له قواعد الشريعة وقد وقع لي اني قبلت رجل شيخ بحضرة جماعته وبحضرة الامير الذي يعتقده فحصل للشيخ عجب ولي ازدراء واحتقار وصار الشيخ يقول فلان قبل عتبة زاويتنا وطلب منا ان نربيه ويقول الامير فلان تلميذ لشيخنا ولا فرق بيني وبينه فترتب على ذلك عدة مفاسد ذكرتها في كتاب المنن الوسطى وخربت دار ذلك الامير ورمي الشيخ بعمل الزغل وغير ذلك فمن تلك الواقعة ما قبلت رجل أحد الان علمت ان ذلك لا يورثه زهوا ولا عجبا فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تحفظي من تطويل الجلوس اذا زرت أحدا من اخواني أو ذكرى له أحسن ما عندي من الكلام أو الاحوال وقل من يتحفظ من مثل ذلك في هذا الزمان اللهم الا أن يترتب على ذلك مصلحة شرعية لي أو له فلا حرج (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ان تزور أحدا وتمكث عنده طويلا الا ان علمت انه يحفظ لسانه في حق الناس والا فزيارتك الى الاثم أقرب (وكان) رحمه الله تعالى يقول أيضا اياك ان تذكر شيئا لاخيك من محاسنك اذا اجتمعت به الا لغرض شرعي فان السلف الصالح ما تركوا كثرة زيارة اخوانهم الا خوفا من الوقوع في التزين لبعضهم بعضا (وقد) وقع للفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه انه اجتمع باخ له في الله فقال له ذلك الاخ ما أظن اننا جلسنا مجلسا قط أحسن من هذا فقال له الفضيل ما أظن اننا جلسنا مجلسا أشأم من هذا أليس عمد كل واحد منا الى أحسن ما عنده فذكره للآخر (وكان) بشر الحافي رحمه الله تعالى يشتاق الى بعض اخوانه فلا يذهب اليه ويقول أخاف ان أتزين له ويتزين لي اذا اجتمعت به انتهى (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول كان السلف الصالح يحبون المراسلة بالسلام ويقولون هي أحب الينا من اللقاء لانه ربما زكى كل انسان نفسه عند أخيه فخلو قلب كل واحد منا من النور ويقع كل منافي ذنب ابليس الذي هو الفخر على غيره انتهى (وقال) لي مرة اياك يا ولدي من الاكثار لزيارة الناس الا لمصلحة ثم أنشدني هذين البيتين

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة سترى لعورات المسلمين الذين لم يتجاهروا بالمعاصي وأرى ذلك من جملة الواجبات علي هذا شأني مع كل من تستر في معاصيه عن أعين الناس الا أن يترتب على ذلك مصلحة شرعية وهذا الخلق قد صار من أغرب ما يكون بين الناس فلا يكاد أحد يستر عورة أحد وبذلك كثر كشف سوآت الخلائق لاسيما ونحن في زمان قد وعد الشارع صلى الله عليه وسلم فيه بظهور المعاصي والفتن وكثرة الزنا واللواط والقتل وشرب الخمور وغير ذلك (وكان) سيدي أحمد الزاهد رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم من يتجاهر بالمعاصي لبعض الناس فامروه بالستر فان لم يسمع لكم فلا ترفعوا ذلك الامر الى الحاكم على وجه اقامة الحدود ولا بأس باعلامكم به الحاكم أو غيره على وجه الاستشارة في طريق نصيحته اذا اعتقدتم انه أوسع تدبيرا منكم ولا تعلموا به من لا يعرفه على وجه الهتك له فان نفس الشماتة بالمعصية معصية أخرى اللهم الا أن يتجاهر بالمعاصي بين الخاص والعام فذلك عبد خلع ربقة الحياء من عنقه واستحق الرفع الى الحكام واعلام الناس به ليحذر ولاسيما ان كان كثير المراودة للنساء فان ذلك يجب على كل مسلم تحذير جيرانه منه نصيحة لله تعالى ولرسوله وللمسلمين ثم اذا رفعنا أمره الى حاكم ليقيم عليه الحد أو التعزير بشرطه فينبغي أن يكون قصدنا بذلك تطهيره من الذنوب لا التشفي فيه فربما عاقبنا الله تعالى بالوقوع في مثل ما وقع فيه لان التشفي من جنس المعايرة له ومن عاير ابتلي وفي الحديث لو عير أحدكم أخاه برضاع كلبة لم يمت حتى يرضع من تلك الكلبة انتهى وكم يقع الشخص في معصية ويسترها الله تعالى عن أعدائه وغيرهم ولو انهم اطلعوا على ذلك وحسن عندهم ان يهجروه لهجروه مدا الدهر ولم يجالسوه ثم لا يخفى ان من جملة سترنا المسلم ان نغلق عليه بابه اذا رأيناه خارجا وهو سكران ونأمر الاجنبية التي معه في الخلوة المحرمة مثلا ان تنزل من حائط

غيره وكان آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول ألم يقل الحق سبحانه وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث وقال رضي الله عنه كان الانسان بعد ان لم يكن وسيفنى بعد ان كان ومن كان طرفيه عدم فهو عدم ومعنى كلام الشيخ هذا ان الكائنات لا يثبت لها رتبة الوجود المطلق لان الوجود الحق انما هو لله وله الاحدية فيه وانما للعوالم الوجود من حيث ما أثبت لها فاعلم ان من الوجود له من غيره فالعدم وصفه في نفسه وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه الصوفي من يرى الخلق لا موجودين ولا معدومين حسب ما هم في علم رب العالمين وقال أيضا وقد تقدم انا لا نرى أحدا من الخلق هل في الوجود أحد سوى الملك الحق وان كان ولا بد فكالهباء في الهواء ان فتشته لم تجده شيأ وفي كتاب من كلامنا العوالم ثابتة باثباته ممحوة لاحدية ذاته وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كان لي صاحب كثيرا ما يتبني بالتوحيد فقلت له ان أردت التي لا لوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجودا والجمع في باطنك مشهودا

وأشبه شيء بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار

الجاران خفنا ان أحدا ينظرها اذا خرجت من المحل الذي هي فيه كل ذلك حتى لا يعلم أحد بعصيان ذلك الرجل لاسيما ان كان جارا لنا وكم يترتب على كشف السوآت مفسدة (فاياك) يا أخي ان تفشي سر أخيك المسلم ولو لا عز أصدقائك فانه يصير يحكي ذلك لكل الناس ان كان ساذجا وان كان حاذقا فحكى ذلك لبعض الناس و يأمرهم بالكتمان فيصير كل واحد يخبر صاحبه و يأمره بالكتمان حتى تمتلئ البلد وأحدهم يحسب انه كتم ما رأى والحال انه هتك أخاه بين الناس فليتنبه العاقل لمثل ذلك فانه واقع كثيرا في الا كابر فضلا عن غيرهم وان أراد شيخ الزاوية ان يؤدب الناقل و يأمره بتعيين من أخبره وهكذا الى أن ينتهي الى الذي نشأ منه الكلام أولا ليؤدبه كان أولى وأكثر غيظا لابليس فانه كثيرا ما يوسوس للواحد و يقول قد وقع فلان في كذا وكذا تارة بالظن وتارة بسماع ذلك من فاسق أو عدو فاذا قيل له سمعت ذلك من أي شخص فيقول له من واحد لا ينبغي ذكره أو من واحد حلفني بالطلاق اني لا أذكره فتخرب الزاوية بسبب ذلك وهو يحسب انه مصيب في عدم تعيينه خوف الفتنة والحال ان فتنة الكتمان أكبر لانه اذا عينه فاما يخرج مما قال بطريق شرعي واما يقام عليه حد القذف والتعزير ثم انه لا يكتم مثل ذلك عن شيخ الزاوية الا كل شيطان فانه أشفق على الفقراء من أنفسهم فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) انشراح صدري ومطاوعة نفسي في محبة ستر عورة عدوي وكراهتي لكشفها وتأثيري لذلك وهذا خلق غريب لا يوجد الا في افراد من الناس والغالب على الناس اظهار الشماتة لعدوهم واظهار عورته واشاعتها للخاص والعام تعريضا وتصريحا بخلاف أنا فاني بحمد الله تعالى أستر عورة عدوي أكثر من عورة صديقي وذلك لاني أرجو من صديقي العفو اذا تبت واستغفرت من كشف عورته ولا هكذا عدوي بل لا يبرئ ذمتي لا في الدنيا ولا في الآخرة وقد اطلعت بحمد الله تعالى على عورة كثير من أعدائي الذين يرمونني بالبهتان والزور وأنا أسترهم فهم يريدون ان يكشفوا ستري بالبهتان وأنا أسترهم في الامور المحققة التي رأيتها بعيني وكثيرا ما أرى أحدهم يعصي ثم اذا سمعت غيري يذكره بذلك كذبته وقلت حاش لله أنت عدو وكلام العدو لا يقبل في عدوه مع اني أعلم ان ذلك الغير صادق فمرادي سد الباب كشف سوآت المسلمين اللهم الا أن يترافعا الى حاكم فلا يجوز الطعن في شهادة الشاهدين أو الاربع للنهي عن مثل ذلك بخلاف الامر قبل الرفع وقبل قبول الحاكم شهادة الشهود فافهم ومن هنا قالوا ما كل ما يعلم يقال وأكثر ما أتأثر على عورة عدوي اذا رأيته يحط في وينقصني لاسيما ان كان معدودا من جملة العلماء أو الفقراء سدا لباب الطعن في خرقة العلماء والصلحاء فان في ذلك مفاسد لا تحصى أقل ما هنالك ان العامة تتجرأ على المعاصي والحط في بعضهم بعضا وتقول اذا كان العالم الفلاني أو الصالح الفلاني وقع في المعصية الفلانيه فايش هو أنا وقد حرم المحققون على الواعظ ذكر شيء من مسمى معصية للانبياء لان ذنوب الانبياء انما هي بالنظر لمقامهم كوقوعهم في خلاف الأولى أو المباح مثلا فيسمى مثل ذلك معصية وليس المراد بمعاصيهم ارتكابهم شيئا من المحرمات لانهم لو ارتكبوه لم يكونوا معصومين وقد ثبتت عصمتهم وقال الشيخ محيي الدين في الفتوحات جميع من عين حقيقة معاصي الانبياء وخطاياهم فهو مخطئ كما في قصة خطيئة داود عليه الصلاة والسلام فيعتقد بعضهم انها النظر المحرم الى امرأة أوريا والحق ان تلك الخطيئة انما هي رفع رأسه عليه الصلاة والسلام بغير حضور نية صالحة في الرفع فان حركات الا كابر وسكناتهم لا تكون الا باذن خاص ولا يكفيهم مطلق الاباحة كغيرهم فلما رفع عليه الصلاة والسلام رأسه وقع بصره على امرأة أوريا فصرفه فورا فكان عين الخطيئة رفع بصره بغير اذن خاص لا عين النظر المحرم لعصمته وعلى ذلك ينزل خبر كانت خطيئة أخي داود النظر فانه أطلق النظر فشمل السماء والحائط وغير ذلك ولم يخص شيئا بعينه على ان من عين خطيئة محرمة لا يجد في ذلك قط دليلا عن الشارع صلى الله عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا وانما نشأ ذلك من بعض اليهود استحلوا أعراض الانبياء بكلام ما أنزل الله به من سلطان فقال والبحث وضع بعض المفسرين ذلك في تفسيره ويصير بعضهم يقول قال المفسرون كذا وذلك لا يجوز انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما

تجتمع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر اذ الشيء انما يشفع بمثله وينضم الى شكله كذلك أيضا من شهد ظلية الآثار لم تعوقه عن الله فان ظلال الاشجار في الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك أيضا ان الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك و بين الله ولو كان بينك و بينه حجاب وجودي للزم أن يكون أقرب اليك منه ولا شيء أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه اذ لا موجود معه وانما حجبك عنه توهم وجود معه وذلك كرجل بات في مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح في كوة هناك فظنه زئير الاسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هناك أسدا وانما هو الريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد وسمعته يقول لو عذب الله الخلق أجمع لم ينلك من عذابهم شيء ولو نعمهم أجمع لم ينلك من نعيمهم شيء فكأنك في الوجود وحدك ثم ينشد شعرا

أنت المخاطب أيها الانسان
فاجنح الى ما يلح لك البرهان

وسمعته يقول دخلت على الشيخ وفي نفسي ان آكل الخشن وألبس الخشن فقال لي يا أبا العباس اعرف الله

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) عدم مبادرتي الى الرد على من نقل عنه بعض الحسدة غلطة تخالف النقل بل أتثبت في ذلك غاية التثبت لا سيما ان أفضت تلك الغلطة الى التكفير أو التعزير وهذا الامر قليل من يتثبت فيه بل يبادر أحدهم الى الفتوى مع أنه لم يجتمع بصاحب الواقعة ولا ثبت ذلك الامر عنده ببينة عادلة ولما نقل بعض الناس عن الشيخ عبد المجيد السامولي رحمه الله انه نهى المصلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا اللهم صل وسلم على سيدنا محمد أفضل مخلوقاتك وانه قال لا تقولوا أفضل مخلوقاتك فان ذلك لم يرد في حديث الى آخر ما نموه في حقه بادر الى ذلك كل مبادر فنهم من أفتى بالتكفير ومنهم من أفتى بالنكير ومنهم من أفتى بالتعزير فارسلت له مكاتبة الى المحلة أخبرته فيها بما قال الحسدة في حقه وأنه يخبرني بحقيقة الحال فكتب الى وبعد فما نسب الى العبد من نهيه المصلين عن قولهم أفضل مخلوقاتك لم يقع مني وانما صورة ذلك أنه قدم الى سؤال مضمونه هل الافضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ورد من الكيفيات أم الصلاة عليه بالكيفيات التي فيها زيادة التفخيم والتعظيم فأجبت الافضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بما ورد فان الوقوف على حد السنة أولى من تعدّي السنة ثم قلت وهذا الذي قلناه لا ينافي اعتقادنا التفضيل الذي أجمع عليه الائمة فقد نقل الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى الاجماع على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين فلا مخلوق أفضل منه فكيف لي ان أخرق الاجماع قال وهذا ما استحضرت انى كتبته على ذلك السؤال ولكن أقول كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قال وكنت أود أنهم لو أطلعوني على ذلك الجواب الذي أشاعوه لأزيده بيانا وايضاحا موافقا لما عليه العلماء قاطبة فلم يطلعوني عليه ولم يراجعوني فيه هذا ما وقع انتهى فلما كتب الى ذلك أرسلته للمتعصبين عليه فلم يصغ أحد منهم الى ذلك وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول اذا بلغكم عن أحد كلام وأعلمتموه فانكره فارجعوا اليه وكذبوا الناقل انتهى وقالوا في كتب الفقه ان القاضي أو المفتي أو الشاهد اذا أنكر فتواه أو حكمه أو شهادته لا يحلف لانه مؤتمن انتهى فاياك أخي والتعصب على أحد الا بعد اجتماعك عليه وسماعك منه ما يخالف ظاهره الشرع واعلامك له بمخالفته في ذلك ظاهر الشريعة أو كلام الجمهور مثلا ثم بعد ذلك ان صمم على المخالفة فانكر عليه وشنع رحمة به وبالمسلمين أما هو فلئلا يكون من الائمة المضلين وأما المسلمون فلئلا يتبعوه في ذلك فيهلكوا والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) مشاركتي في الفرح والسرور لمن ولد له مولود من أصحابي وان كان فقيرا ساعدته في عمل اللبابة والسبوع بما أقدر عليه من عسل نحل أو عسل قصب أو ذبح خروفين أو خروف وكذلك أفرح والدته بالنقوط على يد عيالي سواء كان لها عليها دين في النقوط أم لا ولا أشح على عيالي بفلوس النقوط اذا طلبت ذلك مني سترة لها بين النساء ولا أقول لها اقطعي هذا الا يلزمني لان ذلك من جملة المعاشرة بالمعروف التي أمر الله تعالى بها ومن جبر خاطر أخيه جبر الله تبارك وتعالى خاطره في الدنيا والآخرة ومن كسر خاطر أخيه فهو بالضد ثم اذا جاءك مولود وطلبت منه أنه يفرح به لا يفرح مجازاة لفعلك معه ولو انك كنت فرحت بولده ونقطته لفرح بولدك ونقطك وقد رأيت من طلبت منه زوجته نقوطا تنقط به ولد جارتها فلم يرض ووقع بينه وبينها الاخير فيه وذلك من جملة البخل والشح وسوء العشرة فاياك يا أخي أن تفعل مثل ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدلك على بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) عدم تعرضي للمن بالاكل على صاحب كان يأكل معي زمانا ثم حصل منه كفران نعمة من كان واسطة في ذلك ولا أقول له قط يا فلان تذكر الخبز والملح الذي بيني وبينك فان ذلك يؤذيه فيبطل تلك الصدقة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وربما قامت النفس على ذلك الصاحب فانكر وحلف أنه لم يأكل معنا ولا لنا عليه فضل وربما حلف على ذلك كاذبا اذا خاف شماتة أعدائه فيه وربما أطلق لسانه بالنقائص فينا اذا مننا عليه باللقمة فيحصل على ذلك مفاسد وآثام فعلم ان الذي ينبغي للعبد أن لا يطعم أحدا شيئا الا لله تعالى ثم لا عليه بعد ذلك ان اعترف الآكل بذلك أو أنكر فان ذكر الطعام

وكن كيف شئت ودخل على الشيخ أبي الحسن فقير عليه ملابس شعر فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وأمسك ملبسه وقال يا سيدي ما عبد الله بهذا اللباس الذي عليك فامسك الشيخ ملبسه فوجد خشونته فقال ولا عبد الله بهذا اللباس الذي عليك لباسي يقول أنا غني عنكم فلا تعطوني ولباسك يقول أنا فقير اليكم فاعطوني وهكذا طريق الشيخ أبي العباس رضي الله عنه وشيخه أبي الحسن وطريقة أصحابهما الاعراض عن لبس زي ينادي على سر لابسه بالافشاء ويفصح عن طريقه بالابداء ومن لبس الزي فقد ادعى ولا تفهم رحمك الله انا نعيب بهذا القول على من لبس زي الفقراء بل قصدنا انه لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء فلا حرج على اللابس ولا على غير اللابس اذا كانا من المحسنين ما على المحسنين من سبيل وأما لبس اللباس اللين وأكل الطعام الشهي وشرب الماء البارد فليس القصد اليه بالذي يوجب العتب من الله اذا كان معه الشكر لله وقد قال الشيخ أبو الحسن يا بني برد الماء فانك اذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة واذا شربت الماء

الا كاين فى الخصام عنوان على عدم الاخلاص فيه ودليل على خسة الاصل فان الكريم لا يمن قط بما فعل مع أخيه من المعروف بل يرى الفضل لذلك الاخ الذى كان أكل عنده لا سيما ان كان من المحبين الصادقين ثم حصل منه بعض زيغ فى الصحبة ثم رجع الى المحبة عن قريب فان ذلك المن يصير يكدر الصحبة بعد ذلك كلما تذكر وقد كان لى صاحب من طلبة العلم ضريرا أطالع معه العلم ويفيدنى الفوائد الحسنة فتخاصم مع بعض الطلبة فقال له أنت لا تجىء الى فلان الا بقصد الغداء والعشاء فمات ذلك الصاحب المروءة فحلف بالطلاق من زوجته انه ما عاد يأكل عندى فى تلك السنة فلا تسأل يا أخى عما حصل لى من النكد بسببه فان من شأن الفقير تصديق كل صاحب فيما يدعيه من المحبة الخالصة ولا يجوز له أن يكذبه ولو بالقرائن ولو تأمل الكريم لوجد الفضل عليه ممن أكل طعامه فانه لولا طن فيه الكريم ما أكل عنده فصاحب بظن بك خيرا وبباسطك ويحمل زادك الى الآخرة وقد يحضره لك أحوج ما تكون اليه كيف تمن عليه بلقمة من رزقه جعلها الله تبارك وتعالى له على يديك هذا خروج عن محاسن الشريعة فاياك يا أخى من فعل مثل ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بحال قضاة الزمان واقامة الاعذار الشرعية لهم فيما يقع منهم فى الاحكام ولا أحط على قاض الا اذا لم أجد له محملا صحيحا فى الشرع وقد أخبرنى بعض القضاة الصادقين أنه كثيرا ما يريد أن يفعل مع الاخصام الامور الشرعية على التمام فيقوم له عدة موانع تمنعه من ذلك فأنا أسعى فى نصرة الشريعة جهدى وطاقتى فافهم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم استدلالى بوقوع مريدى هذا الزمان فى النقائص على ان ذلك من نقص شيخهم عملا بقول بعضهم اذا أردت أن تعرف مقام شيخ لم تره فانظر الى أصحابه فانهم يدلونك عليه انتهى فان ذلك ليس بقاعدة كلية فقد يكون الشيخ من أكابر أولياء الله تعالى ولم يقسم لمن اجتمع عليه شئ من أخلاق القوم كما أنه ليس كل من اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له الهداية وما كل من سمع كلام الواعظ اتعظ به فاياك يا أخى أن تنظر ممن انتسب الى شيخ من أهل عصرك بسوء أدب فتقول لو كان شيخ هذا متأدبا الظهر على مريده فتقع فى الغيبة فى الاشياخ بغير طريق شرعى فتمقت فاحذره والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى لا أسأل ولا أردحلا ولا أدخره فأقبل كل ما جاءنى بغير سؤال منى بالحال أو القال وأنفقه على من احتاج اليه من نفسى أو غيرى على الوجه الشرعى وهذه طريقة الشيخ الكامل أبى الحسن الشاذلى وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وقد عملنا بها فى أيام الرخاء مرارا بخلاف أيام الضرورات فان هذه الميزان تتغير الى حكم آخر وكان سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مدح احدى الضرتين وشكرها بحضرة الاخرى فى جهة تميل خاطرها اليها فان ذلك لا يزيد كل واحدة الا نارا وتقول ان هذه الامور ربما تميل خاطر زوجى الى ضرتى فتزداد على ضرتها حنقا وغيظا وكذلك لا أجمع بينهما فى منزل واحد ولا أذهب باحداهما الى الاخرى لتطبخ عندها بقصد ائتلافهما عليها فان ذلك أمر مديح كله تلبيس ولو أن احدى الضرتين أظهرت الرضا عن الاخرى وطلبت الذهاب اليها لا أجيبها فان حكم الضرتين حكم الدنيا والآخرة ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى قهرا على كل واحدة منهما وقد أنشد سيدى الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

تزوجت اثنتين لفرط جهلى * وقد حاز البلا زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا * أنعم بين أكرم نعجتين
فجاء الحال عكس الحال دوما * عذاب دائم ببليتين

فسقى لهما ثم تولى الى الظل ألا ترى كيف تولى الى الظل قصدا لشكر الله على ما يناله من النعمة وسمعته يقول اختلف الناس فى اشتقاق الصوفى فمنهم من قال هو منسوب الى الصوف لانه لباس الصالحين وقيل هو منسوب الى الصفة يعنى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى نسب اليها أهل الصفة وهو نسب على غير قياس ثم قال وأحسن ما قيل فيه انه منسوب لفعل الله به أى صافاه الله فصوفى فسمى صوفيا ثم ينشد شعرا

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا
وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

وسمعته يقول الصوفى مركب من حروف أربعة الصاد والواو والفاء والياء فالصاد صبره وصدقه وصفاؤه والواو وجده ووده ووفاؤه والفاء فقده وفقره وفناؤه والياء ياء النسبة اذا تكمل فيه ذلك أضيف الى حضرة مولاه وسألته رضى الله عنه عن قول عيسى عليه السلام يا بنى اسرائيل بحق أقول

رضا هذي يحرك سخط هذي * فلا أخلو من احدى السخطتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى * نقار دائم في الليلتين
اذا ماشئت أن تحيا سعيدا * من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا وان لم تستطعه * فواحدة تكفي عسكرين

فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن في جملة أخرى من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل)

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم بغضي لاحد ممن نسب الى الشرف أو كان من الانصار ولو أنه آذاني أشد الاذى احتملته وذلك لان بغضي لاولاد النبي صلى الله عليه وسلم أو لاولاد الانصار أعني لحظ نفسي معاداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجرح لايماني، ومن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فايمانه لا يخفى حكمه وفي القرآن العظيم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى والمودة هي ثبات الحب ودوامه وفي الحديث الله الله في أهل بيتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني وفي البخاري وغيره مرفوعا حب الانصار من الايمان وفي رواية آية الايمان حب الانصار وما ثبت حكمه للاصل ثبت حكمه للفرع وان تفاوت المقام الا ما أخرجه النص فالحمد لله على ذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من الادب أن نجعل كل ما ظلمنا شريف به من باب جري المقادير الالهية على العباد فاعلي ما نعامل به الحق عز وجل على ذلك الرضا فان لم نقدر على الرضا فبالصبر فان لم نصبر سألنا الله تبارك وتعالى أن يمدنا بالصبر على ذلك الشريف فانه ما بعد الصبر الا السخط على تلك المقادير وذلك لا يجوز انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حفظي لحرمة أشياخي أحياء وأمواتا ولو قدر انني جاوزت مقام أحدهم فلا أرى نفسي قط عليه بل لا أرى نفسي أصلح خادما له فان جميع ما يحصل للمريد انما هو من المادة التي أعطاها له شيخه وشيخه دائم الترقي فلا يقف المريد حتى يلحقه أبدا هذا ما نعتقده في أشياخنا ولذلك توقفنا في صحة مجاوزة المريد لمقام شيخه بقولنا ولو قدر الى آخره وكثيرا ما أزجر من سمعته يرفع مقامي على أحد من أشياخي زجرا بليغا بالقلب واللسان وكذلك أزجر من سمعته يقول عني اني خليفة لسيدي علي الخواص أو سيدي الشيخ نور الدين الشوني أو اني ورثت مقام أشياخي كلهم ونحو ذلك مما هو كالكذب فان من شرط الخليفة أن يرث مقام شيخه كاملا وأنا لم أطلع على نهاية مقام أحد من أشياخي حتى أعرف اني ورثته فيه وكذلك أعرف انه قد يكون عند أشياخي من الاخلاق والعلوم والمعارف والاسرار ما ليس عندي فكيف أوافق القائل على أني خليفتهم * وقد كثر الاغترار في هذا الزمان بمثل ذلك من بعض مشايخ العصر واقروا من يسميهم خلفاء لاشياخهم مع علمهم بانهم لم يقع لهم شئ من الكرامات والخوارق التي كانت لشيخهم وربما كان أحدهم قد جلس بنفسه من غير اذن من شيخه الذي عمل خليفة له (وكان) أخي افضل الدين رحمه الله تعالى يعيب على من يزعم انه خليفة لشيخه ويقول ينبغي للمريد أن ينزه مقام شيخه عن مثل ذلك ويغار على مقام شيخه ان ينهضم بجعله خليفة له * وقد قالوا اذا لم تجتمع بشيخ فانظر حال جماعته فانهم يدلون عليه فليحذر العارف الفقير من مثل ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين وهو حسبي وثقتي ومغيثي ومعيني ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم مزاحمتي لمشايخ عصري على شئ من أنواع صفات المشيخة كتلقين الذكر وأخذ العهد وارخاء العذبة لاحد من الناس لاسيما ان كانوا أقدم هجرة مني في الطريق أو أكبر سنا فانها ثم اني ان رأيت أحدهم أعرف مني بالطريق تلمذت له ولو كنت ماذونا قبل ذلك من شيخ آخر لان مقامات الطريق ليس لها حد يقف عليه العبد واذا رأيت ذلك الشيخ الذي هو أكبر مني سنا قليل المعرفة بالطريق تأكد علي أن أتلمذ له ظاهرا الاسارقة من حيث لا يشعر بالتعليم شيأ فشيأ حيث لم أصل الى تعليمه الا

والايلاد الثاني ايلاد الروح في سماء المعارف وسمعته يقول ولن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى وقال الشيخ أبو الحسن ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته ومعنى كلام الشيخ انه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله أي انقطاع أدب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض الى الله وشهود حسن الاختيار منه فيلقي القياد اليه ويترك نفسه سلما بين يديه فلا يختار مع مولاه شيأ لعلمه بما في الاختيار مع الله من الآفات ولنا في هذا المعنى من قصيدة ذكرناها في كتاب التنوير شعر

وكن عبده والق القياد لحكمه
واياك تدبيرا فما هو نافع
أتحكم تدبيرا وغيرك حاكم
وأنت لاحكام الاله تنازع
فمهو ارادات وكل مشيئة
هو الغرض الاقصى فهل أنت سامع

بذلك وأقول له ينبغي لكم أن تعلموا تلامذتكم الشئ الفلاني فانه من أخلاق القوم ليتخلقوا به وأوهم المريدين ان شيخهم يعرف الطريق وانما يشح عليهم بالتعليم لما يراه من فتور رهمتهم (وقد من الله تبارك وتعالى على) بفعلي مثل ذلك مع جماعة من أشياخ مصر فعلمته ورقيته ولم يشعر هو بذلك ولا تلامذته لكوني أقبل ركبته بحضرة تلامذته وأسأله السؤالات الواهية التي تمجها نفوسهم في بعض الاوقات ولم أجد لذلك فاعلا في مصر غيري الا القليل وكثيرا ما أفيد الشيخ منهم الفائدة ثم أغيب عنه أياما وأجئ اليه فيصير يعلمني تلك الفائدة التي علمتها له أمس وينسى كوني أنا الذي علمته وكثيرا ما يضيف الفائدة الى نفسه أو الى كتاب عنده فاقول له مقصودي الاطلاع على هذا الكتاب لانه لم يزل عندي توقف في هذه المسئلة فأعجزه وأقصد بذلك تنبيهه على كذبه حتى لا يعود لاني على يقين بان تلك المسئلة ابتكرتها بفهمي أو ابتكرها أحد أشياخي ولم أجدها في كتاب ثم لا يخفى ان المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى وانما تقع من قاصرين أو من قاصر وعارف فيريد القاصر أن يكون شيخا مثل العارف بجهله والعارف لا يريد ذلك انتهى فافهم يا أخي ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم افتتاحي مجلس ذكر جهرا وهناك من هو أكبر مني سنا أو أحد من الاشراف ولو صبيا فلا أفتح الذكر الا بعد عزمي عليه ان يفتح عملا بحديث كبر كبر ولكون الشريف بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللعجز من الحرمة والتعظيم ما للاصل وهذا الخلق قل من يتنبه له من الفقراء الآن بل ربما تحاموا على أن كل واحد منهم يبتدئ وكثيرا ما تدل القرائن على أن بعضهم لا يواظب على الذكر مع الاخوان الا ان جعلوه شيخا عليهم فمن الادب لهم ان يشيخوه عليهم محبة في ذكر الله تبارك وتعالى والا تركه وكان لسان حاله يقول لا أذكر الله الا ان كنت شيخا وقد وقع لي أن ثلاثة وردوا على المجلس فتفرست في كل واحد انه يحب المشيخة فسألتهم عن أعمارهم وقلت ليفتتح من هو أكبر سنا الا أن يكون هناك شريف فصار أسنهم يذكر بنا وكثيرا ما تتقارب أعمارهم فآمر كل واحد منهم أن يفتتح وحده بقوله لا اله الا الله مرة واحدة ثم تذكر الجماعة بعدهم فعليك يا أخي بالعمل بهذا الخلق وأبعد عن التمييز جهدك حتى يجمع الناس ويتفقوا على تمييزك عنهم ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم أخذي العهد على مريد نكث عهد شيخه وجاءني يجعلني شيخه وكذلك مما أنعم الله به علي عدم اظهار البشاشة له وفاء بحق شيخه الذي نكث عهده ومابش شيخ في وجه من نكث على شيخه الامقته هو وذلك المريد وكان من خلق سيدي علي المرصفي والشيخ محمد الشناوي أن لا يأخذ أحدهما العهد على مريد الا بعد ان يقول له هل تقدمت لك صحبة مع أحد فان قال نعم قال اذهب الى حال سبيلك واعلم انه ينبغي لكل من برز للمشيخة في هذا الزمان ان لا يتلاعب بالطريق فيأخذ العهد على المريد صورة فليس معه مدد يمده به لان ذلك نفاق والمنافق لا يكون داعيا الى الله تبارك وتعالى وفي بعض الآثار لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس والناس لا يشعرون أن ذلك الواعظ شيطان وكان الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى لا يلقن أحدا الذكر الا بعد أن يتردد اليه السنة وأكثر ويسوق عليه السياقات وكان يسأله قبل التلقين ويقول له هل لك والد فان قال نعم قال نحن لا نحب من يكون له أب غيرنا وكان رحمه الله تعالى يمتنع من أخذ العهد على من تلمذ لفقراء الاحمدية أو البرهانية من البيضان أو السودان ويقول له يا ولدي يكفي ميلك الى طريق الفقراء ولبس الزي وتادية الفرائض والسنن المؤكدات وقيامك بالكسب ثم يقول الحكم للداعي الاول ومن دونه هؤلاء الفقراء القانعون بالزي لا يصلح في طريق الصوفية لقصور همته انتهى وكان سيدي ابراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يقول ما أعز الطريق وما أعز من يطلبها وما أعز من يصدق في طلبها وما أعز من يجد من يدله عليها وما أعز من يصبر تحت تربية شيخه حتى يفطمه انتهى وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى لا يلقن أحدا حتى يقول دستور يا أصحاب الوقت في تلقين هذا الولد نيابة عنكم فدوني لامده ويحكي ذلك عن فعل شيخه الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى ونفعنا

ببركاته

جزء وجوارحه جزء وقلبه جزء وجعل على كل جزء حفيظا فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وتولى حفظ القلب بنفسه فقال واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وسلط على الجوارح الشيطان واقتضى من كل جزء وفاء ما ألزم به فوفاء القلب أن لا يشتغل بهم دنيا ولا بمكر ولا حسد ووفاء اللسان أن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكلم الا بما يعنيه ووفاء الجوارح أن لا يسارع بها الى معصية ولا يؤذي أحدا من المسلمين فمن وقع من قلبه فهو منافق ومن وقع من لسانه فهو كافر ومن وقع من جوارحه فهو عاص وقال رضي الله عنه صلاح العبد في ثلاثة أشياء معرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة الدنيا فمن عرف الله خاف منه ومن عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف النفس تواضع لعباد الله وقال رضي الله عنه قال لي شيخي لا تصحب الا من يكون فيه أربع خصال الجود في القلة والصفح عن الظلمة والصبر على البلية والرضى بالقضية وقال رضي الله عنه من اشترى زيتا من بياع فلما فرغ قال زدني قليلا فزاده البياع خيطا من زيت فدينه أرق من ذلك الخيط ومن اشترى فحما فلما فرغ قال زدني فزاده فحمة فقلبه أسود

بركاته وقد حكى لي الشيخ أمين الدين امام جامع الغمري ان جماعة جاؤا الى سيدي أبي العباس الغمري يطلبون منه تلقين الذكر فقال حرر وانيتكم في طلب الطريق والا حصل لكم المقت فما تجرأ فقير يتقدم اليه منهم وذهبوا وقالوا من لعب بالطريق لعبت به الطرق وقد بلغني ان شخصا ممن ظهر في هذا الزمان لقن شيخ الاسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي فارسلت أعتب عليه وقلت كيف تلقن شيخ الاسلام فالله تعالى يغفر له وجاء شخص من القضاة الى سيدي محمد المغربي رحمه الله تعالى فقال يا سيدي خذ على العهد فقال له روح واستكف البلاء فانك الآن تأكل وتشرب من أطيب الطعام والشراب وتلبس محاسن الثياب وليس عليك حرج فتريد تدخل نفسك في تحجير لا تطيقه ولم يأخذ عليه عهدا فافهم يا أخي ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدرك في بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تعرضي لاحد من الاخوان انه يتقيد على صحبتي أولا يصلي الجمعة الا عندي أو انه يجلب أحدا لصحبتي الا بطريق شرعي لا لحظ نفس وقد حدث في هذا الزمان أقوام يصدون الناس عن الاعتقاد في أحد سواهم بغير حق وصاروا يصطادون أبناء الدنيا بالنصب والحيل وتحقير من سواهم من المشايخ وذلك خروج عن سياج أهل الطريق بل بعضهم يقول أصحابه في الدعاء اجعل اللهم ثواب ما قرأناه في صحائف شيخنا القطب الغوث الفرد الجامع ويقرأ أصحابه على ذلك فبعضهم يضحك عليه وبعضهم يستغيبه وكان الاولى له زجر أصحابه عن مثل ذلك أدبا مع القطب وأصحاب الوقت ورأيت بعض جماعة يقفون في أسواق مصر ويدخلون بيوت الامراء ومشايخ العرب كابن عمر وابن عيسى وابن بغداد فيقولون لاحدهم هل اجتمعت بسيدي الشيخ فلان فيقول لا فيقولون مثلك لا يكون له معرفة بالقطب الغوث الفرد الجامع وصاحب التصريف في مصر فلا يزالون به حتى يجمعوه على ذلك الشيخ ثم يقولون للشيخ باتفاق بينهم مرادنا تأخذوا على شيخ العرب مثلا العهد ليصير مريدكم ويحصل له بركتكم وتصير وا تحملوا حملته وتحموه ممن يعزله أو يزيد عليه في بلاده فيفعل ذلك الامير أو شيخ العرب ولا يسعه الآن يجيبهم لاخذ العهد ثم يحجرون عليه ويقولون له اياك ان تجتمع بفلان وفلان فتخرب ديار البعيد فيصير في خوف عظيم من اجتماعه بغيره وقد سمعت بعضهم يقول لشيخ عرب عن جماعة من مشايخ مصر ان مثل هؤلاء لا يصلح تلميذا لسيدي الشيخ انتهى وهذا كله نصب ولعمري ما رأينا شيخ عرب ولا أميرا قط عمل شيخا في طريق القوم أبدا بل لا يقدر يمشي على شروط المريدين فبأي وجه يحجرون عليه ورأيت بعض مشايخ العرب أخذ جماعة عليه العهد وحجروا عليه فنكث عهدهم وقال أنا لا أقدر على تحجير ولا أطلب ان أكون شيخا وان كان لهم عندي رزق في قمح أو عسل أو بسلة فهو يصل اليهم بلا هذا التحجير وقد نقض جماعة كثيرة من مشايخ العرب والامراء عهد أشياخهم لما وقعوا في الشدائد ولم يروا عندهم قدرة على دفع ما نزل بهم فلما جاؤني ستر ني الله تبارك وتعالى في تلك الشدائد فلولا ما الله تبارك وتعالى عنهم وصرت أرغبهم في الرجوع الى أشياخهم فلم يفعلوا وطردتهم فلم ينطردوا فافهم يا أخي ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتي من الوقوع في شيء يغير قلب شيخي على يوما من الدهر وذلك من أكبر نعم الله تعالى على المريد فان بذلك يدوم الترقي له بخلاف من يسيء الادب مع شيخه فانه ينقطع ترقيه وربما رجع الى حالة هي أنقص مما كان عليه قبل صحبته له لان الادب مع الشيخ سلم للادب مع الحق جل وعلا فمن لم يتأدب مع الوسائل لا يشم رائحة من الادب مع المقاصد فعلم أن اقبال شيخ الانسان عليه عنوان لرضا الحق تبارك وتعالى عنه كما ان رضا الوالدين علامة لرضا الله تعالى عن الولد فان الله يرضى لرضاهما ويغضب لغضبهما ويؤيد ما قلناه من ان سوء الادب مع الشيخ يرد المريد الى أنقص من الحالة التي كان عليها قبل صحبة شيخه قول الجنيد رحمه الله تعالى لو أقبل عارف على الله تعالى مائة عام ثم أدبر عنه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها انتهى أي لان كل لحظة يقبل فيها العبد على ربه عز وجل متضمنة لمجموع الامداد السابقة كلها وتزيد عليها بعدد الوقت فان جود الحق تبارك وتعالى لم يزل فياضا على قلوب المقبلين عليه ثم اعلم

تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلا يدخلون النار قطعا وقوم غلبت سيئاتهم حسناتهم فلا يخلدون في النار قطعا وقال رضي الله عنه الدخول في الجنة بالايمان والخلود فيها بالنية والدرجات فيها بالاعمال والدخول في النار بالشرك والخلود فيها بالنية والدركات فيها بالاعمال وقال رضي الله عنه لا يدخل على الله الا من بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي أو من باب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة وقال رضي الله عنه الكائنات على أربعة أقسام قسم كثيف وجسم لطيف وروح شفاف وسر غريب فالجسم الكثيف بمجرده جماد والجسم اللطيف بمجرده جان والروح الشفاف بمجرده ملك والسر الغريب هو المعنى المعبود له فالآدمي بظاهر صورته جماد وبوجود نفسه وتخيلها وتشكلها جان وبوجود روحه ملك وأعطي زائدا على ذلك السر الغريب فلذلك استحق أن يكون خليفة وقال رضي الله عنه ليس العجب ممن تاه في

يا أخي ان أقل مراتب الشيخ أن يكون كالبواب للملك فمن كان البواب يكرهه فبعيد أن تقضى له حاجة عند الملك لانه لا يستطيع الوصول الى السلطان من غير الباب ومن قال من المريدين انه يقدر على قضاء حاجته عند الله تعالى من غير واسطة شيخه فقد افترى على الله تعالى وكان سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول من شقاء المريد في الدنيا وعنوان شقاوته في الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه وعدم رؤيته على نفسه وجوب المبادرة الى صلحه والدخول في طاعته وقد تهاون جماعة بغيظ استاذهم عليهم فلم يفلحوا بعدها أبدا لا على يد شيخهم ولا على يد غيره انتهى وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من أقل ما يحصل من الهلاك لمن خالف استاذه الاشتغال بالدنيا والادبار عن الآخرة فيصير مكبا على جمع الدنيا من أي وجه كان ويعادي كل من صده عنها ولو كان شيخه وكذلك من اسباب الهلاك قلة ذكره لله تعالى وقلة تلاوته للقرآن وقلة عمله بالعلم وعدم تقيده بالاوراد وسهر الليالي وقلة المواظبة على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس وغير ذلك وربما فارق شيخه وصار مداوما على الاوراد التي كان عليها حال صحبته شيخه لكنها قليلة النفع فهي في عينه كأمثال الجبال وفي عين المكاشفين باحوال الآخرة كالذرة وقد أجمع أشياخ الطريق على ان من لم يقدر على ملاحظة شيخه ومراقبته حال العمل لا يصح له مراقبة الحق تبارك وتعالى في حال طاعته أبدا وفي بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل للملائكة الكرام الكاتبين اكتبوا عمل عبدي فلان واكتبوا أين كان قلبه حال العمل ليأخذ ثوابه ممن كان قلبه حاضرا معه انتهى فعلم أن من عقل العاقل ان لا يعتمد بعمل أو كلمة تسبيح أو تهليل مثلا قالها وقلبه غافل سارح في اودية الدنيا فان ذلك غير محسوب له عند الله تبارك وتعالى وقد بلغنا أن بعض السلف الصالح قرأ سورة طه في الليل فجهر بآية منها ليسمع جاره بغير نية صالحة فرأى بعد ذلك ان القيامة قامت ونشرت له صحيفة تلك الليلة فلم ير تلك الآية فيها وقيل له خذ أجرك ممن رفعت صوتك لاجله انتهى فافهم يا أخي ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم تغير خاطري على مريدي اذا زار أحدا من أقراني ثم ان قدر أني تغيرت عليه فلا يكون ذلك الا لمخالفته الشريعة أو لاطلاعي من طريق الكشف أن فتحه لا يكون على يد غيري فحينئذ اظهر له التكدر ليلازمني الى وقت الفتح مصلحة له وتقريبا للطريق عليه لا لعلة أخرى من حظوظ النفس وعلى ذلك يجب حمل حال الاشياخ الذين منعوا مريدهم أن يجتمع بغيرهم ويحرم حملهم على أنهم انما منعوا مريدهم من الاجتماع بغيرهم لئلا يتلمذ له دونهم فان الاشياخ منزهون عن مثل ذلك قال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى وما سامح شيخ مريده في الاجتماع بغيره الا فسد حاله وحصل له تردد في أي الشيخين أعلى مقاما حتى يتلمذ له واذا حصل له التردد فعه قلب هذا وقلب هذا ولم ينتفع باحد منهما لان شرط الانتفاع بشيخ جزم المريد بالتقيد في دائرته لا يخرج منها حتى يحصل له الكمال وحينئذ يصير كالاخ في الطريق للشيخ وللشيخ عليه حكم الافاضة من غير وقوف معه انتهى وكان سيدي علي بن وفاء رضي الله تعالى عنه يقول كما لم يكن للعالم الهان ولا للرجل قلبان ولا للمرأة زوجان كذلك لا يكون للمريد شيخان وكان رضي الله تعالى عنه يقول كما أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به فكذلك الاشياخ لا يسامحون المريد في شركته معهم غيرهم ومتى سامحوه كان غشا منهم له قال رضي الله تعالى عنه وتأمل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا فما جعل السموات والارض تنشق وتنفطر والجبال تنهدم الا الشرك بالله وكذلك الشيخ لا يزيل قلبه عن حفظ المريد وتربيته ترك احسان ولا خدمة وانما يزيله ان يشرك به المريد غيره انتهى وكان سيدي ابراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول ليس للشيخ ان يمنع مريدا من الاجتماع بغيره الا اذا اطلع من طريق كشفه أن ذلك المريد لا يكون فتحه الا على يديه فقط فحينئذ يمنعه ليقرب عليه الطريق والا فمنعه انما هو لحظ النفس انتهى واعلم يا أخي ان مثال الحضرة الالهية التي ينتهي اليها سلوك كل مريد مثال الكف ومثال الطريق التي يدخل منها اليها مثال الاصابع ومثال السنين أو الاشهر التي يجاهد المريد فيها نفسه مثال عقد الاصابع فان دخل الى الحضرة في ثلاث سنين كانت كل عقدة بمثابة سنة وان وصل

الى

والاعلى يحيط بالادنى فالاولياء لهم اشراف على مقامات الانبياء وما لهم الاحاطة بمقاماتهم والانبياء يحيطون بمقامات الاولياء وقال رضي الله عنه في قول بعض السلف لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا أي لو كشف الغطاء للنفس لم أزدد يقينا فيما طالعه القلب وقال رضي الله عنه جميع أسماء الله تعالى اذا أسقطت منه حرفا أذهبت دلالته على الله كالعليم والقادر والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسنى الا اسمه الله فانك اذا أسقطت الالف بقي لله واذا أسقطت اللام الاولى بقي له واذا أسقطت اللام الثانية بقي هو وهو النهاية في الاشارة وأنشد الحسين بن منصور الحلاج شعرا

أحرف أربع بها هام قلبي
وتلاشت بها همومي وفكري
ألف ألف الخلائق بالصنع
ثم لام على الملامة تجري
ثم لام زيادة في المعاني
ثم هاء بها أهيم أتدري

وقال رضي الله عنه كشف لي عن أرواح الصديقين صاعدة نحو الملأ الاعلى فاذا علي [illegible] يقال لي

وما جنبت خيلي ولكن تذكرت
مرابطها من بربعيص ومبصرا

أي انها ما فرت جبنا من الخلق ولكنها تذكرت أوطان التعريف وقال

الى الحضرة فى ثلاثين سنة كانت كل عقدة بعشر سنين وهكذا الحكم فى الزيادة والنقص فاذا سلك مريد على يد شيخ حتى قطع عقدة ثم تركه وسلك على يد شيخ آخر حتى قطع عقدة ثم تركه وأخذ عن شيخ آخر حتى قطع عقدة أفنى عمره ولم يتجاوز العقدة الاولى لانه لايصح لشيخ ان يبنى على بناء شيخ آخر فلابد ان يهدم بناء من كان قبله من الاشياخ ولو أنه كان صبر ودام تحت حكم شيخ واحد لربما قطع الثلاث عقد من الاصبع الواحدة ودخل الحضرة الالهية وهذا مثال ما أظنه طرق سمعك قط وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أجمع أهل الطريق على ان الملتفت الى غير شيخه لا يفلح أبدا وسمعت سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول قلت يوما لشيخى سيدى محمد السروى مرادى أن أزور الشيخ الفلانى فقال لى يا محمد اذا لم يكن الشيخ ملأ عين المريد فلم يتخذه شيخه فمن ذلك اليوم ما زرت غيره الى أن مات انتهى اللهم الا أن يكون المريد ثابت القدم مع استاذه فله أن يزور غيره ولا حرج لعدم تزلزله وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله تعالى يقول كان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول نحن لا نقيد على مريدنا انه لا يجتمع بغيرنا وانما نقول له ان وجدت منهلا أعذب من منهلنا فعليك به قال الشيخ أبو العباس فكنا ننظر فى أقرانه فلا نجد أعلى مقاما منه ولا أعذب منهلا فلذلك قدمناه على غيره انتهى وينبغى حمله على حال المتوسطين فى الطريق أما المبتدى فى الطريق فانه لا يفرق بين الاعذب من الكلام وغير الاعذب وربما أعجبه كلام شيخ لموافقته لهواه فعمل به فهلك ثم ان هذا الذى قررناه كله فى حق المريدين الصادقين فى طلب الطريق أما من لم يصدق فى طلب الطريق فانما هو معتقد فى الصالحين يزور هذا ويزور هذا ولا حرج عليه هذا حال أكثر المريدين اليوم فليس لشيخ أن يضيق عليهم بالتقيد عليه وحده ومن شك فى قولى هذا فليمتحن من يدعى الصدق منهم ويأمره بالخروج عن ثيابه وما بيده من الدنيا وينظر فان أطاعه بانشراح صدر فهو صادق وان انقبض خاطره فهو كاذب وهذا محك يظهر زغل المريد وبالجملة فالمريد الصادق فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من شيخ جعل له مجلس ذكر فى الجامع الذى كنت أذكر أنا فيه قبله بل أنشرح لذلك وأذهب بجماعتى اليه وأعزم عليه أن يكون هو الذى يفتتح المجلس ثم أقبل يده ورجله مع الجماعة خوفا من تشتت قلوب الذاكرين وأظهر الفرح والسرور بذلك لانه كبر مجلسنا وقوى قلب جماعتنا وان رأيت له قدما فى الطريق تلمذت له وتلقنت عليه أنا وجماعتى وهذا خلق غريب فى هذا الزمان ومخالفته تدل على وجود الرعونات ومن كان صاحب رعونة لا يصلح أن يكون شيخا على جماعة وما عقد الفقراء مجالس الذكر بالاصالة الا محبة فى كثرة ذكر الله عز وجل لا لأن يكونوا بذلك مشايخ فالله يحفظنا واخواننا من مثل ذلك وقد رأيت جماعة وقع لهم ذلك فترافعوا الى الحكام وأخذ كل واحد منهم مرسوما بانه يكون شيخا وانه أشيخ من غيره وذلك كله جهل فان المساجد لله وليس شيخ أحق بالذكر فيها من شيخ ولو كان هو الذى بنى ذلك المسجد وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا فعلم ان كل شيخ تكدر ممن جاء يذكر الله عز وجل تجاه مجلسه فهو دليل على أنه طالب بذلك الرياسة والصيت عند الناس وذلك الى الاثم أقرب وقد تقدم فى هذه المنن ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على فرحى بكل شيخ برز فى حارتى وانقلبت اليه جماعتى حتى لم يبق حولى منهم واحد ومن تكدر من ذلك فهو خارج عن سياج الفقراء ممقوت فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للتميز عن اخوانى فى مجلس الذكر أو العلم فلا أجلس على سجادة ولا مضربة الا لعذر شرعى ثم أطلعهم على ذلك العذر خوفا من وقوع أحد منهم فى سوء الظن فيهلك فى دينه ومن العذر أن أكون هزيلا أو طلع فى دمامل ونحوها أو أكون معدا لسؤال الاعراب من الفلاحين وغيرهم فاجلس متميزا عن الحاضرين ليسألونى ولا يحتاجون الى سؤال أحد عنى وقد وقع أنه صلى الله عليه وسلم كان يجلس مع أصحابه فيأتى الاعرابى ليسأل عن أمر دينه فلا يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل من الصحابة عنه فتشاور أصحابه فى أن يجعلوا له شيأ يتميز به فاتفقوا على انهم يبنون له دكانا من طين فبنوه وفرشوا له

رضى الله عنه الوحى القاء معنى فى خفاء وقال رضى الله عنه جميع أسماء الله للتخلق الا اسمه الله فانه للتعلق ومعنى كلام الشيخ هذا انك اذا ناديته يا حليم خاطبك من اسمه الحليم أنا الحليم فكن عبدا حليما واذا ناديته من اسمه الكريم ناداك من اسمه الكريم أنا الكريم فكن عبدا كريما وكذلك فى سائر أسمائه الا اسم الله فانه للتعلق فحسب اذ مضمونه الالهية والالهية لا يتخلق بها أصلا وقال رضى الله عنه السماء عندنا كالسقف والارض كالبيت وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت وقال رضى الله عنه نحن فى الدنيا بابداننا مع وجود أرواحنا وسنكون فى الآخرة بارواحنا مع وجود أبداننا وسمعته يقول الفرق بين معصية المؤمن ومعصية الفاجر من ثلاثة أوجه المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها ولا يفرح بها وقت الفعل ولا يصر عليها بعد الفعل والفاجر ليس كذلك وقال رضى الله عنه لبعض أصحابه ليكن ذكرك الله فان هذا الاسم سلطان الاسماء وله بساط وثمرة وبساطه العلم وثمرته النور ثم النور ليس مقصودا لنفسه وانما يقع به الكشف والعيان

وجاء رجل فقيل له يا سيدى هذا فتى فقال الشيخ أنت فتى قال نعم فقال الشيخ ما تدرى ما الفتوة ليست الفتوة الماء والملح وانما الفتوة الايمان

عليه حصيرا وصار يجلس عليه وكان صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وكان راعى خواطر أصحابه ويسعى فى كل ما يميل خاطرهم لينقادوا الى نصحه وارشاده فان المريد اذا لم يعتقد فى شيخه الصلاح والتواضع لا يصح له به انتفاع أو لا يكمل وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الفقير حتى يخفض جناحه لاخوانه ويرى نفسه دونهم وهناك يبالغون فى تعظيمه وينتفعون به بخلاف من كان بالضد من ذلك فان الامر يكون بالضد فربما يلومون به فيما بينهم ويقولون شيخنا يحب الضخامة وتقبيل اليد كما وقع ذلك لبعض اخوانا نامع شيخه فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لا كل طعام مريدى قبل أن يتمكن فى محبتى ويرى جميع ما بيده ملكى دونه سواء كان ذلك الطعام فى عزومة أو وليمة أو أرسله الى بيتى والحكمة فى ذلك كون الا كل من مال المريد يورثه الادلال على شيخه والاستهانة بجنابه ويصير المريد يرى لنفسه الفضل على شيخه وذلك يبطل انتفاعه بشيخه وقد عم هذا الداء كثيرا من الفقراء فترى أحدهم يندلق على طعام المريد وأول محبته وعلى قبول هداياه وربما كساعيال الشيخ وأولاده ولا يلتفت الشيخ لما فى ذلك من نقص المرتبة وغاب عن هذا أن من شرط الشيخ أن يكون له اليد على مريده فى أمور الدنيا والآخرة وجاءنى مرة شخص وقال لى ان فلانا أخذ على العهد على أنى أعطيه كل ما طلبه منى وقال اذا منعتنى مطيتك وعيشتك فلا تلم الا نفسك فقلت له هذا خروج عن الطريق * وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول مال المريدين حرام على الاشياخ انتهى لكنه محمول على مريد لا يرى الملك لشيخه فيما بيده والا فقد أكل الاشياخ الصادقون عند مريديهم كما هو مشهور فى كتب الرقائق من غير توقف فالحمد لله الذى جعل طعام المريد الذى لم يتمكن فى محبتى لا يقيم فى بطنى أبدا ولو نسيت وأكلته وذلك أنى أحس بثقله فى بطنى كأنى أكلت قطعة جبل وتارة تلعب نفسى فأتقيؤه وهذا من جملة نعم الله العظيمة على فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من شيخ العرب أو الكاشف أو غيرهما من الولاة او التجار أو المباشرين اذا صحب أحدهم غيرى من الاقران بل أفرح لذلك غاية الفرح كما مر أوائل هذه المنن خوفا أن يميل قلبى الى ذلك الظالم مثلا فتقصر يدى ولسانى عنده فى الشفاعات ونحن ما صحبناهم بالاصالة الا لتخليص المظلومين وتفريج كربهم فعلم أن تكدر الفقير من صاحبه الامير اذا صحب غيره فى غاية القبح بل بعضهم يعادى ذلك الامير وذلك الشيخ بسبب ذلك وأصل ذلك أنه صحبه للدنيا من قبول بره واحسانه أو غير ذلك ولو أنه كان صحبه بنية صالحة لم يتكدر لذلك أبدا وقد صحبنى شيخ عرب وليس على علمى أنه صحب أحدا غيرى فتكدر ذلك الشيخ وصار يقطع فى عرضى وعرض ذلك الامير فلا يعلم عدد ما اغتابنى به الا الله تبارك وتعالى فقلت لذلك الامير روح لصاحبك لاجل الله وأرحنا من شره فذهب اليه مع انى لم آكل لشيخ العرب المذكور قط طعاما ولا قبلت له هدية الى وقتى هذا فاياك يا أخى أن تصاحب شيخ عرب أو غيره من الا كابر الا بعد أن تفتش فربما يكون صحب أحد اقبلك من النصابين فتقوم عليك القيامة كما وقع لى ذلك من حرة محمد العبادى وغيره وابعد يا أخى عن أبناء الدنيا جهدك فان نفوس غالب الناس تميل الى صحبتهم وتزاحم عليها فأف ثم أف ثم أف على من لبس زى الفقراء وزاحم على شئ من الدنيا وخالف هدى أصحاب الزى وشاباش لمن حمى زى الفقراء عما يزرى به والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة ارشادى لاصحابى أن ينظروا فى أنفسهم اذا خالفهم خادمهم او زوجتهم أو وقعوا فى المعاصى والقاذورات أو الاباق والنشوز ويقتدوا فى ذلك بالسلف الصالح رضى الله تعالى عنهم فكان أبو يزيد البسطامى اذا رأى فى أصحابه نقصا يقول بشؤمى وقعوا الى ما وقعوا فيه وكان الشيخ عبد الحليم رحمه الله تعالى اذا قيل له ان أحدا من المجاورين يتعاطى ما لا يحل له أفانصحه يقول هل رأيتم قط نجاسة تطهر نجاسة انتهى ودليل القوم فى ذلك قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقوله صلى الله عليه وسلم انما هى أعمالكم ترد عليكم وقوله صلى الله عليه وسلم عفوا

والهداية قال سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى والفتى كما قال الله عن ابراهيم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فسمى فتى لانه كسر الاصنام فمن كسر الاصنام فهو فتى فالخليل عليه السلام وجد أصناما حسية فكسرها وأنت لك أصنام معنوية فان كسرتها كنت فتى ولك أصنام خمسة النفس والهوى والشيطان والشهوة والدنيا فان كسرتها فانت الفتى وافهم ههنا لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على وسئل رضى الله عنه لم بدأ صاحب الرسالة بابراهيم بن أدهم دون غيره وربما كان غيره متقدما عليه فى التاريخ فقال الشيخ رضى الله تعالى عنه لان ابراهيم كان من ملوك الدنيا فاصبح وهو كذلك فجاء وقت القاهر وهو من كبار الاولياء فبدأ به صاحب الرسالة ليعلم ان فضل الله ليس بعمل وقال رضى الله عنه عبد هو فى الحال بالحال وعبد هو فى الحال بالمحول فالذى هو فى الحال بالحال عبد الحال والذى هو فى الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو فى الحال بالحال أن يأسى عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذى هو فى الحال بالمحول لا يفرح اذا وجدت ولا يحزن عليها اذا فقدت ومعنى كلام الشيخ هذا ان من تحقق بالله ملك الاشياء ولم تملكه

عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم وقوله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب وكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول انى لأعصى الله تعالى فاعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى وزوجتى فيشمص الحمار ويخرج العبد والزوجة عن الطاعة ثم اذا رجعت الى نفسى واستغفرت الله تعالى وقبل توبتى رجعوا الى طاعتى انتهى وقد علمت ذلك لكثير من أصحابى فتركوا الشكوى لى بعد أن كان أحدهم كثير الشكوى من زوجته وعبده وصاروا يرجعون الى نفوسهم فيقومونها فتستقيم رعيتهم الذين قسم لهم الاستقامة واسترحت من كثرة شكواهم لى * وقد كان الشيخ أبو النجا سالم المرورجه الله تعالى يقول لأصحابه كثيرا اعلموا أن جميع الوجود يقابلكم بحسب ما برز منكم من الاعمال فانظروا كيف تكونون فان الظل تابع للشاخص فى العوج والاستقامة انتهى وهذه قاعدة أكثرية لا كلية فقد يبتلى الله تبارك وتعالى العبد ابتداء لينظر كيف صبره وهو العالم بما يكون قبل أن يكون ويبتلى عياله بالزنا مع أنه لم يقع هو فيه قط ويعقه ولده مع أنه كان بارا بوالديه ويؤيده قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لكن يؤيد أصل القاعدة قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فى حق الائمة المضلين وقوله صلى الله عليه وسلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الحديث انتهى فتأمل ذلك وافهمه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة أمرى للمريدين بان يصبروا ويتحملوا الاذى من كل من آذاهم حسب الطاقة ولا يقابلوا أحدا بسوء ثم اذا بلغوا الى حد لا يحتملونه انتقمت لهم باذن الله ممن آذاهم بسياسة ولطف ولم أمكن أحدا منهم يقابل أحدا خوفا عليه أن يجازف فى المقابلة ويزيد فى الاذى فيخسر وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من كمال الفقير أن ينتقم لاصحابه ممن آذاهم للفريقين مصلحة وصورة ذلك أن الفقير يسأل ربه عز وجل أن يؤدب الظالم اما بمرض واما بزوال نعمة واما باخراج وظيفته عنه أو زوال جاهه وحرمته من قلوب الناس ونحو ذلك انتهى وفى الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث ويقع لى بحمد الله كثيرا أن همتى تطلب الانتقام لاصحابى فينفذ الله تبارك وتعالى ذلك بمجرد الهمة من غير سؤال الله تعالى وذلك من أشد ما يكون من الانتقام فربما دخل فى قلب ذلك الظالم منهم سهم مسموم فلا يزال به حتى يموت ولا يقدر أحد على مداواته كما وقع لى ذلك فيمن أفسد فى زاويتنا بالفتن ورمى اخوانه بالبهتان والزور وكان مرضه الاستسقاء * وكان سيدى محمد السروى شيخ شيخنا يقول الفقير اذا قوى عليه الحال وتفلت من يده صار كالاسد اذا أفلت يكسر كل من وجده ولو صاحبه وأولاده وكان رحمه الله تعالى يقول أيضا لا يكمل الفقير حتى يقتل الله تعالى بسببه وبسبب أصحابه بعدد أعضائه من الظلمة الذين يؤذون أصحابه واخوانه المسلمين وكان رحمه الله تعالى يقول من كمال الفقير أن يحتمل الاذى فى حق نفسه ولا يحتمله فى حق أصحابه قياما بواجب حقهم عليه لانهم ما اجتمعوا عليه الا ليحميهم من ظالم يؤذيهم قال وكان على هذا القدم سيدى ابراهيم الجعبرى وسيدى ابراهيم المتبولى وغيرهما فالحمد لله رب العالمين وكان كثير من القوم الذين أدركناهم يقتلون الظلمة بالحال أو التوجه الى الله تعالى فى ذلك قلت ويجب تقييده بما اذا علموا أن ذلك الظالم قد استحق القتل شرعا والا فعليهم اللوم والله تبارك وتعالى أعلم

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حفظى للادب مع أقرانى فى حال غيبتهم وتبجيلهم وتعظيمهم كما يدل لذلك ذكر مناقبهم فى كتاب الطبقات التى وضعتها فى حق أهل القرن العاشر وهذا أمر انفردت به فى هذا العصر لا سيما مناقب الجماعة الذين يكرهونى ويؤذونى فانى بالغت فى تعظيمهم وحملهم على أحسن المحامل ضد ما فعلوا معى كما تقدم تقريره أوائل الباب الثالث وغالب الناس لا يقدر على أن يذكر مناقب عدوه أبدا بل ولا تطاوعه نفسه واذا رأيت أحدا من أعدائى قليل العمل بالعلم فى الظاهر وأخاف أنى أمدحه فيكذبنى الناس أقول فى ترجمته فى الطبقات وغيرها والغالب على فلان اخفاء أعماله الصالحة فلا يكاد أحد يعرف له منها شيأ كل ذلك سترة للاخوان ومن جملة ذلك حملى لهم اذا خطؤنى فى فهم على أنهم مجتهدون فى الفهم فلا يكلفون العمل بغير

فيصير الحال تحت قهر تصريفه وانما يكون ذلك للرجل لرسوخه فى العلم بالله والعلم حاكم على الحال وبه يوزن والحال انما هو فرع من فروع العلم والعلم قار ثابت والحال لا بقاء لها ولذلك قالوا شعر

لو لم تحل ما سميت حالا
وكل ما حال فقد زالا
انظر الى الظل اذا ما انتهى
يأخذ فى النقص اذا مالا

والاكابر ملكهم الله أحوالهم وجعلهم حاكمين عليها ومن هنا لما قيل للجنيد رضى الله عنه ما لنا نرى المشايخ يتحركون فى السماع وأنت لا تتحرك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وقيل لبعضهم ما لك لا تتحرك فى السماع فقال انه اذا كان فى الجمع كبير احتشمت منه فامسكت على وجدى فاذا خلوت وحدى أرسلت على وجدى فتواجدت فانظر كيف كان زمام حاله يمسكها اذا شاء ويطلقها اذا شاء واذا اتسع القلب بمعرفة الله غرقت فيه الواردات وانما يبدو أثر الحال على من ضاق عن وسعها والعارف له وسيع المعرفة فاذا ورد الوارد عليه غرق فى وسيع معرفته وهل رأيت بحرا فاض بمطر سحاب ولهذا جهلت أحوال الاكابر أرباب المقامات واشتهر أهل الاحوال الظهور آثار

ماظهر لهم وجهه ولو أنهم شنعوا على فى فهمى فلهم ذلك نصيحة للمسلمين بحسب قدرتهم فالله تعالى يغفر لنا ولهم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تقطيب وجهى وعدم بشاشتى لكل مريد دخل على يزورنى حفظا لمقام شيخه فى غيبته وخوفا عليه أن يميل الى بالمحبة فيجرح مقام شيخه كما تقدمت الاشارة اليه قريبا اللهم الا ان كنت أعلم ثبات اعتقاده فى شيخه فلا أفعل معه شيأ من ذلك بل أبش له وأقدم له الاكل والشرب وأعظم شيخه بحضرته ونحو ذلك كما أفعل بالضيوف وهذا الخلق لم أره فاعلا فى مصر غيرى الا قليلا بل بعضهم قام بواجب حقه فلم أخرج لمريده طعاما ولا بشتت فى وجهه خوفا على قلبه من التزلزل لما رأيته أقبل على فشكا ذلك الى شيخه فقال يا ولدى أما علمت أنه يكرهنا ويكره جماعتنا انتهى وهو معذور فان هذه الاخلاق غريبة فى أهل هذا العصر والله ما قطبت فى وجه مريده الا حفظا لمقامه عند مريده فكنت بذلك فى المشرق وهو فى المغرب فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) أنى لا أسكت الجماعة قط اذا كانوا فى ذكر أو قرآن أو علم حتى أستأذن الحق جل وعلا أو رسوله صلى الله عليه وسلم ان كان حديثا أو العلماء الذين يقرأ على كلامهم فاقول بقلبى ولسانى بخفض صوت دستور يا الله أسكت عبادك وأنقلهم الى غير ذلك من الخيرات أو دستور يا رسول الله أن أنقل هؤلاء الى الخير الفلانى فانهم ضجروا وملوا من الشئ الفلانى وهذا الادب قل من يراعيه من العلماء والفقراء فربما يسكتون قارئ القرآن أو الحديث أو العلم بلا استئذان وهم غافلون عن هذا المشهد فاعمل يا أخى على التخلق بذلك بكثرة مقدمات المراقبة من الجوع ومخالفة الهوى ونحو ذلك حتى تصير فى أكثر أوقاتك تشهد نفسك بين يدى الحق وبين يدى أهل حضرته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خواص أمته من العلماء والصالحين والا فلا يستقيم لك ذلك وكان على هذا القدم سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص وأخى أفضل الدين وأخى أبو العباس الحريثى رضى الله تعالى عنهم ويؤيده حديث الاستخارة المشهور وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ينبغى للفقير أن لا يتحرك ولا يسكن فى أمر مهم الا بمشاورة الحق جل وعلا قال وهو أحق مما أمرنا به من مشاورة اخواننا أو من مشاورة الولد الموفق والده فى أموره قال رحمه الله تعالى وهذا الامر وان لم تصرح به الشريعة فهى تقبله ولا ترده وكل ما كان فعله أدبا مع الخلق ففعله مع الحق تبارك وتعالى أولى انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) إذن شيخى الشيخ محمد الشناوى لى فى ان أجلس لتلقين الذكر وتربية المريدين بحضرة الشيخ شهاب الدين بن حجر المقيم بمكة وبحضرة الشيخ على والشيخ أحمد السواح أولاد الشيخ عبد الرازق بناحية كوم النجار وبحضرة الشيخ محمد حسن الحلى المقيم بالمدينة المشرفة وبحضرة الشيخ شهاب الدين الطندتائى وجماعة وذلك فى زاوية شيخه الشيخ محمد السروى ليلة تمام شهره لما توفى الى رحمة الله تعالى ولفظه اشهدوا على أنى أذنت لولدى هذا أن يلقن ويربى المريدين على طريق القوم ثم أنشد هذا البيت رضى الله تعالى عنه

أهيم بليلى ما حييت وان أمت ✻ أوكل بليلى من يهيم بها بعدى

ثم سافر من مصر الى بلاده فصار كل بلد يمر عليها يقول لهم قد أذنت لفلان فمن أراد الطريق بعدى فعليه به فجاءنى خلائق بعد موته رضى الله عنه فتلقنوا على سبيل التشبه بالقوم عملا باذن شيخى ثم ما تركت هذا الباب الا بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أناس ثم لما اجتمعت بسيدى على الخواص قال لى اعلم يا ولدى أن الخلق الآن صاروا كالحجاج اذا رجعوا من مكة وأشرفوا على أوطانهم ورأوها بعيونهم فمن قدر أن يقطرهم ويجمع شملهم وقد كانت الهمم فى الزمن الماضى موجودة وكان أحدهم يتطلب الطريق بصدق كالحجاج فى ابتداء سفرهم فانا رأيناهم يعطون جماعة أمير الحاج الدراهم حتى يقطرهم انتهى ولكن حصل لى باذن شيخى غاية الستر بين الفقراء فان غالب الفقراء اليوم صاروا يجلسون بلا اذن من شيخهم وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له فادعى أنه جاءه فى المنام وقال له ابرز للناس وبعضهم ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له وهو بعيد فان

المقام وبينه وبينه مثل ما بين السماء والارض وكلما تمكن الرجل فى العلوم الالهية والمعارف الربانية استغرب فى هذا العالم فيقل من يعرفه ويفقد من يحيط به فيصفه وقال رضى الله عنه كل سوء أدب يثمر لك أدبا فهو أدب وقال رضى الله عنه المؤمن لا يرضى عن نفسه بالخير اذا كان فيه لان فوق الخير خيرات أتراه يرضى بالشر وقال رضى الله عنه كان الجنيد قطبا فى العلم وكان سهل بن عبد الله التسترى قطبا فى المقام وكان أبو يزيد البسطامى قطبا فى الحال وقال رضى الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف ومعنى كلام الشيخ هذا ان اللطف اذا ورد على العبد فان كان فى الدائرة النفسانية تلقته النفس بالبشاشة والفرح واذا كان فى الدائرة المعنوية تلقته الروح بالمحبة والمتعة ويقع الميل ويكون عن الميل السكون ويكون مع السكون الانس بالمسكون أى والله لا يحب لك أن تسكن لغيره ولا ان تأنس بشيء دونه فلذلك قال الشيخ رضى الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف الى السكون اليه والاقامة عنده وهذا كما

بين مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا كذا ألف مقام ما أظن أن هذا حصل منها مقاما واحدا كما مر تقريره في المقدمة وقد ذكرنا قواعد أهل الطريق في رسالة خاصة فن طالعها وجد بعض المشايخ اليوم لم يبلغ مقام مريد فالله تعالى يلطف بنا وبهم ويغفر لنا ما جنيناه آمين آمين والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) كثرة محبتي وتعظيمي لاولاد مشايخي في العلم والطريق وأصحابهم ومن يلوذ بهم في حال حياة أشياخي وبعد مماتهم قياما بواجب حق أشياخي وأولادهم وأصحابهم وهذا الخلق يخل به كل من لم يفطم على يد شيخ فيكرهون أولاد شيخهم وأصحابه وبالعكس وكيف يدعي أحدهم محبة شيخه ثم يبغض أولاده وأصحابه هذا يشبه طريقة الروافض وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى يقول لما أرى أحدا من أولاد شيخي أو أصحابه أكاد أطير من الفرح وكأني رأيت شيخي ثم يقول * لعلي أراهم أو أرى من راهم * وكان رحمه الله تعالى يقول لو خدمت أولاد شيخي طول عمري وأعطيتهم كل ما بيدي من الدنيا ما قمت لهم بجزاء فان معرفة الطريق التي أطلعني عليها والدهم لا تقابل بالاغراض الدنيوية فعلم أن كل من لم يفطم على يد شيخ فن لازمه غالبا الرعونات البشرية والاخلال بواجب الادب مع أولاد شيخه وأصحابه والنكتة في ذلك ان صاحب الرعونة يطلب من أولاد شيخه أن يتلمذوا له ويربيهم وأولاد شيخه يطلبون منه أن يكون تحت حكمهم كما كان مع والدهم فلا يقدر ولا يقدرون فلذلك كان الغالب على الفريقين العداوة والبغضاء (ولما) مات سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى انقسم أصحابه فرقتين على أولاده ففرقة تكره أولاده وفرقة تحبهم وكذلك وقع للشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى فذهبت الى الفرقة التي كرهت أولاد شيخها فكلمتهم في ذلك فتابوا واستغفروا ولما مات سيدي الشيخ مدين رحمه الله انقسم الناس فرقتين فرقة مع ولده سيدي أبي السعود وفرقة مع ولد أخته سيدي محمد شيخ سيدي علي المرصفي وشيخ الشيخ السروي وشيخ الشيخ نور الدين الحسني وشيخ الجماعة فوقع بينهم خصام كثير ثم ضربوا ولد أخته وأخرجوه وأجلسوا سيدي أبا السعود ولد سيدي مدين فما نتج على يديه أحد وما تفرعت الطريق الا من ولد أخته فان الطريق لا تورث الا لمن شاء الله لا تختص بالاهل كالارث الظاهر حتى ان بعض الاقطاب سأل الله عز وجل أن تكون القطبية بعده لولده فنودي يا فلان ذلك في الارث الظاهر من الاموال فاستغفر ذلك القطب فبعد مدة جاءه شخص من أهل المغرب فبات عنده ليلة فمات القطب فتولى القطبية بعده ولما مات شيخي الشيخ محمد الشناوي رحمه الله تعالى عاداني أولاده مدة فما زلت بحمد الله أسارقهم وأقدم لهم نعالهم وأبجلهم حتى زال ما عندهم وطلبت من ولده سيدي الشيخ عبد القدوس أن يلقنني بعد والده فأبى وتلمذ لي وكان يقبل عتبة زاويتي قبل أن يدخل وصار لا يفعل شيأ حتى يشاورني عليه فجهز مرة زاده وجماله للحجاز فقال له شخص ليلة السفر وهو في البركة ان فلانا قال ما كان في خاطري أنه يسافر في هذه السنة فركب حمارته وجاءني وقال والله لو بلغني الامر وأنا في نصف الطريق انك أشرت علي بالرجوع لرجعت ورأيت ذلك عندي أرجح من الحج انتهى وهذا الامر ما فعله معي أحد غيره فرحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة آمين والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) شهودي فضل معلمي علي ولو بلغت الغاية في الترقي فانه هو الذي أعطاني مادة الترقي حتى عرفت بها ما عرفت فمن نسي فضل معلمه عليه فهو لئيم كما قاله الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد اختار المحققون دوام المكث للمريد تحت طاعة الشيخ وقالوا لو حقق المريد النظر لوجد مقامه دون مقام شيخه ورأى مقام شيخه أرقى وأصفى وأنور وغاية أمر المريد انه ساوى شيخه في جسم العمل لا في روحه فان الغالب على الاشياخ عند الكمال أن يكون الغالب عليهم الاعمال القلبية التي كل ذرة منها عند الله أرجح من قناطير من أعمال ذلك المريد وربما كان حضور المعلم مع الله تبارك وتعالى في الامور العادية أفضل من حضور المريد معه في الطاعة الشرعية وايضاح ذلك ان الكامل تكون مشاهدته قلبية فلا يكاد يظهر من أعماله الصالحة الا بقدر ما يعرف ان الناس يقتدون به فيها والباقي يكتمه عنهم لئلا يقيم الحجة عليهم عند الله تبارك وتعالى وقد كثرت خيانة هذا الخلق من كثير من الناس فيتعلم أحدهم العلم أو الصنعة ثم بعد قليل يسيئون الادب

تقدم عن الشيخ أبي الحسن انه دخل على بعض الرجال فقال له كيف حالك فقال أشكو الى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو اليه من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأما شكواك من برد الرضى والتسليم فكيف فقال أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله وأوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى نعم العبد نوح لولا انه يسكن لنسيم الاسحار ومن عرفني لا يسكن لغيري وكان عندنا بالاسكندرية امرأة عارفة بالله أخبرتني انها سمعت يقال لها أعوذ بك من النور وفتنته ومن الغيب وتلفته وأخبرتني أيضا قالت كنت أمشي بالاسكندرية واذا بناس في لهوهم وطربهم فقلت في نفسي هؤلاء في فرح ومسرة وحكم الله من ورائهم ونحن في مقاسات النوازل وقهر الاحكام قالت فاذا علي يقال لي ليس أهل الحضرة والادب كأهل الطيبة والطرب وأخبرتني أيضا قالت كنت اذا كنت في حضرة أو موقف وأرادني زوجي ليقضي أربه لا أمنعه ولا يستطيع ذلك كلما أراد مني أمرا عجز عنه قالت حتى يضيق خلقه ويقول ما هذه الاحسرة هذه الشابة في حسنها بين يدي لا تمتنع عني ولا أصل اليها فتقول له في ذلك الوقت من هو الرجل

فمنا ومن هو المرأة فمنا قالت واذا كان وقت ستر أمكنه ما بر يدو قال الواسطي استحلاء الطاعات سموم قاتلة وصدق

مع معلمهم و يسعون على وظيفته و ينسون فضله عليهم وقد كان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول شر الناس اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه ونسي فضل معلمه ولاجل ذلك ضربوا المثل وقالوا كل شئ اذا زرعته قلعته الا ابن آدم اذا زرعته قلعك و بالجملة فمن قطع حبل معلمه قطع الله عنه الامداد فافهم يا أخي ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) ارشادي لاخواني من الامراء والمباشرين اذا عزلوا من وظائفهم ودارت رحاتهم شمالا الى فعل ما تردهم عليهم ولا يتهم به وذلك لعلمي بان أحدا لا يعزل من وظيفته قط الا بعد أن أخل بشرائطها وهو القيام بواجب حق الله تعالى عليه من ترك المعاصي جملة والقيام بواجب الرعية عليه من قضاء حوائجهم وتفريج كربهم و يجمع ذلك كله ان يكثر من الاستغفار ليلا ونهارا ولا يشتغل بغيره الا لضرورة شرعية فان الاستغفار يطفئ غضب الرب جل وعلا و ترضى عنه خصماؤه وقد أغفل ما قلناه غالب الفقراء فتجد أحدهم يدخل في جملة من زالت نعمته و يتوجه في قضائها فلا يجد لتوجهه أثرا وذلك لان الحق تبارك وتعالى ما يزيل نعمة عن عبد الا تأديبا له ليرجع اليه بالفاقة والاعتراف بذنبه الذي أحصاه الله عليه ونسيه هو ومادام يقول مالي لا ذنب ولا أسية فهو معزول أو جالس في الحبس لا يخرج وكثيرا ما تزول النعمة عن بعضهم بالذنوب التي كان يستهين بها لكثرة وقوعها كشرب الخمر والزنا واللواط والتعاون عند الحكام واخراج الصلوات عن وقتها ونحو ذلك فيعتقد أن الله تبارك وتعالى غفرها له من زمان والحال انها باقية عليه و ربه عليه غضبان ومن غضب عليه ربه فلا يقدر شافع يشفع فيه الا اذا رأى المحل قابلا للشفاعة كما هو مشاهد في بيوت الحكام فليفتش الفقير نفسه وليتب من كل ذنب يعلمه الله تعالى ثم يفتش من يريد ان يتحمل عنه الجملة و يأمره بالتوبة من كل ذنب يعلمه ثم بعد ذلك يشفع فربما كان الشيخ نفسه له ذنوب لم يتب منها فلا يصلح أن يكون شافعا في غيره كما مر في شروط من يتحمل جملة الناس و ربما كان المحمول عنه له ذنوب كذلك فلا يفيد توجه الفقير في اطلاقه أو أن يرد له وظيفته مثلا فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها فافهم ذلك فانه نفيس جدا والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم غفلتي عن أصحابي اذا سلك أحدهم مسالك التهم فأنهاه عن ذلك واذا قال يكفيني علم الله تعالى قلنا له ان الذي يكفيك علمه قد أمرك أن لا تتسبب في وقوع الناس في عرضك وقد قالوا من سلك مسالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن فكما ان الشمس تحكم بحرارتها على الارض فلا يمكن الارض ان ترد عنها حرارتها فكذلك مسالك التهم تحكم على صاحبها بوقوع الناس في عرضه وسوء الظن به فلا يمكن الناس ان يحسنوا به الظن الا بتأويل بعيد قل من يقبله فعلم أنه لا ينبغي لانسان أن يكلم امرأة على شارع اذا علم ان الناس يلوثونه في ذلك ولو محرما كما لا يجوز أن يختلي باجنبية أو ينظر وجهها و يجب على من رآه كذلك ان يزجره عن ذلك أشد الزجر لمسارعة الانكار عليه من غالب الناس و ربما يقول الناس بعيد أن يكون سلم من الزنا في تلك الخلوة و يؤيده قول بعض العلماء ان كل خلوة باصابة و يقاس على ذلك الخلوة بالامرد الحسن فاحذر يا أيها الفقير من ذلك ولا يغتر بصفاء حالهم مع الله تبارك وتعالى فان الحق جل وعلا ربما غير الحال في لحظة وقد رأى سيدي محمد الحنفي رحمه الله تعالى فقيرا يكلم امرأة في السوق فنهاه عن ذلك فقال له الفقير أنا يا محمد الله لا أميل الى النظر اليها ولم يلتفت لكلام الشيخ ففي تلك الليلة وقع بالمرأة فاشتبك ذكره في فرجها فاطلع الشيخ على ذلك من طريق كشفه فجاء الى باب الخلوة وقال أينما هو الصادق فقال الفقير تبت الى الله تعالى فتوجه الشيخ الى الله تعالى زمانا حتى تخلص ذكره من فرجها ثم انه خرج من الزاوية وما بقي فيها وما ذكرت لك مثل هذه الحكاية وان كان في لفظها قبح الا تقبيحا للخلوة بمن يخاف منه الفتنة فان رأيت تحمل على أدبي في اللفظ والله لا يستحي من الحق فاياك يا أخي أن ينصحك شيخك أو غيره عن الخلوة بالاجنبية فلا تمتثل أمره والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة احترامي للاولياء بعد موتهم فلا أتزوج لهم زوجة خوفا من غيرة الله تعالى لهم فهل كني لان للولي مع الله تعالى أوقات رضا وملاطفة فربما قال الولي يا رب أنت ولي بعد موتي

رضي الله عنه وأقل ما في ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وتعب دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت فيها من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك وقال رضي الله عنه لما قرأت عليه كتاب الحقائق للسلمي فقال فيه انتهى عقل العقلاء الى الحيرة فقال الشيخ عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنهما ولا حيرة عند المحققين فيما فيه الحيرة عند المؤمنين وقال رضي الله عنه الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود ما من الله الى الله ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدي الله تعالى و تلازمه الاحزان وتحالفه الامتحان و يستولي عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف له

ووصي

ووصي على زوجتي فعسر غلبها يارب التزويج بعدي فصار كل من تزوجها يعطبه وقد أوصاني الشيخ شهاب الدين الكعكي رحمه الله تعالى باني أتزوج زوجته من بعده فلم أرض مع انها سألتني وقالت أنا راضية فقلت لها ولو رضيتي أنت فلا أرضى أنا وقد بلغنا ان زوجة سيدي محمد الشوبكي صاحب سيدي مدين رحمه الله تعالى مات عنها وهي بكر وقال لها لا تتزوجي بعدي أحدا فأقتله فاستفتت العلماء في ذلك فقالوا لها هذه خصيصي برسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجي وتوكلي على الله تعالى فعقدوا لها على شخص فجاءه تلك الليلة وطعنه بحربة فمات من ليلته وبقيت بكرا الى ان ماتت وهي عجوز وكذلك أخبرني الشيخ زيتون خادم سيدي الشيخ بهاء الدين المجذوب ان زوجته لما جذب انتظرت افاقته سبع سنين فلم يفق فاستفتت العلماء فافتوها بأنها تتزوج فجاء تلك الليلة حين دخل بها زوجها وطعنهما فماتا جميعا وضرب القاضي فعمي وتكسح الى أن مات وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يتكدر ممن يتزوج نساء الاولياء أو نساء الملوك والامراء ويقول ينبغي مراعاة الادب مع الاكابر ولما تزوج الشيخ محمد المغربي الجاولي سرية السلطان طومان باي بعد شنقه في باب زويلة تكدر منه غاية التكدر وقال ان هذا لم يشم من الادب رائحة ولو كان عنده أدب لراعى السلطان بعد موته كما كان راعيه حال حياته وقد روى البيهقي عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه انهم يعني الصحابة طلبوه ان يؤم بهم فامتنع وقال كيف أؤم بقوم هداني الله على أيديهم انتهى فاياك يا أخي ان تتزوج امرأة ولي الان كنت تعلم ان حاله لا تؤثر فيك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) محبة نفسي للجلوس في طرف الحلقة في المحافل دون صدرها ولو أني جلست في طرف الحلقة لا أرى لي بذلك فضلا على من جلس في صدر الحلقة من حيث تواضعي ولو أني كنت في صدر الحلقة فدخل شيخ من أقراني فأخروني وقدموه لا أتأثر بحمد الله تعالى وهذا الخلق غريب في هذا الزمان فلا يصح التخلق به الا لمن كملت رياضته وفطم على يد شيخ ناصح والا فمن لازمه غالبا التكدر ممن يقيمه من الصدر ويجلسه في طرف الحلقة وقد تقدم أوائل هذا الكتاب ان من شأن أهل الله تبارك وتعالى أنهم يرون نفوسهم دون كل جليس فلا يرون لهم مقاما عاليا ثم ينزلون منه لما هو دونه فاذا أجلسوهم عند النعال فرحوا بذلك لتسارع الرحمة في النزول عليهم في كل مكان أذلوا فيه نفوسهم في مرضاة الله تعالى فانه تعالى قال انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي بخلاف صاحب الكبر فانه يتسارع اليه المقت من الله تعالى وكما لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فان حضرة الله عز وجل كالجنة على حد سواء فاعمل يا أخي على تحصيل هذا الخلق بالرياضة لتكون متواضعا خالصا فان بعض الناس قد يجلس في طرف الحلقة ليقال انه متواضع ويتلذذ بقول الناس في حقه ذلك أكثر مما يتلذذ بقولهم فلان أجلسوه في الصدر لكونه من أهل العلم والفضل وربما يدعي الفقير في نفسه التواضع ويقول صدر الحلقة وطرفها عندي سواء والحال بخلاف ذلك فليمتحن الحاذق نفسه بخلاف تواضع أهل الله تعالى فان حقارتهم مشهودة لهم وفضل الناس عليهم مشهود لهم فلو أقام المعتقدون الادلة على فضلهم على غيرهم لا يلتفتون الى ذلك وقد كان أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه يقول لو جهد الناس ان يرفعوني فوق ما أعلم من نفسي من الحقارة ما قدروا انتهى فافهم يا أخي ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) ذهاب فهمي الى الاتعاظ اذا سمعت بآية وحديث أو أثر أو شيء من الرقائق ولا أذهب بفهمي الى الاحكام واستخراجها من الالفاظ الا بعد ذلك ثم أصرف قلبي عن ذلك وكذلك القول في اللغة والاعراب ان طلبت ذلك لا يكون الا خارج الصلاة وهذا الامر قد أعطاه الله تعالى لي من حين كنت أمرد وهو خلق غريب لا يوجد الا في أفراد من الناس فان غالب الناس أول ما يذهب فهمهم الى الاحكام أو الى اعراب الكلام أو الى ما في ذلك من اللغات ولا يكاد أحدهم يترقى عن ذلك الى الاعتبار والقوارع والزواجر التي في ذلك الكلام الا بعد ذلك وربما فني عمر أحدهم في مثل ذلك ولم يترق الى الاعتبار ولا الى مقام اعبد الله كأنك تراه وكثيرا ما تذهب عني الآية في صلاة الليل فلا أجد أقرب الي من الحق تبارك وتعالى فأساله فيردها

من نفسه عن أوصاف سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول حال الزهاد والعباد والثاني حال أهل العناية والوداد الاول شأن أهل التكليف والثاني شأن أهل التعريف الاول حال أهل اليقظة والثاني حال أهل المعرفة فلذلك قال الشيخ أبو الحسن العارف من غرق شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وغرق اساءته في احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال أيضا قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير وقال الشيخ أبو الحسن قرأت ليلة من الليالي قل أعوذ برب الناس حتى ختمتها فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد

على من طريق الالهام ولعل الاشارة بحديث اعبدالله كأنك تراه الى مثل ذلك بقرينة حديث ان الله فى قبلة أحدكم فافهم واعلم أنه كثيرا مايكون القارئ يقرأ الحديث أو كلام القوم والسامعون فى غاية البكاء والخشوع فيدخل علينا نحوى فيقول هذا الكلام معطوف على ماذا والافصح أن يقال كذا وكذا فيذهب خشوع الجماعة لوقته و يرتفع البكاء والاعتبار ولكل كلام محل وماهكذا بلغنا عن السلف الصالح انما كان أحدهم اذا تلا القرآن فى الصلاة ينظر الى مافيه من المواعظ ثم يترقى من ذلك الى الاشتغال بمناجاة الحق جل وعلا فلا يكون له التفات الى غير الحق تعالى وأما استنباط الاحكام فله وقت آخر (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قل من يشتغل بمراعاة مخارج الحروف والترقيق والتفخيم والادغام والاقلاب ونحو ذلك و يصح له الحضور مع الله تعالى الذى هو روح الصلاة وذلك لان النفس ليس من قدرتها الاشتغال بشيئين معا فى آن واحد قال رحمه الله تعالى ومن هنا قال مالك رضى الله تعالى عنه بارخاء اليدين فى الصلاة دون وضعهما على الصدر لكل من يشتغل بمراعاتهما عن كمال الاقبال على مناجاة الحق جل وعلا انتهى و بالجملة فالناس على مراتب حال التلاوة فمنهم من يسبق ذهنه الى الاعراب ومنهم من يسبق ذهنه الى الجناسات ومنهم من يسبق ذهنه الى الاحكام ومنهم من يسبق ذهنه الى الاعتبار ومنهم من يسبق ذهنه الى حضوره بالقلب مع الحق جل وعلا فهم على مراتب بحسب ماهو الغالب على كل واحد منهم وأعلاهم مرتبة من حضر مع الله تعالى فى حضرة الاحسان (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته قال هم الذين يتجدد لهم فى كل قراءة معان أخر لم تخطر لهم على بال ولو كرر الآية ألف مرة كان له فى كل مرة معان جديدة فهذا هو تلاوة القرآن حق تلاوته (وسمعته) رحمه الله تعالى مرة أخرى يقول ليست الصلاة بمحل لاستنباط الاحكام وانما يكون الاستنباط خارجها وفى الحديث ان فى الصلاة لشغلا (وسمعته) مرة أخرى يقول لا يقدر على القراءة بالانغام فى الصلاة ومراعاة التفخيم والترقيق والادغام والاقلاب مع الحضور مع الله تعالى الا الاكابر من الاولياء والقراءة الساذجة أولى لكل ضعيف والسلام فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك و يدرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم احتجابى عن الملهوف أو المكروب كمن طلبه ظالم ليأخذ ماله أو يخرجه من وطنه أو يعزله من وظيفته أو كمن مات له ولد أو كمسترشد فى الطريق ونحو ذلك فمن فضل الله على أنى أترك كل شغل كنت فيه وأخرج اليه وأبادر الى قضاء حاجته بامور الظاهر و بالتوجه الى الله تبارك وتعالى بالباطن فان كان ذلك الكرب من جهة أمر يصح استدراكه سعيت معه فى ازالته وان كان لا يصح استدراكه سليته عنه وأمرته بالصبر أو الرضا وذكرت له أحوال الصالحين فى شدة صبرهم على المصائب والبلايا والمحن وعدم تسخطهم على فقد مال أو ولد ونحو ذلك اذ التسلى ربما يحصل بالتأسى بالصالحين فيخف الهم ضرورة قال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا وقال تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واعلم انه لا يجوز حمل الاشياخ على انهم احتجبوا عن مكروب تكبرا أو استهانة بحقه معاذ الله أن يقعوا فى مثل ذلك وانما يتخلفون عن الخروج لشدة اشتغالهم بالله عز وجل و ربما حصلت لهم جمعية بقلوبهم على الله تعالى فمنعتهم من الحركة ومن الالتفات لغيره تعالى بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى انتهى وكان شيخنا رحمه الله تعالى يقول انما قال ذلك أواخر عمره صلى الله عليه وسلم حين بلغ الرسالة وأدى الامانة وأقبل الاقبال الكلى على ربه عز وجل فوق ما كان عليه حال الاشتغال بالجهاد انتهى وفى القرآن العظيم ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم فلم يعين تعالى ذلك بمدة فشمل اليوم والجمعة والشهر وغيرهما فافهم (وكان) سيدى مدين وسيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنهما لا يخرجان من خلوتهما الا لصلاة العصر فقط ولو ان أحدا جاءهما فى غير ذلك الوقت لم يخرجا له ومثل هذين الشيخين لولا انهما يعلمان ان لهما عذرا شرعيا لخرجا كل وقت دعيا فيه الى الخروج فالتسليم لهما ولمن تبعهما أسلم وحملهما على

وأهل الجد والاجتهاد ولذلك قل ان تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله طالبه بالعبودية وحمله اعباءها وألزمه ما أشفقت السموات والارض والجبال من حمله قال الله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الله الحامل للاثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف أمرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى نفوسهم قال الله سبحانه وتعالى وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله حمل عنهم ما حملهم قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق الرجعى فحمل الاثقال عنهم فساروا الى الله محمولين فى محفات المنن مروح عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا الى الله لاثقال التكاليف حاملين تلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فاذا شاء أدركهم بلطفه فاخذ بايديهم من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات وأشرقت فيهم العنايات

بمحل حسن أغنم وكلامنا فى الخروج لاصحاب الضرورات العادية أما من لاضرورة له كغالب من يزور الفقراء اليوم فلا ينبغى لفقير ان يخرج لاحد منهم الا ان علم منه حفظ اللسان فى حال مجالسته له الى أن يقوم ويخرج وقد صار ذلك فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر وان شككت فى قولى فاذكر للمجالس أحدا من أعدائه بخير وافتح له أخبار الولاة تعرف صدق ما أقول فلا يكاد مجلس يطول الا ويقع أهله فى غيبة (وقد كان) سيدى يوسف العجمى شيخ الطريق بمصر يقول لنقيبه اذا دق أحد باب الزاوية فلا تفتح له الباب الا ان كان معه فتوح للفقراء والا فهى زيارات فشارات فقال له فقير يوما كيف هذا وأنتم خرجتم عن الدنيا فقال له ياولدى أعز ما عند الفقير وقته وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم فان بذلوا لنا أعز ما عندهم بذلنا لهم أعز ما عندنا انتهى اذا علمت ذلك فلا تتعجب يا أخى الا بوجه شرعى ولا تخرج الا بوجه شرعى والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على)) أدبى مع أصحاب الحضرة الالهية فى الليل وكراهتى للتقدم عليهم فى الموقف لانهم كالامام لى فلا أحرم قبلهم بصلاة لانى أستحى من وقوفى بين يدى الله تعالى قبل أن يقف أحد منهم لضعف حالى عن الخلوة بالملك الجبار الذى دكت الجبال من شهود عظمته فان غلب على أن جميع من فى الحضرة فوقى فى المقام استأذنت الله تبارك وتعالى فى الوقوف خوفا ان أصبر الى آخرهم فيفوتنى قيام الليل جملة * ومما وقع لى اننى قمت ليلة قبل ان يدخل النصف الثانى من الليل وقبل ان يشرع أهل الحضرة فى الوقوف فى سائر أقطار الارض فما كنت الا هلكت ومن تلك الليلة لم أقم حتى يغلب على ظنى أن بعض الناس وقف بين يدى الله تبارك وتعالى ولو فى الهند والصين ويؤيد ما قلناه كراهة بعض العلماء الطواف ليلا وان كان الجمهور على خلافه وبلغنا عن بعض الاولياء انه كره الطواف ليلا وقال لم يبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف ليلا ولو أن ذلك ثبت لحملته على بيان الجواز انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من الادب أن لا يتقدم أحد فى الوقوف على خواص الحضرة الالهية كما لا يدخل أحد على ملوك الدنيا قبل دخول الامراء والاكابر وقبل الاذن فى الدخول ولله المثل الاعلى (وكان) رضى الله تعالى عنه لا يتجرأ قط أن يدخل المسجد للصلاة الا بعد سماع قول المؤذن حى على الصلاة وبعد أن يجد أحدا داخلا فيدخل تبعا له فان لم يجد أحدا داخلا وقف على الباب خلف حده حتى يجىء أحد يدخل فيدخل معه ويقول مثلى لا ينبغى له أن يدخل المسجد بين يدى الله الا تبعا للناس ثم لا يخفى عليك يا أخى ان كل ما عده خدام حضرة ملوك الدنيا سوء أدب معهم فتركه فى معاملة الحق جل وعلا آكد فان الله تعالى أحق أن يستحى منه وقد تبع الشرع العرف فى كثير من الاحكام كأمره المصلى بستر العورة فى الخلوة وفى الظلام مع ان الحق تبارك وتعالى لا يحجبه شئ وهذه الامور التى ذكرناها لا يدركها الا أرباب القلوب لا أرباب الاجسام والكثائف وقد جاءت الشريعة كلها آمرة بالادب مع الحق تعالى على اختلاف طبقات الخلق وربما يكون أدب عند قوم بعده قوم آخرون سوء أدب من باب حسنات الابرار سيآت المقربين فيستغفر قوم مما يتقرب به قوم آخرون لكن فى الآداب التى لم تصرح بها الشريعة من حيث مشهد كل عبد فى الزيادة والنقص فى الخشوع مثلا لا من حيث أصل مشروعيتها فافهم فترى كل انسان يصلى ويخشع ولكن أين صلاة أكابر الاولياء وخشوعهم من صلاة آحاد الناس وخشوعهم وفى القرآن العظيم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك فأفهمنا انه ليس لاحد من الامة أدبا أن يقف بين يدى الله تعالى قبل سيد الحضرة على الاطلاق صلى الله عليه وسلم وتأمل قوله تعالى وطائفة من الذين معك أى بحكم الاقتداء بك والتبعية لك ثم ان هذا الادب الذى ذكرته من خوفى من الوقوف بين يدى الله تعالى قبل الناس فى الليل لم أجد أحدا صرح به غير سيدى على الخواص وأضرابه رضى الله تعالى عنهم اما لعدم ذوقهم له واما لغير ذلك بل غالب الناس يتلذذ بوقوفه فى الليل وحده قبل وقوف الناس لحجابه عن شهود التجلى الالهى ولو أنه شهده لم يقدر على الوقوف بين يدى الله عز وجل وحده من غير أحد يصلى هناك أبدا ولعل هذا أحد المعانى التى كرهت الصلاة فردا لاجلها فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشدوا والحمد لله رب العالمين

وأما القسم الثالث وهم الذين هم مع الله بشهود ما من الله الى الله فهؤلاء هم أهل التوحيد والذين جروا الى ميادين التفريد رأوا أهل القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا اليها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذى سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة شرك فكيف نصنع والله قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت ووبخها واذا كانت كذلك فالجواب ان ذمها لان الله تعالى أمرك بذمها من غير ان تشهد لها قدرة أو تضيف اليها فعلا تراها هى الفاعلة له وأما القسم الثانى وهو الذى بشهود ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذ رأى نفسه مهداة اليها هدايا الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين آثر أهل الله القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم وقال رضى الله تعالى عنه العارف اذا خوف خاف قال الله تعالى حكاية عن

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) محبتي لجميع الطاعات من حيث ان فيها مجالستي للحق تبارك وتعالى لا لعلة ثواب وبغضي للمعاصي من حيث ان فيها الحجاب عن الحق تبارك وتعالى لا لعلة عقاب ولا غير ذلك لان جميع ما [illegible] عنه الحق تعالى لنافي وقت من الاوقات كالاذن الصريح لنا في دخول حضرته سواء الفرائض والنوافل ثم ان مالت نفسي الى طلب ثواب طلبته من باب المنة والفضل بحكم التبع لا بالقصد الاول مع أن الثواب حاصل بحكم الوعد الالهي في كل عبادة حصل فيها الاخلاص فكما منّ علينا سبحانه بالوقوف بين يديه فكذلك منّ علينا بالثواب فأفعالنا وثمراتها كلها من جملة فضله علينا فكان من طلب الثواب طالب ما هو حاصل وليس ذلك مقصود الرجال انما يطلبون ما يخاف منه الفوات كمجالسة الحق جل وعلا فان كل وقت ذهب والعبد فيه غير حاضر بقلبه مع ربه عز وجل لا يحسب من عمره بل هو خسران في الدنيا والآخرة (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ان تبتدع لك وردا فان الحق تبارك وتعالى لا يجالس عبده الا فيما شرعه نبيه صلى الله عليه وسلم * ولما اعترض بعض الفقهاء على حزب سيدي أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى ونفعنا به المسمى بحزب البحر قال الشيخ والله لقد أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بحرف انتهى فان كنت يا أخي من أهل هذا المقام فابتدع لك حزبا والا فمالك وردفي الشرع يغنيك عن ذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما شرع الحق تعالى لنا مناجاته في الصلاة بكلامه دون غيره حتى لا نخرج عن شهود صفاته فان القرآن صفة من صفاته تعالى فكان مناجاتنا له من باب خطاب الصفة لموصوفها فنحن نقرأ كلامه تعالى كالحاكين له وكلامه تعالى هو الذي يشهده تعالى ويناجيه ثم يخبرنا بما شهد وقد قال بعضهم في معنى قولهم العلم حجاب أي علمك حجاب لك عن معرفة المعلوم فعلمك عرف المعلوم لا أنت لانك دائما خلف علمك وهو حاكم عليك انتهى وهو كلام غوره بعيد فافهمه ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ) اني لا أتذكر قط اني دخلت على عالم أو صالح وأنا أرى نفسي مثله وانما أرى نفسي تحت أقدامه وأشهد فضله علي في العلم والعمل ليكملني بلحظه وكلامه ولذلك ما خرجت قط من مجلس عالم أو فقير الا وأنا مستمد من مدده وكان على هذا القدم جماعة من العلماء الذين أدركناهم كشيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري والشيخ نور الدين الطرابلسي والشيخ شهاب الدين بن الشلبي والشيخ جلال الدين بن قاسم المالكي والشيخ شمس الدين اللقاني والشيخ ناصر الدين اللقاني والشيخ شهاب الدين الرملي وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم وفي وقتنا هذا أيضا جماعة كالشيخ ناصر الدين الطبلاوي والشيخ نور الدين الطندتائي والشيخ شمس الدين الخطيب والشيخ نجم الدين الغيطي والشيخ شمس الدين البرهمتوشي والشيخ سراج الدين الحانوتي وسيدي محمد ابن الشيخ شهاب الدين الرملي رضي الله تعالى عنهم ولذلك رفعهم الله تعالى على أقرانهم لكثرة امدادهم فاني ما سمعت من أحد منهم قط يعتقد في نفسه الصلاح أبدا فلا يدخل أحدهم على عالم أو صالح الا ويمده بخلاف من يصف نفسه بانه صالح فانه لا يحصل له شيء فلا هو يستحق أن يمده ولا معه مدد يعطى منه أحدا شيأ ومن هنا قالوا زيارة الصالح للصالح لا فائدة فيها ومرادهم بالصالح هنا الصالح بالدعوى فان الصالحين كلهم لا يصح لاحدهم أن يزكي نفسه أبدا بل يستغفر الله تعالى من نفس صلاته ويقول اني أحب أن أخرج من الصلاة من غير تقصير فيها فلا يصح لي ذلك فاذا كان حاله في طاعاته كذلك فكيف حاله في معاصيه وقد رأيت بعضهم يعتب على شخص يدعي القطبية في عدم تردده اليه فقلت له لا فائدة في اجتماعكما فقال لماذا فقلت له من يدعي القطبية لا يحتاج اليك ولا تقدر أنت أن توصل اليه مددا بل يرفضه فرجع عن العتب وقد علمت يا أخي من باب أولى اني لا أنكر قط بالظن على من دخلت عليه من العلماء والصالحين كما يقع فيه غالب الناس خوفا من المقت وقد كان أبو تراب النخشبي رضي الله تعالى عنه يقول اذا كان حال العبد الاعراض عن حضرة الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى وكان الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول من وقع في عرض ولي ابتلاه الله بموت القلب وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنه يقول من غض من ولي ضرب في قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته فيموت على أسوأ حال انتهى وكان الشيخ أبو العباس

موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم يريد الشيخ رضي الله عنه ان العارف لا يقطعه تارة الى فضل الله عن شهود عدله ولا يحجبه شهود لطفه عن خوف ما بطن في مشيئته ويجب أن تعلم ان أهل المعرفة في نهاياتهم ربما التبس حالهم باهل البدايات في بداياتهم [illegible] المريد في مبدأ ارادته تؤثر فيه المخاوف لعدم استيلاء سلطان الحقيقة عليه فاذا تحقق فناؤه لم تؤثر فيه الواردات ولم يدخل تحت حكم العادات فاذا رد الى حالة البقاء أثرت الاشياء فيه كحاله في بدايته منها خلقناكم وفيها نعيدكم فتجد المريد يخوف فيخاف والعارف يخوف فيخاف وليسا وان استويا في الظاهر سواء فخوف المريد لاجل محنته وخوف العارف لكمال معرفته ومن هنا لا تفضل عبدا واثقا بلطفه ومنته على خائف من غيب مشيئته وكذلك لا تفضل عبدا وقف مع ظاهر الوعد على عبد رد الى وجود الازلية فاقتطع عن الوقوف مع الوعد الجميل والنعم ورد الى ما سبق في القدم وقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ورفع يديه الى السماء اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد ومازال يناشد ربه حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال أبو بكر رضي الله عنه يكفيك مناشدتك

المرسى رضى الله تعالى عنه يقول قد تتبعنا أحوال القوم فما رأينا أحدا أنكر عليهم ومات بخير أبدا ودخل على مرة شخص فتعرض للحط على سيدى عمر بن الفارض فقلت له ثلاث أمة قد خلت فقال انى أتقرب الى الله بسببه فى المجالس ففارقنى وسافر الى بلاد بنواحى اسكندرية فاتهم بالفجور فحلق قاضى العسكر نصف لحيته وحاجبه و جرسه على حمار مقلوبا ثم دخل الحمام بعد أيام فمات فى المغطس الحار فوجدوه ميتا كالقرن اليابس مع انه كان من المفتين وحكى لى شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه قال دخلت أنا وشخصان على سيدى عمر النبتيتى رحمه الله تعالى فقال أحد الشخصين أنا لا أعتقد هذا الان أظهر لى كرامة وقال الآخر أنا معتقد فيه بلا كرامة وقلت أنا لا أطالبه بكرامة ولا أعتقد ولا أنكر فلما دخلنا عليه أقبل على المعتقد وبش فى وجهه وأعرض عن الآخر ثم قال لى كيف تقول لا أعتقد ولا أنكر وأنت تصير شيخ الاسلام وتسير بمؤلفاتك الركبان الى بلاد الهند والروم والشام فى حياتك فقبلت ركبته واستغفرت الله تعالى ثم ان ذلك الرجل الذى أنكر سافر الى الروم فاسره الفرنج ويقال انه تنصر انتهى قلت ومما وقع لى أنا مع جماعة دخلوا على مع سيدى عمر النبتيتى المكشوف الرأس ولد ولد الشيخ عمر صاحب الواقعة قبلهم مع الشيخ زكريا الانصارى وكان عندى خلائق فى وليمة عرس ولدى عبد الرحمن وكان طعاما واسعا فقال واحد من الجماعة الذين مع سيدى عمر أنا لا أعتقد فى فلان الان أخرج لى طاجن لبا وقال الآخر أنا لا أعتقده الان غسل يدينا بالماورد فلما دخلوا على أتانى شخص بالطاجن اللبا فاكلوا فلما فرغوا رششت على يديهم الماورد فغسلوا به أيديهم كل ذلك وأنا لا أشعر بما قالوا قبل الدخول فسترنى الله تبارك وتعالى معهما وما أخبرنى بذلك الا سيدى عمر نفعنا الله تعالى ببركاته ثم سألت الله تعالى أن لا يؤاخذهما من جهة امتحانهما فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

《ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على》 تصديقى للصالحين فى كل ما يخبرون به من الامور التى تحيلها العقول عادة ولم أزل أصدقهم فى ذلك من حين كنت صغيرا وكل شئ لم أتعقله جعلته من جملة العلم الذى لم أعرفه ولا أكذب الا ما خالف النصوص الصريحة أو خرق اجماع المسلمين وأجمع أهل الكشف على أنه ما أنكر أحد شيأ أخبره به أهل الكشف الا حرم ذلك الامر الذى أنكره ولو بلغ الغاية فى السلوك فلا يعطى ذلك الامر عقوبة له على انكاره وتكذيبه أولياء الله تعالى الذين هم آياته فى الارض وبهم يرزق الناس وبهم يمطرون وبهم يدفع الله البلايا عن عباده وقد جلس عندى مرة الاخ الصالح الشيخ أبو العباس الحريثى بين المغرب والعشاء فى رمضان فقرأ بعد المغرب الى مغيب الشفق الاحمر القرآن خمس مرات وأنا أسمعه فلما دخلت أنا واياه على سيدى على المرصفى حكيت له ذلك فقال قد وقع لى انى قرأت القرآن فى يوم وليلة ثلثمائة وستين ألف مرة كل درجة ألف ختمة هذا اللفظ بحروفه انتهى ومما وقع لى انى أحرمت بصلاة الصبح خلف الشيخ عمر الامام بالزاوية فافتتح سورة المزمل فسبق لسانى للقرآن فقرأت من أول سورة البقرة ولحقته فى قراءة الركعة الاولى قبل أن يركع فانصت له حتى ركع هذا أمر شهدته من نفسى وآمنت بانه كرامة لى من الله تعالى فان الايمان بكرامات الاولياء واجب حق ويجب على الولى أن يؤمن بكرامات نفسه كما يؤمن بكرامات غيره على حد سواء فانه باقدار الله تعالى فى الجانبين فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

《ومما من الله تبارك وتعالى به على》 نفرتى بالطبع ممن يقبل يدى لا سيما فى المحافل أو يمشى معى الى الباب اذا خرجت من الجامع الازهر مثلا الا لغرض شرعى كما انى أحب من لم يقبل يدى ولم يقم لى ولم يمش معى ولم يعتقدنى أكثر مما كان بالضد من ذلك كل ذلك خوفا على أديان الحسدة أن تمزق بسببى فانهم ان لم يتكلموا فى حقى بلسانهم تكلموا بقلوبهم ووقعوا فى سوء الظن فأثموا بسببى ولو أن أحدا لم يقبل يدى ولم يمش معى مثلا لربما لم يقعوا فى شئ من ذلك وأيضا فان النفس تحب من يعظمها فى المحافل فربما مالت الى ذلك فاهلكت صاحبها وربما قدم الناس الانسان فى صلاة الجنازة على أحد من أقرانه فقامت على الذى قدموه القيامة

لربك يارسول الله فانه منجز لك ما وعدك فالرسول صلى الله عليه وسلم لكمال علمه بالله كان بشهود المشيئة وأبو بكر كان بشهود الوعد الجميل فالرسول صلى الله عليه وسلم ما علمه أبو بكر من الوعد الجميل كيف والوعد انما وصل لابى بكر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير انه سلك الله به المسلك الاتم من الرجوع الى المشيئة التى لا تتوقف على شئ ويتوقف عليها كل شئ وقال رضى الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة أو غيرها من البلدان انما الشأن من تطوف عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وقال رضى الله عنه عن شيخه خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله وقال رضى الله عنه عن شيخه من لم يتغلغل فى هذه العلوم مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وسمعته يقول عن شيخه كل شئ نهاك الله عنه فهو شجرة آدم لما أكل من الشجرة نزل الى الارض للخلافة وأنت اذا أكلت من شجرة النهى تنزل لماذا انما تنزل الى أرض القطيعة وقال رضى الله عنه كان ببلاد المغرب ولى من الاولياء يتكلم على الناس وكان باديا فجلس يوما يتكلم على الناس فقال له رجل مكشوف الرأس كبيره هذا زهدنا فى الدنيا وهو

وكذلك أقول لما يريد أحد تقدمي أنا رجل حنبلي فيندهش مني ويعتقد ان ذلك عذر شرعي ولا يبحث عن
حقيقة ذلك ومرادي باني حنبلي اني أحب الامام أحمد رضي الله تعالى عنه كل ذلك مراعاة لاصحاب
الرعونات الذين يحضرون غالبا الجنائز لاسيما الحال في جنائز الاكابر فان أصحاب
الانفس يتقاتلون على التقدم فيها ولهذا الخلق حلاوة أعظم من
حلاوة التقدم ومن شك فليجرب وسيأتي بسط عدم
تقدمي لصلاة الجنائز ان شاء الله تعالى بعد
سبع مئين فراجعه والله تبارك
وتعالى يتولى هداك
والحمد لله رب
العالمين

كالدب فكوشف به الشيخ
فقال من فوق المنبر
يا أبا رويس ما سمعتني
الاحبه ثم أنشد شعرا
وقائل لست بالمحب ولو *
كنت محبا لذبت مذ زمن
أحببته والفؤاد في
حرق
لم تذق الحب كيف
تعرفني
أحب قلبي وما درى
بدني
ولو درى ما أقام في السمن

(تم الجزء الاول من كتاب المنن الكبرى للشيخ الشعراني
ويليه الجزء الثاني أوله الباب التاسع في جملة من الاخلاق)

﴿فهرست الجزء الاول من كتاب لطائف المنن للعارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى﴾

(تمت)

((فهرست كتاب لطائف المنن فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن الموضوع بهامش الجزء الاول من كتاب لطائف المنن والاخلاق للشعرانى))

(تمت)